

حاشية القوي

عصام الدين اسماعيل بن محمد الحنفى المتوفى سنة ١١٩٥هـ

ع

تَقْسِيرُ الْإِمَامِ الْبَيْضَاوِيِّ

ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي المتوفى سنة ٦٨٥ هـ

وَمَعْم

حَاشِيَةُ ابْنِ التَّجَمُّدِ

صلح الدين مصطفى بن ابراهيم الترمذي الحنفى المتوفى سنة ٥٨٨ هـ

ضبطه ومصححه وخروج آياته

عبدالله محمود محمد عمر

الجزء الرابع عشر

الحمد لله:

من أول سورة الفرقان - إلى آخر سورة القصص

تَمِّمُهُ:

والمصالح التي تصفها هذه النصوص القروية، ومنه حتى تصف وتطرحها في بعض النصوص،
 لا يكون لها دور في بؤسها أو بساطتها أو بساطة فكرها، بل هي التي تميزها وتثريها وتكسبها
 قيمها "الغنية". وعلينا أن نسلط الضوء على هذا المبدأ التمييزي، كما سنرى في أثناء عرضنا
 على هذا المبدأ، ثم نذكر في الفصل الأخير من هذه الدراسة بعضاً من النصوص القروية.

مختصرات

محمد علی بیگ

لشركتي الشقة والعمارة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان



جميع الحقوق محفوظة

Copyright ©
All rights reserved
Tous droits réservés

جميع حقوق النسخة الادبية والفنية محفوظة
لدار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة
النسخة الكتاب كاملاً أو محرراً أو تسجيله على
أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو
برمجته على استوانات ضوئية إلا بموافقة
الناشر خطياً.

Exclusive Rights by

Dar Al-Kutob Al-Ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be
translated, reproduced, distributed in any
form or by any means, or stored in a data
base or retrieval system, without the
prior written permission of the publisher.

Droits Exclusifs à

Dar Al-Kutob Al-Ilmiyah Beyrouth - Liban

Il est interdit à toute personne individuelle
ou morale d'éditer, de traduire, de
photocopier, d'enregistrer sur cassette,
disquette, C-D, ordinateur toute
production écrite, entière ou partielle,
sans l'autorisation signée de l'éditeur.

الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

رمل الطوبى - شارع البحتري -ناية ملكيات
هاتف وفاكس : ٠١ ٣٧٤٥ ٤٢ - ٣٦ ٤١ ٣٥
صندوق بريد : ٩٤١٤ - بيروت - لبنان

Dar Al-Kutob Al-Ilmiyah

Beirut - Lebanon

Ramel Al-Tabi, Bahary St., Hekam Bldg., 1st Floor
Tel & Fax: 00 (961) 37 45 42 - 36 41 35 - 36 43 96
PO Box: 11 - 9414 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kutob Al-Ilmiyah

Beirut - Lebanon

Ramel Al-Tabi, Rue Bahary, Imme. Hekam, 1st Floor
Tel & Fax: 00 (961) 37 45 42 - 36 41 35 - 36 43 96
B.P.: 11 - 9414 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-2706-3



<http://www.al-ilmiyah.com/>

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
beyrouth@al-ilmiyah.com

سورة الفرقان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (سورة الفرقان مكية وآياتها سبع وسبعون) سورة الفرقان مكية في قول الجمهور ولذا اختاره المص والزمخشري والإمام الرازي وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقتادة رحمه الله إلا ثلاث آيات من قوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨] إلى قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠] نزلت بالمدينة وقال الضحاك السورة الكريمة مدنية إلا من أولها إلى قوله: ﴿وَلَا تَشْرَأْ﴾ [الفرقان: ٣] فإنه مكِّي وعدد الآيات متفق عليه وفي اللباب وثمانمائة واثنان وسبعون كلمة وعدد حروفها ثلاثة آلاف وسبعمائة وثمانون حرفاً.

قوله تعالى: تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾

قوله: (تكاثر خبره من البركة وهي كثرة الخير) تفسير له باعتبار حاصل معناه لا إشارة إلى تقدير مضاف ويدل عليه كلامه من البركة وهي كثرة الخير فكثرة الخير مأخوذة في مفهومه والتعبير بصيغة التفاعل موافقاً للنظم للمبالغة واختير صيغة التفاعل دون المفاعلة لأنها متعد والتفاعل لازم وفيه مبالغة عظيمة حيث أخبر بأن تكاثر خبره في كل أمر وبالنظر إلى كل شيء لا بالنظر إلى أمر معين كما هو مقتضى المفاعلة ولهذا روي عن رئيس المفسرين ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال معناه جاء بكل بركة قال تبارك وتعالى: ﴿وَأَنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤] كأنه قيل تكاثر نعمه الأخروية والدنيوية بحيث لا تحصى ولا تعد ومن أعظمها تنزيل القرآن وللتنبية عليه ربه على تنزيله.

قوله: (أو تزايد على كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله فإن البركة تتضمن معنى

سورة الفرقان

مكية وآياتها سبع وسبعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده﴾.

قوله: فإن البركة تتضمن معنى الزيادة هو بيان سبب تفسير تبارك بتزايد يعني أن أصل معنى البركة كثرة الخير والكثرة لتضمنها معنى الزيادة ناسب أن يفسر تبارك بتزايد فيكون تفسيراً باللازم

الزيادة^(١) أو تزايد على كل شيء أي على كل موجود وتعالى عنه أي عن كل موجود وعظيم يستحق بالنسبة إليه كل ما سواه وهذا المعنى هو المناسب هنا ومعنى التنزه كما هو المناسب لتعديته بمن لا يناسب هنا ونبه بعطفه تعالى عليه على أن التزايد هنا مستعار لمعنى التعالى ولا يمتشى هنا أصل معناه قوله في صفاته^(٢) وأفعاله قال الإمام في ذاته وفي صفاته الخ تركه المص لأن العلو في ذاته راجع إلى العلو في صفاته لأن معناه كما اعترف الإمام جل في وجوب وجوده وقدمه عن جواز الفناء والتغير عليه وتعالى في صفاته جل في قدرته وعلمه أن يخرج عنهما شيء من المعلومات والمقدورات وتعالى في أفعاله وأصح وحاصل ما ذكر ما هو المراد من قوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى: ١١].

قوله: (وترتيبه على إنزال الفرقان لما فيه من كثرة الخير)^(٣) الأولى تنزيل الفرقان ومعنى ترتيبه على إنزاله هو أن التنزيل علة لذلك الخير الكثير لأنه كما هو المشهور تعليق شيء بالمشقي يفيد عليه^(٤) مأخذه كأنه قيل تبارك الذي أي تكاثر خيره لتنزيله الفرقان الذي يتضمن خيراً كثيراً من الهداية إلى البغية والتنصيب على العقائد الصحيحة والتوقيف على أصول الشرائع وقوانين الاجتهاد وبه ينتظم أمر المعاش والمعاد وإلى ذلك أشار بقوله لما فيه من كثرة الخير.

قوله: (أو لدلالته على تعاليه) وعلوه وعظمته إما بإعجازه أو ببيانه بدليل ساطع

قوله وترتيبه على إنزال الفرقان لما فيه من كثرة الخير أي ترتيب تبارك على إنزال الفرقان حيث ذكر مقدماً عليه لما في إنزال الفرقان من كثرة الخير فالمعنى انصف تعالى بتكاثر خيره لما أنزل ما هو كثير الخير وهو القرآن المجيد الذي جمعت منافعه وعمت عوائده كقولك قد جاد من أغنى الفقراء بعطيته معناه انصف بالجود لاغناؤه الفقراء بعطائه فإن ذكر الوصف بعد الحكم يشعر بعليته له.

قوله: أو لدلالته على تعاليه أي لدلالة الإنزال على تعالى منزله وهو عطف على قوله لما فيه من كثرة الخير يعني إذا كان تبارك بمعنى تكاثر خيره فالوجه في ترتيبه على إنزال الفرقان كون الإنزال كثير الخير وإن كان بمعنى تعالى فالوجه فيه دلالة الإنزال على تعالى منزله وجه دلالة الإنزال عليه كون المنزل هذا القرآن العظيم والفرقان الكريم الفارق بين الحق والباطل الذي بذت فصاحته نطق كل ناطق وسبقت بلاغته عنان كل سباق ومنه قوله تعالى: ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً﴾ [الفرقان: ٦١] وقوله تعالى: ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير﴾ [الملك: ١].

(١) والتزايد إما باعتبار كمال الذات في نفسها كما قيل تباركت التخل إذا تعالت أو باعتبار كمال الفعل وما نحن فيه يناسب المعنيين فلذا قرره الزمخشري بالثاني وشبه المص واقتصر في الملك لمناسبة ما بعده كذا قيل مراده أن المعنيين يناسبان هنا فلذا فسر الشيخان بهما.

(٢) من كثرة الخير وهي يتضمن معنى الزيادة فيتنظم كلا المعنيين قوله أو لدلالته على تعاليه والتعالى مستلزم لكثرة الخير فمعهم الوجهين والقول بأن الأول للأول والثاني للثاني لا يلائمه لفظة أو.

(٣) والصفة كيفية راسخة بخلاف الفعل فلذا قيل الصفة مع أنه صفة بمعنى ما قام بالخير.

(٤) العلة ذهنية وعكسه علة خارجية.

وبرهان قاطع ودلالة الإعجاز عقلي وما ذكر في القرآن من وصف ذاته بالعلو والعظمة ثقلي فالدلالة عامة لهما فالقصر على أحدهما ليس بقوي .

قوله : (وقيل دام من برك الطير على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها) وقيل دام هذا المعنى مأخوذ من برك الطير على الماء لا من البركة بمعنى كثرة الخير قيل البركة في الأصل مأخوذ من برك البعير وهو صدره ومنه برك البعير إذا ألقى بركه على الأرض واعتبر فيها معنى اللزوم ويسمى محبس الماء بركة والبركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء ثبوت الماء في البركة انتهى ويفهم منه أن معنى كثرة الخير للبركة معنى مجازي شبه ثبوت الخير الإلهي بثبوت الماء في البركة بل هذا المعنى أيضاً مجاز حيث جعل أصل البرك صدر البعير لكن إن تم هذا فالبركة في معنى الخير الكثير حقيقة اصطلاحية والمبارك ما فيه ذلك الخير ولما كان الخير الإلهي لا يحس ولا يحصى ولا يحصر قيل لكل ما يعرف فيه زيادة غير محسوسة مبارك وفيه بركة ولا يخفى أن كون الخير الإلهي غير محسوس على إطلاقه غير مسلم ولو أريد الخير في صفاته مع الخير في ذاته لا يتنظم بيان المص لأنه عمم الخير إلى صفاته وأفعاله فإن التزايد هو الخير المحض مرضى معنى دام لأنه لا يناسب ما بعده^(١) وجه الصحة مع الضعف هو أن في الدوام خيراً كثيراً فالدوام يتضمن الخير الكثير وبهذا الاعتبار يحسن الترتيب أو هذا ليس بلازم كما قيل .

قوله : (وهو لا يتصرف فيه) فلا يجيء منه مضارع ولا اسم الفاعل ولا مصدر وأما قوله :

إلى الجذع جذع النخل المتبارك نادر

قوله : (ولا يستعمل إلا لله تعالى) لأنه كلمة تعظيم لا تليق إلا بالعظيم وقولهم تباركت النخلة إذا تعالت قول من لا يعبا به بقرينة تصريحهم عدم استعمالها في غيره تعالى كإطلاقهم الرحمن اليمامة على مسيلمة اليمامة وقراءة أبي كما سيأتي في الكشف تباركت ومن حولها ومثله على ما نقله بعضهم قراءة شاذة لا تعد من القرآن فلا يعبا به لدى أهل العرفان .

قوله : (والفرقان مصدر فرق بين الشيتين إذا فصل بينهما) والفرقان مصدر كالغفران

قوله : وقيل دام من برك الطير على الماء وفي الصحاح كل شيء ثبت وأقام فقد برك .

قوله : والفرقان مصدر فرق بين الشيتين إذا فصل بينهما سمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل يعني أن الفرقان مصدر فإذا أطلق على القرآن يحتمل أن يكون بمعنى الفاعل أو بمعنى المفعول فوجه تسمية القرآن به على الأول كونه فارقاً بين الحق والباطل بتفريده وبيانه أو بين

(١) وللتنبية على ذلك بين ترتيبه على انزال القرآن في عقب بيان المعنيين وقدمه على بيان المعنى وسكت عن ترتيبه على تنزيل الفرقان .

وكذا القرآن مصدر في الأصل مصدر فرق الشيء^(١) من الشيء وعنه إذا فصله فهو متعد إلى مفعول واحد بنفسه وإلى الثاني بمن أو عن وكذا مصدر فرق بين الشين كما في قوله تعالى: ﴿فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ (المائدة: ٢٥) ومن أنكر كونه مصدر فرق بين الشينين لم يصب لأنه مع ورود استعماله في القرآن صرح به الراغب نقله عنه بعضهم ولا فرق بين الفرق والتفريق إلا بالتكثير وعنده فمن فرق بينهما بأن الأول في المعاني والثاني في الأجسام برده قوله تعالى: ﴿فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ (المائدة: ٢٥) وإنما اختار كونه مصدر فرق بين الشينين لملائمة قوله بين الحق والباطل على أن أحد الاستعمالين مستلزم للآخر ولو في الأغلب.

قوله: (سمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل بتقريره أو بين المحق والمبطل بإعجازه) سمي به القرآن أي أطلق على القرآن مبالغة في فصله بين الحق والباطل كأنه عين الفصل مع أنه فاصل فإستناد الفرقان إلى القرآن مجاز عقلي وجعله بمعنى الفارق ضعيف لغوت المبالغة ولم يرد أن الفرقان في الأصل مصدر ثم سمي به القرآن فصار اسماً له في العرف كما كان كذلك في القرآن لأنه لا نقل في الفرقان بل هو باق على المصدرية لكن أطلق على الفارق مبالغة قوله بتقريره أي بيانه ما هو الحق والباطل إما ببيان مجموعهما أو ببيان أحدهما صريحاً ويفهم منه الآخر التزاماً.

قوله: (أو لكونه مفصلاً بعضه عن بعض) أي المصدر بمعنى المفعول مجازاً فحينئذ إطلاق المفصول على القرآن من قبيل صفة جرت على غير ما هي له كما أشار إليه بقوله أي مفصلاً بعضه عن بعض في الإنزال وفيه إشارة إلى أنه مصدر فرق الشيء عن الشيء غايته أنه بمعنى المفعول وينبغي أن يكون مراده أنه لو جاء الكلام على ظاهره ولم يقصد المبالغة يكون الفرقان بمعنى المفروق لا أنه هنا بمعنى المفعول كما أفاده الشيخ عبد القاهر في حل قولها وإنما هي إقبال وإدبار كما في أوائل المطول.

قوله: (في الإنزال) ولذا اختير في النظم التنزيل الدال على التفريق وأما لفظ أنزل فيدل على الجمع كذا قاله الإمام هنا لكن هذا مقتضى اللفظ إذ التنزيل للتكثير فيفيد التفريق في النزول بخلاف الإنزال ويستعمل كل منهما في موضع الآخر فلمن ذلك أن الأولى أن يقال في النزول بدل الإنزال ولا يلزم من ذلك اختصاصه بالقرآن لأن ما عده من الكتب

المحق والمبطل بإعجازه ببلاغته وعلى الثاني كونه مفصلاً بعضه عن بعض في الإنزال لقوله تعالى: ﴿وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً﴾ (الإسراء: ١٠٦).

(١) وفرق الشيء من الشيء مستعمل في إزالة الاتصال حسياً كان أو معنوياً ويقال له أيضاً الفك والافتصال والانفكاك لازمه وفرق بين الشينين إزالة الالتباس بينهما وقد يستعمل هذا بمن باعتبار تضمينه معنى التمييز.

السماوية أنزل دفعة واحدة لأنه بالمعنى الأول عام له ولغيره من الكتب السماوية وكذا بمعنى مفصلاً إلى الآيات والسور .

قوله : (وقرئ على عباده وهم رسول الله وأمته كقوله تعالى : ﴿لقد أنزلنا إليكم﴾ [الأنبياء : ١٠] الآية وقرئ على عباده قارنه ابن الزبير كما في الكشف وقوله كقوله تعالى : ﴿لقد أنزلنا إليكم﴾ [الأنبياء : ١٠] الخ إثبات لصحة إطلاق الإنزال على الأمة أي الإنزال كما يضاف إلى الرسول يضاف إلى الأمة لكونهم متعبدين بتفصيل أحكامها والإنزال لأجلهم في المعاش والمعاد وقد قيل إن المراد بالجمع الرسول تعظيماً كما قيل في أن الملائكة في قوله تعالى : ﴿أو قالت الملائكة يا مريم﴾ جبريل تعظيماً ولم يلتفت إليه لأن فيه نوع تكلف والوجه الأول مؤيد بالنص .

قوله : (أو الأنبياء على أن الفرقان اسم جنس للكتب السماوية) أو الأنبياء عليهم السلام الذين نزل عليهم الكتاب على أن الفرقان أي على أن المراد بالفرقان هنا جنس شامل لها لأنه مصدر يشناول القليل والكثير آخر هذا الاحتمال لعدم ملائمته ظاهراً لقوله ليكون فإنه مفرد راجع إلى العبد المذكور صريحاً كما في القراءة الأولى أو المذكور في ضمن العباد كما في الاحتمال الأول من القراءة الثانية وكونه راجعاً إلى الفرقان بعيد لأن المنذور والنذير من صفات الفاعل للتخويف وإطلاقه على القرآن مجاز باعتبار السببية ولذا أخره المص في بيان مرجع ضمير ليكون .

قوله : (العبد أو الفرقان) العبد المذكور صريحاً في القراءة المتواترة أو المفهوم من عباده في قراءة ابن الزبير كونه نذيراً خص بالذكر لأنه أهم من التبشير لأنه أقوى في التأديب الغرض من الإرسال وإنما عبر بالعبد لأنه أشرف أسمائه وإن كان التعبير بالرسول أو النبي أنسب بالنذير ولم يجرى لينذر العالمين كما جاء في سورة الكهف لرعاية القواصل .

قوله : (للجن والإنس) فيكون صيغة العقلاء على بابها وفي سورة الفاتحة إنما احتج إلى التغليب لأنه عام لجميع الموجودات فيها قدم الجن لتقدم وجودهم فهو عام خص منه

قوله : وهم رسول الله وأمه أريد بالعباد الرسول وأمه مع أن المنزل إليه هو الرسول فقط احتج إلى تأويل معنى النزول إلى الأمة وتأويله أن المقصود الأصلي من إنزال القرآن إلى الرسول عليه الصلاة والسلام إرشاد الأمة إلى الصراط السوي فكان كأنه أنزل إليه وإليهم كما قال ابن جني وجهه أن الإنزال وإن كان على رسول الله ﷺ ولكن لما كان موصلاً له إلى العباد ومخاطباً به لهم صار كأنه منزل عليهم ولذلك كثر فيه الخطاب للعباد بالأمر والنهي لهم والترغيب والترهيب المصروف إليهم جميعاً وهذا هو الوجه في قوله تعالى : ﴿لقد أنزلنا إليكم﴾ [النور : ٣٤] .

قوله : أو الأنبياء على أن الفرقان اسم جنس للكتب السماوية إذ لا يجوز ح أن يكون المراد به القرآن لأنه أنزل على رسولنا عليه الصلاة والسلام خاصة .

البعض بقرينة نذيراً فيه إشارة إلى أنه عليه السلام مبعوث إلى الجن أيضاً وإن كافرهم من أهل النار اتفاقاً وأما مؤمنوهم فالإمام أبو حنيفة متوقف فيهم أي يدخلون الجنة أم لا خلافاً للإمامين فإنهما ذهباً إلى أنهم يدخلون الجنة ولم يذكر الملك لأنه عليه السلام لم يرسل إليه كما صرح به الإمام الرازي.

قوله: (منظراً أو إنذاراً كالتكثير بمعنى الإنكار) منظراً أي نذير فعيل بمعنى مفعول والزمخشري وإن أنكره في قوله تعالى: ﴿ولهم عذاب أليم﴾ [البقرة: ١٠] لكنه اعترف في قوله تعالى: ﴿يدع السموات والأرض﴾ [البقرة: ١١٧] الآية وتبعه المص أو مصدر بمعنى الإنذار كالتكثير بمعنى الإنكار توضيح له بالمشهور الأوضح والصيغة من الثلاثي وكونها بمعنى الافعال يحتاج إلى البيان فيهما وفي أمثالهما لعل وجهه أن الثلاثي بمعنى الافعال إذ معنى الثلاثي مغاير للمعنى المراد هنا فعلى هذا يكون من قبيل رجل عدل آخره لكونه مجازاً في النسبة وكونه بمعنى منظر راجع لمقابلته في بعض المواضع مبيشراً ولم يذكر المنذر به وهو العذاب الشديد والألم العديد للتهويل فإن في الإيهام تهويلاً بمعونة المقام أو لظهوره إذ الإنذار وهو الإعلام والتحذير يشعر به وإنما لم يجرى للكافرين بدل للعالمين مع أن التخويف من العذاب مختص بهم للإشارة إلى أنه رسول إلى الخلق إلى يوم القيامة.

قوله: (وهذه الجملة وإن لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها أجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة) وإن لم تكن معلومة أي لمن ألقى إليه الكلام وهم المنكرون لأن الكلام مسوق لردعهم بدلالة ما بعده حيث قال: ﴿ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك﴾ [الإسراء: ١١١] الآية فلا وجه لما قيل من أن هذه الجملة معلومة للرسول عليه السلام وهو المخاطب بها ألا يرى أن في بعض المواضع يجيء الكلام بالتأكيد رداً للمنكرين مع أن المخاطب به الرسول عليه السلام نعم لو اعتبر كونه عليه السلام مخاطباً بها لكان له

قوله: وهذه الجملة وإن لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها أجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة يعني أن الصلة والصفة يجب أن تكونا معلومتين الانتساب للموصول والموصوف قبل الإخبار لأنهما إنما تكونان صلة وصفة بعد العلم بهما لأن الإخبار بعد العلم بها صفات كما أن الصفات قبل العلم بها إخبار فإذا لم يعلم المخاطب أن زيداً عالم قلت له مخبراً زيد عالم وإذا علم بهذا الخير أنه عالم لكن لم يعلم أنه جاء أو لم يجيء قلت في الوصف بالصفة زيد العالم جاءني وفي الوصف بالصلة زيد الذي هو عالم جاءني ولما كان ظاهر قوله: ﴿ليكون للعالمين نذيراً﴾ [الفرقان: ١] فصلاً بين البذل أو المبدل منه أعني بين ﴿الذي له ملك السموات والأرض﴾ وبين ﴿الذي نزل الفرقان﴾ جعلها من الصلة لكونها قيداً لها وغاية عنها فلا يكون فصلاً بالأجنبي ولما لزم جعلها من الصلة أن يكون معلومة الانتساب للموصول وإنزال القرآن لهذه العلة لم يعلم بعد بآية نازلة قبل هذه الآية جعل مضمونها جارياً مجرى المعلوم لقوة دليله إذ القرآن مشحون بالإنذارات كما أنه مشحون بالبيانات فهو قرينة حالية قوية على أن القرآن أنزل ﴿ليكون للعالمين نذيراً﴾ [الفرقان: ١].

وجه في الجملة لكن لا يلائم السوق بل الذوق لما عرفت أن ما سبق له الكلام رد للمشركين اللثام فلا حاجة إلى ما يقال من أن تعريف الموصول كتعريف اللام قد يكون للجنس والعهد وقد تكون صلة مبهمة للتعظيم كقوله:

فإن استطع أغلب وإن يغلب الهوى فممثل الذي لاقيت يغلب صاحبه

قوله تعالى: **أَلَيْسَ لِمُلْكِهِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَلَهُ يَنْجِذُ وَكَذَا وَلَمْ يَكُنْ لَكَ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدْ رَمَقَهُ تَقْدِيرٌ** ﴿٢﴾

قوله: (بدل من الأول أو مدح مرفوع أو منصوب) بدل من الأول بدل الكل وكلاهما أي البديل والمبدل منه مقصودان فإن كون المبدل منه في حكم السقوط أكثر من لا كلي أو مدح وهو على الاحتمالين خير لمبتدأ محذوف وجوباً لأنه قطع النعت بالرفع وهذا هو المراد بقوله مرفوع أو مفعول به لفعل محذوف وهو أمدح أو أعنى وهو الذي أشار إليه بقوله أو منصوب قدم الرفع لأنه أبلغ لكون الجملة اسمية.

قوله: (كزعم النصارى) وكزعم اليهود وزعم الخزاعة من مشركي العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله واليهود قالوا عزيز ابن الله فلا يعرف وجه التخصيص بزعم النصارى وإن كان بطريق التمثيل إلا أن يقال إن القول باتخاذ الولد أشهر منهم.

قوله: (كقول الثنوية) وهم غير الوثنية^(١) فإنهم قالوا فاعل الخير هو النور وفاعل الشر هو الظلمة وفساده ظاهر لأنهما عرضان لا يقومان بأنفسهما وهم يزعمون أنهما يقومان بأنفسهما أو يلزمهم ذلك القول وأن يلتزموا كذا فهم من تقرير المص في أوائل سورة الأنعام وفي شرح المواقف فإنهم قالوا فاعل الخير هو النور وفاعل الشر هو الظلمة وفساده ظاهر لأنهما عرضان فيلزم قدم الجسم وبين القولين نوع تنافر.

قوله: (أثبت له الملك مطلقاً ونفى ما يقوم مقامه وما يقاومه فيه)^(٢) أثبت له الملك بقوله: ﴿الذي له ملك السموات والأرض﴾ [الفرقان: ٢] أي بطريق الحصر كأنه لم يتعرض له لانقهاه صريحاً من قوله ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ فتقديم الخبر لمجرد

قوله: أثبت له الملك مطلقاً ونفى ما يقوم مقامه وما يقاومه فيه أي أثبت تعالى لذاته ملكاً مطلقاً بقوله: ﴿له ملك السموات والأرض﴾ [الفرقان: ٢] ونفى عنه ما يقوم مقامه في الملك وهو الولد بقوله: ﴿لم يتخذ ولداً﴾ [الفرقان: ٢] ونفى عنه أيضاً ما يقاومه فيه أي ما ينازعه ويعارضه في الملك بقوله ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ فكلمة في في فيه متعلقة بيقوم ويقاوم وهما عاملان فيه على التنازع.

(١) لأهم عبدوا الأوثان.

(٢) تنازع فيه الفعلان.

الاهتمام لا للحصر مطلقاً أي لجميع الأشياء وهذا بناء على أن قوله: ﴿له ملك السموات والأرض﴾ [الفرقان: ٢] كناية عن ملكه جميع الأشياء بناء على أن المراد بالسموات العلويات وبالأرض السفليات إما كناية أو مجازاً ونفى ما يقوم مقامه وهو الولد بقوله: ﴿ولم يتخذ ولداً﴾ [الفرقان: ٢] ولو قال ونفى ما يجانسه لأن حق الولد أن يجانس والده وما يقاومه وهو الشريك في الملك ونفيه بقوله: ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ [الفرقان: ٢].

قوله: (ثم نبه على ما يدل عليه فقال ﴿وخلق كل شيء﴾ [الفرقان: ٢]) ثم نبه على ما يدل عليه أي على المذكور من انتفاء الولد وعدم الشريك وعلى الملك مطلقاً وإرجاع الضمير إلى الملك فقط ضعيف إذ معظم المقاصد الاستدلال على انتفاء الولد وعدم الشريك بل المقصود من إثبات الملك الاستدلال على انتفاء الولد والشريك له قال المص في تفسير قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿له ما في السموات والأرض﴾ [البقرة: ١١٦] الآية والاستدلال على فساده أي اتخاذ الولد وتقديمه لا يضر ذلك.

قوله: (أحدثه إحداثاً مراعى فيه التقدير حسب إرادته) أحدثه إحداثاً وفيه تغليب ما وجد على ما لم يوجد فعبّر عن المجموع بالماضي مراعى فيه التقدير أي المراد بالخلق ليس مجرد الإيجاد بل الإيجاد الخاص وهو إيجاد مراعى فيه التقدير الذي هو معنى لغوي للخلق فإن الإيجاد معنى شرعي له معترى فيه المعنى اللغوي وهو التصوير والإبراز على مقدار معين ومنه قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام ﴿أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير﴾ [آل عمران: ٤٩] أي أصوره وأبرزه على مقدار معين قوله حسب إرادته تعالى أي على وفق إرادته وقيل^(١) التقدير تحديد كل مخلوق بحده الذي يوجد فيه من حسن وقبح ونفع وضر وغير ذلك واستوضح بتصوير النقاش الصورة في ذهنه ثم نقشه على وفق

قوله: ثم نبه على ما يدل عليه فقال ﴿وخلق كل شيء﴾ [الفرقان: ٢] أي ثم نبه على أمر يدل ذلك الأمر على أن الملك له مطلقاً وأنه لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وذلك الأمر الدال عليه هو خلقه تعالى وإيجاده كل شيء وجه دلالة عليه أنه إذا كان كل شيء مخلوقاً له تعالى موجوداً بإيجاده يكون الكل ملكه تعالى لا محالة وإذا دل على أن الكل مملوكه تعالى دل أيضاً على أن المخلوق المملوك لا يكون ولداً لخالفه ومالكة ولا شريكاً له في ملكه.

قوله: أحدثه إحداثاً مراعى فيه التقدير حسب إرادته يعني معنى الخلق ليس مطلق الأحداث من العدم بل هو إحداث روعي فيه التقدير حسب الإرادة مثل تقدير صانع السرير حيث قدر أولاً صورته وهيئته في نفسه وصورة في خياله تصويراً مراعى فيه جميع ما لا بد منه في تحسينه ثم صنعه وأحدثه حسب ما قدره وصوره.

(١) قال الراغب الخلق أصله التقدير المستقيم وفي الأساس خلق الخياط الثوب قدره قبل القطع وقدر الشيء بالشئ قاسه وجعله من المقدار ومن المجاز خلق الله الخلق على تقدير أوجبه الحكمة.

تصويره ولما كان ذلك التصوير بالإرادة دون الإيجاب قال حسب إرادته .

قوله : (كخلقه الإنسان من مواد مخصوصة وصور^(١) وأشكال معينة) كخلقه الإنسان أي إيجاد نوع الإنسان من مواد مخصوصة وهي عناصر وأغذية وأحلاط ونطف ومضغ مخلقة وغير مخلقة وهذا ما ذكره المص في تفسير قوله تعالى : ﴿وَكُنْتُمْ أَمَواتًا﴾ [البقرة: ٢٨] الآية فالأولى إسقاط قوله عناصر ثم هذا في غير آدم عليه السلام فجمع المواد باعتبار كل فرد سوى آدم عليه السلام ولو أريد بها النطف فجمع المواد باعتبار الأنواع من قبيل انقسام الآحاد إلى الآحاد وكذا الكلام في صور وأشكال عطف تفسير لها .

قوله : (فقدوره وهبائه^(٢)) لما أراد منه من الخصائص والأفعال كتهيئة الإنسان للإدراك والفهم والنظر والتدبير واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الأعمال المختلفة إلى غير ذلك) وهبائه إشارة إلى دفع إشكال التكرار فإن التقدير المعبر في الخلق التسوية والتصوير والتقدير المذكور بعده بمعنى التهيئة للخصائص فلا تكرار .

قوله : (أو فقدوره للبقاء إلى أجل مسمى) أي إلى آخر مدة مثبت معين لا يقبل التغير فعدم التكرار حينئذٍ ظاهر إذ التقدير للبقاء غير التقدير بمعنى التصوير المعبر في الخلق والتقدير للبقاء بمعنى القضاء والحكم وهذا معنى للتقدير عند بعضهم .

قوله : فقدوره وهبائه لما أراد منه من الخصائص والأفعال وهذا التقدير هو التقدير اللاحق للخلق المتأخر عنه بقرينة إلغاء التعقيب في قدره بمعنى هبائه لما أريد منه وأما التقدير الذي هو مرعى في مفهوم الخلق فهو التقدير السابق على الخلق الواقع حسب إرادة الخالق وهو بمعنى التسوية لا التهيئة وأشار إليه رحمه الله بقوله كخلقه الإنسان من مواد مخصوصة وصور وأشكال معينة أي كخلقه من مواد قد خصها به في علمه القديم ومن صور وأشكال عينها له فيه وعلى هذا كلام صاحب الكشف أيضاً حيث قال المعنى أنه أحدث كل شيء إحداثاً مراعى فيه التقدير والتسوية فقدوره وهبائه لما يصلح له مثاله أنه خلق الإنسان على هذا الشكل المقدر المسوي الذي تراه فقدوره للتكاليف والمصالح المنوطة به في بابي الدين والدنيا وكذلك كل حيوان وجماد جاء به على الجبلية المستوية المقدرة بأمثلة الحكمة والتدبير فقدوره لأمر ما ومصلحة مطابقتها لما قدر له غير متجانس عنه وفي الأساس خلق الحزار الأديم والخياط الثوب قدره قبل القطع وقدر الشيء بالشيء قاسه عليه وجعله على مقداره ومن المجاز خلق الله الخلق أوجده على تقدير أوجبه الحكمة ويجوز أن يكون المراد بقوله عز من قائل : ﴿خلق كل شيء فقدوره تقديراً﴾ أراد خلق كل شيء فقدوره تقديراً فيحينئذٍ يكون المراد من التقدير في فقدوره التقدير السابق المراعى في الخلق كما سيذكر بعيد هذا من قول الزجاج فيكون إلغاء في فقدوره للتعقيب مع الترتيب لأن التقدير مرتب على الإرادة ومعقب لها .

(١) وصور كقوله زججت الحواجب والعيونا أي وصوره بصور وأشكال ولو أريد بها الصورة الجزئية وجوز تركيب الجوهر من الجوهر والعرض القائم بذلك الجزء الجوهرى لا يحتاج إلى التمثل .
(٢) أي اعطاء القوة والإمكان الاستعدادي لذلك .

قوله: (وقد يطلق الخلق لمجرد الإيجاد) إطلاقاً حقيقياً إذ الظاهر أن الخلق في اصطلاح الشرع بمعنى الإيجاد مطلقاً سواء اعتبر فيه معنى التقدير بمعنى التصوير أو لا وإن اعتبر في مفهومه الشرعي التقدير فالاستعمال في مطلق الإيجاد مجاز وهذا إشارة إلى جواب ثالث لإشكال التكرار.

قوله: (من غير نظر^(١)) إلى وجه الاشتقاق فيكون المعنى وأوجد كل شيء فقدره في إيجاده حتى لا يكون متفاوتاً) من غير نظر إلى وجه الاشتقاق أي بحسب الوضع اللغوي فإن اشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير واعتبار المعنى اللغوي في المعنى الشرعي أكثرى لا كلي ولا يشترط المناسبة بين المنقول والمنقول عنه إلا عند من فرق بين المنقول والمرتل قبل أراد بوجه الاشتقاق معنى التقدير ووجه إطلاقه عليه لأن جهة الاشتقاق ملحوظ فيه لكونه معنى حقيقياً للخلق حتى لا يكون متفاوتاً أي مختلف الخلقه وعدم تناسب من القوت فإن كلاً من المتفاوتين قات عنه بعض ما في الآخر كقوله تعالى: ﴿ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾ [الملك: ٣].

قوله تعالى: وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا شَوْراً ﴿٣﴾

قوله: (لما تضمن الكلام إثبات التوحيد والنبوة أخذ في الرد على المخالفين فيهما)

قوله: وقد يطلق الخلق لمجرد الإيجاد من غير نظر إلى وجه الاشتقاق أي من غير نظر إلى وجه الاشتقاق بين الخلق والإيجاد وهو معنى التقدير الذي روعي في حقيقة معنى الخلق فالوجه الأول في معنى الخلق على الحقيقة فالواجب أن يفسر قوله فقدره بما يخالفه ولذا قال رحمه الله قدره وهياً فعطف هياً على قدره عطف التفسير وهو قول الزجاج حيث قال خلق الله الحيوان وقدر له ما يصلحه ويقيمه والوجه الثاني مبني على المجاز وذلك أن إحداث الله الشيء لما لم يكن إلا على وجه التقدير لأنه حكيم سمي مطلق إحداثه بالخلق لما فيه من معنى التقدير والفرق بين الوجهين أن التقدير والتسوية على الأول مقصود بذكر الخلق لأنه داخل في مفهومه وعلى الثاني غير مقصود بذكره ولكن لازم له بسبب إسناده إلى الحكيم فالفاء في قدره على الوجهين للتعقيب مع الترتيب.

قوله: فقدره في إيجاده حتى لا يكون متفاوتاً أي حتى لا يكون ذلك الشيء متفاوتاً بعد كونه موجوداً فإن المصنوع إذا لم يراع في صناعته التقدير قبل الإيجاد ربما يقع فيه بعد الإيجاد تفاوت بالزيادة على ما به كماله أو بالنقصان عن حد فيه تمامه والزيادة بعد الكمال نقصان وهي مثل النقصان عن حد التمام في كونها معدودة من النقائص.

(١) فحينئذ فالفاء في قدره للترتيب في الإخبار صرح به مولانا سعدى في قوله تعالى: ﴿فلينظر هل يذهبن﴾ [الحج: ١٥] الآية من سورة الحج أو للترتيب في الذهن فلان ملاحظة التقدير عقيب تصور الخلق أو الفاء بمعنى الواو كما صرح به أرباب الأصول.

إثبات التوحيد منهم من نفي اتخاذ الولد ونفي الشريك أو المراد الشريك في الألوهية والخالقية ووجوب الوجود وهذا النفي لما كان مدلولاً ثبت الوجدانية وإثبات الوجدانية بطريق الدليل العقلي والشافعي حكموا بإثباته بالشرع لكن من جهة الاعتقاد لا كلام في ثبوته بالشرع وإثبات النبوة بقوله: ﴿نزل الفرقان على عبده﴾ [الفرقان: ١] وثبوت النبوة بالدلائل العقلية والمعجزات القاهرة ولا يمكن ثبوته بالشرع لتوقف ثبوت الشرع عليه والمراد بإثباته بيانه وذكرها كقوله فيما سبق أثبت الملك له مطلقاً أي ذكر وحكم بثبوته له أشار بقوله على المخالفين إلى أن ضمير واتخذوا للكافرين سواء كانوا مشركي العرب أو أهل الكتاب والمراد بالآلهة المعبودات بالباطل لا واجب الوجود فإنه لم يذهب أحد من المشركين وأهل الكتاب إلى وجوب وجود ما سوى الله تعالى فحينئذ وجه الرد بقوله: ﴿لا يخلقون﴾ [الفرقان: ٣] الآية مع أنهم معترفون بذلك التحريض على النظر الصحيح حتى يعرفون أن ما هذا شأنه لا يستحق أن يكون معبوداً.

قوله: (لأن عبدتهم ينحتونهم ويصورونهم) أشار إلى أن المراد بالآلهة الأصنام فحينئذ صيغة العقلاء في يخلقون لإسناد ما هو خواص العالم إليها وهم وإن لم يصرحوا به لكن لزوم من ادعائهم لها الإلهية فإن من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات فنفي الله تعالى عنها الخالقية وعدم قدرتها على الضر والنفع على طريق السلب الكلي في عموم الأوقات والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم وللمبالغة فيه نفي مالكيتها على الأمور المذكورة مع أن قوله: ﴿ولا يخلقون شيئاً﴾ [الفرقان: ٣] مغن عنها والمضارع في قوله: ﴿وهم يخلقون﴾ [الفرقان: ٣] للاستمرار وقبل لاستحضار الحال الماضية وكذا قوله: ﴿ولا يملكون﴾ [الفرقان: ٣].

قوله: (ولا يستطيعون دفع ضر ولا جلب نفع) دفع ضر بناء على أن ملكه التصرف فيه بالدفع في الأول والجلب في الثاني وهذا أولى من كون مراده الإشارة إلى تقدير المضاف قدم الموت لأنه أنسب بالضر ولأنه ادعى إلى عبادة من أمانته ومن ذهب إلى أن قوله دفع ضر تنبيه على تقدير المضاف لم يحسن له أن يقال قدم الموت لمناسبة الضر المتقدم لأنه حينئذ بمعنى دفعه فلا يناسبه الموت.

قوله: (ولا يملكون إمامة أحد ولا إحياء أولاً ويمتة ثانياً) أولاً أي في الدنيا فسر به تنبيهاً على أن المراد بالحياة الحياة العاجلة الدنيوية فلا يتناول الحياة الآخوية فلا يكون من

قوله: لأن عبدتهم ينحتونهم ويصورونهم يريد أن الخلق في ﴿وهم يخلقون﴾ ليس بمعنى الإيجاد من العدم لأن العبد لا يقتدرون عليه بل هو بمعنى الافتعال كما في قوله عز من قائل: ﴿إنما تعبدون من دون الله آوثناً وتخلقون إفكا﴾ [الفرقان: ٢] والمعنى أنهم اختاروا على عبادة الله عبادة أصنامهم معتقدين أنهم آلهة والحال أنه لا عجز أظهر من عجزهم لا يقدرون على شيء من أفعال الله تعالى ولا من أفعال العباد حيث لا يفعلون شيئاً وهم يفعلون بالنحت والتصوير.

قبيح عطف الخاص على العام وأما القول بأنه فسر به لثلاث يتكرر مع قوله نشوراً فضعيف لما عرفت أن النشور أخص من الحياة.

قوله: (ومن كان كذلك فيمميز عن الألوهية) إشارة إلى الكبرى الأولى وكل ما هذا شأنه الخ.

قوله: (لعرائثها عن لوازمها واتصافه بما يتأقبحها وفيه تنبيه على أن الإله يجب أن يكون قادراً على البعث والجزاء) عن لوازمها وهي خلق الأشياء والقدرة على الضر والنفع والإحياء والإماتة والقدرة على البعث والجزاء فعلم من جمع اللوازم أن الأولى أن يقال وفيه تنبيه على أن الإله أي المستحق بالعبادة يجب أن يكون قادراً على الخلق والضر والنفع الخ لكنه اكتفى بالقدرة على الجزاء والبعث لأن فيه تهديداً شديداً.

قوله تعالى: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ الْأَثَرَيْنِ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ مَآخُزُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾

قوله: ((وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك)) [الفرقان: ٤] كذب مصروف عن وجهه) «وقال الذين كفروا» هذا شروع في بيان منكري نبوة نبينا عليه السلام ثم رده بأبلغ الرد المراد بالموصول المشركون لأن المص حمل قوله: «واتخذوا» [الفرقان: ٣] على أن المراد به المشركون والمراد بالألوهة الأصنام فالمناسب لما قبله كون المراد به المشركين أيضاً وأيضاً قولهم وأعانه عليه قوم آخرون قرينة عليه أن هذا أي ما هذا القرآن كلمة إن نافية بقرينة إلا.

قوله: (اختلقه) أي اخترعه من تلقاء نفسه واقتراء صفة للإفك كاشفة له إذ الإفك من الأفك بفتح الهمزة وسكون الفاء مصدر إفك الرجل إذا أفك كذباً فاحشاً موحشاً وذلك باعتبار متعلقه إذ عظم الذنوب من الكذب وغيره كما يكون باعتبار مصدرها وباعتبار نفسها كذلك يكون باعتبار متعلقاتها فالمنكرونها بالغوا في إسناد الكذب إليه فعبهروا بالإفك وعن

قوله: (ومن كان كذلك فيمميز عن الألوهية لأن الإله يجب أن يكون قادراً على كل ما يتعلق به إرادته ومشيئته ومن جعلته الإماتة والإحياء والبعث والمجازاة وما يتخلونه آلهة لا يستطيعون لأنفسهم دفع ضرر عنها أو جلب نفع إليها وهم يستطيعون وإذا عجزوا عن الافتعال ودفع الضرر وجلب النفع التي يقدر عليها العباد كانوا عن الإماتة والإحياء والنشور التي لا يقدر عليها إلا الله أعجز وأقول الأولى أن يحمل الخلق في «لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون» على معنى الإيجاد من العدم لا على معنى الافتعال لأن هذا الكلام وارد على وجه الاستدلال بانتفاء لوازم الألوهية عن أصنامهم على انتفاء كونها آلهة لأن المعنى لو كانت آلهة لاتصفت بصفات الألوهية كالخلق والملك والإحياء والإماتة والبعث والمجازاة لكنها ليست بمتصفة بها بل هي متصفة بأضدادها فهي ليست بآلهة وهذا صورة قياس استثنائي ذكر ما يدل على المقدمة الاستثنائية القائلة بسلب التالي ليتج نقيض المقدم.

هذا رد الله تعالى بأبلغ رد فقال: ﴿فقد جاؤوا ظلماً وزوراً﴾ [الفرقان: ٤] وأصل الإفك الصرف سمي الكذب به لأنه مصروف عن وجهه أي عن وجهه اللائق بجنس القول وهو الصدق فإنه وجه أي طريق حق لجنس القول فمرجع ضمير وجهه كذب لكن لا بخصوصه بل باعتبار ما يتضمنه وهو جنس القول أو لأنه مصروف عن وجهه اللائق بنفس ذلك القول الكاذب وهو كون متعلقه كذلك في الواقع فهو من قبيل نقل العام إلى الخاص أو مجاز والعلاقة الإطلاق والتقييد والمراد به ما أفك به على الله تعالى بأنه تعالى نزل مع أنه من تلقاء نفسه وحاصله أن القرآن ما كذب به أي افترى به على الله تعالى فلا يقال إن حمل الإفك على القرآن للمبالغة لما عرفت أن المراد ما أفك به ولهذا وصف بالافتراء ومعنى أو افتراء افترى به لما عرفت أن الإفك ما أفك به فالقرآن على زعمهم الباطل مفترى به لا أن نفسه مفترى والمفترى عليه هو الله تعالى.

قوله: (أي اليهود فإنهم يلقون إليه إخبار الأمم وهو يعبر عنه بعبارة وقيل حبر ويسار وعداس) أي اليهود أي أحبارهم بقرينة قوله فإنهم يلقون الخ فالمراد بعضهم وإسناده إلى الكل لكونهم راضين له أو لكونه فيما بينهم لكن هذا مخصوص بإخبار الأمم الخالية مع أن كلامهم على إطلاقه أن القرآن إفك بأسره وما ذكره لا يلائمه إلا أن يقال إن الإعانة إنما يتحقق بذلك فإن الكل إذا كان من إلقاء اليهود لا يظهر معنى الإعانة ولا يخفى أن قولهم ﴿إن هذا إلا إفك افتراء﴾ لا يلائم قولهم وأعاناه عليه قوم آخرون لأن الافتراء فسر المص بالاختلاق وهو مختص بما هو من تلقاء نفسه وقوله وقيل حبر أي حبر الرومي غلام عامر بن الحضرمي ويسار قال في سورة النمل وقيل حبر ويسار كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التوراة والإنجيل وكان الرسول يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه انتهى. كان هذا منشأ هذا القول الباطل ولم يذكر عداس فيما مضى.

قوله: (وقد سبق في قوله ﴿إنما يعلمه بشر﴾ [التحل: ١٠٣] الآية) وحاصل كلامه هناك أن ما يسمعه عليه السلام منه كلام أعجمي لا يفهمه هو ولا أنتم والقرآن تفهمون بأدنى تأمل فكيف يكون ما تلقفه منه وأيضاً هب أنه تعلم منه المعنى باستماع كلامه ولكن لم يتللف منه اللفظ لأن ذلك أعجمي وهذا عربي والقرآن كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع أن العلوم الكثيرة التي في القرآن لا يمكن تعلمها إلا بملازمة معلم فائق في تلك العلوم مدة متطاولة فكيف تعلم جميع ذلك من غلام سوفي سمع منه بعض أوقات مروره عليه كلمات أعجمية لعلهما لم يعرفا معناها.

قوله: وهو يعبر عنه بعبارة أي يعبر رسول الله ﷺ عما يلقى إليه من إخبار الأمم بعبارة يعني قالوا إن هذا القرآن إلا إفك ليس كلام الله بل هو إخبار الأمم الماضية القاهها اليهود إليه وهو يعبر عن تلك الاخبار بعبارة من غير نقل منهم ويلقيها إلى الناس ويقول هو كلام الله تعالى وهذا من غاية جحودهم أنه رسول من الله تعالى ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾.

قوله: (فقد جاؤوا) الفاء لتفيد سببية ما قبله لما بعده تنكير ظمناً للتعظيم وكذا تنوين زوراً وتقديم ظمناً لرعاية الفاصلة.

قوله: (يجعل الكلام المعجز إنكاً مختلفاً متلفاً من اليهود) يجعل الكلام المعجز أي المعجز نظماً ومعنى إنكاً مختلفاً أي مخترعاً من تلقاء نفسه لفظاً متلفاً من اليهود معنى وإلا فبين الاختلاق والتلف نوع تنافر وأصل الزور من الزور وهو الانحراف سمي الكذب به لانحرافه عن الواقع كما سمي بالإفك لصرفه عن نفس الأمر.

قوله: (بنسبة ما هو بريء منه إليه وأتى وجاء يطلقان بمعنى فعل فيعديان تعديته) أي مثل تعدية الفعل وقد يكونان لازمين إذا لم يكونا بمعنى فعل وفيه إشارة إلى أن الفعل الواحد كونه متعدباً مرة بمعنى وكونه لازماً تارة أخرى بمعنى الآخر لا بمعنى واحد قيل وأما حذف الجار وإيصال الفعل فلا بد فيه من السماع انتهى.

قوله تعالى: وَقَالُوا أَأُتِىَ الْأَوَّلُ كَمَا أُكْتَبَتْهَا فِي سَمْعٍ عَلَيْهِ بُعْثَرَةٌ وَأَصْلًا

قوله: (ما سطره المتقدمون) والأساطير الأباطيل جمع أسطورة أو أسطورة أو أسطار جمع سطر وأصله السطر بمعنى الخط الأسطورة بضم الهمزة وسكون السين وضم الطاء البطلان والإسطارة بكسر الهمزة وسكون السين بمعنى البطلان والظاهر من كلامه هنا أنها جمع أسطار جمع سطر بمعنى الخط وقد فسرها في سورة الأنعام بالأباطيل وهو محتمل هنا والمعنى ما سطره المتقدمون من نحو أحاديث رستم واسفنديار.

قوله: (كتبها^(١) لنفسه أو استكتبها) كتبها حال بتقدير قد وهو إما افتراء عليه لأنه لم

قوله: يجعل الكلام المعجز إنكاً مختلفاً متلفاً من اليهود أي مفترى متلقى منهم.

قوله: بنسبة ما هو بريء منه أي بنسبتهم إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام شيئاً هو بريء منه وهو الفرية أو بنسبتهم إلى القرآن شيئاً والقرآن بريء منه وهو كونه إنكاً.

قوله: وأتى وجاء يطلقان بمعنى فعل فيعديان تعديته يعني أن أصل جاء في تعديته إلى المفعول أن يكون بالياء لمقتضى أصل الاستعمال كأن يقال فقد جاؤوا بظلم ولكن لاطلاقه واستعماله بمعنى الفعل المتعدي إلى مفعوله بلا واسطة الجار عدي تعديته فقيل جاؤوا ظمناً وهذا الاستعمال مبني على تضمين جاء معنى فعل قال محيي السنة في المعالم جاؤوا ظمناً وزوراً أي بظلم وزور فلما حذف الياء انتصب أي جاؤوا شركاً وكذباً بنسبتهم كلام الله إلى الإفك والافتراء وقال صاحب الكشف وظلمهم أن جعلوا العربي يتلفن من المعجمي والرومي كلاماً أعجز بفصاحته جمع فصحاء العرب والزور وإن بهتوه بنسبة ما هو بريء منه إليه.

قوله: كتبها لنفسه معنى لنفسه مستفاد من صيغة افتعل فإنها موضوعة لاتحاد الفاعل الفعل لنفسه نحو اتزنه أي وزنه لنفسه واكتسبه أي كسبه لنفسه واستكتب الماء واصطبه إذا سكه وصبه لنفسه.

(١) كتبها لنفسه وأخذها كما تقول استكتب الماء واصطبه إذا سكه وصبه وأخذ كما في الكشف.

يكتب قط أو لظنهم أنه يكتب أو مجاز بمعنى أمر بكتابتها وهذا الأخير هو الراجح بل الأظهر الاكتفاء بالمعنى الثاني وهو استكتبها كون الافتعال بمعنى الاستفعال شائع إلا أن يقال إن المعنى الأول أنسب بما قبله إذ طلب الكتابة لا يستلزمها وكونها أساطير الأولين يلائم كتبها.

قوله: (وقرىء على البناء للمفعول لأنه أُمي وأصله اكتتبها كاتب له فحذف اللام وأنضى الفعل إلى الضمير فصار اكتتبها إياه كاتب ثم حذف الفاعل وبني الفعل للضمير فاستتر فيه) وقرىء على البناء للمفعول قارئة طلحة لأنه أُمي بيان لوجه هذه القراءة وجه التخصيص بهذه القراءة هو أن المعنى على هذه القراءة كتبت له ولأجله فعلته بأنه أُمي فلذا كتب لأجله بخلاف القراءة الأولى المتواترة فإن المعنى على هذه كتب لنفسه أو طلب الكتابة فلا يقتضي كونه أُمياً قوله وبني الفعل للضمير^(١) أي للإسناد إلى الضمير فيكون المعنى وبني للمفعول وإنما تسامح للتصريح بأن المفعول الغير الصريح أقيم هنا مقام الفاعل مع وجود المفعول الصريح وهذا خلاف المشهور ومما جوزه الرضي ولم يرض به الجمهور.

قوله: وأصله اكتتبها كاتب له فحذف اللام أي الجارة من له وأوصل الفعل إليه فقبل اكتتبها إياه ثم بني اكتب للمفعول وأقيم الضمير المنصوب المنفصل مقام الفاعل فانقلب مرفوعاً مستتراً وبقي ضمير المفعول على حاله متصلاً بالفعل قال صاحب الفرائد لقاتل أن يقول إن كان قوله له مفعولاً به بحرف وجب أن لا يجوز بناء الفعل له مع وجود المفعول به المتعدي إليه بلا واسطة حرف وإن كان مفعولاً له وهو الوجه لأن المعنى اكتتبها كاتب له أي لأجله وجب أن لا يبنى له أما الأول فلما في المنفصل حيث قبل هناك للمفعول به المتعدي إليه بغير حرف من الفضل على سائر ما يبنى له أنه ظفر به في الكلام فممتنع أن يسند إلى غيره تقول دفع المال إلى زيد ويبلغ بعطائك خمسمائة برفع المال وخمس المائة ولو ذهبت تنصبها مسنداً إلى زيد وبعطائك قاتلاً دفع إلى زيد المال ويبلغ بعطائك خمسمائة خرجت عن كلام العرب وأما الثاني فلأنه قد ذكره فيه أيضاً المفاعيل سواء في صحة البناء له إلا المفعول الثاني من باب علمت والثالث في باب اعلمت والمفعول معه والمفعول له وجوابه ما بينه القاضي رحمه الله من أنه مفعول به بواسطة حرف ولما حذف الجار صار كأن الفعل متعد إليه بلا واسطة حرف فأوصل إليه ثم بني الفعل للمفعول وأقيم هو مقام الفاعل وقال ابن جني اكتتبها قراءة طلحة بن مصروف وإنما هو استكتبها وهو على القلب أي استكتبت له ولا يكون معناها كتبها بيده لأنه ﷺ كان أُمياً لا يكتب وليس ممنوعاً أن يكون اكتتبها بمعنى كتبها لأنه على رأيه وأمره كقولنا ضرب الأمير اللص إلى هنا كلامه.

(١) ثم حذف الفعل وبني الفعل الخ قال الفاضل السعدي قال مولانا العلامة صاحب الكشف وقد قال آتفاً لا بد فيه من السماع قاتل انتهى فالظاهر إن جاء وأتى تعديتها بحذف الجار وإيصال الفعل إذ معنى الفعل لجاء في كل موضع ليس بحسن بل ليس بصحيح مثل جاءني زيد قاتله لا يصح فعل زيد مع أنه متعد والمعنى جاء إلى زيد نعم ما ذكر الشيخان وجه آخر لتعدية جاء وأتى.

قوله: (ليحفظها فإنه أمي لا يقدر أن يكرر من الكتاب) ليحفظها إشارة إلى دفع إشكال بأنه كيف قيل اكتتبها فهي تملئ عليه وإنما يقال أملتت عليه فهو يكتبها فأشار إلى الجواب بأن المراد^(١) بالإملاء الإلقاء عليه للحفظ بعد الكتابة استعارة لا الإلقاء للكتابة لأن صورة الإلقاء على الحافظ كصورة الإلقاء على الكاتب ثم علله بأنه أمي لا يقدر الخ فلذا تملئ عليه بعد الكتابة أي تقرأ عليه.

قوله: (أو ليكتب) فحينئذ يكون الكلام على ظاهره حيث يكون الإلقاء للكتابة هذا إذا كان معنى اكتتبها استكتبها أي طلب الكتابة فهي تملئ أي تقرأ عليه ليكتب ولهذا الإشكال جواب آخر وهو كون المعنى أراد كتابتها فهي تملئ الخ كما في الكشف تركه لأنه في المآل معنى استكتبها فلا فرق بين المعنيين على أنه مجاز فلا يصار إليه حيث أمكن الحقيقة.

قوله تعالى: قُلْ أُنَزِّلَهُ الْوَيْلُ يَعْلَمُ الْيَوْمُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُمْ كَانَ غَوْرًا رَجَبًا ﴿٦﴾

قوله: (في السموات) حال من السر والمعنى يعلم الأسرار كلها إذ السموات والأرض عبارة عن جميع العالم.

قوله: (لأنه أعجزكم عن آخركم بفصاحته وتضمنه إخباراً عن مغيبات مستقبله) لأنه أعجزكم الخ علة لكون الذي يعلم الأسرار منزلاً للقرآن لكن هذا غير مستفاد من النظم هنا فهو بيان للواقع وتمهيد لقوله وتضمن إخباراً الخ فإن كون القرآن متضمناً للأسرار يدل على كونه منزلاً من عند عالم الأسرار والخفيات وهو خالق الكائنات قوله عن آخركم صفة مصدر محذوف أي عجزاً متباعداهم عن آخرهم بتضمين معنى التباعد وتجاوزاً لعجز آخرهم وبلوغه غيرهم يوجب عموم العجز لهم فيكون كناية عنه وللمبالغة اختير الكناية وقد مر التفصيل في أوائل البقرة في قوله: لما عجزوا عن آخرهم ولما كان الإعجاز دالاً على العجز قدرنا المصدر المحذوف عجزاً إذ لا معنى لتجاوز الإعجاز متباعداً عن آخرهم إلا باعتبار ملاحظة العجز قوله بفصاحته أي ببلاغته إشارة إلى أن منشأ إعجاز القرآن هو كونه

قوله: ليحفظها فإنه أمي هذا إشارة إلى أن تملئ هنا مجاز مستعار لأن حقيقة الإملاء إلقاء الكلام إلى الكاتب ليكتبه والملقى إليه هنا هو الرسول عليه الصلاة والسلام وهو أمي لا يكتب فوجب المصير إلى المجاز المستعار تشبيهاً لإلقاء الكلام إلى الأمي ليحفظه بالقلادة إلى الكاتب ليكتبه فقله رحمه الله فإنه أمي إشارة إلى قرينة المجاز وقوله أو لتكتب على صيغة المبني للمفعول مستنداً إلى الأساطير عطف على ليحفظها وهذا إشارة إلى جواز حمل الإملاء على حقيقته والمعنى وهي تملئ عليه ليكتب له أي ليكتبها كاتب له.

(١) والإملاء والإملال بمعنى واحد وهو حمل الكاتب على الكتابة بالقائه ما يكتبه ثم استعير هنا لإلقاءه للحفظ وقد يستعمل الإملاء بمعنى الكتابة ولذا قيل العلة لأنها مما يعلى ويكتب كما صرح به الفاضل الخيالي لكن المراد هنا الإلقاء للكتابة أو للحفظ بقرينة اكتتبها.

في ذروة الأعلى من البلاغة وهو الأصح المشهور قوله وتضمن ماض عطف على أعجزكم وفي بعض النسخ وتضمنه بالضمير فحينئذ يكون مصدراً معطوفاً على فصاحته ومنشأ الإعجاز لكنه ضعيف.


قوله: (وأشياء مكنونة لا يعلمها إلا عالم الأسرار) وأشياء مكنونة كالجنة والنار وما فيهما من الأسرار فإنها وإن كانت موجودة الآن لكنها غائب عنا فلذا جعل هذه مقابلة للمغيبات المستقبلية التي لم توجد الآن بل توجد في المستقبل كالأخبار التي لم توجد مضمونها بعد ووجد في المستقبل كما أخبرت كقوله تعالى: ﴿ألم غلبت الروم في أدنى الأرض﴾ [الروم: ١ - ٣] الآية ونظائرها كثيرة فالقادر على تركيب نظم القرآن لا بد وأن يكون عالماً بكل المعلومات ظاهرها وباطنها وهو الله تعالى لا غير فالسر هنا بمعنى الغيب مطلقاً سواء كان موجوداً غاب عن حسناً أو معدوماً سيوجد في وقته المقضي له وللتنبية على ذلك قيد المغيبات بالمستقبلية مع أن الأشياء المكنونة من المغيبات أيضاً لكنها ليست من المغيبات المستقبلية قوله إلا عالم الأسرار إشارة إلى أن اللام في السر للاستغراق ولكون استغراق المفرد أشمل اختير المفرد.

قوله: (فكيف تجعلونه أساطير الأولين) أو فكيف تجعلونه إفاكاً افتراء وإنكار كيفية الجعل المذكور إنكار الجعل كتابة.

قوله: (فلذلك لا يعجل في عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته عليها أو استحقاقكم أن يصب عليكم العذاب صباً) فلذلك لا يعجل الخ إشارة إلى مناسبة الخاتمة الابتداء في المعنى فإن قوله تعالى: ﴿قل أنزله الذي يعلم السر﴾ [الفرقان: ٦] بوجه أن الفاصلة إنه عليهم أو خير ونحوه لكن يعرف بعد التأمل أن اللائق هو أنه غفور رحيم لأنه لا يعجل في عقوبة من شنع كتاباً بدت فصاحته فصاحة كل منطبق وعلا كل منشور ومنظوم إلا الغفور الرحيم وإلى ذلك أشار بقوله لا يعجل في عقوبتكم الخ لكن الظاهر أن هذا معنى رحيم فإنه يستلزم الحلم وهو عدم التعجيل في العقوبة ومعنى الغفور هنا غفور لمن تاب منهم ولظهوره لم يذكره ولو قيل إن المعنى لا يعجل في عقوبتكم لعلمهم يتوبون فيغفر الله لهم فيكون هذا معنى غفور بهذا الاعتبار ومعنى رحيم متفضل على عباده مع المغفرة

قوله: فلذا لا يعجل في عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته عليها أو استحقاقكم أن يصب عليكم صباً يعني لما كان ما قبل هذه الآية في معنى الوعيد للكفرة الذين قالوا ما قالوا من موجبات العقوبة عقبه بقوله: ﴿إنه كان غفوراً رحيماً﴾ [الفرقان: ٢] دلالة بوجه الكتابة على أنه قادر على العقوبة لأنه لا يوصف بالمغفرة والرحمة إلا القادر على المواخلة لكن لم يعجل في عقوبتهم لاتصافه بالمغفرة والرحمة وتنبهوا على أنهم استوجبوا لمكابرتهم هذه أن تصب عليهم العقوبة صباً وهذا الوجه أوفق لتأليف النظم قال صاحب الفرائد يمكن أن يقال ذكر المغفرة والرحمة بعد ذلك لأجل أن يعرفوا أن هذه الذنوب العظيمة المتجاوزة عن الحد مغفورة إن تابوا وإن رحمته واصله إليهم بعدها ولا يياسوا من رحمته بما فرط منهم.

وقيل كان الظاهر أنه عليم ونحوه فأشار المص إلى مطابقة الخاتمة للمعنى بأن ما تقدمه في معنى الوعيد فعقبه بما يدل على قدرته على الانتقام منه كناية لأنه لا يوصف بالمغفرة والرحمة إلا القادر أو هو تنبيه على استحقاقهم للعذاب ولكنهم لم يعجلوا به لمغفرته ورحمته وهذا بعيد وإن كان له وجه في الجملة لأن ما يذكر بعده شديد العقاب ونحوه وأما غفور رحيم فيذكر بعد الوعد واللفظ ويشهد له الاستقراء.

قوله تعالى: وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَنْتَشِي فِي الْأَنْشَارِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا مِثْلَ مَا يَأْكُلُ مَعَهُمْ نَخِيرُ بِهِ 

قوله: (وقالوا مال هذا الرسول ما لهذا الذي يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم) مال هذا الرسول وقعت في الكشاف اللام مفصولة عن هذا في خط المصحف وهو سنة لا تغير لكن هذا خارجة عن أوضاع الخط العربي لكن الكاتبين غيروا خط المصاحف العثمانية فيه وفي أمثاله أصلح الله تعالى شأنهم.

قوله: (كما نأكل) أي يأكل مما نأكل لا من غير ما نأكل حتى يكون خارقاً للعادة فلا ينافي النبوة أو يأكل أكلاً يشابه أكلنا فيترتب على أكله ما يترتب على أكلنا من نقص الرضوء ونحوه فينافي الرسالة وهذا مراد المص بهذا القيد وفهم هذا القيد مما ذكر في موضع آخر من قوله تعالى: ﴿ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون﴾ [المؤمنون: ٣٣] فعلم منه أنه اكتفى هنا بالأكل عن الشرب أو الأكل عام له بعموم المجاز.

قوله: (الطلب المعاش كما تمشي) إشارة إلى أن مشيه للاحتياج إلى تحصيل المعاش فإنه مناف للرسالة لا المشي مطلقاً والقرينة على هذا القيد قوله في الأسواق أو لكون هذا المقال لإنكار الرسالة وما ينافي الرسالة في زعمهم المشي في الأسواق لطلب المعاش المشعر للاحتياج المنافي للرسالة ولا بعد في أن يكون المشي في الأسواق كناية عن الاحتياج المنافي لها فلا يقتضي المشي في الأسواق.

قوله: (والمعنى إن صح دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا) إن هنا بمعنى لو المستعمل في الاستدلال فيكون لانتفاء الأول لانتفاء الثاني أي لو صح دعواه فيخالف حاله حالنا لكن التالي منتفٍ وكذا المقدم وكون المعنى ذلك لأن ما في مال هذا الرسول استهامية للإنكار الوقوعي أي لا سبب لهذا الذي يزعم أنه رسول في أكله ومشيه سوى عدم الرسالة فإن شأن الرسالة عدم الأكل والمشى فحاصل المعنى ما ذكره المص قوله لم يخالف حاله أي في الأكل والمشى حالنا أو الحال مطلقاً من خواص البشر فيكون ذكر

قوله: وفيه استهانة وتهكم أي وفي تعييرهم عن لا يعتدوا رسالته بلفظ الرسول استحقار له واستهزاء به.

الأكل والمشى من باب الاكتفاء بهما أو هما كناية عن جميع الخواص البشرية والاكتفاء بهما لأنهما غالباً حاجات الإنسان إليهما.

قوله: (وذلك لمعهم وقصور نظرهم على المحسوسات فإن تميز الرسل عن عداهم ليس بأمور جسمانية وإنما هو بأحوال نفسانية كما أشار إليه بقوله تعالى: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد﴾ [الكهف: ١١٠]) لمعهم العمه في البصيرة وهي إدراك المعقولات كالعمى في البصر فكما أن العمى يمنع رؤية المبصرات كذلك العمه يمنع إدراك الحقائق إذ البصيرة كما عرفت قوة القلب المنور بنور القدس يرى بها حقائق الأشياء وبواطنها والعمه انتفاء تلك القوة وهو مستلزم للتخير في الأمر ولذا فسره المص به في سورة البقرة وقصور نظرهم أي قصره على المحسوسات لما عرفت أن بصيرتهم مؤوفة بالعاهات فظنوا بسبب ذلك أن تميز الرسل عن عداهم بأمور محسوسة جسمانية ليست متحققة في الرسل وليس كذلك بل التميز بأحوال نفسانية تستدعي شرف النفس بالتحلي بالفضائل والكمالات القدسية لأن الرسالة رتبة روحانية تقتضي كمالات روحانية فالأكل والمشى وأمثالهما لا ينافي ذلك كما أشار إليه بقوله تعالى: ﴿أنما أنا بشر مثلكم﴾ [الكهف: ١١٠] نأكل ونشرب ونحو ذلك مثلكم ﴿يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد﴾ [الكهف: ١١٠] أي وإنما تميزت عنكم بذلك لا غير.

قوله: (لولا أنزل إليه ملك) لولا للتخفيف أي هلا أنزل ولما لم يصح التنديم هنا يراد به النفي فقط أي ما أنزل إليه ملك.

قوله: (لنعلم صدقه بتصديق الملك) أي إياه فهو مضاف إلى الفاعل والمفعول متروك والظاهر أنه حمل كون الملك معه نذيراً على تصديق الملك أنه نبي وكونه نذيراً لأنه متضمن القول بأنكم إن لم تؤمنوا به فقد خسرتم خسراناً ميبئاً ولفظ مع هنا لمجرد الجمع ولا يضره عدم اتحاد زمانهما لأن هذا في لفظ مع أكثرى لا كلي وتمام الكلام في تفسير قوله تعالى: ﴿ولما دخل معه السجن فتيان﴾ [يوسف: ٣٦] ولم يجوز هنا كون المعنى فيكون رسولاً إلينا كما جوزة فيما سيأتي لأن قوله إليه يابى عنه فيكون بالنصب لأنه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام كذا في الكشف أو حكمه حكم النفي كما صرح به في كتب النحو وهو الراجح إذ المعنى هنا على النفي كما أشرنا إليه وقرئ بالرفع فحينئذ يكون معطوفاً على أنزل ومحلل الرفع ويؤيده أنه يقال هلا ينزل بالرفع.

قوله: (وذلك لمعهم العمه علم البصيرة كما أن العمى عدم البصر قوله وقصور نظرهم على المحسوسات من قصرت الشيء على كذا إذا حبسته عليه ولم يتجاوز به إلى غيره يقال قصرت اللقمة على فرسي إذا جعلت درهماً له).

قوله تعالى: **أَوْ يُنْفَخَ إِلَيْهِ صَكْرٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ**
إِنْ تَشَاءُونَ إِلَّا زَجَلًا سُحُورًا ﴿٨﴾

قوله: ﴿٨﴾ (أو يلقى إليه كنز) أي لولا يلقى إليه كنز عطف على أنزل والمضارع هنا للدلالة على الاستمرار التجديدي للاحتياج إليه تجدداً وهذا أولى مما قيل للدلالة على أن الكنز الملقى يبقى ويستمر لعدم نفاذه فإن هذا مفاد الجملة الاسمية دون مفاد المضارع والتعبير بالإلقاء لأن المراد النزول من السماء والإلقاء هو الطرح والإنزال من السماء هو الطرح منها ولذا لم يقولوا أو يكون له كنز كما قالوا أو تكون له جنة ولعل الباعث على ذلك كونه خارقاً للعادة يدل على صدقه بلسان الحال كما أخبر صدقه الملك بلسان المقال ولم يعبره بالإنزال للتفنن.

قوله: (فيستظهر به ويستغني به عن تحصيل المعاش) فيستظهر به بالنصب جواب لولا إذ المعنى أو لولا يلقى إليه كنز كما مر.

قوله: (هذا على سبيل التنزل أي إن لم يلق إليه كنز فلا أقل من أن يكون له بستان) هذا على سبيل التنزل أي قوله أو تكون له جنة الخ في الكشف يعنون أنه أي الرسول يجب أن يكون ملكاً مستغنياً عن الأكل والتعيش ثم نزلوا عن اقتراحهم أن يكون ملكاً إلى اقتراح أن يكون إنساناً معه ملك حتى يتساندا في الإنذار والتخويف ثم نزلوا أيضاً فقالوا وإن لم يكن مرفوداً بملك فليكن مرفوداً بكنز يلقى إليه من السماء ثم نزلوا فقتنوا بأن يكون رجلاً له بستان يأكل منه فجعل الثلاثة تنزلاً وخص المص التنزل بالأخير فخالفه لأن ما قبله استئناف جواب سؤال هو كيف يخالف حاله حالكم كما يشهد له قطعه فيه أي عدم العطف كذا قيل وقال بعضهم إنه لا مخالفة بينهما وذكر التنزل هنا لتفيه التنزل فيما قبله بالكلية لأن ما قبله لا يدفع اعتراضهم لعدم مخالفته لهم في الأكل والمشى إذ هي غير لازمة من الإنزال والإلقاء بل المعنى إن لم يوجد المخالفة فهل لا يكون معه من يخالف فيهما فإن لم يوجد فهلا تخالف في إحداهما وهو طلب المعاش برفع الاحتياج بالكلية فإن لم يوجد فلا أقل من رفعه في الجملة بإيتاء ما يتعيش بريعه انتهى وجعل الزمخشري التنزل التنزل عن

قوله: هذا على سبيل التنزل تمام بيانه ما في الكشف وهو أنهم يعنون أنه كان يجب أن يكون ملكاً مستغنياً عن الأكل والتعيش ثم نزلوا عن اقتراحهم أن يكون ملكاً إلى اقتراح أن يكون إنساناً معه ملك حتى يتساندا في الإنذار والتخويف ثم نزلوا أيضاً فقالوا وإن لم يكن مرفوداً بملك فليكن مرفوداً بكنز يلقى إليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج إلى تحصيل المعاش ثم نزلوا فافتنوا بأن يكون رجلاً له بستان يأكل منه ويرتزق كما للدهاقين والعماسير أو يأكلون هم من ذلك البستان فينتفعون به في دنياهم ومعاشهم ثم كلامه الدهقان بكسر الدال وضمها فارسي معرب يقال تدهقن الرجل إذا تعيش في القرى بالفلاحة ونحوها وجمعه دهاقين والعماسير جمع ميسور بمعنى غني واليسار الغنى قوله فيتعيش بريعه الربيع النماء والزيادة.

اقتراحهم أن يكون ملكاً إلى اقتراح أن يكون إنساناً معه ملك الخ فكيف يقال إن المص خالفه مع أن ذلك التنزل بدعي غاية الأمر خص التنزل الأخير بالذكر ليعلم الباقي بالمقايسة كما هو عادته روماً للاختصار ولك أن تقول كلمة هذا إشارة إلى المذكور من التنزلات الثلاثة وتخصيص البيان بالأخير لما ذكرنا قوله جواب سؤال ضعيف لأنهم صرحوا المخالفة بعدم الأكل وأوضحه المص بقوله وذلك لعمهم الخ فلا مجال للسؤال ولا الجواب فلا مجال لإنكار أن يكون الثلاثة تنزلاً فعلم منه ضعف ما قيل أيضاً من أنه ذكر التنزل هنا لفيه التنزل فيما قبله بالكلية إذ التنزل من أن يكون الرسول ملكاً ولا ريب في التنزل عنه بالكلية وقس عليه باقي كلامه وما ذكر هنا دعول عن قول صاحب الكشاف ثم نزلوا عن اقتراحهم أن يكون ملكاً الخ وسبب ترك العطف في ﴿لولا أنزل إليه ملك﴾ لعدم الجامع لا لكونه استثنافاً معانياً فلا ريب أنه استثناف نحوي أي ابتداء كلام مسوق للإلزام الرسول بزعمهم ثم المراد بالتنزل مجازة الخصم للتيكيت لا لتسليم أن الرسول يجوز أن يكون بشراً كذا فإن قوله تعالى حكاية عنهم ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم إلا أن قالوا ابعت الله بشراً رسولاً﴾ [الإسراء: ٩٤] قال المص هناك إلا قولهم هذا والمعنى أنه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الإيمان بمحمد والقرآن إلا إنكارهم أن يرسل الله بشراً يدل على ما قلنا حيث قصر سبب إنكارهم على أن يرسل الله بشراً رسولاً فما ذكر هنا وأمثاله من باب مجازة الخصم للإسكات والإلزام تعنتاً وعناداً في دخول الإسلام ومن هذا البيان ظهر أن قول المص في أوائل سورة الأنعام فإنهم تارة يقولون لولا أنزل عليه ملك وتارة يقولون ﴿لو شاء ربنا لأنزل ملائكة﴾ فيه تسامح إذ قولهم ﴿لولا أنزل عليه ملك﴾ من باب مجازة الخصم لما عرفت أنهم ينكرون كون البشر رسولاً ولو كان معه ملك قريب له يكلمنا أنه نبي لكنه لإسكات الخصم على زعمهم تارة يقولون كذا وتارة أخرى لولا يلقي إليه كنز أو تكون له جنة أو يكون لك بيت من زخرف أي من ذهب فعلم منه أيضاً أن اكتفاء في سورة الأنعام بالقول الأول بناء على التساهل أو على أنه أغلب أقوالهم في المحاورات وفي إبراز الترهات .

قوله : (كما للدهاقين والعباسير فينعيش بريعه وقرأ حمزة والكسائي بالنون والضمير

قوله : وقرأ الكسائي بالنون أي قرأ ناكل بالنون قال صاحب الكشاف النصب في فيكون لأنه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام والرفع على أنه معطوف على أنزل ومحل الرفع الاتراك تقول لولا ينزل بالرفع وقد عطف عليه يلقي ويكون مرفوعين ولا يجوز النصب فيهما لأنهما في حكم الواقع بعد لولا ولا يكون إلا مرفوعاً قال أبو البقاء أو يلقي أو يكون معطوف على أنزل لأن أنزل بمعنى تنزل أو يلقي بمعنىلقى وقال صاحب الكشاف أو يلقي إليه كنز أو يكون له جنة كلاهما بالرفع لا غير داخل في التخصيص فليس بجواب له وقال الطيبي الوجه في قراءة فيكون بالرفع أن يجعل من تنمة أنزل مثنياً عليه غير مستقل باستقلال يلقي ويكون ليكون مطابقاً لقراءة النصب وعليه المعنى والقاتلون هم كفار قريش .

للكفار) كما للدهاقين ما موصولة وموصوفة أي مثل البستان التي للدهاقين والمياسير في احتوائه أشجاراً كثيرة ومنافع وفرة وأنواع الأثمار بحيث يستغني عن سائر ما يحتاج إليه التجار الدهاقين جمع دهقان وهو صاحب الضيعة والزراعة وهو معرب دهقان أي رئيس القرية والمياسير جمع موسر بمعنى الغني والظاهر أن هذا الجمع على خلاف القياس.

قوله: (وضع الظالمون موضع ضميرهم تسجيلاً عليهم بالظلم فيما قالوه ما تتبعون).

قوله: (سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر^(١) وهو الرنة أي بشراً لا ملكاً) ذا سحر بضم السين وسكون الحاء كذا في منتخب الصحاح وقيل بفتح السين وسكون الحاء وقد تفتح وهو الرنة فيكون المسحور للنسبة كلابن وتامر ومفعول كفاعل يأتي للنسبة ولو قليلاً.

قوله تعالى: أَنْظِرْ صَافِيَّ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلُ فَصَلُّوا فَلَاسْتَطِيعُونَ مَبِيحًا ﴿٩﴾

قوله: (أي قالوا فيك الأقوال الشاذة واخترعوا لك الأحوال النادرة) الأقوال الشاذة الخ أشار إلى أن الأمثال هنا مستعار للأقوال الغريبة المستبعدة في الغرابة.

قوله: (عن الطريق الموصل إلى معرفة خواص النبي عليه السلام والمميز بينه وبين المتنبي) فخطبوا خطب عشواء كالمتهجير في أمره لا يدري ما يصنع وأصل الخطب ضرب اليد أو الرجل على الأرض أو نحوها العشواء النافقة التي لا تبصر ما أمامها فجعل مثلاً للسلوك إلى ما لا يليق الذي يؤدي إلى الهلاك أو إلى الفساد. (إلى القدر في نبوتك أو إلى الرشد والهدى).

قوله تعالى: تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾

قوله: (تبارك الذي إن شاء) [الفرقان: ١٠] الآية تكاثر خير الذي إن شاء جعل لك الظاهر إن بمعنى لو أي لو شاء الجعل المذكور جعل لك ذلك لكن لم يشأ ذلك لحكمة دعتة ولحقارة الدنيا فلم يوجد ذلك وقيل إن ههنا بمعنى إذا أي قد جعلنا لك في الآخرة ولم يمرض به المص حيث قيده بفي الدنيا وإن أبقي إن على ظاهرها لاحتاج إلى التمحل وضرب من التأويل ولعل وجهه التنبيه على أنه لا حق لأحد على الله تعالى ولو كان رسولاً مقرباً فالمشية في نفسها محتمل الوقوع واللاوقوع

قوله: وقيل ذا سحر السحر بضم السين وسكون الحاء الرية والجمع أسحار.

قوله: أي قالوا فيك الأقوال الشاذة واخترعوا لك الأحوال النادرة من نبوة مشتركة بين إنسان وملك والقاء كنز إليه من السماء وغير ذلك ففضلوا أي فبقوا متحيرين ضلالاً لا يجدون قولاً يستقرون عليه أو فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقاً إليه.

(١) قوله إلا رجلاً أي رجلاً يتنفس ويأكل ويشرب.

وإن كان تعالى عالماً بأحد الطرفين جزءاً وإذا حمل على معنى لولا استغنى عن التأويل.

قوله: (في الدنيا) قيده به لأن الكفار أرادوا بالجنة الجنة في الدنيا فهذا جواب عن شبهتهم فلا يد من هذا القيد.

قوله: (مما قالوه ولكن أخره إلى الآخرة لأنه خير وأبقى) مما قالوه لأن ما قالوه كنز وجنة من تخيل وأعتاب كما صرح به في سورة الإسراء وما جعل له تعالى إن شاء ما لا خطر ببال أحد ولم ير مثله قوله ولكن أخره مؤيد لما قلنا من أن إن بمعنى لو إذ المعنى لكنه تعالى لم يشأ ذلك في الدنيا بل أخره إلى الآخرة وهذا شائع في التعبير بلو دون إن الاستقبالية.

قوله: (جنات تجري من تحتها الأنهار) وقد بالغ في الجواب وردهم حيث قالوا أو تكون له جنة فأجاب سبحانه وتعالى بأنه لو شاء لجعل له جنات متعددة تجري من تحت أشجارها الأنهار إما من قبيل انقسام الآحاد إلى الآحاد أي تجري نهر واحد من تحت أشجار جنة جنة أو المراد تجري الأنهار الكثيرة في كل واحدة من تلك الجنات وهو الظاهر الأرجح.

قوله: (بدل من خيراً) بدل الكل فإن الخير لكون استعماله بمن في معنى الجمع هنا فيوافق البدل في الجمعية.

قوله: (عطف على محل الجزاء) ومحلّه مجزوم واختيار المضارع هنا ظاهر وأما الماضي في المعطوف عليه فالتكتة فيه إظهار رغبة المقترحين ولذا اختير الماضي في الشرط أيضاً بخلاف جعل القصور فإنه لم يذكر هنا رغبتهم فيه.

قوله: (وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر بالرفع^(١)) لأن الشرط إذا كان ماضياً جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله:

وإن أتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم

قوله: عطف على محل الجزاء يعني ويجعل لك بالجزم عطف على محل جعل لك الواقع جزء الشرط الذي هو إن شاء.

قوله: كقوله وإن أتاه خليل خليل صفة لا اسم رجل مشتق من الخلعة بالضم وهي الحاجة والفقر والحرم الحرمان قال أبو عبيدة يقال مال حرم إذا كان لا يعطى منه قال صاحب الفرائد يمكن أن يقال ارتفاع يجعل على أنه جملة مبتدأة معطوفة على الجملة الشرطية لا على الجزاء أي أو يزيد لك على ما قالوا وهذا قول الزجاج حيث قال ومن رفع فعلى الاستئناف والمعنى سيجعل لك قصوراً أي سيعطيك الله أكثر مما قالوا.

(١) وليس على حذف الفاء كما ذهب إليه المبرد ولا الجواب محذوف وهذا على نية التقديم كما ذهب إليه سيبويه ويبتنى على الخلاف جواز جزم المعطوف وهل رفع الجواب لازم أو جائز قولان للنسابة أيضاً كذا قيل.

بالرفع لأن الشرط الخ لأنه لما لم يظهر أثره في المجاور له لم يؤثر في البعيد واستشهد على فصاحة الرفع أيضاً بقول زهير في قصيدة مدح بها هرم بن سنان بالسخاء والمطاء في يوم اشتد فيه حاجة الفقراء لكن هذا إنما يتم إذا لم يكن رفعه لضرورة الشعر والظاهر أنه لمحافظة الوزن خليل من الخلطة بفتح الخاء وهي الفقر والاحتياج مسغبة مفعلة من السغب وهو الجوع ووقع في نسخ القاضي مسألة بدل مسغبة وهي تحريف من الناسخ إذ المشهور مسغبة .

قوله : (ويجوز أن يكون استثناءً بوعده ما يكون له في الآخرة) فحينئذ الواو ليست بعاطفة بل ابتدائية والمراد استئناف نحوي لا بياني إذ لا وجه للسؤال بأنه كيف حاله في الآخرة حتى يجاب به فإن حاله عليه السلام في الآخرة أجلى من كل جلبي وكونه مستقبلاً على هذا واضح .

قوله : (وقرىء بالنصب على أنه جواب بالواو) نقل عن سيبويه أنه قال إنه ضعيف وقيل إنه شبيه بالنفي انتهى لكن هذا الوجه فيما إذا لم يكن الشرط والجزاء واقعيين كما هنا بخلاف ما إذا لم يكن معلوماً وجودهما ولا انتفاؤهما أو كانا واقعيين وكلامهم أنه جواب بالواو إما للشرط أو للجزاء مطلقاً ولا يخفى ضعفه .



قوله تعالى : **بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا**

قوله : (بل كذبوا بالساعة) إضراب انتقالي معطوف على ما حكى عنهم بقول بل بأعجب من ذلك كله كذا في الكشف والظاهر أن مراده أنه عطف على مقدر يفهم من السابق والمعنى أنهم تجاسروا على هذه الأقاويل الفاسدة بل تجاسروا بأشنع من ذلك وكذبوا بالساعة أي بوقوعها أو إمكانها .

قوله : (فقصرت أنظارهم على الحطام الدنيوية وظنوا) فقصرت أنظارهم إشارة إلى ما

قوله : (وقرىء بالنصب على أنه جواب بالواو أي وقرىء ويجعل بالنصب على أنه جواب الشرط بالواو وقال ابن جني قرأ عبد الله بن موسى وطلحة بن سليمان يجعل لك بالنصب على أنه جواب الجزاء بالواو كقولك إن تأتني أنك وأحسن إليك وجازت إجابته بالنصب لما لم يكن جواباً إلا بوقوع الشرط من قبل وليس قوياً مع ذلك ألا تراه أنه بمعنى قولك فلكل فعل كذا إن شاء الله ثم كلامه وقيل إنما نصب في جواب الشرط لأنهما ليسا بواقعيين حال المشاركة فكانا كالتمني اعتبر ابن جني كونه جواباً للجزاء دون الشرط كما اعتبره صاحب الكشف فإنه ذهب إلى أن النصب على أنه جواب الشرط بالواو وكان قول القاضي رحمه الله وقرىء بالنصب على أنه جواب من غير تعرض إلى أنه جواب الشرط أو جواب الجزاء تجويز منه كلا الاحتمالين .

قوله : (فقصرت أنظارهم على الحطام الدنيوية الحطام الهشيم وهو النبات اليابس المتكسر والشجرة البالية المتكسرة يأخذها الحطاب من حطمته حطماً أي كسرتة والحطام ما تكسر لليس استعير لما اكتسبه الرجل من المال .

ذكر في الكشف فعلى هذا قوله تبارك جملة معترضة والأحسن أن المعطوف عليه مقدر قبل قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذِبُوا﴾ [الفرقان: ١١] كما ذكرنا والمعنى فقصرت لإنكارهم الحشر أنظارهم وأفكارهم ومسايعهم على الحطام أي على تحصيل الأموال الغائية سريعاً أو فقصرت أنظارهم والتفانهم على الحطام أي زخارف الدنيا وزينتها فلا حاجة إلى تقدير المضاف قوله وظنوا الخ يؤيد المعنى الأخير.

قوله: ﴿إِنَّ الْكِرَامَةَ إِنَّمَا هِيَ بِالْمَالِ فَطَعْنُوا فِيكَ بِفَقْرِكَ﴾ إن الكرامة أي العزة والشرافة منحصرة على المال لا غير وتسبب ذلك كله طعنك بفقد المال فطعنوا فيك وقالوا: ﴿لَوْلَا أَلْفِي إِلَيْهِ﴾ [الزخرف: ٥٣] الآية ولما كان هذا التكذيب سبباً لهذا القول كان التكذيب أعجب من هذا القول.

قوله: ﴿أَوْ فَلَذَلِكَ كَذِبُوكَ﴾ أي لأجل تكذيبهم بالساعة كذبوك لأن من كذب الساعة لا

قوله: أو فلذلك كذبوك عطف على قوله فقصرت أنظارهم فسر رحمه الله قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذِبُوا بالساعة﴾ [الفرقان: ١١] بوجوه أربعة الوجه الأول أن يكون هو كلاماً متصلاً بما طعنوا به فيه من الفقر حيث قالوا أو يلقي إليه كنزاً وتكون له جنة وإرداً في معرض التعليل والمعنى أن طعنهم ذلك لقصر نظرهم على الأعراض الدنيوية من المال والمال والتكذيبهم بالساعة والوجه الثاني أن يكون هذا كلاماً متصلاً بتكذيبهم له عليه الصلاة والسلام بأن قالوا ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا إِنْكَافِرَةٌ﴾ والمعنى بل كذبوا بالساعة فلذلك كذبوك فيما ادعيت أنه رسول وإن ما جئت به كلام الله والوجه الثالث أن يكون متصلاً بما يليه من قوله سبحانه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِنْهَا﴾ [الفرقان: ١٠] الآية والمعنى كيف يصدقون بهذا الجواب المفضح عن وعده بجزييل الثواب في الآخرة والمجازاة الأخروية إنما تكون بعد قيام الساعة وهم يكذبون بها ومن يكذب بقيام الساعة لا يصدق بهذا الجواب الناطق بثبوتها والوجه الرابع أن يكون معطوفاً على ما حكى عنهم وموصولاً به والمعنى بل أتوا بأعجب من ذلك وهو التكذيب بالساعة فلا تتعجب بتكذيبهم إياك والفرق بين الوجه الثاني والرابع مع أن كليهما على تقدير كونه إضراباً عن قولهم ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا إِنْكَافِرَةٌ﴾ أن الوجه الثاني مبني على كونه تعليلاً لتكذيبهم إياه عليه الصلاة والسلام والوجه الرابع مبني على نفي التعجب عن تكذيبه وتسليته رسول الله قال الإمام رحمه الله أجاب الله تعالى عن شبهتهم بوجوه أحدها قوله انظر كيف ضربوا لك الأمثال وبيانه أن الذي يميز الرسول عن غير الرسول هو المعجزة وهذه الأشياء المذكورة لا يقدح شيء منها في المعجزة كأنه قيل انظر كيف اشتغل القوم بضرب هذه الأمثال التي لا فائدة فيها لأنهم ضلوا وأرادوا المقدح في نبوتك فلم يجدوا إلى القدح سبيلاً وثانيها قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِنْ ذَلِكَ﴾ [الفرقان: ١٠] أي من الذي ذكره من نعم الدنيا كالكنز والجنة وفسر الخير بقوله: ﴿جَنَّاتٍ﴾ [الفرقان: ١٠] فنبه بذلك على أنه قادر على أن يعطي الرسول ﷺ كلما ذكره لكنه تعالى يعطي عباده بحسب المصالح أو على وفق المشيئة ولا اعتراض لأحد عليه سبحانه وثالثها قوله: ﴿بَلْ كَذِبُوا بالساعة﴾ [الفرقان: ١١] كأنه قيل ليس ما تعلقوا به شبهة علمية بل الذي حملهم على تكذيبك تكذيبهم بالساعة ويحتمل أن يكون المعنى أنهم يكذبون بالساعة فلا يرجون ثواباً ولا عقاباً ولا يتحملون كلفة النظر والفكر فلهذا لا ينتفعون بما ورد عليهم من الدلائل.

يتحمل مشاق التكاليف والفائدة من تصديق الرسول عليه السلام تحمل التكاليف التي يلعبها إليهم متوقفاً في مقابلتها ما يستحق لأجله مشاقها وهو النعم الباقية في الآخرة فلا جرم أن من أنكر الآخرة لا يصدق النبي فتكذيبهم الساعة سبب لتكذيب الرسول عليه السلام فيكون هذا أعجب من ذلك كما في الأول ولما كان قولهم المذكور مشعراً^(١) بتكذيب الرسول عليه السلام فكان هذا القول ترقياً من هذا التكذيب إلى تكذيب الساعة.

قوله: (لا لما تمحلوا من المطاعن الفاسدة) فإن المطاعن الفاسدة سببها تكذيبهم الساعة كما عرفته فإنكارهم الساعة سبب لهما فلا يكون المطاعن سبباً لتكذيب الرسول عليه السلام فإنه ليس بأولى من عكسه والقصر مستفاد من الفحوى إذ المتبادر من السبب السبب الثام فلما كان تكذيب الساعة سبباً لتكذيب الرسول عليه السلام انتفى عنه أي عما تمحلوا وهذا ينافي ما ذكر في تفسير قوله تعالى في سورة الإسراء ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى﴾ [الكهف: ٥٥] والآية والمعنى أنه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الإيمان بمحمد والقرآن إلا إنكارهم أن يرسل الله بشراً في سورة الإسراء ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى﴾ [الكهف: ٥٥] والآية والمعنى أنه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الإيمان بمحمد والقرآن إلا إنكارهم أن يرسل الله بشراً رسولاً إذ الجمع بين الحصرين مشكل التمثل التكلف في استعمال الحيلة في توجيه الكلام وتصحيح المقام وهذا ليس بمذموم في توجيه الكلام بل ربما كانت مددوحة وأما التمثل في مثل هذه المطاعن فمذموم جداً.

قوله: (أو فكيف يلتفتون إلى هذا الجواب ويصدقونك بما وعد الله^(٢) لك في الآخرة) أو فكيف يلتفتون الخ فحينئذ يكون متصلاً بقوله: ﴿تبارك﴾ [الأعراف: ٥٤] كأنه قيل بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون إلى هذا الجواب وكيف يصدقون بمثل ما وعدك الله تعالى في الآخرة وهم لا يؤمنون بالآخرة كذا في الكشف فحينئذ يكون معطوفاً على تبارك كذا قيل والأظهر أنه عطف على محذوف متصل بتبارك والمعنى لا يلتفتون إلى هذا الجواب بل كذبوا كما نبه عليه الشيخان والترقي من عدم التفات هذا الجواب إلى بيان أنهم لا يؤمنون بالآخرة رأساً.

قوله: (أو فلا تعجب من تكذيبهم إياك فإنه أعجب منه) أو فلا تعجب الخ فيكون إضراباً معطوفاً على ما حكى عنهم كما في الأولين والأولى عدم الفصل بالوجه الثالث وجه الأعجوبة أنهم أنكروا الساعة الذي هو سبب لإنكار الرسالة فإن من صدق الآخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي والكتاب كذا بينه المص في تفسير قوله تعالى: ﴿والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به﴾ [الأنعام: ٩٢] الآية فإنكار السبب أعجب من إنكار المسبب ومغايرة هذا الوجه للوجه الثاني هي أنه لوحظ هنا

(١) وهذا إشارة إلى الفرق بين الوجهين إذ الأول ترقى من القول المذكور وحكاية إلى التكذيب والثاني ترقى من تكذيب الرسول عليه السلام المنهزم من قولهم إلى تكذيب الساعة.

(٢) قوله بما وعد الله لك الخ هذا على تقدير كون ويجعل لك قصوراً مستأنفاً بوعده ما يكون له في الآخرة فلا ينافي قوله جعل لك في الدنيا.

أعجبية تكذيب الساعة من تكذيب النبي عليه السلام فتهدى عن التعجب في تكذيبهم إياك بخلاف الوجه الثاني فإنه لوحظ فيه مجرد السببية.

قوله: (ناراً شديدة الاستعار) أي التوقد والالتهاب^(١) فهي نكرة ولذا دخلت عليه الألف واللام في مثل قوله تعالى: ﴿مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

قوله: (وقيل هو اسم لجحهم) أي مطلقاً أو هو اسم لواحدة من دركات جهنم وقد صرح به المص في تفسير قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤] فلا وجه لتمريره هنا إلا أن يقال إن العلم ما هو محلى باللام وأما كون النكرة بدون اللام علماً فضعيف أو كونه علماً لمطلق الدار العقاب ضعيف إذ الكلام فيه فإن من كذب بالساعة عام لأصحاب الدركة المخصوصة وهم الصابئون وغيرهم فلا يراد به الدركة المخصوصة.

قوله: (فيكون صرفه باعتبار المكان) إذ الظاهر أنه غير منصرف ح للتأنيث والعلمية لكنه صرف لتأويله بالمكان أو للتناسب ورعاية الفاصلة كقوله تعالى: ﴿كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ [الإنسان: ١٥].

قوله تعالى: إِذَا رَأَوْهُمْ مِّنْ مَّكَانٍ يَّبِيدُ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا ﴿١٧﴾

قوله: (إذا كانت بمرأى منهم) أي قريباً منهم وصارت منهم بقدر ما يرى منه وكون السعير بالحشية المذكورة عبر بالرؤية مجازاً لكونه سبباً للرؤية باعتبار النوع وإن لم يكن ذلك القرب سبباً لرؤية السعير وتحقق علاقة المجاز في النوع كاف واحتياج هذا التأويل بحسب العادة إذ الرؤية شأن ذي الحياة وسيجيء وجه آخر.

قوله: (كقوله عليه الصلاة والسلام لا تتراعى ناراهما) أوله أن المؤمن والكافر لا تتراعى ناراهما وفي النهاية معناه يجب على المسلم أن يتباعد منزله عن منزل المشرك

قوله: كقوله عليه الصلاة والسلام: «لا تتراعى ناراهما أي لا تتقاربان بحيث يكون أحدهما بمرأى من الآخر على المجاز يعني قوله لا تتراعى ناراهما مجاز في معنى تتقاربان بحيث يكون أحدهما بمرأى من الآخر وجه التجوز أن تراعى ناراهما لازم لتقاربهما على هذه الحشية فاستعمل اللفظ الموضوع للزوم في الملزوم هذا إذا لم يكن عندهما نار وإن كانت تكون كناية لا مجازاً قال صاحب الانتصاف معنى لا تتراعى ناراهما أنه يجب على المسلم أن يباعد منزله عن منزل المشرك ولا ينزل بالمنزل الذي إذا أوقدت فيه نار تلوح وتظهر لنار المشرك وقال الطيبي رحمه الله إذا جعل قوله رأته مجازاً كان قوله ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا﴾ ترشيحاً قوله هذا فصل الخطاب يؤتى بمثل هذا عند تمام كلام والشروع في كلام آخر معناه المذكور هذا أو هذا ما ذكره أو خذ هذا أو هذا تأويل المعتزلة.

(١) السعير فعيل بمعنى مفعول من سعت النار أي الهبتا.

والتباعد الواجب كون نار أحدهما إذا أوقدت لم ير الآخر والمص أشار إليه بقوله أي لا تتقارباً بحيث تكون إحداهما بمرأى من الأخرى والمراد تباعد منزله عن منزل المشرک تباعداً بحيث لا يعد الجار قريب كناية وأن يرى نار أحدهما الآخر لأن هذا متفاوت بكثرة النار وقتلتها واستواء الأرض وانخفاضها وغير ذلك من الأسباب وبهذا يحصل التلقيق بين هذا وبين قوله عليه السلام الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الإسلام وجار له حق واحد وهو المشرک من أهل الكتاب كذا قال المص في سورة النساء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجَنْبِ﴾ [النساء: ٣٦] الآية فالمراد بالجار المشرک الجار البعيد فلا منافاة بينهما فثبت أن قوله عليه السلام لا تتراعى ناراهما كناية عن التباعد المعتبر به في الشرع.

قوله: (أي لا تتقاربان بحيث يكون إحديهما بمرأى من الأخرى على المجاز) أي المجاز المرسل لما عرفت أن التقارب سبب للرؤية فذكر المسبب وأريد السبب لقريته فإن الرؤية من خواص الحيوان وقيل والظاهر أنه استعارة بالكناية^(١) شبه ناراهما بشخصين متباعدين قوله لا تتراعى أي تخيل فقول المص أي لا يتقاربان بيان حاصل المعنى ولا يخفى بعده^(٢) وعدم لطافته والاستشهاد بالحديث مع كونه أيضاً محتاجاً إلى الاستشهاد إشارة إلى أنه تجوز معروف وإلا فوجود العلاقة كاف في صحة التجوز وأيضاً هذا ليس بأولى من عكسه وشرح الحديث أن يستشهد بهذه الآية.

قوله: (والثاني لأنه بمعنى النار أو جهنم) وهي مؤنث معنوي أو جهنم وجهنم علم لدار العقاب وهو في الأصل مرادف للنار وهي مؤنث أيضاً قوله لأنه بمعنى الخ لف ونشر على تفسيري السعير وأما التذكير فيما قبل بالتأويل بالمكان فالمناسب الثاني بالتأويل بالبقعة.

قوله: (وهو أقصى ما يمكن أن يرى منه) أراد به دفع إشكال فإنه معنى البعد مع الرؤية فيه إشارة إلى أنها لشدة غيظها صوت صوت تغيط أول الرؤية فهذا المكان قريب لتمكن الرؤية منه ويبعد بالنسبة إلى كونه أقصى ما يمكن أن يرى منه فلا كلام في اجتماع القرب والبعد في شيء واحد من جهتين ولقطة من ابتدائية.

قوله: (صوت تغيط شبه صوت غليانها بصوت المغتاط وزفيره) فذكر اسم المشبه به وهو صوت تغيط إذ تغيطاً على حذف المضاف أي صوت تغيط كما قاله المص وأريد المشبه وهو صوت غليان فهو استعارة مصرحة تحقيقية وهذا هو الظاهر وقيل إنه استعارة مكنية أو تمثيلية^(٣) أما الأول فهو شبه السعير بالشخص المغتاط في أخذ

(١) ولما كان المجاز أبلغ اختير هذا على القول وإذا رأوها من مكان بعيد الخ.

(٢) وكذا القول بأنه استعارة تمثيلية.

(٣) شبهت النار مع الأحوال العارضة لها بمن له تلك الحال فمفردات الكلام على حالها كما هو شأن الاستعارة التمثيلية.

الانتقام وهذه مكينة وإثبات الغيظ تخيلية وأما كونه استعارة تمثيلية فنعرف بسليقة سليمة .

قوله: (وهو صوت^(١)) يسمع من جوفه هذا) شبه صوته بإخراج النفس من جوف الحيوان بل الحمار في الكراهة والفرة فيكون استعارة مصرحة ويحتمل المكينة والتمثيلية والمراد إخراج النفس مع المد وأصله من الزفر وهو الحمل الثقيل ولما كان النفس المذكور غالباً على صاحبه أطلق عليه ثم أطلق على صوت يسمع من جوف الحيوان والمراد بالجوف ما يشبه به وهو وسط النار ولما كان الزفير مسموعاً لم يقدر الصوت بخلاف التغيظ فإن نفسه ليس بمسموع فلذا قدر الصوت .

قوله: (وإن الحياة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية أمكن أن يخلق الله تعالى فيها حياة فترى وتغيظ وتزفر) إشارة إلى توجيه آخر وهو حمل الكلام على ظاهره فلا مجاز في رؤية السمعير وتغيظه وزفيره بل هي على حقيقتها والمراد بالبنية الجسد قال الإمام مذهب أصحابنا ليست البنية شرطاً في الحياة والنار على ما هي عليه يجوز أن يخلق الله الحياة والعقل والنظر فيها وعند المعتزلة ذلك غير جائز انتهى ولذا قال المص عندنا احترازاً عن مذهب المعتزلة وإنما لم يذكر العقل والنظر لأنهما تابعان للحياة وإنما أخر هذا الوجه مع أنه لكون اللفظ محمولاً على حقيقة أخرى بالتقديم لكونه خلاف الظاهر والمجاز والاستعارات شائعة في كلام الله تعالى والحمل على الحقيقة بطريق خرق العادات ضعيف لا داعي له غاية الأمر أنه ممكن لا ممتنع كما زعم أهل الاعتزال وعن هذا قال المص أمكن أن يخلق الله تعالى الحياة فيها وفي قوله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [الملك: ٨] الآية لم يذكر هذا الاحتمال بل ذهب إلى أنه تمثيلي^(٢) أو أنه بتقدير المضاف وقيد الإمكان أشار إلى تزيف ما قاله الإمام قال أصحابنا قول الله تعالى في صفة النار ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ﴾ [الفرقان: ١٢] الآية يجب إجراؤه على الظاهر لأنه لا امتناع في أن يكون النار حية انتهى لأن قوله لأنه لا امتناع لا يفيد الوجوب بل يفيد الإمكان .

قوله: (وقيل إن ذلك لزيانيتها فنسب إليها على حذف المضاف) والنسبة إليها يجوز

قوله: وقيل إن ذلك لزيانيتها فنسب إليها على حذف المضاف قال الإمام هذا قول الجبائي والرؤية والتغيظ عندنا يجب إجراؤهما على الظاهر فإنه لا امتناع في أن يكون النار حية مغناطة على الكفار والمعتزلة لما جعلوا البنية شرطاً في الحياة احتجوا إلى التأويل ولذا حملة صاحب الكشاف على التشبيه حيث قال في تفسيره سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر وقال صاحب الانتصاف لا حاجة إلى المجاز لأن رؤية جهنم جائزة وقد تظاهرت الظواهر بوقوع هذا الجائز نحو قوله تغيظاً وزفيراً ومحابتها مع الجنة وقولها

(١) ولما كان هذا الصوت صوتاً غريباً مختصاً بها قيل سمعوا لها ولم يقل سمعوا منها أو فيها .

(٢) حيث قال وهو تمثيل لشدة اشتغالها بهم .

على الإسناد المجازي من غير تقدير المضاف بل هذا أبلغ مما ذكره ومرضه إذ التقدير خلاف الظاهر ولا حاجة إليه لكن ضعف هذا وعدم ضعف احتمال خلق الحياة فيها منظور فيه .

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾

قوله: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا﴾ هذا بيان أحوال الكفرة بعد إدخالهم السعير ذلك بعد ذكر حال النار حين رأتهم قبل دخولهم النار وذلك ما أشير إليه في قوله تعالى: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: ٢٣] وفي الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها لها زفير وتغيظ وفي التعبير بالإلقاء مبالغة فإنه هو الطرح فإنهم يطرحون طرح الحطب في النار بخلاف الإدخال في دار البوار .

قوله: (أي في مكان ومنها بيان تقدم) أي في مكان أشار إلى أن المكان ظرف هنا وأما في قوله تعالى: ﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [الفرقان: ١٢] فاسم الظرف لا الظرف قوله ومنها أي لفظ منها بيان تقدم للاهتمام إذ الأهم الإلقاء في مكان هو من جهنم لا الإلقاء في المكان ولفظة من للتبعيض لا للبيان المصطلح .

قوله: (فصار حالاً) لفظ صار للتنبيه على أن كل جار ومجرور بعد نكرة فهو صفة لا حال فإذا قدم انتقل من كونه صفة إلى حال لتخصيص النكرة بتقديمها وتعلقها بألقوا بعيد إذ ابتداء الإلقاء من خارج النار لا من النار كما هو الظاهر .

قوله: (لزيادة العذاب) بيان لوجه ضيقه وزيادة بحسب الكيف وأنها جزاء أعمالهم وفقاً لا الزيادة على ما يستحقونه .

قوله: (فإن الكرب) يسكون الزاء بعد الفتح .

قوله: (مع الضيق) أي في الجملة أي يورث كرباً وغماً في الجملة وإن كان المتمكن فرحاً فخوراً وكونه باعثاً لزيادة العذاب بانضمام العذاب الروحاني والجسماني .

﴿هل من مزيد﴾ واشتكت النار إلى ربها ولو فتح باب التأويل في أحوال المعاد يجر إلى مذهب الفلاسفة خذلهم الله ونحن متعبدون بالظاهر ما لم يمتنع مانع .

قوله: ومنها بيان تقدم فصار حالاً أي منها بيان لمكان حين تأخر عنه على أنه صفة مينة له فتقديره وإذا ألقوا مكاناً كائناتاً من السعير ضيقاً فقدم فصار حالاً فالمعنى وإذا ألقوا كائناتاً منها مكاناً مثل جاءني راكباً رجل وتكتة التقديم كون المقصود تقييد العامل لا توصيف المكان لزيادة العذاب لفظ زاد يستعمل متعدباً ولازماً وكذا نقص والمعنى ههنا على التعدية انساب لكونه علة غالبية لألقوا .

قوله: فإن الكرب مع الضيق والروح مع السعة الكرب الغم الذي يأخذ النفس وكذلك الكربية بالضم يقال أكربه الغم إذا اشتد عليه والكرائب الشدائد والروح بفتح الزاء بمعنى الراحة ضد الكرب .

قوله: (والروح مع السعة) بفتح الراء وسكون الواو والراحة والاستراحة وهذا مثل ما ذكر في الكرب وإلا فأى روح من السعة لأصحاب الهموم وبالعكس (ولذلك وصف الله تعالى الجنة بأن عرضها السموات والأرض وقرأ أبو بكر ضيقاً بسكون الياء).

قوله: (قرنت أيديهم إلى أعناقهم بالسلاسل) أو قرنوا بالشياطين في سلسلة أو قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقائد الزائفة والأعمال الكاسدة أو قرنوا مع العقائد الباطلة والملكات الردية في الأصفاد وما ذكره المص من قبيل صفة جرت على غير ما هي له ولا وجه للاكتفاء به مع المساغ إلى الحمل على الحقيقة قوله قرنت أيديهم أي وأرجلهم إلى أعناقهم أيضاً (في ذلك المكان).

قوله: (هلاكاً أي يتمنون الهلاك وينادونه فيقولون يا ثيوراه تعالى فهذا حينك) أي يتمنون الهلاك وهو الموت لفراط كربتهم وغاية دهشتهم مع علمهم بأنهم خالدون فيها لا موت فيها ولا خروج عنها وفيه إشارة إلى أن المراد بالدعاء النداء والصراخ وهو مجاز عن التمني فإنه قد يستعمل له كما صرحوا في قوله:

ألا أيها السبل الطويل ألا انجلى

وهذا^(١) بناء على أن التمني ليس من عمل القلب وإن سلم كونه بالقلب قولهم يا ثيورا يدل على تمنيههم يا ثيورا نزل منزلة العاقل والحق الألف للاستغالة والهاء للوقوف فنودي نداء العاقل تعالى أمر من التعالي بفتح اللام والياء لثانيتها الثيور لأنه يراد به الكثرة وأصله أن يقوله من كان في علو لمن كان في سفلى فاتسع فيه للتعميم أي اثت فهذا الوقت حين إثباتك الفاء للتعليل والكاف في حينك بالكسر.

قوله: قرنت أيديهم إلى أعناقهم بالسلاسل روي عن ابن عباس في تفسير هذه الآية أنه أي المكان يضيّق عليهم كما يضيّق الزج في الرمح وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون في السلاسل قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الجوامع وقيل يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي أرجلهم الأصفاد الزج بضم الزاي الحديدية في الرمح تقول أزججت الرمح فهو مزج إذا عملت له زجاً وزججت الرجل أزجه زجاً إذا طعنته بالرمح والجوامع جمع جامعة وهي القل لأنها تجمع اليدين إلى العنق.

قوله: هلاكاً أي يتمنون الهلاك وينادونه قال ابن عباس ثيوراً أي ويلاً وقال الضحّاك هلاكاً وفي الحديث أن أول من يكسى حلة من النار إبليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول يا ثيورهم وهم ينادون يا ثيورهم حتى يقفوا على النار فينادي يا ثيورة وينادون يا ثيورهم فيقال لهم لا تدعوا اليوم ثيوراً واحداً وادعوا ثيوراً كثيراً.

(١) وكما صرحوا به في نحو يا نسيم الشمال بلغ سلامي.



قوله تعالى: لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَجَدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا

قوله: (يقال^(١) لهم ذلك) أي لا تدعوا مقول للقول المقدر إذ لا ارتباط بدونه والجملة حال من ضمير دعوا ويجوز الاستئناف والنهي متوجه إلى الوحدة لا إلى الجنس فإن اسم الجنس حامل للماهية والوحدة قائله في مثل هذا ناظر إلى الوحدة أو غيرها من العدد دون الماهية ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تَتَخَلَّوْا لَهُنَّ اثْنَيْنِ﴾ [النحل: ٥١] ولهذا يقال لهم ﴿وادعوا ثُبُورًا﴾ كثيراً زيادة في التحسر والتوجع ومثل هذا النهي والأمر للإهانة والتحقير.

قوله: (لأن عذابكم أنواع كثيرة) كالإحراق بالنار والزمهرير وسقي الماء الحميم والغساق والحيات والعقارب فالكثرة لتعدد أنواعه فضلاً عن إفراذه فإنه غير متناهية.

قوله: (كل نوع منها ثبور لشدة) أي مهلك لكن لا يترتب عليه الهلاك قال تعالى: ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم: ١٧] الآية وأصل الثبور الهلاك لكن استعمل هنا في المهلك مجازاً للمبالغة.

قوله: (أو لأنه يتجدد لقوله تعالى: ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب﴾ [النساء: ٥٦]) أو لأنه يتجدد الخ. فحينئذ يكون الكثرة باعتبار الأفراد الغير المتناهية قدم الاحتمال الأول لأن أنواع العذاب وإن كانت متناهية لكن كل نوع منها مشتمل على أفراد غير متناهية ولما كان سبب دعاء الثبور كثيراً أمراد بدعاء الثبور الكثير تهكماً.

قوله: (أو لأنه لا ينقطع فهو في كل وقت ثبور) أو لأنه أي العذاب لا ينقطع هذا في معنى الوجه الثاني لأن ما ينقطع هو الأفراد كما عرفته لكن لم يلاحظ فيه عدم الانقطاع وهنا اعتبر عدم الانقطاع فهما متغايران اعتباراً آخره لأن إطلاق الكثرة على الغير المتناهي غير متعارف بدون القيد بغير متناه وأما القول بأن المراد الدعاء بالفاظ ثبور كثيرة كيالهفاء ويا حسرتاه فوصف الثبور بالكثرة لكثرة الدعاء أو المدعو به فلا يناسب النظم الجليل إذ الظاهر حينئذ أن يقال دعاء كثيراً.

قوله تعالى: قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً

وَمَصِيرًا

قوله: (الإشارة إلى العذاب والاستفهام والتفضيل والترديد للتفريع مع التهكم) الإشارة

قوله: (الإشارة إلى العذاب والاستفهام والتفضيل والترديد للتفريع مع التهكم أي الإشارة إلى العذاب بكلمة ذا المفيدة لتوجيههم تحرو واراتهم إياه رأي عينا سيما بلفظ موضوع للإشارة إلى البعيد المستعمل للبعد الرثي العتب على عظم العذاب والاستفهام بالهمزة عن الأمر المعلوم المستغنى عن الاعلام والاستعلام والتفضيل بكلمة خير والحال أنه شر محض لهم والترديد بأم في مقام الجزم والتعيين لتفريعهم بما اختاروه في الدنيا من موجبات ذلك العذاب على موجبات جنة

(١) القائل الملك ويحتمل أن يكون الله تعالى للتفريع.

إلى العذاب فصيغة البعد للتحفيز قوله والاستفهام لأن أم المتصلة للاستفهام قوله والترديد أي بحسب الظاهر للتقريع والتوبيخ وإدخال مع في التهكم إشارة إلى أصالة التهكم وجه التهكم أن ما هو خير محض متعينة خيرته جعله مقابلاً لما هو شر محض والترديد بينهما في الخيرية بناء على زعم الكفرة توبيخ عظيم لكافر لثيم وتهكم جسيم والمراد بالمتقين من اتقى عن الشرك بقرينة المقابلة لكافرين والتصنيف بالتي وعد المتقون للثبته على أنهم إنما وعدوا لانتقامهم والمحروم عنه لعدم اتقائهم عن الشرك.

قوله: (أو إلى الكنز والجنة والراجع إلى الموصول محذوف) أو إلى الكنز والجنة في قولهم أو يلقى إليه كنز بتأويل ما مضى ذكره فالاستفهام أيضاً للتقريع لكن التفصيل في محله إذ الكنز وجنة الدنيا فيها خير في الجملة وآخر هذا إما لبعده أو لاحتياجه إلى التأويل أو لأن الوجه الأول أدخل في التقريع والعائد المحذوف ضميرها تقديره وعدّها المتقون مفعول ثانٍ لوعد لأنه يتعدى إلى المفعولين لتضمنه معنى الإعطاء.

قوله: (وإضافة الجنة إلى الخلد للمدح) أي إضافتها للتخصيص أي هي مختصة بالخلد ليس لها فناء وبهذا يحصل المدح فلا يضره عدم معلوميتها للكفرة لأنها من شأنها المعلومية ولذا قيل التي وعد المتقون ومضمون الصلة يجب أن يكون معلوماً مع أن الكفرة لا يعرفونها لكن من شأنهم أن يعرفوا ذلك ولذا قال المص في صدر السورة وهذه الجملة وإن لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها أجريت مجرى المعلوم ولك أن تقول إن الإضافة ومضمون الصلة معلوم للرسول عليه السلام وأهل الإسلام ولا يلزم أن يكون معلوماً لكل أحد لكن لكون الكلام مسوقاً لرد الكفار والتقريع والتهكم اختير الوجه الأول.

قوله: (أو الدلالة على خلودها أو التمييز عن جنات الدنيا) أو الدلالة على خلودها أي في نفسها وهذا لا يستلزم خلود أصحابها ولذا ذكر بعده خلود أصحابها وأما القول لا للدلالة على خلودها لأنها حاصلة بقوله خالدین فضعيف لأن إغناء المتأخر عن المتقدم ليس بمتعارف وغير مضر على أن حصول المدح بالدلالة المطابقة

الخلد والاستهزاء بهم يدل استهزائهم لرسول الله ﷺ بقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل عليه ملك أو لقي إليه كنزاً وتكون له جنة معنى الاستهزاء مستفاد من كلمة التفصيل حيث تدل على ثبوت أصل الخير للعذاب مع أنه لا خير فيه لهم قطعاً.

قوله: والراجع إلى الموصول محذوف تقديره وعدّها المتقون.

قوله: وإضافة الجنة إلى الخلد للمدح مثل الإضافة في قولك هو عبد السلطان وجه إنادة هذه الإضافة المدح أن المتنب إلى الممدوح ممدوح.

قوله: أو للدلالة على خلودها أي أو ليدل الإضافة على أن الجنة التي وعدّها المتقون خالدة أي خالدة فيها أهلها.

أقوى ثم إنه لم يذكر خبر أم جنة^(١) الخلد لأنه لو ذكر لخرج أم عن الاتصال إلى الانقطاع والانقطاع ليس بمراد.

قوله: (كانت لهم في علم الله أو اللوح) أي الماضوية بالنسبة إلى علم الله تعالى أي تعلق علمه تعالى في الأزل أن الجنة للمتقين وهذا التعلق قديم ليس بزمني ولا متغير أو الماضي هنا بالنسبة إلى كونها لهم فينبغي لا مجاز في الماضي وكذا الكلام في اللوح.

قوله: (أو لأن ما وعده الله تعالى في تحقيقه كالأوقع) فعلى هذا يكون كانت استعارة تبعية شبه الكون في المستقبل بالكون في الماضي في تحقق الوقوع فذكر لفظ المشبه به وهو الماضي وأريد المشبه وهو المستقبل ادعاء وهذا هو المشهور في مثل هذا إذ الماضوية والمضارعية بالنظر إلى وقوع النسبة في نفس الأمر في زمان كذا لا في علم الله تعالى وألا يكون أكثر ما يعد مضارعاً ماضياً ولا يخفى بعده فالأولى الاكتفاء بالوجه الأخير ألا يرى أن أئمة البيان اختاروا في مثل هذه الأنفاظ الاستعارة ولم يميلوا إلى ماضويته بالنسبة إلى علم الله.

قوله: (على أعمالهم بالوعد) أي بسبب الوعد لا باستحقاق العبد فإنه كأجير أخذ أجرته قبل العمل.

قوله: (يتقلبون إليه) أشار إلى أن المصير المتقلب سواء كان بطريق العود إليه بعد التحول عنه أو الانقلاب بدون ذلك وهو المراد هنا والمصير من جنس الجزاء إذ المراد الجنة فهو من قبيل عطف الخاص على العام تنبيهاً على نهايته كأنه ليس من جنس الجزاء.

قوله: (ولا يمنع كونها جزاء لهم أن يتفضل بها على غيرهم برضاهم مع جواز أن

قوله: أو للتمييز عن جنات الدنيا أي أو الإضافة لبيان أن الجنة التي وعد المتفون ممتازة عن جنات الدنيا باتصافها بصفة الخلود دونها.

قوله: ولا يمنع كونها جزاء لهم أن يتفضل بها على غيرهم برضائهم يعني بوجه ظاهر قوله تعالى: ﴿كانت لهم جزاء﴾ أن لا يعطي الجنة غيرهم من عصاة المؤمنين تفضلاً من الله لأنها موعودة على صفة التقوى والعصاة لا تقوى لهم لكن الحجج متعاضدة على دخولهم الجنة ولو بعد استيفاء الحقوق في جهنم فأزال رحمه الله ذلك الوهم بقوله ولا يمنع إلى آخره فقوله برضائهم ليصحح أدراج هؤلاء العصاة في زمرة المتقين قوله مع جواز أن يراد بالمتقين من يتقي الكفر والتكذيب لأنهم في مقابلتهم فإن ذكر المتقين في مقابلة الكافرين قرينة على أن المراد بالمتقي من يتقي الكفر فعلى هذا يكون عصاة المؤمنين داخلين في زمرة المتقين لأنهم يتقون عن الكفر أيضاً.

(١) وهو خبر قال صاحب المفتاح وقد يكون حذف المسند بناء على أن ذكره يخرج إلى ما ليس بمراد كقولك أريد عندك أم عمرو فإنك لو قلت أريد عندك أم عمرو عندك لخرج أم عن الاتصال إلى الانقطاع وتسام الكلام في المطول في بحث حذف المسند والمراد هنا أي الأمرين كان وليس المراد الاضرب عن الأول والسؤال عن الثاني كما هو مقتضى أم المتقطعة وفس عليه مثل هذا.

يراد بالمتقين من يتقي الكفر والتكذيب لأنهم في مقابلتهم) ولا يمنع كونها الخ جواب عن استدلال المعتزلة بهذه الآية على مذهبهم من وجوب الثواب لمن اتقى عن الشرك وسائر المعاصي الكبيرة ووجوب عقاب غيره من الكافرين وعصاة الموحدين لأن اللام للاختصاص وتقديم الخبر يفيد الحصر على من اتقى عن المعاصي فأجاب أولاً بأن كونه جزاء بمقتضى وعده وهذا لا ينافي كونه لغيرهم تفضلاً إذ الحصر على كونها لهم بطريق الجزاء دون مطلقاً ولو سلم ذلك فلا يضرنا إذ المراد من يتقى عن الشرك المخلد والقرينة كونهم في مقابلتهم فهو عام لجميع الموحدين ولو صاحب الكبيرة فالمستفاد من النظم منع كونها للمشركين وهو ملتزم بالاتفاق وكونها جزاء للعصاة باعتبار إيمانهم وهو عمل القلب قوله برضاهم أي ملاسماً برضاء الله تعالى عنهم بسبب إيمانهم وليس المعنى برضاء المتقين فإنه غير صحيح .

قوله تعالى : هُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَأَنَّ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴿١٦﴾

قوله : (ما يشاءونه من النعيم) أي ما موصولة أو موصوفة والعائد محذوف وعدم البيان للتعميم في النعيم .

قوله : (ولعله يقصرهم كل طائفة على ما يليق برتبته) جواب إشكال بأن عموم الموصول يقتضي أنه إذا شاء أحد رتبة من كان فوقه كالأصفياء والأولياء أعطيت لها وليس كذلك فأجاب بأنه ولعله يقصرهم كل طائفة من العمال على ما يليق برتبته لصرف الله تعالى عن تمنى رتبة فوق رتبته كما صرفه عن تمنى مجموع الجنة كما صرح به شراح الحديث في شرح قوله عليه السلام تمن فإن لك ما تمنيت الحديث مع أن في الجنة مقامات معنوية لا يتمنع واردوها فالعموم يجوز أن يصرف إليها فقوله ولعله الخ إشارة إلى ما ذكرنا لا إشارة إلى جواز إبقائه على عمومه .

قوله : (إذ الظاهر أن الناقص لا يدرك الكامل بالتشهي) أي ناقص الأعمال غير مكمل الأحوال لا يدرك شيئاً مما يدركه الكامل فإن المشية تتبع العلم فالتفاوت في درجات أهل الجنة وأنواع تلذذهم بحسب علمهم ولقائل أن يقول لم لا يجوز مشية الناقص رتبة فوق رتبته بعد اطلاع منازل الأخيار ولذات الأبرار فالجواب الحاسم التمسك بصرف الله تعالى عن مشية ذلك أو تجيب الله تعالى ما أعطي له وإلقائه فيه بأن ما ناله ألد الأشياء حتى يخطر

فالعصاة لكونهم متقين عن الكفر من جملة من وعدهم الله جنة الخلد جزاء على أعمالهم هذا مبني على أن يعم العمل الاعتقاد والقول وقوله ولعله يقصرهم كل طائفة على ما يليق برتبته يقصر على لفظ المبني للمفعول والهم القصد أي لعل الشأن أن هم كل طائفة من أهل الجنة مقصور على ما يقتضيه مرتبته في التقرب من الله تعالى فإن القريب لا ينال من النعيم ما يناله الأقرب فيشاه كل من النعيم على ما يقتضيه حاله ومرتبته وهذا معنى قوله إذ الظاهر أن الناقص لا يدرك الكامل بالتشهي أي ناقص المرتبة لا يدرك من النعيم ما هو الكامل بالتلذذ من ملاذ الجنة .

ببأله بأنه لم يكرم أحد مثل إكرامي وفي بعض النسخ لا يدرك شأو الكامل الشأو بفتح الشين وسكون الهمزة بعدها واو المد والنهاية والمآل واحد قوله بالشهي تكلف شهوة ما لا يليق به متعلق بلا يدرك.

قوله: (وفيه تنبيه على أن كل المرادات لا تحصل إلا في الجنة) وفيه تنبيه الخ إذ تقديم الخبر يفيد القصر.

قوله: (حال من أحد ضمائرهم) حال مقدرة إن جعل حالاً من الضمير الأول وهو الموافق لسائر المواضع وقرب الثالث غير مرجح لما ذكرنا من أن خالدين في سائر المواضع حال مقدرة واتحاد النصوص في المعنى مرغوب فيه وإن لم يكن تقييد المشية بها مخلاً بالمقصود وأما الوسط فقد قيل إنه لأن خير الأمور أوسطها ولم يذكر كونه حالاً من المتقين لأنه بعيد على أن الضمير الأول والثالث عبارتان عنهم.

قوله: (الضمير في كان لما يشاؤون والوعد الموعود أي كان ذلك موعوداً حقيقة بأن يسأل ويطلب) الضمير في كان لما يشاؤون فحينئذ يكون كالتأكيد لما قبله ولذا اختير الفصل وصيغة الماضي مثل ﴿كانت لهم﴾ [الفرقان: ١٥] الآية وفي قوله على ربك مزيد لطف له عليه السلام حيث لم يجهأ كان على ربهم الوعد بمعنى الموعود قوله مسؤولاً مجاز أولى أشار إليه بقوله حقيقة بأن يسأل ويطلب تفسير له أراد به التنبيه على أن السؤال سؤال استعطاء لا سؤال استعلام.

قوله: (أو مسؤولاً سألته الناس في دهائهم ربنا وآتينا ما وعدتنا على رسلك) أو

قوله: وفيه تنبيه على أن كل المرادات لا تحصل إلا في الجنة معنى التخصيص مستفاده من تقديم الظرف على عاملة أعني من تقديم فيها على ما يشاؤون أي لهم في الجنة ما يشاؤون لا في الدنيا ومعنى الكلية في المرادات مستفاد من لفظ المبهم وهو ما الموصولة والعائد من الصلة محذوف أي ما يشاؤونه من نعيم الجنة ومستلذاتها.

قوله: خالدين حال من أحد ضمائرهم أي من أحد ضمائر المتقين وهي الضمير المجزور في لهم في قوله كانت لهم وفي قوله ﴿لهم فيها ما يشاؤون﴾ والضمير المرفوع في يشاؤون فهذه ثلاثة ضمائر راجعة إلى المتقين فيكون خالدين حالاً مقدرة لأن مضمون الحال ليس بمفروق مع العامل فالمعنى كانت لهم أو حاصل لهم أو يشاؤونه مقدراً خلودهم في ذلك.

قوله: كان ذلك موعوداً حقيقة بأن يسأل يعني السؤال الذي تضمنه لفظ مسؤولاً إما غير واقع من السائلين لكن لكون الموعود جزء وأجرأ مستحقاً حقيقة بأن يسأل ويطلب منه نزل منزلة المسؤول المتعلق به سؤال سائل وأما واقع وصادر منهم فالسائل إما ناس أو ملك قوله وما في على معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده حمل على الوجوب الوعدي لعدم الخلف في وعده تعالى فقوله هذا رد على المعتزلة القائلين بوجوب إثابة المطيع على الله تعالى وجوباً استحقاقياً وفسره صاحب الكشاف على أصلهم حيث قال في تفسير ﴿كان على ربك وعداً مسؤولاً﴾ أي كان ذلك وعداً واجباً على ربك إنجازاً.

مسؤولاً سأل الخ فيكون مسؤولاً على حقيقته أخره مع كونه حقيقه إذ السوق يقتضي كونه مسؤولاً في الآخرة فإن مقتضى على المفيد للوجوب يناسب ذلك .

قوله: (أو الملائكة لقولهم ﴿ربنا وأدخلهم جنت عدن﴾ [غافر: ٨]) أو الملائكة عطف على الناس فهو باق على ظاهره أي مسؤولاً سأل الملائكة عن ربهم للمؤمنين بقولهم: ﴿ربنا وأدخلهم﴾ [غافر: ٨] الآية والمسؤول هنا ما يشاؤون في الجنة لا الجنة نفسها لكن لما كانت الجنة مشتملة على ما تشتهي الأنفس فسؤالهم الجنة سؤال ما يشاؤون ولأجل هذا التحمل أخر هذا الاحتمال .

قوله: (وما في على^(١) من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده) أي على الوجوب عليه تعالى والوجوب المستفاد من على بمقتضى وعده والوجوب بمقتضاه مؤيد للاختيار لا مناف له ومراده بالوجوب منزلة الوجوب بقرينة أن أهل السنة لا يقولون بالوجوب عليه تعالى ولا الوجوب عنه وامتناع التخلف ليس عين الوجوب قال المحقق الدواني في شرح العقائد العنصرية على أنه بعد التسليم إنما يدل على استحالة وقوع التخلف لا على الوجوب عليه إذ فرق بين استحالة الوقوع والوجوب عليه كما أن إيجاد المحال محال في حقه تعالى ومع ذلك لا يقال إنه حرام عليه ومن حمل قول المص لا امتناع الخلف في وعده على الوجوب عليه تعالى ثم شنع بأنه وهم فقد ترك الإنصاف وتمسك بالاعتساف .

قوله: (ولا يلزم منه الإلجاء إلى الإنجاز) لما عرفت من أن امتناع التخلف لا يستلزم الوجوب بل يستلزم منزلة الوجوب فإنه لو وجب عليه لوجب عنه قال الفاضل السعدي والأول يستلزم الثاني فلذا اهتم به ومراده للزوم العربي دون العقلي إذ الوجوب عليه بمقتضى الشرع يستلزم سلب الاختيار في الشاهد قال الله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ [الأحزاب: ٣٦]^(٢) قال

قوله: ولا يلزم منه الإلجاء إلى الإنجاز فإن تعلق الإرادة بالموعود مقدم على الوعد الموجب للإنجاز أي ولا يلزم من الوجوب الوعدي الكائن لامتناع الخلف في وعده تعالى الإلجاء إلى إنجاز الوعد المقتضي أن لا يكون قادراً على تركه لأن الإنجاز مستند إلى الوعد والوعد مستند إلى إرادته تعالى فإنجازاه مستند إلى إرادته تعالى الناشئة من القدرة عليه فالإنجاز صادر منه تعالى بإرادته التابعة للقدرة تكون بالاختيار لا محالة لا بالفسر والإلجاء قال الإمام قالوا الواجب هو الذي لو لم يفعل إلا استحق تاركه الذم أو أنه الذي يكون عدمه ممتنعاً فعلى التقديرين يلزم أن يكون فاعله ملجأ إلى الفعل والملجأ إلى الفعل لا يكون قادراً ولا يكون مستحقاً للشاء والمدح فمعنى قوله وعداً مسؤولاً من حقه أن يكون مسؤولاً لأنه حق واجب يحكم الاستحقاق على قول المعتزلة أو يحكم الوعد على قول أهل السنة فليس وجوبه وجوباً شرعياً ولا عقلياً عندنا وعند المعتزلة .

(١) قوله في على مبنياً خبره لامتناع الخلف دلالة على على الوجوب ليست بالوضع بل بالقرينة .

(٢) ثم قال بل الوجوب والحرمة ونحوهما فرع القدرة على الواجب والحرام وقال عبد الرحمن الأمدي .

المص أن يختاروا من أمرهم شيئاً بل يجب عليهم أن يجعلوا اختيارهم تبعاً لاختيار الله تعالى فثبت ما قلنا من أن الوجوب عليه يستلزم سلب الاختيار بموجب الشرع إذ جعل اختيار العبد تبعاً لاختيار الله تعالى سلب للاختيار وكذا الحال لو فرض ثبوت الوجوب في الغائب.

قوله: (فإن تعلق الإرادة بالموعود مقدم على الوعد الموجب للإنجاز) أي إذا أراد خيراً ووعده به بعد ذلك وعداً لا يخلقه فالوعد مؤخر عن تعلق الإرادة والوعد وإن كان ملجئاً سالباً للاختيار لكن تعلق الإرادة وهي الاختيار قبل الوعد فالاختيار متحقق قبل الوعد إن كان حادثاً فظاهر وإن كان قديماً بأن كان بالكلام النفسي فالتقدم والتأخر بحسب الذات وهو لا يستلزم الحدوث وهذا البيان لا يلائم قول أهل السنة الإرادة مقارنة للفعل وهو الموعود به هنا وأيضاً هذا بناء على أن تعلق الإرادة قديم كنفس الإرادة وذلك مذهب بعض المتكلمين والمشهور أن صفة الإرادة قديمة وتعلقها حادث كما هو مقتضى قولهم الإرادة مع الفعل وأيضاً الإشكال بفعل الموعود به حيث خطر بالبال بأن فعله تعالى لا يكون اختيارياً متعلقاً للحمد والثناء فإنه يكون على الجميل الاختياري فلو امتنع الخلف ووجب فعل الموعود لزم المحذور المذكور وليس الإشكال بأنه لا يوجد الإرادة في صورة الوعد حتى يجاب بأن الإرادة وتعلقها بالموعود مقدم على الوعد والقول بأن تعلق الإرادة بالموعود قبل الوعد يكفي أن يكون الفعل مختاراً جليلاً ضعيف لأنه في وقت صدور الفعل لم يبق الاختيار والاعتبار في الاختيار وعدمه وقت صدور الفعل وفي ذلك الوقت انتفى الاختيار فالأولى في الجواب أن يقال إن المراد بالامتناع في امتناع الخلف الامتناع بالغير^(١) فلا يناقض الإمكان بالنظر إلى ذاته فلا يناقض الاختيار فلا وجوب عليه حقيقة ولا وجوب عنه أيضاً كما مر تحقيقه غايته أنه بمنزلة الوجوب عليه والوجوب عنه فلا محذور فيه.

قوله تعالى: وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْشُرُهُمْ مِنْ ثَوْنٍ اَللّٰهُ فَيَقُولُ اَنْتُمْ اَصْبَلْتُمْ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ اَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ

قوله: (ويوم نحشرهم للجزاء وقرىء بكسر الشين وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص

قوله: يوم كل معبود سواء أي يوم عقلاء أو غيرهم فإذا كان عاماً للعقلاء وغيرهم كان مقتضى الظاهر أن يقال من بدل كلمة ما تغليبا للعقلاء على غيرهم ولما عدل عن مقتضى الظاهر لزمه أن يبين وجهه فقال رحمه الله واستعمال ما لأن وضعه أعم ولذلك يطلق لكل شيع يرى ولا يعرف أي هو موضوع لأن يستعمل في العقلاء وغيرهم بدليل قولك إذا رأيت شحاً من بعيد ما هو فإذا قيل لك هو إنسان تقول إذ ذاك من هو.

= لاستحالة هي الامتناع وقد قرر في الطبقات أن ما امتنع عدمه وجوب وجوده فامتناع الخلف مستلزم لوجوب العقاب انتهى وأنت خير بأن كون امتناع الخلف مستلزماً للوجوب معناه أنه مستلزم للوجوب بالغير لا الوجوب بالذات فالإمكان في نفسه متحقق فلا وجوب عليه ولا عنه.

(١) لأن امتناعه وقوع الكذب على الله تعالى على تقدير عدم وقوع ما أخبر به.

بالياء) ويوم نحشرهم متعلق باذكر معطوف على قل كذا قيل ويلزم منه أن المذكور إلى هنا مقول القول وأما هذا القول فلا يكون من مقول القول لمكان نحشرهم وجعله من قبيل قوله تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين﴾ [الزمر: ٥٣] الآية مع جعله من المقول تكلف لكن قوله تعالى: ﴿كان على ربك وعداً مسؤولاً﴾ [الفرقان: ١٦] يأبى عن كونه من مقول القول لكن الأولى أن هذه الجملة ابتدائية غير معطوفة.

قوله: (يعم كل معبود سواء واستعمال ما إما لأن وضعه أهم) رده لأن كون وضعه أهم مذهب البعض ولذا أشار إلى المذهبين^(١) في المواضع.

قوله: (ولذلك يطلق لكل شبح يرى ولا يعرف) لكل شبح أي صورة يرى من بعيد ولا يعرف أنه هل هو من العقلاء أو من غيرهم قوله ولذلك يطلق دليل أني لعموم وضعه للعاقل وغيره.

قوله: (أو لأنه أريد به الوصف كأنه قيل ومعبودهم) والوصف ليس من العقلاء وإن كان وصفاً للعقلاء قوله كأنه قيل ومعبودهم وهو وإن دل على الذات والصفة لكن المقصود الصفة قال في سورة الشمس وإنما أوثرت ما على من لإرادة معنى الوصفية فعلم أن المقصود في المشتقات الصفات فحينئذ ذكر ما أوقع من ذكر من كأنه قيل ومعبودهم الذين يرجو عبادهم بعبادتهم نفعاً وشفاعة فلا إشكال بأنه دل أيضاً على الذات.

قوله: (أو لتغليب الأصنام تحقيراً أو اعتباراً لغلبة عبادها) أي تحقير المغلب عليهم

قوله: أو لأنه أريد به الوصف كأنه قيل ومعبودهم هو عطف على قوله أو لأن وضعه أهم ألا يرى أنك إذا أردت السؤال عن صفة زيد تقول ما زيد تريد به أطويل أم قصير أفقيه أم طيب ولا تقول من زيد لأنه يطلب به الذات.

قوله: أو لتغليب الأصنام تحقيراً أو اعتباراً لغلبة عبادها هو أيضاً عطف على قوله لأن وضعه أهم وهذه الوجوه الثلاثة على تقدير أن يكون المراد من ما في ﴿وما يعبدون من دون الله﴾ معنى عاماً شاملاً للعقلاء وغيرهم لكن الوجه الأول مبني على الوضع والوجه الثاني على استعمال العرب والوجه الثالث على التغليب لهم أو لتغليب غير العقلاء من معبودهم وهم الأصنام على العقلاء وتغليبها عليهم إما لتحقير شأنها بالتعبير عنها بلفظ يعبر به عن الجمادات وإما لغلبة عباداً لأصنام والحاصل أن الأصل في باب التغليب أن يغلب الأشرف على غير الأشرف إلا أن يكون المغلب خفياً على اللسان كالقمرين والعمرين فكان الأصل هنا أن يغلب أولو العقل على غيرهم ويقال من يدل ما ولكن عكس تحقيراً لها وتزيلاً عن درجة الدخول تحت لفظ يعبر به عن الأشراف أو اعتبار لغلبة عبدة الأصنام وكثرتهم فغلب ما هو كثير عبده على من قل عابدهو إقامة للأكثر مقام الكل.

(١) ولا يقال هذا مخالف لما أسلفه في قوله تعالى: ﴿إنكم وما تعبدون﴾ الآية لأنه موافق لما أسلفه في قوله تعالى: ﴿ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض﴾ [النحل: ٤٩] من سورة النحل على أنه أشار إلى عدم وضعه للعموم هنا أيضاً فأبى المخالفة.

وهم الأنبياء والملائكة فحينئذ المراد بالتحقير بعدهم عن استحقاق العبادة وتنزيلهم منزلة ما لا علم له ولا قدرة بالنسبة إلى ذاته وعيارة التحقير من جانب الله تعالى لا من طرف العبد حتى يقال وهو لا يدفع ما في عبارة التحقير أو المراد تحقير الأصنام حيث خصوا بالذكر في بيان حشر المعبودين وعتابهم كما أريد تعظيم المغلب في قوله تعالى: ﴿وَرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] ولا إشعار في كلام المص بتحقير المغلب عليهم فالواجب حمله على تحقير المغلب لما قلنا وكونه تبيكاً للعبدة لا يتنافيه إذ ظاهره عتاب المعبودين قوله أو لغلبة عبادها والمشهور في الغلبة غلبة المغلب وكثرته وأما التغليب بكثرة العباد وغيرهم فليس بمتعارف.

قوله: (أو يخص الملائكة وعزيراً والمسيح بقرينة السؤال والجواب أو الأصنام ينطقها الله تعالى) أو يخص الملائكة الخ عطف على قوله ويعم فما أطلقت على العقلاء خاصة إما لوضعه أهم أو لإرادة الوصف كقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الشمس: ٥] لو أطلقت مجازاً وليبانه أولاً سكنت هنا قدم الملائكة لتقدم وجودهم ولهذا قدم عزير على المسيح عيسى ابن مريم مع أنه صاحب شرع جديد وكتاب رشيد ولما كان التخصيص خلاف الظاهر أيده بقوله بقرينة السؤال والجواب السؤال قوله ﴿وَأَنْتُمْ أَضِلُّنَهُمْ﴾ والجواب قولهم سبحانه إلى آخره فإن السؤال والجواب الحقيقيين مختص بالعقل ولما كان القرينة ضعيفة جوز الاحتمالات الأخر وعن هذا قال أو الأصنام الخ أخره لاحتياجه إلى التمحل وكون السؤال والجواب قرينة بناء على الظاهر وكون المراد الأصنام بناء على أن ما موضوع لغير العقلاء فتكون السؤال والجواب غير آب عنه بناء على أن الله تعالى جعلها عقلاء قادرين على فهم السؤال والجواب بالمقال أو المراد التكلم بلسان الحال وإن كان السؤال بالمقال وبالجملة لا يد في كل احتمال من التمحل إما في لفظة ما أو في السؤال والجواب قدم الأول لأن ما ظاهر في العموم أو الحشر عام ثم قدم الثاني لأنه أوفق بالسؤال والجواب وإن ما يمكن على الحقيقة كما عرفت لكن يلزم على الأول الجمع بين الحقيقة والمجاز أو عموم المجاز.

قوله: (أو تتكلم بلسان الحال كما قيل في كلام الأيدي والأرجل)^(١) أي في نطق

قوله: أو يخص الملائكة عطف على قوله يعم كل معبود قال مجاهد ما يعبدون من دون الله من الملائكة والجن والإنس عيسى وعزير قال عكرمة والضحاك والكليبي يعني الأصنام قوله أو الأصنام بالنصب عطف على الملائكة أي أو يخص الأصنام غير متناول لهؤلاء.

قوله: أو تتكلم بلسان الحال كما قيل في كلام الأيدي والأرجل أي كما قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتُمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥] يظهر آثار المعاصي عليها ودلائلها على أفعالها.

(١) وهو خلق الله تعالى العقل والفهم والنطق حقيقة أو المراد التكلم بلسان الحال وهو انطق من لسان المقال.

الأيدي والأرجل وشهادتهما وكذا شهادة سمعهم وأبصارهم وجلودهم وقد سبق رؤية جهنم هذا تنظير لما قبله ويجري الاحتمالان معاً فيها أيضاً.

قوله: (فيقول أي للمعبودين) فيقول أي الله تعالى بقرينة قوله عبادي الفاء للتعقيب وقوله أي للمعبودين فيه تغليب على الأول أو تنزيل لغير العاقل منزلة العاقل.

قوله: (وهو على تلوين الخطاب وقرأ ابن عامر بالنون) على تلوين الخطاب أي الالتفات كما في السعدي وفيه خفاء والمراد الالتفات من التكلم إلى الغيبة ما اختاره المص من القراءة وأما على القراءة بالياء فلا التفات قيل وجه الالتفات هو أن الحشر أمر عظيم مناسب لنون العظمة بخلاف القول ولا يلائم هذا قراءة ابن عامر بالنون فالوجه أن هذا القول عتاب فيناسب الغيبة وإضافة عبادي للتوبيخ على عبادة غيره تعالى بأنهم مخلوقون لي وهم عابدون غيري لا للتعظيم^(١) بمعونة القرينة والمراد بالمرشد الرسول عليه السلام^(٢) وأماؤه.

قوله: (الإخلالهم بالنظر الصحيح وإعراضهم عن المرشد النصيح) لإخلالهم الخ علة للأخيراً إذ المراد به الضلال بنفسه وأما علة الأول فلم يذكرها لأن المراد به تبيكت العابدين كسؤال المؤودة ﴿بأي ذنب قتلت﴾ (التكوير: ٩) فلم يقصد نسبة الإضلال إليهم حقيقة حتى يرام العلة لها.

قوله: (وهو استفهام تفریع وتبيكت للعبدة) الظاهر أنه حمل أم على أم المتصلة ولا يبعد أن يحمل على أم المنقطعة أي بل أهم ضلوا السبيل بأنفسهم لكن مراده باستفهام تفریع وتبيكت الاستفهام الأول إذ التبيكت إنما يحصل به أو التفریع ناظر إلى قوله: ﴿أم هم ضلوا السبيل﴾ [الفرقان: ١٧] والتبيكت ناظر إلى قوله: ﴿أنتم أضللتم﴾ [الفرقان: ١٧] ولم يكتف هنا بقوله ﴿أنتم أضللتم عبادي﴾ كما اكتفى في قصة عيسى عليه السلام بقوله: ﴿أننت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾ [المائدة: ١١٦] حيث لم يجرى أم هم اتخذوا^(٣) الخ لمزيد التفریع والتوبيخ مع التبيكت قال المص هناك يريد به توبيخ الكفرة وتبيكتهم فعلم منه أن قوله هنا وهو استفهام تفریع وتبيكت للعبدة معنى قوله: ﴿أنتم أضللتم عبادي هؤلاء﴾ [الفرقان: ١٧] ولم يشر إلى معنى قوله: ﴿أم هم ضلوا السبيل﴾ [الفرقان: ١٧] لظهوره وهو إنكار ضلالهم إنكاراً واقعياً والتفریع عليه فهو كالتأكيد لما قبله من ضلالهم بإضلال غيرهم وإن لم يكن الإضلال واقعاً تحقيقاً بل تنزيلاً لكن الضلال متحقق^(٤).

(١) لأنهم مشركون فلا يطلق عليهم عبادي للتعظيم ويطلق للتوبيخ وتحروه.

(٢) فالتخصيص بالرسول ليس بمناسب إذ المراد بما يعبدون وبالعابدين عام إلى يوم القيام.

(٣) أي اتخذوك وأمك إلهين من دون الله.

(٤) إذ كلمة عن لا يقتضي عدم فقد رأساً ألا يرى أن قوله تعالى: ﴿وضلوا عن سواء السبيل﴾ في حق من فقدوه رأساً.

قوله: (وأصله ﴿أضللتم عبادي﴾ [الفرقان: ١٧] أم ضلوا فغير النظم ليلى حرف الاستفهام) وأصله أي أصل النظم بمقتضى الظاهر إذ الظاهر السؤال عن الإضلال والضلال على سبيل الإنكار فأصله بناء على الظاهر أضللتم أم ضلوا فغير النظم الخ.

قوله: (المقصود بالسؤال وهو المتولي للفعل دونه لأنه محقق لا شبهة فيه) المقصود بالسؤال أي السؤال ظاهراً قوله وهو المتولي أي الفاعل للفعل دونه دون الفعل لأنه محقق لا شبهة فيه أي الفعل وهو الضلال وأما الإضلال فلا يكون واقعاً بل الواقع الضلال لكن الإضلال واقع تنزيلاً فلا شبهة في وقوعه تنزيلاً كما لا شبهة في وقوع الضلال تحقيقاً لأن المتولي للفعل في الأول الذي سئل عنه منزّهون عن الإضلال فقصر الفعل على الضلال من القصور لأن مراده توجيه الكلام في الموضعين ففي الأول الفعل هو الإضلال وبهذا البيان اندفع الإشكال بأن كلامه منتظم للثاني فقط واعتراض بعض الناظرين.

قوله: (وإلا لما توجه العتاب) فتوجه العتاب دليل على أن الفعل مسلم والمسؤول عنه هو الفاعل وقد تقرر في علم المعاني أن ما يلي الهزمة هو المسؤول عنه وأنت خبير بأن هذا إذا كان الفعل مسلماً غير منكر مثل قوله تعالى: ﴿أهم يقسمون رحمة ربك﴾ [الزخرف: ٣٢] والقسم واقعة في نفس الأمر لكن فاعلها هو الله تعالى دونهم واعتبار هذا هنا ليس بصحيح إذ الضلال منكر إنكاراً واقعياً وإن كان موجوداً في نفس الأمر وأما القسم مثلاً فهي واقعة في نفس الأمر وغير منكر ولا يدري وجه ما قاله الشيخان وتبعهما

قوله: وأصله أضللتم أم ضلوا الخ يعني أن أصل الكلام أن يقال أضللتم أم ضلوا لأن الاستفهام بالفعل أولى لكن غير الأصل فقدم المسند إليه وهو أنتم وهم وأدخل حرف الاستفهام عليه دلالة على أن أصل الفعل وهو الاضلال والضلال معلوم الحصول موجود محقق لا حاجة إلى أن يسأل عن وقوعه وحصوله إذ لولا وجوده لما توجه هذا العتاب لفاعله وإنما المراد بالاستفهام السؤال عن فاعل ذلك الفعل الموجود من هو ولما كان المقصود بالاستفهام فاعل الفعل لا نفس الفعل أولى المقصود الهزمة حتى يعلم أنه هو المسؤول عنه لا الفعل وليس المراد حقيقة الاستفهام والسؤال لتقدس ذاته تعالى عن الجهل بالأشياء واستعلامها لإحاطة علمه بالكل وإنما المراد به التقرع والعتاب للضالين وفي ضمنه إنكار الفعل لأن الفاعل إنما يستحق العتاب لكون فعله منكراً مستوجباً للمعاتبة فإن قيل التقرع والعتاب يكونان بالخطاب وتوجيه الكلام إلى من عوب به شفاهاً والمعاتبون هنا غيب حيث قيل أم هم ضلوا السبيل قلنا يجوز أن يكون المعاتبون حضراً مستمعين عند توجيه هذا الخطاب إلى معبوديهم بقوله: ﴿أنتم أضللتم عبادي هؤلاء﴾ [الفرقان: ١٧] فإنه إذا خاطب بعض من الجماعة الحاضرين بكلام يكون الباقي من ذلك في حكم الغائب وإن كانوا حاضرين عند المخاطب بذلك الكلام ويجوز أن يكون نكتة الاستفهام والسؤال استطلاع معبوديهم ليخبروا على وجوههم بأنهم ضلوا من عند أنفسهم بترك النظر الصحيح والتدبر في الآيات التي جاءتهم على أيدي السفارة الرسل الكرام لا من اضلالنا إياهم فيسمعوا ذلك من السنة معبوديهم فلا يأتوا بعدل باطل بأن يقولوا إنا إذا ضللنا وأنفسنا لم تكن نختر الضلال على الهدى ولكن هؤلاء اضلونا فأشار رحمه الله إلى هذا الوجه بقوله وتبكيك للعبد.

غيرهم فلو قيل أضللتهم عبادي أم ضلوا للإنكار لكان له وجه كقوله تعالى: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْتُونَ﴾ [الصافات: ٩٥] فالعبادة منهم واقعة في الخارج لكنه منكورة للتوبيخ فكذا ما نحن فيه بلا فرق وكذا قوله ﴿اتَّخَذَ أَصْنَامًا آلِهَةً﴾ [الأنعام: ٧٤] ونظائره كثيرة فيرام نكتة غير ما ذكر ولعله مثل قوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تَكْرَهُ النَّاسَ﴾ [يونس: ٩٩] جعل صاحب الكشف من قبيل التخصيص وجعل صاحب المفتاح من تقوية الحكم للإنكار وهذا هو المناسب هنا فالمنكر هو الفعل أي الضلال تحقيقاً والإضلال تنزيلاً وتقديم المسند إليه على الخبر الفعلية لتقوية الحكم الإنكاري أو للتخصيص بالعناية فإن قيل إن مراد الشيعيين أن المسؤول عنه هو الفاعل دون الفعل فإنه لا شبهة فيه من غير نظر إلى كون ذلك الفعل الواقع منكراً قلنا إنه لا كلام في أن النظر إنكار ذلك الفعل للتفريع كما صرح به .

قوله: (وحذف صلة ضلوا للمبالغة) أي لفظة عن لأن ضل مطاوع أضل فالمعنى ﴿ضلوا عن السبيل﴾ كما أن المعنى في الأول ءأنتم أوقعتموهم في الضلال عن طريق الحق فحذف عن للمبالغة فإن فيه الدلالة على أنهم فقدوه رأساً من أول الأمر لا أنهم خرجوا عنه كما يشعر به كلمة عن وهذا علة مصححة لا موجبة وحذف صلة أضل مع مدخولها للمبالغة أيضاً كأنه قيل ءأنتم أضللتهم عبادي عن كل شيء حتى عن طريق الحق .

قوله تعالى: قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ يَلْفِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاكَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَنَبَاهَكَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا آلَؤُكَ وَكَانُوا قَوْمًا بُرًا ﴿١٨﴾

قوله: (قالوا) صيغة الماضي بعد قوله فيقول لتحقيق وقوعه كالواقع .

قوله: (تعجباً مما قيل لهم لأنهم إما ملائكة أو أنبياء معصومون^(١)) أو جمادات لا تقدر على شيء) تعجباً مما قيل لهم هذا لازم معناه إذ التنزيه عن الأنداد يستلزم التعجب عن القول بالأنداد له لأنهم معصومون فيبعد عنهم كل البعد الإضلال الذي هو فعل الغاوين فإن الإضلال بطريق الكسب ضلال^(٢) بخلاف الإضلال بمعنى خلق الإضلال قوله أو

قوله: وحذف صلة ضل للمبالغة أي حذف صلة ضل وهي كلمة عن وأصل الاستعمال أن يقال ضلوا عن السبيل لقصد المبالغة في تعلق الضلال بالسبيل وبيان شدة اتصاله به حيث جعل السبيلة مضمولاً به لا مضمولاً عنه .

قوله: تعجباً مما قيل لهم أي قال الملائكة والأنبياء الذين عبادوا من دون الله سبحانه ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء تعجباً من نسبة جريمة الإضلال إليهم وهم معصومون عن اقتراف الآثام أو قالت الأصنام ذلك القول وهو سبحانه الخ تعجباً من أن ينسب الإضلال إليها لأنها جمادات لا تقدر على الإضلال .

(١) كلمة أو لمنع الخلط فيتنظم جميع الاحتمالات .

(٢) وفيه دفع إشكال بأنه تعالى أسند الإضلال إلى ذاته العلى في قوله: ﴿يضل من يشاء﴾ .

جمادات لا يقدر على شيء فضلاً عن إضلال الغير ولو أريد بقول الأصنام التكلم بلسان الحال لكان قالوا القول بالنطق ولسان الحال فيكون جمعاً بين الحقيقة والمجاز أو بطريق عموم المجاز قوله لا تقدر بالمشئة الفوقية مسند إلى ضمير الجمادات والقول أو بالمشئة النحية مسند إلى ضمير الجماد في ضمن الجمادات مثل المرفوعات هو ما اشتمل ليس بجيد إذ الإعجام تترك كثيراً فيجب أن تعتبر على وفق المرجع وإلا فيمكن هذا التريد في أكثر المواضع والتزامه قبيح وأما قوله المرفوعات هو ما اشتمل فالتأويل متعين فيه فلا يقاس مثل تقدر عليه .

قوله : (أو إشعاراً بأنهم الموسومون بشيئهم وتوحيده فكيف يليق بهم إضلال عبده) أو إشعاراً بأنهم هذا بناء على تخصيص ما بالعقلاء وجه الإشعار هو أنه لما جعلوا سبحانه مفتاح الجواب فهم منه أن عادتهم التسبيح وأما إشعار التحديد فللدلالة التسبيح عليه كدلالة الحر على البرد في قوله تعالى : ﴿سرابيل تفيكم الحر﴾ [النحل : ٨١] ولم يعكس إذا التخليقة مقدمة على التحلية فكيف يليق بهم إضلال عبده أي بالإشراك والحق على عبادة غيره تعالى الذي هو خلاف ما وسما به .

قوله : (أو تنزيهاً لله عن الأنداد) هذا معناه الحقيقي لكن آخره إذ في الأولين مبالغة وبيان أنهم مبرؤون عن مثل هذا الفعل القبيح وأما على هذا المعنى فيفهم ذلك التزاماً ففيه أيضاً الجمع بين الحقيقة والمجاز أو عموم المجاز إذا أريد التعميم إلى الأصنام .

قوله : (﴿ما كان ينبغي لنا﴾ يصح لنا) النفي لاستمرار النفي لا لنفي الاستمرار قوله يصح لنا إشارة إلى أن ينبغي ليس على ظاهره إذ نفي اللياقة لا يتنافى الصحة فنه على أن المراد عدم الصحة بمعونة المقام فذكر العام وأريد الخاص .

قوله : (للعصمة أو لعدم القدرة) أي لعصمتنا أن تتولى أحداً دونك متعلق بينيني المنفي أو لعدم القدرة ناظر إلى الجمادات كما أن الأول ناظر إلى الملائكة والأنبياء ومن خص بالعقلاء اكفى بالأول وهو الظاهر ولذا لم يذكر في الكشاف عدم القدرة .

قوله : (فكيف يصح لنا أن ندعو غيرنا أن يتولى أحداً دونك وقرىء أن نتخذ على البناء للمفعول) فكيف يصح لنا الخ أشار به إلى وجه كون ما ذكر جواباً فإنه ليس بياناً لعدم الإضلال فأشار إلى أن عدم إضلالهم متفهم من المذكور بطريق الأولوية لأن العلة المذكورة وهي العصمة وعدم القدرة جارية فيه أيضاً على وجه الأولوية فلا إشكال بأن من تجنب عن أمر قد يدعو غيره إليه فيوقعه فيه وإنما يختارون هذا المسلك لأنه أبلغ من جهة

قوله : للعصمة تعليل لعدم صحة اتحاد الملائكة والمسيح وعزير أولياء وقوله وعدم القدرة تعليل لعدم اتخاذ الأصنام أولياء وعطف عدم القدرة على العصمة بالواو الجامعة دون أو اختيار منه أن المراد بما تعبدون معنى عام شامل للعقلاء والأصنام إذ لو كان المراد منه المعنى الخاص كالعقلاء فقط أو الأصنام فقط كان المناسب أن يقول في التعليل للعصمة أو عدم القدرة .

تكثير المعنى وإيجاز المبنى حيث نفوا عن أنفسهم الضلال والإضلال بلا إطناب في المقال قوله أن يتولى أحداً دونك فيه مبالغة أيضاً حيث لم يقل أن ندعو غيرنا إلى عبادتنا وأن يتولينا كما هو مقتضى الجواب بل عم الكلام مبالغة في بيان تبريهم^(١) عن الإضلال.

قوله: (من اتخذ الذي له مفعولان كقوله تعالى: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ [النساء: ١٢٥] ومفعوله الثاني من أولياءه) من اتخذ الذي له مفعولان وهو بمعنى صير ومفعوله الأول ضمير المتكلم القائم مقام الفاعل والفاعل عابدهم والإنكار المستفاد حيث إنكار الواقع إذ العبد اتخذهم بعض الأولياء لكن هذا الاتخاذ لا يصح أن يقع وعلى الأول إنكار الوقوع أي لم يقع هذا الاتخاذ منهم وأيضاً على هذه القراءة الجواب ليس على ظاهره لأنه كناية عن انتفاء الإضلال فإن إنكارهم اتخاذهم العبد أولياء مستلزم لعدم إضلالهم بإيهم.

قوله: (ومن للتبعض) لا زائدة فإنها لا تزداد في المفعول الثاني وهو مسلك الزواج

قوله: ومن للتبعض وعلى الأول مزيدة أي لفظة من في قوله من أولياءه للتبعض على قراءة نتخذ مبنياً للمفعول وإنما حملها على هذه القراءة على التبعض دون الزيادة لعدم صحة المعنى على كونها زائدة على ما قال الزجاج هذه القراءة خطأ لأنك تقول ما اتخذت من أحد ولياً ولا يجوز ما اتخذت أحداً لأن من إنما دخلت لأنها تنفي واحداً في معنى جميع تقول ما من أحد قائماً وما من رجل محباً لما يضره ولا يجوز ما من رجل من محب لما يضره ولا وجه عنده لهذا البيت ولو جاز هذا لحاز في قوله تعالى: ﴿فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾ [الحاقة: ٤٧] ما أحد عنه من حاجزين إلا أن يسقط من الثانية فيقال أن نتخذ من دونك أولياء فيصح الكلام ويصح المعنى وقال الزجاج أيضاً وأحاز الفراء هذه القراءة على ضعف وزعم أنه جعل من أولياء هو الاسم ويجعل الخير ما في يتخذ كأنه يجعله على القلب ونقل صاحب المطلع عن صاحب النظم أنه قال الذي يوجب سقوط هذه القراءة أن من لا يدخل إلا على مفعول لا مفعول دونه فإذا كان قبل المفعول مفعول سواء لم يحسن دخول من مثل قوله تعالى: ﴿ما كان الله أن يتخذ من ولد﴾ [مريم: ٣٥] فقوله من ولد مفعول لا مفعول سواء ولو قال ما كان ينبغي لنا أن نتخذ قد قامت التوهم المضمومة فيه مقام المفعول وشغل الانتخاب به لم يقتض من في المفعول الذي بعده وقال ابن جني قراءة نتخذ مبنياً للمفعول هي قراءة زيد بن ثابت وأبي الدرداء وأبي جعفر ومجاهد والحسن وغيرهم فعلى هذا من أولياء في موضع المفعول به أي ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك أولياء ودخلت من زائدة لمكان النفي كقولك اتخذت زيدا وكيلاً فإن نفيت قلت ما اتخذت زيدا من وكيل وهذا في المفعول به وأما على قراءة الجماعة فقوله من أولياء في موضع المفعول به كقولك ضربت رجلاً فإن نفيت قلت ما ضربت من رجل فعلم من هذا أن ابن جني أحاز أن يزداد من في المفعول الثاني وأبي الزجاج إلا أن يزداد في المفعول الأول وذهب صاحب النظم إلى أنه تزداد في مفعول واحد وبني القاضي رحمه الله كلامه على كلام الزجاج فجعل من تبعية لا مزيدة ويجوز أن يكون مزيدة بناء على تأويل ابن جني وكلام الكشاف مبني أيضاً على كلام الزجاج حيث قال صاحب الكشاف

(١) كأنهم قالوا نحن لا ندعو غيرنا مطلقاً سواء كان هؤلاء أو غيرهم إلى عبادتنا ولا ريب في مبالغته.

واختاره المص وجوزه ابن جني وجه تنكير أولياء حيثل لأن المعنى ما صح أن يتخذونا من دونك بعض أوليائهم لكن القائلين لما كانوا هم الملائكة والأنبياء تعين أن يكون الباقي الجن والأصنام لأن المعبودين محصورون في هؤلاء قيل قوله من أولياء من مقابلة المتعدد بالمتعدد كأنه قيل ما يصح لواحد منا أن يتخذ ولياً من أولياء فلا يرد أن نفي المتعدد فيه يجامع بثبوت الواحد انتهى وهذا في القراءة الأولى وأما في الثاني فمن التبعية يدفع هذا الاحتمال ثم قولهم لكن لما كان القائلون هم الملائكة الخ الحصر فيه ممنوع لأن الأصنام^(١) من جملة القائلين والجن لم يذكرهم هنا المص والزمخشري في زمرة المعبودين فكيف يقال تعين الباقي الجن والأصنام تصحيحاً لتنكير أولياء فالأحسن ما نقل عن السجاوندي أنه قال والمعنى ما ينبغي لنا أن نحسب من بعض من يصلح للولاية فضلاً عن الكل فإن الولي قد يكون معبوداً^(٢) ومالكاً ومخدوماً ويجوز على هذه القراءة أن يكون مما له مفعولان الأول هذا بزيادة من والثاني من دونك وعلى ما ذكره يكون حالاً فليحذر انتهى فحمل البعوضة على بعض الولاية لا على بعض^(٣) الأفراد من الأولياء وهذا وإن كان خلاف الظاهر لكن الإشكال المذكور على قولهم القائلون هم الملائكة الخ غير وارد عليه وبالجمله لا تخلو هذه القراءة وهي قراءة أبي جعفر المدني من الشواذ عن دغدغة قال الإمام قال الزجاج خطأ من قرأ بفتح الخاء وضم النون لأن من إنما تدخل في هذا الباب في الأسماء إذا كانت مفعولة ولا تدخل على مفعول الحال انتهى وأنت خير بأن الخدشة فيها غير ما ذكر^(٤).

قوله: (وعلى الأول مزيدة لتأكيد النفي) فالنفي متوجه إليه ومنسحب عليه لأن الاتخاذ معمول النفي وإذا انتفى الابتغاء انتفى متعلقه وهو اتخاذ ولي من دون الله وإدخال كان مع ينبغي المضارع للاستمرار وقد عرفت أن النفي ليس بمتوجه إلى الاستمرار بل الاستمرار ناظر إلى النفي واتخذ حيثل متعد إلى مفعول واحد وهو أولياء ومن دونك حال من أولياء أو متعلق بتتخذ أو مفعول ثانٍ إن جعل تتخذ متعدباً إلى مفعولين.

قوله: (ولكن متعتهم وآباءهم بأنواع النعم فاستغرقوا في الشهوات) ولكن متعتهم استدراك مما فهم من الكلام السابق أي إنا لم نضلهم وآباءهم ذكر الآباء لأن لهم مدخلاً

والقراءة الثانية من المتعدي إلى مفعولين فالأولى ما بنى له الفعل والثاني من أولياء ومن للتبعية أي تتخذ بعض أولياء.

(١) لأن الأصنام من جملة القائلين إما بالمقال أو بلسان الحال كما صرح به المص والزمخشري فكيف يصح الحصر.

(٢) لأن قوله فإن الولي قد يكون معبوداً الخ بناء على كون الولاية بمعنى العبادة وبمعنى الملك وبمعنى الخدمة إذ المراد من المشتق مأخذ الاشتقاق فلا تغفل.

(٣) ولو حمل على بعض الأفراد من الأولياء يكون باعتبار الولاية.

(٤) وما المانع من حملها على التبعية في الأول أيضاً بل فيه مبالغة.

في الغفلة فإنهم يرون تلك النعم منهم وتمتعهم وإن كان قيل أبناءهم لكن المحاورة معهم وعن هذا قدموا في الذكر وآباءهم إن كانوا ممن يعبد من دون الله فالمحاورة تكون معهم أيضاً فذكرهم ليبيان مزيد غفلتهم فلهم حيثيات كونهم أبناء وآباء حتى ينتهي إلى أب لم يعبد من دون الله.

قوله: (حتى غفلوا عن ذكرك) فاللام عوض عن المضاف إليه أو للعهد والمراد به الإيمان بالله تعالى والقرآن والشرائع والمراد بالنسيان الغفلة رأساً ولذا فسره بها لا أنهم ذكروه أولاً ثم نسوه ثانياً فهو مجاز عن الغفلة.

قوله: (أو التذكر لآلائك والتدبر في آياتك) أو التذكر لآلائك أي لنعمك ونسيان ذلك التذكر مؤد إلى نسيان النعم والإيمان به فهذا الاعتبار صار سبباً لضلالهم وكذا الكلام في التدبر في آياتك وكون الذكر بمعنى التذكر معنى مشهور له وإن كان مجازاً في الأصل فإن الذكر ما يكون باللفظ موافقاً لما في القلب والتذكر أمر قلبي وفي الأكثر يستعمل في الاستحضار بعد النسيان لكن له فسحة في البيان وحاصل المعنى إنا لم نضلهم ولم نحملهم على الضلال لكنهم ضلوا عن السبيل بسبب تمكينهم من الاستغراق بالنعم بأنواع المستلذات والاستيفاء بالشهوات وفيه رمز خفي إلى أمر جلي تحاشوا عن تصريحه محافظة للآداب في حضور الملك الوهاب.

قوله: (وهو نسبة الضلال إليهم من حيث إنه بكسبهم وإسناد له إلى ما فعل الله بهم فحملهم عليه وهو عين ما ذهبنا إليه فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة) وهو أي هذا القول

قوله: حتى غفلوا عن ذكرك أو التذكر لآلائك الوجه الأول على أن يكون متعلق الذكر هو الله تعالى والثاني على أن يكون متعلقه الآء تعالى ونعماءه.

قوله: وهو نسبة للضلال إليهم من حيث إنه بكسبهم وإسناد له إلى ما فعل الله بهم فحملهم عليه أي قوله تعالى: ﴿ولكن تمتعهم وآباءهم حتى نسوا الذكر﴾ [الفرقان: ١٨] نسبة للضلال إليهم لأن نسيان الذكر ضلال ونسيان النسيان إليهم هي نسبة الضلال وهذه النسبة لتكون الضلال بكسبهم وإسناده إلى فعل الله الذي هو تمتعهم بأنواع النعم لكونه سبباً حاملاً لهم عليه وجه إسناد الضلال إلى فعله تعالى من حيث إنه جعل النسيان غاية لتمتعهم بأنواع النعم.

قوله: وهو عين ما ذهبنا إليه أي وإسناد الضلال إلى فعله تعالى عين ما ذهب إليه أهل السنة من أن إسناد الإضلال في قوله تعالى: ﴿يفضل من يشاء﴾ إلى الله تعالى إسناد حقيقي لأن إعطاءهم سبب الضلال مع علمه تعالى بأنهم يضلون به إضلال فلا يقوم الآية حجة للمعتزلة علينا وقال المعتزلة إسناد الإضلال ﴿في يفضل من يشاء﴾ إسناد مجازي من باب الإسناد إلى المسبب حيث يمتنعهم الله ويحولهم في نعمه حتى كان ذلك سبباً مؤدياً إلى ضلالهم فصار كأنه أضلهم فتكون هذه الآية عندهم كأنها شرح وبيان لوجه إسناد الإضلال إليه تعالى في ﴿يفضل من يشاء﴾ على طريق المجاز وما ذكره القاضي رحمه الله هو توجيه للآية مطابقاً لما ذهب إليه أهل السنة رحمهم الله وخرج منه الجواب عن طعن صاحب الكشف في أهل السنة حيث قال في الكشف في تفسير هذه الآية وفيه كسر بين لقول من يزعم أن الله يفضل عباده على الحقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه

ممن عبده مبتدأ خبره نسبة الضلال إليهم أي إلى العابدين والمراد نسبة الضلال إليهم نسبة نسيان الذكر فإنه نسبة الضلال قوله من حيث إنه الخ تعليل له أي تلك النسبة ليست بأنهم خالقون الضلال بل من حيث إنه يكسبهم وصرف الاختيار الجزئي إليه قوله وإسناد له أي الضلال إلى ما فعل الله بهم وهو تمتيعهم وآباءهم بأنواع النعم فحملهم أي ما فعل الله تعالى حملهم عليه أي على الضلال وهو أي هذا المذكور وهو إسناد الفعل كالضلال مثلاً

«أنتم أضللتم عبادي أم هم ضلوا بأنفسهم فيثيرون من أضلالهم ويستعيدون به أن يكونوا مضلين ويقولون بل أنت تفعلت من غير سابقة على هؤلاء وآبائهم تفضل جواد كريم فجعلوا النعمة التي حقها أن تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر وكان ذلك سبب هلاكهم فإذا برأت الملائكة والرسول أنفسهم من نسبة الإضلال الذي هو عمل الشياطين إليهم واستعاذ وأمنه فهم لربهم الغني العدل أشد تيرة وتزبهاً منه ولقد نزوه حين أضافوا إليه التفضل بالنعمة والتمتع بها وأسندوا نسيان الذكر والتسبب به للبوار إلى الكفرة فشرحوا الإضلال المجازي الذي أسنده الله إلى ذاته في قوله: ﴿يضل من يشاء﴾ [النحل: ٩٣] ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب المعتد أن يقولوا بل أنت أضللتهم إلى هنا كلامه وقال صاحب القرائد أما الجواب عن قوله فيثيرون من إضلالهم ويستعيدون به أن يكونوا مضلين إنما يثيرون واستعاذوا به منه لأنهم يستحقون العذاب بإضلالهم ولم يكن منهم إضلال لهم فيجب عليهم أن يقولوا ذلك الكلام وهو قولهم: ﴿سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء﴾ [الفرقان: ١٨] ليندفع عنهم ما يستحقون به من العذاب وذلك أنهم مسؤولون عما يفعلون والله تعالى لا يسأل عما يفعل فيلحق بهم نقصان إن ثبت عليهم الإضلال ولا يمكن لحوقه به تعالى لأنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا يسأل عما يفعل وعن قوله ولقد نزوه حين أضافوا إلى آخره فهو أن قولهم ولكن متعتهم الخ لا ينافي نسبة الإضلال إليه على الحقيقة وأيضاً ما يؤدي إلى الضلال إذا كان منه تعالى وكان معلوماً له أنهم يضلون به كان فيه ما في الإضلال بالحقيقة فوجب على مذهبه أن لا يجوز عليه وعن قوله ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب التبعيد أن يقول بل أنت أضللتهم بأن هذا غير مستقيم لأنه تعالى لا يسألهم إلا عن أحد الأمرين إضلالهم بإيادهم أو ضلالهم بأنفسهم فكيف يكون بل أنت أضللتهم جواباً عتيداً له بل هو جواب من قال من أضلهم والله الهادي وقال الإمام قالت المعتزلة لو كان قوله ولكن متعتهم وآباءهم دل على ما ذكرتموه للزم أن يصير الله تعالى محجوباً ومعلوم أنه ليس الغرض ذلك بل الغرض أن يصير الكافر محجوباً مضحماً معلوماً وأجاب أصحابنا بأن القدرة على الضلال إن لم تصلح للاعتداء فالإضلال من الله وإن صلحت لم يترجح مصدريتها للضلال على مصدريتها للاعتداء إلا لمرجح من الله تعالى وعند ذلك يعود السؤال وهو أن يكون الإضلال من الله تعالى باعتبار أن مرجح مصدرية القدرة للضلال منه تعالى ثم قال الإمام الاستفهام في «أنتم أضللتم عبادي» وارد على سبيل التقرع للمعشركين لأنه تعالى كان عالماً في الأزل بحال المسؤول عنه كما قيل لميسى عليه السلام «أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله» وفادته أن المعبودين لما برؤوا أنفسهم وأحبالوا ذلك الضلال إليهم صار تبرؤهم عنهم أشد في حسرتهم وحيرتهم فوافق جوابهم هذا «سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء» [الفرقان: ١٨] جواب عيسى عليه السلام سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق وقال الطيبي رحمه الله لما كان السؤال على التعريض التوبيخي والمقصود تبييهم والزام الحجة عليهم

إلى العباد بسبب كسيهم وإسناده إلى الله تعالى لكونه خالقاً له عين مذهبتنا أي عين مذهب أهل السنة فكيف يقول الزمخشري إن هذه الآية تدل على أن أفعال العباد مخلوقة لهم وأنه لا يجوز إسناد القبايح إليه تعالى مع إسناد التمتيع إليه تعالى الحامل على نسيان الذكر فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً وقد أوضح المص ردهم في تفسير قوله تعالى: ﴿حَنِمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة: ٧] الآية مع أن علماء الكلام بينوا فساد مسلكها تمام المرام ولم يلتفت إلى رد قول الزمخشري تيراً الملائكة والرسل أنفسهم من نسبة الإضلال الذي هو عمل الشيطان إليهم واستعاذوا منه والغنى العدل أشد تيرة منهم لظهور الجواب وهو إن كسب القبيح قبيح دون خلقه كما حقق في محله .

قوله: (في قضائكم) توجيه لصيغة المضى أو في علمك لكن القضاء مناسب هنا وهنا

وتفضيهم على رؤوس الأشهاد أجابوا أولاً بما يدل على تبرئهم من نسبة الإضلال إلى أنفسهم بأقصى ما يمكن من المبالغة خذلاناً لهم وكان من حق الظاهر أنا ما أضللناهم فأطنبوا أولاً بقولهم سبحانه إلى آخره تعجباً أي كيف يصح منا أن نصفك بما يليق بحالك ونحن عاملون بالتقديس وكيف يستقيم لنا أن نحمل غيرنا أن يتولونا دونك ونحن العابدون وثانياً بما يدل على أن الكفرة هم ضلوا السبيل لكن بتقدير الله وإضلاله فأطنبوا في تعبيرهم بقولهم ولكن متعنتهم الخ يعني متعنتهم بطول العمر وسعة الرزق حتى يجعلوا ذلك سبباً في زيادة الشكر من قبول الذكر الذي عرض عليهم وهو القرآن والتمسك بمقتضاه من تصديق من جاء به لكونه معجزة والإيمان بما فيه من إثبات التوحيد والحشر والنشر فعكسوا ذلك وجعلوه سبباً للثبات على اتخاذ الشركاء حتى جبرهم ذلك إلى ترك الذكر وعدم المبالاة به لقوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢] وينصر القول بأن المراد بالذكر القرآن قوله صاحب الكشاف والذكر ذكر الله والإيمان به والقرآن وما قال محيي السنة في تفسيره حتى نسوا الذكر تركوا الموعظة والإيمان بالقرآن ويساعد هذا التأويل قضية النظم فإن قوله: ﴿ويوم يحشرهم﴾ [الفرقان: ١٧] متصل بأول السورة وهو قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلِداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ [الإسراء: ١١١] وقوله: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الفرقان: ٣] أي اتخذوا من دونه الله آلهة زعموا أنها أولاد لله سبحانه وشركاء له في الألوهية وأدى ذلك إلى تكذيبهم الذكر أي القرآن أولاً بقولهم: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ﴾ [الفرقان: ٤] وأساطير الأولين وتكذيبهم الرسول عليه الصلاة والسلام ثانياً بقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق فرضوا بالإله أن يكون حجراً وأبوا الرسول أن يكون بشراً وتكذيبهم الله آخر حيث أنكروا البعث والنشور وإليه الإشارة بقوله ﴿بَلْ كَذِبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ فإنه مستلزم لتكذيب الله وتحرير المعنى ﴿ويوم نحشرهم﴾ [الأنعام: ٢٢] ﴿وَمَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ حيث يعلمون أنهم أول من يخاصمهم الله ويخذلهم إذا سئلوا ﴿أَنْتُمْ أَضَلُّتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءَ﴾ [الفرقان: ١٧] أي أكنتم أولياء هم وشركاء له وأنتم حملتموهم على ذلك الثقل والتكذيب أم هم من عند أنفسهم تفوهوا به فيجيبوا بما يلغمهم الحجر أي هؤلاء الكافرون للنعمة هم الذين عكسوا الأمر وضلوا وحقت عليهم كلمة العذاب والبوار يدل عليه قوله فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفاً ولا نصراً فظهر من بيان النظم أنهم لو أجابوا بقولهم بل أنت أضللتهم أبعدوا عن المرمى .

محذوف^(١) ثابت باقتضاء النص فكفروا واشركوا قوله وكانوا والتعبير بالواو الفصححة غير متعارف وهذا زيادة في الجواب فإنه تم بقولهم حتى نسوا الذكر تسفيهاً لرأيهم مع الإشارة إلى أن ذلك مقضى لهم بسبب علمه تعالى بأنهم يختارون ذلك الشر بإرادتهم الجزئية فلا جبر.

قوله: (هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع أو جمع بائر كمائذ وعود) مصدر بوزن شغل وصف به للمبالغة فقوله هالكين بيان حاصل المعنى وإلا فقد عرفت مما نقلنا عن الشيخ عبد القاهر أن مثل هذا يجب إبقاءه على حاله بلا تأويل لثلاث يفتوت المبالغة قوله ولذلك أي ولكونه مصدراً يستوي فيه الواحد والجمع كسائر المصادر لأن المراد بالمصدر الماهية وهي متحركة في الواحد والجمع ولم يذكر التنثية^(٢) لأن المصدر لا يطلق عليه بدون اعتبار العدد والنوع أو جمع بائر فالبور يجيء مصدراً وجمعاً رجح المصدرية للمبالغة فيه كأنهم عين الهلاك أو هذا الجمع نادر ولذا استشهد بقوله كمود وعائذ بالعين المهمل والذال المعجمة جمع عائذ وهي من الحديثة التناج من الظباء والخيل.

قوله تعالى: فَكَذَّبُواكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَظِيمُونَ صَرَفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ نَفْسَهُ يُظْلَمْ عَذَابًا كَبِيرًا

قوله: (التفات إلى العبد بالاحتجاج والإلزام) التفت إلى العبد من الغيبة إلى الخطاب تشديداً في العتاب ولذا قال بالاحتجاج الخ.

قوله: (على حذف القول والمعنى فقد كذبكم المعبودون) على حذف القول أي قلنا لهم فقد كذبوكم لأن هذه الجملة من كلام الله تعالى ابتداء اتفاقاً الفاء في فقد كذبوكم فصيحة فجائية أي قلنا تبرؤوا فقد كذبوكم كما قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الدِّينِ اتَّبِعُوا﴾ [البقرة: ١٦٦] الآية والمعنى فقد كذبكم المعبودون بعضهم بلسان الحال وبعضهم بالمقال أو كلهم بالمقال إن قيل ينطق الجماد.

قوله: (في قولكم إنهم آلهة أو هؤلاء أضلونا والباء بمعنى في) في قولكم أشار إلى أن ما مصدرية والباء بمعنى في والجار والمجرور متعلق بالفعل.

قوله: (أو مع المجرور بدل من التضمير) بدل اشتمال وعد الجار من البدل من المسامحات المشهورة إذ الظاهر أن الباء حينئذ زائدة فإن التكذيب متعد بنفسه فعلى الأول

(١) إطلاق الحذف على المفتضى اصطلاح البعض ولك أن تقول وهنا معطوف عليه لقوله: ﴿كَانُوا﴾ ثابت باقتضاء النص.

(٢) هذا ما ثبت في الأصول من أن الوحدة تراعى في اسم الجنس سواء كانت الوحدة حقيقة أو اعتبارية لكن نقل الإمام عن أبي عبيدة أنه قال يقال رجل بور ورجلان بور ورجال بور فيصرح بأنه يطلق على التنثية أيضاً فلا تغفل.

الكاذب القائل بمعنى أنه أخبر لا على ما هو عليه وعلى الثاني الكذب صفة القول بمعنى أن حكمه غير مطابق للواقع قدم الأول لأنه أبلغ في التبيين والتسفيه .

قوله : (وعن ابن كثير بالياء) إشارة إلى أنه رواية شاذة عنه كذا قبل .

قوله : (أي كذبوكم بقولهم) أشار إلى أن ضمير يقولون راجع إلى المعبودين وأما في الخطاب فالضمير عبارة عن العبيدة فحيثما الباء للملازمة أو للالة فالكذب صفة القائلين فقط .

قوله : (سبحانك ما كان ينبغي لنا) وكون هذا تكذيباً لهم باعتبار اللزوم لكن قولهم إنهم آلهة مذكور صريحاً في كلامهم وإن لم يذكر ههنا .

قوله : (فما يستطيعون أي المعبودون قرأ حفص بالتاء على خطاب العابدين) فرع عدم استطاعتهم على كذبهم وهذا على القراءة الثانية واضح وأما على القراءة الأولى فالتفريع على كونهم ليسوا بآلهة منهم من سوف الكلام فلا وجه للاعتراض على تقدير قوله : ﴿فقد كذبوكم﴾ [الفرقان : ١٩] مقولاً للقول المقدر بأنه لا تعلق له بما بعده من عدم استطاعتهم للصرف والنصر وتفريع عدم الاستطاعة على ما قبله لا ينافي عدم استطاعتهم في أنفسهم بلا ملاحظة ما قبله فإنهم لا يقدرون نفعاً ولا ضرراً مطلقاً كما ذكر ذلك في مواضع كثيرة بلا تفريع على أمر ما .

قوله : (صرفاً دفعاً للعذاب عنكم) أصل الصرف رد الشيء من حالة إلى حالة وهنا بمعنى رد العذاب فهراً أو شقاعة قوله عنكم خطاب للعبيدة وهذا على قراءة الياء وأما على القراءة بالتاء فالتقدير عن أنفسكم والمعنى فما يستطيعون أيها العابدون عن أنفسكم والمذكور في موضع آخر إن المعبود لا يقدر نصرة العابدين فإنهم يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فنفي الله تعالى ذلك ولذا اختار المص القراءة بالياء .

قوله : (وقيل حيلة من قولهم إنه ليتصرف أي يحتال) وقيل حيلة هذا مأخوذ من قولهم واستعمال العرب أنه ليتصرف أي يحتال وهذا معنى مجازي لأنها سبب الرد والدفع .

قوله : (فيعينكم عليه) أي يعين أي الناصر أو المعبود عليه أي على دفع العذاب عنكم بعد إصابته إذ الرد يستعمل فيما قبل الإصابة فلا جرم أن المراد بالصرف دفع العذاب قبل الإصابة والنصر رفعه بعد الإصابة فلا تكرار والأولى فينصركم بدل فيعينكم إذ النصرة مختص بدفع الضر والمعونة أعم فيعينكم^(١) منصوب على أنه جواب التثني .

قوله : (أيها المكلفون) لم تقل أيها المشركون لاحتياجه إلى التأويل بيدم إذ المراد بالظلم هنا الشرك كما في اللباب وإن أريد المعنى العام للكافر والفاجر فظاهره مراد الخطاب على العموم وهو مختار المص .

(١) فاعله ضمير راجع إلى الناصر .

قوله: (نذقه) فيه استعارة تبعية للتهكم استعير لإدراك ألم العذاب لتنزيل الألم منزلة السرور.

قوله: (هي النار) قال عليه السلام هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم.

قوله: (والشرط وإن عم كل من كفر أو فسق لكنه في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفقاً وهو التوبة والإحباط بالطاعة إجماعاً) وإن عم كل من كفر الخ هذا إرخاء العنان مع الزمخشري حيث استدل بهذه الآية الكريمة على مذهبه من أن مرتكب الكبيرة لا يعفى بل العذاب الكبير لاحق به كالمشرك والمص حاول الجواب فتمنع^(١) أولاً عمومها فلا يتناول الفاسق وسلم ثانياً عمومها الفاسق فأجاب بأن الآية مقيدة بعدم المزاحم اتفاقاً أي منا ومن المعتزلة عموماً والإحباط بالطاعة عطف على المزاحم إجماعاً أي منا ومن الجبايين واتباعهما فإنهم ذهبوا إلى أن من زادت طاعاته على معاصيه أحبطت طاعاته عتاب زلانه وكفرتها ومن زادت زلانه على طاعاته أحبطت ثواب طاعاته كما فصل في علم الكلام ولعل لذلك اختار هنا لفظ إجماعاً وفيما قبله اتفاقاً فإن الأول لا خلاف فيه لأحد من المعتزلة

قوله: والشرط وإن عم كل من كفر وفسق لكنه في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفقاً وهو التوبة والإحباط بالطاعة وبالعفو عندنا هذا رد على صاحب الكشف حيث قال الخطاب على العموم للمكلفين والعذاب الكبير لاحق بكل من ظلم والكافر ظالم لقوله ﴿إِنَّ الشُّرَكَاءَ لظُلُمٌ عَظِيمٌ﴾ والفسق ظالم لقوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١] إلى هنا كلامه وفي كلامه هذا إشارة إلى مذهبه حيث ادخل المؤمن الفاسق في هذا الحكم الذي هو اذقة العذاب الكبير وقرنه معهم في عدم العفو حين مات غير نائب بناء على هو مذهبه من أن العدل والمجازاة على الأعمال واجبة على الله ففسره القاضي رحمه الله بأن اقتضاء الشرط الذي هو ظلمهم ذلك الجزاء الذي هو اذقة العذاب الكبير مشروط بعدم التوبة وبعدم الفعل المحبط بجريمة الكفر والفسق فالمعنى نذقه عذاباً كبيراً ما لم يتب ذلك الظالم ولم يعمل عملاً صالحاً فإن الكافر والمؤمن الفاسق إذا تابا وأحبطا جريمتهم بالعمل الصالح لا يلحقهم عذاب أليم اتفاقاً بيننا وبين المعتزلة ويجوز عندنا لا عندهم أن يعفو الله تعالى عن المؤمن الفاسق وإن لم يتب قال الطيبي رحمه الله ذهب عن صاحب الكشف أن الخطاب مع الكفرة المعاندين الذين نزلت في شأنهم الآيات من أول السورة فكيف وقد سبق فقد كذبكم وهذه الآية كالخاتمة لما يجري عليهم من الأهوال والتكال من لدن قوله إذا رأتهم من مكان بعيد يعني ومن يظلم أي من تدم منكم على ما هو عليه من أنواع الكفر بعد تلك البيانات الشافية التي ما تركت من الزواجر والروادع بقية نذقه عذاباً كبيراً ثم كلامه وعلى هذا لا يكون الخطاب عاماً شاملاً لفسقة المؤمنين كما زعمه صاحب الكشف بل هو يخص الكفار بقرينة سياق الآي وسياقتها وقال صاحب الفرائد يجب أن يحمل الظلم على الشرك بدليل ما تقدم ولأن الحمل على ما ذكره صاحب الكشف يؤدي إلى أن الظلم مع الإيمان يستلزم العذاب الكبير ولا يجوز العفو والتجاوز وليس كذلك لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

(١) المنع والتسليم مفهومان من كلمة أن الوصلية في قوله وإن عم كل من كفر الخ.

والثاني غير مسلم عند بعض المعتزلة وإنما هو قول البعض كما عرفت وما ثبت في محله أن المحبط بالطاعات هو الصغيرة دون الكبيرة غاية الأمر أن الكبيرة مرجو إحباطها بالحسنات كما ذهب إليه بعض شراح الحديث قال المص في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنْ الْحَسَنَاتُ يَذْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤] وفي الحديث الصلاة إلى الصلاة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر انتهى وهذا يؤيد ما قلناه ولعله اختار كون الكبيرة محبطة بالطاعات لكنه بعيد جداً.

قوله: (وبالعفو عندنا) عطف على الإحباط أو على المزاحم أي مقيد بعدم العفو عندنا أي عند معاشر أهل السنة فإنه يجوز عفو الكبيرة بلا توبة عندنا وهذا هو الجواب عن إشكال الزمخشري وما تقدم تمهيد له.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَبَاءُ لَكُمْ أَلْعَمَاءُ وَيَتَشَوَّعُونَ فِي الْأَمْوَالِ وَمَعَلَاكُمْ يَتَغَبَّوْنَ فَتَنَةً أَنْتُمْ بِهَا تُصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ (٢٠)

قوله: (أي إلا رسلاً أنهم فحذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه وأقيمت الصفة مقامه) وفي الكشف والمعنى وما أرسلنا قبلك أحداً من المرسلين إلا آكلين وماشين وهو أوضح مما ذكره المص والنفي المستفاد من الحصر عدم أكلهم ومشيمهم بقرينة أنه جواب لقولهم ﴿ما لهذا الرسول﴾ [الفرقان: ٧] الآية فالحصر إضافي وقصر قلب يعني أن هذا عادته تعالى مستمرة في جميع رسله المرسلين إلى الإنسان فلا وجه لهذا الطعن من أهل الطغيان كما أن قوله تعالى: ﴿تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً﴾ [الفرقان: ١٠] الآية جواب لقولهم أو يلقي إليه كنز أو تكون له جنة وأما جواب قولهم: ﴿لولا أنزل إليه ملك﴾ [الفرقان: ٧] فمذكورة في سورة الأنعام حيث قال تعالى: ﴿ولو أنزلنا^(١) ملكاً لقضي الأمر ثم لا ينظرون﴾ [الأنعام: ٨].

قوله: (كقوله تعالى: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ [الصافات: ١٦٤]) والمعنى وما منا أحد إلا له مقام معلوم في المعرفة والعبادة والانتهاه إلى أمر الله في تدبير العالم فأقيمت الصفة مقام الموصوف هنا وهناك قيل وعدل عما في الكشف لأن فيه فصلاً بين الصفة والموصوف بإلا وقد رده أكثر النحاة كما في المعني فجعله صفة لموصوف محذوف بعد

قوله: (أي إلا رسلاً أنهم فحذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه وأقيمت الصفة مقامه وفي الكشف الجملة بعد إلا صفة لموصوف محذوف والمعنى وما أرسلنا قبلك أحداً من المرسلين إلا آكلين وماشين وإنما حذف اكتفاء بالجوار والمجرور أعني من المرسلين ونحوه عز من قائل: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ [الصافات: ١٦٤] على معنى وما منا أحد تم كلامه قدر صاحب الكشف رحمه الله الموصوف قبل إلا والقاضي رحمه الله قدره بعد إلا.

(١) والمعنى أن الملك لو أنزل بحيث عاينوه كما اقترحوه لحق إهلاكهم فإن سنة الله تعالى حرت بذلك فيمن قبلهم ثم لا ينظرون أي لا يميلون بعد نزوله طرفه عين.

إلا هو يدل مما حذف قبله وأقيمت صفته مقامه فلم تفصل إلا بين الصفة والموصوف بل بين البذل والمبدل منه وهو جائز انتهى والعلامة الزمخشري إمام في العلوم العربية فلا يضر مختاره اختلاف بعض النحاة بل لا يبعد أن يقال إن رد بعض النحاة مردود لتجوز ذلك صاحب الكشاف وفي المطول واعلم أنه قد يقع بعد إلا في الاستثناء المفرغ الجملة وهي إما خبر مبتدأ أو صفة نحو ما جاءني منهم رجل إلا يقوم انتهى وكذا ما وقع في شرح المفتاح والقول بأنه مردود كما صرح به شارح المعنى سخيلاً جداً قال المص في تفسير قوله تعالى: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ [الصافات: ١٦٤] وما منا أحد إلا له مقام معلوم فقدر الموصوف قبل إلا فلم يعدل عما في الكشاف بل أشار إلى جواز الوجهين في الموضوعين.

قوله: (ويجوز أن يكون حالاً اكتفى فيها بالضمير وهو جواب لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق) ويجوز أن يكون حالاً الخ أشار إلى ضعفه إذ صرح في أوائل سورة الأعراف أن الاكتفاء بالضمير غير فصيح ولكن نص في تفسير قوله تعالى: ﴿قلنا امطوا بعضكم لبعض عدو﴾ [البقرة: ٣٦] الآية أنه حال استغني فيها عن الواو بالضمير لأنه مأول بالمفرد حيث قال والمعنى متعددين يبغي بعضكم على بعض بتضليله وهنا كذلك كما أشار إليه صاحب الكشاف حيث قال وما أرسلنا قبلك أحداً من المرسلين إلا آكلين وماشين ولكل جزء من أجزاء الجملة مدخل في حصول المفرد وهو شرط تأويل الجملة بالمفرد قوله وهو جواب أي^(١) جواب لغوي بطريق الإشارة وقد مر توضيحه.

قوله: ويجوز أن يكون حالاً اكتفى فيها بالضمير أي ويجوز أن يكون أنهم ليأكلون الطعام حالاً من المرسلين والمعنى ما أرسلنا قبلك من المرسلين على حال من الأحوال إلا على حال أكل الطعام والمشي في الأسواق وإذا وقعت الجملة الاسمية حالاً يكون الربط بالواو وبالضمير لكن اكتفى هنا بالضمير ولا يجوز أن يكون ذو الحال المستثنى المقدر بعد إلا أعني رسلاً لكونه نكرة وذو الحال إذا كانت نكرة يجب تقديم الحال عليه ويجوز حملة على الحال على توجيه صاحب الكشاف أيضاً وذو الحال هو أحد المعطوي ذكره وهو إن كان نكرة لكنه نكرة موصوفة فيكون في حكم المعرفة ولذا قال الطيبي رحمه الله فلو جملة حالاً كان له وجه لأن ذا الحال موصوف قال أبو البقاء كسرت أن لأجل اللام في الخير وقيل ولو لم تكن اللام لكسرت أيضاً لأن الجملة حالية إذ المعنى إلا وهم يأكلون وقال الزجاج وأما دخول أنهم بعد إلا فعلى تأويل ما أرسلنا رسلاً إلا وهم يأكلون أو إلا وإنهم ليأكلون وحذفت رسلاً لأن من في قولك ﴿من المرسلين﴾ دليل على ما حذف وقال صاحب المطلع وكسرة إن لمكان الابتداء كما لو قيل إلا وهم يأكلون لا لمكان اللام ودخلوها وخروجها سواء كما يقال ما قدم علينا أمير إلا أنه مكرم لي.

(١) أي رد لقولهم إذ كونه جواباً موقوف على اعتراف أن الأنبياء المتقدمين أكلوا ومشوا في الأسواق مع كونهم نبين وهم يتكبرون ذلك أيضاً إلا أن يقال إنه جواب تحقيقي لا الزامي وحاصله أنه رد له.

قوله: (وقرىء يمشون أي يمشيهم حوائجهم أو الناس) وقرىء يمشون من التفعيل أصله يمشيون فاعل فصار يمشون بتشديد الشين المفتوحة مع ضم الياء وهي قراءة علي رضي الله تعالى عنه وعبد الرحمن بن عبد الله وهو للتكثير وهي قراءة شاذة وفاعله المحذوف إما حوائج فيكون الإسناد مجازياً أو الناس فيكون الإسناد حقيقياً آخره لأن تمشيتهم الناس لا معنى له ظاهراً فالظاهر الحوائج والتوجيه أن الناس يمشونهم لتعليم الدين والحق اليقين.

قوله: (أيها الناس) لم يقل أيها المكلفون كما سلف لأن هذا^(١) عام.

قوله: (ابتلاء ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالأغنياء والمرسلين بالمرسل إليهم) ابتلاء أي اختبار أو امتحاناً أصل الفتنه الامتحان وهو المناسب هنا وفيه مبالغة إذ المعنى وجعلنا بعضكم لبعض سبب الفتنه والامتحان فجعل نفس الفتنه مبالغة أشار إليه بقوله ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالأغنياء فالأغنياء ليسوا فتنه بل من بهم الفتنه وهذا اختبار بأمر الدنيا تعرضه لرعاية عموم النظم وإلا فلكون الكلام مسوقاً لتصيير رسول الله عليه السلام ينبغي أن يقتضي بقوله والمرسلين بالمرسل إليهم نعم فيه تسليه لرسول الله عليه السلام حيث عبره عليه السلام بالفقر حين قالوا ﴿أو يلقي إليه كنز﴾ الخ والمعنى أنه تعالى جعل الأغنياء سبب فتنه للفقراء لينظر هل يصبرون ولا يمدون أعينهم إلى ما منعنا بهم أم لا وهل يعرفون أن ذلك مبنى على الحكمة ولعل ذلك خير لنا أم لا يعرفون ذلك.

قوله: (وبمناصبتهم لهم العداوة وإيذاً بهم لهم) المناصبه العداوة من قولهم نصب له إذا عاداه وأصله من نصب الشبكة للصيد وهذا هو المراد هنا لمكان العداوة في العبارة وإيذاً بهم بأقواويلهم الموحشه الخارجة عن حد الإنصاف فالمعنى أيضاً أنه تعالى جعل المرسل إليهم اختبار أو معاملة امتحان للمرسلين وما به الامتحان مناصبتهم وإيذاً بهم لكن جعل أنفُس المرسل إليهم فتنه للمبالغة وللتعميم.

قوله: وقرىء يمشون أي يمشيهم حوائجهم أو الناس قال ابن جني يمشون بضم الياء وفتح الشين المعجمة قراءة علي وعبد الرحمن بن عبد الله كفولك يدعون على المشي وجاء على فعل لتكثير الفاعل إذ هم عليهم السلام جماعة ولو كانت يمشون بضم الشين لكانت أوفق لقوله تعالى: ﴿ليأكلون الطعام﴾ [الفرقان: ٢٠] إلا أن معناه يمشون المشي يعني يوافق من حيث إنه أسند الفعل إليهم وإن أريد به التكثير ولم ترد في يأكلون قوله ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالأغنياء والمرسلين بالمرسل إليهم فالغني فتنه للفقير يقول الفقير ما لي لم أكن مثله والصحيح فتنه للمريض والشريف للوضيع والمرسل إليهم فتنه للمرسل لينظر أنه هل يصبر على أذى المرسل إليهم أم لا.

قوله: وبمناصبتهم لهم العداوة من نصبت لفلان نصباً أي عادته وناصبته الحرب مناصبه أي أقمت عليه الحرب.

(١) أي عام لغير المكلفين كالصبي والكفار عند بعضهم.

قوله: (وهو تسليّة لرسول الله عليه السلام على ما قالوه بعد نقضه) وهو أي هذا النظم الجليل تسليّة أي تحمّل على الصبر فإن معناه أنك لست بأوحد في ذلك فإن الرسل المتقدمين قد كذبوا وأزفوا حتى آتاهم نصرنا بعد نقضه بقوله تعالى: ﴿تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً﴾ [الفرقان: ١٠] الآية.

قوله: (وفيه دليل على القضاء والقدر) أي في أفعال العباد حيث جعل مثل مناصبة الكفار وإبذائهم بجعل الله تعالى^(١) وهو عبارة عن القضاء والقدر في الأزل قيل قال ابن السيد في مثلثاته قدر الله قضاؤه ومنهم من يفرق بينهما فيجعل القدر تقديره الأمور قبل أن تقع والقضاء إنفاذ ذلك القدر بخروجه من العدم وهو الصحيح لما في الحديث من أنه عليه السلام مر بحائط مائل فأسرع مشيه حتى جاوزه فقيل اتفر من قضاء الله فقال أفر من قضاء الله إلى قدره انتهى قال المص في سورة البقرة أطلق القضاء على تعلق الإرادة الإلهية لوجود الشيء من حيث إنه يوجبه والظاهر أن مراده التعلق الأزلي^(٢) ويؤيده ما قيل والقضاء عند الأشاعرة هو إرادة الله تعالى الأزلية المتعلقة بالأمور على ما هي عليه فيما لا يزال والقدر إيجادها إياها على قدر مخصوص وتقدير معين في ذاتها وأحوالها وقيل الميرم قضاء وغيره قدر والأوضح أن القدر أي التقدير تحديد كل مخلوق بحده الذي يوجد فيه من حسن وقبح ونفع وضر وغير ذلك واستوضح بتصوير النقاش الصورة في ذهنه وهذا نظير التقدير ثم نقشه على وفق تصويره نظير القضاء ولهذا المقام تفصيل في أوائل شرح المشكاة لعلي القاري ومراده رد المعتزلة فإنهم ينكرون القضاء والقدر في الأفعال الاختيارية الصادرة عن العباد ويشنون علمه تعالى هذه الأفعال ولا يسندون وجوده إلى ذلك العلم بل إلى اختيار العباد وقدرتهم فأشار إلى أن هذه الآية حجة عليهم فمن قال إنه لا

قوله: وهو تسليّة لرسول الله ﷺ على ما قالوه بعد نقضه أي بعد نقض ما قالوه بقوله: ﴿وما أرسلنا قبلك﴾ [الفرقان: ٢٠] الآية وفي الكشف وهذا تصبير لرسول الله ﷺ على ما قالوه واستبدعوه من أكله الطعام ومشيه في الأسواق بعد ما احتج عليهم بسائر الرسل يقول وجرت عادتي وموجب حكمي على ابتلاء بعضهم أيها الناس ببعض والمعنى أنه بلى المرسلين بالمرسل إليهم وبمناصبتهم لهم العداوة وأقاولهم الخارجة عن حد الانصاف وأنواع أذاهم وطلب منهم الصبر الجميل ونحوه ولتسمع من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وأن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور.

قوله: وفيه دليل على القضاء والقدر وجه الدلالة أنه إخبار بالماضي فإنه يدل على أن الابتلاء قد كان وقدر في علمه الأزلي وقضائه قيل إن يخلقوا قوله والمعنى: وجعلنا بعضهم لبعض فتنة لنعلم أيكم يصبر والعلم مجاز في التمييز وإلا فآله تعالى عالم بمن يصبر ومن لا يصبر فالمعنى تمييز الصابر عن غير الصابر.

(١) إذ العمل بمعنى الاجتهاد إن جعل فتنة حالاً أو التصيير إن جعل مفعولاً ثانياً وهو يستلزم الاجتهاد.

(٢) لأن بعض المتكلمين ذهبوا إلى أن تعلق الإرادة قديم وبعضهم اختار كونه حادثاً وهو الظاهر وكلام المص يميل إلى قدم التعلق ويحتمل أن يكون مراده التعلق الحادث وأما نفس الإرادة فقديم.

دلالة فيها على ذلك فقد كابر وبعد عن فهم المرام كما هو عادته في أكثر المقام .

قوله : (علة للمجعل والمعنى «وجعلنا بعضكم لبعض فتنة» [الفرقان : ٢٠] لتعلم أيكم يصبر ونظيره قوله تعالى : «لبلولكم أيكم أحسن عملاً» [هود : ٧]) علة للمجعل أي واقع موقع العلة كما أشار إليه بقوله والمعنى وجعلنا الخ بقرينة ذكره بعد ذكر الفتنة بمعنى الابتلاء فجملة الاستفهام معمولة للعلم المقدر المعلق عنها كما قال لتعلم أيكم يصبر ونظيره قوله تعالى : «لبلولكم أيكم أحسن عملاً» [هود : ٧] أشار به إلى أن أنصبرون واقع بعد ذكر الفتنة موقع أيكم بعد الابتلاء في قوله تعالى : «أيكم» [هود : ٧] الآية وحاصل المعنى لتعلم بالتعلق الحادث أيكم يصبر بعد وجود الصبر منكم موافقاً لعلنا بالتعلق القديم أيكم يصبر قبل وجود الصبر بمعنى أنه سيوجد فلا وجه لما قيل أي ليظهر لكم ما في علمنا وغرضه من التنظير بالآية المذكورة التنبيه على أن الفتنة لكونها بمعنى الابتلاء تدل على إرادة العلم فإن المقصود من الابتلاء أي الامتحان العلم كما نبهنا عليه إلا أن العلم مضمن في تلك الآية وما نحن فيه مقدر فالتشبيه ليس من كل وجه لأن التشبيه لا يقتضيه .

قوله : (أو حث على الصبر على ما افتتنوا به) عطف على قوله علة فالاستفهام حيثنئذٍ للترغيب بواسطة أن الاستفهام للتقرير بمعنى التحقيق والتثبيت^(١) فلا يقدر العلم إذ الفتنة أمانة على إرادة العلم لا دليل قطعي وفي بعض النسخ وقع أوجب عليهم الصبر بدل أو حث فحيثنئذٍ يكون من تشمة ما قبله فعلى الأول منقطع عما قبله كما عرفته فعلى هذا أنصبرون بمعنى اصبروا بمعنى الإيجاب ولا يخفى أن هذا لا يلائم قوله لتعلم أيكم يصبر فالنسخة المعول عليها أو حث بالحاء المهملة والثاء المثناة ولقطة أو حث عطف قوله افتتنوا بصيغة المجهول أي أودوا به فالفتنة هنا ليست بمعنى^(٢) ما في النظم .

قوله : (بمن يصبر أو بالصواب فيما يبثلى به وغيره) بمن يصبر مفعوله المقدر قدمه لأنه على الحقيقة وأما على الثاني^(٣) فيمعنى العلم أي عليمًا بالصواب الخ إذ الصواب ليس من المبصرات وعند الجمهور البصر صفة أخرى مغايرة لصفة العلم قيل وارتباط هذا بما قبله لأن جعلهم أكليين ماشين لا ملائكة للابتلاء وهذا لا ينافي إن عدم جعلهم ملائكة لعدم

قوله : أو حث عليهم الصبر على ما افتتنوا به افتتنوا على لفظ المبني للفاعل يقال افتتن الرجل وفتن فهو مفتون إذا أصابته فتنة .

(١) لا بمعنى حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه .

(٢) إذ الفتنة هنا بمعنى المحنة والأذية وما في النظم بمعنى الابتلاء ومعاملة الامتحان ولا يبعد أن يحمل على ما في النظم .

(٣) والمخشوي اكتفى بالمعنى الثاني وأصاب المص في زيادة المعنى الأول وترجيحه .

الطاقة البشرية رؤية الملائكة على صورتهم تأمل^(١) قول المص وهو تسلية لرسول الله عليه السلام إشارة إلى الارتباط.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُوتُ أَوْ نَنَالَهُ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾

قوله: (لا يأملون) من أمل من الثلاثي نقل عن المصباح أنه قال الأمل ضد اليأس وأكثر ما يستعمل فيما يبعد حصوله والطمع يكون فيما قرب حصوله والرجاء بين الأمل والطمع فإن الراجي يخاف أن لا يحصل مأموله ولذا استعمل بمعنى الخوف فإن قوى الخوف استعمل استعمال الأمل كما يستعمل الأمل بمعنى الطمع انتهى هذا يشعر الفرق بين الرجاء والأمل وبالنظر إليه لا يحسن تفسير الرجاء بالأمل لكن استعمل كل منهما بمعنى الآخر كما فسر أحدهما بالآخر صاحب القاموس وكلام المص مبني عليه وصاحب الكشاف فسر الرجاء بالأمل وهو من ثقات نقل اللغة وكفى به سنداً للمص وقيل فرق بينهما كما في قول ابن الهلال في فروقه الأمل رجاء مستمر ولأجل هذا قيل للنظر في الشيء إذا استمر وطال تأمل انتهى وإنما لم يفسر^(٢) المص الرجاء بترقب الخير بقوى في النفس وقوعه لثلا يتوهم توجه النفي إلى القيد بناء على أن النفي إذا دخل في الكلام المقيد يتوجه إلى القيد كما صرح به الشيخ عبد القاهر وخلافه قليل نادر فيفيد الكلام كونهم آمليين للبعث وعن هذا فسر بمطلق الأمل.

قوله: (بالخير) متعلق بلقائنا والياء للملازمة والمراد بالخير الثواب والجنة ومن لا يرجو ذلك لا يخافون العذاب أيضاً.

قوله: (لكفرهم بالبعث أو لا يخافون لقاءنا بالشر) وهو العذاب في دار الحجاب لكفرهم بالبعث ومن كان كذلك لا يأملون الثواب أيضاً فأحد الوجهين مستلزم للآخر قدم الأول لكونه حقيقة ولم يجمع بينهما لثلا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز وإن كان جائزاً عند المص ولك أن تقول قوله أو لا يخافون لمنع الخلو فقط.

قوله: (على لغة تهامة) إن أراد أنه حقيقة عندهم فوجه التأخير التنبيه على ضعف هذه اللغة بالنسبة إلى غيرها وإن أراد أنهم يخصصون الرجاء بالخوف في استعمالاتهم فالأمر ظاهر.

قوله: لقاءنا بالخير قال الراغب الرجاء يستعمل فيما في حصوله مسرة وقوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣] قيل: ما لكم لا تخافون ووجه ذلك أن الرجاء والخوف يتلازمان قال الله تعالى: ﴿وَأَخْرَجُوا مَرَجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٠٦] إما يعذبهم وإما يتوب عليهم.

(١) إشارة إلى ضعف هذا الوجه فالأولى ما ذكره المص.

(٢) فيه إشارة إلى وهم ابن كمال مع جوابه.

قوله: (وأصل اللقاء الوصول إلى الشيء) وهذا يستلزم المصادفة ولذا قال في سورة البقرة اللقاء المصادفة وأما المماساة فليست بمعتبرة في مفهومه وإن تحققت في بعض الأحوال قال الفاضل المحشي وفيه بحث فإنه قال المحقق الرضي الترجي ارتقاب شيء لا وثوق بحصوله فمن ثمة لا يقال لعل الشمس تغرب ويدخل في الارتقاب الطمع والإشفاق فالطمع ارتقاب شيء محبوب والإشفاق ارتقاب شيء مكروه وهكذا في كلام أكثر النحاة فينتظم لا يرجون كلا المعنيين ولا يحتاج إلى الحمل على لغة نهامة فتأمل انتهى. ولا يخفى أن كلام النحاة في الترجي وكلام الشيوخين في الرجاء ولا نزاع في تفاوت معنى الثلاثي والمزيد فيه في بعض المواد وأما الجواب عنه بأن الكلام هنا في لفظ رجي وكلام النحاة فيما يدل عليه مثل لعل فضعيف إذ المعنى لا يتفاوت باختلاف ما يدل عليه فالترجي المستفاد من لعل والمستفاد من لفظ الترجي معنى واحد على أن كلام النحاة في الترجي^(١) لا فيما يدل عليه كلعل.

قوله: (ومنه الرؤية فإنه وصول إلى المرئي) ومنه أي من اللقاء الرؤية فصله عما قبله لأن إطلاق اللقاء على الرؤية مجاز إذ اللقاء سبب لها قيل أي ومن متناولات اللقاء الرؤية فمن تبعية وفيه نظر إلا أن يقال إن اللقاء جنس تحته أنواع أحد أنواعه الرؤية فإنه يصل الرائي برؤيته إلى حقيقة المرئي فسمى الرؤية لقاء لكن الاستعمال يؤيد كون الوصول بالأبدان ولا يقال إذا رأى شخصاً من بعيد أنه وصل إليه ولقيه.

قوله: (والمراد به الوصول إلى جزائه) بتقدير المضاف^(٢) سواء أريد اللقاء بالخير أو اللقاء بالشر قوله أولاً وأصل اللقاء الخ احتراز عن مثل هذا المقام فإن أصله متعذر هنا للدلالة القاطعة على أنه تعالى متزه عن جميع سمات النقص والوصول يستلزم الجسمية تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

قوله: (ويمكن أن يراد به الرؤية على الأول)^(٣) ويمكن أن يراد به أي باللقاء الرؤية

قوله: وأصل اللقاء الوصول إلى الشيء ومنه الرؤية أي ومن الوصول إلى الشيء الرؤية أي رؤية ذلك الشيء لأن الرؤية وصول إلى المرئي فيصح أن يستعمل اللقاء في الرؤية لأنه هي.

قوله: ويمكن أن يراد به الرؤية على الأول أي على أن يكون بالرجاء والأمل دون معنى الخوف لأن الرجاء بالمعنى الأول يستعمل كما ذكر فيما فيه مسرة فيتأهب أن يكون اللقاء بمعنى الرؤية التي لا مسرة تساويها أو يذاتها ومعنى الخوف لا يتناسب ذلك قال صاحب الكشف جعلت التصيرة إلى جزائه بمنزلة لقاءه لو كان ملقياً وكلامه هذا إشارة إلى مذهبه من استحالة الرؤية من حيث إنه صرف اللقاء عن حقيقته التي دخل فيها معنى الرؤية وجعله من باب التمثيل قوله أو ما هو

(١) فإنهم قالوا الترجي ارتقاب شيء الخ ولم يقولوا لعل ارتقاب شيء الخ.

(٢) أو بطريق الكناية.

(٣) وإنما قال الأول إذ الرؤية لا معنى لكونها مخوفة بل هي مأمولة.

أي رؤية الله في الآخرة كما هو مذهب أهل السنة لما عرفته من أن الرؤية من مشايدات اللقاء فتكون هذه الآية دليلاً على جواز الرؤية بل على وقوعها في الآخرة وإنما ضعفه لأنه غير متعارف استعماله في الرؤية وإن سلم كونها من أنواعه كما صرح به الإمام قوله هلا أي لولا تحضيضية لا امتناعية.

قوله: (فيخبروننا بصدق محمد عليه السلام) جواب لولا فيكون منصوباً بصدق محمد عليه السلام فيكون هذا كقولهم لو أنزل إليه ملك لكن هنا قالوا أنزل علينا وجمع الملائكة إما لتعدد القصة أو هذا وإن خالف ما سبق لفظاً فهو طبقه في المقصود والإنزال^(١) عدي بعلى لكونه من علو وبإلى للانتهاء إليه والملك جنس شامل للقليل والكثير والإنزال كما يكون على النبي عليه السلام يكون على أمته أيضاً وقد مر توضيحه في سورة البقرة^(٢).

قوله: (وقيل فيكونون رسلاً إلينا) مرضه لأن إيراد الملائكة جمعاً لا يلائمه وإلا فادعاهم أنه لا يكون البشر رسولاً يلائم المعنى الثاني وقد مر في قوله تعالى: ﴿لولا أنزل إليه ملك﴾ [الفرقان: ٧] ما يفعه في هذا المقام.

قوله: (فيأمرنا بتصديقه واتباعه) وهذا لا يلائم أيضاً القول فيكونون رسلاً وإنما قيده بهذا للإشعار بارتباطه بما قبله وأما في قوله تعالى: ﴿لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة﴾ [البقرة: ٥٥] فيمعنى آخر يناسب ذلك المقام.

قوله: (أي في شأنها حتى أرادوا لها) فمعنى استكبروا في أنفسهم أوقعوا الاستكبار في شأنها فنزل الفعل المتعدي منزلة اللازم قال في سورة البقرة والتكبر أن يرى الرجل نفسه أكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع وهو أن يرى شعبان وليس كذلك وهنا طلب الرجل الكبير وليس له ذلك^(٣) فاختيار استكبروا على تكبروا للإشعار بذلك وهذا أبلغ مما في الكشاف فإن قلت ما معنى في أنفسهم قلت معناه أنهم أضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه كما قال: ﴿إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه﴾ [غافر: ٥٦] والمص عدل عنه فقال أي في شأنها أي استكبروا أنفسهم وعدوها كبيرة حتى أرادوا لها لأنفسهم ما يتفق الخ. ولم يحمل في أنفسهم على إضمار الكبر في أنفسهم أي في قلوبهم بل جعله من قبيل أن امرأة عذبت في هرة أي في شأنها سواء أظهروا

أعظم من ذلك عطف على ما في قوله أرادوا لها ما يتفق للإفراد أي أرادوا ما يتفق للإفراد أو ما هو أعظم مما يتفق لهم وهو الرؤية والأمر بالتصديق والاتباع.

(١) هذا شروع في بيان طبقه في المقصود والمعنى.

(٢) فلا تكرر مع قوله ﴿لولا أنزل إليه ملك﴾ تأمل.

(٣) أي ليس له سبب من أسباب التكبر وهو أشنع من التكبر وكلاهما حرام سوى وقت الحروب والتكبر على التكبر.

الاستكبار أو أضمره ولكن الظاهر إظهاره حيث قالوا: ﴿أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾ [الفرقان: ٢١] والآنفس بمعنى القلوب على ما اختاره الزمخشري وبمعنى الذوات على ما اختاره المصنف.

قوله: (ما يتفق للأفراد من الأنبياء الذين هم أكمل خلق الله تعالى) أي فرد من الأنبياء عليهم السلام على أن اللام للجنس فيضمحل معنى الجمعية والباعث على التعبير بالجمع إرادة التعظيم إذ رؤية الله تعالى بعين الرأس غير واقعة سوى نبينا عليه السلام ليلة المعراج مع اختلاف فيه وكذا رؤية الملائكة قال المصنف في سورة النجم قيل ما رآه أحد من الأنبياء في صورة فجيريل إياه غير محمد عليه السلام انتهى فقولوه ما يتفق للأفراد لا يخلو عن خدشة سواء كان المراد رؤية الملك أو رؤية الله تعالى أو كلاهما وهذا غاية توجيه كلامه وظاهره ليس بمراد لما ذكرناه ألا يرى أنه تعالى قال: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] أي في الدنيا ﴿يَا مُوسَى﴾ [الأعراف: ١٤٤] الآية.

قوله: (في أكمل أوقاتها) والضمير راجع إلى الأفراد الأولى في أكمل أوقاتهم وهو الوحي كما قيل أو المعراج كما هو الظاهر إذ الرائي هو نبينا عليه السلام فقط^(١).

قوله: (وما هو أعظم من ذلك) أي وأي شيء أعظم من رؤية الله تعالى الاستفهام للإتكاف فيفيد هذا لا أعظم شيء من هذه ومعنى هذا التركيب في العرف هو أن رؤية الله تعالى أعظم من كل شيء حتى رضوان الله تعالى ولا يتأفیه قوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢] لأنه بالنسبة إلى الجنة ونعيمها الجسماني ولعلمي القاري في شرح المشكاة مناقشة في ذلك قد أجابنا عنها في توضيح تلك الآية وفي بعض النسخ أو ما هو أعظم من ذلك فهو على وفاق قوله أو نرى كذا قبل فحينئذ يكون المراد بقوله ما يتفق للأفراد الخ رؤية الملك على صورته فلا يرد الإشكال المذكور لكن نسخة الواو الواصلة أصح لأن المصنف ذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥] هذه العبارة بعينها حيث قال وذلك أي رؤية الله تعالى للمؤمنين في الآخرة والأفراد من الأنبياء في بعض الأحوال في الدنيا انتهى وأورد^(٢) الأفراد جمعاً في الموضعين ولم نطلع على القول بأن رؤية الله تعالى في الدنيا بعين الرأس واقعة لغير نبينا عليه السلام كما يقتضيه عبارة المصنف في الموضعين بل الثابت في محله خلافه فلا جرم أن كلامه مأول بمثل ما ذكرناه (وتجاوزوا الحد في الظلم).

قوله: (بالغاً أقصى مراتبه) تفسير لكبيراً وعتوا مصدر بوزن دخول جاء هنا على الأصل وأما عتياً بالياء في سورة مريم فقد مر تفصيله هنا.

(١) كما عرفته وكون المراد بما يتفق للأفراد الخ رؤية الملك فقط بعيد على أنه صرح هذا القول بعينه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ الآية.

(٢) والقول بأن مراده بما في ما يتفق رؤية الله ورؤية الملك والأفراد بالنسبة إلى رؤية الملك تكلف على أن رؤية الملك بصورته قد حصل لبعض نبينا عليه السلام وهذا وإن تم على قول البعض.

قوله: (حيث عاينوا المعجزات القاهرة فأعرضوا عنها واقترحوا لأنفسهم الخبيثة ما سدت دونه مطامح النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف) ما سدت أي منعت دونه أي عنده مطامح النفوس الخ أي ارتفاع أبصار النفوس أو طلبهم وهو رؤية الله تعالى أو رؤية الملك بصورته أو كلاهما واللام أي في لقد جواب الخ والمعنى والله لقد استكبروا أو بالله لقد استكبروا التأكيد مضمون ما ذكر وتحقيقه.

قوله: (وفي الاستئناف بالجملة حسن وإشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم) وفي الاستئناف أي الاستئناف التحوي أو البياني جواب عن سؤال ما شأنهم في ذلك فأجيب بالله لقد استكبروا بالجملة أي جملة لقد استكبروا حسن أي حسن عظيم بالغ غايته لأنه لما ذكر فيما قبله أمر عظيم يقتضي إنكاره والاستغراب منه وعدل عن مقتضى الظاهر حتى كأنه لم يتمالك أن يقول هذا عند قولهم ذلك فذكر شناعة فعلهم مؤكدة بالقسم فأفاد التعجب لوقوعه في موضع يقع في مثله التعجب ولهذا قال وإشعار بالتعجب بشهادة الذوق وعن هذا قال صاحب الكشف وفي فحوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ تعجب ألا ترى أن المعنى ما أشد استكبارهم وما أكبر عتوهم وإلى هذا التفصيل أشار المص بقوله وإشعار بالتعجب الخ.

قوله: (كقوله:

وجارة جساس أبانا بنابها كليباً غلت ناب كليب بواؤها)

قوله: واقترحوا لأنفسهم الخبيثة ما سدت دونه مطامح النفوس القدسية المطامح جمع مطمح بمعنى الطموح من طمح بصره إلى الشيء أي ارتفع وكل مرتفع طامح.

قوله: واللام جواب قسم محذوف مثل وعزتي فهذه هي اللام السمة بالموطئة للقسم. قوله: وفي الاستئناف بالجملة حسن وإشعار بالتعجب من استكبارهم أي قوله: ﴿لقد استكبروا في أنفسهم﴾ [الفرقان: ٢١] جملة استئنافية قسمية تستدعي أن يتلقى بها من يبلغ في الإنكار كأنه لما قالوا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا حمل هذا القول السامع على أن يقول ما أشد استكبارهم وما أكبر عتوهم لأن هذه الجملة اشتملت على أمر يقتضي التعجب منه فلا يتمالك أن يتروك هذا القول عند قولهم ذلك فوضعت هذه الجملة موضع ما أشد استكبارهم وما أكبر عتوهم.

قوله: كقوله وجارة جساس البيت وجساس هو قاتل كليب وجارته بسوس وهي امرأة والناب ناقة بسوس وماها كليب فقتلها فشكت بسوس إلى جساس فقال لأقتلن غداً فحلاً هو أعظم من نافتك فيبلغ ذلك الخير كليباً فظن أنه قحله وكان جساس يعني بالفحل نفس كليب كذا ذكره الميداني أبانا أي قتلنا من البؤس وهو التساوي في القصاص وإبائته بقلان إذا قتلته به والبؤس في القود مهموز أي ما أغلى ناباً بواها كليب وحاصل المعنى أنا قتلنا كليباً الذي هو من الأشراف مكان ناقة بسوس التي قتلها هو وجعلناه كفواً لها في القتل فما أغسنى ناقة يكون كليب مع شرفه كفواً لها وجه الاستشهاد به أن قوله غلت ناب كليباً بواؤها جملة استئنافية واقعة لاشتمالها على أمر يتمتع به موقع فعل التعجب لأنها وضعت موضع ما أغلى ناباً بواها كليب كما أن قوله تعالى: ﴿لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً﴾ [الفرقان: ٢١] جملة مستأنفة وضعت من حيث إنها مشتملة لما يتمتع به موقع ما أشد استكبارهم وما أكبر عتوهم.

كقوله أي قول المهلهل وجساس لقب مرة بن ذهل الشيباني قاتل كليب وجارته هي البسوس بنت منقل التميمية وهي خالة جساس قوله^(١) أبأنا أي قتلنا من الأبياء افعال من البوء وهو المماثلة والمساواة يقال أباء القاتل بالقتل إذا قتله به قصاصاً والتاب الناقة المسنة وقوله غلت بالمعجمة أي ما أغلاها إذا قتل فيها كليب وهو محل الاستشهاد قيل وفيه بحث لأن ما ذكره في النظم مسلم لأنه كقولك لمن جنى جناية فعلت كذا وكذا استعظماً وتعجب منه ومثله كثير في الألسنة لكن البيت ليس من هذا القبيل لأن الثلاثي المحول إلى فعل لفظاً أو تقديرأ موضوع للتعجب كما صرح به النحاة انتهى قول الزمخشري^(٢) وفي أسلوبها قول القاتل وجارة جساس الخ إشارة إلى الفرق بينهما.



قوله تعالى: يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَبْرًا مَّحْجُورًا

قوله: (ملائكة العذاب) قدمه لأنه المناسب للمقام لأنهم استكبروا وعتوا فهددوا به وقيل لأنه المناسب لقوله وقدمنا الآية.

قوله: (أو الموت)^(٣) أي ملائكة الموت وهم غير ملائكة العذاب لأنهم وإن عذبوهم وقت نزع أرواحهم فهم غيرهم لأن المراد عذاب الآخرة.

قوله: (ويوم نصب باذكر أو بما دل) نصب باذكر^(٤) على أنه مفعول به فهو اسم ظرف لا ظرف أو نصب على أنه مفعول فيه إن قدر المفعول به أي ذكر الحادث يوم كذا والمراد باليوم مطلق الوقت لا بياض النهار وفي قوله نصب إشارة إلى أنه معرب لا مبني وإن جاز البناء في مثله لإضافته إلى الجملة المبنية.

قوله: (فإنه بمعنى ييمنعون)^(٥) البشري^(٦) أو يعدمونها ويومئذ تكرير) فإنه بمعنى

قوله: فإنه بمعنى ييمنعون البشري أو يعدمونها أي فإن لا بشرى يومئذ للمجرمين بمعنى ييمنعون البشري على صيغة المبني للمفعول ويعدمونها على صيغة المبني للفاعل أي يفقدونها من عدم يعدم على وزن علم يعلم يقال عدمت الشيء بمعنى فقدته وإنما لم يجعل انتصابه بشري لأنه مصدر بتقدير أن مع الفعل وما في حيز أن لا يتقدمها فوجب أن يجعل عامل ذلك التصب فعلاً دل

(١) وهذا البيت يدل على قصة وهي أن كليلاً رمى الناقة المذكورة فقتلها فشكت الجارة إلى الجساس فقتل الجساس كليلاً.

(٢) فيه إعمال في البيان فليطلب من محله بالبرهان.

(٣) وفي بعض النسخ ملائكة الموت أو العذاب فتقدمه لأنهم طلبوا رؤية الملائكة فأخبر الله تعالى أنهم يرون الملائكة آخر حياتهم «وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون».

(٤) والجملة مستأنفة مسوقة لتهددهم.

(٥) ييمنعون بصيغة المعلوم فإن لا بشرى مقول الملائكة ويمنعون مدلوله فالفاعل هم الملائكة وكونه مجهولاً احتمال لكونه لازماً له ويقدر ويمنعون بعد الملائكة والمعنى يوم يرون الملائكة ينعونهم البشري قائلين لا بشرى يومئذ للمجرمين وإن جعل مجهولاً يقدر فوق يوم يرون.

(٦) وهذا بيان خبيثتهم بالمشافهة في أول الأمر ليدل على نهاية البأس.

يمنعون البشرى لأن كلمة النفي وهي لا تدل على ذلك فيوم متعلق بمنعون ولا يجوز تعلقه بالبشرى لكونه مصدرأ ولأجل كلمة لا فإن ما بعد لا لا يعمل فيما قبلها ولو قدر لا بشرى لتعلق اليوم به والزمخشري قدم كونه متعلقاً بما دل عليه والمص آخره وهو الظاهر المتداول في مثله ويومئذ تكرير فهو تأكيد للأول أو بدل منه^(١) ولذا قال تكرير ولم يقل تأكيد.

قوله: (أو خير) أي خير لئلا باعتبار متعلقه آخره مع أن الأول ناقشه أبو حيان لأنها مدفوعة وتعلقه بالبشرى وكونه خبرأ يوهم أن لهم البشرى في وقت غير ذلك الوقت لا سيما عند القائلين بالمفهوم وإشكال أبي حيان على الأول بأن عامله جميع عامل الأول فيلزم عمل ما قبل لا المبني معها اسمها فيما بعدها وأجيب بأن الجملة المنفية معمولة للقول المضمر الواقع حالاً من الملائكة معمول لبرون ويرون معمول اليوم فلا وما في حيزها من تنمة الظرف الأول من حيث إنه معمول لبعض ما حيزه فليست بأجنبية ولا مانع من أن يعمل ما قبله فيما بعده وبهذا ظهر الجواب عن القول بأن تقديم العامل مانع الصدارة مع أن كون لا لها الصدارة مطلقاً أو إذا مبني مع اسمها ليس بمسلم عند النحاة لأنها لكثرة دورها خرجت عن الصدارة كذا قيل.

قوله: (وللمجرمين تبين) أي اللام للتبيين^(٢) مثل لك في قوله: سقياً لك فهي متعلق بمحذوف لا بشرى حتى تكون معربة أو متعلق به وهو معرب وعدم تنوينه لألف التانيث وقد سبق أن ابن مالك قال ومثل هذا معرب لكنه انتزع تنوينه تشبيهاً بالمضاف.

قوله: (أو خير ثانٍ أو ظرف لما يتعلق به اللام) عطف على تكرير وأما قوله أو خير

عليه لا بشرى لأنفسه فيكون يومئذ بعده تكريراً للأول أو خير لا لنفي الجنس في لا بشرى تقديره لا بشرى حاصل يومئذ لهم فيكون يومئذ ظرفاً مستقراً في موضع خير لا وللمجرمين تبين لبيان من منع البشرى فاللام فيه كاللام في هيت لك في كونها للبيان أو هو خير ثانٍ للأول خبرها الأول يومئذ قوله أو ظرف لما يتعلق به اللام عطف على قوله تكرير يعني يومئذ تكرير للأول أو خير أو ظرف لما يتعلق به اللام الجارة في للمجرمين فالتقدير لا بشرى حاصل للمجرمين يومئذ فيومئذ منصوب على أنه مفعول فيه لمتعلق اللام وهو حاصل قوله أو بشرى عطف على ما في لما يتعلق به أي أو ظرف لبشرى على كونها متونة تقديراً لا مبنية مع لا لنفي الجنس فيكون إعرابه تقديرية لا محلياً ويكون هو عاملاً في يومئذ.

قوله: وللمجرمين إما عام يتناول حكمه حكمهم من طريق البرهان أي إما عام للكافرين وعصاة المؤمنين فيتناول حكم العام وهو سلب البشرى ومنعها حكم الجميع من طريق البرهان ولثبوته عليهم بالبيئة لإشعاره بأن سلب البشرى عنهم لجبرمتهم فورد على قاهر عمومه سؤال وهو أن عصاة المؤمنين لا يكون محكوماً عليهم بهذا الحكم فأجاب رحمه الله بأن قال ولا يلزم الخ.

(١) متعلق بما يتعلق به الأول.

(٢) وكذا قوله تعالى: ﴿هيت لك﴾ كأنه قيل هذا مقول للمجرمين أو كائن لهم.

ثاني فلعطف على تبين ففي كلامه نوع تعقيد قوله لما يتعلق به اللام أي لام المجرمين والمعنى لا بشرى كائنة للمجرمين يومئذ وتقديمه على عامله إما للاهتمام أو للحصر.

قوله: (أو لبشرى إن قدرت منونة غير مبنية مع لا فإنها لا تعمل) أو لبشرى أي أو متعلق للبشرى قوله فإنها أي المبنية مع لا لا تعمل فإنها لو عملت لكان اسم لا معرباً كما حقق في علم النحو ومنع الصرف للتأنيث اللازم فلذا قال إن قدرت منونة.

قوله: (وللمجرمين إما عام يتناول حكمه حكمهم من طريق البرهان) وللمجرمين إما عام للعصاة الذين يعتقدون لقاء تعالى والكفار الذين لا يرجون لقاء فيتناول حكمه أي حكم العام وهو سلب البشرى حكمهم أي حكم المعهودين وهم الذين لا يرجون لقاء تعالى من طريق البرهان بأن يقال الذين لا يرجون لقاءنا أكمل المجرمين فهم أولى بسلب البشرى عنهم إذ السبب لذلك الإجماع وهذا مما لا يحتاج إليه فإن سلب البشرى عنهم بعبارة النص إذ المجرمون لكونه محلي بلام الاستغراق عام للكافرين وما ذكره فيما ثبت^(١) بدلالة النص فلا تغفل.

قوله: (ولا يلزم من نفي البشرى لعامة المجرمين حيثئذ نفي البشرى بالعموم والشفاعة في وقت آخر) ولا يلزم من نفي البشرى جواب سؤال نشأ من القول بعموم المجرمين للعصاة من الموحدين وتقرير الجواب ظاهر قوله حيثئذ أي حين رؤية الملائكة وفيه إشارة إلى أن يومئذ متعلق بالبشرى وهذا وجه ضعيف بالعموم والشفاعة أي لمن لهما أهل وهو عصاة المسلمين ولظهوره لم يصرح به لأن النصوص قد دلت على عفو صاحب الكبيرة وثبوت الشفاعة لهم فحيثئذ يحصل لهم البشرى لهم وأما الكفار فلا عفو لهم ولا شفاعة فلا بشرى حيثئذ ولا في وقت آخر.

قوله: (وأما خاص وضع موضع ضميرهم) أي بالكفار السابق ذكرهم وهذا هو الراجح المتبادر أما أولاً فللمناسبة ليرى أن ضميره راجع إلى الكفار وكذا ضمير يقولون وأما ثانياً فلأن المجرم شائع استعماله في الكافرين في النظم الجليل كما يشهد به الاستقراء وأما ثالثاً فلأن الاستغناء عن الاعتذار المذكور مستحسن والقول بأن هذا خلاف مقتضى الظاهر معارض بأن هذا مطابق لمقتضى الحال^(٢) كما ذكره وضع موضع ضميرهم الخ.

قوله: وإما خاص أي وإما خاص بالكفرة لا يدخل فيه عصاة المؤمنين فالظاهر حيثئذ أن يقال لا بشرى يومئذ لهم لأنه موضع ضمير لكن وضع الاسم الظاهر وهو المجرمين موضع ضميرهم تسجيلاً على جرهم وإشعاراً بما هو المانع للبشرى وهو جرهم الموجب بما يقابل البشرى وهو النفي بالعذاب.

(١) كحرمة ضرب الوالدين وشتمهما فإنها ثبت من طريق البرهان بقوله تعالى: ﴿فلا تقل لهما أف﴾ الآية وما نحن فيه ليس كذلك.

(٢) وهو راجع على مقتضى الظاهر.

قوله: (تسجيلاً على جرمهم وإشعاراً بما هو المانع للبشرى والموجب لما يقابلها) بما هو المانع للبشرى وهو الجرم بمعنى الكفر وفيه اعتراف بأن الجرم غير الكفر غير مانع للبشرى وإلا فلا يتم الإشعار المذكور وقوله والموجب لما يقابلها كالصريح لما ذكرناه لأنه منتظم للجرم الذي هو كفر فلا يدرى وجه تعرض الاحتمال الأول فضلاً عن تقديمه.

قوله: (عطف على المدلول أي ويقول الكفرة حينئذ) عطف على المدلول أي المفهوم من سوق الكلام والمعنى يشاهد الكفرة أهوال القيامة ويقنطون من البشرى ويقولون ومعنى حينئذ أي حين قيام الساعة أو حين رؤية الملائكة ولم يجعل معطوفاً على يرون لأن هذا القول وقته غير وقت رؤيتهم الملائكة كما عرفته والعطف يقتضي كون يقولون مضافاً إليه لليوم بوجوب اتحاد زمانهما وأما فصل لا بشرى بينهما فلا يضر لأنها ليست بأجنبة كما سبق.

قوله: (هذه الكلمة استعانة وطلباً من الله تعالى أن يمنع لقاءهم) استعانة الخ أشار به إلى أن هذه الكلمة يضعونها موضع الاستعانة ذكر سيبويه في باب المصادر الغير المتصرفة المنصوبة بأفعال متروكة إظهارها نحو معاذ الله كما في الكشف.

قوله: (وهي بما كانوا يقولون عند لقاء عدو أو هجوم مكروه) وهي أي هذه الكلمة وهي «حجراً محجوراً» مما كان يقولون الخ أي في الدنيا وكذلك يقولون في الآخرة لهجوم مكروه وهذه عادة العرب قال أبو علي الفارسي مما كانت العرب تستعمله لكن في الآخرة يقول الكفار كلهم وذكر محجوراً للتأكيد كشعر شاعر.

قوله: (أو تقولها الملائكة بمعنى حراماً محرماً عليكم الجنة أو البشرى) أو تقولها الملائكة فحينئذ يكون المعنى غير ما ذكر وعن هذا قال بمعنى حراماً محرماً فأشار إلى أن لها معنيين أحدهما ما ذكر أولاً وهو الشائع المتعارف عند العرب وقت الاستعانة لأن المستعبد طلب من الله تعالى أن يمنع المكروه فلا يلحقه وكان المعنى أسأل الله تعالى أن يمنع ذلك منعاً ويحجره حجراً وثانيهما^(١) بمعنى حراماً محرماً الجنة مثلاً إذ المعنى الأول لا يناسب كونه مقول الملائكة كما أن الثاني لا يصح كونه مقول الكفرة لكن على الثاني ضمير يقولون راجع إلى الملائكة فقيه حينئذ تكفيك^(٢) الضمير ولذا أخره.

قوله: (وقرى حجراً بالضم وأصله الفتح غير أنه لما اختص) وقرى حجراً بالضم

قوله: وأصله الفتح غير أنه لما اختص بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك ولذلك لا يتصرف فيه أي أصل حجر الفتح لأنه من حجره حجراً بمعنى منه فلما اختص بموضع كموضع خرف واستعانة تصرفوا فيه بالكسر والضم وذلك أن حجراً محجوراً إنما يقال عند لقاء عدو أو

(١) والظاهر أنه معطوف كما في الوجه الأول على يمعنون بصيغة المعلوم وقيل حال على تقديرهم أي وهم يقولون وجوز كونه حالاً في الوجه الأول أيضاً.

(٢) إلا أن يقال إنه عطف على يمعنون فلا تكفيك.

قراءة شاذة وهي قراءة الحسن والضحاك وأبو وجاه وقرئ بالفتح أيضاً كما حكاه أبو البقاء كما هو أصله حيث قال وأصله الفتح الخ .

قوله: (بموضع مخصوص) أي بالاستعاذة حين قاله الكفرة ومن لقي عدوه وبالحرمان وقت قاله الملائكة ومثلهم غير من الفتح إلى الكسر كما في القراءة المتواترة وإلى الضم كما في الشاذة ليوافق اللفظ المعنى في التغير أيها ما بأنه لفظ آخر لكن هذه علة مصححة لا موجبة ولهذا قرئ بالفتح على الأصل وعامة المقولات باقية على حالها .

قوله: (كقعدك وعمرك) قعدك بفتح الكاف وحكى كسرهما المازني وأنكره الأزهرى ولهذا لم يتعرض له المص والعين ساكنة يقال قعدك الله ينصب الاسم الشريف وقعدك منصوب على المصدرية وأصل معناه حفيظك الله ثم نقل إلى القسم فقيل قعدك الله لفعلت أو لا أفعل كذا وعمرك الله بفتح العين وضمها والراء منصوب على المصدرية ثم اختص بالقسم والتمثيل للاختصاص والتغيير أيضاً أما الاختصاص فقد ظهر مما ذكرنا في حل معناه وأما التغيير فلأن أصله إقعاد الله وتعميره أي إدامته لك فغير معناه للقسم ولفظه إلى ما ذكر كذا قيل فالتغيير فيهما في هيئة الكلمة وفيما مر في الحركة .

قوله: (ولذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه) ولذلك أي للزوم النصب لا يتصرف فيه بالرفع والجر والمصادر الغير المتصرفة هي التي لا يستعمل إلا منصوباً بأو الظرف الغير المنصرف هو الذي يلزم الظرفية وهذا مجموع حجراً محجوراً لا حجراً فقط .

قوله: (ووصفه بمحجوراً للتأكيد كقولهم موت مائت) يعني أنه اشتق له من لفظه اسم مفعول صفة له للتأكيد في الاستعاذة أو في المنع والحرمان وجه التأكيد هو أن المنع

هجوم نازلة فإنه هكذا عبارة عن استعاذة فلذلك تصرفوا فيه بالكسر والضم فقوله ولذلك لا يتصرف معناه لا يتصرف فيه بالفتح كقعدك بكسر القاف ونصب الدال يقال قعدك الله لأنتيك وهو يعين العرب والمعنى يصاحبك الذي هو صاحب كل نجوى كما يقال نشدتك الله وعمرك الله معناه بتعميرك أي أي بإقرارك له بالبقاء تصرفوا فيهما حيث كسروا القاف في قعدك وهو في الأصل مفتوح وفتحوا العين في عمرك وهو في الأصل مضموم كذا قال بعض شراح الكشاف قال الزمخشري ذكره سيبويه في باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة بأفعال مضمرة ترك أفعالها نحو معاذ الله وقعدك وعمرك وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو أو نزول حادثة أو نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة وقال سيبويه ويقول الرجل للرجل انفعلك كذا وكذا فيقول حجراً أي منعاً لأن المستعذ طالب من الله أن يمنع المكروه فلا يلحقه فكان المعنى أسأل الله أن يمنع ذلك منعاً ويحجره حجراً .

قوله: (ووصفه بمحجوراً للتأكيد أي لتأكيد معنى الحجر كما قالوا ذيل ذائل والذليل الهوان والمعنى في الآية أنهم يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه وهم إذا رأوه عند الموت أو يوم القيامة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لأن الملائكة لا يلقونهم إلا بما يكرهون وقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو الموتور والشدة النازلة .

بلغ نهايته حتى صار محجوراً أي ذي حجر على أن الصبغة للنسبة أو على الإستناد المجازي وهو المشهور عند أرباب المعاني.

قوله تعالى: وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبْأَلًا مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾

قوله: (من عمل) أي من عمل صالح^(١) بقرينة قوله تعالى: ﴿فجعلناه هباء منثوراً﴾ [الفرقان: ٢٣] إذ الكلام مسوق لخسرانهم في تجارتهم فلا ريب في حسن بيان ﴿ما عملوا من عمل﴾ وإلى ذلك أشار المص بقوله من مكارمهم الخ.

قوله: (أي وعمدنا إلى ما عملوا في كفرهم من مكارمهم كقري الضيف وصله الرحم وإغاثة الملهوف فأحبطناه لفقد ما هو شرط اعتباره وهو تشبيه حالهم وأعمالهم بحال قوم استعصوا سلطانهم فقدم لي أشياءهم فمزقها وأبطلها ولم يبق لها أثر والهباء غبار يرى في شعاع الشمس تطلع من الكوة من الهبوة وهي الغبار) أي وعمدنا إلى ما عملوا هذا التفسير منقول عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كما في شروح الكشاف نبه أولاً على أن القدوم مجاز عن القصد إذ القدوم إنما هو بالقصد فهو مجاز مرسل بعلاقة السببية والمسببية ثم أشار إلى أنه استعارة تمثيلية وقد قرر في موضعه أن مفردات الاستعارة التمثيلية باقية على حالها فقوله وهو تشبيه حالهم ليس^(٢) وجهاً آخر حتى يقال إنه خلط بين المعنيين بل حمل المص على معنى واحد وهو استعارة تمثيلية بعض مفردة وهو القدوم مجاز عن القصد كما مر وإنما حمل الكلام على الاستعارة التمثيلية مع أن المعنى يصح بدون اعتبارها لأن فيه مبالغة عظيمة وبراعة جسيمة وتوضيحه أنه شبه الهيئة المنتزعة من الكفار وأعمالهم الصالحة في أنفسهم وعدم قبولها لفقد شرطه وهو الإيمان بالهيئة المنتزعة من قوم استعصوا سلطاناً ومع ذلك فعلوا أشياء زعماً منهم أنهم بسببها تقربوا إلى السلطان فقدم السلطان القاهر بنفسه قاصداً إلى أشياءهم فمزقها وأبطلها بحيث لم يبق لها أثر فذكر اللفظ المركب

قوله: فأحبطناه لفقد ما هو شرط اعتباره وهو الإيمان فإن سائر الأعمال الصالحة عند عدمه لا يعتد بها ولا ثمره لها لأنها لا أساس لها.

قوله: وهو تشبيه حالهم وأعمالهم الخ يعني قوله عز من قائل: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً﴾ [الفرقان: ٢٣] من قبيل الاستعارة التمثيلية إذ ليس ههنا قدوم حقيقة ولكن مثلت حال هؤلاء الكفرة ومستحسناً أعمالهم التي عملوها في كفرهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم السلطان إلى أسباب معاشهم وعمد إلى ما هو تحت تصرفهم فأفسدها رأساً ولم يبق منها أثر أو لا اعتباراً فاستعمل في الحال الأولى المشبهة من الكلام ما شأنه أن يستعمل في الحال الثانية المشبهة من الكلام بها.

(١) فلا إشكال بأنه بيان نفسه بحسب الظاهر وهذا أولى من القول بأن صحة البيان باعتبار التنوين لأنه للتعظيم وماله ما ذكرنا أي الخير.

(٢) أي ليس هنا قدوم ولا ما يشبه القدوم ولكن مثلت حال هؤلاء.

الموضوع للمشي به وأريد المشيه قوله شبه عملهم المحيط الخ لا يتنافي كون الكلام استعارة تمثيلية لما عرفته من أن مفردات الاستعارة التمثيلية باقية على حالها^(١) سواء كانت حقائق كلها أو مجازاً كلها أو بعضها حقيقة وبعضها مجاز وفي التشبيه المشيه به حقيقة فلا يتنافي ذلك التشبيه الاستعارة التمثيلية قوله لفقد ما هو شرط اعتباره وهو الإيمان فيجئ في الأولى أن يقال في المشيه به بحال قوم أظهروا الانقياد إلى السلطان بأنواع التحف فأبطل الملك ولم يقبلها لفقد شرطه وهو الإطاعة باطلاً وفي نفس الأمر كما أشرنا إليه في تقرير الاستعارة التمثيلية فتدبر قوله في كفرهم أي في حال كفرهم وأما العمل الصالح الذي عمله بعد الإيمان إن آمن فهو مقبول عندهم هذا مراده من هذا القيد لكن لا حاجة إليه والإغاة بالغين المعجمة والثاء المثلثة أو بالعين المهملة والتون كلاهما بمعنى واحد والمهلوف بمعنى المظلوم قوله فقدم إلى أشياءهم جمع شيء وهو الصحيح وفي نسخة أسبابهم بمهملة ويموحدين جمع سبب.

قوله: (ومتشوراً صفته شبه به عملهم المحيط في حقارته وعدم نفعه ثم بالمتشور منه في انتشاره بحيث لا يمكن نظمه) ومتشوراً صفته أي صفة احترازية عن الهباء الغير المتشور لأنه به ثم التشبيه فيكون كقوله تعالى: ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح﴾ [إبراهيم: ١٨] الآية فإن المقصود المبالغة في حبوطة وعدم رؤيتهم له أثر ثواب وذلك إنما يفهم بوصف الهباء بالمتشور فهو تنميص للهباء المشيه به إذ لم يكتف بجعله في تفرقه الهباء حتى يبين أنه جعله متشوراً.

قوله: (أو تفرقه نحو أغراضهم التي كانوا يتوجهون به نحوها) أو تفرقه عطف على

قوله: شبه به عملهم المحيط في حقارته وعدم نفعه بالمتشور من الهواء في انتشاره بحيث لا يمكن نظمه أقول لا يلزم أن يصار إلى التشبيه في مفردات الاستعارة التمثيلية عند محقق علم البيان كما قال صاحب الكشف وفي تفسير قوله: ﴿يل يدا مبسوطتان﴾ [المائدة: ٦٤] وتمحل التشبيه من ضيق العطن والمسافرة عن علم البيان مسيرة أعوام ولذا قال في تفسير هذه الآية وليس ههنا قدوم ولا ما يشبه القدوم ولكن مثلت حال هؤلاء بحال قوم خالفوا سلطانهم قوله أو تفرقه بالجر عطف على قوله في انتشاره أي ثم شبه عملهم المحيط بالمتشور من الغبار في كونه منتشرأ غير مضبوط أو في كونه متفرقاً نحو أغراضهم التي يتوجهون به نحو تلك الاغراض أي ثم شبه ما يعدونهم عملاً صالحاً في أن لا يكون خالصاً لوجه الله بل لغرض آخر دنيوي بالمتشور من الغبار الذي إذا حركته الريح تاتر وذهب كل مذهب.

(١) وقد عرفت أن بعض مفرداتها قد يكون حقيقة وقد يكون مجازاً فمن ادعى عدم جواز التشبيه في الاستعارة التمثيلية فعليه البيان وكفى بنا إشارة صاحب الكشف إلى ما ذكرناه حيث قال ليس هنا قدوم ولا ما يشبه القدوم لكن مثلت حال هؤلاء وأعمالهم الخ ثم قال شبه بالهباء في قلته وحقارته الخ فاستفدنا من ذلك البيان أن مفردات الاستعارة التمثيلية قد يكون مشبهاً به ومشبهاً قبل الاستعارة كما يكون مجازاً قبلها فاحفظ.

انتشاره نحو أغراضهم أي جانبها التي الخ والفرق بينهما هو على الأول لا يمكن جمعه فإنك ترى الهباء منتظماً مع الضوء فإذا حركته الريح رأيت قد تناثر وعلى الثاني هو إجراء له على حاله وجزءاً من جنس العمل لأن أغراضهم متفرقة في أعمالهم السيئة فمعناها حينئذ جعلنا عملهم متفرقاً نحو أغراضهم من حيث الخلق كذا فهم من تقرير البعض والحاصل أن ثمرة الانتشار عدم نظمه وثمرته التفرق^(١) ليس عدم^(٢) النظم أي لا يلاحظ فيه ذلك وإن كان متحققاً بل التفرق إلى جانب أغراضهم وبملاحظة الثمرة عطف بأو الفاصلة وإن كان الانتشار والتفرق مجتمعان.

قوله: (أو مفعول ثالث من حيث إنه كالخبر بعد الخبر كقوله: ﴿كونوا قردة خاسئين﴾ [البقرة: ٦٥]) أو مفعول ثالث أي مفعول ثانٍ آخر ذكر بعد مفعول ثانٍ فهو مفعول ثالث باعتبار التعدد نبه عليه بقوله من حيث إنه كالخبر بعد الخبر أي جامعاً لحقارة الهباء والتناثر كما أن قوله تعالى: ﴿كونوا قردة خاسئين﴾ [البقرة: ٦٥] معناه جامعين للخسوة والمسخ.

قوله تعالى: أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾

قوله: (مكاناً يستقر فيه في أكثر الأوقات للتجالس والتحدث) أشار أولاً إلى أن المستقر اسم مكان وسيجيء احتمال آخر ولما كان المكان كله مستقراً لا سيما أن الجنة كلها مستقر أشار إلى فائدة ذلك الخبر بقوله في أكثر الأوقات للتجالس الخ أي المراد أنه

قوله: أو مفعول ثالث عطف على قوله صفته والمعنى ومتنوراً صفة الهباء أو مفعول ثالث لجعلنا من حيث إنه كالخبر بعد الخبر فإن المفاعيل الثانية أو الثالثة في باب أفعال القلوب بمنزلة الإخبار للمبتدأ إذ هي من دواخل المبتدأ والخبر وجعل وإن كان متعدياً إلى مفعولين لا إلى المفاعيل لكن لما كان متنوراً بمنزلة الخبر بعد الخبر كان كأنه مفعوله الآخر غير الأولين وهو وإن كان بهذا الاعتبار بمنزلة المفعول الثاني لكن لوقوعه في المرتبة الثالثة في الذكر وكون معناه غير معنى المفعول الثاني ومقصود الآيات الأولى قال رحمه الله أو مفعول ثالث فالمعنى فجعلناه جامعاً لحقارة الهباء والتناثر كقوله تعالى: ﴿كونوا قردة خاسئين﴾ [الأعراف: ١٦٦] جامعين للمسخ والخسوة فيكون مثل قولك هذا حلو حامض أي جامع لهذين الطعمين وبهذا الاعتبار يمكن أن يكون لكل فعل من أفعال القلوب مفاعيل كثيرة غير الثاني والثالث مثل علمت زيدا عاقلاً فاضلاً كاملاً كاتباً شاعراً إلى غير ذلك.

قوله: مكاناً يستقر فيه في أكثر الأوقات وإنما حمل مستقراً على هذا المعنى والجنة مستقرهم أبداً ومقامهم ليصح حمل مقيلاً على معنى مكان الخلوة للاسترواح إلى أزواجهم ليجمع بين حالتي التعظيم والشرف ويكون من باب التكميل.

(١) ووجه الشبه لا بد وأن يكون مشتركاً بينهما والتفرق نحو الأغراض الخ غير متحقق في المشبه به فتنبير.

(٢) وأيضاً قيد في هذا يكون التفرق نحو أغراضهم الخ بخلاف الأول.

موضع استقرار لتحادث أهل الجنة لا مطلقاً وقيد بالأكثر احتراز عن كونه مقيداً ونبه على أن اجتماعهم للتحادث في أكثر الأوقات بخلاف استراحتهم بالأزواج لكن النظم لا يدل عليه بل هو مستفاد من الخارج قال الزمخشري كما أن المترفين في الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب.

قوله : (مكاناً يؤوى إليه للاسترواح بالأزواج والتمتع بهن تجوز له من مكان القيلولة) مكاناً الخ مقيداً أيضاً اسم مكان قوله يؤوى إليه بناء على ما سبق من أن المراد بالأول أكثر الأوقات فلا جرم أن المراد بالثاني أقل الأوقات وعن هذا قال هنا يؤوى إليه مع أنه موضع استقرار أيضاً للاسترواح استفعال من الراحة والتمتع أي التمتع بالأزواج فيكون تفسيراً له أو التمتع بها وبغيرهن من أنواع النعم فيكون عطف العام على الخاص.

قوله : (على التشبيه) أي شبه مكان الاستراحة والتمتع في الجنة بمكان القيلولة في الدنيا والجامع كون كل منهما محل استراحة فهو استعارة بديعية.

قوله : (أو لأنه لا يخلو من ذلك غالباً إذ لا نوم في الجنة) عطف على التشبيه بحسب المعنى تجوز له للتشبيه أو لأنه^(١) لا يخلو فيكون مجازاً مرسلأ ذكر اسم المقيد وهو مكان

قوله : تجوزاً من مكان القيلولة على التشبيه وإنما لم يحمله على الحقيقة إذ لا نوم في الجنة فلا قيلولة.

قوله : أو لأنه لا يخلو من ذلك غالباً هو عطف على قوله تجوزاً أي أو لأن ذلك المكان لا يخلو من القيلولة التي هي بمعنى الاستراحة نصف النهار غالباً هذا الوجه مبني على أن يكون القيلولة حقيقة في معنى الاستراحة نصف النهار لا بمعنى النوم حتى يصح عطفه على تجوزاً قال الأزهرى القيلولة والمقيل الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن مع ذلك نوم لأن الله تعالى قال ﴿وأحسن مقيلاً﴾ والجنة لا نوم فيها إلى هنا كلام الأزهرى فالحاصل أن المقيل هنا إما حقيقة في معناه أو مجاز فإذا كان حقيقة يراد به مكان الاستراحة نصف النهار لا مكان النوم وإذا كان مجازاً يراد به مكان استرواح أهل الجنة بأزواجهم على وجه المجاز المستعار تشبيهاً لمكان استرواحهم ذلك بمكان النوم وعلى كلا الوجهين لا يراد به مكان النوم وهذا هو معنى قوله رحمه الله بعد ذكر الوجهين إذ لا نوم في الجنة وعلى كونه مجازاً مستعاراً لمكان القيلولة يكون وصفه بالحسن إرادة الحسن ساكنه على طريق الكناية الرمزية فحينئذ لا يكون أحسن أفعل التفضيل بل يكون صفة مشبهة وقال الإمام إنه تعالى لما بين حال الكفار في الخسار الكلي والخيبة الشانية شرع في وصف أهل الجنة بأن مستقرهم خير من مستقر أهل النار على نحو العسل أحلى من الخل هذا أوفق لتأليف النظم ولقول ابن مسعود لا يتصف النهار من يوم القيامة حتى يقل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار فيقبل في قول ابن مسعود مشتق من القائلة بمعنى الظهيرة أي يدخل أهل الجنة الجنة في وقت الظهيرة وأهل النار النار في ذلك الوقت لا من القيلولة بمعنى النوم ولا بمعنى الاستراحة.

(١) أو لأنه لا يخلو يعني اطلق المقيل وأريد به مكان الاسترواح مطلقاً سواء وقعت القيلولة فيه أم لا بطريق التغليب كذا قيل.

الاستراحة بالقبيلولة وأريد مكان الاستراحة مطلقاً ثم أريد مكان الاستراحة بغير القبيلولة والنوم فيكون مجازاً بمرتبنتين وهكذا في كل مقيد ذكر وأريد به مقيد آخر إذ لا نوم الخ تعليل للقول بالتجاوز دون الحقيقة فإن النوم لإزالة التعب والفنور وهما ليسا في الجنة.

قوله: (وفي أحسن رمز إلى ما يترزين به مقيلهم من حسن الصور وغيره من المحاسن ويحتمل أن يراد بأحدهما المصدر أو الزمان إشارة إلى أن مكانهم وزمانهم^(١)) أطيب ما يتخيل من الأمانة والأزمنة) وفي أحسن رمز الخ أي أحسنه ليس باعتبار ذاته فقط بل في الخارج أيضاً وهو يترزين به مقيلهم فيكون حسناً عارضياً مستفاداً من الخارج قيل لأن حسن المنزل إن لم يكن باعتبار ما يرجع لصاحبه لا تتم المسرة والظاهر أن حسن المنزل لا يكون بذاته فقط بل باعتبار ما يرجع لصاحبه فقول المص ليس للاحتراز بل لبيان الواقع إذ حسنه باعتبار نفسه بلا رجوع إلى صاحبه أي بدون انتفاع صاحبه غير متصور أو غير مفيد ولخفائه بنوع الخفاء قال رمز^(٢) الخ وسكت عن بيان خير والظاهر أن فيه رمزاً إلى مثل هذا فإن الخيرية تستلزم الأحسنية واختيار الخير في الأول والأحسن في الثاني لمجرد التفنن إذ كل منهما مستلزم للآخر فإن المراد بالحسن هنا ملائمة الطبع وموافقة الغرض.

قوله: (والتفضيل إما لإرادة الزيادة مطلقاً أو بالإضافة إلى ما للمترفين في الدنيا) والتفضيل إما لإرادة الزيادة^(٣) مطلقاً أي من غير ملاحظة زيادته على غيره فيكون مجازاً لاستعماله في جزء معناه أو استعمال المقيد في المطلق أو بالإضافة الخ لا بالإضافة إلى ما في جهنم فيكون حقيقة أخرى مع كونه حقيقة لأنه خلاف الظاهر ولك أن تقول إن هذا من قبيل الصيف أحر من الشتاء أي أحسنه وخيرته أبلغ من سوء مستقر أهل جهنم وشرته فحينئذ يلائم قوله يومئذ إذ المتبادر وجود المفضل عليه في ذلك اليوم وإن لم يلزم.

قوله: (روي أنه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقبل أهل الجنة في الجنة

قوله: ويحتمل أن يراد بأحدهما المصدر أو الزمان إشارة إلى أن مكانهم وزمانهم أطيب ما يتخيل من الأمانة والأزمان أي يحتمل أن يراد بمستقر الاستقرار أو زمان الاستقرار وبمقيلاً المكان ويراد بمقيلاً القبيلولة أو زمان القبيلولة وبمستقراً مكان الاستقرار إشارة إلى أن زمان أهل الجنة ومكانهم أطيب ما يتخيل من الأزمنة والأمكنة وكلامه هذا مأخوذ مما قاله الإمام في التفسير الكبير وهذا مبني على أن يكون المضاف محذوفاً عند إرادة المصدر فإن أريد بمستقر المصدر يكون التقدير أصحاب الجنة خير زمان استقرار كما قدر الزمان في آتيك حقوق النجم ومعناه وقت حقوق النجم وإن أريد بمقيلاً المصدر يكون التقدير وأحسن زمان قبيلولة وإلا لا يفيد الكلام ذلك المعنى المشار إليه على تقدير أن يراد بأحدهما المصدر.

(١) الأولى وأعمالهم بعد زمانهم.

(٢) والرمز المذكور بملاحظة المادة والهيئة.

(٣) وكذا الكلام في قوله وأطيب ما يتخيل الخ.

وأهل النار في النار) هذا الحديث أخرجه الحاكم وصححه كما قيل قوله يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم قال المص في تفسير قوله تعالى: ﴿وهو أسرع الحاسبين﴾ [الأنعام: ٦٢] بحاسب الخلاق في مقدار حلبة شاة لا يشغله حساب عن حساب انتهى ولا بد من التوفيق بينهما فلا تغفل^(١) قيل ويفهم منه وجه آخر وهو كون المراد بالمستقر موضع الحساب وبالمقيل محل الاستراحة بعد الفراغ منه ومعنى يقيلون ينقلون إليها وقت القيلولة أو يقيلون في معناه وبالنظر إلى الكفار للتهكم إذ النقل وقت القيلولة لا يلائم قوله في نصف ذلك اليوم ثم كون المراد بالمستقر موضع الحساب لا يلائم أصحاب الجنة خير مستقراً فالأحسن كونه من تنمة الوجه الأول لا وجه مغاير له.

قوله تعالى: وَيَوْمَ تَشْهَقُ السَّمَاءُ دُخَانًا وَيَوْمَ تَكُونُ الْمَلَائِكَةُ أَتْرَابًا ﴿٢٥﴾

قوله: ﴿ويوم تشق السماء﴾ [الفرقان: ٢٥] أصله تشق فحذف التاء وأدغمها ابن كثير ونافع وابن عامر ويعقوب ﴿ويوم تشق﴾ الآية منصوب بذكر أو يتفرد الله بالملك بقرينة ما بعده واليوم عبارة عن وقت متسع لكثير من الأشياء ولذا قيل إنه معطوف على يومئذ أو يوم يرون إذ المراد بها زمان متسع.

قوله: (بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام المذكور في قوله تعالى: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة﴾ [البقرة: ٢١٠]) بسبب طلوع الغمام أي الباء للسيبية كالباء في قوله السماء منفطر به وتقدير الطلوع إذ التشقق بسبب الطلوع فهو إما إشارة إلى تقدير المضاف أو بيان حاصل المعنى وفي الكشف ولما كان انشفاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كأنه تشق به السماء والمراد بالغمام ستره بين السماء والأرض قاله الحسن كما قاله الإمام وذلك الغمام مقر الملائكة إذ الأرض لا تتسع لكل الملائكة والسماء هنا عامة للسموات السبع بل الكرسي والعرش والعرش فملائكة الكرسي والعرش ينزلون أيضاً وقيل المراد بالغمام ضباب يخرج منها إذا انشقت وفيه ملائكة ينزلون وفي أيديهم صحائف الأعمال وهذا هو المناسب لقول المص وهو الغمام المذكور في قوله تعالى الخ ولعل هذا إشارة إلى معنى آخر غير ما ذكره هناك فإن المراد بالغمام السحاب الأبيض مظنة الرحمة وإتيان العذاب منه كان أقطع والمراد بنزل الملائكة هم الآتون بآس

قوله: بسبب طلوع الغمام منها الباء التسيبية وهنا مستعملة على طريق المجاز فإن الغمام نفسه ليس سبباً لتشقق السماء لكن لما كان انشفاق السماء بسبب طلوع الغمام جعل الغمام كأنه تشق به السماء قال أبو علي قيل معناه بسبب الغمام ولما كان طلوعه سبباً لتشققها جعل الغمام كأنه الذي يشق به السماء أو معناه يشق السماء وعليها غمام كما يقال ركب الأمير بسلاحه وخرج بتيابه أي وعليه سلاحه وتيابه.

(١) ودفعه إما بأن يراد بنصف اليوم وقت قليل كتابة أو لفظة في يقيد البعضية أو أوحى إليه مقدار حلبة الخ وثانياً في نصف ذلك اليوم فيحصل التوفيق بذلك.

الله تعالى وعذابه وهذا غير ما ذكر هنا وما في الكشف وفي معناه قوله تعالى: ﴿يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠] الآية أحسن من بيان المص إذ نزول الملائكة للعذاب غير النزول وفي أيديهم صحائف الأعمال قال الزمخشري والمعنى أن السماء تفتح بغمام يخرج منها وفي الغمام الملائكة ينزلون وفي أيديهم صحائف الأعمال وروي تنشق سماء سماء وتنزل الملائكة إلى الأرض انتهى وهذا غير ما نقل عن الحسن رحمه الله تعالى ولعل الأرض تكون حينئذ متسعة بحيث تسع جميع الملائكة والعلم عند الله تعالى ثم جوز أن يكون الباء للملابسة أو للالة وقبل بمعنى عن لكن فرق في الكشف بينهما فلا يحسن كونه بمعنى عن.

قوله: (في ذلك الغمام بصحائف أعمال العباد وقرأ ابن كثير ونزل الملائكة) وقرأ ابن كثير ونزل بنونين من الأفعال وكذلك كتب في المصحف المكي وباقي المصاحف كتب بنون واحدة.

قوله: (وقرىء ونزلت وأنزل ونزل ونزل الملائكة ونزل يحذف نون الكلمة) وقرىء ونزلت ماض مجهول من التفعيل وأنزل ماض مجهول من الأفعال ونزل الملائكة ماض مجهول من الثلاثي وأشكل فيه بأن الثلاثي لم يسمع تعديته قال ابن جني فإما أن تكون لغة نادرة أو يكون أصله نزل نزول الملائكة فحذف المضاف ونزل الملائكة بنون مضمومة والتشديد وضم اللام على أنه مضارع من التفعيل حذف فاؤه على خلاف القياس هذا قراءة بنون وأما القراءة بنونين على أنه مضارع من الأفعال.



قوله تعالى: أَلَمْ لِكْ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابًا

قوله: (الثابت له لأن كل ملك يبطل يومئذ ولا يبقى إلا ملكه)^(١) الثابت له فالحق صفة مشبهة من حق يحق إذا ثبت واللام في الملك لإفادة الفصر قوله لأن كل ملك الخ إشارة إلى الحصر والملك هنا بمعنى المالكية أو بمعنى الملكية وما ذكره المص في سورة الفاتحة من الفرق بين الملك بكسر الميم والملك بضم الميم ليس بكلي.

قوله: وقرأ ابن كثير ننزل على صيغة الحكاية المبينة للفاعل من الإنزال وقرىء ننزل على المبني للفاعل من التنزيل على صيغة الحكاية أيضاً ونزل الملائكة على صيغة المضى المبينة للفاعل من التنزيل وقرأ ابن كثير أنزلت على صيغة المفعول من الإنزال ونزلت على صيغة المفعول من التنزيل ونزل الملائكة من الثلاثي على صيغة المضى المبينة للفاعل وأنزل على صيغة التكلم من الإنزال ونزل بضم النون وكسر الزاي المشددة والرفع أصله ننزل فحذفت نون الكلمة وهي فاء فعلها لاجتماع المثليين كما حذف إحدى التامين في ﴿تنزيل الملائكة﴾ [القدر: ٤] لذلك فهذه ثمان قراءات.

(١) قوله تعالى قيد به يومئذ لأنه لا مالك ولا ملك يومئذ لا صورة ولا حقيقة بخلاف الدنيا.

قوله: (فهو الخير والرحمن صلته أو تبين يومئذ معمول الملك لا الحق) وللرحمن صلته لكونه صفة مشبهة عاملة أو تبين فحينئذ يتعلق بمحذوف لا صلة له كما تقدم في قوله للمجرمين والمعنى حينئذ هذا كائن للرحمن أو مقول للرحمن ولم يجعل صلة للملك للفصل بينهما.

قوله: (لأنه متأخر أو صفة والخير يومئذ أو للرحمن) لأنه متأخر أي مصدر متأخر وهذا عجب منه لأنه فسر الحق بالثابت فهو صفة لا مصدر إلا أن يقال إنه مصدر بمعنى الصفة فحينئذ يجوز عمله متأخراً مع أن المصدر المتأخر عدم عمله في الظرف مما يناقش فيه فالأولى أن يقال المقدم ما دام صحيح العمل لا يصار إلى عاملية المتأخر ومعنى يومئذ أي «يوم تشق السماء» [ق: ٤٤] وقد عرفت أنه عبارة عن الزمان المتسع.

قوله: (شديداً) لشدة ما فيه من الهول الشديد وصف اليوم بما فيه مجازاً للمبالغة أي عسير من كل وجه ولذا أكد في سورة المدثر بقوله: «على الكافرين غير يسير» [المدثر: ١٠] أي يمنع هذا التأكيد أن يكون عسيراً من وجه دون وجه وهذا الكلام يشعر عدم عسره على المؤمنين لا سيما على الكاملين منهم.



قوله تعالى: وَيَوْمَ يَبْصُرُ أَلْبَابُ كُلِّ يَدْعِي يَكْفُلُ يَلْتَمِسُنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا

قوله: (من فرط الحسرة) أي زيادة تحسره وندامته على ما فرط فيه وفوت أوقات التدارك.

قوله: وهو الخير والرحمن صلته أي الحق خير مبتدأ هو الملك وللرحمن متعلق بالحق قوله لأنه بمعنى الثابت فالمعنى الملك أي الملكية يومئذ أي يوم تشق السماء ونزل الملائكة الثابت للرحمن لا لغيره فعلى هذا يكون للرحمن ظرفاً لغواً قال الزجاج الحق صفة الملك ومعناه الملك الذي هو الملك حقاً ملك الرحمن يوم القيامة كما قال «لن الملك اليوم» لأن الملك الزائل كانه ليس بملك وعن بعضهم يومئذ فصل بين الصفة والموصوف والفصل بينهما بالظرف فصيح وبين المضاف والمضاف إليه يجوز في ضرورة الشعر كقوله:

هما أخوا في الحرب من لا أخاله

وقال أبو البقاء يومئذ معمول الملك أو معمول ما يتعلق به اللام ولا يعمل فيه الحق لأنه مصدر متأخر عنه.

قوله: أو للتبيين أي أو يكون اللام في الرحمن للتبيين كاللام في هيت لك فكان سائلاً قال لمن يثبت الملك يومئذ فليل للرحمن أي ثابت للرحمن فعلى هذا يكون الظرف مستقراً ولذا عطفه على كونها صلة للحق بأو الفاصلة قوله ويومئذ معمول الملك أي انتصاب يوم في يومئذ على أنه مفعول فيه للملك فإنه مصدر بمعنى التصرف بالأمر والنهي ومنه اشتق الملك لا معمول للحق لأن الحق مصدر مقدر بأن مع الفعل فلا يعمل فيما قبله قوله أو صفة عطف على الخير في قوله وهو الخير أي الحق خير الملك أو صفة له وخبره يومئذ فالمعنى الملك الحق كائن يومئذ للرحمن أو خبره للرحمن فالمعنى الملك الحق في ذلك اليوم كائن للرحمن.

قوله: (وعض اليمين وأكل البنان وحرق الأسنان ونحوها كنايةات عن الغيظ والحسرة) وعض اليمين إسقاط على يشعر بأنه صلة في النظم للإشعار بأن غيظه يستعلي على يديه استعلاء الراكب على المركوب فعلى هذا الأولى أن يقال المعنى ويوم يقع الغيظ على يديه لا زائدة ويحتمل أن يكون مراده بيان حاصل المعنى وأكل البنان الخ ذكرها تطفلاً حرق الأسنان بحاء وراء مهملتين حرق حك بعضها على بعض بحيث يسمع صوت كما يفعل في وقت الغضب الشديد والتحسر الشديد.

قوله: (لأنها من وادفها) أي لوازمها باللزوم العربية فهي واقعة بعد الحسرة والندامة وفرط الغيظ فذكر ذلك وأريد لوازمها.

قوله: (والمراد بالظالم الجنس) أي جميع أقراده والمراد به الكافر ولما كان استغراق المفرد أشمل اختير على الجمع.

قوله: (وقيل عقبة^(١) بن أبي معيط كان يكثر مجالسة النبي عليه الصلاة والسلام فدهاه إلى ضيافته فأبى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان أبي بن خلف صديقه فعاتبه فقال صبا) وقيل عقبة ابن الخ فاللام للعهد حينئذ وقرينة العهد ما ذكره بقوله كان يكثر مجالسة النبي عليه السلام الخ ومعيط بضم الميم وفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة عدوه باطناً قوله صبا أي خرجت من دينك إلى دين آخر من صبا إذا مال وكانوا يقولون لمن أسلم صبا بالتحنانية صديقه أي صديق عقبة ظاهراً وأعدى أو أصبا أي كنت مثل صبي في عدم كمال العقل حيث تركت دين آبائك.

قوله: (فقال لا ولكن أبى أن يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه) فقال أبي عقبة لا أي لم أكن صبيّاً بكلا المعنيين ولكن أبى الخ أي ولكن استحييت له لأنه أبى الخ.

قوله: (فشهدت له فقال لا أرضى منك إلا أن تأتيه فتطأ قفاه وتبرق في وجهه فوجده

قوله: عض اليمين وأكل البنان وحرق الأسنان كنايةات من الغيظ والحسرة البنان أطراف الأصابع واحدها بنانة وحرق الأسنان حكها يقال فلان يحرق عليك الأرم إذا غيظ فحك أضراسه بعضها ببعض والأرم بضم الألف وفتح الواو المشددة هي الأضراس كأنه جمع أرم قال الشاعر:

نبتت أحمام سليمي إنما ياتوا عضابا يحرقون الأرمسا

فالمعنى يوم عض الظالم يعني عقبة بن أبي معيط بن أمية بن عبد مناف على يديه ندماً وأسفاً على ما فرط في جنب الله وأوثق نفسه بالمعصية والكفر بالله لطاعة خليله الذي صده عن سبيل ربه قال عطاء يأكل يديه حتى يبلغ مرققيه ثم تبتان ثم يأكل هكذا كلما نبت يده أكلها تحسراً على ما فعل.

قوله: وقال آلى من الصبية وقال آلى النار وفي النهاية الصبية جمع صبي والصبوة القياس والأول أكثر استعمالاً المعنى إلى من يذهب صبية هذا المقتول ومن يتكفل بمؤنتهم.

(١) لما برق عقبة عاد يراقه على وجهه فاحترق خدها فكان أثر ذلك فيه حتى الموت كذا في اللباب.

ساجداً في دار الندوة ففعل ذلك) فشهدت له أي ظاهراً غير موافق لسانی بجناني فوجده فيه إيجاز حذف أي فأتاه فوجده عليه السلام ساجداً في دار الندوة أي في دار المشورة وهذا مراد ما قيل ودار الندوة مجتمع معروف بمكة قيل وقوله ألى بالممد أي أقسم والنسخة التي عندنا أي أن يأكل الخ وما قيل ألى أن لا يأكل.

قوله: (فقال عليه الصلاة والسلام لا ألقاك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فأمر يوم بدر فأمر علياً بقتله) قيل وقد فيما ذكره لأنه فعل بأمره والأمر كالفاعل عرفاً في بعض المواضع ولذا قالوا لو حلف ليضربنه فأمر بضربه بر إن كان حاكماً أو سيداً بخلاف غيره وكون المأمور علياً رواية وفي الطبراني عن مجاهد أنه ثابت بن الأفلح وفي الكشاف وقيل قتله عاصم بن ثابت بن الأفلح الأنصاري وفيه نوع مخالفة لما مر مرضه لأن سبب النزول خصوصه لا ينافي عموم الحكم فالأولى الإبقاء على عمومه فيدخل عقبة دخولاً أولاً.

قوله: (وطعن أبياً بأحد في المبارزة فرجع إلى مكة ومات) وطمعن أي النبي عليه السلام أبياً لأنه عليه السلام قتله بنفسه في أحد نقل عن الشعبي ولا ينافية قوله فرجع إلى مكة لأن الطعن في أحد.

قوله: (يقول) حال من فاعل بعض والأولى أن تكون مبينة للعوض المذكور ولذا ترك العطف يا ليتني مقول القول وقصة عقبة أخرجه ابن جرير من طرق مرسله كما قيل والمنادى محلذوف أي يا قوم ليتني أو يا ويلتي.

قوله: (طريقاً إلى النجاة) بقرينة مع الرسول فالتكبير للتخميم.

قوله: (أو طريقاً واحداً وهو طريق الحق) فالتنوين للوحدة الشخصية قدم الأول لمناسبة المقام وجوز الثاني لأنه أيضاً يشعر طريقاً إلى النجاة إذ المراد الدين الحق وهو واحد ومنج فأو لمنع الخلو فقط وهذا أولى مما قيل في طريقاً إلى النجاة أي أي طريق كان فتكثير سبيلاً للشيوع لأنه ينافي ما أشار إليه في الوجه الثاني من أن طريق النجاة واحد فما معنى الشيوع.

قوله: (ولم ينشعب بي طرق الضلالة) لأن طريق الحق واحد ولذا عبر عنه بالنور في قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] وطرق الضلالة متعددة متفرقة ولذا عبر عنها بالظلمات.

قوله: وطمعن أبياً بأحد في المبارزة أي طعن رسول الله ﷺ أبياً في غزوة أحد.

قوله: طريقاً إلى النجاة أو طريقاً واحداً وهو طريق الحق يريد أن تكثير سبيلاً للأفراد نوعاً أو شخصاً فإن أريد الأول فمعناه طريق النجاة لأنه نوع من الطرق وإن أريد به الثاني فمعناه طريقاً واحد وهو طريق الحق وهو الطريق الواحد بالشخص.



قوله تعالى: يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُنِي رُءُوفُكَ فَلَانًا خَلِيلًا

قوله: (وقرىء بالياء على الأصل) لأنها ياء المتكلم قلبت ألفاً للتخفيف فينادي ويلته أي هلكته بقول تعالى: فهذا أوانك لغرط التحسر وشدة الهول مع علمه بأنه لا هلاك ولا موت فيه .

قوله: (يعني من أضله) مطلقاً من الإنس والجن أو أبي بن خلف وهذه الجملة كالتأكيد لما قبلها يقول هنا خليلاً وهناك سبيلاً إذ الرسول هو الموضح للسبيل وفلان غير السبيل وغايته هو الخليل .

قوله: (وفلان كناية عن الإعلام كما أن هنا كناية عن الأجناس) والمراد بالكناية ما هو اللغوي واصطلاح النحاة دون اصطلاح أهل البيان وهو أن يعبر عن شيء معين بلفظ غير صريح في الدلالة عليه لغرض من الاغراض وفلان من هذا القبيل والمراد بها ههنا ما يكتنى به لا المعنى المصدري ولذا قال المص كناية عن الاعلام والجمع إشارة إلى أنه كناية عن كل علم على سبيل البدل غير مختص بعلم دون علم لا أنه كناية عن الاعلام في إطلاق واحد قال النحاة إنهم كنوا بفلان عن علم مذكر كزيد مثلاً وبفلانة عن علم مؤنث عاقلين وأيضاً كنوا بهن^(١) وهن اسم جنس مذكر ومؤنث غير علم عاقلان كان أو غيره واشترط ابن الحاجب في فلان أن يكون محكيّاً بالقول كما في هذه الآية وأول فيما سمع خلافه بالقول لكنه تكلف قال ابن هشام إذا قيل جاءني فلان معناه جاءني مسماء لا العلم وأجيب بأنه على تقدير جاءني مسماء فعلى هذا يكون معنى النظم لم اتخذ مسمى فلان خليلاً ولا يخفى ضعفه والتحقيق أن فلان كالعلم مثل زيد قد أريد به المسمى وقد يراد به الاسم ففي جاءني فلان المراد المسمى بقرينة المجيء وفي قولنا فلان مكتوب المراد نفس^(٢) العلم .

قوله: (وقرىء بالياء على الأصل فإن أصل ألف يا ويلتا ياء المتكلم بفتح التاء حذراً عن توالي الكسرات فقلبت الياء ألفاً كما يجوز في يا غلامي يا غلاماً وفي يا أبتني يا أبتنا فالمعنى يا ويلتي أحضري فهذا وإنك ويجب الفتح والقلب في مثل صحاري وأصله الكسر والياء .

قوله: وفلان كناية عن الإعلام كما أن هنا كناية عن الأجناس ليس المراد بالكناية المعنى الاصطلاحي الذي هو ذكر اللازم وإرادة الملزوم بل المراد به المعنى اللغوي الذي هو ضد التصريح من على وزن أخ كلمة كناية ومعناه شيء وأصله هنو وتقول هذا هنك أي شيتك ومنه قوله:

وقد يدي هنالك من الميسرز

(١) بالهاء المفتوحة والتون المخففة وقد يكتنى به غير أسماء الأجناس كقوله والله اعطاك فضلاً من عطية على من ومن فيما مضى ومن فاته أراد عبد الله وإبراهيم وحسن كذا قيل .

(٢) بقرينة الكتابة فإن الكتابة تقع على الاسم دون المسمى .

قوله تعالى: لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾

قوله: (عن ذكر الله أو كتابه أو موعظة الرسول أو كلمة الشهادة) عن ذكر الله فاللام عوض عن المضاف إليه أو للعهد أو كتابه أي القرآن والعمل بمقتضاه وهذه الاحتمالات الأربعة ترديد في العبارة والمآل واحد.

قوله: (وتمكننت منه) بيان لما هو المراد من المحيى وهو التمكن والافتقار عليه وقبوله لا القبول بالفعل كما يدل عليه الرواية المذكورة فإنه وإن تكلم بالشهادتين لكنه لا عن صميم قلب فلا دلالة في الآية على إيمان عقبة ثم ارتداده.

قوله: (يعني الخليل المضل أو إبليس) فيكون الشيطان استعارة مصرحة فإنه يشبه إبليس في التمرد والإضلال قدمه لأنه مباشر للإغواء بنفسه فعلى هذا يكون ظاهراً في موضع المضمر لتسجيله على تشيطه.

قوله: (لأنه حملته على مخالته)^(١) أي المضل فيكون مضلاً بسبب وسوسة خلّة المضل فإنه لم يضل ظاهراً بل أضله حملاً عليها.

قوله: (ومخالفة الرسول أو كل من تشيطن من جن أو إنس) فيكون في الشيطان عموم مجاز وهذا ناظر إلى كون المراد بالظالم الجنس كما أن الأول ناظر إلى كون المراد به عقبة وكل منهما كونه ناظراً إلى المعنيين يحتاج إلى التحمل ثم قبل قوله وكان الشيطان يحتمل أن يكون من كلام الله ابتداء أو من كلام الظالم والتعبير بالإنسان يؤيد الأول وعلى الثاني يشبه الالتفات فإن الإنسان عام لجميع أفرادهم والمخلصون مستثنى منه بمعونة القرينة وإن أريد به الإنسان المعهود أي عقبة فالالتفات حينئذٍ واضح واللام في للإنسان لتهكم متعلق بخذولاً آخر لرعاية الفاصلة.

قوله: (يواليه حتى يؤديه إلى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه فعول من الخذلان) يواليه أي يجعله ولياً خليلاً حقيقة وهو الإنس أو حكماً وهو الجن إبليس فإن متابعة وسوسته اتخاذ الولاية حتى يؤديه غاية لإظهار الولاية لا الولاية حقيقة وفي نفس الأمر ثم يتركه هذا يقتضي كون المراد بالهلاك قرب الهلاك ولا ينفعه تأكيد لتركه وهذا ثابت بطريق الاقتضاء إذ الخذلان وهو إلغاء الهلاك المعنوي أو الحسي لا يكون إلا بإظهار الموالاة والمحبة وخلافه نادر وأصل الخذلان ترك المعاونة والنصرة وقت الحاجة فعول من الخذلان فيفيد المبالغة فيه.

قوله: فعول من الخذلان أي خذول فعول من خذل خذلاً أي ترك عونته ونصرته.



قوله تعالى: وَقَالَ الرَّسُولُ يَتَرَبَّنَ إِنِّي قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾

قوله: (وهو محمد عليه السلام) الأولى وهو رسولنا عليه السلام أي اللام في الرسول للعهد وكذا المراد بالرسول فيما مر نبينا عليه السلام على وجه.

قوله: (يومئذٍ أو في الدنيا بشا إلى الله تعالى) يومئذٍ أي يوم القيامة ويوم بعض الظالم على يديه أو في الدنيا آخرها لأن يومئذٍ فيما مر لا يلائمه ظاهراً فإن معناه يوم إذ كان كذا فيناسب الآخرة فإنه ذكر ما سلف كان كذا وهو غض البدين وتمني الهلاك ونحوه فمن غفل عن ذلك قال إنه لو كان في الآخرة لما عدل عن ستن ما تقدم والتعبير بالماضي هنا لتحقيق وقوعه مثل قوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٤] وهو في القرآن كثير جداً وأما التعبير بالمستقبل فيما تقدم فبناء على ظاهره والتفتن من شعب البلاغة لا سيما أن القصد فيما سبق إلى الاستمرار التجديدي وليس هنا مقصوداً ولو سلم كون الاستمرار التجديدي هنا فإفادة تحقق الوقوع اختيرت هنا إذا التكتة مبنية على الإرادة ولا يبعد أن يقال في هذا الأسلوب الإشارة إلى صفة الاحتباك وإذا كان المراد الدنيا فمعنى وقال الرسول يوم طعن الكفار القرآن ولا يخفى أن انفهامه بالقهوى لا بمعونة المقام بشا أي شكوى مما فعلوه إلى الله تعالى.

قوله: (يا رب إن قومي قريشاً) صدر بحرف النداء لمزيد إظهار الحزن الناشئ من عدم إيمانهم بهذا القرآن المعجز واسم الرب هنا أوقع وتصدير الجملة بحرف التأكيد للمبالغة في وقوع مضمون هذه الجملة أو التنبيه على أن هذه لا ينبغي أن يقع فإن ظني أنه لا يقع لظهور حقيقته لا سيما لقريش فإنهم لم يقدروا أن يعارضوه وعن هذا قال إن قومي أي قريشاً ولم يقل إن الكافرين.

قوله: (اتخذوا) أي صيروا فتعدى إلى المفعولين والإشارة بهذا للتعظيم.

قوله: (بأن تركوه وصدوا عنه) بأن لم يؤمنوا به فالتصيير بالاعتقاد أنسب وصدوا عنه من الصدود اللازم فيكون تفسيراً لتركوه أو من الصد المتعدي أي منعوا الناس عن الإيمان به فيكون حيثئذٍ شكوى منهم بالضلال والإضلال فهو أبليغ معنى والأول أنسب لفظاً.

قوله: (وعنه عليه السلام من تعلم القرآن وعلق مصحفه ولم يتعاهده ولم ينظر فيه) نقل عن العراقي أنه قال رواء الثعلبي من أبي هدية بن إبراهيم بن هدية وأبو هدية كذاب وعلق مصحفه بجدار ونحوه ولم يتعاهده أي لم يقرأه ولم ينظر فيه كالتفسير لما قبله حتى نسيه^(١).

قوله: محمد يومئذٍ إشارة إلى أن اللام في الرسول للعهد لا للجنس والمعهود هو رسولنا

محمد ﷺ.

(١) فعلى هذا يكون من الهجر بفتح الهاء ضد الوصل ولشبهة هذا المعنى قدمه.

قوله: (جاء يوم القيامة متعلقاً به ويقول يا رب عبدك هذا اتخذني مهجوراً اقض بيني وبينه) متعلقاً به على الحقيقة لأن النشأة الأخرى لا يقاس على الأولى ولا بعد في الحمل على التمثيل فحينئذ القول بلسان الحال^(١) فإذا كان حال من آمن به وتعلمه ثم نسيه هذا فما ظنكم^(٢) بحال من كفر به وهجره بالكلية وبهذه العناية أورد هذا الحديث توضيحاً لما ذكر في النظم غاية الأمر أن ما ذكر في النظم شكوى الرسول عليه السلام وفي الحديث شكوى القرآن وهذا لا ينافي التأييد والتوضيح وفيه تأييد لكون بث النبي عليه السلام في الآخرة.

قوله: (أو هجروا ولغوا فيه إذا سمعوه أو زعموا أنه هجر وأساطير الأولين فيكون أصلها مهجوراً فيه فحذف الجار) أو هجروا ولغوا فحينئذ يكون مهجوراً من الهجر بضم الهاء وهو الهذيان وفحش القول وهو على الحذف والإيصال أي مهجوراً فيه كما سيجيء وهو ظاهر في الإلقاء فلذا قدمه ثم أشار إلى معنى آخر وهو الدخل بقولهم أساطير الأولين قال تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه﴾ [فصلت: ٢٦] أي وعارضوه بالخرافات أو ارفعوا أصواتكم تشوشوه على القارئ آخره لأنه يحتاج إلى الحذف والإيصال أي على الوجهين وأيضاً استعماله في هذا المعنى غير شائع.

قوله: (ويجوز أن يكون بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول) الهجر بضم الهاء وقيل بالفتح وكون وزن مفعول مصدر لكونه قليلاً آخره مع ترميضه وأيده بقوله كالمجلود الخ^(٣) ولكونه بمعنى النسبة كحجاباً مستوراً أقل لم يتعرض له.

قوله: (وفيه تخويف لقومه لأن الأنبياء إذا شكوا إلى الله تعالى قومهم عجل لهم العذاب) تخويف الخ على الاحتمالين أما في الدنيا فينزل العذاب وأما في الآخرة فبتضاعف العقاب كاشتكاء القرآن لتزايد عذابهم فكذا هنا والقول بأن كونه في الآخرة لا وجه له لا صحة له وفي كلامه إشارة إلى أن هذه الجملة سبقت لإنشاء التهديد والتخويف

قوله: أو هجروا ولغوا إذا سمعوا من هجر إذا هذى أي جعلوه مهجوراً فيه فحذف الجار.

قوله: أو زعموا أنه هجر وأساطير الأولين وهذا أيضاً من هجر إذا هذى لكن الهاجر فيه غير هؤلاء بل هم زاعمون أنه هجر سطره الأولون بخلاف الوجه الأول فإن الهجر فيه صادر منهم.

قوله: ويجوز أن يكون بمعنى الهجر كالمجلود أي يجوز أن يكون المهجور هنا بمعنى المصدر أي اتخذوا هذا القرآن هجراً فقوله كالمجلود استعهاد لمجيء صيغة المفعول بمعنى الفعل الذي هو المصدر فإن المجلود بمعنى الحلاوة والمعقول بمعنى العقل.

(١) قيل أوان المراد الملائكة الموكلون وهو أقرب بل هذا أبعد.

(٢) وكذا حال ما لم يتعلم به مع الإيمان.

(٣) والمعنى اتخذوه هجراً وفيه مبالغة.

الشديد فلاشبهة بأنه لا يعرف فيه فائدة الخبر ولا لازمها وله نظائر كثيرة في القرآن فمراده بالعذاب في قوله عجل لهم العذاب نزوله في الدنيا وتضاعفه في العقبى.

قوله تعالى: **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمَجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا** ﴿٣١﴾

قوله: (كما جعلناه لك فاصبر كما صبروا) ففيه تسلية^(١) له عليه السلام وفي كلامه إشارة إلى ارتباطه بما قبله وكذلك الكاف هنا للتشبيه لا للقرآن والمشار إليه بذلك جعل العدو له عليه السلام والمعنى وجعلنا لكل نبي عدواً^(٢) جعلاً مثل جعلناه لك فاصبروا على أذاهم حتى أتيتهم نصرنا فاصبر كما صبروا.

قوله: (وفيه دليل على أنه خالق الشر والعدو يحتمل الواحد والجمع) وفيه دليل الخ لأن المراد بالجعل وهو الخلق أو التصيير جعل عداوتهم وخلقهم لا جعل ذواتهم لما ثبت في محله أن المراد بالصفات المشتقات مأخذ الاشتقاق وفيه إبطال لمذهب المعتزلة ويدخل فيه آدم عليه السلام لأنه مبتلى بعداوة إبليس لا ابتلاء فوقه حيث كان سبباً لخروجه عن دار النعيم إلى دار النقيم فأبى ابتلاء يكون كذلك وكذا ابنه قابيل ولا ريب في تناول المجرمين إياهما فللفظة كل في معناه لا بمعنى الكثرة^(٣) ولا شك في نبوة آدم في الجنة.

قوله: (إلى طريق قهرهم) قيده به لمناسبة الاشتكاء فالتعبير بالهداية أي هدايتهم للتهكم كقوله تعالى: ﴿فاهدوهم﴾^(٤) إلى صراط الجحيم ﴿[الصفات: ٢٣] وجعله بمعنى هادياً لمن آمن منهم ونصيراً على غيره لا يلائم مقام التهديد وإن كان صحيحاً في نفسه وهادياً تمييز أو حال وهذا التمييز فاعل مجازاً لا حقيقة لأن هادياً لا يكون فاعلاً بل مشتمل على الفاعل وهو الهداية لأنه لا يقال هادى الله وإلا لزم إضافة الشيء^(٥) إلى نفسه بل هداية الله لما تقرر في النحو أن هذا التمييز أعني التمييز عن ذات مقدرة لا يجب أن تكون عين الذات المقدرة ومحمولاً عليها بل يكفي اشتمالها على المحمول وهنا الذات المقدرة شيء والمعنى وكفى شيء ربك بالإضافة وهادياً ليس عين ذلك الشيء لأنه يلزم إضافة الشيء إلى نفسه بل مشتمل ذلك الشيء وهو الهداية فهادياً فاعل مجازاً لاشتماله الفاعل الحقيقي وهكذا كل مشتق وقع تمييزاً فاحفظ ولا تغفل والله دره فارساً^(٦) لك عليهم.

(١) لأن البلية إذا عمت سهلت.

(٢) والعدو يحتمل الواحد الخ وإنما قال ذلك لأن لبعض الأنبياء مثل نبينا عليه السلام أعداء كثيرة.

(٣) كما زعمه ابن كمال باشا.

(٤) لأن المعنى هادياً إياهم إلى طريق قهرهم أي هلاكهم فالإضافة إلى الفاعل وإن كان المعنى هادياً إياهم إلى طريق قهرهم فلا تهكم فالإضافة إلى المفعول.

(٥) فاه خير حافظاً.

(٦) لكن المعنى لم أزل مرفقاً كما في الكشف كأنهم قالوا لو كان القرآن نازلاً من عند الله لم يزل مرفقاً.

قوله تعالى: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴿٣٢﴾

قوله: (لولا نزل) لولا تحضيضية^(١) أي هلا أنزل عليه القرآن والظاهر أن غرضهم إنكار القرآن^(٢).

قوله: (أي أنزل عليه كخبر بمعنى أخبر لثلا يناقض قوله جملة واحدة) أي نزل الذي تدل على التدرج^(٣) بمقتضى وضعه لكن هنا بمعنى أنزل بقرينة قوله جملة واحدة وهذا مراده بقوله لثلا يناقض قوله الخ.

قوله: (دفعه واحدة) أشار إلى أن جملة واحدة حال بمعنى دفعة واحدة لأن الإنزال جملة يستلزم كونه دفعة واحدة صفة مؤكدة فالمراد لازمه لأن الإنزال جملة واحدة يحتمل أن يكون بدفعات متعددة بإعادة الوحدة النوعية في جملة ولو بعداً وإلا فما الحاجة إلى ذلك التفسير.

قوله: (كالكتب الثلاثة) وهي التوراة والإنجيل والزيور وهذا هو المشهور بين العلماء وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ [القصص: ٤٨] الآية من الكتاب جملة واحدة كالصريح في ذلك فلا وجه للإشكال بأن بعض العلماء بين في آخر سورة النساء التوراة نزلت منجمة في ثماني عشرة سنة ويدل عليه نصوص التوراة أيضاً ولا قاطع من الكتاب والسنة بمعناه ولم يثبت أيضاً نزول الزيور والإنجيل إلا جملة واحدة انتهى. وهذا بحث عجيب إذ المسألة ليست من ضروريات الدين فلا محذور في إثباته ونفيه وكلام المص بناء على الشهرة فالتنظر في كونه مشهوراً^(٤) ضعيف جداً.

قوله: (وهو اعتراض لا طائل تحته لأن الإعجاز لا يختلف بنزوله جملة أو متفرقاً مع

قوله: أي أنزل كخبر وأخبر لثلا يناقض يعني أن نزل بالتشديد دال بصيغته على تفرق النزول ويناقضه تعلقه بجملة واحدة فلا بد أن يفسر نزل بمعنى أنزل لثلا يقع في الكلام تناقض وتدافع لأن المعنى إذا لم يحمل على معنى الإنزال هلا فرقت نزوله جملة واحدة وإذا كان بمعنى أنزل لا يلزم التدافع إذ يكون المعنى أنهم اعترضوا أن القرآن لم يفرق نزوله ولم لم ينزل جملة واحدة كما أنزلت الكتب الثلاثة والقائلون هم قريش وقيل هم اليهود وهذا فصول من القول واعتراض بما لا فائدة لهم فيه لأن أمر الإعجاز ببلاغة القرآن والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة أو مفرقاً دفعات على حسب اقتضاء الحوادث ووقوع الوقائع.

(١) والثبوت ولهذا قال في الكشف وهذا أيضاً من اعتراضاتهم.

(٢) لأن وضعه للكثير وهو يدل على التدرج فيكون مجازاً في الهيئة.

(٣) أي بمعنى مجتمعاً.

(٤) ونقل عن الاتفاق أنه قال كاد أن يكون إجماعاً وذكر كثيراً وأحاديث كثيرة تدل عليه.

أن للتفريق فوائد منها ما أشار إليه بقوله ﴿كذلك لنثبت به فؤادك﴾ وهو اعتراض الخ أي قول الكفار لولا أنزل سواء كان المراد بالكفار أهل الكتاب أو المشركين لا طائل أي لا فائدة فيه لأن الإعجاز الذي دل على حقية القرآن لا يختلف بنزوله الخ فهذا الاعتراض ونحوه لكونهم من المحجوجين والعجزة المغلوبين وغرضه أنه لا يختلف بنزوله جملة ما ذكرناه من أن دلالة الإعجاز على كونه من عند الله لا أن نزوله جملة كنزوله متفرقاً كيف كان كذلك وقد بين الله تعالى لإنزاله فوائد لا توجد في إنزاله جملة وكلام المص من قبيل إرخاء العنان في ساحة البيان وفي كلامه دليل على ذلك لا سيما قوله ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ ونزول الناسخ والمنسوخ معاً مما يبعده العقل فاضمحل ما قيل وهذا غفول عن مقتضى أصول البلاغة من وجوب رعاية المطابقة لمقتضى المقام في كل جملة من الكلام ولا بتسيير تلك الرعاية عند نزول مجموع القرآن جملة واحدة إلى آخر ما فرطه كأنه لفرط تعصبه مع الشيخين لم ينظر قوله ومعرفة الناسخ والمنسوخ فإنه صريح في أنه لا يتيسر ذلك في الناسخ وكيف ذهل عن إشارات الشيخين ثم نسب الغفلة إليهما وأيضاً كيف غفل عن باب مجازاة الخصم وأجيب أيضاً صح أن سورة الأنعام وسورة التوبة نزلتا جملة واحدة ورد ذلك ما ذكره وأيضاً المعلقة السبع وغيرها من القصائد الطوال اتفقوا على بلاغتها مع سماعهم إياها دفعة وفيه نوع إشكال مع أنه لا حاجة إليه فإن في كلامه دليلاً على أنه إرخاء العنان تبيكناً للخصم بالبرهان.

قوله: (أي كذلك أنزلناه مفرقاً لنقوي بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه لأن حاله بخلاف حال موسى وداود وعيسى عليهم السلام حيث كان أمياً وكاتوا يكتبون فلو ألقى إليه جملة تعي بحفظه) لأن حاله الخ لعل تركه أولى لأنه وإن كان أمياً لكنه أعطي علوم الأولين والآخرين قوله فلو ألقى عليه جملة تعي^(١) بحفظه الملازمة ممنوعة لأنه عليه السلام ذو القوة القدسية أولاً وآخرها وربما يمنع لزوم الحفظ جميعاً حين نزوله دفعة واحدة إذ ظاهره نزوله مكتوباً بأو لم ينقل حفظ موسى عليه السلام التوراة دفعة واحدة فمن ادعى فعلية البيان بالبرهان.

قوله: (ولعله لم يستتب له) أي لم يتم ومآله أنه لو نزل جملة ربما لا يتم حفظه ولقد أصاب في إيراد اللفظ.

قوله: وكذلك صفة مصدر محذوف أي ولفظ كذلك صفة مصدر محذوف مدلول عليه بقوله: ﴿لولا أنزل عليه القرآن﴾ [الفرقان: ٣٢] جملة واحدة ودلالته عليه من باب دلالة أحد الضدين على الآخر ولفظ كذلك صفة مصدر تقديره أنزلناه إنزالاً كذلك أي إنزالاً كاتباً مثل ذلك الإنزال المفرق على أن يكون الكاف حرف جر أو نزلناه إنزالاً معانلاً لذلك الإنزال المفرق على أن يكون الكاف اسماً فحاصل المعنى على التقديرين أنزلناه على صفة التفريق ﴿لنثبت به فؤادك﴾.

قوله: (فإن التلطف لا يثنى إلا شيئاً فشيئاً ولأن نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة وخصوص في المعنى) فإن التلطف أي التلقي لا يثنى إلا شيئاً فشيئاً وهذا لا يلائم قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً﴾ [الشورى: ٥١] لأنه تمثيل ليس في ذاته مركباً من حروف مقطعة يتوقف على تموجات متعاقبة فلم لا يجوز أن ينزل دفعة واحدة على هذا الوجه فالأولى إسقاط هذا البيان من البين والاكتفاء بقوله لتقوي بتفريقه الخ ثم القول لأن نزوله بحسب الوقائع الخ.

قوله: (ولأنه إذا أنزل منتجماً وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة في قلبه عليه السلام) ولأنه إذا أنزل منتجماً الخ أي تحداهم بكل جزء جزء^(١) يمكن التحدي به أقوى من التحدي بالجملة وهو ظاهر فإنه قد يكون حكم الكل مغايراً لحكم البعض وإذا كان الجزء متساوياً في التحدي للكل زاد قوة واطمئناناً في قلبه عليه السلام.

قوله: (ولأنه إذا نزل به جبرائيل حالاً بعد حال يثبت به فؤاده) يثبت به بنزوله حالاً فحالاً فؤاده لملاقاته أمين الوحي فيزول عنه ثقل الوحي واضطراب مخافة أن يتغلب بعض الوحي.

قوله: (ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ) ومنها أي من فوائد تفرقه معرفة الناسخ الخ أي بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا يثنى ذلك إلا فيما أنزل مفرقاً وهذا يدل على أن قوله لأن الإعجاز لا يختلف من باب مجازاة الخصم كما مر بيانه.

قوله: (ومنها انضمام القرائن الحالية إلى الدلالات اللفظية فإنه يعين على البلاغة) أي على حصول نفس البلاغة^(٢) فإنها عبارة عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال وهذا إنما يكون بنزوله مفرقاً ومراده بالقرائن الحالية الأمور الداعية إلى التكلم على وجه مخصوص كإنكار المخاطب الحكم الداعي إلى التكلم على وجه التأكيد والدلالة اللفظية أراد بها الدلالة المعناني على الأول وهي مدلولات التركيب والهيئات والمعاني الثواني الاعراض التي تصاغ لها الكلام مثلاً إذا قلنا هو أسد في صورة إنسان فالمعنى الأول مدلول هذا الكلام والمعنى الثاني أنه شجاع والظاهر أنه أراد بالدلالة اللفظية الدلالة على المعاني الأول إذ لا ريب أن الخواص والمزايا التي بها البلاغة إنما تعتبر في هذه المعاني ويحتمل أن يراد بها الدلالة على المعاني الثواني التي هي الكيفيات العارضة فيها لكن دلالة اللفظ على المعنى الأول اللغوي ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية على المقصود وتمام التفصيل في المطول وحواشيه.

قوله: (وكذلك صفة مصدر محذوف والإشارة إلى إنزاله مفرقاً فإنه مدلول عليه بقوله: ﴿لولا نزل عليه القرآن﴾ [الفرقان: ٣٢] جملة واحدة) وكذلك صفة مصدر محذوف

(١) صفة جزء.

(٢) وقيل على معرفة البلاغة لأنه بالنظر إلى الحال يتنه السامع لما يطابقها ويوافقها.

أي أنزلناه إنزالاً كذلك وهو عامله والكاف في مثله للمعينة فإنه مدلول عليه بقوله ﴿لولا أنزل﴾ الآية فإنه للتخفيف والتمني فيدل على عدم إنزاله جملة فيدل أيضاً على إنزاله مفرداً.

قوله: (ويحتمل أن يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالاً والإشارة إلى الكتب السابقة) ويحتمل أن يكون من تمام كلام الكفرة فحينئذ يكون من مقول القول وبه يتم الكلام وحسن الوقف عليه لكن الإشارة حينئذ إلى إنزال الكتب المتقدمة وعلى التقديرين صيغة البعد لتفخيم الإنزال والكاف^(١) للتشبيه حينئذ فقوله والإشارة إلى الكتب إما مسامحة أي لإنزالها أو باعتبار ما ذكر والنشبه أيضاً في الإنزال.

قوله: (واللام على الوجهين متعلق بمحذوف) وهو أنزلناه مفرداً أما على الأول فظاهر وأما على الثاني فلأنه لما تم الكلام في كذلك أجاب الله تعالى بقوله لتثبت به والتثبيت إنما يكون بالإنزال مفرداً.

قوله: (وقرآنه عليك شيئاً بعد شيء على نؤدة وتمهل في عشرين سنة أو ثلاث وعشرين سنة) وقرآنه أي بلسان جبرائيل عليه السلام عليك يا أيها النبي شيئاً أي جزء بعد شيء جزء هذا معنى نزوله مفرداً على نؤدة وتمهل تفسير لنؤدة.

قوله: (وأصل الترتيل في الأسنان وهو تغليجها) تغليج الأسنان عدم تلاصقها قال في سورة المزمل في تفسير قوله تعالى: ﴿ورتل القرآن﴾ [المزمل: ٤] اقرأ على نؤدة وتبين حروف بحيث يتمكن السامع من عدّها وهنا لم يعتبر هذا المعنى لأن المناسب هنا ما ذكر فإن الغرض بيان إنزاله مفرداً والثاني هنا في الإنزال وهناك في القراءة مع أنه يمكن المعنى الذي ذكره هناك ههنا دون العكس ثم نقل من أصل المعنى إلى الثاني في الإنزال كما هنا والثاني في القراءة للتباعد بين الحروف وبين الإنزال فالتنقل من اسم العشيه به إلى العشيّه

قوله: ويحتمل أن يكون من تمام كلام الكفرة أي يحتمل أن يكون لفظ كذلك من تنمة كلام الكفرة والدليل على هذا الاحتمال أن القراء وقفوا عليه فيكون حالاً فمعنى كذلك كأنها كالكتب الثلاثة وإذا كان الإشارة إلى إنزاله جملة لا يكون الحال مفيدة لمعنى زائد إذ يكون المعنى لولا أنزل القرآن جملة واحدة كأنها جملة واحدة.

قوله: في عشرين سنة أو ثلاث وعشرين عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ أقام بمكة خمس عشر سنة يسمع الصوت ويرى الضوء ولا يرى شيئاً سبع سنين وثمان سنين يوحى إليه وأقام بالمدينة عشراً وفي رواية أنزل على النبي ﷺ وهو ابن أربعين سنة فمكث ثلاث عشرة سنة ثم أمر بالهجرة فهاجر إلى المدينة فمكث بها عشر سنين ثم توفي ﷺ.

قوله: وهو تغليجها والفالج بفتح الفاء واللام في الأسنان تباعد ما بين الثنايا والرابعيات يقال رجل أفالج الأسنان وامرأة فلجاء الأسنان قال ابن دريد لا بد من ذكر الأسنان ورجل مقلج الثنايا أي منفرجها وهو خلاف المتراص الأسنان.

(١) لأنه حينئذ يكون نزول القرآن مشهواً وإنزال الكتب السالفة مشهياً به.

قوله أو ثلاث وعشرين إشارة إلى الاختلاف بين المحدثين والثاني قول الأكثرين.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ قَبِيرَةٍ﴾

قوله: (سؤال عجيب كأنه مثل في البطلان يريدون به القدح في نبوتك) كأنه مثل إشارة إلى أن المثل استعارة مصرحة قوله في البطلان بقرينة قوله إلا جئناك بالحق أو لأن أكثر الأمثال أموت مخيلة وفيه نظر والقدح بمثل ﴿لولا أنزل عليه ملك﴾ [الأنعام: ٨] الآية وأساطير الأولين.

قوله: ﴿إلا جئناك بالحق﴾ حال مجرداً عن قد والواو لأنه قصد لزوم تعقيب مضمون ما بعد إلا لما قبلها فأنشبه الشرط والجزاء ومثل هذا الحال مما لا يقارن مضمونه بمضمون عامله إلا على تأويل العزم^(١).

قوله: (الدماغ له في جوابه) الدماغ بميم وغين معجمة وهو المهلك له بإخراج دماغه واستعير هنا للدفع والإبطال على وجه المبالغة والكمال.

قوله: (وبما هو أحسن بياناً أو معنى من سؤالهم) وبما هو أحسن تفسيراً أشار إلى أنه عطف على الحق والتفسير بمعنى البيان والكشف وهذا هو الحق أيضاً والعطف للتغايير الاعتباري فإن المراد به الدافع له في جوابه وهنا التفسير أي إن الذي يأتي به أحسن تفسيراً لأجل ما فيه من المزية والبيان والظهور فأحسن لمطلق الزيادة أو من قبيل الصيف أحر من الشتاء إذ لا حسن في سؤالهم قوله أو معنى وفي الكشف ولما كان التفسير هو الكشف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قالوا معناه كذا وكذا فهو مجاز في المعنى ولذا قدم البيان على المعنى فهو من إطلاق المصدر على المفعول لأن المعنى مفسر والعلاقة التعلق فالمصدر هو المتعلق بكسر اللام وهذا أولى من القول بأنه من إطلاق اسم السبب على المسبب إذ التفسير سبب لظهور المعنى فإنه يرد عليه أن الكلام في نفس المعنى لا في ظهوره وإن أمكن دفعه بأن المراد سبب للمعنى الظاهر.

قوله: (أو لا يأتونك بحال عجيبة) أي المثل بمعنى الحال لا بمعنى السؤال كما في الوجه الأول.

قوله: (يقولون هلا كانت هذه حاله إلا أعطيناك من الأحوال ما يحق لك في حكمتنا وما هو أحسن كشفاً لما بعثت له) ويقولون هلا كانت حاله وصفته نحو أن يقرن به ملك

قوله: وما هو أحسن كشفاً لما بعثت له أي كشفاً لما أرسلت لأجله وهو أحكام الشرع أي ولا يأتونك بحال أو صفة يريدهون بذلك حط منزلتك عند الناس إلا أعطيناك ما هو أحسن كشفاً وبياناً لأحكام الشرع التي أرسلت لأجل تبليغها إلى المرسل إليهم.

(١) والمعنى ولا يأتونك بمثل في حال من الأحوال إلا عازمين على مجيئنا إليك بالحق.

ينذر معه أو يلقى إليه كنز وغير ذلك مما تقدم ذكره إلا أعطيناك من الأحوال ما يحق أي يليق ويناسب لك في حكمتنا فجتنا على هذا بمعنى أعطينا مجازاً إذ مجيء الشيء بالشيء يستلزم الإعطاء والحق بمعنى اللائق وما هو أحسن كشفاً لما بعث له صيغة التفضيل فيها للتعجب لأن المقام مقام التعجب وقد مر التفصيل في تفسير قوله تعالى: ﴿لقد استكبروا في أنفسهم﴾ [الفرقان: ٢١] الآية يعني أن إنزال القرآن منتجاً مفرقاً أحسن كشفاً لما بعث له وأدل على صحته كما بينه المص هناك حيث قال لأن نزوله بحسب الوقائع الخ والتحدي بكل نجم أدخل في الإعجاز وأتور للحجة من أن ينزل كله جملة فإذا ثبت ذلك ظهر أن ما يتمونه مخالف للحكمة من البعثة فما أتوا به من الأحوال السالف ذكرها باطل بالنظر إلى الحكمة لا بالنسبة إلى نفس الأمر ولعل لهذا لم يقل بحال عجيبة باطلة والتفسير هنا بمعنى كشف ما بعث به.

قوله تعالى: **الَّذِينَ يَحْمِلُونَ كُلَّ وَجْهٍ عَلَىٰ وَجْهِهِمْ إِنَّا جَهَنَّمَ أُولَئِكَ سَرَقَانَا وَأَصْلُ سَبِيلِكُمُ**

قوله: (أي مقلوبين أو مسحوبين إليها) أي منكسين بظنون على رؤوسهم ووجوههم الأولى الاكتفاء بالوجوه فحينئذ يكون إقدامهم في فوق قوله أو مسحوبين أي مجرورين تجرهم ملائكة العذاب إلى جهنم وهو المنصوص عليه في قوله يسحبون في الحميم فلا تنكس حينئذ آخر في سورة الإسراء ما قدمه هنا وهو الظاهر لأنه مصرح في قوله يسحبون في الحميم وأما المشي على وجوههم فليس بمصرح به في القرآن^(١) ولعله جمع بينهما في بعض الكفار أو المشي على الوجوه في بعض الكفار والسحب والجبر على الوجوه في بعض آخر منهم إلى جهنم صلته فقوله مقلوبين الخ بيان حاصل المعنى أو إشارة إلى أنه حال بتقدير مقلوبين الخ.

قوله: (أو متعلقة قلوبهم إلى السفليات متوجهاً ووجوههم إليها) أي هو كناية عن ذلك

قوله: مقلوبين ومسحوبين إليها يريد أن الظرفين وهما على وجوههم وإلى جهنم ظرفان مستقران حالان من واو يحشرون فالمعنى يحشرون مقلوبين مكين على وجوههم ومجرورين إلى جهنم من اسحبه أي جره.

قوله: أو متعلقة قلوبهم بالسفليات هذا التوجيه مبني على الكناية فإن توجه الوجه نحو الأرض من لوازم توجه القلب إلى الاعراض السفلية الدنيوية الدنية قوله وعنه عليه الصلاة والسلام يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف الحديث قبل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم قال الإمام رحمه الله صنف المشاة المؤمنون الذين خلطوا صالح أعمالهم سيئها ولعلمهم أصحاب اليمين والركبان هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويجتنبون عن السيئات يسرعون إلى ما أعد لهم في الجنان إسراع الركبان.

(١) بل صرح به في الحديث قال عليه السلام إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم كذا روى المص في سورة الإسراء.

التعلق أو استعارة تمثيلية وهو الظاهر فكون وجوههم إليها كناية عن ميل قلوبهم إلى السفليات وهي الدنيا وزخارفها فإن كون الوجه إلى السفليات وهي الأرض وما فيها من لوازم توجه القلب إليها ولا يخفى أن المعنى الحقيقي مؤيد بالآية والحديث فلا جرم أن هذا احتمال ليس بقوي قيل ولعل كون هذه الحالة في الحشر باعتبار بقاء آثارها فتأمل لعل وجهه ما ذكرناه .

قوله : (وعنه عليه الصلاة والسلام يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف صنف على الدواب وصنف على الأقدام وصنف على الوجوه) رواه الترمذي قوله صنف على الدواب هم المتقون والظاهر أنه على الحقيقة وقيل والمراد أنهم يسرعون إلى الجنة كالركبان وفيه ما فيه وصنف على الأقدام أي مشاة وهم الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً قوله وصنف على وجوههم وهم الكفرة الفجرة وما رواه المص في سورة النبا حيث قال سئل عنه فقال عليه السلام يحشر عشرة أصناف من أمتي الخ نقل الفاضل السعدي عن ولي الدين العراقي أنه ظاهر الوضع فلا ينافي ما ذكر هنا ولو سلم صحته فلا مفهوم في العدد ويجوز أيضاً أن يقال إنه أعلم أولاً أنه يحشر الناس على ثلاثة أصناف ثم أعلم أنه يحشر على عشرة أصناف كما قيل في نظائره .

قوله : (وهو ذم منصوب أو مرفوع أو مبتدأ خبره ﴿أولئك﴾ [الفرقان : ٣٤] الآية وهو أي الذين ذم منصوب بتقدير أذم أو أعني اختاره لأن المقام مقام توبيخ الكفرة وذمهم وهذا أصرح في ذلك أو مرفوع أي ذم مرفوع على أنه خير لمبتدأ واجب حذفه أي هم الذين يحشرون آخرون مع أنه لا حذف فيه لانفهام الذم منه بالقوى .

قوله : (والمفضل عليه هو الرسول عليه السلام) بقرينة أنهم زعموا أنه عليه

قوله : والمفضل عليه هو الرسول على طريقة قوله : ﴿قل هل أنبئكم بشر من ذلك﴾ [الحج : ٧٢] مثوبة عند الله لما اقتضى ظاهر كلمتي التفضيل وهما لفظاً شر وأصل ثبوت أصل الشر والفضال في المفضل عليه وهو الرسول عليه الصلاة والسلام والحال أنه ليس شيء فيه من الشر والفضال بل هو خير كله وهدي ورحمة للعالمين صرف الكلام عن ظاهره وحاصل تأويله رحمه الله يرجع إلى ثبوت أصل الشر والفضال فيه على زعمهم الفاسد واعتقادهم الكاسد كأنه قيل لهم إن حاملكم على هذه السؤالات أنكم تضللون سبيله وتحفرون مكانه ومنزلته ولو نظرتهم بعين الانصاف لعلمتم أن مكانكم شر من مكانه وسبيلكم أضل من سبيله وعليه قوله تعالى : ﴿إنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ [سبا : ٢٤] وجه تشبيه طريقته بطريقة ﴿قل هل أنبئكم بشر من ذلك رجوع معنى التفضيل إلى اعتقاد الكفرة فإن المخاطبين بهل أنبئكم هم اليهود وكانوا لعنوا يزعمون أن المسلمين ضالون مستوجبون للعقاب فقيل لهم من لعنهم شر عقوبة في الحقيقة من أهل الإسلام في زعمكم ودعواكم قال صاحب الفرائد يمكن أن يقال ليس المراد أن مكانهم شر من مكانه وسبيلهم أضل من سبيله بل المراد أن مكانهم وهو جهنم فيه كل الشر وأن سبيلهم في الضلال في غاية الكمال كأنه قيل لا مكان شر من مكانهم ولا سبيل أضل من سبيلهم وهو الاشتراك بالله وما هم عليهم من الأفعال والأحوال ثم كلامه ومحصوله أن كلمة التفضيل وهي

السلام محقر مكاناً وسبيله ضلال فقيل ﴿أولئك شر مكاناً﴾ بصيغة التفضيل على زعمهم الفاسد للتهكم.

قوله: (على طريقة قوله تعالى: ﴿قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه﴾ [المائدة: ٦٠] الآية كأنه قيل إن حاملهم على هذه الأسئلة تحقير مكانه بتضليل سبيلهم ولا يعلمون حالهم ليعلموا أنهم شر مكاناً وأضل سبيلاً) كأنه قيل إن حاملهم أي الداعي والباعث على سؤالهم تحقير مكانه الخ فزعموا أنه على شر وضلال فقيل لهم أولئك شر منه وأصل على وفق اعتقادهم وإلا فهو عليه السلام خير محض مكاناً وأسد سبيلاً وأنت خير بأن هذا وإن أمكن ينحو ما ذكر توجيهه لكن فيه نوع بعد فالأولى جعل هذا من قبيل الصيف أحر من الشتاء كما جعل كذلك في نظائره أو لمطلق الزيادة.

قوله: (وقيل إنه متصل بقوله: ﴿أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً﴾ [الفرقان: ٢٤]) والمراد أنه قسيمه لكنه لبعده لم يرض به وقيل إن قسيمه ذكر من قبل ولا يخفى ما فيه.

قوله: (ووصف السبيل بالضلال من الاستناد المجازي للمبالغة) لأنه وصف صاحبه جعل مكانهم شراً ليكون أبلى في الدلالة على شرارتهم لأنه حينئذ يكون كناية عن إثباتها لنفوسهم إذ المراد الشرارة بحسب الدين والكناية أبلى من الحقيقة وأيضاً يشعر ذلك إن شرارتهم في الدين بلغت مبلغاً بحيث سرت إلى المكان وكذا الكلام في الضلال ولم يتعرض كون وصف المكان بالشرارة من الاستناد المجازي ولا يدري وجهه وقد تعرض له في سورة المائدة وقال هناك وقيل مكاناً منصرفاً أي مرجعاً ومصيراً بجعل المكان من الكون بمعنى الصيرورة^(١) فحينئذ لا مجاز في الإسناد^(٢).

شر استعملت هنا للزيادة المطلقة لا للزيادة على ما أضيف إليه ويمكن أن يحمل على الزيادة على ما أضيف إليه على التوجيه الذي ذكره في قولك العسل أحلى من الخل.

قوله: وقيل إنه متصل بقوله ﴿أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً﴾ أي هو متصل به من حيث المعنى وجه اتصاله به أنه مناسب له في كل من طرفيه تناسب التضاد فإن المسند إليه هنا الكفرة والمسند شر والمسند إليه هناك المسلمون والمسند خير فعلى هذا لا يكون ﴿أولئك شر مكاناً﴾ خير الذين يحشرون.

قوله: ووصف السبيل بالضلال من الاستناد المجازي ووصفه بالضلال مستفاد من وقوع المميز فاعلاً في المعنى لأن المعنى أولئك شر مكانهم وأضل سبيلهم برفع المكان والسبيل جعل سبيلهم ضالاً مبالغة في ضلالهم والأصل أولئك أضل منه في السبيل لكن جعل السبيل تمييزاً ليؤذن أن سبيلهم ضال لقوة الضلال منهم نحو مكان سائر.

(١) ولم يتعرض له هنا لأنه خلاف الظاهر.

(٢) لأن منصرفهم وهو جهنم شر محض.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَآبِنَا مَوْسَىٰ الْكَذِبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ هَنُوتَ وَزَيْرًا ۚ﴾ (٣٥)

قوله: (ولقد آتينا) اللام جواب القسم المحذوف لما قال تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا﴾ [الفرقان: ٣١] اتبعه بذكر جماعة من الأنبياء بعد ذكر عدو نبينا عليه السلام وأقاويلهم الفاسدة اللثام «موسى الكذاب» [الفرقان: ٣٥] أي التوراة وفيه إشارة إلى أن موسى عليه السلام أصل في الدعوة والتوراة أعطيت إليه ويؤيده إدخال مع على ضميره.

قوله: (يؤازره في الدعوة وإعلاء الكلمة) يؤازره في الدعوة أي يعينه فيها هو إشارة إلى معنى الوزارة^(١) وصيغة المضارع لأن وزيراً بمعنى فعل المضارع لإفادة الاستمرار قال في سورة طه واشتقاق الوزير إما من الوزر بمعنى الثقل لأنه يحتمل الثقل عن أميره أو من الوزر وهو الملجأ لأن الأمير يعتصم برأيه ويلتجئ إليه في أموره وهنا أشار إلى المعنى الأول والحمل على الثاني يحتاج إلى التمهّل.

قوله: (ولا ينافي ذلك مشاركته في النبوة لأن المشاركين في الأمر متوازنان عليه) ولا ينافي ذلك الخ إشارة إلى كونه نبياً لأنه وإن كان نبياً فالشرعة لموسى عليه السلام وهو تابع له فيها كما أن الوزير متبع لسلطانه فقوله لأن المشاركين في أمر الخ بناء على التسامح لظهور أن موسى عليه السلام لم يكن وزيراً لهارون فمراده ما قاله الإمام لا منافاة بين الصفتين لأنه لا منع من أن يشركه في النبوة ويكون وزيراً ومعيناً له.

قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا أَذْهَبَ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَذَمَرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ۚ﴾ (٣٦)

قوله: (يعني فرعون وقومه أي فذهب إليهم فكذبوهما فذمرناهم فاقنصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود منها) أي فذهب إليهم عقوب أمرنا وأمرهم بالإيمان فكذبوهما أشار إلى أن إيجاز الحذف بأكثر من جملة واحدة تنبيهاً على كمال انقيادهما وفرط مطاوعتهما بحيث لا ينفك فعلهم عن أمره فاستغنى عن ذكره ولذا قال اختصر أي اقتصر على حاشيتي القصة أي على طرفيها والحاشية الطرف.

قوله: (وهو إلزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم) وهو إلزام الحجة أحد طرفي القصة قوله واستحقاق الخ طرف آخر منها إما إلزام الحجة فيقوله تعالى:

قوله: أي فذهب إليهم فكذبوهما «فذمرناهم تدميراً» فالتاء في فذمرناهم هي الفاء التي يسميها علماء علم البلاغة فاء فضيحة لإفصاحها عن المحذوف كقوله اشرب بعصاك البحر فانفلق أي فغضب فانفلق قوله فاقنصر على حاشيتي القصة وهما أولها وآخرها اكتفاء لما هو المقصود من القصة بطولها.

(١) والوزارة لا تنافي النبوة فقد كان يبعث في الزمن الواحد أنبياء ويؤمرون بأن يوازر بعضهم بعضاً كما قاله ابن كمال.

﴿اذْهَبْ إِلَى الْقَوْمِ﴾ [الفرقان: ٣٦] الآية وأما استحقاق التدمير فيقوله تعالى ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ وما بينهما كما ذكرناه فمتفرع على الأول ومتفرع عليه الثاني وفي القصة اقتصار غير ما ذكر مذكور تفصيله في سورة طه وغيرها وهذا وإن خالف ما في طه والشعرام والتأزعات لفظاً فهو طبقه في المقصود.

قوله: (والتعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع) فإن حكم الله تعالى بتدميرهم كان عقيب تكذيبهم لا الوقوع فلا ينافيه وقوعه بعد أزمة متطاولة ولك أن تقول إن ابتداء التكذيب وإن كان مقدماً بزمان طويل لكن انتهائه يعقبه التدمير فليكن التعقب باعتبار آخره ثم الأولى أن يقال التعقيب باعتبار الخبر لا الوقوع فإن الظاهر أن حكم الله قديم والتأويل بالإرادة بعيد ولم يحمل الفاء على السببية فقط إذ التعقيب^(١) أصل فيها فإن الفاء داخل على المعلول وهو يعقب العلة وبعضهم حملها على السببية بلا تعقيب قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا﴾ [الفرقان: ٣٦] معطوف على جعلنا المعطوف على آتينا بالواو التي لا تقتضي ترتيباً فيجوز تقدمه مع ما يعقبه على إتياء الكتاب فلا يرد أن إتياء الكتاب وهو التورية بعد هلاك فرعون وقومه فلا يصح الترتيب إلا أن يراد بالكتاب الحكم والنبوة ولا يخفى بعده كذا قيل ولا يبعد أن يقال والمعنى ولقد أردنا إتياء الكتاب.

قوله: (وقرىء فدمرتهم فدمرائهم على التأكيد بالنون الثقيلة) فدمرائهم أي موسى وهارون عليهما السلام دمرهم على الإسناد المجازي قوله بآياتنا متعلق بكذبوا

قوله: والتعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع لما اقتضى الفاء التعقيبية بحسب الوضع أن يترتب ما بعدها على ما قبلها دفعة بلا مهلة والتدمير لم يقع كذلك بعد الأمر بالذهاب دفعة بل وقع بعد ذلك بزمان متراخ أوله رحمه الله بأن الواقع عقيبه هو الحكم بالدمار لا نفس الدمار فالمعنى فقلنا اذهبوا فحكمنا عليهم بالدمار قال صاحب المطلع فإن قيل لم يكونوا كذبوا بالآيات حين أمروا بالذهاب إليهم فكيف وصفوا بالتكذيب قلنا المعنى اذهبوا بآياتنا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا المتقدمة مع الرسل الماضية وقال الإمام رحمه الله إنه تعالى بعد أن تكلم في التوحيد وإثبات النبوة والجواب عن شبهات المنكرين شرع في ذكر القصص على السنن المعلوم فبدأ بقصة موسى أي لست يا محمد بأول من أرسلناه فكذب وآتيناه الآيات فرد فقد آتينا موسى التورية وقويتا عضده بأخيه هارون ومع ذلك فقد رد وكذب وكذلك الرسل قاطية وقال الطيبي رحمه الله إن الله تعالى لما حكى بقوله وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً وسلا به قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمَجْرُمِينَ﴾ [الفرقان: ٣٦] وجاء بتفصيل ذلك وبدأ بقصة موسى وفرعون مجعلاً وشئ بقصة نوح وثلاث بعد ثم أجمل بقوله: ﴿وَكَلَّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الفرقان: ٣٩].

قوله: وقرىء فدمرتهم على صيغة المتكلم فدمرائهم على صيغة الأمر والمخاطب موسى وأخوه فدمرائهم وهو على صيغة الأمر أيضاً لكن بالنون الثقيلة الداخلة للتأكيد.

(١) حتى ذهب كثيرون إلى أنه لا ينفك عن الفاء لكن صرح مغني اللبيب قد يجيء لمجرد السببية وقد اعترف به المص حيث قال في قوله فتوبوا الفاء الأولى للتسبب والثانية للتعقيب.

فالجمع في الآيات إما لمعجزة مع دلائل التوحيد أو المراد بالجمع ما فوق الواحد إذا ظهر معجزة عصا^(١) أولاً ثم أظهر البد البيضاء وهما^(٢) الآية الكبرى والقول بأن المراد الآيات التي جاءت بها الرسل الماضية ضعيف وكذا القول بأن المراد الآيات التسع بعيد لأنه حينئذ يحتاج إلى جعل صيغة الماضي بمعنى المستقبل لتحقيقه وهذا ضعيف لأن إنشاء بعض الآيات ماض فالأولى أن يقال فيه تغليب الموجود على المعدم أو جعل منتظر الوقوع كالواقع كما قال في توجيه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ فَتَفْشَوْا فِيهَا﴾ [البقرة: ٤]. الآية.

قوله تعالى: ﴿وَقَوْمٌ نُّوحٌ لَّمَّا كَذَّبُوا أَرْسِلْنَا فِيهِمُ الْغَمَّاتِ﴾ [الفرقان: ٢٧]

قوله: (وقوم نوح) منصوب بإضمار اذكر أو منصوب بمضمر يفسره ما بعده ﴿أغرقتهم﴾ [الفرقان: ٢٧] حينئذ يكون معطوفاً على ما قبله أعني ولقد آتينا لا دمرناهم ويجوز عطف القصة على القصة فعلى هذا يجوز العطف على تقدير اذكر وأما عطف قوم نوح على مفعول دمرناهم فلا يحسن لأن تدوير قوم نوح ليس مترتباً على تكذيب فرعون وقومه لموسى وهارون عليهما السلام وما ذكر في توجيهه من أن العطف المقصود منه التسمية والتنظير كأنه قيل دمرناهم نقوم فسخيف إذ الأئمة صرحوا بأن العطف بالوار يحتاج إلى الجامع وبالفاء لا بد من السببية والتعقيب ولو صح ما ذكره لا يحتاج إلى الجامع وإلى السببية بل التنظير وهو التشبيه كاف في العطف ولا يخفى فساده.

قوله: (كذبوا نوحاً ومن قبله) توجيه للجمع مع أن الظاهر الإفراد فحينئذ اللام للبعد.

قوله: (أو نوحاً وحده ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل) فاللام حينئذ للاستغراق بطريق الادعاء والاستلزام والتشبيه أي تكذيب رسل واحد كتكذيب

قوله: كذبوا نوحاً ومن قبله فسر رحمه الله قوله عز من قائل:

لما كذبوا الرسل بوجوه ثلاثة الوجه الأول مبني على أن يكون اللام في الرسل للبعد والمعهود رسل مخصوصون وهم المراد بقوله نوحاً ومن قبله والوجه الثاني مبني على أنه للاستغراق بناء على أن تكذيبهم لواحد منهم تكذيب للجميع وأشار إليه بقوله أو نوحاً وحده لكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل وذلك أن لكل فرد من أفراد تلك الحقيقة حكم الجميع فمن كذب واحداً لزمه تكذيب الجميع لأن وجه دلالة المعجزة على الصدق مشترك فيهم والوجه الثالث مبني على أنه للجنس والحقيقة من حيث هي وأشار إليه بقوله:

(١) أو العصا لاشتمالها آيات كثيرة مثل قلبها جناً أولاً ثم صار ثعباناً ثم صار عصا وأيضاً لها مآرب أخرى كل واحد منها آية أخرى.

(٢) وكذا كون المراد الآيات المودعة في الأتاف والأنفس ضعيف إذ قوله تعالى: ﴿فأراه الآية الكبرى فكذب وعصى﴾ [النازعات: ٢٠، ٢١] الآية يدل على كون المراد الآيات والمعجزات والقرآن يفسر بعضه بعضاً.

جميع الرسل في الإفساد كقوله تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ^(١) نَفْسًا﴾ [المائدة: ٣٢] الآية.

قوله: (أو بعثة الرسل مطلقاً كالبراهمة) مطلقاً فحينئذ اللام للاستغراق الحقيقي كالبراهمة وهي قوم قالوا لا بعثة لأحد وادعوا استحالتها عقلاً وهم نسبوا إلى رجل يسمى برهام هو صاحب مذهبهم كما في الملل والنحل كذا قبل والظاهر أن سائر الكفرة ينكرون للبعثة مطلقاً لأن معظم شبهاتهم أن البشر لا يكون رسولاً حيث قالوا: ﴿أبعث الله بشراً رسولاً﴾ [الإسراء: ٩٤] إلا أن يقال إنهم ادعوا استحالتها كما مر مطلقاً من البشر وغيره بخلاف سائر الكفرة ولكنه بعيد ويرد أيضاً أن طائفة البراهمة قوم جاؤوا بعد نوح عليه السلام كما هو الظاهر فلا اكتشاف بالوجهين الأولين هو الأولي نعم الكلام على التشبيه والإشكال تحقق المشبه به حينئذ بالطوفان.

قوله: (وجعلنا إغراقهم أو قصتهم عبرة) إغراقهم بتقدير المضاف إذ أنفسهم ليسوا بآية أو قصتهم داخل فيها إغراقهم لكن العبرة بالإغراق فلذا قدمه.

قوله: (يحتمل التعميم والتخصيص فيكون وضعاً للظاهر موضع المضمّر تظليماً لهم) يحتمل التعميم بناء على أن اللام للاستغراق فحينئذ لا يكون وضعاً للظاهر موضع الضمير قوله والتخصيص أي يقوم نوح إن حمل اللام على العهد وهو الظاهر للقرينة فالتقديم به بل الاكتفاء به أولى كما هو عادته في أكثر المواضع.



قوله تعالى: وَعَادًا وَنُوحًا وَأَصْحَابَ الرَّيِّ وَفِرْعَوْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرٌ

قوله: (عطف على هم في جعلناهم) أي وجعلنا هلاك عاد وثمود أو قصتهم آية وجعلنا عطف على الجملة المتقدمة المقيدة بالظرف وهو لما لا على المظروف وحده وهو

أو بعثة الرسل مطلقاً أي كذبوا هذا الجنس المسمى بالرسل كقولهم فلان يركب الخيل وما له إلا فرس واحد والوجه الثاني والثالث كنايةان متقابلتان لما يلزم في الثاني من أن تكذيب نوح تكذيب الرسل قاطبة وفي الثالث عكسه.

قوله: كالبراهمة قيل هم قوم لا يجوزون على الله بعثة الرسل والبراهمة إدامة النظر وسلوك الطرق يقال برهم الرجل إذا فتح عينيه وأحد النظر والبراهمة انتسبوا إلى رجل منهم يقال له برهام قد مهد لهم في نفي النبوات أصلاً وقرر استحالة ذلك في العقول.

قوله: يحتمل التعميم والتخصيص أي يحتمل أن يكون المراد بالظالمين المعنى العام الشامل لكل من اتصف بصفة الظلم وأن يكون المراد به المعنى الخاص الذي هو قوم نوح فعلى كون المراد منه المعنى الخاص يكون لفظ الظالمين موضوعاً موضع الضمير تظليماً لهم أي تسجيلاً لهم على الظلم من ظلمه أي قال له إنك ظالم أو نسب إلى الظلم وإذناً أن تعذيبهم وإغراقهم بسبب تكذيبهم الرسل وإذا حمل على العموم يكون من باب التثنييل فيدخل قوم نوح في هذا العام دخولاً أولياً.

(١) بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً الآية.

أغرقناهم لأن كون عاد وثمود آية بتكذيب الرسل فلا بد من التقيد بالظرف والظرف وإن كان تقييداً للمحذوف المفسر به يكون تقييداً لأغرقناهم لأن المفسر يجب أن يكون عين المفسر ويحتمل أن يكون عطفاً على قوم نوح بجعله من قبيل :

عطفها تبنياً وماء بارداً

قوله : (أو على الظالمين لأن المعنى ووعدنا الظالمين) على أن تكون اللام زائدة أو عطفاً على محله ولهذه العناية أخره مع أنه أقرب لفظاً ومعنى قوله لأن المعنى وعدنا الظالمين بيان لمنصوبية المحل مبالاً إلى المعنى إذ معنى اعتدنا هيأنا وهو معنى وعدنا أي أوعدنا .

قوله : (وقرأ حمزة وحفص وثمود على تأويل القبلة) وصرفه باعتبار الحي .

قوله : (وأصحاب الرس قوم كانوا يعبدون الأصنام فبعث الله إليهم شعيباً فكذبوه) وأصحاب الرس والكلام فيه مثل الكلام في عاد وثمود قوله فكذبوه إشارة إلى ما ذكرناه لكن الأولى فكذبوا الرسل فيدخل شعب دخولاً أولياً .

قوله : (فبيناهم حول الرس وهي البشر الغير المطوية) أي المبنية يقال طويت البشر إذا بنيتها بالحجارة .

قوله : (فأنهات فحسف بهم وبدارهم وقيل الرس قرية عظيمة بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث إليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل الأخدود وقيل بئر بأنطاكية قتلوا فيها حبيباً النجار وقيل هم أصحاب حنظلة بن صفوان النبي ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم كان فيها من

قوله : لأن المعنى ووعدنا الظالمين لما اقتضى عطفه على الظالمين أن يكون المعطوف مجروراً مثله وهنا منصوب أول رحمه الله اعتدنا بوعدنا ليكون المعطوف عليه منصوباً لفظاً كالمعطوف أقول لا حاجة إلى ذلك التأويل في صحة العطف لأن المعطوف عليه وإن كان مجروراً باللام لكنه في تقدير النصب على أنه مفعول به لاعتدنا بواسطة حرف الجر فإنه يجوز أن يقال مررت بزبد وعمراً بنصب عمراً عطفاً على زيد المجرور وزيد في تقدير النصب على المفعولية لمررت كقوله :

يذهب في نجد وغوراً غائراً

فإن غوراً معطوف على نجد وهو مجرور لكنه في تقدير النصب ولذا جاز عطف غوراً عليه وعلى تقدير كونه معطوفاً على الظالمين يكون من عطف الخاص على العام مبالغة في ظلم قوم عاد وثمود لأنهم رؤوس الظلمة والأوحديون فيه .

قوله : وهو البشر الغير المطوية أي غير المبنية وفي الأساس طوى البناء بالين والبشر بالحجارة وهي الطوى .

قوله : بفلج اليمامة بفتحين قرية عظيمة من ناحية اليمامة وموضع باليمن من مساكن عاد ويسكون اللام واد قريب من البصرة .

قوله : ابتلاهم الله بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء وقصة العنقاء على ما ذكره

كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها) فانهارت تلك البئر أي انهدمت وغارت كقوله تعالى: ﴿فانهار به في نار جهنم﴾ [التوبة: ١٠٩] قوله بفلج اليمامة بسكون اللام وفتحها وفي آخره جيم قرية عظيمة بناحية اليمامة وموضع باليمن من مساكن عاد قوله فقتلوه هذا مستلزم للتكذيب فهلكوا فقدر أهلكنا أن عطف على قوم نوح كما أشرنا وقيل الرس الأخدود وهو الحفرة المستطيلة وقال في سورة البروج الخدود الخد وهو الشق في الأرض أنطاكبة بتخفيف الباء بلدة معروفة قريبة من حلب الشهباء قتلوا حبیباً النجار مرضه لعدم ملائمة المقام إذ السوق إهلاك قوم كذبوا الرسل وعطف أصحاب الرس على ما قبله يحتاج حينئذٍ إلى التمثل التام وحنظلة قبل إنه كان في فلج اليمامة وهو نبي اختلف في عصره وقيل هو خالد بن سنان وطير اسم جمع أو جمع طائر تذكير عظيم لأن فعلاً يستوي فيه التذكير والتأنيث وقيل يجوز في الطير التذكير والتأنيث وفيه ما فيه.

قوله: (وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتح أو دمع وتنقض على صبيانهم فتخطفهم إذا أعوزها الصيد) يقال له فتح بفتح بالفاء المفتوحة والتاء المثناة من فوق وبالحاء المهملة وقبل إنها معجزة وقيل إنه بمثناة تحتية وضم ودمخ بالذال المهملة وميم ساكنة وخاء معجزة قوله وتنقض أي تنزل من ذلك الجبل قوله فتخطفهم الخطف الاختلاس والانتهاج قوله إذا أعوزها أي احتاجت إلى الصيد.

قوله: (ولذلك سميت مغرباً) فدعى عليها حنظلة فأصابها الصاعقة ثم إنهم قتلوه فأهلكوا مغرب بضم الميم اسم فاعل من أغرب إما لإتيانها بأمر غريب وهو اختطاف الصبي وقبل اختطفت عروساً أو لغروبها أي غيبتها فيكون مغرباً لازماً لا متعدياً كما في الأول وقال بعض المحشين وكان من عادة العنقاء أن تنقض على الطيور فتأكلها فجاءت

رحمه الله هي المذكورة في كتاب مجمع الأمثال الذي ألفه الميداني ولم يظفر بها في غيره.

قوله: يقال له فتح قبل صح بالتاء المثناة من فوق والحاء المعجمة وغير المعجمة رواية وبالجم والياء التختاني أيضاً ذكره صاحب الانضاح في شرح المقامات والدمخ بفتح الدال وسكون الميم والحاء المعجمة من فوق اسم جبل قال الشاعر:

كفى حزناً أنني شطاللت كي أرى ذرى قلبي دمع فما تسيان

قوله تنقض على صبيانهم فتخطفهم أي تسقط على صبيانهم فتسلبهم إذا أعوزها الصيد أي إذا احتاجت إلى الصيد ولم يقدر عليه مثل أعجز صيغة ومعنى يقال أعوز الشيء إذا احتاج إليه ولم يقدر عليه وعوز الشيء عوزاً إذا لم يوجد وعوز الرجل وأعوز أي افتقر وأعوز الدهر أي أحوج.

قوله: ولذا سميت مغرباً أي ولأجل خطفها الصبيان وجعلهم غرباء عن أولادهم سميت تلك الطائر مغرباً بالإضافة في قولهم عنقاء مغرب إضافة بيانية أي عنقاء هي مغرب وترك التاء لكونه اسماً بالغلبة قوله وقيل الأخدود الأخدود شق في الأرض مستطيل والمخد حديدة تخذ بها الأرض أي تشق.


يوماً ولم تجد طيراً فانقضت على صبي فذهبت به فسميت عنقاء مغرب بالتوصيف أو الإضافة لأنها تغرب بكل ما أخذته ثم انقضت يوماً على جارية قاربت الحلم فذهبت بها فشكوها إلى نبيهم حنظلة بن صفوان فدعا عليها وقال اللهم خذها واقطع نسلها فأصابها صاعقة فاحترقت .

قوله : (وقيل قوم كذبوا نبيهم ورسوه أي دسوه في بئر) بمعنى ادخلوه في بئر فأصحاب الرس على هذا لفعلهم الرس في بئر وأما على الأول فلائهم هلكوا في بئر رس فالإضافة لأدنى ملاسة في كل الاحتمالات .

قوله : (وقروناً وأهل إعصار قبل القرن أربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون) وقروناً عطف على أصحاب الرس أي وأهلكنا قروناً كثيراً ولكثرتها لم يذكر بخصوصها .

قوله : (إشارة إلى ما ذكر) من الأمم الهالكة الكثيرة ولذلك حسن دخول بين عليه وتذكير اسم الإشارة باعتبار ما ذكر^(١) كما أشار واختيار صيغة البعد لتبعيدهم عن الاعتبار وتحقيرهم مع الاختصار .

قوله : (لا يعلمها إلا الله) لعدم قصتهم واستشاره في عمله تعالى .

قوله تعالى : **وَكَلَّا تَبَرَّنَا تَتَبِيرًا**  **وَكَلَّا تَبَرَّنَا تَتَبِيرًا**

قوله : (بيناه القصص العجيبة من قصص الأولين إنذاراً وإعذاراً فلما أصروا أهلكوا كما قال ﴿وَكَلَّا تَبَرَّنَا تَتَبِيرًا﴾) بينا معنى ضربنا القصص العجيبة معنى الأمثال بطريق الاستعارة قوله العجيبة بيان الجامع إنذاراً علة لضربنا مفهوم من الفحوى وأعذاراً أي لإزالة العذر والاعتذار والمعنى حذرنا كل أمة أن ينزل بها ما نزل بمن قبلهم فلما أصروا أهلكوا ففيه تحذير هذه الأمة عن تعاطي سبب ما أهلك الأمم السالفة به .

قوله : (فتناه تفتيناً) أي فرقناه تفرقاً وأهلكناهم إهلاكاً فاعتبروا يا أولي الأبصار اعتباراً .

قوله : دسوه في بئر أي أخفوه في البئر بالشراب من دسست الشيء في الشراب أدسه أخفيته فيه .

قوله : اتذاراً واعذاراً والإعذار صنع ما يعذر فيه وفي المثل اعذر من أنذر قال زهير :

فشمشعكم أرحامنا أو استعذر

أي سنصنع ما نعذر فيه وكذا الإنذار صنع ما يعذر فيه وانذارات القرآن إنما جاءت لقطع المعاذير .

(١) وفي الكشف وقد يذكر أشياء مختلفة ثم يشير إليها بذلك وبحسب الحاسب أعداداً متكررة ثم يقول ذلك كيت وكيت على معنى فذلك المحسوب أو المعدود .

الحجارة تفسير مطر السوء فمطر السوء استعارة تهكمية للحجارة من سجيل وقد مر قصتها في سورة هود والحجر .

قوله : (أفلم يكونوا) أي ألم ينظروا نظراً صحيحاً فلم يكونوا يرونها والاستفهام^(١) للإنكار الوقعي .

قوله : (في مرار مرورهم) لأن كان مع المضارع يفيد الاستمرار التجديدي لكن في المنفي لا في النفي .

قوله : (فيمتعظون بما يرون فيها من آثار عذاب الله) عطف على لم يكونوا ليدل على نفي الاتعاض .

قوله : (بل كانوا لا يرجون نشوراً) بل كانوا كفراً بل كانوا إضراب مما فهم من الكلام أي لم ينظروا ولم يتمتعوا بل كذبوا الخ ويحتمل أن يكون للترقي فإن عدم إيمانهم البعث أشنع من عدم اتعاضهم .

قوله : (لا يتوقعون نشوراً ولا عاقبه فلذلك لم ينظروا ولم يتمتعوا فمروا بها كما مرت ركابهم أولاً ياملون نشوراً كما يامله المؤمنون طمعاً في الثواب أو لا يخافونه على لغة التهامه) لا يتوقعون أشار به إلى أن الرجاء ليس هنا بمعنى انتظار الخير فالمراد به التوقع مجازاً ذكر الخاص وأريد العام أو المراد معناه الحقيقي بناء على أن المنفي نشور فيه خير وهم^(٢) لا يرجونه أو المراد الخوف^(٣) على لغة تهامة على أنه حقيقة^(٤) وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى : ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ [الفرقان : ٢١] الآية .

قوله : لا يتوقعون نشوراً فسر رحمه الله معنى الرجاء على ثلاثة أوجه الوجه الأول والثالث تفسير له على التجوز والوجه الثاني على الحقيقة فإن حقيقة الرجاء انتظار الخير قال الراغب الرجاء ظن ما فيه مسرة وفي الأساس أرجو من الله المغفرة ورجوت في ولدي الرشد وأثبت فلاناً رجاء أن يحسن إلي فالكافر لا يرجو بل لا يتوقع لأن التوقع الترقب وفي الأساس توقعت ترقبت وقوعه .

قوله : كما مرت ركابهم لركاب الإبل التي يسار عليها والواحد راجلة ولا واحد لها من لفظها أي مرورهم على آثار المهلكين في عدم نظرهم إليها نظر عبرة وعدم اتعاضهم بها كمرور دوابهم التي يسرون عليها .

(١) أي إنكار للنفي وإثبات للمعني على الاستمرار التجديدي .

(٢) أي ليس المراد بالنشور نشورهم بل نشور فيه خير كنشور المسلمين وهم لا يرجونه حتى يرجعوا عن كفرهم .

(٣) فالمراد جتنب نشورهم .

(٤) ولقد أغرب من قال إنه مجاز بعد تصريح المعنى أنه على لغة تهامة .



قوله تعالى: وَإِذَا رَأَوْهُ إِذْ يَخْذُلُونَكَ إِلَّا هُزُؤًا أَهْذًا الَّذِي بِمَسِّ اللَّهِ رَسُولًا

قوله: (ما يتخذونك إلا موضع هزؤاً ومهزؤاً به) ما يتخذونك أشار إلى أن كلمة أن نافية بقرينة قوله إلا موضع هزء نية به على أن هزؤاً حمل عليه مبالغة والمراد موضع هزؤ بتقدير المضاف أو بمعنى مهزؤ به فيصبح الحمل على الرسول عليه السلام لكن يفوت المبالغة فالأولى إبقاءه على حاله.

قوله: (محكي بعد قول^(١) مضممر والإشارة للاستحقار) محكي بعد الخ أي يقولون أهذا الذي استئناف بيان لاتخاذهم الهزء وجعله حالاً ضعيف وقبل هذا الذي جواب إذا بتقدير القول وجملة أن يتخذونك معترضة لكن الأولى كون أن يتخذونك إلا هزؤاً جواباً وهي تنفرد^(٢) بوقوع جوابها المنفي بماولاً وإن بدون كلمة الفاء بخلاف غيرها من أدوات الشرط وتعقيب الجواب بالشرط هو الأصل والقصر في أن يتخذونك إلا هزؤاً إضافي والإشارة أي بهذا للاستحقار أي للتحقير^(٣) على سبيل المبالغة بمعونة المقام.

قوله: (وإخراج بعث الله رسولاً في معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية الإنكار تهكم واستهزاء ولولاء لقالوا أهذا الذي زعم أنه بعث الله رسولاً) وإخراج بعث الله

قوله: ما يتخذونك إلا موضع هزء أو مهزؤاً به لما كان الهزء مصدرراً لا يوصف به الذات ولا يحمل عليها حمل هو هو فسر بتقدير مضاف قبله أو بجعله بمعنى المفعول.

قوله: محكي بعد قول مضممر تقديره ويقولون ﴿أهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ قوله والإشارة للاستحقار أي الإشارة بكلمة هذا الموضوع للإشارة إلى القريب للاستحقار والاستصغار كقولنا يا عجباً لابن عمرو هذا.

قوله: وإخراج بعث الله رسولاً في معرض التسليم بجعله صلة إلى آخره جعله صلة يؤذن بأنهم سلموا أنه رسول من الله لأن الصلة صفة للموصول والأوصاف لا بد أن يكون معلومة الانسحاب لموصوفاتها على ما مر غير مرة وجعلهم بعث الله رسولاً صلة للموصول بدل على أنهم عالمون بأن الله بعث رسولاً وهو معلومهم ومسلم عندهم فقوله وإخراج مبتدأ خبر تهكم واستهزاء وقوله وهم على غاية الإنكار جملة وقعت حالاً من فاعل الإخراج المتروك ذكره تقديره وإخراجهم بعث الله رسولاً في معرض التسليم والحال أنهم في غاية الإنكار لبعث رسولاً تهكم منهم والمراد إنكارهم لبعث محمد ﷺ رسولاً لا إنكار بعث مطلق الرسول لأنهم لا ينكرون بعث الرسل المتقدمين قوله ولولاء أي لولا قصد التهكم والاستهزاء لكان الأنسب لاعتقادهم الفاسد أن يقولوا أهذا الذي يزعم أنه مبعوث من الله رسولاً.

(١) قوله مضممر أي محذوف ولا فرق بينهما وقيل المضممر يقال فيما كان له أثر ظاهر أو مقدر وهو نصب المفعول محلاً لأنه مفعوله والمحذوف بخلافه انتهى واستعمال كل منهما في موضع الجر بشاهد عليه حيث يقال في مثله على حذف القول وعلى تقديره.

(٢) أي إذا.

(٣) أشار به إلى أن السين في الاستحقار للمبالغة دون الطلب حقيقة.

رسولاً^(١) الخ لأن الصلة تكون معناها معلوماً أو منزلة المعلوم والحال أنهم في غاية الإنكار تهكم واستهزاء لأنه إيراد الكلام على زعم المخاطب من غير تقدير زعم والظاهر أنه استعارة تهكمية بجعل التضاد منزلة التناسب بواسطة التهكم ولولا أي ولولا الاستهزاء والتهكم وإفراد الضمير لأنهما كشيء واحد لقالوا أهذا الذي زعم أنه الخ وهو يؤيد ما قلنا من أن هذا الكلام ونحوه وارد على زعم المخاطب من غير تقديم زعم واستعارة تهكمية.

قوله تعالى: **إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا** ﴿٤٢﴾

قوله: (أنه كاد) أشار به إلى أن إن مخففة من الثقيلة وأنه عامل في ضمير الشأن جوازاً.

قوله: (ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده في الدعاء إلى التوحيد) أي الإضلال بمعنى الصرف والدفع مجازاً.

قوله: (وكثرة^(٢)) ما يورد مما يسبق إلى الذهن أنها حجج ومعجزات) وفي قوله مما يسبق الذهن أنها حجج الخ إشارة إلى أن الكفرة لم يسلما قوة معجزاته عليه السلام بل أرادوا به أنه عليه السلام أكثر المحاجة والجدال بأمور مخيلات يظن أنها معجزات بحيث إنه كاد ليضلنا عن آلهتنا لقوة احتياله بإيراد الموهومة نظيره قوله تعالى: ﴿ولولا أن نبين لك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلاً﴾ [الإسراء: ٧٤] قال المص هناك والمعنى أنك كنت على

قوله: بفرط اجتهاده في الدعاء إلى التوحيد وكثرة ما يورد الخ معنى فرط اجتهاده وكثرة ما يورده من الحجج والمعجزات مستفاد من لفظ كاد الموضوع للتقريب فإن قريبهم إلى ترك دينهم الباطل مسبب من اجتهاد رسول الله ﷺ في الدعاء إلى التوحيد ومن كثرة إيراد الحجج والمعجزات لما أن قوله: ﴿إن كاد ليضلنا﴾ [الفرقان: ٤٢] دليل على فرط مجاهدة رسول الله في دعوتهم وبذلك قصارى الوسع والطاقة في استمطافهم مع عرض الآيات والمعجزات عليهم حتى شاركوا بزعمهم أن يتركوا دينهم إلى دين الإسلام لولا فرط لجأهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم ولقطة إن في إن كاد مخففة من الثقيلة واللام في ليضلنا هي الفارقة قال الإمام وتدل الآية على اعتراف القوم بأنهم ما اعترضوا على الدلائل كلها إلا لمحض الجحود والتقليد لأن قولهم لولا أن صبرنا عليها إشارة إلى الجحود والإصرار كدأب الجهال وإلى أنهم مقهورون تحت حجة صلوات الله عليه وما كان في أيديهم إلا مجرد الوقاحة وإلى أنهم سلموا له في آخر الأمر قوة الحجة ورزاة العقل فالقوم لما جمعوا بين الاستهزاء والاستحغار وبين رزاة العقل وقوة الحجة دل على أنهم كانوا متحيرين في أمره.

(١) ورسولاً حال من هذا أو من مفعول بعث.

(٢) وكثرة ما يورد الخ إشارة إلى سبب قرب وجود مضمون الخبر للفاعل قولهم ﴿لولا أن صبرنا﴾ الآية إشارة إلى وجود المانع لوجود مضمون الخبر للفاعل تأمل.

صدد الركون إليهم لقوة خدعهم وشدة احتياليهم لكن أدركتكم عصمتنا الخ وإلى هذا أشار بقوله مما يسبق إلى الذهن الخ ولم يقل لقوة خدعه وشدة احتياله تأدياً مع أن ذلك مراد الكفرة الفجرة فلا وجه لما قاله الفاضل^(١) المحشي من أنه فيه دلالة على اضطرابهم وتحيرهم حيث دلت هذه الجملة على تسليمهم قوة حجته عليه السلام مع أنهم استهزؤوا به أولاً فتناقضوا ولا يحتاج أيضاً إلى ما قيل من أنه أخرج في معرض التسليم تهكماً كما في قولهم بعث الله رسلاً.

قوله: (ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا في مثل هذا تقييد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ) لأن الجزاء وما في حكمه لا يتقدم على الشرط إذ لولا في معنى الشرط الذي هو قيد الحكم في الجزاء وهذا مذهب البصريين وعند الكوفيين يجوز تقديم الجزاء على الشرط.

قوله: (كالجواب لقولهم ﴿إِنْ كَادَ لِيُضِلَّنَا﴾ [الفرقان: ٤٢]) ولم يقل جواب إما لكونه غير صريح فيه أو لعدم كون ما سبق سؤالاً ظاهراً لكنه في قوة سؤال أنحن في ضلال مبين أم هو صلى الله تعالى عليه وسلم حيث ترك دين آبائه فأجيب بذلك الجواب المنتصف المسكت للخصم المشاغب ومن استفهامية خبرها أضل والجملة سادة مسد مفعولي يعلمون لأنه معلق به وجعلها موصولة يحتاج إلى حذف صدر الجملة الواقعة صلة أي من هو أضل.

قوله: (فإنه يفيد نفي ما يلزمه ويكون الموجب له) بيان لكونه كالجواب إذ كلامهم

قوله: ولولا في مثله تقييد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ يعني أن كلمة لولا في مثل هذا الكلام تقييد الحكم المطلق السابق الدال على الجزاء تقييداً من جهة المعنى دون اللفظ لأن لولا ليست بموضوعة للتقيد فإن كلمات الشرط تقتضي بحسب الوضع أن يأتي بعدها جملتان شرط وجزاء وقد يؤتى في بعض المواضع الذي يراد تقييد الجملة المتقدمة بشرط محذوف جوابه كقولك أتيتك غداً إن تركني فلان فقولك إن تركني تقييد لا من حيث اللفظ لأن أن ليست بموضوعة للتقيد والحكم المطلق في كاد ليضلنا هو تقريب الرسول ﷺ إليهم بالاجتهاد إلى ترك دينهم صبروا عليه أو لا يفيد هذا الحكم المطلق قولهم ﴿لَوْلا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ فالمعنى هو يضلنا لو لم نصبر على عبادة الهتنا ولم نتصلب على ديننا ولو صبرنا عليها لا يضلنا وهذا هو معنى تقييد الحكم المطلق وقال التحويون في مثله هو شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه وحكم لولا حكم كلمات الشرط في اقتضاء الجملتين وتقدير الربط بينهما.

قوله: (فإنه يفيد نفي ما يلزمه ويكون الموجب له هو بيان لكون هذه الآية كالجواب لقولهم إن كاد ليضلنا يعني لما استلزم قولهم إن كاد ليضلنا اعتقادهم أنه ضال وأوجه لأن الإضلال لا يكون إلا صفة الضال ولا يتصور من الهادي إضلال قوبل به قول وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلاً رداً لاعتقادهم ذلك وإبعاداً لهم.

(١) لما عرفت من أن قرب الشيء قد يكون بالاحتياط الكثير فأين الدلالة على الاضطراب.

يفيد أنه عليه السلام ضال لزعمهم أن ما هم عليه حق فنفى سبحانه وتعالى ما يلزمه نفياً ضمنياً بحيث لا مساع في المناقشة فيه كما ببناء ويكون الموجب له عطف على يلزمه والظاهر أنه بكسر الجيم أي يفيد نفي ما يكون موجباً وباعثاً لقولهم الرديء وهو كونهم على الهداية وهذا النفي أيضاً غير مصرح به إذ لا تعيين لمن هو ضال وكلام المص^(١) بناء على ما هو في نفس الأمر.

قوله: (وفيه وعيد ودلالة على أنه لا يهملهم وإن أهملهم) وفيه وعيد في قوله: ﴿وسوف يعلمون حين يرون العذاب﴾ [الفرقان: ٤٢] قوله ودلالة على أنه لا يهملهم وإن طالبت المدة أشار إليه بقوله وإن أهملهم وجه الدلالة أنه لما قال تعالى: ﴿وسوف يعلمون﴾ [الفرقان: ٤٢] الآية بكلمة سوف الدالة على التأخير علم أنه تعالى أخذهم أخذاً شديداً وإن طالبت مدة الانتقام والظاهر أن أضل في بابه وقبل بمعنى مطلق الزيادة بمعنى في غاية الضلال وهو الضال المضل فيفيد نفي ما صرحوا به من كونه مضلاً فيكون جواباً لا كالجواب وهذا ذهول عن عدم تصريح من أضل سبيلاً.

قوله تعالى: **أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا** ﴿٤٣﴾

قوله: (أرايت)^(٢) أي أخبرت من اتخذ من استهفامية واتخذ بمعنى صير وجعل والجعل بالاعتقاد.

قوله: (بأن أطاعه)^(٣) وبني عليه دينه) أي بني أمر دينهم على التشهي وتدين بما لا يعود عليه نفعه عاجلاً وآجلاً كعبادة الصنم وتحريم البحائر والسوائب وأعرض عن دينه الذي كلفه فهو عابد هواه في نفس الأمر وجاعله آلهة الخطاب للرسول عليه السلام فيقول له هذا الذي لا يرى معبوداً إلا هواه كيف تستطيع أن تدعوه إلى الهدى مع أنه مقضى بقاءه على هذه الحالة الردية ولا بد من هذا القيد لأنه عليه السلام استطاع كثيراً ممن اتبع هواه على الدعوة إلى الهدى مع الاستجابة أو يقال إنه عام خص منه البعض والمنفي الاستطاعة على الدعوة المقرونة بالإجابة لا الاستطاعة مطلقاً.

قوله: (لا يسمع حجة ولا يبصر دليلاً) لا يسمع سمع قبول ولا يبصر دليلاً بنظر الاعتبار والمراد بالحجة الدلائل النقلية والدليل الآيات العقلية الآفاقية والأنفسية لأنها مبصرة والأولى مسموعة وفي قوله بأن أطاعه الخ إشارة إلى أن المراد بجعل هواه إلهه محمول على التشبيه وإنما فسر الإله بالدين لبناء أمر دينه عليه.

(١) حيث قال يفيد نفي ما يلزمه.

(٢) ورأى علمية فقله أفأنت في محل المفعول الثاني أو بصرية فهي مستأنفة والفاء للعطف على محذوف كما أشرنا إليه.

(٣) أي ترك متابعة الهدى إلى مطاوعة الهوى فكأنه يعبد فالإله هنا مستعار للمطاع المتبع الذي هو الدين.

قوله: (وإنما قدم المفعول الثاني) وإنما حسن هذا التقديم لقيام القرينة على التقديم إذ لا مساغ لتكون الإله مفعولاً أولاً حتى يشبه الأمر ووجوب تقديم المبتدأ أي إذا كانا معرفتين فيما انتهى القرينة.

قوله: (للعناية به) لأن المراد^(١) إنكار اتخاذ الهوى إلهاً لا اتخاذ الإله مطلقاً نظيره قوله تعالى: ﴿أَغِيرَ اللَّهُ اتِّخَذَ وَلِيًّا﴾ [الأنعام: ١٤] فإن المنكر هو اتخاذ غير الله ولياً لا اتخاذ الولي والقول بأن الإله يستحق التعظيم والتقديم ضعيف فإنه في الإله الحق لا الباطل وكون التقديم للحصر يوهم خلاف الصواب.

قوله: (أفأنت تكون) أي أنت تكون مالكا لأمره فنكون عليه وكيلاً.

قوله: (حفيظاً تمنعه عن الشرك والمعاصي وحاله هذا) حفيظاً لم يقل متصرفاً أما أولاً فلتنعديته بعلى وأما ثانياً فلا يناسب في هذا المقام إذ المعنى أفأنت تكون عليه وكيلاً من قبلنا فيكون بمعنى حفيظاً قوله تمنعه معنى حفيظاً قوله وحاله أي حال من هذا أي الإصرار على الكفر وجعل هواء إلهاً وهذه الحالة تضاد المنع عن الشرك لأن بقاءه عليه محكوم به في الأزل^(٢).

قوله: (فالاستفهام الأول للتقرير والتعجيب والثاني للإنكار) فالاستفهام الأول

قوله: (وإنما قدم المفعول الثاني للعناية به يراد أن هواء مفعول أول لاتخذوا المفعول الثاني آلهة وأصل المعنى أرايت من اتخذ الهوى إلهاً قدم المفعول الثاني للاهتمام لأن قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مِنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الفرقان: ٤٣] كلام وارد على طريق الإنكار والإلوهية الهوى ادخل في الإنكار من نفس الهوى قال صاحب الانتصاف وفيه نكتة إفادة الحصر فإن الجملة قبل دخول أرايت واتخذ مبتدأ وخبر والمبتدأ هواء والخبر إلهه وتقديم الخير كما علمت يفيد الحصر فكأنه قال أرايت من لم يتخذ معبوده إلا هواء وذلك أبلغ في ذمه وتوبيخه قال صاحب الكشف وهو كما تقول علمت منطلقاً زيدا لفضل عنايتك بالمطلق وقال صاحب الفرائد تقديم المفعول الثاني يمكن حيث يمكن تقديم الخبر على المبتدأ والمعرفان إذا كانتا وقتاً مبتدأ وخبراً فالمقدم هو المبتدأ فقوله كما تقول علمت منطلقاً زيدا ليس بسديد وقال الطيبي رحمه الله لا شك في أن مرتبة المبتدأ التقديم وأن المعرفتين أيهما قدم فهو المبتدأ لكن صاحب المعاني لا يقطع نظره من أصل المعنى فإذا قيل زيد الأسد فالأسد هو المشبه به أصالة ومرتبته التأخير عن المشبه بلا نزاع فإذا جعلته مبتدأ في قولك الأسد زيدا أرزته عن مقره الأصلي للمبالغة وما نعني بالمقدم إلا المزال عن مكانه لا القرار فيه فالمشبه به ههنا الإله والمشبه الهوى لأنهم نزلوا هوامهم في المتابعة منزلة الإله تقدم المشبه به الأصلي وأوقفه مشبهاً ليؤذن بأن الهوى في باب استحقاق العبادة لها أقوى من الإله تعالى كقوله تعالى: ﴿وإنما البيع مثل الربا﴾ [البقرة: ٢٧٥] ولمح صاحب المفتاح إلى هذا المعنى في كتابه.

قوله: (والاستفهام الأول للتقرير والتعجيب والثاني للإنكار أي الاستفهام في أرايت للتقرير

(١) ومن غفل عن هذه النكتة الرشيقه واعترض على المص فقد غفل.

(٢) بصرف إرادته الجزئية إليه فلا جبر.

وهو الهمزة في أرأيت للتقرير أي لتقرير الرؤية ويتولد منه التعجيب أي من الرؤية المذكورة وفي الحقيقة التعجيب من الاتخاذ المذكور والثاني وهو أفأنت للإنكار أي لإنكار كونه عليه السلام وكيلاً عليه إنكاراً وقوعياً فالمنكر هو الفعل هنا كما في قوله تعالى : ﴿ أفأنت تكفر الناس ﴾ [يونس : ٩٩] فحينئذ يكون هذا كقوله تعالى : ﴿ وما أنت عليهم بجبار ﴾ [ق : ٤٥] ^(١).

قوله تعالى : أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ

سِكِّيلًا

قوله : (بل أنت حسب) إشارة إلى أن أم منقطعة ولم يحمل على أم المتصلة إذ المعنى على الترتي من السؤال الأول إلى ما هو أبلغ منه كما أشار إليه بقوله وهو أشد مذمة الخ فالإضراب للانتقال من القبيح إلى الأقيح من حالهم فالاستفهام للإنكار الواقعي وهو الظاهر لأن الجد والسعي البليغ في هدايتهم الحساب من عليه السلام ذلك أن أكثرهم يسمعون الحق سماع قبول أو يعقلون الحق بالتحديق في الآيات والمعجزات كلمة أو لمنع الخلو تنبيهاً على أن أحدهما غير متوقع منه فضلاً عن مجموعهما وإلا فلا بد منهما في قبول الهداية وجه كونه أشد مذمة منه هو لكونه سلباً للإحساس والشعور وجعلهم كالحيوان بل كالجماد وضمير أكثرهم راجع إلى من باعتبار معناه وضمير الأفراد في عليه نظراً إلى لفظه تقديم السمع لأنه آلة لتعقل الحق واكتفى به لأنه أكثر نفعاً من البصر.

قوله : (فتجدى لهم الآيات أو الحجج فتنتهم بشأنهم وتطمع في إيمانهم وهو أشد مذمة مما قبله حتى حق الإضراب عنه إليه وتخصيص الأكثر لأنه كان منهم من آمن) لأنه كان منهم من آمن بعد اتخاذ إلهه هو وفيه دليل على ما ذكرناه فيما مضى من أن هذا عام خص من البعض أو مخصوص بمن علم الله أنهم يمتنون على الكفر وذكر الأكثر هنا دون ما مر للفتن في البيان وأيضاً لكمال قلته كالمعدوم ولذا جاء الأكثر دون الكثير.

والتعجيب وفي أفأنت للإنكار التقرير هنا بمعنى الحمل على الإقرار والتعجيب بمعنى إيقاع المخاطب في العجب.

قوله : بل أنت حسب إشارة إلى أن أم منقطعة بمعنى بل والهمزة.

قوله : وهو أشد مذمة مما قبله حتى حق بالإضراب عنه أي كونهم مسلوبين السمع والعقل أشد ذمّاً لهم من اتخاذهم الهوى إلهاً لأنهم لا يلقون إلى استماع الحق إذناً ولا إلى تدبره عقلاً ويتبادون في الغفلة والضلال.

(١) ويروى أن الرجل منهم كان يعبد الحجر فإذا رأى أحسن منه رمى به وأخذ آخر ومنهم الحارث بن قيس كذا في الكشف.

قوله: (ومنهم من عقل الحق) ولم يذكر السمع لما ذكرنا من أنه ذريعة إلى معرفة الحق ونبه أيضاً على المفعول المحذوف.

قوله: (وكابر استكباراً أو خوفاً على الرياسة) فحينئذ تعقله كلا تعقل فالأولى الاكتفاء بقوله من آمن.

قوله: (إن هم) الضمير للأكثر إلا كالأنعام مستثنى من عموم الأشياء المشبهة.

قوله: (في عدم انتفاعهم بقرع الآيات إذ إنهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات في عدم انتفاعهم سواء كانوا مستعدين للانتفاع وأضاعوه كما في المشبه أولاً كما في المشبه به وعدم الانتفاع مشترك بينهما ولا يضره الفرق المذكور.

قوله: (من الأنعام) لأنها تنقاد لمن يتعهدا وتميز من يحسن إليها ممن يسيئ إليها وتطلب ما ينفعها وتتجنب ما يضرها وهؤلاء لا يتقادون لربهم ولا يعرفون إحسانه من إساءة الشيطان ولا يطلعون الثواب الذي هو أعظم المتافع ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار ولأنها إن لم تعتقد حقاً ولم تكتسب خيراً لم تعتقد باطلاً ولم تكتسب شراً بخلاف هؤلاء ولأن جهالتها لا تضر بأحد وجهالة هؤلاء تؤدي إلى هيج الفتن وصد الناس عن الحق ولأنها غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم وهؤلاء مقصرون مستحقون أعظم العقاب على تقصيرهم^(١) لأنها أي الأنعام تنقاد من يتعهدا أي تطيع من يقوم بعهدا مصالحها كأكليها وسقيها وهذا معروف مشاهد في أحسن الحيوان وهو الكلاب فاعتبروا يا أولي الأبواب ولقد بالغ في تحميق هؤلاء الكفرة حيث شبه أولاً بالأنعام في عدم إدراك الحق ثم حكم بأنهم أضل سبيلاً من الأنعام من الجهة التي بينها المص ولا مشابهة بينهما من هذه الحشية وهذا أشد توبيخاً^(٢) مما قبله قوله غير متمكنة من طلب الكمال لعدم عقلها الذي هو مدار تمكن طلب الكمال وفي نسخة على طلب الكمال صوابه من طلب الكمال.

قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّ رَيْكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ

كَيْفَ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾

قوله: (ألم تنظر إلى صنعه) الرؤية هنا بصرية لا قلبية فلا جرم أنه يحتاج إلى تقدير المضاف وفي نسخة إلى صنيعه أي إلى مصنوعه ونسخة صنعه مألها أيضاً مصنوعه بناء على أنه الحاصل بالمصدر فإنه المعرني لا المعنى النسبي.

قوله: (كيف بسطه) كيف في مثل هذا منسلخ عن الاستفهامية ويكون بمعنى الحال منصوب بمد آخر لصدارته والتقدير مد الظل على أي حال شاء أو مد على حال غريبة

(١) قوله لأنها تنقاد الخ وهذه الأمور ليست من قبيل الضلال فاضل بمعنى الزيادة المطلقة وأما في الوجوه الباقية فيمكن حمله على معنى التفصيل تأمل.

(٢) أشار إلى أن بل للترقي والاضراب عن الأدنى إلى الأعلى.

لطيفة والجملة بيان لصنيعه وهذا شروع في بيان بعض أدلة التوحيد إثر بيان إشراك المشركين ووخامة عاقبتهم وبسطه تعريف لفظي لمد.

قوله: (أو ألم تنظر إلى الظل كيف مده ريك) هذا تكلف وقد عرفت أن الصنع بمعنى الحاصل فيكون مرثياً بقرينة صنيعه لا المعنى النسبي حتى يكون معقولاً غير موجود في الخارج إذ ما تعلق بالإيجاد هو الحاصل بالمصدر الموجود في الخارج.

قوله: (فغير النظم إشعاراً بأن المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه وتصرفه على الوجه النافع بأسباب ممكنة على أن ذلك فعل الصانع الحكيم) وهو^(١) دلالة حدوثه الضمير المرفوع للبرهان لا للمعقول والضمير المجرور للمعقول^(٢) وهو المعنى النسبي والظاهر أنه موجود في الخارج مخلوق وقد بين صاحب التوضيح في المقدمة الأولى من المقدمات الأربع أنه غير موجود في الخارج لأنه لو وجد لزم التسلسل المحال فالمراد بالمصادر في مثل هذا الحاصل بالمصدر حتى قالوا في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفافات: ٩٦] أي عملكم على أن ما مصدرية والمصدر بالمعنى الحاصل بالمصدر أي معمولكم قوله لوضوح برهانه علة لقوله كالمشاهد قدم لكونه مورداً بالبرهان قوله على أن ذلك متعلق بالدلالة والمراد بأسباب ممكنة طلوع الشمس وحركتها والأشياء المظلمة قوله ممكنة ليس مما لا بد منه وإن أريد بالظل ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس كما سيجيء فالمراد بالأسباب طلوع الفجر والأجرام وقرب الشمس إلى الأفق.

قوله: (كالمشاهد المرثي فكيف^(٣) بالمحسوس منه) كالمشاهد المرثي خبر لقوله

قوله: أو ألم تنظر إلى الظل عطف على قوله ألم تنظر إلى صنعه قوله فغير النظم إشعاراً بأن المعقول إلى آخره يعني أن في قوله عز من قائل: ﴿ألم تر إلى ريك كيف مد الظل﴾ [الفرقان: ٤٥] دليلين على وجود الصانع أحدهما محسوس هو الظل والآخر معقول هو مده أي كونه ممدوداً والمحسوس أدل على وجود الصانع تعالى من المعقول فأصل الكلام أي يقال ألم تر إلى الظل كيف مده ريك لكن غير النظم عن أصله وجعل الدليل أمراً معقولاً فقيل: ﴿ألم تر إلى ريك كيف مد الظل﴾ [الفرقان: ٤٥] إشعاراً بأن المعقول من هذا الكلام المشتمل على المعقول والمحسوس كالمشاهد في وضوح دلالاته على موجدته وصانعه فكيف الحال بدلالاته المحسوس على صانعه أي إذا كان الأمر العقلي المعنوي ظاهر الدلالة على وجود الرب الخالق لكونه حادثاً وممكناً فدلالة الأمر الحسي المعين عليه أقوى وأظهر قوله ثابتاً من السكنى أو غيره، تلصص من السكون فسر ساكتاً على وجهين الأول أن يكون من السكنى بمعنى الاستقرار والثبوت فح لا يكون المراد به ما يقابل الحركة وإذا كان من السكون يكون المراد مقابل الحركة وبالمعنى الحركة لكن على التجوز من حيث إنه سمي اتساع الظل وامتداده تحركاً منه وعدم ذلك سكوتاً.

(١) إضافة الدلالة إلى الحدث من إضافة الصفة إلى الموصوف أي حدوثه الدال الخ فلا تسامح.

(٢) أو الظل والمأل واحد.

(٣) وتصرفه مصدر مجهول فهو زيادته وكماله ونقصانه قوله فكيف بالمحسوس منه وهو الظل نفسه أي فكيف =

بأن المعقول ولذا صح تعلق الرؤية به بعد تنزله منزلة المرئي .

قوله : (أو ألم ينته علمك إلى ريك كيف مد الظل وهو فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو أطيب الأحوال فإن الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهز البصر) أو ألم ينته علمك الخ أي الرؤية قلبية فحينئذ لا تغيير في النظم ولا تنزيل المعقول منزلة المرئي قوله ألم ينته إشارة إلى أن تعديته بعلى لتضمينه معنى الانتهاء ولذا لم يقل ألم تعلم مع أنه مراده وهو فيما بين طلوع الشمس والفجر على الوجوه كلها والكلام السابق وهو قوله وهو دلالة حدوثه أي الظل المعقول بلاثمه كون الظل عاماً له ولغيره بعد طلوع الشمس وإن قيل في تخصيصه بأنه أطيب الأحوال فإنه يقتضي نعمة جسيمة والكلام في الدلالة والكل سواء في الدلالة وبعض كلامه في قوله وجعلنا الشمس يشعر بالعموم قوله ويهز البصر أي يغلبه .

قوله : (ولذلك وصف به الجنة فقال ﴿وظل مدود﴾) لكنه مجاز وفيما نحن فيه الظل حقيقة والاستفهام في ألم تر إنكار للنفي وتقرير للنفي أي قد رأيت أو قد انتهى علمك .

قوله : (ثابتاً من السكنى) أراد به أن ساكناً من السكنى بمعنى الاستقرار لا من السكون فيكون المعنى مستقراً غير زائل وذلك بإمساك الله تعالى الشمس قرب الأفق عن الطلوع قبل أولاً تذهب وهذا أنسب بما قبله من الامتنان بمد الظل لكن ما ذكرنا هو المناسب لتقرير المعنى .

قوله : (أو غير متقلص من السكون بأن يجعل الشمس مقببة على وضع واحد) غير متقلص من قلص الظل إذا ارتفع قوله بأن تكون الشمس على وضع واحد فيكون الظل لاصقاً بأصل كل مظل من جبل وبناء وشجرة غير منبسط وهو معنى غير متقلص فلم ينتفع به ولهذا سمي اتبساط الظل وامتداده تحركاً وعدم ذلك سكناً كذا في الكشف وهذا يقتضي كون المراد الظل بعد طلوع الشمس واكتفى الزمخشري بكونه من السكون والمص أشار إلى احتمال كون المراد الظل فيما بين طلوع الفجر أولاً والظل من طلوع الشمس ثانياً فعلى الأول يكون من السكنى ومن السكون على الثاني وهو أحسن من مختار الزمخشري .

قوله : (فإنه لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوءها على بعض الأجرام) أشار إلى أن

قوله : فإنه لا يظهر أي فإن الظل لا يظهر للحس ما لم تطلع عليه الشمس فيقع ضوءها على بعض الأجرام كالحائط والشجر وهذا التوجيه مبني على أن يكون الظل أمراً عديمياً حيث قال لا يظهر ولم يقل لا يوجد وقوله أو لا يوجد ولا يتفاوت إلا بسبب حركتها مبني على كونه وجودياً فيكون الشمس على الأول سبباً لظهوره وعلى الثاني يكون سبباً لوجوده .

= يشبه كون المحسوس وهو الظل مشاهداً حتى يبين ويقلل ألم تر أي ألم تنتظر إلى الظل أي لا حاجة إليه لظهوره ولذا غير النظم منه إلى ما ذكر .

الدليل باعتباره ظهوره في الحس فلولاً الشمس لما عرف الظل إذ الأشياء تعرف بأضدادها^(١) قوله حتى تطلع يشعر بأن المراد الظل بعد طلوع الشمس خلاف ما تقدم فالدليل أني يفيد العلم.

قوله: (أو لا يوجد ولا يتفاوت إلا بسبب حركتها) لأن وجوده بحركة الشمس إلى الأفق وتفاوته بحركتها من الأفق إلى ما فوقه عادة فلو لم يتحرك الشمس من تحت الأرض لم يوجد الظل مطلقاً أي ما بين طلوع الفجر والشمس وغيره مما بعد طلوع الشمس ولو لم يتحرك فوقها لا يتفاوت الظل مع أنه متحقق فالدليل حيث لا بمعنى العلة المقتضية له عادة لا بمعنى يفيد العلم وهو بهذا المعنى غير متعارف^(٢) ولذا أخره توضيح هذا المقام إن الظل هو الضوء الحاصل في الجسم من مقابلة المضيء لغيره كالضوء الحاصل على وجه الأرض حال الأسفار وعقيب الغروب فإنه مستفاد من الهواء المضيء لغيره وهو الشمس وهذا الظل يعرف بطلوع الشمس في الأول وبغروبها في الثاني وكالضوء الحاصل في أفنية الجدار والأشجار وفي البيوت وهو الحاصل من الهواء المضيء لغيره وهذا الظل يوجد بتحقيق طلوع الشمس ويتفاوت طولاً وقصراً بحركة الشمس فوق الأفق والتفاوت مختص بهذا الظل ولهذا الظل تفاوت في الشدة والضعف فإن الحاصل في أفنية الجدار أقوى من الآخرين ولم يتعرض المص لهذا التفاوت لأن هذا التفاوت موجود في الأول وهو الظل الحاصل حال الأسفار وعقيب الغروب وأيضاً هذا التفاوت ليس يتحرك الشمس فوق الأفق وعلم من هذا البيان أن مراد المص بقوله وهو فيما بين طلوع الشمس والفجر الظل حال الأسفار لا مطلقاً ولم يذكر ما هو عقيب الغروب اكتفاء بذكره حال الأسفار.

قوله تعالى: ثُمَّ قَبَّضْتَهُ إِثْنًا قَبْضًا يَبِيرًا ﴿٤٦﴾

قوله: (أي أزلناه بإيقاع الشعاع موقعه) أو بإيقاع الظلمة موقعه ولم يتعرض له عدم تعرضه الظل بعد الغروب.

قوله: (لما عبر عن إحداثه بالمد بمعنى البسط عبر عن إزالته بالقبض إلى نفسه)

قوله: أزلناه فسر القبض بالإزالة لكونها لازمة للقبض فهو تفسير باللازم فيكون القبض في معنى الإزالة من باب المجاز المرسل.

قوله: لما عبر عن إحداثه بالمد بمعنى النشر عبر عن إزالته بالقبض النشر بمعنى البسط ضد القبض ففي ذكر القبض بعد ذكر المد رعاية معنى المقابلة والتضاد وهو من محسنات الكلام يعني لما عبر عن إحداثه بالمد بمعنى النشر عبر عن إزالته بالقبض رعاية لتناسب التضاد وزيادة لحسن الكلام وكذا في ذكر السكون في مقابلة المد الذي بمعنى التحريك رعاية صنعة

(١) ولولا النور لما عرفت الظلمة.

(٢) إلا أن يقال إنه تشبيه بليغ أي جعل الشمس كدليل في الاستنباع واللزوم سيحيي الإشارة إليه في الدرس الآتي.

لما عبر عن إحدائه أي عن إحداث الظل بالمد بمعنى التسيير وفي نسخة النشر وهو أنسب بالقبض.

قوله: (الذي هو بمعنى الكف) أي الجمع من كف أطراف ثوبه إذا جمعه وليس الكف بمعنى الترك والقبض جمع المنبسط من الشيء ومعنى ثم قبضناه إلينا أي إلى حيث أردنا وهذا أصل معناه ثم استعمل هنا في معنى الإزالة والإفناء بالكلية لما ذكره من قوله لما عبر عن إحدائه الخ وهذا هو الداعي إلى المجاز وأما العلاقة فلأن القبض إزالة الانبساط فأريد به مطلق الإزالة ثم إزالة الظل أو بطريق الاستعارة^(١).

قوله: (قليلاً قليلاً حينما ترتفع الشمس) هذا بقرينة الواقع وإلا فلا يدل اللفظ على التدرج كقوله تعالى: ﴿ذلك حشر علينا يسيراً﴾ [ق: ٤٤].

قوله: (ليتنظم بذلك مصالح الكون ويتحصل به ما لا يحصى من منافع الخلق) لينظم بذلك مصالح الكون إذ الظل أطيب الأحوال ونيط به وقت الصلاة واستراحة العباد وغير ذلك وطلوع الشمس نيظ به مصالح المعاش ففي مجموع ذلك منافع شتى تعرف بالتأمل الأخرى.

قوله: (وثم في الموضوعين لتفاضل الأمور^(٢) أي ثم) هنا للتراخي الترتبي لا للزماني

المقابلة فالمد لتضمنه معنى ابسط يقابل القبض ولتضمنه معنى التحريك يقابل السكون.

قوله: قليلاً قليلاً حسب ما يرتفع الشمس لينتظم بذلك مصالح الكون قال صاحب الكشف ومعنى كون الشمس دليلاً أن الناس يستدلون بالشمس بأحوالها في ميسرها على أحوال الظل من كونه ثابتاً في مكان وزائلاً ومتسعاً ومثقلصاً فينبشون حاجتهم إلى الظل واستفناءهم عنه على حسب ذلك وقال وفي هذا القبض اليسير شيئاً فشيئاً من المنافع ما لا يعد ولا يحصر ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت منافع الناس بالظل والشمس جميعاً إلى هنا كلامه ومن تلك المنافع معرفة أوقات الصلاة ومعرفة الساعات والأوقات التي ينوط بها أكثر أمور المعاش والمعاد ومنها أن في التدرج الاستئناس وفي الفجاءة التوحش قال محيي السنة في المعالم والقبض جمع المنبسط من الشيء معناه أن الظل يعم جميع الأرض قبل طلوع الشمس فإذا طلعت الشمس قبض الله الظل جزء فجزء قبضاً يسيراً أي خفياً.

قوله: وثم في الموضوعين لتفاضل الأمور أي لتفاضل الأمور الثلاثة التي هي مد الظل وجعل الشمس دليلاً عليه وقبضه إليه يعني ثم ههنا استعارة تبعية شبه بعد المرتبة بالبعد الزماني فاستعير للمشيبة لفظاً ثم ومعنى تفاضل هذه الأمور مرتبة إن قبض الظل على مهل وتدرج صنع عجيب وأمر غريب ينوط به منافع لا تحصى على ما ذكر فهو أعلى مرتبة من جعل الشمس عليه دليلاً

(١) شبه إزالة الظل بإزالة الانبساط.

(٢) وفي الكشف والثاني أعظم من الأول والثالث أعظم منهما فيكون الترتيبي من الأدنى إلى الأعلى وبعض المحشين جوز عكسه أيضاً وما ذكر في أصل الحاشية بناء على أنه من الأدنى إلى الأعلى في الموضع الأول ومن الأدنى إلى الأعلى في الموضع الثاني.

استعارة تشبيهاً للتباعد الرتبي بالتباعد الزمني إذ طلوع الشمس لا شك أنه لما نيط به من مصالح المعاش أنفع من الظل وإن كان أطيب الأحوال فيكون من الأدنى إلى الأعلى والقبض وهو إزالة الظل أدنى من وقت الطلوع ووقت الشعاع وليس فيه تراخ زمني.

قوله: (أو لتفاضل مبادئ أوقات ظهورها) والتراخي على هذا زمني فإن ابتداء زمان طلوع الشمس مترخ عن ابتداء وقت مد الظل وكذا ابتداء وقت ظهور قبض الظل مترخ عن ابتداء وقت الطلوع فإن القبض لا يظهر ما لم يرتفع الشمس مقداراً ما فالتراخي الزمني باعتبار الابتداء وأما باعتبار الانتهاء فلا ولو جاء بالغاء لحسن نظيره إنزال الماء^(١) من السماء وإنبات النبات لكن حينئذ الأولى أو لتراخي مبادئ أوقات الظهور إذ التفاضل يناسب التراخي الرتبي وهذا الوجه لم يتعرض له صاحب الكشاف.

قوله: (وقيل مد الظل لما بنى السماء بلا نير ودحا الأرض تحتها فألقت عليها ظلها ولو شاء لجعله ثابتاً على تلك الحال ثم خلق الشمس عليه دليلاً أي مسلطاً عليه مستتباً إياه) وقيل قائله الزمخشري ولتكلفه لم يرض به المص وأيضاً يفوت حينئذ أكثر اللطائف التي متحققة في الأول ودحا الأرض لم يقل وخلق الأرض للإشارة إلى أن خلق الأرض مقدم على خلق السماء لكن دحوها متأخر عنه فألقت عليها ظلها فيه مسامحة لأنه لا ظل في ذلك الوقت كما عرفت آنفاً من أنه عبارة عن الضوء فالظاهر ظلمتها^(٢) كما يشاهد الآن قوله ثابتاً أشار إلى أن ساكناً من السكوني قوله: ثم خلق الشمس حمل جعل على خلق قوله أي مسلطاً الخ جعل الدليل مجازاً فيما ذكره ولا يخفى ضعفه ولذا زيفه.

قوله: (كما يستتبع الدليل المدلول) يعني الدليل ما يلزم من العلم به العلم بشيء آخر والاستتباع في كلامه بمعنى اللزوم^(٣) قوله كما يستتبع الدليل الخ بناء على أنه استعارة وقيل يعني أن الشمس مسلطة عليه أي على الظل بإيجاده وإعدامه ودليلاً عليه لإظهاره فحينئذ يكون دليلاً على حقيقته فلا وجه لقوله كما يستتبع الدليل الخ تذكير مسلطاً باعتبار الدليل

وجعل الشمس دليلاً عليه أعلى منزلة من مد الظل لعلو رتبة الإشراف على رتبة الظل المشوب بالظلام وليس المعنى أن الله تعالى بعد ذلك المد بزمان مترخ جعل الشمس عليه دليلاً فيجب الحمل على المجاز وكذلك ثم قبضها إلينا.

قوله: (وقيل مد الظل حين بنى السماء بلا نير أي مد الله الظل حين بنى السماء بلا كوكب نير هذا بيان لوجه تفاضل مبادئ أوقات تلك الأمور الثلاثة فعلى هذا يكون استعمال ثم على حقيقته وهي التراخي في الزمان.

(١) ولهذا جاء في موضع أنزل من السماء ماء فألقت الخ وفي موضع آخر جاء بسم.

(٢) فحينئذ يراد بالظل في النظم الكريم الظلمة ولا يخفى ضعفه مع عدم ملائمة ما بعده.

(٣) والعلاقة اللزوم فذكر الدليل وأريد المشبه وهو عليه الشمس في الخارج أو المراد أنه تشبيه بليغ أي جعل الشمس كدليل في الاستتباع واللزوم.

وضمير عليه وإياه راجع إلى الظل بطريق الاستخدام لأن الظل الذي تكون الشمس مسلطة عليه بإيجاده وإعدامه كما اختاره البعض غير الظل الذي أريد بظاهره .

قوله : (أو دليلاً لطريق من يهديه فإنه يتفاوت بحركتها ويتحول بتحولها) أو دليلاً لطريق من يهديه معطوف على مسلطاً واللام متعلق به والدليل بمعناه العرفي ومن الموصولة أو الموصوفة قيل إنها عبارة عن الظل وضمير يهديه للشمس وفي بعض النسخ دليل الطريق بالإضافة عطف على فاعل يستتبع ومن يهديه عطف على مفعوله قوله يتفاوت بحركتها استئناف لبيان الاستنباع المذكور أي يتفاوت الظل طولاً وقصراً بحركة الشمس ويتحول ذلك الظل بتحول الشمس فإذا تحول الشمس من جانب المشرق إلى المغرب تحول الظل من المغرب إلى المشرق لكن المداول يتحرك على وفق الدليل فلا يضر هذه المخالفة في التشبيه بدليل الطريق وهذه النسخة الأخيرة هي الصواب الموافقة لتقرير الكشاف حيث قال أي سلطها ونصبها دليلاً متبوعاً له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمنع ويقلص وغير المص عبارته بما هو أخفى منه قال الإمام فمقدار ما يزداد أحدهما ينتقص الآخر وكما أن المهتدي يقتدي بالهادي والدليل ويلزمه فكذا الإطلال مقتدية وملازمة للأضواء ولهذا جعل الشمس دليلاً عليها .

قوله : (ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً شيئاً فشيئاً إلى أن ينتهي غاية نقصانه) ثم قبضناه الأولى أن يقال فيما مر ثم خلقنا الشمس عليه دليلاً قوله شيئاً فشيئاً أي قليلاً قليلاً كما مر لكنه تضمن هنا أي أن يسيراً بمعنى التدرج لأن المعنى متدرجاً إلى حيث أردناه بقرينة الواقع والظاهر أنه مجاز فيه إذ التدرج يستلزم اليسر إلى أن ينتهي غاية نقصانه وهو في وقت الزوال أو إلى أن يزول ذلك الظل .

قوله : (أو قبضاً سهلاً عند قيام الساعة بقبض أسبابه من الأجرام المظلمة والمظلل عليها) أو قبضاً سهلاً عند قيام الساعة وهذا هو الملائم لقوله إلينا لكن آخره لأن المقام الاستدلال على الوحدانية وبيان النعمة الجسيمة وهذا المعنى لا يلائمه فعلى هذا التعبير بالماضي لتحقيق وقوعه وأما على الأول فالماضي لتغليب الموجود على المعدم أو لتزويل منتظر الوقوع كالواقع قوله بقبض أسبابه أي بإعدامها^(١) كما أن إحداثه بإيجاده أسبابه من الأجرام المظلمة وهي الأفلاك والمظلل عليها وهي الأرض ويكفي الأول في المقصود .

قوله تعالى : وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِيَاسَاً وَالتَّوَمَّ سُبَّاناً وَجَعَلَ النَّهَارَ تُشْوِراً ﴿٤٧﴾

قوله : (وهو الذي جعل الليل^(٢) لباساً) تشبيه بليغ أي كاللباس كما قال شبه ظلامه الخ وفي هذا تشبيه على أن الليل عبارة عن زمان فيه ظلام .

قوله : (شبه ظلامه باللباس في ستره) بيان وجه الشبه وإن اختلف جهة الستر .

(١) إذ إعدام الأجرام المظلمة يكفي في إعدام الاطلال .

(٢) فيه الثفات من التكلم إلى الغيبة .

قوله: (راحة للأبدان بقطع المشاغل وأصل السبب القطع) وهذا بقطع الإحساس والحركة وأصل السبب أي معناه اللغوي القطع أي قطع الشعر ونحوه فالقطع حسّي وإنما سمي النوم سبباً أي قطعاً لقطع النائم عن المشاغل والإحساس فلا إشكال بأن السبات هو النوم فيكون المعنى وجعل النوم نوماً فما الفائدة في هذا الكلام فإن المراد بالسبات أصل معناه.

قوله: (أو موتاً^(١)) كقوله تعالى: ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل﴾ [الأنعام: ٦٠] أو موتاً فهذا جواب آخر للإشكال المذكور ثم أيده بقوله تعالى: ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل﴾ [الأنعام: ٦٠].

قوله: (لأنه قطع الحياة ومنه المسبوت للميت) لأنه قطع الحياة إشارة إلى وجه صحة إطلاق السبات على الموت ويرد عليه أنه إن أراد أنه أي النوم قطع الحياة أي الروح فغير مسلم وإن أراد أنه قطع الحواس وإثر الحياة فمسلم لكن لا يقيد لأنه ليس موتاً حقيقة فيعود الإشكال المذكور إلا أن يقال إن المعنى والنوم نوماً نوعاً من الموت وهو الذي ينقطع ولا يدوم كما قيل أو من قبيل^(٢) شعري شعري.

قوله: (ذا نشور أي انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش) ذا نشور بتقدير المضاف إذ يدونه لا يصح الحمل على النهار إلا على وجه المبالغة قوله أي انتشار إشارة إلى رد ما في الكشف من أن مقابلة جعل النوم سباتاً بالنشور يرجح المعنى الثاني فأشار إلى أن النشور بمعنى الانتشار للمعاش بقرينة قوله تعالى: ﴿وجعلنا النهار معاشاً﴾ [النبا: ٧٨] فهو مقابل لسكون الراحة.

قوله: (أو بعث من النوم بعث الأموات) عطف على انتشار ناظر إلى كون المعنى

قوله: راحة للأبدان فسر صاحب الكشف السبات بالموت بقرينة مقابله وهو النشور حيث قال النشور في مقابلته يأبى تفسيره بالراحة أباه العيوف الورد وهو مرقن يعني قوله نشوراً يمتنع عن تفسير السبات بالنوم الذي هو الراحة لعدم التقابل بينهما امتناع ناقة تشم الماء فتكرهه وتدعه وهو مرقن أي وذلك الورد أي الشرب مكدر غير صاف وحاصل معنى كلام الكشف أنه إن فسر السبات بالراحة يفوت معنى المقابلة بينه وبين النشور الذي هو بمعنى الحياة لأن الراحة لا يقابل الحياة بل يلائمه ويفهم من تشبيه السبات بالماء المكدر الذي تشمه الناقة لتشرب ثم تعافه وتكرهه والنشور بالناقة التي تريد أن تشرب منه فتشمه ثم تعافه وتتركه أن للسبات صلاحية في الجملة لأن يفسر بالراحة بأن يحمل النشور على معنى انتشار الناس في النهار لإتباع نفوسهم في أمر المعاش المقابل للراحة فنظر القاضي رحمه الله إلى تلك الصلاحية فجوز تفسير السبات بالراحة لكن سقي الناقة ماء الشرب الذي عافته حيث ارتكب أمراً مرجوحاً لأن معنى المقابلة ليس في المعنى المطابق بل هو في لازم المعنى على أن حمل النشور على انتشار الناس بعيد لأنه خلاف الظاهر.

(١) أي كالموت تشبيه بليغ كاللباس فلا يعود الإشكال المذكور.

(٢) أي وجعل النوم نوماً عرفت حاله من إزاحة الكلال وإزالة الملل.

والنوم سباتاً أو موتاً ولذا قال بعث الأموات فإن النوم لما جعل كالصوت والقيام من النوم في النهار جعل كالبعث.

قوله : (فيكون إشارة إلى أن النوم واليقظة أنموذج للموت والنشور وعن لقمان يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشور) فيكون الخ تفريع على المعنى الثاني وجه الإشارة هو أنه لما جعل النوم موتاً أي كالصوت واليقظة شبه بعث الأموات كان الإشارة إلى ما ذكره واضحاً واليقظة بالفتحات وسكون الغاف في بعض المواضع لضرورة الشعر وأنموذج ويقال أنموذج معرب نمونه وما ذكره من لقمان تأييداً لتشبيه النوم بالموت واليقظة بالنشور أي البعث لكن لا حاجة إليه لأن نص القرآن ناطق بذلك التشبيه أيضاً في كلام لقمان شبه الموت والنشور باليقظة لأنهما ظاهران لنا وفي العكس لأن الموت والبعث أقوى منهما ولم يحى والنهار نشوراً تنبيهاً على كونه نعمة جسيمة على الاستقلال بخلاف النوم فإنه في الليل غالباً ولكون الليل مقدماً في الوجود قدم في الذكر ولكون النوم فيه ذكر عقيب.

قوله تعالى : وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ نُوحًا بَنِي يَدْيَ رَحْمَةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً

طُفُورًا

قوله : (وقرأ ابن كثير على التوحيد إرادة للجنس) فيكون شاملاً للقليل والكثير والمراد هنا الكثير بقرينة قراءة الجمع^(١) فيوافق قراءة الجمهور فقوله عليه السلام اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً يوافق هذه القراءة أيضاً ولا يخالفه القول بأن الريح حيث أريد بها ما لا يضر جمعت وفي عكسه تفرد لأنه عند عدم قيام القرينة على إرادة الجمع كما هنا لما ذكرنا ولأن اللام للاستغراق حيث لا قرينة على العهد على أن الظاهر هذا القول في المنكر كما يشهد به الاستقراء مثل ريح عاصف وريح صرصر ومثل قوله تعالى : ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات : ٤١] نادر استعماله والتحقيق أن ذلك موكول على القرينة وعدمه.

قوله : (ناشرات للسحاب)^(٢) أشار به إلى أن نشراً حال وكذا إذا كان مصدراً وقع حالاً لكونه مائلاً بالمشق وما سبق^(٣) وجهه بتقدير ذا وهنا بتأويله بالمشق بطريق الاحتباك وكلاهما جار في الموضعين وإنما أفرد لكونه مصدراً.

قوله : (جمع نشور وقرأ ابن عامر بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائي به ويفتح

قوله : جمع نشور هو يفتح النون على وزن فعول بمعنى فاعل قوله وحمزة والكسائي به

(١) فإن الصبا تثير السحاب والشمال تجمعها والجنوب تدره والديور تفرقه كذا قاله في سورة الأعراف ولعل هذا التخصيص بالرواية لا بطريق الحس كما قيل فإنه بعيد.

(٢) النشور بمعنى الجمع لا بمعنى التفرير.

(٣) من قوله نشوراً فإنه مصدر وجهه بتقدير ذا.

التون على أنه مصدر وصف به) جمع نشور كرسل جمع رسول قوله على التخفيف أي أصله بضم العين فجعل ساكناً للتخفيف قوله به أي بالسكون ويفتح الشين على أنه مصدر الخ وحال قد سبق بيانه .

قوله : (وعاصم بشرأ بتخفيف بشر جمع بشور بمعنى مبشر) بشرأ بتخفيف بشر بضم الباء والشين جمع بشور على وزن فاعول .

قوله : (يعني قدام المطر) أي بين يدي كناية عن القدام وإن لم يكن له يد ومضاف إلى رحمته والمراد بها المطر فإنه من جملة أفراد الرحمة والإنعام فهي حقيقة فيه وإن أريد بها بخصوصه فهي مجاز^(١) فيه .

قوله : ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾ [المؤمنون : ١٨] أي من السحاب أو من الفلك فمن ابتدائية .

قوله : (مظهوراً لقوله تعالى : ﴿ليطهركم﴾ [المائدة : ٦]) مطهراً يعني صيغة فاعول هنا بمعنى التفعيل لكن قال صاحب الكشف وبين يدي رحمته استعارة مليحة أي قدام المطر طهوراً بليغاً في طهارته فإذا كان بليغاً في طهارته كان مطهراً فمراد المص بيان حاصل المعنى وإلا فليس فاعول من التفعيل في شيء كما في الكشف .

قوله : (وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود لما يتوضأ به ويوقد به) وهو اسم لما يتطهر به الخ^(٢) وهذا يحتمل أن يكون إشارة إلى وجه آخر وهو أن الطهور^(٣) اسم لما يتطهر به فيكون اسماً لا صفة ويحتمل^(٤) أن يكون إشارة إلى وجه تفسير طهور بمطهر وهو

ويفتح النون أي قرأ بسكون الشين وفتح النون على أنه مصدر وصف به والمراد الصفة المعنوية لا النعت النحوي وإلا فهو حال لا صفة بمعنى النعت قوله جمع بشور هو يفتح الباء فاعول بمعنى مبشر .

قوله : (مظهوراً لقوله : ﴿ليطهركم﴾ [الأنفال : ١١] وفي الكشف وعن أحمد بن يحيى هو ما كان طاهراً في تفسير مطهراً لغيره فإن كان ما قاله شرحاً لبلاغته في الطهارة كان سديداً ويعضده قوله تعالى : ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ [الأنفال : ١١] وإلا فليس فاعول من التفعيل في شيء . والطهور على وجهين في العربية صفة واسم غير صفة فالصفة قولك ماء طهور كقولك طاهر والاسم قولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به وتوقد به النار وقولهم تطهرت طهوراً حسناً كقولك وضوء حسناً ذكر سيويه ومنه قوله عليه السلام لا صلاة إلا بطهور أي بطهارة .

(١) إذ العام إذا استعمل في فرد خاص يحتمل أن يكون حقيقة أو مجازاً كما أشرنا إليه .

(٢) أشار به إلى أن إطلاق المطهر على الماء مجاز عقلي .

(٣) فيكون الواو بمعنى أو .

(٤) فيكون الواو على معناه .

أنه اسم لما يتطهر به وحاصله كونه بمعنى مطهراً لكن قال الزمخشري والظهور على وجهين في العربية صفة واسم غير صفة فالأحسن حمل كلام المص على وجهين كما أشار إليه بقوله وقيل بليغاً في الطهارة نقل عن الأزهري في كتاب الزواهر فعول له معان مختلفة منها أنه اسم آلة لما يفعل به الشيء كغسل ووضوء ويكون صفة بمعنى فاعل أو مفعول واسماً مثل كذوب ومصدراً لكنه قليل انتهى واسم الآلة اسم ما يكون واسطة في وصول فعل الفاعل إلى المفعول وكون غسول ووضوء كذلك محل تأمل ولعل لهذا قال المص اسم لما يتطهر به .

قوله : (قال عليه السلام التراب طهور المؤمن طهور إناء أحدكم إذا ولغ الكلب فيه أن يغسل سبعاً إحداهن بالتراب) قوله عليه السلام التراب الحديث هذا الحديث الأول في السنن وقوله عليه السلام طهور إناء أحدكم الحديث وهذا في مسلم أورد هذين الحديثين لدلالتهما على أن طهوراً ورد بهذا المعنى ولغ بمعنى أدخل لسانه فيه ليشرب ما فيه والغسل سبعاً الخ مذهب الشافعي وتفصيله في كتب الفقه .

قوله : (وقيل بليغاً في الطهارة) قائله صاحب الكشف وقال بعده وعن أحمد بن يحيى هو ما كان طاهراً في نفسه مطهراً لغيره فإن كان ما قاله شرحاً لبلاغته في الطهارة كان سديداً وإلا فليس فعول من التفعيل في شيء يريد أنه لما كان الماء بليغاً في الطهارة بحيث لم يخالطه شيء آخر يذهب المبالغة في الطهارة كالماء المستعمل فإنه طاهر لكن لما كان مستعملاً بإزالة الحدث زال المبالغة في الطهارة وبقي أصل الطهارة على الصحيح وكذا الماء المخلوط بالشيء مع غلبة ذلك الشيء فإنه طاهر وليس بمطهر ومراد العلامة الزمخشري بما ذكره أنه لازم معنى البليغ في الطهارة لا أن اللازم صار متعدياً ولا أن المبالغة في الطهارة تعلقه بالغير حتى يقال بأن إفادة المبالغة تعلق بالغير لا يساعده اللغة ولا العرف وتفسير اللفظ بلازم معناه شائع في المحاورات وفي التعبيرات ولم يتكرر العلامة كون الطهور اسماً لما يتطهر به بل صرح بأن الطهور على وجهين في العربية صفة واسم غير صفة ثم أشار إلى أنه إذا اعتبر صفة يكون المراد لازم معناه كما عرفته بقرينة قوله تعالى : ﴿ ليطهركم به ﴾ [الأنفال : ١١] فيكون في المآل مثل كونه اسماً فمن قال إن الطهور بمعنى المطهر عند أهل اللغة كما ذكره الأزهري وغيره من الثقات لا لأنه من التفعيل كما ظنه الزمخشري بل لأنه آلة الطهارة كالقطور لما يقطر به فقد أساء في الأدب وذهل عن مراد العلامة .

قوله : (وفعول وإن غلب في المعنيين لكنه قد جاء للمفعول كالضيوب وللمصدر

قوله : وفعول وإن غلب في المعنيين لكنه قد جاء للمفعول أي صيغة فعول وإن غلب استعمالها في معنى مفعول وفي معنى مبالغ في الفعل لكنه قد جاء بمعنى مفعول كالصوب بالصاد الغير المعجمة بمعنى المصبوب أي المسكوب وبالضاد المعجمة الحلوب بمعنى المحلوب من

كالقبول وللإسم كالذنوب وتوصيف الماء به إشعاراً بالتمتع فيه وتنميطاً للجنة فيما بعده وإن غلب في المعنيين أي كونه اسماً لما يتطهر به كوضوءه وكونه للمبالغة كأكل وطهور يحتملهاا والقبول^(١) بالفساد المعجمة والباء الموحدة وثاء مثله من ضبه إذا حبسه بيده والمراد ناقة تجس باليد للشك في سمها أو المصدر^(٢) كالقبول وهو قليل جداً وللإسم أي للإسم الجامد وما سبق اسم بمعنى المشتق أو اسم آله كالذنوب وهو الدلو المملوءة أو القرية من الماء وفي قوله تعالى: ﴿فإن للذين ظلموا دنوباً﴾ [الذاريات: ٥٩] بمعنى نصيباً من العذاب مجازاً.

قوله: ﴿فإن الماء الطهور أهناً وأنفع مما خالطه ما يزيل طهوريته﴾ وهذا يؤيد ما ذكرناه من أن البلوغ في الطهارة يلزمها المطهريّة ومن فسر الطهور به أراد به لازم معناه وأن ما خالطه ما يزيل طهوريته طاهر أيضاً لكنه ليس بمطهر فالطهارة كلي مشكك.

قوله: ﴿وتنبهاً على أن طواهرهم لما كانت مما ينبغي أن يطهروها فبواطنهم بذلك أولى﴾ مما ينبغي أن يطهروها بنية التقرب إلى الله تعالى فبواطنهم بالتطهر أولى لأنه منظر الملك المولى فيعلم ذلك من النص بدلالة النص فإنه أزيد في القرية^(٣).



قوله تعالى: ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مِّيتًا وَنُقِيّمْ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَبَآئِنًا كَثِيرًا﴾

قوله: ﴿بالتنات وتذكير ميتاً لأن البلدة في معنى البلد﴾ بالتنات فالمراد بالبلدة مطلق^(٤) الأرض قوله بالتنات تفسير للأحياء به فإن المراد بالأحياء تهيج القوى النامية في

قولهم يضرب فلان ناقته أي يحلبها بخمس أصابع قوله كالذنوب يفتح الذال بجيم بمعنى النصيب وبمعنى الدلو المملآن ماء وبمعنى الفرس الطويل الذنب وبمعنى لحم أسفل المتن قوله وأنفع ما خالطه يحتمل أن يراد بالمجروح بمن وهو لفظ ما الماء أي وأنفع من ماء خالطه ما يزيل طهوريته وأن يراد به ما الموصولة وعلى تقدير الموصولية يراد به الماء أيضاً لأن الماء من مشمولات معناها قوله لأن البلدة في معنى البلد أي لم يقل ميتة لأن معنى البلد والبلدة واحد قوله وأنه غير جار على الفعل أي الميت ليس على وزن الفعل فيكون ملحقاً بالأسماء كالذبيحة والنطيحة فلا يلزم أن يطابق موصوفه.

قوله: ﴿وتنبهاً على أن طواهرهم لما كانت مما ينبغي أن يطهروها فبواطنهم بذلك أي بالتطهير أولى ومنشاء معنى تنميط المنة والتنبيه المذكور جعل الأحياء والسقي علة غاية لإزالة الماء الطهور فإنه لما كان سقي الأناسي من جملة ما أنزل لأجله الماء وصفه بالطهور إكراماً لهم وتنميطاً للجنة عليهم وبياناً أن من حققهم حين أراد الله لهم الطهارة أن يختاروا الطهارة في بواطنهم ثم في طواهرهم وأن يرفعوا أنفسهم عن الفاذورات كما رفعهم ربهم.

(١) وفي نسخة صوب بمعنى المصوب.

(٢) فيكون فعول مشتركاً بين هذه المعاني اشتراكاً لفظياً.

(٣) وإن لم يلاحظ القرية فدلالة النص على ذلك محل نظر.

(٤) وأما إرادة المعنى المتعارف فيجدة.

الأرض وإحداث تضارثها بأنواع النبات فهذا التهيج شبه بالاحياء وهو إعطاء الحياة في مطلق إحداث التضارث فذكر اسم المشبه به وأريد المشبه فقوله لنحيي به استعارة تبعية^(١) وصيغة التعظيم للتشبيه على فخامة ذلك الاحياء البهاء للشبيبة وبهاء بالنبات للملابسة فلا محذور في تعلقه بنحيي.

قوله: (ولأنه غير جار على الفعل كسائر أبنية المبالغة فأجري مجرى الجامد) ولأنه غير جار على الفعل أي لا يعمل عمل فعله لعدم مشابهته بالمضارع في الحركات والسكنات فلما لم يعمل لم يكن الضمير مستتراً فيه حتى يكون مؤنثاً لتأنيث مرجعه وإلى ذلك أشار بقوله فأجري مجرى الجوامد قوله كسائر أبنية المبالغة أي كعدم جريانها على الفعل.

قوله: (يعني أهل البوادي الذي يعيشون بالحقا) بقرينة كثيراً خصص الأناسي بالبعض وإن كثيراً بمقابلة القليل قوله يعيشون بالحقا بالقصر أي المطر إشارة إلى القرينة على إرادة أهل البادية بخصوصها ولا ريب أن غير أهل البادية أكثر فالكثير بمعنى مقابلة القليل.

قوله: (ولذلك نكر الانعام والأناسي) يعني أن التنكير للنوع أي نوع من الأناسي وهم سكان البوادي وأنعامهم وكذا تنكير بلدة للنوع يراد به بلدة هؤلاء كما في الكشف ولم يصرح به المص بل أشار إليه بعض كلامه.

قوله: (وتخصيصهم لأن أهل المدن والقرى يقيمون بقرب الأنهار والمتابع فيهم وبما حولهم من الأنعام غنية عن سقيا^(٢) السماء) وتخصيصهم الخ لما كان المراد سكان البادية وأنعامهم بالقرينة المذكورة حاول وجه التخصيص قوله فيهم خير مقدم وبما حولهم عطف عليه غنية مبتدأ مؤخر.

قوله: ولذلك نكر الأنعام والأناسي أي ولكون المراد بالأناسي بعضاً من الإنسان نكر الأنعام والأناسي ليدل التنكير على أن المستقي بماء السماء بعض الأنعام وبعض الأناسي وهو أهل الوبر فيكون التنكير للإفراد النوعي ولا ينافي التنكير المفيد للقليل وصف الأناسي بالكثرة لأنهم وإن كانوا بعضاً من الناس لكنهم كثير.

قوله: وتخصيصهم لأن أهل المدن والقرى يقيمون بقرب الأنهار الخ يعني أن تخصيص أهل البوادي والأخبية بالذكر لأنهم وأنعامهم أخرج إلى ماء السماء من أهل المدن وتخصيص الأنعام أيضاً لشدة احتياجهم إلى ماء السماء لأنهم لا يبعدون لطلب الماء وفي البوادي لا يوجد إلا الأنهار والعيون غالباً فتضطر إلى ماء السماء وكذا تخصيص الأنعام بالذكر لكونها انفع وأعظم قدراً عند أهلها لأن أكثر منافعهم وعليه معاشهم متروطة بالأنعام كما قدم عليها أي على الأنعام أحياء الأرض حيث قيل (لنحيي به بلدة ميتاً) لكون إحياء الأرض سبباً لحياة تلك الأنعام.

(١) وكذا شبه انتفاء القوى النامية بالموت فاستعير الميت له.

(٢) بضم السين بمعنى السقي.

قوله: (وسائر الحيوانات تبعث في طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالباً) وسائر الحيوانات من الوحوش والطيور الخ وهذا بيان وجه تخصيص الأنعام من بين الحيوانات بالذكر بعد بيان وجه تخصيص أنعام أهل البادية بالذكر تبعث في طلب الماء كذا في الكشف ولا يظهر وجهه لأنها تحتاج إلى الشرب قوله فلا يعوزها أي لا يحوجها الشرب غالباً أي إلى المطر فحينئذٍ يظهر وجهه وإن لم يقدر المطر فلا يدري وجهه.

قوله: (مع أن مساق هذه الآيات كما هو للدلالة على عظيم القدرة فهو لتعداد أنواع النعمة والأنعام فنية الإنسان وعامة منافعهم وعلية معاشهم منوطة بها ولذلك قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها إحياء الأرض فإنه سبب لحياتها وتعيشها وقرىء نسقيها بالفتح^(١)) مع أن مساق هذه الآيات أي من قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى ربك﴾ [الفرقان: ٤٥] الآية إلى هنا هذا وجه آخر لتخصيص الأنعام بالذكر على عظيم القدرة وعلى الوحدة بل هذا هو الأنسب لما قبلها قوله فنية الإنسان بكسر القاف وضمها ما يقتنيه^(٢) لنفسه وعلية معاشهم بضم العين وسكون اللام جمع على كسبية وصبي والعلي هنا بمعنى أكثرهم لا بمعنى الشريف وهذا الوجه أحسن ولذا أدخل لفظة مع عليه.

قوله: (وسقى وأسقى لغتان) أي بمعنى كقوله تعالى: ﴿وسقاهم ربهماً شرباً طهوراً﴾ [الإنسان: ٢١] وقوله: ﴿وأسقيناهم ماء فراثاً﴾ [المرسلات: ٢٧].

قوله: (وقيل أسقاء جعل له سقياً) وقيل فرق بينهما فقال أسقاء جعل له سقياً أي بمعنى تهيأ له وأعدّه ومعنى السقي أوصله إلى ما يشربه وهو متقارب لمعنى التهيء.

قوله: (وأناسي يحذف الباء وهو جمع إنسي أو إنسان كظراي في ظريان على أن أصله أناسين فقلبت النون ياء) وأناسي أي وقرىء أناسي يحذف ياء أفاعيل فصار وزنه أفاعل وهو جمع إنسي على القياس ككرسي وكراسي أو جمع إنسان فحينئذٍ يكون أصله أناسين فقلبت النون ياء على خلاف القياس فأدغمت ولهذا آخره كظراي في ظريان بكسر الظاء وسكون الراء المهملة وياء موحدة دوية منتنة الريح وتجمع على ظراي بتشديد الباء أصله ضرايين قيل وكون أناسي جمع إنسان مذهب سيبويه وكونه جمع إنسي قول الفراء والمبرد والزجاج وأورد عليه في الدر المصون أن فعالى إنما يكون جمعاً لما فيه ياء مشددة إذا لم تكن للنسب ككرسي وكراسي وما فيه ياء النسب يجمع على أفاعلة كأرزقي وأرازقة

قوله: كظراي في ظريان الظريان بكسر الظاء مثل القطران أن بكسر القاف دوية كالهرة منتنة الريح تزعم الاعراب أنها نفسو في ثوب أحدهم إذا صاده فلا تذهب رائحته حتى يبلى الثوب وفي المثل فسا بينهم الظريان إذا تقاطع القوم وربما جمعوه على ظراي كأنه جمع ظرباء كذا في الصحاح.

(١) يفتح النون من الثلاثي.

(٢) أي ما اكتسبه الإنسان لنفسه لا للتجارة.

وكون ياء إنسي ليست للنسب بعيد فحقه أن يجمع على أناسية وقال في التسهيل إنه أكثرى فلا يرد ما ذكر انتهى وعن هذا اختار كونه جمع إنسي^(١) لأن في الثاني تكلفاً ولم يذكر فائدة توصيف الماء بالطهور مع أن إحياء الأرض وسقي الأنعام بالماء ولو غير طهور لإشارته فيما سلف بقوله وتتميم للمنة فيما بعده فإن الماء الطهور أهنا الخ أو لم يجمع كثيراً لأن فعلاً يستوي فيه الواحد والجمع صرح به في سورة الملك والظاهر أنه وصف للأناسي وقيل وصف لهما.

قوله تعالى: وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَوْفَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كَثُورًا ﴿٥٠﴾

قوله: (صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وسائر الكتب) المفهوم من السوق وهو جعل الليل لباساً إلى هنا فمرجع الضمير مذكور حكماً والتصريف التكرير وسائر الكتب إشارة إلى أن التصريف والتكرير على وجوه ولغات مختلفة بين الناس الأولى بين الأناسي.

قوله: (أو المطر بينهم في البلدان المختلفة والأوقات المتغايرة والصفات المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما) أو المطر أي ضمير صرفناه راجع إلى المطر المذكور فيما قبله برحمته فمرجع الضمير مذكور^(٢) لفظاً أو راجع إلى الماء في قوله ماء طهوراً وتصريفه تحويل أوقاته وأماكنه وإنزاله على أحوال متفاوتة من وابل مطر عظيم القطر وطل وهو المطر الصغير القطر آخره لأن التصريف متعارف في التكرار وحمله على التكرار حيث لا حسن له وإن صح إذ الاعتبار بالصرف عنهم وإليهم كما سيجيء.

قوله: (وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما عام أمطر من عام ولكن الله تعالى قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الآية) وعن أبي عباس رضي الله تعالى عنهما ما عام أي ليس سنة أمطر أي أكثر مطراً من سنة ولكن الله الخ يعني ليس تغاير السنين في المطر إلا لتقسيمه تعالى هكذا لحكمة جليلة والظاهر أن هذا أثر ويحتمل أن يكون رواية

قوله: أو المطر عطف على هذا القول أي صرفنا المطر في البلدان المختلفة.

قوله: ومن وابل وطل بيان لتفاوت صفات المطر قالوا بل المطر الشديد والطل أضعف المطر قوله: أو في الأنهار عطف على قوله في البلدان فالمعنى صرفنا المطر في الأنهار والمنايع أي صرفناه بعد نزوله من السماء بأن أجريناه فيهما.

قوله: وعن ابن عباس ما عام أمطر من عام وهذا كما روي مرفوعاً ما من ساعة من ليل ولا نهار إلا السماء تمطر فيها يصرفه الله حيث يشاء وذكر ابن إسحاق وابن جريج ومقاتل وبلغوا به ابن مسعود يرفعه قال ليس من سنة بأمطر من أخرى ولكن الله قسم هذه الأرزاق فجعلها في السماء الدنيا نزل منه كل سنة يكبل معلوم ووزن معلوم وإذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك إلى غيرهم وإذا عصوا جميعاً صرف الله ذلك إلى الفياقي والبحار.

(١) مع أن قتالة الإمام سيويه وهو إمام جليل في ذلك الباب.

(٢) فيدخل ذكر إنشاء السحاب وإنزال القطر.

عن النبي عليه السلام لأنه هو الظاهر قيل هذا الحديث رواه الحاكم والطبراني وتلا هذه الآية تأييد للمعنى الثاني وروي أن الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لأنه لا يختلف عليه البلاد فتفاوت السنين ليس إلا بالتحويل من مكان إلى مكان بسبب العصيان وإذا عصوا جميعاً حول إلى الغيافي كما ورد في الخبر.

قوله: (أو في الأنهار^(١) أو في المنابع) أو في الأنهار عطف على البلدان.

قوله: (ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة في ذلك ويقوموا بشكره) ليتفكروا أي الناس والمراد الدوام بالنسبة إلى العارفين.

قوله: (أو ليعتبروا بالصرف عنهم وإليهم) أو ليعتبروا هذا ناظر^(٢) إلى كون المراد صرف الأمطار وقرأ حمزة والكسائي بسكون الذال وضم الكاف مخففة.

قوله: (﴿فأبى أكثر الناس إلا كفوراً﴾) إلا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها فأبى الآية أي لم يفعل أو لم يأت^(٣) أكثرهم وهم غير العارفين النعم والمنعم وعكسه قليل قال تعالى: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ [سبأ: ١٣] الاكتراث المبالاة.

قوله: أو ليعتبروا بالصرف عنهم وإليهم أي بصرف المطر عنهم وصرفه إليهم ليعتبروا ويتدبروا أن ذلك إنما كان لسوء أفعالهم أو لابتلاء الله إياهم هل يشكرون أو يكفرون.

قوله: إلا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها أو جحودها يعني الكفور إما من كفران النعمة أو من الكفر بمعنى ستر الحق وجحوده بأن يقولوا مطرنا بنوء النوء سقوط نجم من منازل القمر التي هي مواقع النجوم التي نسبت إليها العرب الأنواء المستمطرة وهي ثمانية وعشرون منزلاً: السرطان، والبطين، والثريا، والدبران، والهقعة، والهقعة، والذراع، والنثرة، والظرف، والجهة، والزبرة، والصرفة، والعواء، والسماك، والغفر، والزباني، والأكليل، والقلب، والشولة، والنعام، والبلدة، وسعد الذابح، وسعد بلع، وسعد السعود، وسعد الأخبية، وفرغ الدلو المقدم، وفرغ الدلو المؤخر، والرشاء، ينزل القمر كل ليلة في واحد من تلك المنازل لا يشغطه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا تفاوت يسير فيها من ليلة المستهل إلى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين أو ليلة إذا نقص الشهر فالتوء سقوط نجم من تلك المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيه من المشرق يقابله من ساعته في كل ثلاثة عشر يوماً وهكذا كل نجم منها إلى انقضاء السنة ما خلا الجهة فإن لها أربعة عشر يوماً وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها فمن لا يرى هذه الحوادث إلا من الأنواء معتزداً أن المؤثر فيها هي تلك الأنواء فهو كافر لإستناد إيجاد الحوادث إلى غير الله والله تعالى هو الخالق لكل شيء دون من عده ومن يرى أنها من خلق الله والأنواء وسائط وأمارات فهو ليس بكافر وأحسن من ذلك ما قال الإمام من جعل الأفلاك والكواكب مستقلة باقتضاء هذه الأشياء فلا شك في كفره وأما من قال إنه تعالى

(١) أي أجريناه في الأنهار حتى انتفعوا بالشرب والازراعات وأنواع المعاش به.

(٢) وما وقع في بعض النسخ من الواو بمعنى أو.

(٣) أشار إلى أن أبى بمعنى النفي لأن الاستثناء مفرغ ولا يقع في الإيجاب.

قوله: (أو جحدوها بأن يقولوا مطرنا بنوء كذا ومن لا يرى الأمطار إلا من الإنواء كان كافراً) أو جحدوها أي إنكار النعمة رأساً بإضافتها إلى الغير على أنه موجودها بأن يقولوا مطرنا بنوء كذا ومن نوء كذا وهو الأوفق لقوله إلا من الإنواء إذ الباء ظاهر في الوساطة والمقصود استقلال الإنواء في ذلك قوله كان كافراً أي باقياً على الكفر أو صار كافراً ومشركاً حيث اعتقد أن النواء فاعل مؤثر على الاستقلال في الأمطار والنوء في أدب الكتاب سقوط النجم في المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعته في المشرق من ناء أي نهض لأن الطالع ينهض وبعضهم يجعل النوء السقوط فهو من الأضداد وكانوا إذا سقط نجم وطلع آخر فكان عند مطراً وريح أو برد نسبه إلى الساقط إلى أن يسقط الذي بعده فإن سقط ولم يكن مطر قيل خوى وأخرى انتهى كما قيل.

قوله: (بخلاف من يرى أنها من خلق الله تعالى والإنواء وسائط وأمارة يجعله تعالى) بخلاف من الخ فإن خطاه لا يبلغ إلى حد الكفر كذا قاله الإمام فأشار إلى أنه خطأ أيضاً وكذا سائر أحكام النجوم.

قوله تعالى: وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾

قوله: (نبياً ينذر أهلها فيخف عليك أعباء النبوة) نبياً ينذر أهلها ويبشره لكن المقدم لم يتحقق في الخارج وكذا التالي وصدق الجملة الشرطية لا يتوقف على صدق الطرفين قوله فيخف عليك الخ بيان فائدة البعثة المذكورة.

قوله: (لكن قصرنا الأمر عليك إجلالاً لك وتعظيماً لشأنك) هذا أقيم مقام لكن لم نشأ فقصرنا الأمر أي أمر النبوة مع إزالة أعباء النبوة كما قال تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾ [الشرح: ٢] الآية إجلالاً لك حيث خصصنا بك المنصب العظيم والفضل الروحاني الجسيم.

قوله: (وتفضيلاً لك على سائر الرسل) حيث خصصنا بك إرسال الناس كافة وهذا في نوح عليه السلام اتفاقاً^(١).

قوله: (فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة وإظهار الحق) فقابل ذلك إشارة

جعلها على خواص وصفات تقتضي هذه الحوادث فلعل خطاه لا يبلغ إلى حد الكفر قوله فيخفف عليك أعباء النبوة أي أحمالها جمع عبء بكسر العين وسكون الباء وهو الحمل.

قوله: لكن قصرنا عليك الأمر وهو أمر الإنذار قوله فقابل على صيغة الأمر أي فقابل إجلالنا وتعظيمنا إياك بالثبات والاستقرار في الجهد والتصبر على أحمال الرسالة وتبليغ الأحكام إلى العباد.

(١) فلا نقض به فإنه لما هلك جميع من في الأرض سوى أصحاب السفينة تحقق كونه مبعوثاً إلى كافة الناس الموجودين اتفاقاً لا أنه مبعوث إلى كافة الأنعام مقصوداً.

إلى ارتباطه بما قبله وتمهيد لما بعده قوله والاجتهاد في الدعوة فإن هذا لازم مع أنه صعب لكثرة المخالفين المعاندين فلا يكون الشكر على نعمة جلية وهي قصر الرسالة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم إلا بإعلاء كلمة الله وإزاحة الشرك وتكميل النفوس الناطقة قهراً أو اختياراً.

قوله تعالى: فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ يَوْمَ جَهَنَّمَ كَبِيرًا ﴿٥٢﴾

قوله: (فيما يريدونك عليه) أي يحملونك عليه والمراد أن الكفار يجتهدون في ترويض أمرك فقابلهم بالاجتهاد فيما تغلبهم به وتعلوهم نقل عن الأساس أنه قال أرادته على كذا إذا حمّله عليه فعلى هذا يكون المعنى ﴿فلا تطع الكافرين﴾ فيما يحملونك عليه من قولهم لك متعنا بالثلاث سنة وأن تحرم وادينا كما حرمت مكة وغير ذلك مما بينه المص في تفسير قوله تعالى: ﴿وإن كادوا ليفتنونك﴾ [الإسراء: ٧٣] الآية الفاء في فلا تطع لترتيب ما بعده وهو عدم الإطاعة والمجاهدة بالقرآن فمدخول الفاء جملة لا تطع مع ما عطف عليها ولا ريب في أن المجاهدة بالقرآن مرتب على هذه النعمة بل ترك إطاعة الكافرين مرتب على هذه النعمة الجسيمة ولا حذف في الكلام حتى يتكلف في مجيء الفاء في فلا تطع دون الواو قول المص فقابلهم ليس إشارة إلى أنه محذوف ومعطوف عليه لقوله فلا تطع بل غرضه أن هذا مفهوم من عرض الكلام إذ ذكر النعمة العظيمة ترغيب إلى المقابلة بالشكر المناسب لتلك النعمة فلا وجه للتكلف الذي ارتكبه الفاضل المحشي دفعا لإشكال بعض الأهالي.

قوله: (وهو تهيج له وللمؤمنين) أي تحريك على دوام ما كان عليه وكذا قول المص فقابلهم تهيجاً أيضاً قوله وللمؤمنين إشارة إلى جواب^(١) آخر وهو أن المراد بالخطاب له

قوله: فيما يريدونك عليه قال الطيبي رحمه الله وفي قوله ولا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه إشارة إلى أن قوله تعالى: ﴿ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً﴾ [الفرقان: ٥١] متصل بقوله: ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً﴾ [الفرقان: ٤٣] لأنه إنكار على حرصه على إسلامهم وتهالكه فيه حيث كان يبذل فيه وسعه ومجهوده وبلغ ذلك إلى أن خاطب بقوله: ﴿لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلاً﴾ [الإسراء: ٧٤] ويقول: ﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك﴾ [الإسراء: ٧٣] فكذلك قال أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون أي أنتحسب أنك إن أطعتهم فيما يريدونك عليه يسمعون قولك أو يعقلون الآيات ويشكرون نعم الله عليهم فإنهم كالأنعام بل هم أضل سبيلاً ألا ترى كيف غفلوا عن أظهر الأشياء دلالة وهو مد الطل وقبضه وغمضوا أعظم النعم كفراناً وهو جعل الليل لباساً والنهار نشوراً وإرسال الرياح وإنزال الماء لإحياء أراضيهم واستقاء مواشيهم وإذا كان كذلك كيف تطيعهم فيما يريدونك عليه كأنك لم تستقل بأعباء التذكرة ولو شئنا لخففنا عنك وإنما قصرنا الأمر عليك تفصيلاً لك على سائر الرسل فقابل ذلك بالصبر والجهاد ولا تطعمهم فيما يريدونك عليه وجاهدهم بالقرآن جهاداً كبيراً.

(١) قوله في تفسير ﴿فلا تكونن من المعتبرين﴾ يؤيد ما ذكرناه.

عليه السلام خطاب أمته وكونه من ثمة الجواب كما يشعر به العطف بالواو ضعيف فلا إشكال بأن الإطاعة غير متصورة حتى ينهى.

قوله: (بالقرآن^(١)) أو بترك طاعتهم الذي يدل عليه فلا تطع) بالقرآن الذي يدل عليه قصر البعثة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم.

قوله: (والمعنى أنهم يجتهدون في إبطال حقت فقابلهم بالاجتهاد في مخالفتهم وإزاحة باطلهم) والمعنى أي على الاحتمال الثاني ولم يتعرض على الأول لظهوره فالياء على الأول للالة وعلى الثاني للملازمة ولما كان المجاهدة بترك طاعتهم خفياً أوضحه وبينه أن المراد الأمر بالاجتهاد في مخالفتهم بإزاحة باطلهم وإزالته لا مجرد ترك الطاعة والإعراض عن المحاجة فإنه كلا ترك الطاعة والفرد الأكمل ترك الطاعة والسعي في إزالة شبهاتهم بل الاجتهاد أيضاً في تكميل نفوسهم فعلم منه أن المجاهدة بترك الطاعة لا تنفك عن المحاجة بالقرآن.

قوله: (لأن مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف) بيان فائدة قيد الكبير ولما كان الكبير بالنسبة إلى الغير غير بالأكبر ولرعاية الفاصلة جاء في النظم كبيراً هذا ناظر إلى المجاهدة بالقرآن.

قوله: (أو لأن مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين أظهرهم مع عتوهم وظهورهم أو لأنه جهاد مع كل الكفرة لأنه مبعوث إلى كافة القرى) أو لأن مخالفتهم ناظر إلى الوجه الثاني قوله فيما بين أظهرهم خبر ان يعني أن هذه المخالفة أصعب من كل صعب ولذا قيد بكبيراً

قوله: والمعنى أنهم يجتهدون في إبطال حقت حقه منصب الرسالة وشرف النبوة أي يجدون ويجتهدون في توهين أمرك فقابلهم بجذك واجتهادك وجاهدكم جهاداً كبيراً قوله لأن مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر لتعليل لكبر الجهاد.

قوله: أو لأن مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين أظهرهم مع عتوهم وظهورهم الأظهر جمع ظهر بمعنى الجانب القصير والظهور جمع ظهر بمعنى العون ويجوز أن يكون مصدر ظهر ضد بطن يعني أو كبر الجهاد لأن مخالفة الرسول إياهم كانت فيما بين جوانبهم القصيرة وهو فيما بينهم مع عتوهم فإن من جاهد الأعداء وهو فيما بينهم مع أن أعداءهم أعنى وأظهر يكون جهاده جهاداً كبيراً فإن مخالفة الأعداء من بعيد وهم من غائبون أهون من مخالفتهم شفاهاً.

قوله: أو لأنه جهاد مع كل الكفرة فإن الجهاد مع الكل أكبر من الجهاد مع البعض قوله خلاصهما متجاورين قال الزجاج يقال مرجت الدابة وأمرجتها إذا خليتها ترعى ويقال مرجت عبودهم وأماناتهم إذا اختلطت وفسدت وقال ابن عباس رضي الله عنه مرج البحرين أي أرسلهما في مجاريهما كما يرسل الخيل في المسرح قال الراغب أصل المرج الخلط.

(١) وجوز في الكشف رجوعه إلى كونه نذيراً أي جاهدكم بسبب كونك نذيراً للكافة وكونه نذيراً مفهوم من النظم الشريف إشارة فالياء حيثل سببه ولم يتعرض المعص لخفائه.

قوله أو لأنه جهاد مع كل كفره بالمخالفة ولا شك في كونه كبيراً وهذا أيضاً بيان أكبرية الجهاد بالمخالفة وإبطال باطلهم لكن كونه عليه السلام مجاهداً مع الكفرة قاطبة بالمخالفة محل تأمل ولم يحمله على الجهاد بالسيف لأن السورة مكية ولم يؤذن بالجهاد بالسيف حيثل قوله إلى كافة القرى واستعمال كافة معرفة لكونه مجرورة لا حالاً قبل وقد منعه بعضهم ولا وجه له .

قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجِجْرًا مَحْجُورًا ﴾ (٥٣)

قوله : (خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته إذا خلاهما خلاهما بالتشديد متجاورين أشار إلى أن المرج هنا ليس بمعنى الاختلاط التام بقرينة قوله : ﴿وجعل بينهما برزخاً﴾ [الفرقان : ٥٣] فلو اكتفى بالمجاورة ولم يذكر الملاصقة لكان أولى قوله بحيث^(١) لا يتمازجان إشارة إلى ما ذكرنا وإلى الفرق بين المرج والمزج فمعنى خلاهما تركهما بحيث بينهما خلاه قوله مرج الدابة إذا أرسلها وتركها لترعى قال في سورة الرحمن في تفسير قوله تعالى : ﴿مرج البحرين﴾ [الفرقان : ٥٣] أرسلهما من مرجت الدابة إذا أرسلتها والمعنى أرسل البحر المالح والبحر العذب يتجاوران ويتماس سطوحهما أو بحري فارس والروم أشار أولاً إلى أن المراد بالبحرين الماءان الكثيران وسيجيء التفصيل والتخلية والإرسال متلازمان والظاهر من كلامه أن الإرسال معنى حقيقي للمرج كما أن الاختلاط معنى له ويحتمل أن يكون مجازاً .

قوله : (هذا عذب) حال بتقدير مقولاً فيه هذا عذب وهو صفة مشبهة بمعنى موصوف بالعدوية وتوصيفه بالفرات وهو شديد العدوية للمبالغة فيه وبيان كمال قدرته ببيان أن مجاورة الماء المالح لا يبغي ولا يزيل عدويته الشديدة فضلاً عن إزالة عدويته رأساً .

قوله : (قاع للعطش من فرط عدويته) بيان لازم معناه وأن المراد منه الفرات من فرته وهو مقلوب رفته إذا كسره وسمي به الماء العذب لأنه يكسر سورة العطش وهو المراد بالقمع .

قوله : (بليغ الملوحة وقرىء ملح على فعل ولعل أصله مالح فتحفف كبرد في بارد)

قوله : وقرىء ملح على فعل يفتح الفاء وكسر العين أصله مالح فتحفف كبرد يفتح الباء وكسر الراء في تخفيف بارد قال ابن جني وهي قراءة طلحة بن مصرف وأنكره أبو حاتم ويجوز أن يراد به مالح فحذفت الألف تخفيفاً كما في قوله :

أصبح قلبي صرداً لا يثني بهي أن يردا

(١) والمرج وإن كان مطلق الاختلاط ومنه الهرج والمرج لكن ما ذكره يفهم مما بعده إذ لو اختلطا لم يبق الخلاه فيه والإشارة إلى كل منهما بأداة القرب دالة على ذلك فإنها يدل على تمييز كل منهما عن الآخر مع شدة التقارب بينهما تأمل .

بليغ الملوحة مستفاد من وصفه بالأجاج وفيه أيضاً تنبيه على ما ذكرناه من أن فرط ملوحته لا يزول بمجاورة العذب الشديد العذوبة فضلاً عن ملوخته بالمرّة ولذا وصف الماء في الموضوعين بوصف يفيد المبالغة في بابه ولم يذكر هنا نظير ما هو مذكور أولاً بقوله خارج منه اللؤلؤ والمرجان لعدم الإشارة إليه في النظم الجليل وقدم الأول لأنه نعمة جسيمة لا يوازنه منحة من المنح ولعل أصله مالح الخ والباعث عليه أنه لم يسمع ملح بمعنى مالح ولهذا أنكر هذه القراءة الشاذة أبو حاتم قوله كبره في بارد تأييداً للتخفيف المذكور قوله ولعل لعدم الجزم في عدم سماع ملح بمعنى مالح إذ الاستقراء الثام مشكل والناقص غير مفيد.

قوله: (حاجزاً من قدرته) أي مانعاً بالامتزاج الثام وذلك المانع محض قدرة الله تعالى لا الأرض ونحوه وسبجي وجه آخر.

قوله: (وتنافراً بليغاً) بيان حاصل المعنى وهو التمييز الثام وعدم التمازج بينهما بحيث لا يبغي أحدهما على الآخر بإبطال الخاصية.

قوله: (كان كلاً منهما يقول للآخر) إشارة إلى الاستعارة التمثيلية^(١) شبه البحران

إلا صراده اصردا وصلبنا بصردا وعنكشاملشبد

يريد عاردا باردا يقال صرد الرجل بالكسر يصرد أي يجدد البرد سريعاً والعراد نبت والصلبا بقلّة وهي فعليتان الواحدة صليانة والعنكث أيضاً نبت والتيدت الشجرة كثر أوراقها وقال الشارح زحمت الاحراب في ضرب أمثالها على لسان البهائم أن الضفدع كان ذا ذنب وأن الضب سلب ذنبه وذلك أنهم خافوا في الظما أنهما أصبر وكان الضب ممسوح الذنب فصبر الضب يوماً فناداه الضفدع يا ضب وردا وردا فقال الضب أصبح قلبي صردا الخ فناداه في اليوم الثاني فأجابه كما أجابه في اليوم الأول فلما كان في اليوم الثالث ناداه فلم يجبه وبادرا الضفدع إلى الماء فتبعه الضب فأخذ ذنبه وقد أجاز ابن الاعرابي مالح وأنشد:

بصريّة تزوجت بصريّا يطعمها المالح والطريّا

وفيما قرئ على أحمد بن يحيى فاعترف بصحته فقال يقال سمك مالح وماء مالح ولذا يقال مملوح وملح هذا أفصح والأول يقال.

قوله: حاجزاً من قدرته معناه الحاجز هو قدرته تعالى لا شيء آخر غير القدرة كالحبل والحجر وغيرهما من الأجسام الحائلة كقوله عز من قائل: ﴿بغير عمد ترونها﴾ [الرعد: ٢] يريد بغير عمد مرئية وهو قدرته.

قوله: وتنافراً بليغاً أي تنافراً بالغاً أقصى غاياته ومعنى المبالغة مستفاد من وصف حجرأ بمحجوراً وهو كالوصف في قولهم ليل الليل وشعر شاعر.

قوله: كان كلا منهما يقول للآخر ما يقول المتعوز عنه وفي الكشف حجرأ محجوراً هي

(١) قيل ظاهره على أن حجرأ محجوراً مجاز عن التنافر بملاحة اللزوم فإن هذا القول يستلزمه فقله كان كلا -

بطائفتين متعادبتين يريد كل منهما البغي على الآخر لكنهما امتنعا من ذلك لمانع قوي مجبر فهي مصرحة تمثيلية بولغ فيه هنا حيث جعل المعنى المستعار كالمفوض المقول كان كلاً منهما يتعوذ من صاحبه فانقلبت المصراحة^(١) مكينة ولذا كانت من أحسن الاستعارات فلما منعها الله تعالى من الاختلاط شبه ذلك المنع بجعلهما قائلين هذا القول فغير بأنه جعل بينهما هذه الكلمة عن ذلك كذا نقل البعض عن شرح الكشاف ثم قال وظاهر تقريرهم أنه لا تقدير وقد جعل بعضهم على هذا حجراً محجوراً منصوباً بالفول المفدر ولا بعد فيه انتهى وظاهر كلام المص أنه جعل أولاً مجازاً مرسلأ عن تنافر تام فتعلق الجعل بالتنافر مما لا كلام فيه ثم أشار إلى أنه يمكن أن يكون استعارة تمثيلية لأن قوله كان كلاً الخ نص في التشبيه شبه الهيئة المنتزعة من البحرين ومجاورة أحدهما بالآخر بحيث يكاد لا يبغى أحدهما على الآخر لكنه يمنعه مانع قوي بالهيئة المنتزعة من الشخصين المتعادبين الفريين يريد أحدهما البغي على الآخر قائلاً حجراً محجوراً لكنهما لم يقدرأ على ذلك لمانع قوي

الكلمة التي يقولها المتعوذ وقد فسرناها وهي هنا واقعة على سبيل المجاز كأن كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له حجراً محجوراً كما قال لا يبغيان أي لا يبغى أحدهما على الآخر بالمأزحة فانقلبت البغي ثمة كالتعوذ ههنا جعل كل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوذ منه وهي من أحسن الاستعارات وأشهدها على البلاغة وقال الطيبي لما كان هذا المجاز استعارة والاستعارة مسبوقة بالتشبيه قال في صورة الباغي شبه البحرين بطائفتين متقابلتين يريد كل واحدة منهما بغي صاحبتها ومصادفتها ثم إنهما امتنعا من ذلك لمانع قوي ودافع مجبر كما يقال ثمة لا ممتنع الاختلاط أنهما لا يبغيان كذلك قيل ههنا حجراً محجوراً فهو استعارة مصرحة تمثيلية ثم بولغ ههنا حيث جعل هذا المعنى المستعار كالمفوض والمقول كما قال كان كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه فانقلبت المصراحة مكينة ولا ارتباب إذ الاستعارة كلما كانت أبعد من الشبه وأوغل في التحيل كانت أحسن وأن المكينة أبعد من المصراحة فكما أن التشبيه للمصراحة كذلك المصراحة مقدمة للمكينة فإنك تقول أولاً العنية سبع ثم تدخل المشبه في جنس المشبه به في المصراحة فإذا أردت المبالغة جعلت المشبه به عين المشبه في التخييل ثم تتخيل له لازمه قائلاً انياب العنية انشبت بفلان كذلك ههنا جعل كل واحد من البحرين بعد تشبيههما بطائفتين متقابلتين وادخال المشبه في جنس المشبه به ادخالاً بليغاً في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوذ منه ولهذا قال وهي من أحسن الاستعارات وأقول هذا الذي ذكره الطيبي رحمه الله مبني على أن يكون قولك زيد أسد من باب الاستعارة وهو ليس باستعارة عند محققى علماء البيان بل هو تشبيه بليغ فإن الاستعارة مبنية على تناسي التشبيه وذكر المشبه يتافي ذلك .

= منهما يكون تصويراً للتنافر البليغ ويجوز أن يكون الكلام على الاستعارة التمثيلية فقوله تنافرأ بليغاً بيان لحاصل المعنى وقوله كان كلا منهما الخ لتصوير الاستعارة انتهى وهذا الأخير هو الظاهر من العبارة إذ ذكر أداة التشبيه كالصريح في الاستعارة وأيضاً عادة المص ذلك .
(١) فانقلبت المصراحة مكينة هذا غريب لأن الكلام إذا احتمل المكينة فليحمل عليها في أول الأمر فالداخي إلى حملها مصرحة أولاً ثم القول بانقلابها مكينة .

لا يمكن المخالفة فاستعمل اللفظ المركب الموضوع للهيئة المشبه بها في الهيئة المشبهة وقد حقق في موضعه أن في تشبيه المركب لا يرام المناسبة بين كل فرد فرد فقد ظهر أنه لا حاجة إلى جعل المعنى المستعار كالمفوق الخ ولا حاجة أيضاً إلى جعل منع الله تعالى من الاختلاط شبيهاً يجعلهما قائلين هذا القول فظهر ما في شرح الكشاف من الاختلال والاضطراب لدى أولي الأبواب.

قوله: (ما يقوله المتعوذ منه) إذ قد مر أن حجراً محجوراً يقوله المستعيز لما يخافه وقد مر بيانه وإعرابه هناك.

قوله: (وقيل حدأ محدوداً) فعلى هذا حجراً بمعنى منعا بمعنى المشتق أي مانعاً محجوراً وحاصله أي سترأ ممنوعاً عن الأعين فهذا مجاز أيضاً مرضه لعدم الدليل عليه وأيضاً الوجه الأول أدل على قدرة كاملة وعلى وحدانية إذ الآية مسوقة لذلك.

قوله: (وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجري في خلافه فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل والبحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الأرض) وذلك أي مرجهما مع الحد بينهما إن قيل إنه من ثمة القول أو مطلقاً إن كان من كلام المص ابتداء كدجلة أي كمرج دجلة وهي نهر بغداد البحر قوله تدخل الخ استئناف مبين لذلك المرج فالمراد بأحد البحرين النهر العظيم سمي البحر لسعة مائها وإطلاق البحر على النهر مجاز وكذا الكلام في قوله النهر العظيم والفرق أن المراد بالبرزخ حاجز وهو محض قدرة الله تعالى وهنا الأرض وقال في سورة الرحمن أو بحري فارس والروم وهذا أولى لكونه حقيقة.

قوله: (فيكون القدرة في الفصل) وفي الأول كمال القدرة بدون فصل وشتان ما بين الداليتين على القدرة وعن هذا مرضه.

قوله: (واختلاف الصفة مع أن مقتضى طبيعة أجزاء كل عنصر إن تضامت وتلاصقت وتشابهت في الكيفية) واختلاف الصفة عطف على الفصل ثم بين وجه الدلالة على القدرة

قوله: فيكون القدرة في الفصل واختلاف الصفة لما كان المراد من قوله سبحانه: ﴿هو الذي مرج البحرين﴾ [الفرقان: ٥٣] الآية بيان كمال قدرته والقدرة حين كانا متلاصقين بحيث لا يتميزان ظاهرة وحين كان بينهما برزخ وحائل مثل الأرض وغيرها فالقدرة في فصلهما أي في كون أحدهما مفصولاً عن الآخر واختلاف كفيتهما مع أن طبيعة الماء وطبائع سائر البسائط تقتضي أن تضام وتلاصق أجزاؤها وتشابه في الكيفية فإن تحويل حال شيء واحد وتغييره إلى حال لا يقتضيها طبيعة من كمال قدرة الله تعالى ويجوز أن يكون قوله فيكون القدرة في الفصل واختلاف الصفة بياناً للقدرة في الوجهين الآخرين المذكورين بعد قيل في الموضوعين إذ في كل منهما معنى الفصل والاختلاف في الكيف لكن المراد بالاختلاف في الكيف في الأول من هذين الاختلاف الفاصل والمفصول وفي الثاني اختلاف المفصولين وبالفصل انفصال الشقين في الأول وانفصال البحرين في الثاني.

بقوله مع أن مفتضى الخ وبين على وجه العموم ليكون دليلاً على ما نحن فيه قوله إن تضامنت ناظر إلى الفصل بالأرض وتشابهت الخ ناظر إلى اختلاف الصفة من العذوبة والملوحة والماء إذا خلى وطبعه لا يكون بين أجزائه فصل ويكون كل أجزائه على كيفية واحدة من العذوبة والملوحة والفصل واختلاف الكيفية يكون من قادر مختار واحد لا شريك له فعلم من هذا البيان ارتباطه بما سبق من بيان التوحيد وكمال التفريد قوله إن تضامنت خبر إن لأنه في تأويل المصدر .

قوله تعالى: وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾

قوله: (يعني الذي خمر به طينة آدم أو جعله جزء من مادة البشر ليجتمع ويتسلس ويقبل الاشكال والهيئة بسهولة) خمر به طينة آدم فمعنى خلقه من الماء المعروف لكونه جزء من مادته فيكون كقوله تعالى: ﴿خلقنا من تراب﴾ [آل عمران: ٥٩] وآدم إشارة إلى أنه المراد من البشر والبشر مرادف الإنسان فذكره كذكره وأما القول بأنه لم يقل إنساناً لأن حقيقة الإنسان وهو الروح يرده قوله تعالى: ﴿خلق من ماء دافق﴾ [الطارق: ٦] مع أن قوله لأن حقيقة الإنسان الخ ليس في محله أو جعله جزء من مادة البشر فحينئذ يكون المراد بالبشر آدم وذريته إلى يوم القيام ويتسلسل بمعنى يلين فيكون هذا إشارة إلى أن الإنسان مركب من العناصر الأربعة كسائر الأجسام المركبة وهذا مذهب الفلاسفة .

قوله: (أو النطفة) عطف على قوله الذي خمر به الخ فحينئذ يكون المراد بالبشر ذرية آدم دونه إلا أن يتكلف .

قوله: (أي قسمه قسمين^(١)) ذوي نسب أي ذكوراً ينسب إليهم وذوات صهر) أي قسمة قسمين الأولى قسمه بالغاء ذوي نسب بتقدير المضاف أي ذكوراً الخ ففيه إشارة إلى أن النسب إلى الآباء .

قوله: (أي إنثاءً يصاهر بهن كقوله تعالى: ﴿وجعل منه الزوجين الذكر والأنثى﴾ [القيامة: ٣٩] حيث خلق من مادة واحدة بشراً إذا أعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله

قوله: أو النطفة عطف على قوله الذي خمر به طينة آدم يعني اللام في الماء للمعهد والمعهود هو الماء الذي خمر به طينة آدم عليه السلام أو الذي جعل جزء من مادة البشر أو النطفة فسر الماء بثلاثة أوجه وهو في الوجه الأول يخص آدم أباً لبشر وفي الوجهين الآخرين يعم كل البشر ولا يتنافى كونه للمعهد كونه للجنس كما قال صاحب المفتاح لا معنى للام غير المعهد .

قوله: أي إنثاءً يصاهر من الصهر واحد الاصحار وهي أهل بيت المرأة وهي هنا الإنثاء ويقال صاهرت إليهم إذا تزوجت فيهم واصهرت بهم إذا اتصلت وتحمرت بجوار أو نسب أو تزوج .

(١) ولم يتعرض لمعنى نسب وصهر حين كون المراد بالبشر آدم عليه السلام قيل فالمراد من قوله ﴿فجعلنا نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ أما خلق حواء منه أو جعل ذريته كذلك والمعنى ﴿فجعل ذريته نسباً﴾ الآية والحكم على الآباء بأحوال الأولاد وبالعكس شائع في كلامهم .

قسمين متباعدين متقابلين) أي المصاهرة التزوج أي يقع التزوج بهن قوله ذا أعضاء مختلفة فإن بعض أعضاء الذكور مخالف لبعض أعضاء الإناث وهذا مفاد قوله نسياً وصهرأ وطباع متباعدة طباع جمع طبع والتباعد أي التخالف بيان للواقع لا مفاد الآية وأنه عام للذكور والإناث والمراد بالوحدة الوحدة النوعية.

قوله: (وربما يخلق من نقطة واحدة توأمين ذكرأ وأنثى) وهذا أدل على القدرة الكاملة والوحدة وسائر الصفات الكمالية بل فيه دليل على الإعادة.



قوله تعالى: وَيَسْأَلُونَكَ مِنَ الذُّبَابِ ۖ قُلْ هِيَ آيَةٌ فِي تَرْبِهِمْ وَلَا يُفَعِّهُمُ إِلَّا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۚ إِنَّهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾

قوله: (يعني الأصنام أو كل ما عبد من دون الله إذ ما من مخلوق) يعني الأصنام فيكون ما مستعملاً في غير ذوي العقول أو كل ما عبد من دون الله فيكون استعمال ما إما لأن وضعه أعم أو لأنه أريد به الوصف وقد مر التفصيل في قوله تعالى: ﴿ويوم يحشرهم وما يعبدون﴾ [الفرقان: ١٧] الآية قدم هناك احتمال العموم وآخره هنا تنبيهاً على جواز الاحتمالين على السواء قوله إذ ما من مخلوق تعليل على الوجه الأخير.

قوله: (يستقل بالنفع والضرر) وإن كان له مدخلأ فيهما بطريق الكسب بالنسبة إلى العاقل وأما ضره في الدنيا بالقتل ونحوه وفي الآخرة بالعذاب المؤبد فضرراً لغير والمنفي هو الضر^(١) بنفسه.

قوله: (يظاھر الشيطان بالعداوة والشرك) يظاھر أشار إلى أن فعلاً بمعنى مفاعل كرقيب بمعنى مراقب وأنه بمعنى المضارع فيفيد مع كان الاستمرار وتقديم على ربه على عامله لرعاية الفاصلة والمعنى وكان الكافر على عداوة ربه وشركه أو على رسول ربه.

قوله: (والمراد بالكافر الجنس) أي اللام للاستغراق واستغراق المفرد أشمل وأظھر موضع المضمّر للتسجيل على كفره وأنه علة الحكم.

قوله: (أو أبو جهل) فحينئذٍ اللام للعهد ولا يكون من باب وضع الظاھر موضع

قوله: وربما يخلق من نقطة واحدة توأمين ذكر أو أنثى كون التوأمين من نقطة واحدة محل نظر لاحتمال أن يخلقهما الله تعالى من نقطتين منصوبتين في الرحم مرتين اللهم إلا أن يراد بالوحدة في قوله من نقطة واحدة الوحدة النوعية.

قوله: يعاون الشيطان بالعداوة الظهير بمعنى المظاھر أي المعاون والمعنى أن الكافر يظاھر الشيطان على ربه بالعداوة واليقضاء.

قوله: والمراد بالكافر الجنس فالمعنى أن بعضهم مظاھر لبعض على إطفاء نور دين الله وإن كان المراد به أبا جهل يكون المعنى كان مظاھراً للشيطان على إطفاء نور الدين.

(١) فلا إشكال بقوله تعالى: ﴿يهدو لمن ضره أقرب من نفعه﴾ الآية.

المضمر آخره لأن التخصيص خلاف الظاهر فيدخل تحت العموم دخولاً أولاً مع أنه لا قرينة للعهد سوء اشتغاره بعدادة الرسول عليه السلام .

قوله : (وقيل هيناً مهيناً لا وقع له عنده تعالى من قولهم ظهرت به إذا نيلته خلف ظهره فيكون كقوله : ﴿ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم﴾ [آل عمران : ١٧٧] وقيل هيناً أي هذا الفعل وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر كان على ربه هيناً مهيناً لا وقع له عنده تعالى ولا يلتفت إليه فيكون ظهيراً بمعنى مظهر به أي مرمياً به وراء الظهر قال الإمام ومعناه هين على الله وهو مستهين بكفره وهو مجاز عن عدم الالتفات قوله ظهرت به إشارة إلى أن ظهيراً بمعنى مظهر به قوله فيكون أي على المعنى الأخير ولا يكلمهم الآية ومفاد هذا أن الكافر نفسه غير ملتفت وكلام الزمخشري يوهم أن الذي هو غير ملتفت هو عبادته ما لا ينفع ولا يضر كما ذكرناه والظاهر كلام المص قوله هيناً أي بسيراً مهيناً مستحقراً أي كفره كما أشار إليه الإمام أو نفسه كما هو الظاهر من كلام المص وهذا حاصل المعنى أو هيناً أي ذليلاً مهيناً مستحقراً وهو الظاهر .

قوله تعالى : وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾

قوله : (﴿وما أرسلناك إلا مبشراً﴾ [الإسراء : ١٠٥] أي في حال من الأحوال إلا حال كونك مبشراً ونذيراً فالقصر إضافي أي وقد فعلت^(١) ما أمرت به وما عليك أن لا يزكوا فلا تعجل عليهم إنما تعد لهم عدا أو لا تحزن فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل حتى أتاك نصرنا .

قوله : (للمؤمنين والكافرين) للمؤمنين ناظر إلى التبشير والكافرين والمعصاة مبشرون أيضاً إذ الاعتبار إلى العاقبة قدم مبشراً بناء على غلبة الرحمة واختير صيغة المبالغة في الإنذار إذ الغرض من البعثة الإنذار ولذا اكتفى بالإنذار في أكثر المواضع .

قوله تعالى : قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مِثْلًا ﴿٥٧﴾

قوله : (على تبليغ الرسالة الذي يدل عليه ﴿إلا مبشراً ونذيراً﴾ [الإسراء : ١٠٥])

قوله : وقيل هيناً مهيناً أي وقيل معنى ظهيراً هيناً مهيناً فمعنى الكلام وكان الذي يفعل هذا الفصل وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر على ربه مهيناً لا وقع له عند الله فيكون ظهيراً فعلاً بمعنى مفعول من قولهم ظهرت به إذا خلفته خلف ظهره أي مهيناً مطروداً كمن نبذ وطرد إلى خلف لهوائه وصغاره فيكون قوله وكان الكفار على ربه ظهيراً من باب الاستعارة التمثيلية .

قوله : للمؤمنين والكافرين نشر على ترتيب اللف .

قوله : على تبليغ الرسالة الذي يدل عليه إلا مبشراً ونذيراً لما اقتضى الضمير في عليه سبق

(١) إشارة إلى ارتباطه بما قبله .

على تبليغ الرسالة ولم يقل على التبشير والإنذار تنبيهاً على أن المقصود عدم طلب الأجر على كل تبليغ الأحكام والتبشير والإنذار وغير ذلك ودلالة التبشير والإنذار على التبليغ التزامية.

قوله: (إلا فعل من شاء أن يتقرب إليه ويطلب الزلفى عنده بالإيمان والطاعة فصور ذلك بصورة الأجر من حيث إنه مقصود فعله واستثناءه منه قلماً لشبهة الطمع) إلا فعل من شاء أي إن كان فعل من شاء أجر أفكنت ممن أسأل أجراً على التبليغ وهذا محال فهو في المعنى تعليق بالمحال وهذا من قبيل تأكيد المدح بما يشبه الذم وعن هذا قال فصوره ذلك الخ وإنما قدر مضافاً وحمل الكلام على أنه استثناء متصل إذ الأصل في مطلق الاستثناء هو الاتصال فذكر أداته قبل ذكر ما بعده وهو المستثنى بوجه إخراج شيء مما قبله وإذا وليها صفة مدح وتحول الاستثناء من الاتصال إلى الانقطاع تحقق تأكيد المدح بما يشبه الذم وهنا لما استثنى فعل من شاء التقرب أشعر الكلام بأنه لم يوجد طلب أجر ما حتى يستثنيه فاضطر إلى استثناء صفة مدح وهي كون قصده عليه من تبليغ الرسالة منحصرأ فعل من شاء أن يتخذ فحصل المدح على المدح وإلى هذا البيان إلا وفي أشار بقوله واستثناءه منه قلماً لشبهة الطمع الخ لما عرفت أنه تعليق بالمحال فلا ريب في قلع شبهة طمع الأجر قوله مقصود فعله إشارة إلى أن القصد ملحوظ فوق فعل من شاء فيكون صفة مدح له عليه السلام كما أشرنا إليه فيكون نظير قوله:

ولا عيب فيهم غير أن ضيوفهم تلام بنسبنا الأحبة والوطن

قوله: (وإظهاراً لغاية الشفقة حيث اعتد بإنفاعك نفسك بالتعرض للشواب والتخلص عن العقاب أجراً وافياً مرضياً به مقصوراً عليه) وإظهاراً لغاية الشفقة الخ هذا من مقتضيات هذا المقام ولا يلزم ذلك في كل تأكيد المدح بما يشبه الذم قوله بإنفاعك

ذكر المرجع إليه والحال أنه لم يذكر قبله قدره وأوله أي المرجوع إليه لذلك الضمير هو تبليغ الرسالة وهو وإن لم يسبق ذكره لكنه في حكم المذكور لدلالة مبشراً ونذيراً عليه لأن البشارة والنذارة لا تكونان إلا بتبليغ الرسالة.

قوله: واستثناءه منه قلماً لشبهة الطمع وإظهاراً لغاية الشفقة إفادة الاستثناء قلع شبهة الطمع وغاية الشفقة من حيث إنه عد انتفاع العبد نفسه يتعرضه للشواب ويخلصه عن العقاب أجراً وافياً مقصوراً عليه لأن المستفاد من ما وإلا الكائنين في الآية أنه لا أجر له في تبليغ الرسالة سوى انتفاع المرسل إليهم إن كان انتفاعهم ذلك أجراً له لكنه ليس بأجر فيكون الكلام وإراداً على أسلوب قوله سبحانه: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغَوّاً وَلَا نَأْتِيماً إِلَّا قِيلاً سَلَاماً﴾ [الواقعة: ٢٥، ٢٦] وقوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغَوّاً إِلَّا سَلَاماً﴾ وكتقول النابغة ولا عيب فيهم البيت فيكون من باب تأكيد الشيء مما يشبه نقيضه فلما أفاد سلب الأجر على وجه المبالغة أفاد قلماً لشبهة الطمع وإظهار غاية الشفقة من حيث إفادته أن انتفاعهم عين انتفاعه عليه الصلاة والسلام فكانه أجر له على تبليغ الرسالة لما جعلهم بمنزلة نفسه عليه الصلاة والسلام أن اطاعوا واتخذوا إلى ربه سبيلاً وطلبوا الزلفى منه.

الأولى بإنقائه^(١) نفسه مقصور عليه لوقوعه بعد إلا فيكون مقصراً عليه قصراً إضافياً ولا ينافيه كون المقصور عليه المودة في القربى في سورة الشورى إذ القصر إضافي كما عرفت قوله أجراً أي أجراً صورياً وأفياً مرضياً مستفاد من الحصر عليه قوله قلعاً مفعول له وعلّة تحصيلية وجعله حالاً بمعنى قالعاً تكلف لفظاً^(٢) ومعنى وكذا الكلام في إظهاراً الخ أجراً مفعول اعتد لتضمينه معنى جعل قوله به متعلق بمرضياً لتضمينه معنى قائعاً.

قوله: (وإشعاراً بأن طاعتهم تعود عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بالثواب من حيث إنها بدلالته) من غير أن ينقص من أجورهم شيء من حيث إنه بدلالته أي بهدايته وإرشاده فيكون المراد ثواب الدلالة كما أشرنا إليه قوله أن يتقرب إليه أي المراد باتخاذ السبيل إليه تعالى لازم معناه وهو التقرب بالقرب المعنوي لأن من سلك طريق شيء على الاستقامة قرب إليه وربما وصله وذلك إشارة إلى فعل من شاء وصيغة البعد تنبيهاً على فخامته وترك من شاء مراد اكتفى بالفعل أو هو بمعنى الكف فيندرج في الفعل.

قوله: (وقيل الاستثناء منقطع معناه لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً فليفعل) الاستثناء منقطع فلا يقدر فعل فلا يكون بمعنى لكن فيكون طالباً للخبر وهنا محذوف أي فليفعل فيفوت المبالغة المذكورة ولذا مرضه والاستثناء على الأول متصل لما أوضحنا ثم تحول إلى الانقطاع فلا إشكال بأنه منقطع في الأول أيضاً.

قوله تعالى: **وَتَوَكَّلْ عَلَى الْإِلَهِ لَا يَمُوتُ وَسِعَ عَرْشُهُ وَكَفَى بِهِ ذُنُوبًا عَظِيمًا**

حَيَّرَ

قوله: (وتوكل) خطاب له عليه السلام وهو تهييج له وبالنسبة إلى أمته على ظاهره عطف على قل.

قوله: (في استكفاء شروهم والإغناء عن أجورهم) إشارة إلى الارتباط بما قبله.

قوله: (وإشعاراً بأن طاعتهم تعود إليه فعلى هذا يكون الاستثناء على ظاهره ولا يكون من تأكيد الشيء بما يشبه نقيضه لأن المستثنى حينئذ يكون من جنس الثواب من حيث إنه فعل يستلزم الثواب لهم بالمباشرة وللبلغ بالدلالة قال صاحب الفرائد يمكن أن يقال التقدير الآمال من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً لأن الأجر هنا المال والمعنى ما أسألكم على تبليغ الوحي مالاً إلا مال من يتخذ بإنقائه إلى ربه سبيلاً أي يتقرب إليه ويطلب الدرجة عنده وذلك المال المسؤول له لا لي وقال الطيبي هذا المعنى لا يستقيم في قوله: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾ [الشورى: ٢٣] فوجب حملة على ذلك المعنى وإلى ما ذكره صاحب الفرائد أشار صاحب الكشف بقوله وقيل المراد التقرب بالصدقة والنفقة في سبيل الله.

قوله: في استكفاء شروهم وهو من استكفته الشيء فكفانيه فإنه الحقيق بأن يتوكل عليه

(١) الانقاع لم يوجد في اللغة كما قيل لكن المؤلفين استعملوه.

(٢) إما لفظاً فلاحتياجه إلى التأويل وإما معنى فلأن مقارنته لزمان عامله غير ظاهرة.

قوله: ﴿فإنه الحقيق بأن يتوكل عليه دون الأحياء الذين يموتون فإنهم إذا ماتوا ضاع من يتوكل عليهم﴾ فإنه الحقيق الخ هذا الكلام يفيد الحصر ولذا قال دون الأحياء الخ وجه بيانه على طريق الحصر لأن النظم الجليل يفيد القصر إذ الحي لا يموت هو الله تعالى وحده وعن هذا عدل عن الظاهر أي وتوكل على الله فلما عدل عنه أفاد الحصر بمعونة المقام أو بملاحظة العلة قال في سورة البقرة وإذا وصف بالحياة الباري أريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة للقوة الحساسة أو ما يقتضيها التي معنى الحياة.

قوله: ﴿ونزعه عن سمات النقصان مثباً عليه بأوصاف الكمال طالباً لمزيد الإنعام بالشكر على سوابقه﴾ ونزعه عن سمات النقصان تهيج أيضاً بالنسبة إليه عليه السلام الأمر في الموضعين مستعمل في القدر المشترك بين الوجوب والتدب قوله مثباً عليه إشارة إلى أن يحمد حال من الفاعل والياء للملابسة والتسبيح التنزيه أي نسبته تعالى إلى الزهدة على أن بناء التفضيل للنسبة والحمد هو الثناء باللسان فكيف يحصلان في زمان واحد حتى يكون حالاً من فاعل التسبيح مع أن مقارنة زمان الحال لزمان وقوع مضمون الفعل المقيد بالحال واجبة والجواب أنه في تأويل عازماً بحمده تعالى أو التسبيح بالقلب والحمد باللسان أو العكس إن أريد بالحمد المعنى العرفي أو بداية الحمد ملايس بنهاية التسبيح وهذا كاف في وحدة الزمان قوله مثباً عليه اختيار المعنى اللغوي بأوصاف الخ لمناسبة سمات النقص ولا بعد في المعنى العرفي وكون المعنى مثباً عليه بالأفكار والعبادات طالباً لمزيد الخ لقوله تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ [إبراهيم: ٧] قوله بالشكر على سوابقه من النعم السابقة وفي بعض النسخ من سوابقه بالغين المعجمة بمعنى نعمه كما قال تعالى: ﴿وأسبغ عليكم نعمه﴾ [لقمان: ٢٠] الآية وفيه إشارة إلى أن المراد بالحمد ما هو في مقابلة الإنعام فأوصاف الكمال محمود بها والإنعام محمود عليها وفي الأمر بالتسبيح وجعل الحمد قيداً له تنبيه نبيه على الأهم المقدم التخليه ثم التحلية.

قوله: ﴿ما ظهر منها وما بطن﴾ أي بالنسبة إلى العباد هذا التعميم متفهم من الجمع المضاف لأنه كالجمع المحلي باللام من ألفاظ العموم وخبيراً حال وجعله تمييزاً يحتاج إلى العناية ويذنب عباده معمول خبيراً قدم لرعاية الفاصلة والخبرة معرفة بواطن الأمور ومن علم البواطن علم الظواهر بالأولوية وعن هذا قال ما ظهر منها وما بطن.

قوله: ﴿مطلعاً فلا عليك إن آمنوا أو كفروا﴾ فلا عليك أي فليس عليك بأس إن آمنوا

دون الأحياء الذين يموتون معنى الحصر مستفاد من تخصيص الحي الذي لا يموت بالذكر فإن أصل الكلام أن يقال توكل علي ثم توكل على الله فخص الحي الذي لا يموت ليكون تعريضاً بأن الحي الذي لا يموت حقيق بأن يتوكل عليه وإن غيره لا يصح أن يتوكل عليه أما الأصنام فإنها أموات لا يكفي أمر من يتوكل عليها وأما الأحياء الذين يموتون فإنهم إذا ماتوا ضاع المتوكل ولهذا قال بعض السلف حين قوله هذه الآية لا يصح لدي عقل أن يثق بعدها بمخلوق.

قوله: ﴿طالباً لمزيد الانعام بالشكر على سوابقه أي على سابق الانعام فإن الشكر على النعمة السابقة يستجلب مزيد الانعام على مقتضى قوله سبحانه: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ [إبراهيم: ٧].

أو كفروا أي في إيمانهم أو كفرهم الأولى الاكتفاء بكفرهم^(١) قال تعالى: ﴿وما عليك ألا يذكى﴾ (عبس: ٧) فغرضه بهذا بيان ارتباطه وكون إن بكسر الهمزة ضعيف.

قوله تعالى: **الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَبِّحْهُ خَبِيرًا** ﴿٥٩﴾

قوله: (قد سبق الكلام فيه) أي في سورة الأعراف.

قوله: (ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقة بأن يتوكل عليه) فليس بتكرير إما زيادة التقرير في كون الموصول صفة الحي فظاهرة وأما على كونه مبتدأ فلأنه جملة مسوقة لذلك التقرير وإنما قال لزيادة التقرير لأن أصل التقرير حصل بقوله الحي الذي لا يموت كما بينه المص.

قوله: (من حيث إنه الخالق للكل والمتصرف فيه وتحريض على الثبات والثبات في الأمر فإنه تعالى مع كمال قدوته وسرعة نفاذ أمره في كل مراد خلق الأشياء على تودة وتدرج) من حيث إنه الخالق للكل وحده لا خالق سواء مستقلاً أو اشتراكاً حتى يتوكل عليه وتحريض الخ عطف على زيادة تقرير هذا مفاد قوله في ستة أيام^(٢) كما أن قوله والمتصرف

قوله: قد سبق الكلام فيه قال صاحب الكشف في ستة أيام يعني في مدة مقدارها هذه المدة لأنه لم يكن حينئذٍ نهار ولا ليل وقيل ستة أيام من أيام الآخرة وكل يوم ألف سنة والظاهر أنها من أيام الدنيا وعن مجاهد أولها يوم الأحد وآخرها الجمعة ووجه أن يسمي الله تعالى لملائكته تلك الأيام المقطرة بهذه الأسماء فلما خلق الشمس وأدارها ورتب أمر العالم على ما هو عليه جرت التسمية على هذه الأيام وأما الداعي إلى هذا العدد أعني الست دون سائر الأعداد فلا نشك أنه داعي حكمة لعلمنا أنه لا يقدر تقديرأ إلا بداعي حكمة وإن كنا لا نطلع عليه ولا نهتدي إلى معرفته ومن ذلك تقدير الملائكة الذين هم أصحاب النار تسعة عشر وحملة العرش ثمانية والشهور اثني عشر والسموات سبعاً والأرض كذلك والصلوات خمساً وأعداد النصب والحدود الكفارات وغير ذلك والإقرار بدواعي الحكمة في جميع أفعاله وبأن ما قدره حق وصواب وهو الإيمان وقد نص عليه في قوله ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً﴾ ثم قال ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ وهو الجواب في أن لم يخلقها في لحظة وهو قادر على ذلك وعن سعيد بن جبير إنما خلقها في ستة أيام وهو قادر أن يخلقها في لحظة تعليمأ لخلق الرق والثبت وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله عيداً للمسلمين.

(١) إلا أن يقال ذكر الإيمان للمبالغة في عدم ضرر كفرهم أي كما لا يضر إيمانهم لا يضر كفرهم أيضاً.

(٢) من أيام الآخرة وكل يوم ألف سنة والظاهر أنها من أيام الدنيا أي من مقدارها وعن مجاهد أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة كلها في الكشف سوى قولنا من مقدارها.

في الكل مفاد قوله ﴿ثم استوى على العرش﴾ [الرعد: ٢] ولا يضر عدم مدخلية ذلك التحريض الارتباط بما قبله إذ خالقية الكل يكفي فيه والتزودة التائي وتدرج إيجاده شيئاً فشيئاً وإنما قال لعل لأن الجزم في بيان المزايا ليس بمناسب حتى قال الفاضل المحشي ويحتمل أن يكون جواب سؤال تقديره لم أهملهم مع علمهم بذنوبهم يعني أن عادة الله تعالى جرت على الإناء والصبر في الأمور ويشهد لذلك ذكر الرحمن فلا حزم في بيان النكات وإن ذكرت في صورة الجزم خبر للذي إن جعلته مبتدأ أو لمحذوف إن جعلته صفة للمحي أو بدل من المستكن في استوى وقرئ بالجرح على أنه صفة للمحي .

قوله: (فاسأل عما ذكر من الخلق والاستواء) فيه إشارة إلى أن مرجع الضمير في به راجع إلى المتعدد باعتبار ما ذكر ولما كان السؤال سؤال استعمال وتعديته إلى المسؤول عنه بمن قال عما ذكر وتعديته إلى المسؤول^(١) بنفسه فلذلك جاء خبيراً والظاهر أن مراده أن الباء بمعنى^(٢) عن إذ المعنى الاستعلاء والتفتيش وميل أكثرهم أن مراده بيان حاصل المعنى لا أن الباء بمعنى عن فإن أرادوا أن حاصل المعنى الاستعلاء والتفتيش فهو عين ما ذكرنا وإن أرادوا أن حاصله الاعتناء فلا وجه لذكر عن .

قوله: (عالمًا يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى أو جبرائيل أو من وجده في الكتب المتقدمة) عالمًا الخ الجمع بين العلم والخبار لأن الخبر كما عرفت عالم بالبواطن ويستلزم الإخبار فلا يلزم الجمع بين المعنيين وهو الله تعالى قدمه لأنه مرجع الكل وقيل يخبرك جواب الأمر لا تفسير الخير بالخبر وفيه نوع خفاء والظاهر أنه صفة لعالمًا .

قوله: (ليصدقك فيه) ناظر إلى الأخير وعلى الأولين فالسؤال عن حقيقته وتفصيله بعد العلم إجمالاً بإخباره تعالى وهو أمس بالمقام وعن هذا قدمهما على الأخير .

يخبرك من أهل الكتاب ليعرفوا محيي ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا يجوز أن يكون الرحمن مبتدأً وقيل الضمير للرحمن أي لإطلاقه ولذا قال والمعنى إن أنكروا إطلاقه على الله تعالى فاسأل عن إطلاقه من يخبرك الخ فخبيراً يراد به حينئذٍ أهل الكتاب وغرض

قوله: فاسأل عما ذكر يعني الباء في به بمعنى عن والضمير للخلق والاستواء وخبيراً بمعنى عالمًا من الخبرة وهي العلم بباطن الشيء وقيل الضمير في به راجع إلى الرحمن وعلى هذا يجوز أن يكون الرحمن مبتدأ والخبر ما بعده وهو ﴿فاسأل به خبيراً﴾ وهو إنشاء لا يقع خبراً إلا بتقدير القول أي الرحمن نقول في شأنه اسأل به خبيراً والفاء لكون اللام في الرحمن بمعنى الذي فإنه بمعنى الذي رحم .

(١) وقد يتعدى إلى المفعول الأول بمن مثل قوله عليه السلام ما المسؤول عنها بأعلم من السائل .

(٢) ويحتمل أن يكون إشارة إلى أن به صلة خبراً كما سيأتي فصلة فاسأل محذوف وهو عما ذكر .

السؤال تبكيهتهم لا الاستعلام ولا التصديق وإنما قال ما يرادفه لأن كتبهم ليست بعربية مرضه إذ الضمير حينئذ يرجع إلى لفظ الرحمن مراد به معناه وأنه يحتاج إلى تقدير الإطلاق والكل خلاف الظاهر .

قوله : (والخبر ما بعده) وهو فاسأل به في كون الإنشاء خبراً اختلافاً ودخول الفاء في الخبر ليس في محله وقيل الفاء زائدة في الوجه وفيه تأمل .

قوله : (والسؤال كما يعدى بمن لتضمته معنى التفتيش يعدى بالياء لتضمته معنى الاعتناء) والسؤال كما يعدى بمن الخ يعني في الأصل متعد إلى الاثنين بنفسه كقوله تعالى : ﴿ويسألونك ماذا ينفقون﴾ [البقرة : ٢١٩] لكن الظاهر أنه من قبيل الحذف والإيصال فتعديته إلى المفعول الثاني إما بمن وهو الشائع في الاستعمال لتضمته معنى التفتيش وهو متعد بمن ويعدى بالياء لتضمته معنى الاعتناء الذي يتعدى بالياء لكن معنى^(١) الاعتناء ليس بمناسب هنا ولذا قال عما ذكر ولم يقل بما ذكر وقد أوضحناه هناك والتفتيش يستلزم الاعتناء وبالعكس وإن تغايراً مفهوماً ولعل قوله فيما مر فاسأل عما ذكر إشارة إلى ما ذكرنا .

قوله : (وقيل إنه صلة خيرراً) إنه أي به قدم للفاصلة ومفعول فاسأل محذوف ويحتمل كون قوله السابق إشارة إليه مرضه لاحتياجه إلى التقدير .

قوله : والسؤال كما يعدى بمن إلى آخره أي كما يعدى بمن كما في قوله سبحانه : ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾ [التكاثر : ٨] لتضمته معنى التفتيش أي ثم لتفتشن عن النعيم مسؤولاً كذلك يعدى بالياء لتضمته معنى الاعتناء والاعتداد كقوله تعالى : ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾ [المعارج : ١] أي اعتنى به سائلاً عنه وإلا فالسؤال مما يتعدى بنفسه لا بواسطة الجار يقال سأله بمعنى طلبه .

قوله : وقيل إنه صلة خيرراً أي فاسأل خيرراً به أي فاسأل من يعلمه قال صاحب الكشف أو صلة خيرراً مفعول سل تريد فاسأل عنه رجلاً عارفاً بخبرك برحمته أو فسل رجلاً خيرراً به وبرحمته أو فسل يسأله خيرراً كقولك رأيت به أسداً أي برويته والمعنى إن سألته وجدته خيرراً ثم كلامه فعلى هذا الوجه الأخير لا يكون الياء صلة خيرراً بل يكون صلة سل على معنى التسيب ويكون الكلام من باب التجريد كما قال السجائدي ﴿فسئل به خيرراً﴾ نحو قولك في الشجاع إذا لقيته لقيت به ليثاً وفي الجواد إذا سألت به القيث إلى هنا كلامه فعلى هذا لا حاجة إلى ارتكاب معنى التضمين في استعمال السؤال بالياء وهنا ولا إلى جعل الياء قائماً مقام عن وإن ورد في قول الشاعر :

فإن تسألوني بالنساء فإني خبير بآدواء النساء طبيب

لأنهم ما كانوا يطلقونه على الله قال الزجاج اسم الرحمن مذكور في كتب الأولين ولم يكونوا يعرفونه أنه من أسمائه تعالى ومعناه ذو الرحمة التي لا عليه بعدها في الرحمة لأن فعلاً

(١) أي لكون الاعتناء في ضمن معناه فالمراد التضمين اللغوي ويحتمل التضمين الاصطلاحي .



قوله تعالى: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾

قوله: ﴿اسجدوا للرحمن﴾ [الفرقان: ٦٠] لما قال تعالى: ﴿ثم استوى على العرش﴾ [الرعد: ٢] الرحمن وهنا ذكر هذا الاسم الشريف وأيضاً لما أنكروا إطلاقه عليه تعالى ذكر هنا تعليماً لهم لكن لشدة شكيتهم لم يفتضوا وإنما قالوا وما الرحمن إذ السؤال عن معناه أو لأن وضعه أعم أظهر في موضع الضمير للتقرر في الذهن أو لمكان الالتباس أو لأن المتعارف السؤال بالاسم الظاهر والظاهر أن اسجدوا بمعنى صلوا مجازاً وهو يستلزم الأمر بالإيمان سواء كان المراد السجدة وحدها أو الصلاة.

قوله: (لأنهم ما كانوا يطلقونه على الله تعالى أو لأنهم ظنوا أنه أراد به غيره) أو لأنهم ظنوا لأن الرحمن يطلق على مسيلمة الكذاب ويقال رحمن اليمامة تعصباً في الكفر ولذا ظنوا أنه أراد به غيره وهذا يوهم أنهم لا ينكرون إطلاقه عليه تعالى وقد سبق أنهم أنكروا إطلاقه على الله تعالى ثم إنه على هذا التقدير فالسؤال بما سؤال عن تعيين الرحمن وهذا غير متعارف في السؤال بما.

قوله: (ولذلك قالوا ﴿أنسجد لما تأمرنا﴾ [الفرقان: ٦٠]) ولذلك أي ولأجل ظنهم المذكور قالوا أنسجد بالاستفهام الإنكاري الوقوعي ولذلك أي ولأجل هذين الأمرين قالوا الخ.

قوله: (أي للذي تأمرنا بمعنى تأمرنا بسجوده) للذي تأمرنا ناظر إلى التفسير الثاني قوله بمعنى تأمرنا أي ما موصولة والعائد محذوف بمعنى تأمرنا بسجوده قيل على الحذف والإيصال والأصل تأمرنا بالسجود له ثم بسجوده ثم تأمرنا بسجوده كإمرتكم الخير ثم تأمرنا بحذف المضاف ثم تأمرنا كما ذكره أبو البقاء وهل هذا الحذف تدريجي أو لا قولان وفي اللباب وما يجوز أن يكون بمعنى الذي والعائد محذوف لأنه متصل لأن أمر يتعدى إلى الثاني بإسقاط الحرف.

قوله: (أو لأمرنا من غير عرفان) أي كلمة ما مصدرية واللام للتعليل والمسجود له محذوف ولذا أخره قيل وهذا ناظر إلى التفسير الأول ومعنى من غير عرفان من غير عرفان من هو المسمى بهذا الاسم فحينئذ يكون السؤال عن حقيقة الرحمن كقول فرعون وما رب العالمين وإن كان المعنى من غير عرفان ما هو المراد من هذا الاسم فيكون

بناء المبالغة قوله أو للذي تأمرنا على أن يتعدى لمفعولين بلا واسطة مثل أمرتك الخير لكن ما اقتصرت به فالمعنى لما تأمرنا بسجوده على حذف المضاف من الهاء في تأمرنا وما وقع في بعض النسخ لما تأمرنا بسجوده بالياء سهر من الناسخ لما لا يطابق الشرح المشروح قال أبو البقاء ما موصولة أو نكرة موصوفة أي لما تأمرنا بالسجود له ثم بسجوده ثم تأمرنا وهذا قول أبي الحسن وعلى قول سيبويه حذفت ذلك كله من غير تدريج وقوله أو لأمرنا لنا مبني على أن يكون ما مصدرية.

السؤال سؤالاً عن هذا الاسم ومن هو مسمى بهذا الاسم وهذا المعنى أنسب بالتفسير الأول إذ الظاهر أنهم مقرون بالله تعالى وعارفون بأن الرحمن صفة تفيد المبالغة في الإنعام لكنهم لا يعرفون إطلاق اسم الرحمن على الله تعالى ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿قل ادعوا الله وادعوا الرحمن﴾ [القصص: ٦٤] الآية وقد فصل المعنى المص^(١) هناك.

قوله: (وقيل لأنه كان معرباً لم يسمعه) وقرأ حمزة والكسائي يأمرنا بالياء على أنه قول بعضهم لبعض (أي الأمر بسجود الرحمن عن الإيمان) وقيل لأنه كان معرباً أي أصله عبراني ورخص بالحاء المعجمة مرضه لأنه أضعف لم يسمعه فعلى فرض صحته يكون السؤال عن تعيين معنى بلفظ يرادفه مثل ما القسورة والقسورة الأسد أي الأمر بالسجود للرحمن مع أنه يوجب السجود فهو عطف على قالوا لا على المقول قوله عن الإيمان ولم يقل عن السجود لأنه فهم من قولهم أنسجد.



قوله تعالى: تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا مَرَجًا وَكَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦٦﴾

قوله: (يعني البروج الاثني عشر) التي في الفلك الأعلى والمراد بالسماء فلك الأفلاك كذا قاله مولانا سعد في سورة البروج والظاهر أن المراد بالسماء جنس السماء لأن في كل منها بروجاً أي مواضع مرتفعة وأما كون المراد بالبروج الاثني^(٢) عشر فبناء على مسلك الحكماء وهي في الفلك الثامن فحينئذ يكون المراد بالسماء الفلك الثامن وهو خلاف الظاهر.

قوله: (سميت به وهي القصور العالية لأنها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها)

قوله: وقيل لأنه كان معرباً لم يسمعه قال ثعلب إنه عبراني وهو في الأصل رخص بالحاء المعجمة إذ لو كان عربياً لما اتكرته العرب وقد أنكروه يدل عليه قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن﴾ [الفرقان: ٦٠] ولأنه لو كان مشتقاً من الرحمة لما حسن تقديمه على الرحيم لأنه أشد مبالغة منه حيثي إلى هنا كلامه.

قوله: على أنه قول بعضهم لبعض يعني ليس المخاطب به على هذه القراءة النبي عليه الصلاة والسلام بل المخاطب به بعضهم أي قال بعضهم لبعض انسجد لما يأمرنا محمد بسجوده.

قوله: لأنها الكواكب السيارة كالمنازل لسكانها وفي الكشاف البروج منازل الكواكب السبعة السيارة: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوث، سميت بالبروج التي هي القصور العالية لأنها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها أي لسكان السماء.

(١) نزل حين سمع المشركون رسول الله ﷺ يقول يا الله يا رحمن فقالوا إنه ينهانا أن نعبد الهين وهو يدعو الهاً آخر انتهى وهذا صريح في أنهم عارفون الرحمن لكنهم لم يعرفوا إطلاقه عليه تعالى وبإتي الاحتمال ضعيف جداً.

(٢) وهي الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والحوث، والدلو.

وهي القصور العالية أي البروج في الأصل هي القصور العالية وشبهت منازل السيارات^(١) بها في كونها منازل السيارات كما أن القصور منازل لسكانها فأطلقت البروج على تلك المنازل استعارة تصريحية وإلى هذا أشار بقوله لأنها للكواكب الخ وعلى ما ذكرناه من أن البروج عند أهل الشرع عبارة عن مواضع مرتفعة فلا نقل ولا استعارة لكن المص طباب الله ثراء مال إلى مسلك الفلاسفة وبين معنى النظم الجليل على رأيهم .

قوله: (واشتقاقه من التبرج لظهوره) أي الاشتقاق الكبير^(٢) وضمير اشتقاقه للبرج الدال عليه البروج .

قوله: (وجعل فيها) أي السماء وفيه دلالة على أن المراد بالسماء جميع السموات لأن السماء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد وقيل جمع سماء ولو أريد بالسماء الفلك الثامن لاحتياج إلى التكلف لأن الشمس في السماء الرابعة والبروج الاثني عشر في الفلك الثامن ومن هذا ظهر أن كون ضمير فيها راجعاً إلى البروج يحتاج إلى التمحّل .

قوله: (يعني الشمس لقوله تعالى: ﴿وجعل الشمس سراجاً﴾ [نوح: ١٦]^(٣) وقرأ حمزة والكسائي سراجاً) يعني الشمس فيكون سراجاً استعارة مصرحة وفي قوله تعالى: ﴿وجعل الشمس سراجاً﴾ [نوح: ١٦] تشبيه بليغ لأنها تزيد ظلمة الليل عن وجه الأرض كما يزيلها السراج عما حوله وشتان ما بين الإزائتين لكن السراج لما كان معروفاً لنا شبهت الشمس به .

قوله: (وهي الشمس والكواكب الكبار) وفيه أيضاً دليل على عموم السماء ولم يرض بكونه من قبيل أن إبراهيم كان أمة لأنها لعظمها وكمال إضاءتها كأنها سرج كثيرة أو باعتبار الأيام والمطالع لأنه تكلف والإفراد في قراءة غيرهما لا بلائمه وكذا وروده في النظم الكريم مفرداً يأتي عنه .

قوله: (مضيئاً بالليل وقرىء قمرأ أي ذات قمر وهو جمع قمراء) مضيئاً الأولى منيراً بالليل لما قاله في سورة يونس وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور إلا أن يقال إن ميله

قوله: وقرىء قمرأ أي ذا قمر وهو قراءة الحسن والأعمش وهي جمع ليلة قمراء فالمعنى ذا قمر لأن الليالي تكون قمرأ بالقمر فإضافة إليها ونظيره في بقاء حكم المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف إليه مقامه قول حسان:

بردى يصفق بالرحيق السلسل يسقون من ورد البيرض عليهم
يريد ماء بردى وهو نهر دمشق ومن ثمة ذكر يصفق .

(١) والسيارات القمر، والزهرة، والمطارد، والشمس، والمريخ، والمشتري، والزهل .

(٢) كاشتقاق الوجه من المواجهة .

(٣) وقيل السراج الشمس كما في القاموس فيكون حقيقته لكن هذا بشكل في قوله تعالى: ﴿وجعل الشمس سراجاً﴾ [نوح: ١٦] .

أن النور أعم من الضوء قوله أي ذات قمر قدر المضاف لأنه جمع قمراء بمعنى منيرة وهي الليلة ذات القمر وصاحبها هو القمر نفسه^(١) ويوافق القراءة المشهورة فيحسن وصفه منيراً على القراءتين ويتضح جعله في السماء لأن القمر وإن لم تكن في السماء لكن صاحبه وهو القمر فيها.

قوله: (ويحتمل أن يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب) بمعنى القمر فلا حذف فيه كالرشد الخ استشهد على ذلك.



قوله تعالى: وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَزَادَ أَنْ يَنْكَرَ لَوْ أَزَادَ شُكُورًا

قوله: (أي ذوي خليفة يخلف كل منهما الآخر بأن يقوم مقامه فيما ينبغي أن يعمل فيه) ذوي خليفة ذوي ثنية ذوو جعل خليفة مفرداً لكونه مصدرأ في الأصل ولما قدر المضاف قدره مثني لوجوب المطابقة بين المفعول الأول والثاني لجعل في القاموس الخلف والخلفة بالكسر المختلف فعلى هذا لا يحتاج إلى تقدير المضاف والمعنى وجعلهما مختلفين وإفرادهما لكونهما على زنة المصدر ولم يلتفت إليه المصن أولاً بل الخلفة على معنى الخلف كما قال يخلف كل منهما الخ وهذا المعنى ذكره الزمخشري وهو ثقة في اللغة.

قوله: (أو بأن يعتقبا لقوله واختلاف الليل والنهار وهي للحالة من خلف كالركبة والجلسة) أو بأن يعتقبا والمعنى ذوي^(٢) عقبه يعقب هذا ذاك وذلك هذا قدم الأول لمناسبة

قوله: أي ذوي خليفة على لفظ الثنية الخلفة من خلف كالركبة وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار يعني أن خليفة مفرد لفظاً ومتعدد قال أبو البقاء خليفة مفعول ثانٍ أو حال وأورد لأن المعنى يخلف أحدهما للآخر فلا يتحقق أحدهما إلا منهما.

قوله: أو بأن يعتقبا قال الزجاج هذا قول أهل اللغة وأنشد لزهير:

بهما العين والارام يمشين خليفة واطلاؤها ينهضن من كل مجثم

العين بالكسر بقر الوحش والارام جمع رام وهو الولد والبقرة والاطلاء جمع طلاء وهو الولد من ذوات طلف والمجثم مأوى الوحش وقال وجاء في التفسير أيضاً خليفة مختلفات قال الله تعالى واختلاف الليل والنهار وروى محيي السنة عن مجاهد يعني جعل كل واحد منهما مخالفاً لصاحبه فجعل هذا أبيض وهذا أسود وقال الطيبي في كلام الزجاج إشعار بأن قول مجاهد على خلاف اللغة ولهذا اعتذر له صاحب الكشف بقوله: ويقال الليل والنهار يختلفان كما يقال يعتقان ومنه قوله تعالى: ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ [البقرة: ١٦٤] ويقال بقلان خليفة واختلاف إذا اختلف كثيراً إلى متبرزه.

(١) لأن الليلي تكون قمرأ بالقمر فأضافه إليها كما في الكشف.

(٢) كذا في الكشف فعلى هذا لم يلتفت الشيخان إلى ما ذكر في القاموس لما عرفت من أنه لا يحتاج إلى تقدير ذوا فلا تغفل.

المقام وأيضاً المعنى الثاني المذكور في المواضع الكثيرة قوله لمن أراد أن يذكر يرجح المعنى الأول نعم المعنى الثاني أدل على وحدانيته تعالى وادعى إلى العبادة وسجود الرحمن وفيه توبيخ على نفورهم عن الإيمان وسجدة الرحمن كما أن الآية الأولى مسوقة لذلك وهي للحالة أي المصدر للتعرف من خلف بمعنى الخلافة أو التعاقب.

قوله: (أن يتذكر آلاء الله ويتفكر في صنعه فيعلم أنه لا يد له من صانع حكيم واجب الذات رحيم على العباد) أن يتذكر فأدغم فصار أن يذكر آلاء الله أي نعم الله تعالى دنيوية وأخروية روحانية أو جسمانية كسبية أو موهبية وتذكرها بأنواع العبادات والاجتناب عن المنكرات في الليالي والنهار حتى إذا فاتته ما يعمل في النهار يعمل في الليل وبالعكس وبهذا يتضح حسن المعنى الأول في خلقة قوله ويتفكر في صنعه أي حذف المفعول للتعميم إلى التذكر والتفكر في نعم الله تعالى وفي صنعه التذكر يتنوع بالإضافة^(١) بالنسبة إلى آلاء الله تعالى يتحقق في العبادات البدنية والمالية وبالإضافة إلى صنعه ومصنوعاته يوجد في التفكير والنظر الصحيح المفيد للعلم الصريح ولذا قال فيعلم أنه لا بد الخ وفيه

قوله: أن يتذكر آلاء الله ويتفكر في صنعه إلى آخره قال صاحب الكشاف عن أبي بن كعب يتذكر والمعنى لينظر في اختلافهما الناظر فيعلم أنه لا بد لانتقالهما من حال إلى حال وتغيرهما من ناقل ومغير ويستدل بذلك على عظم قدرته ويشكر الشاكر على النعمة فيهما من السكون بالليل والتصرف بالنهار كما قال عز وجل: ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله﴾ [القصص: ٧٣] أو ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته ورده في أحدهما من العبادة قام به في الآخر وعن الحسن من فاته عمله من التذكر والشكر بالنهار كان له في الليل مستعجب وفي النهاية استعجب طلب أن يرضى عنه كما تقول استرضيته ومنه الحديث لا يتمين أحدكم الموت إما محسناً فلعله يزاد وإما مسيئاً فلعله استعجب أي يرجع عن الاساءة ويطلب الرضى ومنه الحديث ولا بعد الموت من مستعجب أي ليس بعده استرضاء وكلمة أو في قوله عز وجل: ﴿أو أراد شكوراً﴾ [الفرقان: ٦٢] للتخيير والاباحة كما في قوله: ﴿أو كصيب من السماء﴾ [البقرة: ١٩] أو للجمع كما في قوله سبحانه: ﴿عذراً أو نذراً﴾ [المرسلات: ٦] ومن ثمة أنى صاحب الكشاف بالواو في موضعين حيث قال لينظر ويشكر وقال في وقتين للمتذكرين والشاكرين قال الطيبي في قوله لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً تعريضاً بأن الذين قالوا وما الرحمن تسجد لما تأمرنا أبوا التفكير في آيات الله جعوداً وعناداً وامتنعوا عن الشكر عتواً واستكباراً وتصريح بأن الذين توسموا بعباد الرحمن على خلاف ذلك قال ﴿والذين يمشون على الأرض هوناً﴾ وقال الذين يبيتون لربهم سجداً وقائماً ليقابل قولهم أنسجد وقوله وزادهم تقوراً وقال الإمام إنه تعالى لما حكي عن الكفار مزيد النفرة من السجود ذكر بعده ما لو تفكروا فيه لعرفوا وجوب السجود أو العبادة فقال: ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروحاً﴾ [الفرقان: ٦١] يعني أن الذين قالوا وما الرحمن ما تفكروا في هذه القدرة وما شكروا هذه النعمة.

(١) فلا إشكال بأنه جمع بين المعنيين إما بالاشتراك اللفظي أو بالحقيقة وكلاهما مختلف فيهما بل أراد معنى مشتركاً بين المعنيين اشتراكاً معنوياً تدبر.

تنبيه على أن سبب نفورهم عن الإيمان والانقياد إلى الرحمن تركهم النظر الصحيح والإصرار على التقليد.

قوله : (أن يشكر الله على ما فيه من النعم) أي بصرفه جميع ما أنعم عليه إلى ما خلق له وهذا أكمل مراتب الشكر وأما الحمد المستفاد من قوله أن يتذكر آلاء الله تعالى فأعم منه فلا تكرر إنما قيل لمن أراد أن يذكر ولم يجيء لمن تذكر أو شكر إذ الخلفية تفتضي الإرادة لأن من أراد أن يذكر في الليل ولم يتيسر له التذكر ففيه تدارك في النهار وبالعكس وأما العمل بالفعل فلا يظهر له الخلفية واللام صلة جعل وعلة له ولما كان الخلفية لمن أراد الميراث بين أن فائدة ذلك لمن أراد التقرب إلى الله تعالى وأما بالنسبة إلى الأمور الدنيوية فلم يعتبر خلفيتها لأنها ساقطة الاعتبار وأيضاً قيام كل واحد منهما مقام الآخر في الأمور الدنيوية غير ظاهر إذ ما فعل في أحدهما ينبغي أن يفعل فيه .

قوله : (أو ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته ورده في أحدهما تداركه في الآخر وقراً حمزة أن يذكر من ذكر بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا ووافقه الكسائي فيه) أو ليكونا وقتين وجه آخر وإشارة إلى أن الوقت مقدر ولام التعليل داخل في الوقت لكن المآل واحد وكلامه ناظر إلى التفسير الأول أي الخلفية حيث قال من فاته ورد الخ قوله للمتذكرين الخ حاصل المعنى ولم يذكر الإرادة لأن المتذكرين أعم من الفعل والقوة قوله والشاكرين إشارة إلى أن أوفى النظم لمنع الخلو واختير شكوراً لرعاية الفاصلة وقدم التذكر لأن التفكير في صنعه ذريعة إلى الشكر الورد بكسر الواو الوظيفة من تلاوة وتسييح وتحميد وغير ذلك حمل الخلفية في الأمور المتدنية وفي عبادة اللسان والظاهر العموم فإن من فاته صلاة واجبة في النهار فضاها في الليل وبالعكس قوله من ذكر أي الثلاثي .

قوله تعالى : وَيَسْأَلُ الرَّحْمَنُ الَّذِي يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا ﴿١٧﴾

قوله : (مبتدأ خبره أولئك يجزون الغرفة) .

قوله : (أو الذين) الآية اخبره مع قرينه إذ الكلام مسوق لتشيرهم بالجنة والمعنى وعباد الرحمن الموصوفون بهذه الصفات الحميدة أولئك يجزون الغرفة .

قوله : (وإضافتهم إلى الرحمن للتخصيص والتفضيل أو لأنهم الراسخون في عبادته)

قوله : مبتدأ خبره ﴿ أولئك يجزون الغرفة ﴾ أي قوله وعباد الرحمن مبتدأ خبره في آخر السورة كأنه قيل وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم ﴿ أولئك يجزون الغرفة ﴾ وفي الكشف ويجوز أن يكون خبره الذين يمشون فعلى هذا يكون تعريضاً بالذين قالوا وما الرحمن ﴿ انسجد لما تأمرنا ﴾ لمقابلته مع ما عطف عليه يتضمنه معنى الخضوع والانقياد واستكبار هؤلاء الكفرة واستغفارهم من السجود .

قوله : وإضافتهم إلى الرحمن للتخصيص والتفضيل أي لتخصيصهم وتفضيلهم جعلهم عباد

وإضافتهم إلى الرحمن من الأسماء الحسنى للتخصيص أي لتخصيص كمال الرحمة وأما أصل الرحمة فعام للموحدين الغير الموصوفين بمجموع هذه الصفات أو لتخصيص الرحمة وتمييزهم بها عن الكفار الذين لم يسجدوا الرحمن وكذا الكلام في التفصيل وقيل وإضافتهم إلى الرحمن يعني مع أن الكل عبده لتخصيص أي لتمييزهم من بين العباد بذلك التشريف وفيه نظر لأن هذا جار في إضافتهم إلى غير الرحمن من الأسماء السامية لا سيما إلى الاسم الأعظم فالتكئة في إضافتهم إلى الرحمن دون غيره من الأسماء.

قوله: (على أن عباد جمع عابد كتاجر وتجار) على أن عباد بكسر العين وبالباء الموحدة جمع عابد هذا على الوجه الثاني وأما على الأول فجمع عبد والعباد بضم العين وتشديد الباء فلم يذكر هنا وعلى كلا المعنيين فيه تعريض^(١) بالذين ﴿قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا﴾ [الفرقان: ٦٠] ويهذه يعلم ارتباطه بما قبله قوله وتجار بكسر التاء وتخفيف الجيم وقيل الظاهر أنه بضم العين وتشديد الباء وهي قراءة كما في الدر المصون كتاجر وتجار بضم التاء وتشديد الجيم وهذا لا كلام فيه لكن سوق كلام المص حيث قال على أن عباد الخ ظاهر فيما ذكر أولاً ولم يتعرض قراءة عباد بضم العين وتشديد الباء ولو قيل إن قوله على أن عباد جمع عابد إشارة إلى تلك القراءة لأوهم مثل هذه العبارة قراءة في غير هذا الموضع ولا يخفى فساد.

قوله: (هينين أو مشياً هيناً مصدر وصف به) هينين حال من الفاعل وأفرد لكونه

الرحمن هذا التأويل مبني على أن يكون عباد الرحمن بالكسر جمع عبد من العبادة وهي أن يفعل العبد ما يرضاه الرب والعباد بالضم من العبادة وهي أن يرضى العبد بما يفعله الرب كذا ذكره الطيبي فقله أو لأنهم الراسخون في العبادة مبني على قراءة عباد بالضم جمع عابد كتاجر وتجار.

قوله: مصدر وصف أي هوناً مصدر وصف به مبالغة والمعنى على كونه حالاً هينين وعلى كونه صفة مشياً هيناً وفي جعله حالاً وصف به أيضاً لأن الحال صفة ذي الحال في المعنى فإن الركوب في قولك جاء زيد ركباً صفة زيد في المعنى بمعنى أن الركوب معنى قائم بزيد ولذا قال صاحب الكشف بعد ذكر الوجهين إلا أن في وضع المصدر موضع الصفة مبالغة والهون الرفق واللين ومنه الحديث أحب حبيبك هوناً ما وقوله المؤمنون هينون لينون والحديث المروي عن ابن مسعود حرم على النار كل هين لين سهل قريب من الناس والمثل إذا عز أخوك فهن ومعناه إذا عاسرك فياسره والمعنى أنهم يعيشون يسكيناً ووقار وتواضع ولا يضربون بأقدامهم ولا يخفقون تبعاً لهم اشراً ويطراً ولهذا كره بعض العلماء الركوب في الأسواق قوله لا خير بيننا وبينكم ولا شر داخل في شرح مقول قالوا أي قالوا تسليماً منكم ومتاركة لكم لا خير بيننا وبينكم ولا شر فهو معنى المتاركة قوله أو سداداً عطف على تسليماً أي قالوا قولاً سديداً محكماً مستقيماً يسلمون لهم فيه من أيدائهم ومن الأثم.

(١) أي فيه بأنهم ليسوا عباداً له تعالى بهذا المعنى حيث تركوا عبادته وعبد غيره وإن كان عبداً بمعنى مخلوقون لهم وعن هذا قيل فيما مر: ﴿أنتم أضللتم عبادي هؤلاء﴾.

مصدراً هذا أصل معناه وسبجيء ما هو المراد قوله أو مثباً هبتاً الأولى تركه مصدر الخ أي هون مصدر بمعنى اللين ضد الخشونة والرفق ضد الغلظة وصف به الذات مبالغة كرجل عدل هذا على كلا الوصفين لأن الحال وصف لصاحبها.

قوله: (والمعنى أنهم يمشون بسكينة وتواضع) والمعنى أنهم الخ يعني أنه كناية عما ذكر والتواضع صفة العاشي لا المشي واعتبار المبالغة في مثله ليس بحسن وذكر على الأرض مع أن المشي لا يكون إلا في الأرض للتنبيه على عموم الأرض وعلى عموم الأوقات كقوله تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض﴾ [هود: ٦] الآية وإنما ذكر على دون في كقوله تعالى: ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً﴾ [الإسراء: ٣٧] الآية تنبيهاً على أنهم مع كونهم مستعجلين على الأرض يتواضعون ويكون مشيهم يسكونة ووقار لا بالاستكبار.

قوله: ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون﴾ [الفرقان: ٦٣] الآية لما لم يكن مشيهم متواضعاً محافظاً للحدود خالياً عن مرور السفهاء ومخاطبتهم بالهجو والإيذاء بين الله تعالى معاملتهم مع الجاهلين وإعراضهم عن مقابلة الغافلين عملاً بما ورد في الإنجيل لا تخاطبوا السفهاء فإنهم كالزنايبير وتصدير الكلام بإذا والماضي لتحقيق وقوعه وكثرة إيذائهم والتعبير بالجهل إشارة إلى علة الخطاب المذكور بأنواع الإيذاء وإن من قابله بمثل هذا الترهات فقد صار من زمرة الجاهلين العتاة ففيه زجر عظيم عن مخاطبة السفهاء لا سيما يظن أنه من الفقهاء^(١).

قوله: (تسليماً منكم ومتاركة لكم لا غير بيننا ولا شر) تسليماً نصب على المصدرية أي نسلم منكم تسليماً والجملة مقول القول والأولى نسلم عليكم إذ ما حكى عنهم في سورة القصص ﴿سلام عليكم لا نبغي الجاهلين﴾ [القصص: ٥٥] قوله ومتاركة إشارة إلى أن السلام سلام التوديع والمتاركة لا سلام التحية ومثل هذا التسليم غير ممنوع عن الكفار وفي اللباب وقال الأصم قالوا سلاماً أي سلام توديع لا تحية كقول إبراهيم عليه السلام لأبيه قال سلام عليك ونقل عن سيبويه أنه قال في كتابه قالوا سلاماً أي براءة^(٢) منكم لأنها مكية والسلام في النساء وهي مدنية ولم يؤمر المسلمون بمكة أن يسلموا على المشركين وإنما هذا على معنى براءة منكم وتسليماً لا خير بيننا وبينكم ولا شرأ واختاره المص.

قوله: (أو سداد من القول يسلمون فيه) أو سداداً من القول بفتح السين وهو عطف على تسليماً فحينئذ لا إشكال بأنهم كيف يسلمون الكفار حتى يتمحل في دفعه بالوجه المذكور وهذا ترك مقابلتهم بالوجه الذي هو غير ما حكى عنهم في سورة القصص فلا يتوجه ما قيل وهذا ليس بسديد لأن المراد هنا يقولون هذه اللفظة لا أنهم يقولون قولاً ذا سديد بدليل قوله ﴿سلام عليكم لا نبغي الجاهلين﴾ إذ لا حصر فيه فكما يقولون هذه

(١) لأن لزوم الفقهاء العتاة أصعب من خبط القتاة.

(٢) ولعل للإشارة إلى معنى البراءة عدي السلام بمن لكن الاستعمال في النظم الجليل يعلى في هذه الحكاية.

اللفظة في ترك المقابلة بالسوء يقولون أيضاً قولاً ذا سديد سواء كان هذا اللفظ بخصوصه فإنه من سداد القول أو غير هذا اللفظ وكون القرآن مفسراً بعضه بعضاً لا يتمشى هنا إذ المعنى ظاهر في الموضوعين وفي دفع الإيذاء سواء المسلكين .

قوله : (من الإيذاء والإثم لا يتنافيه آية القتال) من الإيذاء استعمال الإيذاء كغيره صحيح قياساً واستعمالاً كما ذكره الراغب في مفرداته قوله والإثم هذا من جانب الموحدين كما أن الإيذاء من جانب المشركين .

قوله : (لتنسخه) أي آية القتال ما في هذه الآية أي لا تنسخه لعدم المنافاة بينهما ولو كانت متنافية لנסخته لأنها مكية وآية القتال مدنية .

قوله : (فإن المراد هو الإغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام) فإن المراد الخ تعليل لعدم المخالفة وعدم النسخ هو الإغضاء أي إغماظ العين وترك مقابلتهم في الكلام كالتفسير لما قبله ولا يتنافي ذلك المحاربة بالسيوف فهذا الحكم باق إلى الآن وغرضه رد القول بالنسخ كما نقل عن سيبويه .

قوله تعالى : **وَالَّذِينَ يَبَسُّوْتَ رَبِّهِنَّ سَجْداً وَفِيْكُمْ**

قوله : (والذين) أعيد اسم الموصول للتنبيه على أنه وصف مغاير لما قبله يحصل به المدح على حياله وبهذا يتغاير الموصوف تنزيلاً لتغاير الأوصاف منزلة لتغاير الموصوفين وبهذه الملاحظة حسن العطف وكذا الكلام في باقي الموصولات .

قوله : (في الصلاة وتخصيص البيوتة لأن العبادة بالليل أحزم وأبعد من الرياء وتأخير

قوله : ولا يتنافيه آية القتال وهي اقتلوا المشركين حيث ثقتهم لأن المراد بهذه الآية وهي ﴿إِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان : ٦٣] الإغضاء أي الاعراض عن السفهاء وترك مقابلتهم وهو لا يتنافي مشروعية حكم القتال حتى تنسخه كما روي عن أبي العالية أنه نسخها آية القتال ولا حاجة إلى ذلك لأن الإغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في الأدب والمروءة والشرعة وأسلم للعرض والورع .

قوله : وتأخير القيام للروي الروي في النثر كالتأني في النظم وهو الحرف الأخير من الكلمة التي يراعى تطابقه في الأسجاع وفواصل الآي مثل الظاء في قوله يقرع الأسباع بزواجر عظه ويطبع الأسجاع بجواهر لفظه وقد روعي في هاتين الفريتين التطابق في الحروف الأخيرة في كل كلمة من كلماتهما وتسمى مثل هذه صناعة الترصيع .

قوله : أو مصدر أجري مجراه في جعله حالاً كجعل هوناً حالاً من واو يمشون .

قوله : وتخصيص البيوتة لأن العبادة بالليل أشق وأبعد من الرياء البيوتة خلاف الظلول وهي أن يدركك الليل نمت أو نمت وقالوا من قرأ شيئاً من القرآن في صلاة وإن قل فقد بات مساجداً وقائماً وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء والظاهر أنه وصف لهم بإحياء الليل أو أكثره يقال فلان يظل صائماً ويبست قائماً قوله لازماً ومنه الغريم لملازمته وفي الكشف غراماً

القيام للروي وهو جمع قائم أو مصدر) لأن العبادة بالليل الخ ويدخل فيها الصلاة دخولاً أولاً ولذا لم يقل لأن الصلاة فيها الخ ويحتمل أن يكون إشارة إلى أن المراد بالصلاة مطلق العبادات البذنية أحزم بالحاء المهملة والزاي المعجمة بمعنى اشتق لكون الليل زمان النوم والراحة فمن عبد في الليل عبد في النهار أيضاً بطريق الأولوية فيدل عليه النص الكريم بدلالة النص وتأخير القيام مع أنه مقدم للروي أي لرعاية الفاصلة أو لشرافة السجدة قال عليه السلام أقرب ما يكون العبد إلى ربه إذا سجد أو رغباً للمستكبرين لإبانتهم عنه ولعل التعبير بالبيتوتة^(١) إشارة إلى أنهم يعبدون في أكثر الليل كقوله تعالى: ﴿وكانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾ [الذاريات: ١٧] وذكر الرب هنا أوقع واللام لإفادة الإخلاص وفي ذكر القيام والسجود تقوية المجاز مع أنه يكفي فيه أحدهما كما في بعض المواضع.

قوله: (أجري مجراه) أي مجرى الجمع لأنه يشمل القليل والكثير وسجداً يرجح الجمعية ولذا قدمه ولعله اكتفى به.

قوله تعالى: وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّكَ عَلَيْنَا لَأَنزِلُكَ ﴿٦٥﴾

قوله: (والذين يقولون) [الفرقان: ٦٥] الآية مدح لهم بأنهم مع كونهم قائمين في أكثر الليالي يتضرعون إلى ربهم ويستعبدون من عذاب جهنم كما سيجي.

قوله: (لازماً ومنه الغريم لملازمته) لازماً غير مفارق بعد الإصابة سواء كان على التأييد أو لا لأن اللزوم لا يستلزم التأييد قوله ومنه الغريم الخ إشارة إليه وهذا استعاذة من سوء الحال المؤدي إلى العذاب وشدة السؤال.

قوله: (وهو إيذان بأنهم مع حسن مخالطتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق وجعلون من العذاب مبهلون إلى الله تعالى في صرفه عنهم لعدم اعتدادهم بأعمالهم وعدم وثوقهم على استمرار أحوالهم) بأنهم أي عباد الرحمن مع حسن مخالطتهم وقع في بعض النسخ مخالقتهم بالثقاف مفاعلة من الخلق وصيغة المفاعلة ليست للمغالية بل للمبالغة كقوله وخالق الناس بخلق حسن وأما نسخة مخالفتهم بالفاء فتحريف من الناسخ وهذا مفاد قوله

هالكا وخسراناً ملحاً لازماً ومنه الغريم لإلحاحه ولزمه وقال الراغب الغرم ما ينوب الإنسان من شدة ومصيبة وقال ابن الأعرابي الغرام الشر الدائم والعذاب.

قوله: مبهلون إلى الله في صرفه عنهم أي متضرعون إليه في صرف العذاب عن أنفسهم لعدم اعتدادهم بأعمالهم أي لا يعتمدون على أعمالهم ولا يعدونها شيئاً ولا يثقون على استمرار حالهم على الإيمان والعمل الصالح لما علموا أن العبرة إلى الخواتيم فيبهلون إلى الله في دفع العذاب عنهم كأنهم لم يعملوا عملاً صالحاً كقوله: ﴿والذين يؤتون ماتوا وقلوبهم وجلة﴾ [الفرقان: ٦٠] أي هم مع اجتهدهم خائفون متضرعون إلى الله.

(١) البيتوتة خلاف الظلول وهي أن يدركك الليل نمت أو لم تتم كذا في الكشف.

تعالى: ﴿الَّذِينَ يَمُشُونَ﴾ [الفرقان: ٦٣] الآية واجتهادهم الخ الاجتهاد منهم من التعبير بالبيوتنة كما أشرنا إليه في عبادة الحق والتعبير بالعبادة لأن الصلاة جامعة لجميع العبادات أو هي مجاز أو كناية عن جميع المبرات البدنية قوله لعدم اعتدادهم لعدم علمهم بالخواتم أو يقبولها قوله والثوق أي لعدم وثوقهم على استمرار أحوالهم لما مر من أن العاقبة ليست بمعلومة فكهم من سعيد يشقى كحكسه وهذا مفاد قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ﴾ [الفرقان: ٦٥] الآية وفي بيانه إشارة إلى وجه تقديم الأول على الثاني والثاني على الثالث إذ الواو وإن لم يقتض الترتيب لكن لا بد للترتيب الذكري فائدة وأيضاً فيه إشارة إلى الجامع بين المتعاطفين وعلى هذا فقس ما عده من الموصولات فإن الجامع بينها باعتبار صفاتهم.



قوله تعالى: إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا

قوله: (أي بشت مستقراً وفيها ضمير مبهم بفسره المميز والمخصوص بالذم ضمير محذوف به يرتبط الجملة باسم إن) أي بشت أشار به إلى أن ساء من أفعال الذم مثل بشت فإنه قد يستعمل في معنى أحرز كما سيجيء وفيها ضمير مبهم هو فاعلها قوله ضمير محذوف وهو هي.

قوله: (أو أحرزت وفيها ضمير اسم إن) أو أحرزت معنى آخر لساءت فيكون حيثل من الأفعال التامة ومفعوله محذوف أي أحرزت أهلها وسكانها.

قوله: (ومستقراً حال أو تمييز) حال وهو الظاهر أو تمييز من النسبة وفاعل مجازراً أي أحرز استقرارها أهلها وعدم تعرضه لقوله مقاماً للتنبيه على أنه للتأكيد^(١) والعطف للتغاير الاعتباري.

قوله: والمخصوص بالذم ضمير محذوف فالمعنى أنها أي أن جهنم بشت مستقراً ومقاماً هي ويجوز أن يكون ساءت بمعنى أحرزت وفيها ضمير اسم أن ومستقراً حال أو تمييز وأما على الأول فتمييز لا غير والتعليلان وهما ﴿إن عذابها كان غراماً وإنها ساءت مستقراً ومقاماً﴾ [الفرقان: ٦٥، ٦٦] يجوز أن يكونا متداخلين بأن يكون الأول تعليلاً لسؤال صرف عذاب جهنم عنهم والثاني تعليلاً لمضمون التعليل الأول وأن يكونا مترادفين بأن يكون كلاهما تعليلاً لسؤال صرف العذاب وأن يكونا من كلام الله تعالى وحكاية لقولهم قال صاحب المطلع فإن قيل كيف ذكر المفسر والمفسر مؤث قلت لما أنت المفسر بمعنى الدار أو المنزل وجب تأويل المفسر به كأنه قيل ساءت الدار داراً أو منزلة فالمفسر بمنزلة الاسماء الغير المشتقة فلذا لم يطابق المفسر قال الإمام كلاهما يمكن أن يكون ابتداء كلام الله ويمكن أن يكون حكاية لقولهم فقوله: ﴿إن عذابها كان غراماً﴾ [الفرقان: ٦٥] إشارة إلى كونها مضرة خالصة عن شوائب النفع وقوله: ﴿إنها ساءت مستقراً ومقاماً﴾ [الفرقان: ٦٦] إشارة إلى كونها دائمة والفرق بين المستقر والمقام بأن المستقر للعصاة من أهل الإيمان فإنهم يستقرون فيها ولا يقيمون والإقامة للكفار إلى هنا كلامه.

(١) والقول بأن المستقر للمعصاة والمقام للكفرة ضعيف.

قوله: (والجملة تعليل للملة الأولى) والجملة أي جملة أنها ساءت لتعليل للملة الأولى فإن في المستقر والمقام دلالة على اللزوم لكن لا مدخل لقوله ساءت في العلية وأيضاً اللزوم فيه دلالة على الاستقرار والإقامة فالأولى الاحتمال الثاني.

قوله: (أو تعليل ثان) وترك العاطف للإشارة إلى صلوح كل منهما للتعليل على حياله وتقديم الأول لأن فيه تهويلاً عظيماً بذكر العذاب ولزومه بل تأييده نظراً إلى الظاهر المتبادر.

قوله: (وكلاهما يحتملان الحكاية والابتداء من الله تعالى) أي من مقول قول العارفين وهو مقتضى السوق وعن هذا قدمه وعلى هذا التعليل للمقول وعلى الثاني التعليل للقول ولذا لم يعين المعلل فيما مر.



قوله تعالى: وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾

قوله: ﴿والذين إذا أنفقوا﴾ فيه اختصار والمعنى ﴿والذين ينفقون في سبيل الله﴾ وإذا أنفقوا لم يسرفوا ولذا جيء بإذا مع الماضي.

قوله: (لم يجاوز واحد الكرم) وفيه زجر عظيم عن الإسراف في كل شيء حتى في الخير إذ لا خير في السرف وبيان تجاوز حد الكرم البسط كل البسط قال تعالى: ﴿ولا تبسطها كل البسط﴾ [الإسراء: ٢٩] الآية.

قوله: (ولم يضيّقوا تضيق الشحيح) أي البخيل.

قوله: (وقيل الإسراف هو الإنفاق في المحارم والتقتير منع الواجب) وقبل الإسراف^(١) الخ مرضه لأن التخصيص خلاف الظاهر ويدخل هذا في التفسير الأول ومنع

قوله: ولم يضيّقوا تضيق الشحيح والقتير والافتقار والتقتير التضيق الذي هو نقض الإسراف والإسراف مجاوزة الحد في النفقة وصفهم بالاقتصاد الذي هو بين الغلول والتقصير وبمثلته أمر رسوله ﷺ بقوله عز قائلًا: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾ [الإسراء: ٢٩] وقيل الإسراف إنما هو الإنفاق في المعاصي فأما في القرب فلا إسراف وسمع رجل رجلاً يقول لا خير في الإسراف فقال لا إسراف في الخير وعن عمر بن عبد العزيز أنه شكر عبد الملك بن مروان حين زوجه ابنته وأحسن إليه فقال وصلت الرحم وفعلت وصنعت وجاء بكلام حسن فقال ابن لعبد الملك إنما هو كلام أعده لهذا المقام فسكت عبد الملك فلما كان بعد أيام دخل عليه والابن حاضر فسأله عن نفقته وأحواله فقال الحسنة بين السيئتين يعني أن حال نفقتنا الاقتصاد وهو حسنة بين الإسراف والتقتير وهما سيئتان فعرف عبد الملك أنه أراد ما في هذه الآية فقال لابنه يا بني هذا مما أعده أيضاً وقبل أولئك أصحاب محمد كانوا لا يأكلون طعاماً للتعتم واللذة ولا يلبسون ثوباً للجمال والزينة ولكن يأكلون ما يسد جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون ما يستر عورتهم ويكفهم من الحر والقر.

(١) ومعنى هذا أن القرب لا إسراف فيه وسمع رجل رجلاً يقول لا خير في الإسراف فقال لا إسراف في الخير كأنه لم يصل إليه قوله تعالى: ﴿ولا تبسطها كل البسط﴾ [الإسراء: ٢٩] الآية.

الواجب كما يكون تقثيراً كذلك تنقيص الواجب يكون تقثيراً ومنع بذل ما يكون بذله مروءة تقثير أيضاً ولذا قال تضييق الشحيح ولا ريب في كون خلاف المروءة يخلأً وشحاً.

قوله: (قرأ الكوفيون بفتح الياء وضم التاء وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ولم يفتروا بفتح الياء وكسرة التاء وقرأ نافع وابن عامر ولم يفتروا بضم الياء وكسر التاء من افتروا وقرئ بالشديد والكل واحد) وقرأ الكوفيون بفتح الياء وضم التاء كذا في النسخ المصححة ووقع في بعض النسخ بضم الياء وهو سهو من الناسخ وقد جرى المص على عادته وهي جعل قراءة الأكثر أصلاً.

قوله: (وسطاً وعدلاً سمي به لاستقامة الطرفين^(١) كما سمي سواء لاستوائهما) وسطاً وعدلاً أي معتدلاً معنى وسطاً قوله سمي أي الوسط بمعنى عدلاً معتدلاً به أي بالقوام لاستقامة الطرفين كان كلاً منهما يقاوم الآخر توضيحه أن الوسط في الأصل اسم المكان الذي يستوي إليه المساحة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي الإفراط والتفريط وهنا المراد الجواد الذي هو بين الإسراف والبخل ثم سمي ذلك الوسط بالقوام بفتح القاف وهو العدل بين الشئتين أي المعتدل لا إفراط فيه ولا تفريط وضمير كان راجع إلى الإنفاق الدال عليه أنفقوا والمعنى وكان إنفاقهم بين ذلك المذكور من الإسراف والإقتار قواماً معتدلاً.

قوله: (وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خير ثانٍ أو حال مؤكدة ويجوز أن يكون الخبر وبين ذلك لغواً) وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة الخ فالمعنى حيثئذ وكان إنفاقهم بين ذلك قواماً ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص والمراد الحاجة الشرعية والمعنيان متحدان معنى قدم الأول لأنه الأنسب لذكر الإسراف والتقثير وهو خير ثانٍ والخبر الأول بين ذلك أو حال مؤكدة يشير إلى أنه كالتأكيد للخبر الأول حين كونه خبراً ثانياً وهذا عزيز في الخير قوله وبين ذلك لغواً أي ظرف لغو متعلقاً بقواماً قدم لرعاية الفاصلة.

قوله: (وقيل إنه اسم كان لكنه مبني لإضافته إلى غير متمكن وهو ضعيف) وقيل إنه

قوله: سمي به لاستقامة الطرفين أي سمي الوسط بالقوام لاستقامة طرفيه.

قوله: أو حال مؤكدة ومعنى تأكيده أنه أفاد قوله بين ذلك معنى القوام لأن معناه وكان وسطاً فكانه قيل وكان وسطاً وسطاً.

قوله: وقيل إنه أي لفظ بين اسم كان لكن لم يرفع لفظاً بل فتح النون لاكتسابه البناء بإضافته إلى المبني وهو اسم الإشارة.

قوله: وهو ضعيف أي كون بين ذلك اسم ذلك ضعيف لأن معنى بين ذلك هو معنى القوام فيكون كان يقال وكان وسط ذلك وسطاً وهو الإخبار بالشئ عن نفسه وإنما قال رحمه الله

(١) أي تعادلهما وعدلاً بمعنى معتدلاً كان كلا منهما يقاوم الآخر فيحصل الكيفية المتوسطة.

أي بين ذلك اسم كان فلا ضمير فيه راجع إلى الإنفاق لكنه أي بين مبني لإضافته إلى غير متعكن أي مبني وهو اسم الإشارة المضاف قد يكتسب البناء مما أضيف إليه إذا كان المضاف ظرفاً أو في حكمه كما ذكر في كتب النحو.

قوله: (لأنه بمعنى القوام فيكون كالإخبار بالشئ عن نفسه) لأنه بمعنى القوام فلذا قال حال مؤكدة هذا على قراءة الفتح كما اختاره وكلامه بناء عليه وأما قراءة كسر القاف فلا لأن معناه ليس بين ذلك وكونه من قبيل شعري شعري لا يدفع الضعف لاحتياجه إلى التأويل بأنه قوامة مقبولة وقد يقال بين ذلك أهم من القوام بمعنى العدل الذي يكون نسبة كل واحد من أطرافه إليه على السوية فإن ما بين الإقتار والإسراف لا يلزم أن يكون قوامة بهذا المعنى لأنه يجوز أن يكون دون الإسراف بقليل وفوق الإقتار بقليل فيكون الإخبار عن الأعم بالأخص وهو غير صحيح على وجه العموم كما هو الظاهر هنا وعلى وجه البعضية صحيح لكن لا أداة ولا قرينة عليها سوى الفساد مع أنه يرد عليه أنه يبعد أن يكون مدحهم لمراعاة حاق الوسط مع ما فيه من الحرج الذي نفاء عن الإسلام فلا يتحقق المدح من لا يراعي ذلك مع الإتيان لغيره من أصول الطاعات وإن أمكن دفعه بأن المراد الحاق الوسط تقريباً فلا حرج فيه وبالجمله لا يخلو ذلك عن ضعف وإن صح في الجملة.

كالإخبار لتغايرهما لفظاً وقائل هذا الوجه الضعيف الفراء فإنه أجاز ذلك وقال صاحب الكشاف وهو من جهة الإعراب لا بأس به ولكن المعنى ليس بقوي ووجه عدم قوته ما ذكره القاضي رحمه الله موافقاً لما في الكشاف وأجاب عنه صاحب المطلع أن ما بين الإسراف والاقتار لا يلزم أن يكون قوامة أي عدلاً لأنه يجوز أن يكون دون الإسراف بقليل أو فوق الاقتار بقليل فما بينهما وسط بسكون السين يتناول العدل وغيره فالتقدير وكان الوسط بين ذلك قوامة وأجيب عنه بأنه يلزم من هذا الحرج المنفي في قوله: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ [الحج: ٧٨] فإن في قوامة على ما مر دلالة على مراعاة حاق الوسط بمعنى أن قوله بين ذلك كان يحتمل معنى الوسط بالسكون الذي هو اسم مبهم لداخل الدائرة فأخبر بقوله قوامة أن المراد منه الوسط بالتحريك الذي هو اسم لعين ما بين طرفي الشئ كمركز الدائرة ولا ارتياب أن مراعاة ذلك متعذراً ولا يتيسر إلا بالندرة أقول ليس المراد بالقوام ذلك الحد المتعذر رعايته بل المراد به ما يعد وسطاً في متعارف الناس وهو مقدار معلوم يمكن رعايته وهذا الحد المتعارف لكونه معلوماً مغايراً للوسط المبهم فيفيد أن يخبر به عنه فائدة يعتد بها وقال صاحب الفرائد ما أورده صاحب الكشاف على الفراء وارد عليه في قوله المنصوبان أعني بين ذلك قوامة جائز أن يكونا خبرين معاً ويمكن أن يقال في جوابه إن المراد من القوام العدل وهو بهذا المعنى يصح أن يكون خبر البين ذلك فهو لا يخلو عن فائدة والحق في الجواب ما ذكره ابن جني من أن الثاني جار مجرى الصفة المؤكدة أي توسطاً مقيماً كقوله تعالى: ﴿ومنة الثالثة الأخرى﴾ [النجم: ٢٠] والأخرى توكيد.

قوله تعالى: وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾

قوله: ﴿والذين لا يدعون مع الله﴾ [الفرقان: ٦٨] أي لا يشركون به غيره لأن من يعبد الله تعالى مع غيره فقد عبد غيره.

قوله: (أي حرماً بمعنى حرم قتلها) بقرينة لا يقتلون لأن الحل والحرمة وإن تعلقا بالذوات حقيقة عند علمائنا لكن المراد الفعل من الأفعال وهنا القتل وفي قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكَ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣] الأكل وفي مذهب الشافعي الحل والحرمة إنما يتعلق بالأفعال وتعلقهما بالأعيان مجاز.

قوله: (متعلق بالقتل المحذوف) أي في حرم الله قتلها بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق المعروف في الشرع ولذا عرف الحق فيكون الاستثناء مفرغاً في الإثبات وهو صحيح لاستقامة المعنى بإرادة الموعود فلا حاجة إلى جعل حرم بمعنى النفي.

قوله: (أو بلا يقتلون) آخره لبعده لفظاً ومعنى لأنه حينئذ لا يفهم صريحاً عدم حرمة قتلها بالحق وهو الردة معاذ الله تعالى والزنا بعد الإحصان والقتل عمداً وقد جوز فيه أن يكون صفة مصدر محذوف على أن الباء للملابسة أي قتلاً ملتبساً بالحق أو حالاً أي ملتبسين بالحق.

قوله: (نفي عنهم أمهات المعاصي بعد ما أثبت لهم أصول الطاعات إظهاراً لكمال إيمانهم وإشعاراً بأن الأجر المذكور موعود للجامع بين ذلك وتعريضاً للكفرة بأضداده

قوله: متعلق بالقتل المحذوف أي الجار في قوله بالحق متعلق بالقتل المحذوف الواقع مفعول حرم المضاعف إلى ضمير النفس كما صوره بقوله حرم قتلها أو بلا يقتلون المذكور.

قوله: نفي عنهم أمهات المعاصي وهي الإسراف في الاتفاق والإشراك بالله وقتل النفس بغير حق والزنا بعد ما أثبت لهم أصول الطاعات التي هي مشبههم على الأرض هوناً وقولهم سلاماً حين ما خاطبهم الجاهلون وبيوتتهم لربهم سجداً وقياماً وتضرعهم إلى ربهم ودعائهم بصرف عذاب الآخرة عنهم إظهاراً لكمال إيمانهم وإشعاراً بأن الأجر المذكور موعود للجامع بين ذلك أي وإشعاراً بأن الأجر المذكور بقوله: ﴿أُولَئِكَ يَجْزُونَ الْجَزَاءَ﴾ [الفرقان: ٧٥] الواقع خبراً لقوله: ﴿وعباد الرحمن﴾ [الفرقان: ٦٣] موعود لمن جمع بين تلك الصفات الثمانية المذكورة التي أربع منها ثبوتيات وأربع سلبيات.

قوله: وتعريضاً للكفرة بأضداده الضمير في بأضداده راجع إلى المشار إليه بلفظ ذلك في قوله للجامع بين ذلك أي بأضداد ما عليه عباد الرحمن من الصفات الثمانية المذكورة أي وصفهم بالصفات المذكورة تعريضاً للكفار الفاتنين اتسجداً لما تأمرنا بأنهم موصوفون بأضداد ما عليه المؤمنون والأنسب للمعنى التعريض أن يكون الذين يمشون على الأرض هوناً مع ما عطف عليه خبراً لقوله وعباد الرحمن لإفادته بطريق التخصر أن العباد الذين يحفون أن يقال لهم عباد الرحمن هم الموصوفون بهذه الخصال الحميدة لا الكفرة لأنهم على خلاف ما هم عليه من محاسن

ولذلك عقبه بالوعيد تهديداً لهم فقال ومن يفعل الخ) نفى عنهم أمهات المعاصي أي أصولها ومعظمها بعد ما ثبت الخ وهي القتل بغير حق والزنا مع تقديم الشرك عليهما لأنه أعظم من كل المعاصي لا أعظم فوقه وما عداه أعظم بالنسبة وفي كلامه إشارة إلى وجه الترتيب المذكور لأن الطاعات تشمل الكف عن المعاصي وفي قوله أمهات المعاصي وأصول الطاعات تنبيه على أنهم مواظبون على جميع الطاعات ومجتنبون عن كل المنكرات بقدر الاستطاعة وهم ممن ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ [آل عمران: ١٠٢] وإلى هذا أشار بقوله إظهاراً لكمال إيمانهم الخ والمراد بالأجر الموعود في قوله تعالى: ﴿أولئك يجزون الغرفة﴾ [الفرقان: ٧٥] الآية ويكون هذا الموعود للجامع بين ذلك وهو أعلى مواضع الجنة لا يتأني نفس الجنة موعوداً للمؤمن الغير الجامع بين ذلك ولذلك قال تعريضاً للكفرة الخ أشار إلى أن المراد بمن في قوله ومن يفعل ذلك الكفار لأن الإشراف بالله داخل في الفعل وحال عصاة الموحدين مسكوت عنها كما في أكثر المواضع والمراد بذلك الشرك بالله والقتل والزنى وإفراد اسم الإشارة باعتبار ما ذكر وصيغة البعد للتحقير.

قوله: (جزاء إثم أو إثمًا بإضمار الجزاء) جزاء إثم إذا اللقاء إنما هو للجزاء فجوز احتماليين كون الآثام بمعنى الجزاء^(١) كما ذكره بعض أهل اللغة فلا تقدير حينئذٍ أو الآثام بمعنى الإثم فيقدر مضاف أي الجزاء لما ذكرنا ويجوز المجاز في الكلمة^(٢).

قوله: (وقرىء أي شداًد يقال يوم ذو أيام أي صعب) وقرىء أي شداًد مجازاً تسمية للظرف باسم ما وقع فيه ثم صار كحقيقة عرفية لأن معنى الأيام الوقائع الحاصلة فيها.



قوله تعالى: يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخَذُ فِيَوْمَ مُهْلِكًا

قوله: (بدل من يلحق لأنه في معناه) وفيه تأمل والظاهر أنه بدل اشتمال إذا للقاء بالجزاء ليس عين مضاعفة العذاب بل هو مشتمل به إلا أن يقال إنهما متحدان ذاتاً هنا وإن تغايراً مفهوماً.

الأوصاف وإذا كان خبر المبتدأ ﴿أولئك يجزون الغرفة﴾ [الفرقان: ٧٥] يجوز أن يكون تعريضاً أيضاً بأن مقابلهم لا يجزون ذلك الجزاء لكن الأول أنسب وأعرف بحسب المعنى.

قوله: جزاء إثم أو إثمًا يريد أن الآثام إما أن يراد بها جزاء الآثام كالثواب لجزاء الطاعة مثل الويال والتكال صيغة ومعنى وإما أن يراد به مطلق الآثام فحينئذٍ يحتاج إلى تقدير مضاف وهو المراد بقوله جزاء إثم وفي الأساس كانوا يفرعون من الآثام أشد ما يفرعون من الآثام وهو وبال الآثام.

(١) فإن الآثام كالويل والتكال وزنا ومعنى كذا في الكشف.

(٢) أي ذكر الآثام وأريد جزاءه بعلاقة السببية.

قوله : (كقوله :

متى تأتينا نلسمم بنا في ديارنا نجد حطباً جزلاً وناراً تأججاً)

تلسم أي تنزل بدل من تأتينا بدل الكل والباء في بنا للتعدي وهذا محل الاستشهاد والاستشهاد به لمجرد الإبدال من الشرط وليس جواب الشرط لعدم الفائدة فيه إلا أن يأول بالجواب نجد جزلاً أي عظيماً يابساً كثيراً وتأججاً الألف للإشباع كقوله أخوك أخو الخ فكيف التاء وتذكير تأجج لتأويل النار بالمذكور إذ التأنيت يخل الوزن وأما كونه تشنية لتغليب الحطب على النار فجيء بالتذكير وكذا كون الألف مبدلة من نون التأكيد الخفيفة والفعل مضارع حذف منه إحدى التاءين فضعيف^(١) جداً لا طائل تحته قطعاً حيث ظهر صحة اعتباره كونه ماضياً مذكراً باللف الإشباع.

قوله : (وقرأ أبو بكر بالرفع على الاستئناف أو الحال وكذلك قوله «ويخلد فيه مهاناً» [الفرقان : ٦٩]) أو الحال من فاعل يلقى وهذا يؤيد ما قلنا من أن يضاعف ليس عين معنى يلقى بل الاستئناف أيضاً والمراد استئناف نحوي ويحتمل أن يكون استئنافاً معانياً .
قوله : (وابن كثير ويعقوب يضعف بالجزم وابن عامر بالرفع فيهما مع التشديد وحذف

قوله : كقوله :

متى تأتينا نلسمم بنا في ديارنا

البيت تلسم أي تنزل من الم بالمكان إذا نزل فيه والجزل الكثير والتأجج بالجيمن المجمعين مهموز من الأجيح والأجيح والتأجج التلهب يقال أجت النار تزج أجيحاً واجبتها الهبتا فتأججت أي تلهبت والأولى في تأججاً أن يكون تشنية مستنداً إلى ضمير الحطب والنار وتذكيره لتغليب الحطب على النار وقيل تأججن بالتون الخفيفة والأصل تأججن حذف إحدى التاءين كقوله تعالى : «لنسفعا» وكقول الشاعر :

ولا تمعيد الشيطان والله فاعبدا

أي الله فاعبدن والاستشهاد في تلسم وهو بدل من تأتينا منجزم مثله .

قوله : وقرأ أبو بكر بالرفع على الاستئناف أو الحال أما الأول فليبان كيفية لقائه جزاء الأثم فكان قائلاً قال كيف يكون المجازاة لفاعل تلك الأثم فأجيب بأنه يضاعف له العذاب وأما الثاني فليبان حال من يلقى الأثم حين المجازاة وذو الحال الضمير في يلقى أي يلقى الأثم مضاعفاً له العذاب وكذا قوله سبحانه : «ويخلد فيه مهاناً» [الفرقان : ٦٩] في احتمال الاستئناف والحال لأنه معطوف عليه .

قوله : وابن كثير ويعقوب عطف على أبو بكر في قوله وقرأ أبو بكر أي قرأ ابن كثير ويعقوب يضعف على صيغة المجعول بالجزم والتشديد وقرأ ابن عامر بالرفع فيهما أي في يضعف ويخلد مع التشديد فيهما وحذف الألف في يضعف وقرئ يخلد مخففاً على بناء

(١) ويستغني عن التمثل بأنه يجوز الحاق النون بالمضارع الخالي عن الطلب للضرورة كما نقل عن سيبويه .

الألف في يضعف) مع التشديد للمبالغة والتكثير متعلق بالقراءتين وفي يضعف متعلق بالتشديد وحذف الألف .

قوله : (وقرأ أبو عمرو ويخلد على البناء للمفعول مخففاً وقرىء مثقلاً وتضعف له العذاب) وقرأ أي يخلد مثقلاً مجهولاً وتضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب كذا في الكشف .

قوله : (ومضاعفة العذاب لانضمام المعصية إلى الكفر) أي ليس تلك المضاعفة بالزيادة على ما يستحقه بل هي بانضمام المعصية إلى الكفر فالمضاعفة بالنسبة إلى الكفر وحده أو المعصية سوى الكفر وحدها فلا إشكال بأن ظاهره لا يلائم قوله تعالى : ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ [الشورى : ٤٠] فإن الجزء هنا مثل سيئة لكن لما كانت السيئة مضاعفة كانت العقوبة أيضاً مضاعفة وهذا بناء على أن الكفار مخاطبون بالفروع ولك أن تقول إن مضاعفة العذاب بسبب ترك اعتقاد الفروع أعني ترك اعتقاد فرضية الصلاة مثلاً وهكذا فلا يدل على أنهم مخاطبون بالفروع .

قوله تعالى : **إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا** ﴿٧٠﴾

قوله : (ويدل عليه قوله : ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً﴾ [الفرقان : ٧٠] الآية) ويدل عليه قوله الخ وجه الدلالة انضمام العمل الصالح إلى الإيمان واستثناء المؤمن يدل على اعتبار الكفر في المستثنى منه واستثناء العمل الصالح يدل على اعتبار تركه في المستثنى منه وما قيل إن المستثنى هو الجامع بين التوبة والإيمان والعمل الصالح فلا يلزم اعتبار الكفر والمعصية في المستثنى منه فتأمل والمستثنى منه من يفعل ذلك والفعل كناية عن مجموع الشرك والقتل والزنا وترتب الجزاء عليه يدل على أن للمعصية مدخلاً في تلك المضاعفة وإلا لخلا ذكر المعصية عن الفائدة ومراد المص بقوله ويدل عليه الخ مزيد تقوية ذلك ولذلك قال فيما مر وتعرضاً بأضداده ولعل لهذا قال فتأمل وبالجمله كون المستثنى منه جامعاً بين أضداد ما ذكر في المستثنى أظهر من أن يخفى بالفكر الأوفى .

قوله : (بأن يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لو أحقق طاعتهم) بأن يمحو

المفعول من الاخلاص ومثلاً من التخليد وقرىء تضعف بالنون على بناء الفاعل ونصب العذاب .
قوله : ومضاعفة العذاب لانضمام المعصية إلى الكفر فيضاعف الم العذاب لمضاعفة الاثم ويتكثر العقوبة لتكثر المعاقب عليه .

قوله : بأن يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لو احقق طاعتهم أو يبدل ملكة المعصية في النفس بملكة الطاعة أول رحمه الله معنى التبديل بتأويلين التأويل الأول مبني على أن يكون المراد بالحسنة الواقعة بدل السيئة نفس التوبة والإيمان والعمل الصالح والتأويل الثاني على أن يكون المراد بها ما يحصل بعد تلك الأمور الثلاثة فإن ملكة الطاعة في النفس لا تحصل في بدء

سوابق الخ فالتبديل بإقامة شيء مقامه ومعنى التبديل والاستبدال أخذ الأول بدل الثاني بعد أن كان حاصلًا أو في شرف الحصول وإطلاقه على إقامة شيء مقام شيء آخر غير ظاهر.

قوله: (أو يبذل ملكة المعصية في النفس بملكة الطاعة) أو يبذل ملكة المعصية الخ والمتعارف في الاستعمال إدخال الباء على المتروك دون الحاصل قال تعالى: ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾ (سبأ: ١٦) وأشار إلى أن التبديل يتعدى إلى المفعول الواحد بنفسه وإلى الثاني بالباء لكن على وجه ما ذكرنا ففي النظم حذف وإيصال والبعض ذهب إلى أن التبديل يتعدى إلى المفعولين استدلالاً بهذه الآية ونحوها ويرده قوله تعالى: ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾ (سبأ: ١٦) وعلى هذا يكون المراد بالسيئات ملكتها وبالحسنات ملكتها مجازاً لكون الملكة وهي كيفية راسخة سبباً لها ومعنى التبديل فيها أظهر من الأول.

قوله: (وقيل بأن يوفقه لأضداد ما سلف منه) مرضه لأن هذا عين التوبة والإيمان والعمل إذ المراد بما سلف الكفر وسائر المعاصي وما قيل في وجه التمريض لأن مآله إلى أحد الوجهين السابقين فيعيد.

قوله: (أو بأن يثبت له بدل كل عقاب ثواباً) فيكون المراد بالسيئات والحسنات عقابها وثوابها مجازاً فذكر السبب وأريد المسبب عكس ما ذكر في الملكة روي أنه عليه السلام قال ليأتين ناس يوم القيامة ودوا أنهم استكثروا السيئات قيل من هم يا رسول الله قال عليه السلام هم الذين بدل الله سيئاتهم حسنات كذا في الحاشية السعدية آخر هذا المعنى مع أنه مؤيد بهذا الخبر الشريف لأن فيه نوع بعد والخير خير واحد فلا يقاوم ما دل عليه النصوص من أن التائب مغفور وأما عقابه يبذل ثواباً فلا نص عليه صريحاً وهذا البيان مقتضى تأخيرهِ ويرجى ذلك من سعة فضله.

قوله: (وكان الله غفوراً رحيماً فلذلك يعفو عن السيئات ويثيب على الحسنات)

حدوثها بل بعد الثمرن عليها والباء في بأن يمحو وبأن يوفق وبأن يثبت متعلقه ببديل في قوله عز من قائل: ﴿يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ (الفرقان: ٧٠).

قوله: بأن يثبت له بدل كل عقاب ثواباً يدل عليه حديث أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ آخر رجل يخرج من النار يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال له أعرضوا عليه صغار ذنوبه ويخياً عليه كبارها فيقال له عملت يوم كذا وكذا وهو مقر لا ينكر وهو مشفق من كبارها فيقال أعطوه مكان كل سيئة حسنة فيقول إن لي ذنباً ما أراها هنا قال أبو ذر فلقد رأيت النبي ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه رواه الترمذي وقيل رواه مسلم عن أبي ذر مع تغيير فيه فهذه المعاملة مع من هو آخر الناس خروجاً من النار فكيف بالمؤمن التائب الآتي بالأعمال الصالحة وروى الإمام عن سعيد بن مكيول يمحى السيئة ويثبت له بدلها الحسنة لما ورد ليعين أقوام أنهم أكثروا من السيئات قيل من هم قال الذين يبذل الله سيئاتهم حسنات ولا يبعد ذلك من حيث الدليل فإن التائب التادم كلما تحسر على ذنب صدر عنه استغفر الله لأجله أو خضع واستكان نال من الزلغى إلى الله من الدرجات ما لا يناله بالطاعة.

قوله: فلذلك يعفو عن السيئات ويثيب على الحسنات وهو نشر على ترتيب اللف فلأن قوله:

الغفور ناظر إلى محو السيئات والرحيم ناظر إلى التبديل المذكور بأي معنى كان وعن هذا قال فلذلك يعفو عن السيئات الخ فهذا أحسن مراعاة للتفسير.

قوله تعالى: وَمَنْ تَابَ وَصَلَّاهُ فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾

قوله: (عن المعاصي بتركها والندم عليها) عن المعاصي ويدخل فيها الشرك والكفر قوله بتركها الخ إشارة إلى ركن التوبة وهو الندامة وهي ركن أعظم ولها ركن آخر وهو العزم على أن لا يعود واكتفى بالركن الأعظم وأما مطلق الترك فليس بتوبة ويدخل في الندامة إعادة الفرائض ورد المظالم واستحلال الخصوم.

قوله: (يتلافى به ما فرط أو خرج عن المعاصي ودخل في الطاعة مرضياً عند الله تعالى ماحياً للعقاب محصلاً للثواب) يتلافى بالفاء بمعنى يتدارك ولعل هذا إشارة إلى ما قاله في سورة التحريم من قوله ومن التوبة أن تربي نفسك في طاعة الله تعالى كما يربيتها في المعصية أو إلى إعادة الفرائض كما ذكرنا قوله أو خرج عن المعاصي هذا ناظر إلى التوبة ودخل في الطاعة وإن لم يكن تدارك ما فرط وهو الفرق بينهما وأما القول بأن المراد خرج عن المعاصي أي جنس المعاصي وإن لم يفعلها وهو الفرق بينهما فبعد إذ إطلاق التوبة على الخروج بدون فعل ليس بمعروف في الشرع.

قوله: (يرجع إلى الله تعالى بذلك) أي بذلك المذكور من التوبة فهذا رجوع مخصوص وهذا الرجوع إلى رضا الله تعالى بشرائره كقوله تعالى: ﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رِبَكُمْ ثُمَّ تَبَوُّوا إِلَيْهِ﴾ [هود: ٣] الآية وأما الرجوع إلى الله تعالى بالموت والبعث فعام فلا محاسن له هنا على أن قوله متاباً معناه مرضياً وهذا ليس بعام قوله مرضياً أي متاباً مرضياً بناء على أن التوطين للتعظيم والمراد بالشواب الشواب الحاصل من لواحق الطاعات أو الشواب المبدل من العقاب.

﴿يعفو عن السيئات﴾ [الشورى: ٢٥] ناظر إلى كونه غفوراً وقوله: يثيب على الحسنات إلى كونه رحيماً لأن الرحمة بمعنى الانعام المناسب للثابة على الحسنات.

قوله: يتلافى به التلافي بالفاء التدارك يقال تلافيته أي تداركته هذا التأويل مبني على أن يكون المراد بالمعاصي ما عمله التائب وبالعمل الصالح عملاً يصلح أن يتدارك به ما فرط منه وقوله أو خرج عن المعاصي ودخل في الطاعة مبني على أن يكون المراد بالمعاصي والطاعة الجنس فالمعنى على الأول من تاب عن المعاصي التي فعلها بأن تركها وندم عليها وتدارك ما فرط منه بأن يعمل عملاً صالحاً بدله ﴿فإنه يتوب﴾ [الفرقان: ٧١] الآية وعلى الثاني ومن تاب عن جنس المعاصي ودخل في جنس الطاعة ﴿فإنه يتوب﴾ [الفرقان: ٧١] الآية.

قوله: مرضياً عند الله ماحياً للعقاب محصلاً للثواب وذلك أن الشرط والجزاء إذا اتحدا معنى حمل الجزاء على نهاية ما يحتمله من المعنى ونحوه قولهم من ادرك الضمان فقد ادرك قولهم من نجا من ورطة الهلاك فقد نجا وإلى اتحاد الشرط والجزاء أشار رحمه الله بقوله بذلك حيث قال يرجع إلى الله بذلك أي يرجع بذلك التوبة إلى الله متاباً حسناً.

قوله: (أو يتوب متاباً إلى الله الذي يحب التائبين ويصطنع بهم) الذي يحب التائبين يقرينة قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] قوله ويصطنع أي يحسن ويفرق بهم بيان معنى محبة الله تعالى وتعدية يصطنع بالياء لتضمنه معنى اللطف لأن الله لطيف بعباده.

قوله: (أو فإنه يرجع إلى الله وإلى ثوابه مرجعاً حسناً) وهذا هو الرجوع بالموت أو بالبعث فإنه وإن كان عاماً لكن الرجوع بالمرجع الحسن خاص بهم.

قوله: (وهذا تعميم بعد تخصيص) أي بحسب الظاهر وإلا فقد عرفت أن في كلامه تنبيهاً^(١) على عموم الأول أيضاً والفرق بينهما أن ههنا اعتبر رجوعه إلى الله تعالى دون الأول وهناك اعتبر التبدل المذكور دون هنا وفيه صنعة الاحتباك ولو أبقي ما سبق على

قوله: أو يتوب إلى الله الذي يحب التوابين ويصطنع بهم يعني أعيد المعنى ليناط به صريح اسمه الجامع ليؤد به أن من يكون توبته إلى من اسمه الله فتوبته أعظم فإن اسمه الأعظم الجامع لسائر صفاته الحسنى واسمائه العظمى وله في كل مقام نجل بحسب اقتضاء ذلك المقام والقابل له وهذا المقام مقام التوبة والتجلي بوصف التوابية وأشار إليه رحمه الله بقوله الذي يحب التوابين ويصطنع بهم وقال صاحب الكشف في هذا الوجه أو فإنه نائب متاباً إلى الله الذي يعرف حق التائبين ويفعل بهم ما يستوجبون والذي يحب التوابين ويحب المتطهرين وفي كلام بعض العرب لله الفرح بتوبة العبد من المفضل الجدد والظلمة الوارد والعقيم الوالد ثم كلامه روى البخاري ومسلم والترمذي عن الحارث بن سويد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل بأرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله قال أوجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فإذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فإله سبحانه وتعالى أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته واللام في الله للابتداء والدوية الفلاة والمغافة والراحلة البعير الذي يركبه الإنسان ويحمل عليه متاعه والفرح من الله غاية الرضى.

قوله: أو فإنه يرجع إلى الله وإلى ثوابه مرجعاً حسناً وعلى هذا يكون معنى يتوب يرجع مطلقاً غير مفيد بالرجوع عن الذنب بخلاف الوجهين الأولين فإن معنى التوبة فيهما الرجوع من الذنب وأشار رحمه الله إليه بقوله وهذا تعميم بعد تخصيص فإن قلت ما الفرق بين الوجهين الأولين حتى جعل الموصوف في الأول متاباً وفي الثاني الله تعالى مع أن الشرط والجزاء متحدان فيهما قلنا إن القصد الأول في التكرير على الأول إلى جعل الجزاء عين الشرط من غير نظر إلى ذكر الله لأن المراد حينئذ إطلاق الجزاء لا تقييده بالمرجع إلى ليه ليفيد معنى المبالغة في المصدر كما ذكر في قولهم من أدرك الضمان فقد أدرك فوصف مصدر الفعل وهو متاباً وعلى الثاني إلى مجردة انطاة اسم الله عز وجل من غير نظر إلى المتوعد به فوصف ما لأجله التكرير وهو الله تعالى لأنه المقصود.

(١) حيث عبر بأسماء المعاصي عنها فمن احترز عن أمهاتها احترز عن فروعها.

ظاهره يكون هذا تعميماً بعد التخصيص والنكته في التخصيص التنبيه على كمال شناعتها لأن الزنا أشنع أحوال الإنسان والشرك والقتل غني عن البيان.

قوله تعالى: **وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا** ﴿٧٢﴾

قوله: (أي لا يقيمون الشهادة الباطلة) أي يؤدون الشهادة والإقامة هنا غير مستحسن أو أكثر استعماله بل عمومته في الأمور الممدوحة وإنما فرسها بها ليحصل المقابلة للوجه الآتي.

قوله: (أو لا يحضرون محاضر الكذب فإن مشاهدة الباطل شركة فيه) أو لا يحضرون الخ وهذا مجاز والعلاقة ما أشار إليه بقوله فإن مشاهدة الباطل الخ أولاً يشهدون من الشهود بمعنى الحضور فحينئذ يكون قوله فإن مشاهدة الباطل أي بالاختيار بيان فساد ذلك الحضور والزور إما منصوب على المصدرية أو بنزع الخافض إن كان من الشهادة أي شهادة الزور أو بالزور وإن كان من الشهود فهو مفعول به بتقدير مضاف^(١) كما أشار إليه بقوله محاضر الكذب سواء كان ذلك شهادة الزور أو لا ولذا قال الكذب فالثاني أعم والأول أهم.

قوله: لا يقيمون الشهادة الباطلة أو لا يحضرون محاضر الكذب الوجه الأول تفسير للشهادة على المعنى المصطلح عند الفقهاء والثاني تفسير لها على المعنى اللغوي.

قوله: فإن مشاهدة الباطل شركة فيه ولذلك قيل في النظارة إلى كل ما لم تسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه في الائتم لأن حضورهم ونظرهم دليل الرضى وسبب وجوده وسبب الزيادة فيه لأن الذي سلب على فعله وحمل الفاعل عليه هو استحسان الناظرين ورغبتهم في النظر إليه وفي مواعظ عيسى ابن مريم صلوات الله عليه إياكم ومجالسة الخطائين ويدخل فيما لم يسوغه الشريعة ابنية الظلمة واثنين وحضور مجالسهم قال أبو حامد في الإحياء إن السلاطين في زماننا هذا ظلمة قل ما يأخذون شيئاً على وجهه بحق فلا تحل معاملتهم ولا معاملة من يتعلق بهم حتى القاضي ولا التجارة في الأسواق التي بنوها بغير حق والورع اجتناب الربط والمدارس والفنابير التي بنوها بالأموال المغصوبة التي لا يعلم مالكمها قال أكثر المفسرين المراد بقوله لا يشهدون الزور الشرك يعني لا يشركون بالله تعالى شيئاً وقال علي بن أبي طلحة يعني شهادة الزور وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجلد شاهد الزور أربعين جلدة ويسخم وجهه ويطوف به في الأسواق وقال ابن جريج المراد به الكذب وقال مجاهد يعني أعياد المشركين وقال قتادة لا يساعدون أهل الباطل على باطلهم وقال محمد ابن الحنفية لا يشهدون للهو والغناء قال ابن مسعود الغناء ينبت الضغاق في القلب كما ينبت الماء الزرع وأصل الزور تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته فهو تمويه الباطل بما يوهم أنه حق.

(١) وكان الأصل لا يشهدون شهادة الزور بإضافة الخاص إلى العام فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه كذا قيل والزور يصلح أن يكون مفعولاً مطلقاً ولا يضر عمومته.

قوله: (ما يجب أن يلغى ويطرح) بالغين المعجمة تفسير للغو قوله ويطرح عطف لقوله يلغى على طريق التفسير واحتمال كونه بالقاف ضعيف.

قوله: (معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه) معرضين عنه هذا ثابت بالافتضاء ولذا قدمه مكرمين أنفسهم يعني أن كراماً جمع كريم بمعنى مكرم وقد أنكر الشيبان كوناً فعلياً بمعنى مفعلاً في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠] لكن قد اعترفاه في قوله تعالى: ﴿بَدِيعَ السَّمَوَاتِ﴾ [البقرة: ١١٧] الآية كما هنا قوله أنفسهم إشارة إلى المفعول المحذوف خصصه لأنه لا إكرام لغيره بالصفح ونحوه لأن ما يجب طرحه يجب منعه والصفح ليس بممدوح ولعل مدح ذلك عند عدم القدرة على دفعه.

قوله: (ومن ذلك الإغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكتابة عما يستهجن التصريح به) ومن ذلك أي ومن المرور المذكور الإغضاء أي الإغماض عن الفواحش أي عن إفشائه والصفح أي الإعراض عن الذنوب أي إذا لم يستطع دفعها ودخول الكتابة فيه مع أنه لا مرور فيه بطريق دلالة النص ولذلك فصل بقوله ومن ذلك الخ وفي قوله والخوض فيه تنبيه على أن المراد باللغو وغير اللغو الذي خاطبهم الجاهلون ولم يجرى والذين إذا مروا باللغو لأنه من قبيل عدم شهود الزور وفي أسلوبه فلم يفصل عنه كما لم

قوله: معرضين عنه أي مروا معرضين عن اللغو مكرمين أنفسهم عن التوقف عليه والخوض معهم فيه كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥].

قوله: ومن ذلك الإغضاء عن الفواحش أي ومن المرور عن اللغو كراماً غض البصر وعدم الالتفات إلى الفواحش والإغضاء في الأصل ادناء الحفون والكتابة عما يستهجن التصريح به أي ومن ذلك المرور عن اللغو كراماً أن يكنى عما يستقيح التصريح بذكره كما إذا ذكروا التكاح كانوا عنه روى محيي السنة عن الحسن والكليبي اللغو المعاصي كلها يعني إذا مروا بمجالس اللغو والباطل مروا كراماً مسرعين معرضين يقال تكرم فلان عما يشينه إذا تنزه وأكرم نفسه عنها أي لم يشتهم المعاصي ثم هذه الخاتمة أعني قوله عز قاتلاً: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً﴾ [الفرقان: ٧٢] إذا فسرته قوله: ﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢] بأنهم لا يحضرون محاضر الكذب كانت كالنتيم له لأنه يفيد المبالغة في الإعراض عن الكذب وإذا فسرت بأنه لا يقيمون الشهادة الباطلة كانت كالنتيم له فإنه لو اقتصر على وصفهم بأنهم لا يقيمون الشهادة الباطلة لثوهم أنهم إذا مروا على اللغو فعسى ينظرون ويلفتون إليه فأتى به على طريق التكميل لدفع هذا الوهم وإنما قلنا كالنتيم لإمكان أن لا يتوهم ذلك فلا يحتاج إلى التذييل على وجه التكميل بل يكون هذا الكلام وارداً على وجه التتميم ويجوز أن يكون تسيماً على قول الحسن لأن من وقف مواقف السفهاء سفية ويكون قدحاً في عدائته فجاءه بقوله: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً﴾ [الفرقان: ٧٢] وصفاً لهم بالعدالة التي هي شرط قبول الشهادة فيكون هذا التتميم كالعلة لمضمون الجملة السابقة وبيان العلة ههنا هي نكتة التذييل بالتتميم.

يفصل قوله ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾ عن قوله الذين يمشون لتعلقه به بالوعظ أو القراءة.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾

قوله: (لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا مبصرين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر) لم يقيموا عليها أي على سماعها قوله غير واعين الخ أشار به إلى أن صمًّا وعمياناً تشبيه بليغ ولذا قال كمن لا يسمع الخ وقد جوز في مثله الاستعارة كما مر بيانه في تفسير قوله تعالى: ﴿صم بكم عمي﴾ [البقرة: ١٨] الآية وفيه إشارة إلى أن فيه تعريضاً بالمتناقضين.

قوله: (بل اكبوا عليها سامعين بآذان واعية مبصرين بعيون راعية فالمراد من النفي نفي الحال دون الفعل كقولك لا يلقاني زيد مسلماً) بل اكبوا عليها الخ فيه تنبيه على أن النفي متوجه إلى القيد دون المقيد ثم صرح به بقوله فالمراد من النفي الخ فالإقامة المتفهمة على مقابل ما نفى وهو الإقامة سامعين بآذان واعية أي حافظة أي من شأنها أن تحفظ ما يجب حفظها والوعي أن تحفظ الشيء في نفسك والمراد بالحفظ العمل بموجبها وإشاعتها والتفكر فيها وللتنبية على ذلك لم يكتف بسامعين وقيده بالآذان الواعية وكذا الكلام في قوله مبصرين بعيون الخ وراعية مديمة للنظر والإستاد فيهما مجاز والتذكير للتقليل فالمراد من النفي نفي الحال أي نفي القيد وهو هنا حال نيه به على أن صمًّا حال دون الفعل لأن إثباته مقصود كما عرفته.

قوله: (وقيل الهاء للمعاصي المدلول عليها باللغو) فيتوجه النفي إلى الفعل مرضه

قوله: فالمراد نفي الحال لا نفي الفعل أي المراد بالنفي في لم يخرؤا صمًّا وعمياناً نفي الحال التي هي الصمم والعمى فإن صمًّا وعمياناً حالان من واء لم يخرؤا مقيدتان للخرور فإذا وجد في الكلام قيد فالغالب أنه ينسحب معنى النفي إلى ذلك القيد كما قال صاحب الكشف لم يخرؤا عليها ليس بنفي للخرور إنما هو إثبات له ونفي للصمم والعمى كما يقول لا يلقاني زيد مسلماً فإن معناه ليس نفي لقاء زيد لأن لقاءه ثابت وإنما المراد نفي إسلامه والمعنى أنهم إذا ذكروا بها اكبوا عليها حرصاً على استماعها واقبلوا على المذكر بها وهم في أكبابهم عليها سامعون بآذان واعية مبصرون بعيون راعية لا كالأذين يذكرون بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على من يذكر بها مظهرين الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم العميان حيث لا يعونها ولا يتبصرون ما فيها كالمتناقضين وأمثالهم والنكتة فيها التعريض بمن هو ليس على صفتهم وما أحسن اقتران هذا الوصف مع قوله: ﴿وَإِذَا مَرُوا بِاللُّغُو مَرُوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢] فكان المعنى لا يختلط جدهم بهزل وحقهم بإبطال فإذا اعتراهم الهزل تنزهوا عنه كل التنزه وإذا اشتغلوا بالحق لا يحوم الباطل حوله أو المعنى إذا مروا بالهزل مروا مكرومين متغافلين كأنهم ما سمعوه ولا نظروا إليه وإذا حاولوا الحد اقبلوا إليه بشرائهم واجتنبوا عن أن يكونوا كالغافلين عه اللهم اجعلنا منهم واحشرونا في زميرهم برحمتك الواسعة.

قوله: وقيل الهاء للمعاصي المدلول عليها باللغو أي الضمير في عليها راجع إلى المعاصي

ليعده لفظاً والمتعارف توجه النفي إلى القيد وإلا لكفى أن يقال لم يخروا عليها مع أن ذكرها في حيز جواب إذا بعيد.

قوله تعالى: وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا

الْمُنْفِقِينَ إِمَامًا

قوله: (بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل) وطلب التوفيق لأنفسهم ثابت باقتضاء النص مع أن قولهم واجعلنا للمتقين صريح في الدعاء لأنفسهم بأنواع الكرامات وإلى هذا أشار بقوله فإن المؤمن الخ وحيازة الفضائل إحرازها وتحصيلها والفضيلة مزية لا يلزم تعديها فيندرج فيه تحصيل العلوم الدينية والخصال المرضية.

قوله: (فإن المؤمن إذا شاركه أهله في طاعة الله سر بهم قلبه وقر بهم عينه) فإن المؤمن تعليل لكون المراد التوفيق لا أمر دنيوي والمراد بأهله زوجته وذريته في طاعة نعم الفضائل الدينية ونبه به على أن عطف حيازة الفضائل عطف الخاص على العام سر بهم أي سر بطاعتهم قلبه الذي هو أمير البدن وإنما قدمه لأن قرّة العين مسببة عن سروره وإنما ذكر قرّة العين دون سرور القلب لأنها مشاهدة محسوسة فيدل على سرور القلب اقتضاء لأنه لازم مقدم ما لم يسر القلب لم تقر العين.

قوله: (لما يرى من مساعدتهم له في الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة) لما يرى فيحصل السرور في قلبه وظهر أثره في العين وتوقع لحوقهم الأولى وتوقع جمعهم معه في الجنة إذ اللحق مستعمل في الأكثر فيمن دون العمل لا المشارك له فيه فإنه ليس بأولى من عكسه.

قوله: (ومن ابتدائية) متعلقة بهب بملاحظة مفعوله وإنما قدم على المفعول به الصريح لأنهم أهم حيث كانوا سبباً للهية المذكورة وهذا بناء على أن من الابتدائية لا يلزم أن يكون له انتهاء وإلا فلا انتهاء له ظاهراً وقدم الأزواج لأن مشاركتها في الطاعة أعون ممن عداها.

لا إلى الآيات فحيث يتكرر النفي راجعاً إلى أصل الفعل مع القيد جميعاً والمعنى لا خور لهم على المعاصي ولا صمم ولا عصى عند تذكيرهم بالآيات.

قوله: فإن المؤمن إذا شاركه أهله في طاعة الله سر بهم قلبه وعن محمد بن كعب ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله وعن ابن عباس هو الولد إذا رآه يكتب الفقه وقيل سألوا أن يلحق الله بهم أزواجهم وذريتهم في الجنة لينم لهم سرورهم.

قوله: ومن ابتدائية أو بيانية فالمعنى على كونها ابتدائية هب لنا من جهتهم ما يقر به عيوننا من طاعة وصلاح وكونها بيانية يكون المعنى من باب التجريد كأنه قيل هب لنا قرّة أعين ثم بيئت القرّة وفسرت بقوله من أزواجنا وذريتنا ومعناه أن يجعلهم الله قرّة أعين وهو من قولهم رأيت منك أسداً أي أنت أسد كذا في الكشف وفيه إشعار بأن من البيانية في كل موضع تجريدية لقوله وهو من قولهم رأيت منك أسداً.

قوله : (أو بيانية كقولك رأيت منك أسداً) أو بيانية متعلقة^(١) بمقدر وجواز تقدم المبين على المبين جائز عند المص كقولك رأيت أسداً منك أي^(٢) من تجريدية إن من في المثال يحتملها أيضاً فعلى البيانية رأيت أسداً هو أنت وعلى الابتدائية رأيت من جهتك أسداً والمتعارف في من التجريدية من الابتدائية وجوز أرباب الحواشي من البيانية فيه .

قوله : (وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر وذريتنا وتنكير الأعين لإرادة تنكير القرية تعظيماً وتقليلاً لأن المراد أعين المتقين وهي قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم) وذريتنا بالإفراد والذرية تطلق على الواحد والمتعدد فمآل القراءتين واحد وتنكير الأعين يعني أعين القائلين معينة لإرادة تنكير القرية للتعظيم ولا سبيل إلى تنكير المضاف إلا بتنكير المضاف إليه فلا جرم أن الأعين نكرت قوله وهي قليلة بالإضافة الخ قال أبو حيان هذا ليس بجيد لأن الأعين يطلق على العشرة فما دونها وعيون المتقين كثيرة جداً قلت المراد أنه استعمل في معنى القلة مجرداً عن تعيين العدد والقرينة للتجريد العلم بكثرة القائلين وعيونهم فلا إشكال كذا قاله الفاضل المحشي والحاصل أن جمع القلة مستعارة لجمع الكثرة للقرينة المذكورة والتعبير بلفظ جمع القلة للإشارة إلى قلتها بالإضافة وإن كانت كثيرة جداً في أنفسها .

قوله : (يقننون بنا في أمر الدين بإفاضة العلم والتوفيق للعمل) أشار به إلى كون استحقاقه الإمامة لأجل تفوقه بالعلم والعمل ففي الحقيقة التضرع إلى الله تعالى والدعاء بإفاضة العلم الشرعي وزيادة العمل حتى يكون مستحقاً للإمامة بالمتقين ومثل هذا يعد من

قوله : وتنكير الأعين لإرادة تنكير القرية لأن المضاف لا سبيل إلى تنكيره إلا بتنكير المضاف إليه كأنه قيل هب لنا منهم سروراً وقرحاً أي سروراً لا يكتفه كنهه قوله تعظيماً علة لتنكير المضاف الذي هو القرية وقوله وتقليلاً مبتدأ خبره لأن المراد إلى آخره أي مجيء أعين على صيغة جمع القلة لأن المراد أعين المتقين وهي قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم أي المتقون وإن كانوا كثيرين في أنفسهم لكنهم قليلون بالنسبة إلى غيرهم وعيونهم كذلك قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم قال صاحب الانتصاف والظاهر أن المحكي كلام كل واحد من المتقين أي يقول كل واحد منهم اجعل لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعين وقال هذا التأويل أحسن لأن المتقين وإن كانوا قليلين بالنسبة إلى غيرهم فهم كثيرون في أنفسهم وقتلتهم بالنسبة إلى غيرهم والمعتبر في جمع القلة أن يكون الشيء قليلاً في نفسه لا بالنسبة إلى غيره .

قوله : بإفاضة العلم متعلق باجعلنا أي اجعلنا إماماً لهم بإفاضتك علينا علماً وتوفيقك لنا إلى العمل فإن استحقاق الإمامة لا يحصل إلا بتكميل القوتين النظرية والعملية وذلك لا يكون إلا بإفاضة العلم والتوفيق للعمل .

(١) كأنه قيل هب لنا قرّة أعين ثم بينت القرية وفسرت قوله من أزواجنا وذرياتنا ومعناه أن يجعلهم الله لهم قرّة أعين وهو من قولهم رأيت منك أسداً كذا في الكشف .

(٢) أي مترع منهم قرّة أعين مثلهم ولذلك لم يجيء هب لنا أزواجنا بدون لفظة من .

الإيجاز اليديع البارع وذكر المتقين دون المؤمنين لإظهار فرط علو الهمة حيث سألوا الله تعالى مرتبة فوق مراتب المتقين ومنازل العلماء الربانيين.

قوله: (وتوحيده لدلالته على الجنس وعدم اللبس كقوله تعالى: ﴿ثم نخرجكم طفلاً﴾ [الحج: ٥]) وتوحيده أي توحيد الإمام مع أنه مفعول ثانٍ للجعل والمطابقة بينه وبين المفعول الأول واجبة فيبين وجهه بوجوه خمسة لدلالته على الجنس الشامل للقليل والكثير وعدم اللبس أي الالتباس لكون المراد واحداً للقرينة القائمة على إرادة الجمع.

قوله: (أو لأنه مصدر في أصله) وهو موضوع للماهية بالاتفاق وأما سائر اسم الجنس فهو موضوع للماهية عند بعض وللفرد المنتشر عند بعض آخر وعن هذا قابله بكونه للجنس وإن كان مآلهما واحداً.

قوله: (أو لأن المراد واجعل كل واحد منا) هذا مع قطع النظر عن كونه اسم جنس يجوز إطلاقه على المتعدد ولا يخفى أن تقدير كل واحد وتقدير من يؤدي إلى تفسير النظم تغيير كثير مع صحة المعنى بدونه.

قوله: (أو لأنهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم) أو لأنهم كنفس واحدة فتوحيد الإمام بناء على التشبيه فإن المفعول الأول حينئذٍ واحد اعتباراً لأن اتحاد طريقتهم جهة واحدة لهم وهذا التوجيه بناء على أن التشريك في الدعاء ادعى للإجابة كذا قاله الإمام في تفسير قوله تعالى: ﴿أعدنا الصراط المستقيم﴾ [الفاتحة: ٥] وإلا فالظاهر أنه صدر عن كل واحد اجعلني إماماً فعبّر عنهم بالإيجاز بضمير الجمع وبقي إماماً على حاله على إفراده.

قوله: (وقيل جمع أم كصيام وصائم معناه قاصدين لهم مقتدين بهم) جمع أم بالمد أصله أمم فأدغم بمعنى القصد ولذلك قال معناه قاصدين أي على كونه جمع أم قوله مقتدين بهم إشارة إلى أن القصد هنا لطريق الاقتداء فيتحد الوجوه الخمسة^(١) مرضه لبعده وعدم السماع عن الثقات.

قوله: وتوحيده لدلالته على الجنس أي توحيد إماماً حيث لم يقل أئمة كما هو مقتضى الظاهر لأن المفعول الأول لجعل جماعة لقصد الدلالة على أن المراد جنس الإمام ولعدم الالتباس لأن من المعلوم أن ليس المراد طلب جعل الجماعة إماماً واحداً أو لأنه مصدر في أصله كالصيام والقيام المصدرين لصام وقام وقيل جمع أم كصيام في جمع صائم وقيام في جمع قائم والمعنى واجعلنا قاصدين للمتقين مقتدين بهم وعلى هذا يكون الإمام المتقين وهم المؤمنون وقيل هذا من المقلوب أي واجعل المتقين لنا إماماً واجعلنا مؤتمين مقتدين بهم.

(١) لأن اسم الفاعل بمعنى النسبة ومعنى مقتصدين أي ذو اقتداء وذو قصد فيكون بمعنى اسم المفعول مثل حبشة راضية.

قوله تعالى : **أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلْقَوْنَ فِيهَا حَاجَةً وَسَلَامًا** ﴿٧٥﴾

قوله : (أعلى مواضع الجنة وهي اسم جنس أريد به الجمع لقوله تعالى ﴿وهم في الغرفات آمنون﴾ [سبأ : ٣٧] وللقراءة بها) أريد به الجمع بقرينة قوله تعالى : ﴿وهم في الغرفات آمنون﴾ [سبأ : ٣٧] وتعدد المشار إليه .

قوله : (وقيل هي من أسماء الجنة) فلا حاجة إلى التأويل المذكور ولضعفه آخره ومرضه لأن أسامي الجنة مضبوطة والغرفة ليست منها كما عدّها في أوائل سورة البقرة .

قوله : (يصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات) والمضض أصله الراجع^(١) والمشاق بمعنى الشدائد ونبه على أن المراد بالصبر أنواعه الصبر على الطاعات وعن المنكرات والصبر على المصيبات إذ المذكور فيما قبله عام لها .

قوله : لقوله : ﴿وهم في الغرفات آمنون﴾ [سبأ : ٣٧] جمع الغرفات في تلك الآية يدل على أن الغرفة ههنا جنس أريد به الجمع لأن كل واحدة من هاتين الآيتين وأردت في حق أهل الجنة وكذا يدل عليه القراءة بالجمع ههنا قال الطيبي رحمه الله ويمكن أن يقال القرينة الثابتة الغرفة الواحدة للجماعة .

قوله : يصبرهم على المشاق من مضض الطاعات يقال امضى الجرح إمضاضاً إذا أوجعك والكحل يمشى العين أي يحرقها والمضض وجع المصيبة والمراد ههنا مطلق المشقة وثقل الطاعات وترك مفعول الصبر لقصد التعميم ولذا عبر عنه رحمه الله في بيانه بما يعم جميع التكاليف الشرعية فقال يصبرهم على المشاق من مضض العبادات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات ومآل الجميع واحد وهو الصبر على مشاق التكاليف جميعاً قال صاحب الكشف وإطلاقه لأجل الشيعاء في كل مصبور عليه يعني لم يؤت بمتمتع صبروا لثلاث يقتصر عليه ويتناول كل مصبور عليه ويحيط به قال الطيبي فإن قلت قد تقرر أن اسم الإشارة إذا عقب به من أجرى عليه الأوصاف دل على أن المذكور قبله جذبر بما بعده لأجل تلك الأوصاف الجارية عليه فأذن السبب في أنهم يجزون الغرفة تلك الأوصاف التي أجريت على عباد الرحمن وكان من حق الظاهر أن يجاء يدل بما صبروا بما فعلوا ليكون كناية عن تلك المذكورات بأسرها فما فائدة العدول قلت فائدته الإيذان بأن ملاك العبادات الصبر وأن حبس النفس على طاعة الله هي الطلبة وقطعها عن مشتيتها هي المرام وقال الراغب الصبر حبس النفس عما يقتضيه الهوى ويختلف باختلاف مواقفه وربما يخالف بين اسمائه بحسب اختلاف مواقفه فإن كان في مصيبة فيقال صبر لا غير وضده الجزع وإن كان في محاربة يسمى شجاعة وضدها الجبن وإن كان في نائية مضجرة يسمى صاحبه رحب الصدر وضده ضيق الصدر وإن كان في إمساك النفس عن الفضولات يسمى قناعة وعفة وضدها الحرص والشره وإن كان في إمساك كلام الضمير يسمى كتماناً وضده الإفشاء وعلى هذا يقاس جميع الفضائل من الأخلاق .

(١) والمراد هنا ثقلها .

قوله : (دعاء بالتعمير والسلامة أي يحييهم الملائكة ويسلمون عليهم أو يحيي بعضهم بعضاً ويسلم عليه) أي يحييهم الملائكة أشار به إلى أن المراد بالتعمير أي الدعاء بطول العمر مجرد التعظيم وإلا فالبقاء أمر محقق أصل التحية القول حيّاك الله تعالى على الإخبار من الحياة استعمل للدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب في السلام ولما كان مقابلاً لسلاماً هنا حمل الدعاء بالتعمير قوله أو يحيي الخ لما لم يكن الفاعل مذكوراً بينه يوجهين قال الإمام يمكن أن يكون من الله تعالى^(١) كقوله تعالى : ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾ [يس : ٥٨] والمعنى أن الله تعالى يسلم عليهم بغير واسطة تعظيماً لهم وذلك مطلوبهم ومتمناهم ولم يتعرض له المص لاحتتمال أن يكون المعنى أن الله تعالى يسلم عليهم بواسطة الملائكة.

قوله : (أو تبقية دائمة وسلامة من كل آفة) أو تبقية دائمة عطف على دعاء بالمغفرة أي دعاء بالبقاء الدائم ومآله ما مر قوله وسلامة من كل آفة هذا مغاير لما سبق والمراد به التكريم والتعظيم واعتداد بالنعمة قيل أو تبقية تفسير له على أنه لم يرد به الدعاء بل وصفهم بما ذكر فيكون المعنى أو حكم بالبقاء والسلامة الخ.

قوله : (وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر يلقون من لقي يلقو) من الثلاثي^(٢) وقراءة غيرهم بتشديد القاف.

قوله تعالى : **حَكَارِيكَ فِيهَا حَسَّتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا** ﴿٧٦﴾

قوله : (لا يموتون ولا يخرجون).

قوله : (مقابل ساءت مستقراً معنى^(٣) ومثله إعراباً) مقابل ساءت فهو إما فعل تام

قوله : دعاء بالتعمير وبالسلمة وفي الكشف التحية دعاء بالتعمير وبالسلمة يعني أن الملائكة يحبونهم ويسلمون عليهم أو يحيي بعضهم بعضاً ويسلم عليه أو يعطون التبقية والتخليد مع السلامة من كل آفة وهذا الوجهان مبنيان على القراءتين على تشديد يلقون وتخفيفه فالمناسب على القراءة بالتشديد أن يكون التحية بمعنى الدعاء بالتعمير والسلام بمعنى الدعاء بالسلمة والمناسب على القراءة بالتخفيف أن يكون التحية بمعنى التبقية والتخليد أي يلقون البقاء والتخليد مع السلامة لكن فسر صاحب الكشف يلقون بقوله يعطون قال الله تعالى : ﴿ولقاهم نضرة وسرور﴾ [الإنسان : ١١] أي أعطاهم وفي بعض الحواشي التحية مشتقة من الحياة وهي التبقية في الحقيقة ومنه قولنا التحيات لله أي التبقيات له تعالى.

قوله : مقابل ﴿ساءت مستقراً﴾ معنى ومثله إعراباً أي قوله عز وجل ههنا ﴿حسنت مستقراً

(١) وما يفهم من قول الإمام إن التحية بمعنى السلام وسلاماً للتأكيد وكذا بين صاحب الباب تحية الملائكة بقوله تعالى : ﴿سلام عليكم بما صبرتم﴾ الآية.

(٢) من الثلاثي كقوله : ﴿يلق آلاماً﴾ وتشديد القاف كقوله : ﴿ولقاهم نضرة وسرور﴾ يلقون صيغة معلومة من الثلاثي.

(٣) لأنه بمعنى نعمت وسرت.

فاعله ضمير راجع إلى الغرفة ومستقراً تمييزاً ومن أفعال المدح فاعله ضمير مبهم يفسره المميز والمخصوص بالمدح محذوف فعلى هذا تأنيث الضمير لتأويل المستقر والمقام بالجنة أو الغرفة لأنها مخصوصة بالمدح.

قوله تعالى: قُلْ مَا يَعْجُزُ بَكْرِي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

قوله: (ما يصنع بكم من عبأت الجيش إذا هيأته) فما استفهامية قوله من عبأت الجيش الخ فما ذكره لازم معناه لأن الشيء إنما يهيا يصنع في الأكثر.

قوله: (أو لا يعتد بكم) فما نافية هذا التفسير بناء على أن ما ولا بمعنى واحد وقد فرق بينهما في سورة الكافرون بأن لا لا تدخل إلا على مضارع بمعنى الاستقبال كما أن ما لا تدخل إلا على مضارع بمعنى الحال فلا تغفل وهذا من العبء بمعنى الحمل وهذا أيضاً لازم معناه ما لا يعتد به لا يحمل وعدي تعديته كما عدي في الأول تعدياً يصنع قدم الأول لأن العبء بمعنى التهيؤ أشهر وفي كون ما استفهامية مبالغة وخصص كونها استفهامية بالأول ونافية بالثاني إذ الاستفهام لا يصح في الثاني والثفي في الأول.

قوله: (لولا عبادتكم فإن شرف الإنسان وكرامته بالمعرفة والطاعة) لولا عبادتكم أي الدعاء بمعنى العبادة إذ الدعاء^(١) مخ العبادة وأيضاً العبادة مشتملة له وأشار إلى أن الدعاء مضاف إلى الفاعل وجواب لولا محذوف أي ما يصنع أو لا يعتد بكم فالخطاب حينئذٍ للممتقين قوله فإن شرف الإنسان الخ إشارة إلى ارتباطه بما قبله فالعبادة شاملة لشرك المنهيات أيضاً لأنها مذكورة فيما سبق أيضاً قوله بالمعرفة أي معرفة الله تعالى أو معرفة الأحكام الشرعية مع معرفة الله تعالى والطاعة إشارة إلى العمل بالأحكام فقيه تنبيه على أن شرف الإنسان بتكميل القوتين فإن تكميل القوة النظرية فقط أو القوة العملية فحسب لا يعتد به فاعتداده تعالى ورضوانه إنما هو باستكمال القوتين.

قوله: (ولأفهم وسائر الحيوانات سواء) أي وإن لم يكن له معرفة أو طاعة أو

ومقاماً [الفرقان: ٧٦] في حق المؤمنين مقابل قوله فيما قبل: «سأت مستقراً ومقاماً» [الفرقان: ٦٦] في حق الكافرين أي هو مقابله معنى ومثله إعراباً إما مقابله معنى فلان حسنت مستقراً لثمنه معنى نعمت مستقراً يكون بمعنى إنشاء المدح كما أن ذلك إنشاء الذم وإما كونه مثله في الاعراب فمن حيث إن مستقراً ومقاماً يحتمل الحال والتمييز في الموضعين.

قوله: ما يصنع بكم من عبأت الجيش إذا هيأته أي ما يفعل بكم المعنى ما يخلقكم لولا دعاؤكم أي لولا عبادتكم كما قال: «وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون» [الذاريات: ٥٦] وهو قول مجاهد وابن زيد وابن عباس أو ما يعتد بكم ربي لولا عبادتكم يقال ما عبات به شيئاً أي لم أعد فوجوده وعدمه سواء.

(١) فذكر المقيّد وأريد المطلق وفي الثاني مجاز مرسل بمعلقة اللزوم أو الجزية.

كلاهما فهو سلب جزئي فهو أي الإنسان وسائر الحيوانات سواء أي مستوون بل هو أصل.
 قوله: ﴿وقيل معناه ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة﴾ فالخطاب للكفار مطلقاً
 أو لكفار قريش فيكون حينئذ كقوله تعالى: ﴿ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم﴾
 [النساء: ١٤٧] الآية قال المص هناك أينشفي به غيضاً أو يدفع ضرراً أو يستجلب به نفعاً
 إلى آخر ما قال فلمع منه أن ما على هذا استفهامية إنكارية لا غير وأما ما يصنع بكم فعلى
 الأول معناه أنكم لا تستأهلون شيئاً كذا في الكشف أي ما يصنع أي شيء يصنع ويفعل
 بكم من الإحسانات والكرامات لولا عبادتكم والمعنى ما يفعل بكم شيئاً من الإحسانات
 لولا عبادتكم لكن لما كان عبادتكم موجودة كما سبق ذكره من خصالكم أيها العارفون
 المتفوقون يفعل بكم ريكماً ما أخفى لكم من قرة أعين فلا استفهام للإنكار الوقوعي على فرض
 عدم العبادة وللتقريب على تقدير وجود العبادة وهذا تفصيل ما قاله الزجاج لا وزن لكم
 عندي لو كان عبادتكم غير موجودة لكن العبادة موجودة فوزن عظيم لكم عندي.

قوله: ﴿وما إن جعلت استفهامية فمحلها النصب على المصدرية كأنه قيل أي عباً يعبا
 بكم﴾ النصب على المصدر وغامله يعبا بكم قدم عليه للصدارة والعبأ بفتح الباء مصدر.

قوله: ﴿فقد كذبتم بما أخبرتكم به حيث خالفتموه﴾ الفاء للسببية كما نبه عليه بقوله
 بما أخبرتكم والإخبار وإن كان سبباً للتصديق في نفس الأمر لكنهم جعلوه سبباً للتكذيب
 قوله حيث خالفتموه إشارة إلى أن التكذيب بدلالة الحال كالتكذيب بالمقال قبل فالتكذيب
 استعير للمخالفة والإخبار إما إخبار في قوله: ﴿ما يعبا﴾ [الفرقان: ٧٧] الآية أو الإخبار
 المطلق وهو الظاهر.

قوله: ﴿وقيل معناه ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة أي ما يفعل بعذابكم لولا شرككم
 كما قال: ﴿ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم﴾ [النساء: ١٤٧] وقيل معناه لا يبالي بمغفرتكم
 ربي لولا دعاؤكم معه آلهة وقيل ما يعبا بكم لولا دعاؤكم إياه في الشدائد كما قال: ﴿فإذا ركعوا
 في الفلك دعوا الله﴾ [العنكبوت: ٦٥] وقال ﴿فأخذناهم بالأساء والضراء لعلمهم يتضرعون﴾
 [الأنعام: ٤٢] قوله وقيل: ﴿قل ما يعبا بكم ربي لولا دعاؤكم﴾ [الفرقان: ٧٧] يقول ما خلقتكم
 ولي إليكم حاجة إلا أن تسألوني فأعطيكم وتستغفروني فأغفر لكم هذا كله على أن يكون ما للنفي
 وإذا كان للاستفهام يكون المعنى أي عبادة يعبا بكم ربي لولا دعاؤكم فيكون الاستفهام للإنكار
 فيؤول المعنى إلى النفي أيضاً أي لا عبادة يعبونها ربي لو دعاؤكم ومعنى ما يعبا بكم ربي لولا
 دعاؤكم وقال الزجاج في تأويل ما يعبا بكم ربي أي وزن يكون لكم عنده.

قوله: ﴿بما أخبرتكم به حيث خالفتموه﴾ والفاء في فقد كذبتم فاء الجزائية والشرط محذوف
 تقديره على ما في الكشف إذا علمتكم أن حكمتي أنني لا اعتد بعبادي إلا لعبادتهم فقد خالفتم
 بتكذيبكم حكمتي فسوف يلزمكم أثر تكذيبكم حتى يكبكم في النار ونظيره في الكلام أن يقول
 الملك لمن استعصى عليه أن من عادي أن أحسن إلي من يطيعني ويتبع أمري فقد غصبت فسوف
 ترى ما أحل بك بسبب عصيانك.

قوله : (وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال إذا لم يبلغ فيه) وقيل فقد قصرتم في العبادة وهذا هو الملائم لكون الخطاب للمؤمنين لكن مرضه لعدم شهرة التكذيب في هذا المعنى من قولهم كذب القتال الخ الظاهر أنه من التفعيل على أنه لازم كما في النظم والمتبادر أنه معنى حقيقي له لكنه غير مشتهر .

قوله : (وقرىء فقد كذب الكافرون أي الكافرون منكم) كأنه أشار إلى ربط الكلام بما قبله فاعتبر منكم في النظم الكريم .

قوله : (وقرىء فقد كذب الكافرون منكم لأن توجه الخطاب إلى الناس عامة بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب لما كانت هذه القراءة وهي قراءة فقد كذب الكافرون منكم مخالفة ظاهراً لقراءة كذبتم لإيجاب قراءة كذبتم جميع الناس على تقدير عموم الخطاب وإيجاب قراءة فقد كذب الكافرون منكم تكذيب بعض دون بعض أول رحمه الله آية العموم وهي كذبتم تلقياً بين القراءتين بأن الخطاب في كذبتم إلى الناس عامة ولا يلزم من كون الناس مخاطبين به صدور التكذيب منهم جميعاً بل يصح أن يكونوا مخاطبين بكذبتم إذا صدر من بعضهم عبادة ومن البعض الآخر تكذيب كما يصح أن يقال لجماعة قبيلة أنتم قتلتم فلاناً والقاتل واحد منهم وإنما ادرج في توجيه صحة عموم الخطاب بكذبتم العبادة حيث قال بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب والحال أنه يكفي في تصحيح عموم الخطاب أن يقال لأن توجه الخطاب عامة بما وجد في جنسهم من التكذيب لأن المخاطبين بما يعياً بكم لولا دعاؤكم وبما كذبتم واحد وهم الناس جميعاً فأوجب الخطاب بما يعياً بكم لولا دعاؤكم وبما كذبتم العبادة للمخاطبين لأن لولا انتفاء الثاني لوجود الأول لأن التقدير لولا دعاؤكم ما يعياً بكم ربي ومعناه يعياً بكم ربي لدعاؤكم أي لعبادتكم وأوجب الخطاب بكذبتم التكذيب لهم فلما وجد من بعض الناس عبادة ومن بعضهم تكذيب خطب الناس جميعاً بهذين الخطابين لما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب قال صاحب الفرائد أصل الكلام لولا دعاؤكم أي عبادتكم لم يعياً بكم لكن لم تكن عبادتكم لأنه أرسل الرسول إليكم فكذبتموه فلم يعياً بكم فقوله ﴿فسوف يكون لزاماً﴾ واقع موقع لم يعياً بكم والنظم يساعد هذا التأويل لأن هذه السورة الكريمة على ما سبق مشتملة على بيان عناد كفار قريش وتكذيبهم آيات الله وتسميتهم القرآن بأساطير الأولين وطعنهم في الرسول بقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق وأما ذكر المؤمنين فتعريض بهم إلى هنا كلامه فعلى هذا التأويل لا يكون الخطاب في ما يعياً بكم وفي كذبتم خطاباً عاماً لجميع الناس كما ذهب إليه صاحب الكشاف والفاضل رحمهما الله بل يكون لكفار قريش خاصة كما قال محيي السنة في المعالم في تفسير ما يعياً بكم لولا دعاؤكم فقد كذبتم ما يفعل بعدابكم لولا شرككم أي دعاؤكم الآلهة كما قال ما يفعل الله بعدابكم إن شكرتم وأمتت وقيل فقد كذبتم أيها الكافرون فخطب أهل مكة يعني أن الله تعالى دعاكم بالرسول إلى توحيد عباده وعبادته فكذبتم الرسول ولم تجيبوه وقال الطيبي رحمه الله في جعل الخطاب عاماً لجميع الناس ما أبعد هذا التأويل كيف يتصور أن يدخل الأنبياء والصالحون من التابعين في خطاب فقد كذبتم فسوف يكون الزاماً فالوجه أن يكون الخطاب متوجهاً إلى قريش لا سيما والزم مفسر بيوم بدر وقال ثم إن هذه الخاتمة ناظرة إلى الفائدة أي ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾ [الفرقان : ١] المعنى قد انذر وبالع

قوله: (لأن توجه الخطاب إلى الناس عامة) أشار به إلى أن الخطاب متوجه إلى الناس على الإطلاق ومنهم مؤمنون عابدون ومنهم مكذبون عاصون فخطوبوا بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب كذا في الكشف ثم قال وقرئ: فقد كذب الكافرون ولم يذكر لفظة منكم ومنه يعلم ما في كلام المص من الخلل.

قوله: (بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب) قيل فلا يتوهم دخول الأنبياء عليهم السلام فيهم فلا يعرف له وجه.

قوله: (يكون جزاء التكذيب لازماً يحيق بكم لا محالة أو إثره لازماً بكم حتى يكبكم في النار) يكون جزاء التكذيب أي الضمير راجع إلى المصدر الدال عليه الفعل المتقدم بتقدير المضاف قوله أو أثره أي أثر التكذيب وهو المعاصي التي تترتب عليه قوله حتى يكبكم النار إشارة إلى أن المضارع للاستمرار أي دام واستمر أثره إلى أن يدخلكم والوجه الأول هو الأولى وعن هذا قدمه يكب من أكب اللازم قال في سورة الملك يقال كببته فأكب وهو من الغرائب والتفصيل فيها لكن لتعديته هنا الظاهر من كب فيكون الباء مفتوحاً.

قوله: (وإنما أضمر من غير ذكر) أي صريحاً وإلا فهو مذكور ضمناً كما مر أو مراده لم يذكر الجزاء أو الأثر.

قوله: (للتهويل والتنبية على أنه مما لا يكتننه الوصف) والتنبية الخ بيان للتهويل نقل عن الأزهري أنه قال اكتننت الأمر اكتناهاً إذا بلغت كنهه والمعنى لا يحيط بكنهه وحقيقته الوصف ولا يدخل في تحت الوصف.

قوله: (وقبل المراد قتل يوم بدر وأنه لوزم بين القتل لزاماً وقرئ لزاماً بمعنى

فيه وبين بالآيات الظاهرة والبراهين الباهرة أن الحكمة في الإيجاد معرفة الخالق إما تصريحاً ففي قوله: ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً﴾ [الفرقان: ٦٢] وإما تعريضاً في عد فضائل المؤمنين ثم قال وإذا أعلمكم رسولني أن حكمي ذلك وأنني لا اعتد بعبادي إلا لعبادتهم فقد خالفتكم أنتم بتكذيبكم كتابي ورسولي حكمي في الإيجاد فسوف يلزمكم أثر تكذيبكم وهو الاستئصال يوم بدر والعذاب الشديد السرمدي في النار يوم القيامة وبالله التوفيق.

قوله: يكون جزاء التكذيب يريد أن الضمير في يكون راجع إلى مصدر كذبتم بتقدير مضاف لأن اللازم لهم ليس نفس التكذيب بل هو شيء مضاف إلى التكذيب وذلك المضاف إما الجزاء أو الأثر فاشار إلى الأول بقوله جزاء التكذيب وإلى الثاني بقوله أو أثره.

قوله: وإنما أضمر من غير ذكر للتهويل والتنبية على أنه مما يكتننه الوصف أي وإنما أضمر اسم يكون من غير ذكر المرجوع إليه ذكراً صريحاً لقصد المبالغة في كونه شيئاً هائلاً وفي أنه شيء لا يدرك كنهه بالوصف: الحمد لله على الابتداء والاختتام وعلى الرسول أفضل التحية والسلام اللهم منك الفيض والتوفيق وبك الحول لا قوة إلا منك اللهم اجعل رضاك متقلبي في جميع متقلبي اللهم كما وفقتني حل ما في تفسير سورة الفرقان وفقتني لكشف ما في تفسير سورة الشعراء بمسك العظمى إنك تقول الحق وتهدي السبيل فالآن أقول متيناً.

اللزوم كالثبات والثبوت عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان
لقي الله وهو مؤمن بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأدخل الجنة بغير نصب) وقيل الخ
مرضه لبعده عن المقام والحديث الذي رواه موضوع الحمد لله الذي يسر لنا إتمام ما
يتعلق بسورة الفرقان وهو الكريم الديان والصلاة والسلام على رسوله الذي هو من
بني عدنان وعلى آله وأصحابه الذين نقلوا القرآن في شهر ذي القعدة يوم أحد قبل
الظهر في سنة ١١٨٦.

سورة الشعراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين.

قوله: (سورة الشعراء مكية إلا قوله تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاؤون﴾ [الشعراء: ٢٢٤] إلى آخرها وهي مائتان ست أو سبع وعشرون آية) مكية إلا قوله تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاؤون﴾ [الشعراء: ٢٢٤] إلى آخرها استثناء ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وزاد غيره قوله تعالى: ﴿أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل﴾ [الشعراء: ١٩٧] كما في الإتيان وهي مائتان ست أو سبع وعشرون آية نقل عن التيسير أنه قال الاختلاف في قوله تعالى: ﴿وما تنزل به الشياطين﴾ [الشعراء: ٢١٠] نقل عن الداني أنه قال روي بسند صحيح أنها نزلت في شاعرين تهاجيا في الجاهلية مع كل واحد جماعة فالسورة على هذا كلها مكية.

قوله تعالى: طسّر ﴿

قوله: (قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالإمالة ونافع بين بين) أي في رواية أبي علي الفارسي في الحجة وعليه اعتماد الزمخشري والمص في نقل القراءات.

قوله: (كراهة العود إلى الياء المهرب منها) كراهة العود لتعليل لعدم الإمالة الصرفة لكنه علة مصححة ألا يرى أن القراء المذكورين مالوا إلى الإمالة ولم يذكر علة الإمالة وسببها المجوز لظهوره إذ الإمالة في الاصطلاح أن تنحى بالفتحة نحو الكسرة بأن تشرب الفتحة شيئا من صوت الكسرة فتصير الفتحة بينها وبين الكسرة ثم إن كان هناك ألف فلا محالة تصير بين الألف والياء قبل قوله كراهة العود لتعليل لعدم الإمالة الصرفة ويعنى به أن الألف منقلبة عن ياء فلو أميلت إليها انتقض غرض القلب وهو التخفيف انتهى كون ألف

سورة الشعراء مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طسم قوله: ونافع بين بين أي وقرأ نافع الطاء بين الإمالة والألف كراهة للعود إلى الياء المهرب منها أي لم يقرأ نافع بالإمالة بل قرأ بين بين لأن في الإمالة ميلا إلى الياء المهرب منها لثقلها.

طسم متقلبة عن ياء بناء على أن الفات أسماء التهجي يأت كما صرح به في سورة مريم ومن لم يمل من القراء كعاصم نظر إلى أن الطاء حرف استعلاء يمنع من الإمالة وقد بين وجهه في محله فمن جوز الإمالة الصرفة والإمالة بين بين إنما جوزها لأن الحروف المستعملية إن كانت خاف وطاب وهو ما ألفه مقلوبة عن مكسور أو مقلوبة عن ياء لا تمنع الإمالة لقوة السبب فيه لأنه في نفس الحرف الممالة قليل وإنما كان منفصلاً لأنها أسماء حروف مقطعة^(١) ومن أدغمها رآها متصلة في حكم كلمة واحدة خصوصاً على القول بالعلمية.

قوله : (وأظهر نونه حمزة لأنه في الأصل منفصل عما بعده) وأظهر نونه أي لم يدغم نون سين في الميم لما ذكره وأدغمها غيره لما مر من أنه في حكم كلمة واحدة ولانصائها بحرف من حروف الميم.



قوله تعالى : يٰٓذَاكَ مَا كُنْتَ أَلَكِنْتَ الْمُبِين

قوله : (الظاهر إعجازه وصحته) أي المبين^(٢) من أبان اللازم بمعنى ظهر لا من أبان المتعدي بمعنى أظهر وإن جاز ذلك أيضاً بحذف مفعوله وهو الشرائع والأحكام لأن ما ذكره المص أنسب بالمقام الظاهر صفة جرت على غير ما هي له إما على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وإما على سبيل الاستناد المجازي وهو الراجح وصحته أي صحة كونه من عند الله بسبب ظهور إعجازه فهو لازم للآول فلا إشكال بأن اعتبار كلاهما في إطلاق واحد غير مناسب.

قوله : وأظهر نونه حمزة أي أظهر حمزة نون سين في طسم لأن سين منفصل عن ميم في الأصل لأنهما اسمان مستقلان لحرفين من حروف المياني والتفصيل فيه أنه قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر طسم وطسن ويسن وحس بكسر الطاء والياء والحاء وقرأ أهل المدينة بين الفتح والكسر وقرأ الآخرون بالفتح على التضمين وأظهر النون من السين أبو جعفر وحمزة وأخفاها الآخرون روى عكرمة عن ابن عباس قال طسم عجزت العلماء عن علم تفسيرها وروى عن ابن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس أنه قسم وهو من أسماء الله تعالى وقال قتادة اسم من أسماء القرآن وقال مجاهد اسم السورة وقال محمد بن كعب القرظي بطوله وسناه وملكه أي الطاء إشارة إلى طوله تعالى بفتح الطاء وهو القوة والسين إشارة إلى سناه تعالى والميم إشارة إلى ملكه تعالى.

قوله : الظاهر إعجازه وصحته جعل رحمه الله المبين من أبان بمعنى بأن أي ظهر ففسره بالظاهر أي الظاهر إعجازه بكمال بلاغته وصحته أنه من عند الله وشاهد أنه من الله هو كماله في البلاغة بحيث أعجز مصاقع بلغاه البشر عن أن يأتوا بأقصر سورة من مثله.

(١) وحروف الهجاء في تقدير الانفصال والانتطاع عما بعدها.

(٢) قال في سورة الحجر بين الرشد من الغي بياناً عربياً فحمل المبين هناك على أنه من أبان المتعدي لكنه تفنن وجعله هنا من أبان اللازم.

قوله: (والإشارة إلى السورة أو القرآن) أي السورة المصدرة به فتكون السورة المشار إليها مفهومة من طسم بأن يجعل اسماً لها فحينئذ صيغة البعد للتفخيم والتأنيث على حالها وأما إذا كان الإشارة إلى القرآن فالتأنيث بأن يأول القرآن بالآيات أو باعتبار الخبر وعن هذا آخره وأيضاً كون الإشارة إلى القرآن بأن يجعل طسم اسماً له ثم المراد بالقرآن إما هذه السورة وحدها أو مجموع القرآن وكذا الكلام في الكتاب فإن كلا منهما يطلق على البعض وعلى المجموع ولو جعل الإشارة إلى آيات السورة كما قاله في سورة الحجر لم يبعد قوله تلك آيات الكتاب بمعنى هذا المؤلف منها إن جعل تعدداً للحروف مراداً به قرع العصا كذا قيل وطسم مبتدأ خبره تلك والكتاب المبين صفة لأن الكتاب في معنى المشتق وإن كان اسماً للقرآن أو الصفة المبين والكتاب موطىء له مثل ﴿قرآناً عربياً﴾ والصفة صفة موصحة أو طسم مبتدأ وتلك مبتدأ ثانٍ وآيات الكتاب خبر لمبتدأ ثانٍ والجملة خبر المبتدأ الأول.

قوله: (على ما مر في أول البقرة) فيعلم منه الأمر هنا بالمقايسة وإن كان الاحتياج إلى التأويل على العكس لأن تذكير اسم الإشارة هناك متى أريد بألم السورة لتذكير الخبر وهو الكتاب أو لتذكير صفته الذي هو هو وهو الكتاب إن جعل صفة له وهنا الاحتياج إلى التأويل في تأنيث الإشارة حين جعل الإشارة إلى القرآن وذكر البقرة بدون السورة إشارة إلى أن البقرة اسم للسورة البقرة بدون السورة وأن إضافة السورة إلى البقرة من قبيل إضافة العام إلى الخاص قد مر الكلام على وجه الإشباع في أوائل سورة الفاتحة ومعنى طسم وإعرابه قد مر توضيحه في أوائل البقرة.



قوله تعالى: لَمَّا بَلَغَ نَقْصَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾

قوله: ﴿لَمَّا بَلَغَ نَقْصَكَ﴾ [الشعراء: ٣] الآية جملة معترضة بين المتعاطفين^(١) فائدة الاعتراض بيان فرط حرصه عليه السلام على تكميل الغير.

قوله: (والإشارة إلى السورة أو القرآن أي الإشارة بتلك إلى السورة وتأنيثه باعتبار تأنيث السورة وأما تأنيثه على تقدير الإشارة إلى القرآن فلاشتماله على الآيات أو السورة اعلم أن طسم إما أن يجعل اسماً للسورة أو تعدداً لحروف التهجي والثاني إما وارد على قرع العصا أو تقدمه لدلالة الاعجاز كما سبق في بيان الفوائد في أول سورة البقرة ثم المناسب أن يفسر الكتاب هنا بالقرآن إذا جعل طسم اسماً للسورة ويكون طسم مبتدأ ولفظ تلك مبتدأ ثانياً وآيات الكتاب خبر تلك والجملة خبر المبتدأ الأول فالمعنى هذه السورة تلك آيات القرآن المبين وإذا جعل تعدداً للحروف يفسر الكتاب بالسورة ويقدر مضاف قبل طسم فالمعنى آيات المؤلف من جنس هذه الحروف المبسطة تلك آيات السورة وإنما قسر الكتاب على هذا التقدير بالسورة ولم يفسر بالقرآن إذ لو قسر بالقرآن لا يفيد الكلام زيادة معنى لكون المعنى حينئذ آيات القرآن تلك آيات القرآن لأن المراد بالمؤلف من هذه الحروف البسيطة حينئذ هو نفس القرآن.

(١) وكذا قوله إن نشأ تنزل.

قوله: (قاتل نفسك وأصل البخع أن يبلغ بالذبح البخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك أقصى حد الذبح) قاتل نفسك^(١) من جهة الحزن العارض من عدم إيمانهم تهالكاً على إيمانهم لما فسر باخماً بقاتل حاول التفصيل فقال وأصل البخع الخ البخاع بكسر الباء عرق الخ هذا المعنى مما أثبتته الزمخشري وهو ثقة في اللغة فلا يعبأ إنكار ابن الأثير في النهاية حيث قال إنه لم يوجد في شيء من كتب اللغة واستعمال العرب وهذا الكلام يقتضي عدم الثغات كلام الزمخشري إذا لم يوجد في كلام غيره ولا يخفى ضعفه لأن العلماء يستنبطون من كلامه القاعدة الكلية فضلاً عن ثبوت اللغة من بيانه مستبطن الفقار جمع فقارة وهي عظام الظهر هذا أصل معناه واستعمل هنا في القتل لأنه لازم له .

قوله: (وقرىء باخع نفسك بالإضافة) بناء على أن باخع يعمل لكونه بمعنى المستقبل فيكون مضافاً إلى معموله بخلاف ما في سورة الكهف فإن فيه تفصيلاً لا يجري هنا كما لا يخفى على من راجع إليه قال المص في سورة الكهف شبهه لما تداخله من الوجد على توليهم بمن فارقت أعزته فهو ينحسر على آثارهم ويخضع نفسه ووجداً عليهم أي لعلك كالباحع نفسك في حصول الوجد في الصدر فالكلام من قبيل التشبيه البليغ أو شبهت الهيئة المنتزعة من حاله وحالهم في امتناعهم من الإيمان ومداخلة الوجد له عليه السلام لذلك بالهيئة المنتزعة من حال رجل فارقت أعزته ولم يتعرض له هنا ولا أرباب الحواشي أما اكتفاء ببيانه هناك أو قوله تعالى: ﴿على آثارهم﴾ [المائدة: ٤٦] هناك له مدخل في التشبيه والاستعارة التمثيلية ولم يذكر على آثارهم هنا لكنه يمكن هنا بأدنى تمحل وتغيير يسير فلا تغفل .

قوله: (ولعل للإشفاق أي أشفق على نفسك أن تقتلها) ولعل للإشفاق لأن لعل

قوله: وهو عرق مستبطن الفقار الفقار جمع فقرة والفقرة بكسر الفاء والفقارة بفتحها واحد فقار الظهر ومستبطن على صفة اسم المفعول والمراد به الموضع أي عرق في مستبطن الفقار أي باطنها أو على صيغة اسم الفاعل ونصب الفقار على نزع الخافض أي عرق مستبطن في الفقار أو على إضافة العرق إلى مستبطن بفتح الطاء وإضافته إلى الفقار أي عرق مستبطن الفقار ومال الجميع واحد قال ابن الأثير في النهاية بحث في كتب اللغة والطب والتشريح فلم أجد بخاع بالياء مذكوراً فيها وفي الكواشي ولقد تتبعت بضع زماناً طويلاً فما رأيت فيه شيئاً مما قال الزمخشري وهو قد قال في عريته الفائق هو من بضع الذبيحة بالغ في ذبحها وهو أن يقطع عظم رقبته ويبلغ بالذبح البخاع بالياء وهو العرق الذي في الصلب والنخع بالنون دون ذلك وهو أن يبلغ بالذبح النخاع بضم النون وهو الخيط الأبيض الذي في جوف الفقار وفي الأساس في باب الباء مع الخاء بضع الشاة بلغ يذبحها الفقار ومن المجاز بضمه الوجد إذا بلغ منه المجهود وأشد بيت ذي الرمة:

ألا أيها ذا الباخع الوجد نفسه لشيء تحته عن يديه المقافر

قوله: ولعل للإشفاق أي كلمة لعل في لعلك باخع للإشفاق أي للشفقة أي أشفق على

للترجي في المحبوب وللإشفاق في المكروه أي الخوف وهذا أيضاً كالترجي لا يتصور في شأنه تعالى فهو للمخاطب وللإشارة إلى هذا قال أي أشفق الخ وإنما أوله بالأمر لأن الإشفاق غير واقع أي أشفق على نفسك بتخفيف^(١) هذا الغم والحزن أي خف على نفسك وهو الملائم لكلام المص وإنما اختار ذلك لدلالة الإنكار المستفاد من السوق أي إنك تفعل ذلك أي التحسر والتهالك فلا تفعل هكذا قالوا ولو قيل إن الكلام مبني على التشبيه البليغ أو على الاستعارة التمثيلية^(٢) لا يحتاج إلى هذا التمثل فلم يحمل هذا على أحد ما ذكر كما حمل عليه في سورة الكهف ولهذا سكنت هناك عن هذا التكلف ولعله سلك صنعة الاحتباك.

قوله: (لئلا يؤمنوا أو خيفة أن لا يؤمنوا) لئلا يؤمنوا أي في الاستقبال لأن كلمة إن مختص بالاستقبال قيل أي لاستمرارهم على عدم قبول الإيمان وكلمة كان في التنزيل لاستمرار اعتبار بعد النفي فإذا استمر النفي وصيغة الاستقبال لتأكيد معنى الاستمرار ولا يخفى أن التحسر والغم على استمرار عدم إيمانهم باعتبار الحال والمستقبل إذ لا فائدة في الحزن على ما مضى ويؤيد ما ذكرناه قول التهالك فالبحع والتحسر عدم إيمانهم بعد التبليغ وللإشارة إلى ذلك أسقط فعل الكون كما هو عادته في أكثر المواضع ويحمل فعل الكون على زيادة الربط أو لأجل الفاصلة والفاضل المحشي لما حمل كان على استمرار النفي قال فلا غفول من المص فائدة إدخال فعل الكون على ما توهم ابن كمال باشا وهذا كلام جيد

نفسك أن تقتلها حسرة لعدم إيمانهم أي حسرة على ما فاتك من إيمان قومك دل على الأمر بالإشفاق اقتضاء كلمة لعل في أمثال هذا المقام الإنكار أي أنك تفعل ذلك فلا تفعل قال الإمام لما بين الله تعالى أن الكتاب مبين للأشياء قال بعده ﴿لعلك باخع نفسك﴾ [الشعراء: ٣] منبهاً على أن الكتاب وإن بلغ في البيان كل غاية فلا مدخل له في إيمانهم لما أنه سبق حكم الله بخلافه فلا تبالغ في الحزن والأسف لأنك إن بالغت فيه كنت كمن يقتل نفسه ثم لا ينتفع بذلك أصلاً فصبره وعزاه وعرفه أن غمه لا ينتفع كما أن مجرد وجود الكتاب ووضوحه لا ينتفع.

قوله: (لئلا يؤمنوا أو خيفة أن لا يؤمنوا) وإنما أوله بهذين التأويلين لأن قوله: ﴿أن لا يكونوا مؤمنين﴾ [الشعراء: ٣] تعليل لقوله: ﴿لعلك باخع نفسك﴾ [الشعراء: ٣] وليس مضمون أن لا يؤمنوا وهو عدم إيمانهم فعلاً لفاعل الفعل المعلل الذي هو البخع فوجب أن يكون أن لا يؤمنوا مقدراً باللام كلام التعليل في أكرمتك لإكرامك إياي أو يكون مقدراً بمضاف هو فعل لفاعل الفعل المعلل نحو مخافة أو خيفة أن لا يؤمنوا فيكون منصوباً على أنه مفعول له لوجود شرائط نصبه.

(١) وفي الكشاف يعني أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على ما فاتك من إسلام قومك فحيتي والمعنى خف على نفسك الخ وما ذكرناه في أصل الحاشية منهم من كلام ابن كمال حيث قال أشفق على نفسك بتخفيف هذا الغم والهم فحيتي يكون الاشفاق بمعنى الخوف فأتمل.

(٢) والمعنى أنت يا محمد في صورة من يرجي منه البخع فحيتي لا إنكار ولا يحتاج إلى التأويل بالأمر بالإشفاق والنهي عن التحسر والتهالك.

لكن يخالف ظاهر كلامه في مواضع آخر وفي الكشف لثلا يؤمنوا ولا امتناع إيمانهم أو خيفة أن لا يؤمنوا وكأنه جعل نفي الكينونة في معنى نفي الصحة فهو عطف تفسير لامتناع إيمانهم كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] وعلى الثاني هو بمعناه لكن لما لم يصح كون عدم الكون في المستقبل علة للبخع لكونه غير معلوم قدر الخيفة ولا يخفى أن جعل نفي الكينونة في معنى نفي الصحة كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٣] الآية ليس بحسن^(١) هنا يعرف بالتأمل وأيضاً قوله لكن لما لم يصح كون عدم الكون في المستقبل الخ غير تام لأن المراد بالمستقبل بالنسبة إلى الدعوة وعقيب الدعوة فهو معلوم بل الظاهر أنه علة للبخع دون ما هو قبل التبليغ فإنه لا يكون علة له كما أشرنا إليه آنفاً ومنشأ ذلك جعل المستقبل عاماً وليس كذلك بل ما هو عقيب الدعوة وتقدير خيفة إشارة إلى مسلك آخر في مثل هذا المسلك الأول تقدير الجار في أن والآخر تقدير المضاف المناسب للمقام والمناسب هنا الخيفة وقيل تقدير اللام في الوجه الأول لانتفاء اتحاد فعل الفاعل المعطّل به وتقدير المضاف في الثاني لتحصيله أي لتحصيل الاتحاد الظاهر أن الخيفة علة حصولية مثل قعدت عن الحرب جيناً ولهذا قال بعض المحشين لكن لما لم يصح كون عدم الكون في المستقبل علة للبخع لكونه غير معلوم قدر الخيفة وإن كان فيه بحث كما عرفته .

قوله تعالى: **إِنْ تَنَزَّلَتْ رُوحُكَ عَلَيْهِمْ مِنْ السَّمَاءِ مَا يَكُنْ لَهُمْ مِنْ خَاصِمِينَ** ﴿٥٤﴾

قوله: (دلالة ملجئة إلى الإيمان) دالة أي على نبوتك وصدق القرآن ملجئة وفي نسخة دلالة ملجئة أي بولجاء الله تعالى عياده عند ظهور أمثالها فالإسناد إلى الدلالة مجازي وقيدها بالجلء لأن غيرها متحقق وأما المنتفي بانتفاء المشيئة الآية الملجئة إلى الإيمان والإلجاء لأنه سنة الله تعالى عند ظهور أمثالها وعدم إنزالها لثلا يكون الإيمان بالمشاهدة أو كالمشاهدة والمقبول الإيمان بالغيب وقيل يعني أن إيمان تلك الطائفة ليس بمراد لنا وأن المقصود من بعثك تبليغ أحكام التكليف على ما يقتضيه الحكمة فليس أمرنا عن إرادة ولا نهينا عن كراهة انتهى وهذا يوهم أن الآية الملجئة نازلة حين كون إيمان طائفة مراداً له تعالى ولا يخفى ضعفه فالمقصود من هذه الآية الكريمة تسلية له عليه السلام وتسكين له حيث دلت على أن التوفيق للإيمان وعدمه لله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [النور: ٥٤] وقد بلغه فلا وجه للتحسر والتألم من عدم إيمانهم فالجملة كالتعليل للأمر بالإشفاق على نفسه .

قوله: (أو بلية قاسرة عليه) أي على الإيمان بالجبر عليه وجه قيده بالجبر لأن غيرها نازلة عليهم كما مر وكونها قاسرة قاهرة لما ذكر لا لأن عليهم يدل عليه لأن استعمال

(١) إذ الإيمان صحيح منهم لكنه لم يقع منهم بخلاف قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ﴾ الآية إذ الإضاعة ليست بصحيحة .

الإنزال بإلى وعلى قال تعالى: ﴿قُلْ آمَنَا بِاللَّهِ وَمَا نَزَّلَ عَلَيْنَا﴾ [آل عمران: ٨٤] الآية فكما لم يدل على في علينا على القسر والقهر هناك كذلك لا يدل عليه هنا وذكر على هنا لكون التنزيل من علو ولذا قيد بقوله من السماء أي من جانب السماء ولما لم تكن الآية مشتهرة في معنى البلية أخرها وجه الاستعمال هو أن البلية والمصيبة العظيمة مما يكون علامة دالة على صدق النبوة قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [الاسراء: ١٠١] الآية.

قوله: (متقادين) وأصل الخضوع اللين والانقياد كذا قاله في سورة البقرة ومقتضاه كون متقادين حقيقة لكن بعض المحشين ذهب إلى أنه مجاز أو كناية عن الانقياد وكذا ما قيل الخضوع أمانة الانقياد اللازم للإذعان وهو المراد هنا بطريق الكناية وهذا تكلف والظاهر كونه حقيقة.

قوله: (وأصله فظلوا لها خاضعين فأقحمت الأعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخير على أصله) وأصله أي مقتضى الظاهر فظلوا لها خاضعين إذ الخضوع والانقياد للذات لا للأعناق لكنه عدل عن هذا الأصل فأقحمت الأعناق أي أدخلت لبيان موضع الخضوع أي موضع ظهوره ولما كان الخضوع وضده يظهر في الرأس والعنق جعل محله فأستد الخضوع إليه مجازاً لأنه يترأى قبل التأمل أنه هو الخاضع وهذا يقتضي^(٢) ما ذكر في النظم الجليل وهو مقتضى الحال ومراده بالأصل مقتضى الظاهر وترك الخير وهو خاضعين على أصله أي قبل إقحام الأعناق فبقي جمع العقلاء على حاله^(٣) مع أن الأعناق ليست من العقلاء وإن أمكن أن يقال إنها اكتسبت التذكير وصفات العقلاء من المضاف إليه لكن الثاني ليس بمتعارف بخلاف الأول.

قوله: (وقيل لما وصفت الأعناق بصفات العقلاء أجريت مجراهم) وقيل لما وصفت

قوله: وترك الخير على أصله أي ترك خير ظلت على أصله أي لم يغير عن إسناده إلى ضمير العقلاء حيث قيل خاضعين ولم يقل خاضعة على الإسناد إلى ضمير اسم ظل والقياس أن يسند إليه لما أن إخبار الأفعال الناقصة تسند إلى أسمائها لكن لكون أصل المعنى ظلوا خاضعين خولف الأصل في إسناده إلى اسمه المقدم حيث قيل ظلت بإسناده إلى الأعناق لبيان موضع الخضوع ولم يخالف في الخير.

قوله: وقيل لما وصفت الأعناق بصفات العقلاء أجريت مجراهم هذا التوجيه على إسناد

(١) وبعض تسع آيات البلية كالجراد والقمل والضفادع كما بينه المعص هناك.

(٢) لما ذكر في النظم هو المطابق لمقتضى الحال ومراده بالأصل ما هو المطابق لمقتضى الظاهر لكن بالنظر إلى البلاغة الأصل ما اختير في النظم الجليل.

(٣) وبهذا البيان التوضيح الفرق بين الوجهين إذ في الثاني صيغة جمع العقلاء لذلك الإجراء بخلاف الأول وإن كان صيغة العقلاء مجازاً قهراً.

الخ عطف على قوله وترك الخبر على أصله يعني أن صيغة العقلاء ليست لكونها على أصلها بل لكون الأعناق موصوفة بصفات العقلاء وهو الخضوع أجريت تلك الأعناق مجرى العقلاء فاستعملت صيغة العقلاء فيها مجازاً كقوله تعالى: ﴿والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾ [يوسف : ٤] أجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم وهي السجود والجمع مع أن الخضوع هنا والسجود هناك واحد لكثرة الموصوفين فنزلت تلك الصفة الواحدة منزلة الصفات المتعددة للتغاير الاعتباري ولقظة لها صلة ظلت أو خاضعين قدم للفاصلة ومعنى ظلت هنا صارت لا بمعنى ثبت لها ذلك في جميع النهار وإن صح في الجملة.

قوله: (وقيل المراد بها الرؤساء) أي مجازاً مرسلاً والعلاقة الكلية والجزئية وكون المراد رؤساءهم وشرفاءهم إذ العتق من أشراف الأجزاء فيثبت الحكم حينئذٍ لغير الرؤساء بدلالة النص وبالطريق الأولى.

قوله: (أو الجماعة من قولهم جاءنا عتق من الناس لفوج منهم) أو الجماعة وفي نسخة أو الجماعات لما مر من أنه مجاز بعلاقة الجزئية والمراد الجماعة مطلقاً رؤساء أولاً لكن يشبه أن يكون إضافة الشيء إلى نفسه والتفصي جعل الإضافة بيانية ولعل هذا مراد من قال فالمعنى ظلت جماعاتهم أي جملتهم لأنهم^(١) جماعة من الناس فلا إشكال.

قوله: (وقرى خاضعة) أي قرى. فظلت أعناقهم لها خاضعة على الإسناد المجازي فلا يحتاج حينئذٍ إلى التمثل المذكور لكن يخل الفاصلة.

قوله: (فظلت عطف على تنزل عطف واكن على فاصدق لأنه لو قيل أنزلنا بدله لصح) فظلت عطف على تنزل الخ أي عطف عليه في المعنى عطف واكن على فاصدق فإن أكن معطوف على موضع الفاء فإنهم لعلهم يجعلون المصدر المسلول من أن وصلتها مبتدأ محذوف الخبر والجملة جواب شرط مقدر أي إن أخرتني فتصدقني ثابت واكن من الصالحين فالفاء رابطة لا عاطفة فلا إشكال بأنه ليست الفاء وما بعدها هنا في موضع جزم لأن ما بعد الفاء منصوب بأن مضمره وإن والفعل في تأويل المصدر معطوف على مصدر متوهم مما تقدم على ما هو المشهور فإين موضع الجزم كذا بينه الفاضل السعدي هناك مع تفصيل فيه وقيل المنصوب بعد الفاء في غير النفي ينجزم بعد سقوط الفاء تقول في زرتي

خاضعين إلى ضمير الأعناق فيكون مثل رأيتهم لي ساجدين وإنما قال بصفات العقلاء بجمع الصفات والحال أن الصفة واحدة وهي الخضوع باعتبار اتصاف كل عتق من تلك الأعناق بصفة خضوع فالجمع باعتبار أفراد الخضوع الظاهر في آحاد الأعناق وقيل المراد بها الرؤساء وهذا توجيه لإسناده إلى ضمير الأعناق إذ المراد بالأعناق حينئذٍ العقلاء فيصح في صفاتها بهذا التأويل الجمع بالواو والثون وإنما أطلق الأعناق على رؤساء القوم ومقدميهم تشبيهاً لهم بالأعناق في التقدم كما يقال لهم الرؤوس والتواصي والصدور.

فأكرمك زوني أكرمك بالجزم ولهذا يعطف المجزوم على المنصوب بعد الفاء نحو فاصدق واكن من الصالحين وحاصل كلامه إن ظلت معطوف على المضارع الذي لو استعمل ببدله الماضي لكان صحيحاً كما أن اكن معطوف على اصدق على أنه لو قبل اصدق مجزوماً لكان صحيحاً وهذا مراده من التشبيه لا الجزم والنصب كما هو المتبادر منه وإلى ذلك أشار بقوله لأنه لو قبل أنزلنا ببدله أي يدل نزل لصح فيصح عطف الماضي عليه وإنما تمحل في هذا العطف مع أن عطف الماضي على المضارع صحيح لأن ترتب الماضي بالغاء التعقيبية أو السببية غير معقول بل المعقول عكسه فلا بد من تأويل أحد الفعلين فأشار إلى تأويل نزل بأنزلنا فالتقدير إن نشأ أنزلنا على أن المراد بالماضي معناه لا المستقبل كقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتَ قَلْتَهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ [المائدة: ١١٦] ويؤيده قراءة لو شئنا لأنزلنا أيضاً يؤيده أن الواقع في نظائرها كلمة أو مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ﴾ [الأنعام: ٣٥] ولو شئنا لأنينا كل نفس هداها وغيرهما والمشهور في مثله إيراد كان ونحوه إذ كلمة أن للاستقبال فلو أريد الماضي أقحم كلمة كان كقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتَ قَلْتَهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ [المائدة: ١١٦] الآية فالأولى تقدير كلمة كان والمعنى إن كنا نشأ ولو أول ظلت بالمضارع وقد قرئ به كما في الكشف لاندفع الإشكال أيضاً لكن المناسب هنا المعنى الماضي فلذا اختار في التنظيم المعنى الماضي فأول المضارع بالماضي وقيل إن نظر إلى زمان الحكم كان الجواب مستقبلاً فيأول ظلت بتظل كما قرئ به وإن نظر إلى زمان الحكاية يأول نزل بأنزلنا كما قرئ به وهو الذي اختاره الشيخان انتهى ولو قيل إنه وإن كان الجواب مستقبلاً بالنظر إلى زمان الحكم لكنه ماضٍ بالنظر إلى زمان الحكاية واختير زمان الحكاية للإشارة إلى أن نزول تلك الآيات لقوة سلطانه ترتب ما ذكر عليه كأنه كان واقعاً قبلها لم يبعد.



قوله تعالى: وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُتَحَدِّثِينَ إِلَّا كَانُوا عَنْتَهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾

قوله: (موعظة أو طائفة من القرآن) موعظة أسقط من للإشارة إلى أنها صلة إن أريد بالذكر الموعظة قوله أو طائفة من القرآن تنبيه على أن من تبعضية إن أريد به القرآن قدم الأول إذ سبب الإعراض الوعظ لا إتيان القرآن بدون وعظ فهو المراد به أيضاً والتقابل بعموم الأول إلى السنة أيضاً لأنها^(١) من الرحمن أيضاً.

قوله: (يوحى إلى نبيه) يوحى متعلق بآياتهم فلو ذكره قبل قوله من الرحمن لكان أبعد من الاشتباه وإشار الرحمن هنا أوقع لأن فيه إشارة إلى أنه رحمة جسيمة وقد كانوا محرومين عن الانتفاع بها لانهماكهم على التقليد وإصرارهم على الكفر العنيد.

قوله: (مجدد إنزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير) مجدد إنزاله أول به لأن إنزال كل ذكر محدث قوله لتكرير التذكير علة للتجديد إذ تكريره مما يتأثر به القلوب ويندفع به

(١) لأنه عليه السلام ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى غايته أنه وحي غير متلو.

الاعتذار عند الملك العلام الغيوب قوله وتتنوع التقرير أي التثبيت في الأذهان أو الحمل على الإقرار إجمالاً ما فصلناه.

قوله: ﴿إلا كانوا عنه معرضين﴾ استثناء من عموم الأحوال وحال بتقدير قد والمعنى وما يأتيهم من ذكر مبتدأ من الرحمن^(١) في حال من الأحوال إلا وقد كانوا معرضين عنه أي حال كونهم معرضين عنه فيه إشارة إلى أن إعراضهم عقيب إتيانهم بلا تلثم وبلا نظر صائب.

قوله: ﴿إلا جددوا إعراضاً عنه وإصراراً على ما كانوا عليه﴾ إلا جددوا إعراضاً عنه

قوله: إلا جددوا إعراضاً فإن قيل قوله تعالى: ﴿كانوا معرضين﴾ [الشعراء: ٥] لا يدل إلا على المضي ولفظ معرضين لا يدل إلا على الثبوت لا التجدد فمن أين قال المفسر في تفسيره إلا جددوا إعراضاً وأي لفظ أفاد الاستمرار التجديدي قلنا معنى التجدد والاستمرار مستفاد من وقوع المضارع وهو ما يأتيهم مقابلاً للمضي كما اعتبروا الاستمرار التجديدي من وقوع المضارع في حد المضي في قولهم لو تحسن إلي لشكرت قال صاحب المفتاح قصدوا بتحسين أن إحسانه مستمر الامتناع فيما مضى وقتاً فوقتاً وأما لفظة محدث فلتوكيد معنى التجدد المستفاد من يأتيهم في ما يأتيهم من آية قال الطيبي رحمه الله وأما قضية النظم فإن هذه الآية متصلة معنى بقوله تعالى: ﴿طسم تلك آيات الكتاب المبين﴾ [الشعراء: ١، ٢] فإنه تعالى أعلم أولاً أنه أنزل هذا الكتاب الكريم في نهاية من الوضوح والبيان وأنهم ما رفعوا إليه رأساً ثم نه ثانياً على أن هذا الكتاب مع وضوح آياته إنما أنزل على سبيل التدرج ليكون ادخل في التذكير والنجع في الاعتنا به وهم مع ذلك قابلاً كل حصّة منه بتكذيب واستهزاء كل ذلك تسليّة لحيبي لئلا يذهب بنفسه حسرات ولذلك أوقع قوله: ﴿لعلك باخع نفسك﴾ [الشعراء: ٣] الآية اعتراضاً بمعنى انظر إليهم وإلى ما فعلوا بمثل هذا الكتاب الكريم على أنه قادر على أن يقصرهم على الإيمان وهم مهانون خاضعون فاشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على ما فئتك من إسلامهم وأنت أيها المتأمل في كتاب الله المجيد إذا امعنت النظر فيما اشتملت عليه هذه السورة الكريمة وجدته نازلاً تسليّة لقلب الحبيب صلوات الله عليه من تكذيب القوم إياه والظن فيما أنزل عليه والاستهزاء به ألا يرى كيف ذبل كل قصة من القصص المذكورة فيها بقوله: ﴿إن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ [الشعراء: ٩] وجعل كالتخلص إلى قصة أخرى وكالمهتم بشأنه فرجع إليه إذ لو جد له محل يناسبه يعني لا تحسر على إصرارهم على الكفر وتكذيبهم ما أنزلنا عليك إن ربك عزيز منتقم ورحيم عليك بأن يقدر لك من يؤمن بك إن لم يؤمن هؤلاء ولذلك قرن معه وقدم عليه كل مرة قوله: ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ [الشعراء: ٦٧] ومن تسليته تعالى لرسوله ﷺ أن بدأ سبحانه بأمر نفسه وذكر أنه تعالى مع كبريائه وجلاله أنزل عليهم دليل السمع فاعرضوا وكذبوا واستهزؤوا ونصب لهم الدلائل الظاهرة والراهم آيات يفتح بها أعينهم من إنبات كل صنف بهيج فما التفتوا ولا رفعوا له رأساً ثم فصل ذلك بتلك الفاصلة وقرنها بتلك القرينة وثنى بقصة موسى عليه السلام وختمها أيضاً بتلك الفاصلة والقرينة وثالث بقصة الخليل عليه السلام وختمها بها وهلم جرا إلى آخر السورة وقال انظر أيها المتأمل في

(١) إشارة إلى أن من في الرحمن ابتائية.

هذا بالنظر إلى النوع المتحقق في ضمن فرد فرد ويدل عليه قوله وأصروا على ما كانوا عليه فإن الإعراض عن ذكر مجدّد إنزاله قد تحقق قبل إتيانه في ضمن ذكر قبله لأن مدلولهما واحد فإذا أتى ذكر بعده وأعرض عنه ولم يلتفت إليه جدد الإعراض الذي تحقق قبله في ضمن ذكر سابق عليه فلا إشكال بأنه لا يتصور الإعراض عن شيء قبل وجوده وجه دفعه ظاهر مما قررناه .



قوله تعالى : فَقَدْ كَذَّبُوا قَسِيَاتِهِمْ اَتَكُوْلًا مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾

قوله : (أي بالذكر) إن أريد به القرآن فالتكذيب ظاهر وإن أريد به الموعظة فتكذيبها إما راجع إلى تكذيب القرآن أو السنة .

قوله : (بعد إعراضهم وأمعنوا في تكذيبه بحيث أدى بهم إلى الاستهزاء به المخبر به عنهم ضمناً في قوله : ﴿فسياتهم﴾ [الشعراء : ٦]) بعد إعراضهم هذا مقتضى الفاء فالأولى عقيب إعراضهم بدل بعد إعراضهم أي كذبوا بالمقال واللسان عقيب تكذيبهم بالإعراض والجنان وفيه إشارة إلى شدة شكيتهم حيث لم يكتفوا بالإعراض الذي تكذيب فعلي بل تجاسروا على التكذيب بالقول الذي يتضمن الاستهزاء ولذا قال وأمعنوا أي بالغوا فيه حيث ضموا التكذيب بالقول إلى التكذيب بالفعل قاصدين الاستهزاء وفي الكشف^(١) كأنه قيل حين أعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا به فقد خف عندهم قدره وصار عرضة للاستهزاء والسخرية باختلاف الألفاظ وهي الإعراض والتكذيب والاستهزاء لاختلاف الأغراض فعلم من مجموع ذلك أن الفاء في قوله تعالى : ﴿فسياتهم﴾ [الشعراء : ٦]

كتاب الله المجيد المستخرج للطائفة من قعر بحره الملتقط لدره بغوص فكره إلى رفعة منزلة سيدنا محمد صلوات الله عليه ونباهة قدره كأن التنزيل بجملة نازل لتسكين نادرته وتسلي حزنه وتثيت خلده ورباط جأشه وتهذيب أخلاقه وإرشاد أمته مع مراعاة ألفاظ التلويع والتعريض والرمز قوله أي كذبوا بالذكر بعد إعراضهم معنى البعدية مستفاد من الفاء التعقيبية في فقد كذبوا كأنه قيل حين أعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا به فقد خف عندهم قدره وصار عرضة للاستهزاء والسخرية لأن من كان قاتلاً للحق مقبلاً عليه كان مصداقاً به لا محالة ولم يظن به التكذيب ومن كان مصداقاً به كان موثقاً له .

قوله : وأمعنوا في تكذيبهم بحيث أدى بهم إلى الاستهزاء به يعني تدرجوا حالاً بعد حال أعرضوا أولاً عن الذكر وكذبوه ثانياً وتوغلوا في التكذيب حتى أدى تكذيبهم إلى الاستهزاء به فالاستهزاء نتيجة التكذيب المسبب عن الإعراض فالفاء في قوله فسياتهم سببية وهي فاء نصيحة لأن مدخولها وعيد للمستهزئ والوعيد مسبوق بحصول الاستهزاء فكان المعنى أعرضوا فكذبوا واستهزؤوا ﴿فسياتهم أبناء ما كانوا به يستهزئون﴾ .

(١) قال في الكشف فإن قلت كيف خولفوا بين الألفاظ والفرض واحد وهي الإعراض والتكذيب والاستهزاء قلت إنما خولف بينها لاختلاف الأغراض كأنه قيل حين أعرضوا عن الذكر إلى آخر ما ذكر في أصل العاشية .

للعطف على كذبوا ولا حاجة إلى أن يقال إن الغاء فصيحة تقديره^(١) فقد كذبوا واستهزؤوا.
 قوله: (أي إذا مسهم عذاب الله يوم يدر أو يوم القيامة) إذا مسهم الخ أشار إلى أن المراد بالإنباء الإنبياء بالفعل دون الإنبياء بالقول والأول أقوى وإن كان مجازاً بجامع الظهور قوله أو يوم القيامة أو لمنع الخلو قدم الأول لوقوعه مقدماً وإن كان كالمعدوم في جنب العذاب في الآخرة ولقد تفنن في البيان حيث قال في سورة الأنعام عند ظهور الإسلام وارتفاعه وهنا قال إذا مسهم الخ وهما متغايران وإن تلازما.

قوله: (من أنه كان حقاً أم باطلاً وكان حقيقاً بأن يصدق ويعظم قدره أو يكذب فيستخف أمره) من أنه كان حقاً الخ بيان الإنبياء على وجه الإنصاف المسكت للخصم الألد الشاغب وإلا فإنبأوه أنه كان حقاً وأنه جدير وواجب أن يصدق به.



قوله تعالى: أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَرُنَاتًا فِيهَا زَيْجٌ كَرِيمٌ

قوله: (أو لم ينظروا إلى عجائبها) أو لم ينظروا فسر به لتعديدة الرؤية بإلى قوله إلى عجائبها من فهم من قوله كم أنبأنا والظاهر أنه بتقدير المضاف تقدير هذا أكذبوا ولم ينظروا إلى العجائب^(٢) التي أودعت في الأرض الهمزة الاستفهامية لإنكار الواقع للتوبيخ والاكتفاء بالأرض هنا لقربها إليهم ومشاهدتهم عجائبها بالعيان.

قوله: (كم أنبأنا) كم الخبرية للتكثير صيغة أنبأنا لتغليب الموجود على المعدوم أو لتزليل المنتظر منزلة الواقع وجملة كم أنبأنا بيان للعجائب المودعة في الأرض.

قوله: (صنف) إشارة إلى أنه ليس المراد بالزوج هنا معناه المتعارف وهو أحد القرنيتين من ذكر وأنثى بل المراد أصناف وأنواع سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض نقل عن الراغب أنه قال إنه يطلق عليه لتركبه انتهى والظاهر أن الإطلاق حقيقة.

قوله: (محمود^(٣) كثير المتفعة وهو صفة لكل ما يحمد ويرضى) محمود كثير المتفعة

قوله: من أنه كان حقاً أو باطلاً لفظة من بيانية والمقصود بيان الإنبياء لا بيان ما ﴿في ما كانوا به يستهزئون﴾ أي قسائيتهم أنبأوه وأحواله التي كانت خافية عليهم فسيعلمون حيثئذ أمر حق أم باطل وحقيق بالتصديق والتعظيم أم لا أي سوف يثبتون عن حال ما كذبوا واستهزؤوا به ح بما هو الحق فيه.

قوله: محمود كثير المتفعة معنى الكثير مستفاد من صيغة المبالغة في الكرم.

قوله: وهو صفة لكل ما يحمد ويرضى في باب يقال وجه كريم إذا رضي في حسنه وجماله وكتاب كريم أي مرضي في معانيه وقوائده قال حتى يشق الصفوف من كرمه أي من كونه مرضياً في شجاعته والنبات التكريم هو المرضي فيما يتعلق به من المنافع.

(١) كما ذهب إليه ابن كمال باشا.

(٢) إشارة إلى أن إضافة العجائب إلى الأرض بمعنى في أو لأدنى ملاعبة.

(٣) الأولى ممدوح بدل محمود.

قال في سورة الحج والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله فهو حقيقة في كل نوع قوله هنا وهو صفة الخ إشارة إلى ما ذكره في سورة الحج .

قوله: (وهنا يحتمل أن تكون مقيدة) أي للصف بتخصيصه بما ذكر فخرج ما ليس كذلك من الأصناف .

قوله: (لما يتضمن الدلالة على القدرة) لما يتضمن أي الكريم الدلالة على القدرة أي على البعث لأن مفعول كذبوا المقدرة في أو لم ينظروا هو البعث وإن احتمل العموم والمراد بالدلالة الزائدة في الظهور على القدرة الكاملة وإلا فكل ما ثبت دال على القدرة وأيضاً فيه بيان النعمة الجسيمة والزوج الكريم من أعظم النعم فكونه للتقييد والتخصيص أولى .

قوله: (وأن تكون مبينة منبهة على أنه ما من نبت إلا وله فائدة إما وحده أو مع غيره) وأن تكون مبينة أي موضحة لا مخصصة فيتناول كل ما نبت إذ ما من نبت إلا وله فائدة الخ فيكون كله كريماً بهذا المعنى والكريم بهذا المعنى أعم قوله أو مع غيره كالنبت المر فإن له فائدة مع الحلو المزبل لمرارته .

قوله: (وكل لإحاطة الأزواج وكم لكثرتها) وكل لإحاطة الأزواج بحيث لا يشذ منها

قوله: (وهنا يحتمل أن تكون مقيدة لما تتضمن الدلالة على الكريم هنا يحتمل أن يكون صفة مقيدة للزوج بما يتصف بالكرم والنفع من أنواع النباتات ليخرج منها ما هو ضار غير نافع لأن الآية أو صفة الكرم متضمنة للدلالة على قدرة الله تعالى والقدرة في النافع أظهر وما في لما تتضمن مصدرية وضمير الفاعل في تتضمن راجع إلى الآية أو الصفة والأول أنسب .

قوله: (وأن يكون مبينة منبهة على أنه ما من نبت إلا وله فائدة أي ويحتمل أن لا يكون الكريم صفة مقيدة ويدخل فيها جميع النبات نافعه وضاره ويصفها جميعاً بالكرم تنبيهاً على أنه تعالى ما أنبت شيئاً إلا وفيه فائدة لأن الحكيم لا يفعل فعلاً إلا لحكمة بالغة وغاية صحيحة وعاقبة حميدة وإن غفل عنها الغافلون ولم يتوصل إلى معرفة كنهها العاقلون فيكون الكريم صفة مباحة كما أنه على الأول فارقة .

قوله: (وكل لإحاطة الأزواج وكم لكثرتها أي الفائدة في الجمع بين لفظي كم وكل أن في لفظة كل دلالة على الإحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل وفي لفظة كم دلالة على أن هذا المحيط متكاثراً قال صاحب الانتصاف فعلى هذا يكون المراد بالتكثير المستفاد بكم تكثيراً لأنواع والظاهر أن المراد به تكثير آحاد الأزواج لا الأنواع فلو اسقطت كلا وقلت انظر إلى الأرض كم أنبت الله فيها من الصنف الفلاني لكانت مكثراً آحاد ذلك الصنف فإذا ادخلت كلا أذنت بتكثير آحاد كل صنف لا آحاد صنف معين وقال الطيبي هنا صور ثلاث أحدها أنبتنا فيها من زوج فالكثرة في آحاد صنف واحد لا في آحاد كل صنف وثانيها «أنبتنا فيها من كل زوج» [الشعراء: ٧] فليس فيها إلا استيعاب الأصناف وثالثتها ما عليه التلاوة فكل لإحاطة جميع الأصناف وكم لكثرة أفراد كل صنف من تلك الأصناف أي صنف كان فعلى هذا يكون قول القاضي رحمه الله وكم لكثرتها منظوراً فيها لأن الضمير في قوله لكثرتها راجع إلى الأزواج

فرد من أصناف غرضه دفع توهم التكرار أي لا تكرر فيه إذ الفرق بين الكثرة والشمول واضح وأحدهما لا يغني عن الآخر والمعنى أنبتنا شيئاً كثيراً هو كل زوج فمن بيانية أو شيئاً كثيراً من كل زوج فمن ابتدائية أو المراد كثرة أفراد كل صنف فمن تبعية لكن كثرة الأنواع أدل على القدرة إلا أن يقال لما كان المراد كثرة أفراد كل صنف يستلزم كثرة الأنواع فكم لتكثير الأفراد وكل لإحاطة الأصناف وهذا الاحتمال راجح.

قوله تعالى: **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴿٨﴾

قوله: (أي في إنبات تلك الأصناف أو في كل واحد على أن منبتها^(١)) تام القدرة والحكمة وسابغ النعمة والرحمة) أي في إنبات تلك الأصناف يعني المشار إليه الإنبات ولذا أفرد اسم الإشارة وكون المشار إليه أزواجاً وتوحيد اسم الإشارة لاتحادها في المقصود كان الكل آية واحدة تكلف وإن كان وجهاً صحيحاً كما مر مثله في ﴿واجعلنا للمتقين إماماً﴾ [الفرقان: ٧٤] على أنه لا يكون المشار إليه أزواجاً بل زوجاً لأن المفرد الداخل عليه حرف الاستغراق بمعنى كل فرد لا مجموع الأفراد واسم الإشارة بعدها يكون مفرداً كالضمير والصفة فإنه امتنع وصفه بالجمع^(٢) فالإنبات في كلام المص إما بمعنى المصدر أو الحاصل بالمصدر وهو المنبت هذا هو الظاهر إذ الآية الممكن الحادث وأما إيجاده فكونه آية غير متعارف وإن كان صحيحاً فإن الاستدلال بالأمور الموجودة الممكنة.

قوله: (في علمه وقضائه) توجيه لصيغة الماضي ولو كان المراد إخبار حالهم في الواقع لقل وأكثرهم كافرون^(٣) والقول بزيادة كان ضعيف^(٤) وعلم منه أيضاً أن حالهم في

والمراد بها الأصناف هذا فائدة الجمع التكميل إذ لو اقتصر على أحدهما لم يعلم المعنى الآخر.

قوله: أن في إنبات تلك الأصناف أو كل واحد منها لآية على أن منبتها تام القدرة والشريد بأو إشارة إلى جواب سؤال عسى يورد هنا وتقرير السؤال أن الكثرة المستفادة من كلمتي كم وكل تقتضي أن يقال الآيات على صيغة الجمع دون آية على صيغة الوحدة فأجاب رحمه الله بوجهين أحدهما أن يكون ذلك إشارة إلى مصدر أنبتنا فكانه قال إن في ذلك الإنبات لآية عظيمة على كمال قدرة الله تعالى وثانيهما أن يكون إشارة إلى كل واحد من تلك الأزواج فالمعنى أن في كل واحد منها لآية فهو مثل قوله في هذه السورة: ﴿إنا رسول رب العالمين﴾ [الشعراء: ١٦] والمعنى أن كل واحد منا رسول رب العالمين وعلى كل من الوجهين تنكير آية للتعظيم كما أشار إليه أي إلى كون التنكير للتعظيم صاحب الكشف بقوله فكانه قال إن في ذلك الإنبات آية أي آية.

(١) الأولى خالفها وموجدها إذ إطلاق المنبت عليه تعالى ليس بمعلوم من الشرع.

(٢) وتام البحث في المطول في قوله ولا تنالي بين أفراد الاسم.

(٣) أشار إلى أن القليل منهم مؤمنون فظهر ضعف ما قيل في صدر السورة من أن المراد منهم من كان في علم الله تعالى كافراً على إطلاقه.

(٤) لظهور فائدته فلا صحة لزيادته.

الواقع الكفر لا متنازع وقوع خلاف علمه تعالى ولما كان تعلق علمه تعالى بفعل العبد أو تركه أنه يفعله أو يتركه باختياره فلا جبر والمص لم يدع أن علمه تعالى وقضائه مانعان من الإيمان بل نبه على وجه إبراده بصيغة الماضي ونظيره في الإثبات مثل قوله تعالى: ﴿إِنْ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ [النبا: ١٧] الآية ونظائره كثيرة والاعتراض عليه بأن علمه تعالى ليس علة لعدم إيمانهم لأن العلم تابع للمعلوم لا بالعكس مدفوع بأن معنى كون علمه تعالى تابعاً للمعلوم أن علمه تعالى في الأزل بمعلوم معين حادث تابع لماهيته بمعنى أن خصوصية العلم وامتيازه عن سائر المعلوم إنما هو باعتبار أنه علم بهذه الماهية وأما وجود الماهية وفعليتها فيما لا يزال فتابع لعلمه الأزلي التابع لماهيته بمعنى أنه تعالى لما علمها في الأزل على هذا الخصوصية لزم أن يتحقق ويوجد على هذه الخصوصية فيما لا يزال فلا جبر ولا يطل قاعدة التكليف لأنه تعالى يعلم مثلاً أن زيداً يفعل باختياره كذا لكون زيد في نفسه كذا وهذا محقق للاختيار لا مناف له فنفس موتهم على الكفر وعدم إيمانهم متبوع لعلمه الأزلي ووقوعه تابع له فاحفظ هذا فإن أكثر^(١) الناس عنه غافلون.

قوله: (لذلك لا يتفهم أمثال هذه الآيات العظام) لما عرفت من أن وقوع خلاف معلومه محال قوله أمثال هذه الآيات الخ شاهد على ما ذكرناه من أن المراد بالإنبيات المنبت وهو الزوج والجمع للدلالة الكل على الافراد ولو على طريق البديلة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا رَيْكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾

قوله: (الغالب القادر على الانتقام من الكفرة حيث أمهلهم أو العزيز في انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وآمن) الانتقام من الكفرة تخصيص الكفرة لبيان ارتباطه لما قبله وذكر الرحيم للتنبيه على أن عدم تعجيل الانتقام لكونه رحمة سابقاً على غضبه وفي جمعهما صنعة طباق وقدم العزيز لرعاية الفاصلة وقيل لأن ما قبله بيان القدرة والغالب تفسير العزيز وإطلاقه ثابت بالنص^(٢) قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ [يوسف: ٢١] الآية.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكَ بِهِ مُمَسِّكٌ أَنْ أَنْتَ الْقَوِيُّ الْغَلِيظُ﴾

قوله: (مقدر بذكر) على أنه مفعول فيه لأنه لازم الظرفية عنده كما صرح به في سورة البقرة والمفعول به محذوف تقديره واذكر الحادث في وقت كذا وهو ابتداء كلام

قوله: مقدر بذكر أو ظرف لما بعده فيكون إذ على الأول مفعولاً به لا ذكر أي اذكر وقت نداء ربك لموسى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ [الشعراء: ١٠] الآية وعلى الثاني مفعولاً فيه لقال في قوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ [الشعراء: ١٢] أي قال موسى في وقت نداء ربك إياه ﴿رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾.

(١) بل أكثر العلماء عنه غافلون.

(٢) ولم ندر وجه ما قيل قوله الغالب تفسير العزيز لا وصف لله تعالى حتى يقال لم يستمع إطلاقه على الله تعالى انتهى قال تعالى ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ ولكن أكثر الناس لا يعلمون [يوسف: ٢١].

مسوق لتسليية الرسول عليه السلام وقيل إنه عطف على مقدر آخر أي خذ الآيات أو ترقب إتيان أنبياء ما كانوا به يستهزئون والجملة المقدرة جملة ابتدائية فلتكن هذه الجملة ابتدائية وأما كونه عطف قصة^(١) على قصة فبعيد.

قوله: (أو ظرف لما بعده) وهو قال إني أخاف وهذا يؤيد ما ذكرناه من أنه ظرف لا ذكر المقدر لا مفعول به أي ظرف لما بعده كما أنه ظرف للنداء على أن المراد الوقت المتسع وهو ظرف لقال معنى حين تعلقه بأذكر.

قوله: (أي انت أو بأن انت بالكفر واستبعاد بني إسرائيل وقتل أولادهم) أي انت أشار إلى أن ان تفسيرية وعلى الثاني مصدرية بتقدير حرف جر قبلها قدم الأول لسلامته عن الحذف وأيضاً منع البعض دخول إن المصدرية على الأمر فهي تفسيرية عنده في كل موضع والمعنى على المصدرية ﴿وَوَادَى رَبِّكَ مُوسَى﴾^(٢) [الشعراء: ١٠] بالإتيان أو بأن قلنا له انت قوله وقتل أولادهم الأولى وقتل أبنائهم.

قوله تعالى: قَوْمٌ فُرْعَوْنَ إِلَّا يَنْفِقُونَ ﴿١١﴾

قوله: (بدل من الأول أو عطف بيان له) بدل من الأول بدل الكل للتفريغ والتوضيح ولما لم يظهر الفرق بينه وبين عطف البيان كما نقل عن الشيخ الرضي قال أو عطف بيان وكون البدل هو المقصود بالنسبة والأول في حكم التنحية ليس بكلي كما في المطول فمألفهما واحد وترجيح الثاني مخالف لتقديم المعص البدل ولا يكون وصفهم بالظلم في حكم التنحية في البدل كما في عطف البيان.

قوله: أي انت أو بأن انت إشارة إلى احتمالي كون أن مفسرة ومصدرية.

قوله: بالكفر واستبعاد بني إسرائيل وذبح أولادهم قال الزمخشري في الكشف سجل عليهم بالظلم بأن قدم القوم الظالمين ثم عطفهم عليهم عطف البيان كان معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكأنهما عبارتان تعنيان على مؤدى واحد إن شاء ذاكرهم عبر عنهم بالقوم الظالمين وإن شاء عبر بقوم فرعون وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين من جهة ظلمهم وشرارتهم ومن جهة ظلمهم لبني إسرائيل باستبعادهم لهم.

قوله: ولعل الاختصار على القوم للعلم بأن فرعون أولى بذلك يعني أن القصد الأصلي من إرسال موسى دعوة فرعون إلى الدين الحق لأنه اعتناهم كفرةً وظلماً فمقتضى الظاهر أن يقال انت فرعون وقومه لكن اقتصر على ذكر قومه وترك ذكر فرعون مع كونه مقصوداً أصلياً من إرسال موسى عليه السلام للعلم بأن فرعون أولى بذلك أي بالإتيان إليه للدعوة لشهرته بفرط العتو وغاية

(١) فإن في عطف الفصية على القصص يشترط كون الغرض المسوق لهما متناسباً وهنا غير ظاهر ولو اكتفى بأدنى المناسبة لأمكن في كل موضع والتزامه مشكل.

(٢) أشار بذلك إلى أن معنى الأمر حين دخول أن المصدرية عليه ليس يباقي أو معناه يباقي بإضمار القول فاحفظ هذا فإن هذا جار في كل موضع أشار إليه المعص في أوائل سورة نوح.

قوله: (ولعل الاقتصار على القوم للعالم بأن فرعون أولى بذلك)^(١) أي ثبت الأمر بالإتيان إلى فرعون بدلالة النص فالإقتصار في العبارة لا في المراد وفي هذا الاقتصار تنبيه على أن ظلم فرعون إشد لكن هذا علة مصححة فإن في موضع آخر اقتصر على فرعون حيث قيل اذهب إلى فرعون إنه طغى وسيأتي فأتيا إلى فرعون^(٢) وهذا وإن خالف ما في مواضع آخر لفظاً فهو طيقه في المقصود ويشير إليه النص في سورة القصص.

قوله: (استثناف اتبعه إرساله إليهم) استثناف أي استثناف نحوي غير داخل تحت النداء اتبعه تعالى إرساله لما ذكره النص وقيل استثناف بياني بتقدير ما أقول إذا جئتهم وأنت خير بأن حق الكلام الخطاب^(٣) إذ الكلام حيثل بالمشاهدة.

قوله: (الإنذار تعجيباً له) مستفاد من التعبير بالقوم الظالمين فإن الأمر بالإتيان إليهم ليس إلا للإنذار قوله تعجيباً له أي لموسى عليه السلام أي الهمزة الاستفهامية^(٤) للتعجب لاستحالة التعجب منه تعالى.

قوله: (من إفراطهم في الظلم واجترأهم عليه) الإفراط متفهم من ﴿ألا يتقون﴾ أي عن الظلم وعدم الاتقاء عنه إفراط فيه وجسارتهم من غير مبالاة عليه.

قوله: (وقرىء بالثناء على الالتفات إليهم زجراً لهم وغضباً عليهم وهم وإن كانوا غيباً

الكفر حتى انتهى أمره في الكفر إلى دعوى الألوهية فكان كأنه مذكور بدلالة الحال.

قوله: استثناف اتبعه إرساله إليهم للإنذار تعجيباً له من إفراطهم في الظلم أي اتبع الله تعالى قوله: ﴿ألا يتقون﴾ [الشعراء: ١١] قوله: ﴿أنت القوم الظالمين﴾ [الشعراء: ١٠] تعجيباً لموسى من إفراطهم في ظلمهم فكانه قيل يا موسى إما انتهى تماديهم في الظلم وإما بلغ زمان إنذارهم وأو أن تخويفهم بأبامي وهي أيام الآخرة وعقابي فيتقون ما أعجب حالهم في الظلم قال صاحب الفرائد يمكن أن يقال في الغيبة أنت قوم فرعون قاتلاً قولي لهم ألا يتقون كقوله تعالى: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾ [البقرة: ١٨٦] أي فقل لهم إني قريب ومبلغاً قولي وكذا في قراءة كسرة النون وفي الخطاب قاتلاً لهم ﴿ألا تتقون﴾ قال الزمخشري ويحتمل أن يكون حالاً من الضمير في الظالمين أي يظلمون غير متقين الله وعقابه فأدخلت همزة الإنكار على الحال.

قوله: وقرىء بالثناء على الالتفات زجراً لهم وغضباً عليهم وفي الكشف وأما من قرأ ﴿ألا تتقون﴾ على الخطاب فعلى طريقة الالتفات وجههم وضرب وجوههم بالإنكار والغضب عليهم كما ترى من يشكون من ركب جنابة إلى بعض أخصاصه والجاني حاضر فإذا تدفع في الشكاية وحر مزاجه وحمي غضبه قطع مبادئه وأقبل على الجاني يوبخه ويعنف به ويقول له ألم تنق الله ألم تستحي من الناس.

(١) أولى بذلك أي بالآتيان لأنه منشأ الإحلال أو بالوصف بالظلم.

(٢) وقيل قوم فرعون شامل له كشمول بني آدم له.

(٣) وفي الكشف ويحتمل أن يكون ﴿ألا يتقون﴾ حالاً من الضمير في الظالمين أي يظلمون غير متقين الله عقابه فأدخلت همزة الإنكار على الحال هذا بناء على أن الفصل بقوله قوم فرعون ليس بأجنبي وأعمال قبل الهمزة فيما بعدها جائز للتوسع في الهمزة وكلاهما منظور فيه.

(٤) وقيل إلا للعرض ولا استفهام فيه.

حيثئذ أجروا مجرى الحاضرين) على الالتفات إليهم وفيه دلالة على أن المراد بالاستئفاف استئفاف نحوي إذ لو كان معانياً لكان الخطاب في موقعه إذ الخطاب في وقت الإتيان كما قرره فلا يلزمه قوله وهم وإن كانوا غيباً الخ لأن غيبتهم وقت النداء لا وقت المجيء.

قوله: (في كلام المرسل إليهم من حيث إنه مبلغه إليهم وإسماعه مبدأ إسماعهم) في كلام المرسل إليهم الكلام مصدر مضاف إلى المفعول أي في تكليم الله تعالى من أرسله إليهم وهو موسى عليه السلام من حيث إنه مبلغه^(١) إليهم بصيغة اسم الفاعل وإسماعه أي من أن إسماعه مبدأ إسماعهم يعني نزل موسى عليه السلام منزلتهم فخطوبوا وهذا مراده ولا يخفى ما فيه إذ في مثل هذا^(٢) الالتفات لا يحتاج إلى هذا التحمل على أنه عليه السلام واحد والخطاب بالجمع يحتاج إلى التغليب مع ركافة خطابه بعدم التقوى وإن كان تنزيلاً له منزلتهم ففي كل موضع يراد الزجر وإظهار قرط الغضب يصار إلى الالتفات فإنه أدخل في الزجر كما تشكوا جنابة جان حاضر عندك لآخر فإذا حمى غضبك أقبلت على الجاني تقول أما تخاف الله تعالى أما تستحيي من الناس وهذا من شعب البلاغة ولا يحتاج إلى التنزيل المذكور كما لا يخفى على من تتبع مواضع الالتفات.

قوله: (مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتأمل مودده) مع ما فيه أي في الالتفات وكذا سائر الضمائر أدخل مع للإشارة إلى أن هذا الحث^(٣) هو الأصل والزجر

قوله: وهم وإن كانوا غيباً حيثئذ أجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل إليهم يعني نكتة الالتفات إلى الخطاب لا تتصور إلا عند حضور المخاطبين وهم ما كانوا حاضرين عند تكلمه لموسى عليه السلام وأمره بالاتيان إليهم للدعوة إلى الحق فقال رحمه الله في توجيهه وهم وإن كانوا غائبين حيثئذ أي حين إرساله إلى قوم فرعون لكن أجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل إليهم أي في كلامه تعالى للمرسل إليهم وهو موسى عليه السلام أي في تكليم المرسل إليهم فإضافة الكلام إلى المرسل إليهم من إضافة المصدر إلى مفعوله والأظهر من هذا ما في الكشف حيث قال فإن قلت فما فائدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى عليه السلام في وقت المناجاة والمثلث إليهم غيب لا يشعرون قلت إجراء ذلك في تكليم المرسل إليهم في معنى إجرائه بحضرتهم والقاءه إلى مسامعهم لأنه مبلغه ومنهائه بين الناس وله فيه لطف وحث على زيادة التقوى.

قوله: مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتأمل مودده يعني أن في ألا يتقون

(١) التفسير في قوله مبلغه للكلام يعني أنه إذا بلغهم به خاطبهم كذا قيل.

(٢) وفي الكشف فإن قلت فما فائدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى عليه السلام في وقت المناجاة والمثلث إليهم غيب لا يشعرون قلت إجراء ذلك في تكليم المرسل إليهم في معنى إجرائه بحضرتهم والقاءه إلى مسامعهم لأنه مبلغه ومنهائه وتأثره بين الناس.

(٣) وفي الكشف وفيه لطف وحث على زيادة التقوى وكم من آية أنزلت في شأن الكافرين وفيها أوفر نصيب للمؤمنين تدبراً لها واعتباراً بموددها انتهى وغير المعص فذكر لمن تدبره وتأمل مودده بدل للمؤمنين كأنه أراد التعميم إلى المؤمن والكافر لكن التأمل والتدبر شأن المؤمنين.

وإظهار الغضب من مستتبعاته لأن هذا مراد مع الغيبة لأن همزة الاستفهام للتعجب والتعجب من عدم الالتقاء يستلزم الحث على التقوى وقيل مزيد الحث إشارة إلى الاشتغال بقراءة الغيبة على الحث لأن كلمة إلا للعرض ولا يخفى أن هذا يخالف مذاق المص حيث قال تعجب له إشارة إلى أن الهمزة للاستفهام وكلمة لا للنفي وإن كان هذا الوجه صحيحاً في نفسه قوله لمن تديره لكونه متفعلاً به ومورده هنا هو مقام الغضب.

قوله: (وقرىء بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الإضافة) اكتفاء بها يعني كان الأصل يتقونني بالنونين وياء المتكلم فحذف نون الوقاية وحذف الياء لاجتماع النونين^(١) والاكْتفاء بالكسرة عن ياء المتكلم وهذا مراد المص بياء الإضافة.

قوله: (ويحتمل أن يكون بمعنى ألا يا ناس اتقون كقوله ألا يا اسجدوا) بمعنى ألا يا ناس اتقون^(٢) فحذف المنادى وأوصل حرف النداء الفعل محذوفاً منه الألف عبارة لاجتماع الساكنين ورسمه حيثل بإسقاط الألفين مخالف للقياس والقياس الرسم مثل يا اسجدوا أعني يا اتقون لأن ما بعده فعل أمر مثل اسجدوا ولا يخفى عليك ما في هذا الاحتمال من التسفس والاضطراب.

قوله تعالى: قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَبْدُلُنِي لِيَاسِي فَارْسِلْ لِي

هٰنُوۡةً ﴿١٣﴾

قوله: (قال) أي موسى استئناف رب أي يا رب إني أخاف أكده للابتهاج والتضرع ويضيق صدري عطف على أخاف جزم عليه السلام في هذين الأمرين لسبق التجربة في

على القراءة بالياء على الغيبة حثاً على التقوى أيضاً لأن في كلمة إلا في معنى العرض لكن في الخطاب به زيادة حث عليه لما أن في خطاب المشافهة جيباً لهم وضرباً في وجوههم بالإنكار وفي الكشف وكم من آية أنزلت في شأن الكافرين وفيها أوفر نصيب للمؤمنين تديراً لهم واعتباراً بموردها.

قوله: وقرىء يتقون بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الإضافة والأصل يتقونني فحذفت الياء اكتفاء بكسرة النون عنها كما في ﴿والليل إذا يسر﴾ [الليل: ٤].

قوله: ويحتمل أن يكون بمعنى ألا يا ناس اتقون كقوله: ﴿ألا يسجدوا﴾ [النمل: ٢٥] هذا من باب حذف المنادى وحق الكتابة أن يكتب هكذا ألا يا اتقون وألا يا اسجدوا ولكن في إمام المصاحف كتباً متصلين كما قرأنا على الوصل ونحوه قول الشاعر:

ألا يا أسلمي يا دار مي على الجلا

أي ألا يا دار فحذف المنادى.

(١) واجتماع المثلين فيه نوع ثقل فحذف إحدى النونين لزوم التخفيف.

(٢) وعلى هذا يكون معمولاً للقول المقدر.

مثل هذا الشأن بخلاف التكذيب فإنه غير معلوم وغايته خوفه هذا في قراءة الجمهور وسيجيء قراءة يعقوب .

قوله: (رتب استدعاء ضم أخيه إليه وإشراكه له في الأمر على الأمور الثلاثة خوف التكذيب وضيق القلب انفعالاً عنه) الترتيب معنى الفاء إذ الدعاء بإرسال جبريل إلى هارون عليهما السلام مسبب عن هذه الأمور الثلاثة المترتبة^(١) فإن التكذيب مسبب لضيق القلب وهو سبب لعدم انطلاق اللسان وفي كلام المعص إشارة إليه قوله وضيق القلب انفعالاً عنه أي المراد بالصدر القلب لأنه محله والباعث لذلك المبالغة حتى يتجاوز الضيق إلى الصدر وعن هذا ﴿قال رب اشرح لي صدري﴾ [طه: ٢٥] للمبالغة في الشرح قوله ضم أخيه إليه لم يذكر في هذه الآية صريحاً كون هارون أخاه والضم إليه لكن لكونه مذكوراً في سورة طه اعتبره هنا إذ القرآن يفسر بعضه بعضاً ويمكن أن يقال إنه منفهم من الفحوى وإشراكه له أي على وجه كونه وزيراً في الأمر أي في أمر النبوة قوله مست الحاجة إلى معين الخ إشارة إلى ما ذكرناه قوله انفعالاً عنه أي عن التكذيب إشارة إلى أن الضيق مسبب عن التكذيب كما ذكرناه .

قوله: (وازدیاد الحبسة في اللسان) هذا ميل إلى القول بعدم زوال العقدة بالكلية حيث قال وازدياد الحبسة ولم يقل والحبسة هذا إذا كان بعد دعائه عليه السلام ﴿رب اشرح لي صدري﴾ [طه: ٢٠] الآية وأما إذا كان قبله فالأمر واضح .

قوله: رتب استدعاء ضم أخيه إليه أي رتب موسى عليه السلام طلب ضم أخيه إليه بالفاء حيث قال فأرسل إلى هارون فإن معنى إرسال هارون إليه ضمه إليه وجعله مقروناً معه للمعونة وإشراكه له في أمر الدعوة ويدل على أنه المراد به حكاية قوله في موضع آخر حيث قال ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدد به أزري واشركه في أمري﴾ [طه: ٢٩ - ٣٢] قوله على الأمور الثلاثة متعلق بربط وقوله خوف التكذيب وضيق الصدر وازدياد الحبسة في اللسان بيان للأمر الثلاثة التي رتب الاستدعاء عليها وهذا على تقدير رفع ضيق ولا ينطلق عطفاً على أخاف وأما على تقدير نصبهما عطفاً على ما في حيز أن يكون المرتب عليه شيئاً واحداً وهو خوف الأمور الثلاثة التي هي التكذيب وضيق الصدر وانحباس اللسان المدلول عليه بقوله ﴿ولا ينطلق لساني﴾ وإنما قال وازدياد الحبسة والمفهوم من ﴿لا ينطلق لساني﴾ نفس الحبسة لا ازديادها لأن في لسان موسى عليه السلام حبسة ما فخاف عند ملاقة فرعون أن تزداد تلك الحبسة قوله لأنها إذا اجتمعت إلى آخره علة رتب أي لأن هذه الأمور الثلاثة إذا اجتمعت احتجج إلى معين قوله ولا ينشر الانتشار انفعال من البتر وهو القطع أي لا ينقطع حجته باعتراء الحبسة على لسانه المخجل لاداء الرسالة وأمر الدعوة قوله وليس ذلك تعللاً منه أي ليس قوله: ﴿رب إني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني﴾ [الشعراء: ١٢] تعللاً منه بل قال ذلك طلباً من الله تعالى معونة على امتثال الأمر قوله وتمهيد عذر فيه أي في امتثال الأمر .

(١) إذ لا بد في الترتيب المذكور من فائدة والقائمة هنا الترتيب في الواقع كأنها مذكورة بالقاء .

قوله: (بانقباض الروح إلى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لأنها إذا اجتمعت مست الحاجة إلى معين يقوي قلبه وينوب منابه) بانقباض الروح متعلق بازدياد الحسبة لما مر من أن الحسبة نفسها بعدم زوال العقدة والمراد بالروح الشعاع الخارج من القلب المنتشر المسمى بالروح الحيواني الذي يتحرك به العضلات عند ضيقه متعلق بانقباض الروح والمراد بضيقه الغم المقتضي لرجوع الروح وانتفاضه قوله بحيث لا ينطلق اللسان على وجه يفيد تمام البيان قوله لأنها إذا اجتمعت الخ متعلق يرتب لتثويره.

قوله: (متى يعثره حسبة حتى لا يخلت دعوته ولا يثتر حجته) متى يعثره حسبة هذا يؤيد زوال العقدة يكمالها وهو مختار البعض فأشار إلى القولين في الموضعين^(١) وتفصيل العقدة التي في لسان موسى عليه السلام وزوالها في تفسير قوله تعالى: ﴿قال رب اشرح لي صدري﴾ [طه: ٢٠] الآية ولا يثتر أي لا ينقطع البئر القطع فعلم مما ذكرناه أن مفعول أرسل محذوف وهو جبريل عليه السلام لكمال التضجر وعدم اللبس.

قوله: (وليس ذلك تعللاً منه وتوقفاً في تلقي الأمر بل طلباً لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد عذر فيه) وليس ذلك الخ جواب سؤال مقدر بأنه كيف ساغ لموسى عليه السلام أن لا يتلفه بالإجابة وتثبت بأصناف العلل وأجاب بما ترى قوله وتمهيد عذر فيه أي في طلب المعونة وكون الأمر للفور على ما اختاره البعض لا ينفيه ذلك الطلب على أن المختار أن الأمر للطلب استعلاء والفور والتراخي مفوضان إلى القرينة.

قوله: (وقرأ يعقوب ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفاً على يكذبون فيكونان من جملة

قوله: وقرأ يعقوب ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفاً على يكذبون فإن قيل تعليق الخوف بهذه الأمور الثلاثة يدل على أنها غير حاصلة لأن حقيقة الخوف غم يلحق الإنسان لأمر سيّع ونفي انطلاق اللسان واقع أجيب بأن المراد من نفي الانطلاق زيادة الحسبة وهي غير واقعة على أن تلك الحسبة التي كانت به قد زالت بدعوته بقوله ﴿واحلل عقدة من لساني﴾ لقوله ﴿قد أوتيت سؤلك يا موسى﴾ فإن قيل يرد هذا الجواب الأخير القراءة برفع يضيق ولا ينطلق عطفاً على أخاف لأنها تدل على أن حسبة اللسان واقعة بالفعل فتناقض القراءة من جهة المعنى أجيب بما يجمع القراءتين بأن يحمل القراءة بالرفع على أن هذا القول كائن قبل أن يقول ﴿واحلل عقدة من لساني﴾ والنصب على أنه بعده فلا تناقض لاختلاف الزمان وكذا يرتفع ظاهر التناقض الحاصل بعد ثبوت الحسبة المدلول عليه بقراءة الرفع وبين انتفاها المدلول عليه بقراءة النصب بأن يحمل الثبوت على أصلها والانتفاء على ازديادها فلا تناقض لاختلاف الجهة هذا الذي ذكرناه هو ملخص ما في الكشف فأقول في الجواب باختلاف الزمان نظر لأن القراءتين ثابتتان سواء كان هذا القول قبل دعاء حل العقدة أو بعده فإن فرض قبله شكل انتفاء الحسبة المدلول عليه بقراءة النصب وإن فرض بعده أشكال بثبوت الحسبة المدلول عليه بقراءة الرفع فالأولى في رفع التناقض أن يرجع إلى تغاير الجهة لا إلى اختلاف الزمان.

(١) ومنه ظهر ضعف ما قيل إن المضاف مقدر وهو ازديادها أو تنويه للتثليل.

ما خاف عنه) أي بحسب دلالة اللفظ وإلا ففي قراءة الرفع أيضاً كذلك بحسب المعنى على ما قرره المص كما سبق تقريره كذا قبل ولا يخفى عليك أن المنفرع على خوف التكذيب الضيق وعدم الانطلاق بالفعل لا خوفهما إذ الخوف هو الحزن^(١) المتوقع فهما مجزومان على قراءة الرفع غاية الأمر أنهما مترتبان على المتوقع فإذا وقع ذلك المتوقع ترتباً عليه مجزوماً لما ذكرنا من أنهما حاصلان بالتجربة قوله متى يعتريه حبة يؤيد ما ذكرنا لأن المراد عروض الحبة بالفعل لا خوفها فالفرق بين القراءتين واضح ومنشأ ذلك ادعاء أنهما مترتبان على خوف التكذيب والمترتب على المخوف مخوف وليس كذلك بل هما مترتبان على التكذيب المخوف بالفعل كما عرفته من تقرير المص ولو كان الأمر كذلك لقال متى يخاف حبسته على أن الحاجة إلى معين وقوع الحبة بالفعل المترتب على وقوع الضيق بالفعل لا خوفهما واختلال الدعوة وانقطاع الحجة بحصولهما بالفعل لا بخوفهما.

قوله تعالى: **وَلَمْ يَكُنْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ** ﴿١٤﴾

قوله: (أي تبة ذنب) في القاموس التبعة كفرجة أي ما يتبعه من جزائه.

قوله: (فحذف المضاف أو سمي باسمه والمراد قتل القبطي) أو سمي باسمه فيكون

قوله: أي تبة ذنب أي لهم على قود ذنب أو دعوى ذنب وهو قتل القبطي التبعة والتبعة حق يجب للمظلوم قبل الظالم يقال لي قبل فلان تبة وتبعة أي ظلامة وهي ما تطلبه عند الظالم قوله أو سمي باسمه أي أو سمي التبعة باسم الذنب للمشكلة كما يسمى جزاء السيئة بالسيئة.

قوله: والمراد قتل القبطي أي المراد بالذنب قتل القبطي وإنما سماه ذنباً أي إنما سمي قتل القبطي ذنباً على زعم القبط وإلا فقتل الحربي ليس بذنب أو هو قتل خطأ وهو لا يعد ذنباً شرعاً لأنه ليس عن قصد لكنه يعد ذنباً في زعمهم وإن كان خطأ قوله وهذا اختصار قصته الموصوفة في مواضع منها ما ذكر في طسم القصص حيث قيل هناك ﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكره موسى ففرضي عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له أنه هو الغفور الرحيم﴾ (القصص: ١٥ - ١٦) قوله به قبل أداء الرسالة والياء في به للمقابلة والضمير راجع إلى الذنب أي فأخاف أن يقتلني قوم فرعون بدل ذلك الذنب فراجع هذا الضمير إلى الذنب بمعنى الجنابة مع أن المراد بالذنب المذكور جزاء الجنابة وهو تبة الذنب من باب الاستخدام وهو أن يراد بلفظ له معنيان أحدهما ثم يراد بضميره معناه الآخر كقوله:

إذا نزل السماء بأرض قوم وعسيئاه وإن كانتوا خِشياً

فإن المراد بلفظ السماء الغيث وضميره في رعيته الثبت والسماء يطلق على الغيث والنبت مجازاً فهما معنيها المجازيان قوله وهو أيضاً ليس تعللاً أي قوله ﴿فأخاف أن يقتلون﴾ ليس تعللاً وتوقفاً في تلقي الأمر وامتناله بل هو استدفاع للبلية المتوقعة كما أن قوله: ﴿رب إني أخاف أن يكذبون﴾ [الشعراء: ١٢] الآية ليس تعللاً فيه بل هو استمداد واستظهار في الدعوة.

(١) ويقويه ما قيل الخوف انزعاج النفس بتوقع الضرر.

مجازاً مرسلأ بعلاقة السببية وأما الأول فمجاز في الحذف والثاني أبلغ وبالتقديم اليق.

قوله: (وإنما سماء ذنباً على زعمهم) وإنما سماء ذنباً بناء على عاداتهم عليهم السلام في استعظام محقرات فرطت منهم ولذا استغفر ربه فغفر له كما سيجيء في سورة القصص.

قوله: (وهذا اختصار قصته المبسطة في مواضع) وقد عرفت أن هذا وإن خالف ما في مواضع آخر لفظاً فهو طبقه في المقصود.

قوله: (به قبل أداء الرسالة وهو أيضاً ليس تمللاً وإنما هو استدفاع للبلية المتوقعة كما أن ذاك استمداد واستظهار في أمر الدعوة) قيل أداء الرسالة الأمور بتبليغها وهذا هو البلية المتوقعة فطلب الله تعالى دفعها بدفع شر القوم عنه وهذا هو المراد من الخير فالخير في الموضوعين خبر لفظاً وإنشاء معنى أشار إليه بقوله بل هو استدفاع الخ ثم قال كما أن ذاك استمداد أي قوله «إني أخاف أن يكذبون» استمداد أي طلب المدد والعناية والاستدفاع والاستمداد طلب وإنشاء قوله قبل أداء الرسالة إشارة إلى أنه عليه السلام أراد بهذا الكلام خوف مصلحة الرسالة لا خوف تلف النفس كما هو عادة الأبرار المقربين حيث يكون مطمح أنظارهم في كل الأطوار جانب الملك العلام لا مصلحة أنفسهم فالمص لم يتعرض لخوف تلف النفس لأنه غير لائق بمنصب الرسالة لا سيما أوّل العزم من الرسل عليهم السلام قيل وهو أن نبياً غير عالم ببقائه إلى أداء الرسالة وإن أمره بشرط التمكين مع أنه له نسخ ذلك قبله فإنه فعال لما يريد لا يسأل عما يفعل ثم قال والأقرب أن الأنبياء يعلمون إذا حملهم الله على أداء الرسالة أنه منهم يمكنه من أدائها ويقون إلى إلقيائها وإن كان بناء على الأكثر لقتل بعض الأنبياء عليهم السلام وفيه نظر يظهر وجهه بما ذكره^(١) أولاً فلا تغفل وإنما قيده بقوله قبل أداء الرسالة مع أن الخوف واستدفاع البلية بعده حاصل لأنه أهم لعدم غرض الرسالة بعد أدائها.



قوله تعالى: قَالْ كَلَّا فَادْهَبَا وَابْتَئِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَعِينُونَ ﴿١٥﴾

قوله: (قال كلا فاذهبا بآياتنا إجابة له إلى الطلبتين بوعده للدفع اللازم برده عن الخوف وضم أخيه إليه في الإرسال فالخطاب في فاذهبا على تغليب الحاضر) إلى الطلبتين

قوله: إجابة له إلى الطلبتين أي قوله عز من قائل: «كلا فاذهبا بآياتنا» [الشعراء: ١٥] إجابة لموسى عليه السلام إلى مطلوبة اللذين طلبيهما وهما ضم أخيه إليه للمعونة ودفع ما يخاف منه فكلمة الردع وهي كلا إجابة إلى طلبية دفع الخوف وقوله: «فاذهبا» [الشعراء: ١٥] إجابة إلى طلبية ضم أخيه إليه.

قوله: فالخطاب في فاذهبا على تغليب الحاضر أي على تغليب الحاضر الذي هو موسى

(١) من أنه تعالى فعال لما يريد لا يسأل عما يفعل ولا يعمل أفعاله بالاغراض فكما يجوز النسخ قبل العمل بل قبل التمكن منه يجوز أن يقيه حتى يؤدي الرسالة الخ.

تثنية طلبية بكسر اللام وهي المطلوب قوله اللازم صفة لوعده رده مفعول اللازم والردع من كلا وأطلق الخوف ليتناول الخوف عن التكذيب وعن القتل لكن قوله للدفع اللازم الخ يقتضي كون الخوف الخوف من القتل هذا ناظر إلى ﴿فأخاف أن يقتلون﴾ وضم أخيه الخ ناظر إلى فأرسل إلى هارون لف ونشر مشوش لكن ضم أخيه مستفاد من قوله فاذهب والردع من كلا وأراد بالإرسال المعنى اللغوي دلالة كلا على الفعل مع أنها حرف دلالة التزامية قوله على تغليب الحاضر وهو موسى على الغائب وهو هارون عليهما السلام ولا يظن ﴿أن اتت القوم الظالمين﴾ منسوخ لأن إتيانه عليه السلام بالأصالة وإتيان هارون بالوزارة والإعانة.

قوله: (لأنه معطوف على الفعل الذي يدل عليه كلا كأنه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب أنت والذي طلبته) لأنه معطوف الخ تعليل للتغليب لأن كلا بمعنى ارتدع فالخطاب له فقط وخطاب هارون بالتبع أشار إليه بقوله ارتدع يا موسى عما تظن الخ إذ قوله والذي طلبته عبارة عن هارون عليه السلام لكن الأولى عما تخاف بدل عما تظن كأنه أشار إلى ما نقل عن الباقي أنه جوز كون أخاف بمعنى أعلم أو أظن لكنه بعيد.

قوله: (يعني موسى وهارون وفرعون مستمعون) يعني موسى الخ إشارة إلى التغليب في فرعون بعد التغليب في هارون واختاره لأنه يقتضيه إنا مستمعون وقيل يجوز أن يراد موسى وهارون ومن يتبعهما من قومهما فيتضمن الكلام البشارة بالإشارة إلى علو أمرهما واتباع القوم لهما والخلاص مما خاف وهذه البشارة حاصلة مما اختاره المص أيضاً مع أن قوله واتباع القوم لهما يوجب أن الاتباع لم يوجد حين الخطاب فيكيف يندرج قومهما في هذا الخطاب وقيل يجوز أن يراد بضمير الجمع والخطاب موسى وهارون فقط للتعظيم كما يراد به الواحد والكل تكلف لأن الاستماع يقتضي ملاحظة فرعون إذ الاستماع ليس بمتعلق بما يجري بين موسى وهارون ولا بمتعلق أيضاً بما يجري بين موسى وهارون وقومهما وأما الإشكال بأن لفظة مع مع تباين للكافر غير مستحسن فليس بشيء لأن المراد به التهديد^(١) بالنسبة إلى فرعون والوعد بالنصرة بالنسبة إليهما عليهما السلام كقوله تعالى: ﴿ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم﴾ [المجادلة: ٧] وكقوله تعالى: ﴿والله معكم أينما كنتم﴾ إذ الظاهر أن الخطاب عام وأيضاً أنه كناية عن كمال علمه فلا ضير في الاستعمال مع الكفار كما لا محذور في علمه أحوال الفجار.

على الغائب وهو هارون وقرينة التغليب كون المخاطب موسى وحده في الخطاب بكلا الدال على ارتدع الذي عطف فاذهب عليه بالفاء فلما علم غيبة هارون من انفراد موسى بخطاب ارتدع حمل خطاب فاذهب على تغليب الحاضر فالمعنى اذهب أنت وأخوك هارون الذي طلبته فاعلم كما عليه أي فاعينكما واغلبكما على فرعون.

(١) ويقربه ما قيل خصوص المعية لا يلزم أن يكون معية الشفقة والنصرة بل قد يكون تخليص أحد المتخاصمين عن الآخر بنصرة المحق وانتقام المظل.

قوله: (سامعون لما يجري بينكما وبينه فأظهر كما عليه مثل نفسه^(١)) بمن حضر مجادلة قوم استماعاً لما يجري بينهم وترقباً لإمداد أوليائه منهم) أشار به إلى أن مستمعون مجاز عن سامعين ثم صرح به مثل نفسه أي مثل حاله إذ التمثيل في الهيئة المنتزعة من أمور عديدة بمن حضر أي بحال من حضر لما ذكرنا والهيئة المشبهة الهيئة الحاصلة من خبير لطيف وسماع الكلام الذي يجري بينهما عليهما السلام وبين فرعون والنصرة لهما على فرعون والهيئة المشبهة بها الحاصلة من الشخص الحاضر مجادلة قوم استماعاً لما يجري بينهم ومجادلة قوم وترقب ذلك الشخص القادر على الإمداد لإمداد أوليائه منهم فذكر اللفظ المركب الموضوع للهيئة المشبهة بها واستعمل في الهيئة المشبهة فيكون قوله: ﴿إنا معكم مستمعون﴾ [الشعراء: ١٥] استعارة تمثيلية قوله فأظهر كما عليه أي اجعل لكما غائبين عليه وهذا إشارة إلى أن إنا معكم مستمعون كناية عن ذلك.

قوله: (مبالغة في الوعد بالإعانة) علة لمثل تحصيلية وجه المبالغة لأن الاستعارة أبلغ لا سيما التمثيلية.

قوله: (ولذلك تجوز بالاستماع الذي هو بمعنى الإصغاء) أي ولقصد المبالغة تجوز بالاستماع الخ والعلاقة كون الاستماع مستلزماً للسمع وقد ثبت في موضعه أن مفردات الاستعارة التمثيلية باقية على حالها حقيقة كلياً أو مجازاً كلياً أو حقيقة بعضها ومجاز بعضها والاستماع في المستعار منه كان مجازاً عن السمع فقد يوجد الاستماع بدون السمع وبالعكس فكذا في المستعار له فمن قال إن مفردات الاستعارة على حقائقها على إطلاقها فقد غلط وخبط قوله تجوز بالاستماع وفي الكشف أنه جعل مستمعون قرينة معكم فمن كونه من باب المجاز والله تعالى يوصف بأنه سميع وسماع ولا يوصف بأنه مستمع انتهى أما وصفه بأنه سميع فثبت بالشرع وأما سماع فقد قال علي القاري في شرح الجزري ثم من المعلوم أنه لم يرد سماع في المسمع أي في المشروعات بحسب إطلاقه وإن جاء في بعض

قوله: (ولذلك تجوز بالاستماع الذي هو بمعنى الإصغاء للسمع الذي هو مطلق ادراك الحروف أي لأجل تمثيله تعالى نفسه بمن حضر مجادلة قوم استماعاً لما يجري بينهم وترقباً لإمداد أوليائه مبالغة في الوعد استعاراً لاستماع لمطلق ادراك الحروف أي شبه أولاً إدراك الحروف بالاستماع أي الإصغاء ثم استعمل في المشبه ما هو موضوع للمشبه به جرى التشبيه والاستعارة أولاً بين المصدرين ثم سرى إلى المشتق فقبل مستمعون فلفظ مستمعون استعارة تمثيلية تبعية والتعبير بلفظ مثل دون شبه لأن كلا من الطرفين أي المستعار والمستعار له هيئة مركبة من أمور وهي الحضور على المجادلة والاستماع لما يجري بين المجادلين والترقب لإعانة الأولياء فلما كان الاستماع كالت جامع لتلك الأمور وقع التشبيه والاستعارة فيه فقبل مستمعون فتاسبه التعبير بلفظ التمثيل.

(١) الأولى مثل ذاته بدل نفسه.

الروايات يا سامع خلقه فجواز وصفه بأنه سامع مطالب من صاحب الجزري وأما صاحب الكشف فيجوز عنده الإطلاق بلا توقف على الشرع فيما لم يوهم المنقصة وهو مسلك المعتزلة قوله تجوز باستماع الذي هو الإصغاء إشارة إلى ما ذكر وما ذكر في القرآن والحديث على سبيل التجوز أو المشاكلة كالمكر لا يصح إطلاقه عليه تعالى فلا يقال إنه تعالى مستمع وخادع^(١) قوله الذي هو بمعنى الإصغاء إشارة إلى وجه عدم إطلاقه عليه على الحقيقة وإلى علاقة المجاز بأنه سبب للسمع بالنسبة إلى المخلوق وأريد المسبب هنا وعن هذا قال سامعون في تفسير مستمعون.

قوله: (للسمع الذي^(٢)) هو مطلق إدراك الحروف والأصوات إشارة إلى أن كون ذلك بخصوص الحاسة مما لا دخل له في حصول المقصود مع أن أهل السنة السمع عندهم لا يتعلق بالحاسة المخصوصة بل هو في اللغة للانكشاف المخصوص كما قاله الإمام وأما تعلقه بالحاسة المخصوصة بالنسبة إلى المخلوق فلا احتياجنا إليها في ذلك الانكشاف المخصوص لا لكونه مأخوذاً في مفهومه فلا يكون استعمال السمع في حقه تعالى مجازاً وهذا كالرواية فإنها عبارة عن الانكشاف المخصوص سواء كانت بالحاسة المخصوصة أو لا ألا ترى أنهم يقولون يجوز أن يرى أعمى في الصين بقعة أندلس أي أن ينكشف بقعة أندلس للأعمى الكائن في الصين بإطلاق السمع والبصر عليه تعالى على الحقيقة لا على المجاز^(٣).

قوله: (وهو خير ثانٍ أو الخير وحده ومعكم لغو) أي ظرف لغو متعلق بمستمعون فقول المص ومعكم لغو فيه خلل في الجملة والمعنى إنا مستمعون معكم لما يجري بينكم من المقال والجدال قيل والأظهر أن يجعل ظرفاً مستقراً من ضمير مستمعون قدم للاهتمام أو الفاصلة ودخول مع على المخاطبين لما أنهم المباشرون للاستماع فهم متبوعون من هذه الحيثية صرح بمثله صاحب الإرشاد أبو السعود في سورة البقرة في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣] حيث قال ودخول مع على الصابرين لما أنهم المباشرون حقيقة للصبر فهم متبوعون^(٤) من هذه الحيثية فاحفظ هذا وأجر مثله في سائر المواضع فإنه مما خفي على كثير من الناس.

قوله: وهو خير ثانٍ أي قوله تعالى: ﴿مستمعون﴾ [الشعراء: ١٥] خبر ثانٍ لأن وخبره الأول الظرف وهو معكم أو الخير هو ومعكم ظرف لغو متعلق بمستمعون.

(١) صرح بذلك التحرير في شرح المقاصد.

(٢) وفي كلامه إشارة إلى أن السمع والبصر صفتان له تعالى مغايرتان لصفة العلم وقد ادعى الشيخ أبو الحسن الأشعري رجوعهما إلى صفة العلم وكلام المص يحتمله.

(٣) والمص اعترف في تفسير قوله تعالى: ﴿نَحْنُمُ اللَّهُ﴾ كون السمع إدراك الأذن كما أن البصر إدراك العين وهو الظاهر لكن صفاته مخالفة بالحقيقة لصفاتها فيكون السمع والبصر في حقه عبارتان عن الانكشاف المخصوص بلا حواس وآلة كما في سائر صفاته تعالى.

(٤) وهنا تفصيل ذكرنا في حاشيتنا هناك فارجع إليه.



قوله تعالى: فَأَتَيْنَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْمُنْذَرِينَ

قوله: (أفرد الرسول لأنه مصدر وصف به) يراد به الماهية فيحتمل الكثير والقليل والمراد هنا الثنية بقرينة فقولا إنا ولما جمعا في الضمير المسند إليه لا وجه لما قيل إن هارون لما كان تابعاً له عليه السلام في الرسالة لوحظ هنا جهة التبعية فأفرد الرسول لأن المراد به موسى عليه السلام وأما في قوله تعالى: ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ [طه: ٤٧] فالثنية للنظر إلى جهة الرسالة من الله تعالى فإنه ذهول عن قوله تعالى: ﴿فَأَتَيْنَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا﴾ [الشعراء: ١٦] ومخالف لمساق الكلام.

قوله: (فإنه مشترك بين المرسل والرسالة) أي الرسول مشترك بين المعنيين فحين أفرد يراد به^(١) المصدر للمبالغة كرجل عدل وحين ثنى يراد به المشتق.

قوله: (قال:

لقد كذب الواشون ما فهمت عندهم بسر ولا أرسلتهم برسول

ولذا ثنى تارة وأفرد أخرى) قال أي الشاعر لقد كذب اللام جواب القسم الواشون أي النمامون ما فهمت عندهم الخ أي ما وقفوا على سري بالذات ولا بالواسطة ومعنى ولا أرسلتهم برسول ما أرسلتم برسالة وهذا محل الاستشهاد على كون الرسول بمعنى المصدر قيل وفيه بحث إذ يجوز كونه بمعنى المرسل فلا يتم الاستدلال توضيحه إن أرسلتهم يجوز أن يكون بمعنى أرسلت إليهم على الحذف والإبصار وهو غير عزيز في أفصح الكلام فضلاً عن الشعر الذي هو محل الضرورة فضمير الغائب في أرسلتهم راجع إلى المرسل

قوله: فإنه مشترك بين المرسل والرسالة أي فإن الرسول لفظ مشترك يطلب على المرسل وعلى المصدر الذي هو الرسالة وإطلاقه على المرسل ظاهر معروف لا يحتاج إلى الشاهد وأما إطلاقه على معنى غير المصدر فكما في قول الشاعر:

لقد كذب الواشون

البيت اللام في لقد كذب لام موطئة للقسم وكذب بالتخفيف أي تكلم بكلام كاذب الواشي التمام وما في ما فهمت نافية أي ما تكلمت بسر ولا أرسلتهم برسول أي لا أرسلتهم برسالة قيل وفي الاستشهاد بقوله ولا أرسلتهم برسول نظر لأنه يحتمل أن يكون بمعنى المرسل فروعياً فيه المطابقة.

قوله: ولذلك ثنى تارة وأفرد أخرى أي ولأجل أن الرسول مشترك بين المرسل والرسالة ثنى الله تعالى في كتابه الكريم تارة وباعتبار كونه بمعنى المرسل فروعياً المطابقة لما أسند هو إليه لكونه صفة مشتقة كما في قوله تعالى: ﴿فَأَتَيْنَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ [طه: ٤٧] وأفردة تارة أخرى باعتبار كونه بمعنى الرسالة كما في هذه الآية فلم يراع المطابقة لكونه مصدراً.

(١) والمعنى حيثما فقولا إنا ذور رسالة.

إليهم لا إلى المرسل فحينئذ يكون الباء لتقوية العمل نحو علمت بشيء فلا يرد أن المتعارف أن الباء لا تدخل إلا على ما مع الرسول كالهدي فلا يقال أرسلت برسول وإنما يقال أرسلت الرسول بالهدية أو بالكتاب لما عرفت من أن زيادة حرف الجر لتقوية العمل شائع في كلامهم ولعدم الالتباس نعم إن الكلام يحتمل ما اختاره المص وبهذا القدر يتم الاستدلال ولا يضره احتمال كونه بمعنى المرسل بل يضره عدم جواز ما ذهب إليه المص ولا مجال لإنكاره.

قوله : (أو لاتحادهما في الاخوة) فكأنهما شخص واحد بالنظر إلى الجهة الوحدة كما أنهما اثنان بالنظر إلى أنفسهما بلا ملاحظة الوحدة المذكورة فساغ التعبير بالإفراد كما هنا وبالتثنية كما في سورة طه واعتبار الجهتين في الموضوعين من شعب البلاغة والتفنن في العبارة .

قوله : (أو لوحدة المرسل) اسم فاعل وهو الله تعالى .

قوله : (والمرسل به) وهو الشريعة ومعظمهما التوحيد فوحد الرسول في الحكاية للتنبيه على ذلك فجاء وحدتهما حينئذ وحدة المرسل والمرسل به كما أن الآخرة جهة وحدتهما فيما مر .

قوله : (أو لأنه أواد أن كل واحد منا) فحينئذ لا بد أن يوحد الرسول في الحكاية ليصح الحمل لكن لاحتياجه إلى التقدير آخره وقد مر مثله في ﴿واجعلنا للمتقين إماماً﴾ [الفرقان : ٧٤] ومعنى أنا رسول أن كلاً منا رسول رب العالمين مأمور بالتبليغ ولو منفرداً ولا يفيد التثنية ذلك بالعبارة بل إنما يفيد بالفحوى .

قوله تعالى : **أَنْ أَرْسِلَ مَعًا بَنِي إِسْرَءِيلَ** ﴿١٧﴾

قوله : (أي أرسل لتضمن الرسول معنى الإرسال المتضمن معنى القول يقال أرسلت

قوله : أو لوحدة المرسل والمرسل به المرسل على صيغة الفاعل والمرسل به على صيغة المفعول يعني أو يكون توحيد الرسول مع كون ما أسند هو إليه جمعاً لوحدة من أرسلهما وهو الله تعالى ووحدة ما أرسل به وهو الكتاب الواحد والشريعة وعبارة الكشاف اظهر منه حيث قيل هناك ويجوز أن يوحد لأن حكمهما لتساندهما واتفاقهما على شريعة واحدة واتحادهما لذلك وللأخوة كان حكماً واحداً .

قوله : لتضمن الرسول معنى الإرسال المتضمن معنى القول هو تحليل لتفسير كلمة أن في أن أرسل بكلمة أي حيث قال في تفسيرها أي أرسل يعني أن أن التفسيرية لا تذكر إلا بعد معنى القول ولا تستعمل بعد صريح لفظ القول فلا بد أن يأول بتضمن الرسول معنى الرسالة التي فيها معنى القول لأن الرسالة ليست إلا لتبليغ أحكام الشرع إلى المرسل إليه وذلك لا يكون إلا بالقول بل في مطلق الرسالة معنى القول كما تقول أرسلت إليك أن أفعل كذا في المناذلة والكتبة والمراد بالإرسال التحلية والإطلاق كقولك أرسل البازي فالمراد بأرسل معنا بني إسرائيل خلفهم واطلقهم

إليك أن افعل كذا) أي أرسل أشار به إلى أن ان تفسيرية ومآله أي التفسيرية قوله لتضمن^(١) الرسول الخ تنبيه على تحقق شرط ان تفسيرية وهي كونه بعد ما في معنى القول فلا يقع بعد القول الصريح ولا بعد ما ليس في معنى القول والمعنى فقولا إنا أرسلنا الله تعالى بلفظ وهو أن تقول لك أرسل يا فرعون ويحتمل أن يكون مصدرية كما في قوله تعالى : ﴿أَنْتَ الْقَوْمُ الظَّالِمِينَ﴾ [الشعراء : ١٠] ولاحتياجه إلى التأويل سكنت عنه هنا أو اكتفى بذكره آنفاً .

قوله : (والمراد خلهم يذهبوا معنا إلى الشام) والمراد خلهم يا فرعون ولا تمنعهم إن خلّيت يذهبوا معنا إلى الشام مقر آياتهم فالمراد بالإرسال هنا لازمه^(٢) لا معناه الحقيقي والظاهر أن هذا بعد الدعوة إلى التوحيد الذي هو المهم كما يدل عليه بيان القصة في موضع آخر .



قوله تعالى : قَالَ أَلَمْ نُنَبِّكَ فَتَا وَلَيْدًا وَلَئِنتَ فِتْنًا مِّنْ عِشْرِكَ سَيِّئًا

قوله : (أي فرعون لموسى) خصه لأن الخطاب بألم نربك مختص بموسى عليه السلام إذ هارون عليه السلام لم يكن في تربية فرعون وكذا باقي القصة مختص به عليه السلام .

قوله : (بعد ما أتياه فقالا له ذلك) إشارة إلى أن في الكلام إيجاز حذف أكثر من جملة والقرينة عليه أن مقال فرعون لا يتصور إلا بعد الإتيان والتبليغ .

قوله : (في منازلنا) قدر المضاف لتصحيح الظرفية ويكفي في منزلنا إذ المراد بالمتكلم مع الغير فرعون ولذلك قال المص بنعمتي في قوله : ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الفرقان : ١٩] .

قوله : (طفلاً سمي به لقربه من الولادة) أي سمي الطفل بالوليد وهو فاعيل بمعنى

عن القيد يذهبوا معنا إلى الشام وهناك مسكنهما وهو فلسطين يروى أنهما انطلقا إلى باب فرعون فلم يؤذن لهما ستة حتى قال البواب إن ههنا إنساناً يزعم أنه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فأدبها إليه الرسالة فعرف فرعون موسى فقال له : ﴿ألم نربك﴾ [الشعراء : ١٨] إلى آخره قوله أي قال فرعون لموسى بعد ما أتياه فقالا له ذلك هذا إشارة إلى أن في الكلام تقدير لأن قول فرعون هذا القول وهو ﴿ألم نربك﴾ إلى آخره لم يكن عقيب أمره تعالى إياهما بأن أتياه ويقولوا إنا رسول رب العالمين أن أرسل معنا بني إسرائيل دفعة بل إنما قال فرعون ذلك القول بعدما أتياه وقال له ذلك القول الذي أمرا بتبليغه وفي الكشف حذف فأتيا فرعون فقالا ذلك لأنه معلوم لا يشبه وهذا النوع من الاختصار كثير في التنزيل .

(١) وهذه اللمة ملحوظة في قوله تعالى : ﴿أَنْتَ الْقَوْمُ الظَّالِمِينَ﴾ ومحل الذكر هناك .

(٢) وهو الإطلاق عن الاستبعاد والتكاليف .

المفعول أي المولود قوله لقربه من الولادة لأن فعلاً قد يدل على قرب التلبس بالمعنى الذي يدل عليه كحليب ووليد كما صرح به أهل اللغة كأنه أخذ من صيغة المبالغة لما كانت الولادة لا تغاوت فيها فيصرف المبالغة إلى القرب لكن هذا لا يلائمه قوله: لبث فيهم ثلاثين سنة.

قوله: (قبل لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج إلى مدين عشر سنين ثم عاد إليهم بدعهم إلى الله تعالى ثلاثين سنة ثم بقي بعد الغرق خمسين سنة) ثم خرج إلى مدين سيحيى تفصيل القصة في سورة القصص قوله عشر سنين أي أقام في مدين عشر سنين قوله بدعهم إلى الله تعالى إلى توحيد وهو معظم المقصود من البعثة ثم بقي بعد غرق فرعون خمسين فكان عمره عشرين ومائة سنة كعمر يوسف عليه السلام.

قوله تعالى: وَقَعَلْتَ فَعَلْتَكِ أَلَيْسَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾

قوله: ((وقعلت فعلتك التي فعلت)) يعني قتل القبطي ويخه به معظماً إياه بعد ما عدد عليه نعمته) وقعلت فعلتك ولعل التعبير بالفعل العام عن القتل للتفخيم في بابهِ حتى يوحش ذكره صريحاً فينبغي أن يذكر كناية وكذا الكلام في فعلتك ثم وصفها بالتي فعلت للتقيد بقوله ((وأنت من الكافرين)) قوله ويخه به معظماً الخ إشارة إلى ما ذكرناه والتعبير بالموصول زاده تعظيماً لشأنه وتهويلاً وأرباب الحواشي اكتفوا في بيان التعظيم بالتعبير بالموصول حيث قالوا تعظيم القتل بما في الموصول من الإبهام الذي يستعمل لذلك كما في قوله تعالى: ﴿فغشيه من اليم ما غشيه﴾ [طه: ٧٨] والأولى ما ذكرناه قوله بعد ما عدد نعمته أي إنعامه ولهذا الترتيب مدخل في التوبيخ.

قوله: (وقرىء فعلتك بالكسر لأنها كانت قتلة بالوكز) قتلة أي فعلة للنع وكذا قتله نوع من القتل وهو القتل بالوكز وهو الضرب بجمع كفيه وعلى الفتح للمرة أي قتلة واحدة

قوله: ويخه به معظماً إياه أي ويخ فرعون موسى يقتله القبطي معظماً ذلك القتل معنى التعظيم مستفاد من ذكره مجملاً حيث قال فعلت فعلتك التي فعلت ولم يقل قتل رجلأ منا مصرحاً بخصوصية القتل بل عبر عنه بلفظ عام وهو لفظ فعلت ووصف فعلته بالمهم الذي هو قوله التي فعلت ايذاناً بأنه لفظاً عنه لا ينطلق به كقوله تعالى: ﴿فغشيه من اليم ما غشيه﴾ [طه: ٧٨].

قوله: لأنها كانت قتلة بالوكز أي قرىء فعلتك بالكسر على أنها نوع من القتل وهو القتل بالوكز والأولى في قتله فتح القاف على أنها مرة من القتل ومعنى كونها نوعاً من القتل مستفاد من قيدها بالوكز لأن معنى كلامه هذا وقرىء فعلتك بالكسر على أنها للنوع لأن ذلك الفعل كانت قتلاً بالوكز فلنكون القتل بالوكز نوعاً من مطلق القتل صحت قراءة فعلتك بالكسر بناء على أنها نوع من الفعل وفي الكشف وعن الشعبي فعلتك بالكسر وهي قتلة القبطي لأنه قتله بالوكز وهو ضرب من القتل وأما الفعل فلائها كانت وكزة واحدة قال الأصمعي وكزه مثل نكزه أي ضربه ودفعه ويقال وكزه أي ضربه بجمع يده.

وقعت بالضرب^(١) مرة فلها جهتان روعيتا في القراءتين فلم أن فعلتك مفعول مطلق^(٢) وأن المراد بالإخبار التوبيخ مجازاً لخلو الخير عن فائدة الخير ولازمه.

قوله: (بنعمتي حتى عمدت إلى قتل خواصي) بنعمتي أي المراد كفران النعمة قوله حتى عمدت الخ دليل عليه الأولى لأنك عمدت فإنه المتعارف في بيان الدليل وجه ما ذكره إنك بلغت في كفران نعمتي إلى أن عمدت قتل خواصي والظاهر إلى أن قتلت خواصي إذ العمد لا يستلزم الفعل فذكره تنبيه على أن هذه القتلة وقعت منك عمداً لا خطأ قبل قتل خواصي الإضافة جنسية فيشمل الواحد فلا يتوجه أن المقتول كان واحداً ولعل التعبير بالجنس للإشارة إلى أن قتله مثل قتل نفوس كثيرة من الخواص لعظم قدره عنده فلك أن تقول التعبير بالجمع للتعظيم.

قوله: (أو ممن تكفرهم الآن فإنه عليه السلام كان يعايشهم بالثقية) أو ممن تكفرهم الآن من الإكفار بمعنى النسبة إلى الكفر أي وأنت من زمرة الأشخاص الذين تنسبهم إلى الكفر فأنت من جملتهم وزمرتهم فما بالك أن تدعي النبوة وأشار المص إلى سبب ذلك الزعم الفاسد لرئيس الزاهد فقال فإنه عليه السلام كان الخ أي وهذا الزعم منه بناء على ظاهر الحال لاختلاطه بهم والثقية معهم بعدم إنكار ما كانوا عليه لمصلحة دعت وحكمة اقتضت لما عرف من أن الأنبياء عليهم السلام معصومون عن الكفر قبل النبوة وبعدها بالاتفاق فهو عليه السلام موحد منذ ولد وعامل بشرع يعقوب^(٣) عليه السلام كما هو الظاهر من قصته إلى أن أعطي التورية قبل ولم يذكر المص احتمال الافتراء عليه لبعده فإنه لو كان عالماً بأن موسى يتدين بغير دينهم لسجنه أو قتله انتهى فالصواب أنه لو علم إسلامه لأراد التسجين أو أَرَادَ القتل لكن أنى له ذلك.

قوله: بنعمتي إشارة إلى احتمال أن الكافرين من الكفر الذي هو بمعنى كفران النعمة وقوله أو ممن تكفرهم الآن إشارة إلى احتمال كونه من الكفر بالحق المقابل للإسلام أي وأنت إذ ذاك أي إذا فعلت تلك الفعل كنت من الذين تحكم الآن بكفرهم وتدعوهم إلى الدين وقوله هذا إما افتراء منه عليه بالكفر وموسى ما كان كافراً قط وما كان منهم لأن الله يعصم من يريد استنباءه من الذنوب فكيف بالكفر وأما بناء على ظنه لجهله بأن مؤمن حينئذ لأن موسى عليه السلام كان يخفي إيمانه خوفاً منهم وكان يعايشهم بالثقية والحذر النظية والثقة بمعنى واحد وهو أن ينفي الرجل الناس ويرى الصلح والاتفاق والباطن بخلاف ذلك وعليه قوله تعالى: ﴿ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتفوا منهم نقاة﴾ [آل عمران: ٢٨] أي تخالفهم ظاهراً وتخالقهم باطناً ومنه قولهم كن وسطاً وامش جانباً.

(١) وبهذا الاعتبار يفيد الإخبار بأنه قتلة واحدة وإلا فقتل الشخص الواحد لا يكون إلا قتلة واحدة.

(٢) لا مفعول به هو الشخص المقتول.

(٣) أو بشرع إبراهيم عليه السلام.

قوله: (فهو حال من إحدى التامين ويجوز أن يكون حكماً مبتدأ عليه بأنه من الكافرين بإلهيته أو بنعمته) فهو حال من إحدى التامين والآخر أليق به وكونه حالاً أنسب بكون المراد كفران النعمة ويؤيده كون الكلام للتوبيخ إذ لا توبيخ في الكفر الذي التزمه وإن كان أكذب فيه ويجوز الخ فالواو ابتدائية وكونها عاطفة لا يلائم قوله مبتدأ الخ بأنه عليه السلام من الكافرين بإلهية فرعون أو بنعمته فالكفر بمعنى الجحد أو على زعمه.

قوله: (لما عاد عليه بالمخالفة) بيان علة كونه جاحد النعمة أي منشأ كفران النعمة هنا عوده عليه السلام بالمخالفة وما سبق قتل خواصه فالتغاير بينه وبين الوجه الأول بهذا الطريق.

قوله: (أو من الذين كانوا يكفرون في دينهم) هذا بناء على ظاهر الحال وعلى زعمهم والفرق أن في الأول اعتبر الإكفار من جانبه عليه السلام وهنا الإكفار من جانب غيرهم.

قوله تعالى: **قَالَ فَعَلْتُهَا إِذْ أُنَا مِنْ السَّالِّينَ** ﴿٢٠﴾

قوله: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا﴾ استئناف بياني اختيار اللف والنشر المشوش لرجحان الفصل الواحد على الفصلين أقر بالقتل وبين سببه بأن فعله غير عالم بالعواقب فالقتل المذكور ليس بعدم وهو متضمن لرد ما زعمه فرعون أنه عمد إذ التوبيخ بكفران النعمة على القتل العمد وعن هذا قال المص هناك إلى أن عمدت قتل خواصي وأقر بالقتل لثقة وعد الله تعالى بحفظه بقوله: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ١٥] فإن المراد به وعد بحفظه وأما حين فراره فلم يكن وعد الله تعالى بحفظه.

قوله: (من الجاهلين وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين فعل أولي الجهل والسفه) من

قوله: فهو حال من إحدى التامين أي قوله: ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩] جملة واقعة حالاً من إحدى التامين وهما تاء فعلت الأول وتاء فعلت الثاني فالمعنى فعلت أنت تلك الفعللة كائنات من الكافرين ويجوز أن يكون حكماً مبتدأ عليه بأنه من الكافرين بإلهيته أو بنعمته أي ويجوز أن يكون قوله: ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩] جملة مبتدأة اعتراضية غير متعلقة بما قبله وإرادة على وجه التذييل وكلمة على في عليه متعلقة بحكماً أي حكماً على موسى عليه السلام بأنه من الكافرين بإلهيته أي بالهية فرعون والترديد بأولى.

قوله: بإلهيته أو بنعمته ناظر إلى احتمالي معنى ليكفر في قوله: ﴿مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩].

قوله: من الجاهلين يريد أن الضلال ليس على حقيقته لأن الضلال ضد الرشd والاهتداء وموسى عليه السلام حين قتل القبطي رشيد مهتد غير ضال فوجب أن يحمل الضلال في قوله فعلتُها إذا وأنا من الضالين على المجاز فيراد به إما الجهل وهذا أيضاً مأول لأن موسى حينئذ لم يكن من زمرة الجاهلين فمعنى من الجاهلين من الفاعلين فعل أولي الجهل وإما الخطأ فمعناه من

الجاهليين نقل عن ابن جرير أنه قال العرب تضع الضلال موضع الجهل والجهل موضع الضلال والظاهر أنه حقيقة أو مجاز لاستلزام أحدهما الآخر ولو ادعائياً إذ العلم بدون عمل يعد جهلاً وقد قرئ به^(١) تأييد لهذا المعنى ولذا قدمه والمعنى من الفاعلين الخ فالضالين بمعنى الجاهليين نزل منزلة اللازم وعطف السفه عليه إشارة إلى ما ذكرناه من أن علم السوء مع ارتكابه جهل أي سفه قال تعالى: ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة﴾ [النساء: ١٧] الآية.

قوله: (أو من المخطئين لأنه لم يعتمد قتله) وإن قصد الضرب فالتعبير بالضلال لما مر من أن الأنبياء عليهم السلام عادتهم استعظام محقرات فرطت منهم.

قوله: (أو الذاهلين عما يؤول إليه الوكز لأنه أراد به التأديب) فالجهل على بابه والفرق بين الأول والثالث هو أن في الأول نزل منزلة اللازم كما أشرنا إليه وفي الثالث اعتبر تعديته إلى عما يؤول إليه الوكز والفرق بين الثالث والثاني هو أن الثاني اعتبر فيه الخطأ في القصد وفي الثالث اعتبر الذهول عما يؤول إليه الوكز وشتان ما بين الاعتبارين وإن تلازما.

قوله: (أو الناسين من قوله: ﴿أن تضل إحديهما﴾ [البقرة: ٢٨٢]) أو الناسين أي الضالين بمعنى الناسين وأيد به قوله ﴿أن تضل إحديهما﴾ فإن الضلال فيه بمعنى النسيان إذ الضلال فقدان المطلوب والنسيان من هذا القبيل لعل المراد نسيان ما يؤول إليه الوكز والفرق بينه وبين الثالث إن في الثالث اعتبر الذهول وهو الذهاب عن القوى الحافظة دون المدركة والنسيان^(٢) الذهاب عنهما رأساً وإذن جواب وجزاء معاً لأن قول فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى أنك جازيت نعمتي بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازياً لك تسليماً لقوله لأن نعمته كانت جديراً بأن يجازي بنحو ذلك الجزاء هذا مختار الزمخشري وقيل إذا هنا حرف جواب فقط قال أبو حيان وهذا أي ما ذكره الزمخشري مذهب سيبويه يعني أنها للجزاء والجواب معاً ولكن شراح الكتاب فهموا أنه قد يتخلف عن الجزاء والجواب معنى لازم لها (حكمة).

المخطئين كمن يقتل خطأ من غير تعمد للقتل وأما الذهاب فالمعنى وإنما من الذاهبين عما يؤول إليه الوكز وهو القتل وفي الكشف والذاهبين عن الصواب وأما النسيان فمعناه من الناسين كما أن الضلال في قوله تعالى: في حق شهادة امرأتين أن تضل إحديهما فتذكر إحديهما الأخرى والمعنى أن تنسى إحديهما بقرينة فتذكر لأن التذكير إنما يكون في النسيان وقالوا فيه إشارة إلى أن كفران نعمة الكافر قبيح فكيف بنعمة المسلم فضلاً عن نعم الله السابقة ظاهراً وباطناً.

(١) قاله ابن مسعود رضي الله تعالى عنه كما في الكشف.

(٢) والحاصل النسيان زوال الصورة عن المدركة والحافظة والذهول كالغفلة زوال الصورة عن المدركة دون الحافظة.



قوله تعالى: فَفَرَّقْتُ بَيْنَكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَقِي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾

قوله: (رد أولاً بذلك ما وبخه به قدحاً في نبوته) رد أولاً الخ أي كذب فرعون ودفع الوصف بالكفر وبرأ ساحته ما وبخه به وهو القتل بغير حق قدحاً في نبوته زعماً منه أن الأنبياء عليهم السلام معصومون عن مثل هذا القتل وجه الرد أن موهبة الله تعالى الحكم والنبوة بعد تلك الحادثة ولا يجب عصمة الأنبياء عن أمثاله قوله قدحاً تعليل لما وبخه علة تحصيلية .

قوله: (ثم كر على ما عده عليه من النعمة ولم يصرح برده لأنه كان صادقاً غير قاذح في دعواه بل نيه على أنه كان في الحقيقة نعمة لكونه مسبباً عنها فقال وتلك نعمة تمنها علي أن عبادت بني إسرائيل) ثم كر بمعنى رجع أي ثم رجع إلى رد ما ادعاه من نعمة التربية فإنها تربية ظاهراً نعمة حقيقية وشم للتراخي الرئيسي إذ تبرة النفس الشريفة أهم ومقدم رتبة وإلا فالظاهر وكراً وفكر والتعبير بكر بالنسبة إلى نوع الرد إذ نوعه تحقق أولاً في ضمن رد ما وبخه ثم رجع إليه في ضمن رد نعمة التربية وإلا فحق العبارة ثم بين أحوال ما عد عليه الخ ولم يصرح برده أي وإن رده ضمناً والتزاماً ولذا لم يقل ولم يرده لأنه اعترف بكون ظاهرها نعمة مع التنبيه على أنها نعمة حقيقية بخلاف الأول كما عرفته من أنه لما قدح نبوته بالقتل العمد رده بأنه ليس بعمد وأنه قبل النبوة .



قوله تعالى: وَتِلْكَ نِعْمَةٌ كُنَّا عَلَىٰ لََّ عَدُوًّا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٢﴾

قوله: (أي وتلك التربية نعمة تمنها علي بها ظاهراً) أي تلك التربية أي المشار إليه

قوله: ثم كر على ما عد فرعون عليه من النعمة يقال كره أي رجمه كراً وكر بنفسه كروراً يعدي ولا يعدي أي ثم رجع موسى على ما عد فرعون عليه من النعمة بقوله: ﴿ألم نترك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك ستين﴾ [الشعراء: ١٨] .

قوله: ولم يصرح برد ما عده عليه نعمة وهو التربية حيث لم يقل صريحاً أنت ما ربيته لأن التربية كانت واقعة ثابتة غير ممانعة لدعواه في أنه رسول رب العالمين بل نيه على أن ما عده نعمة فهو في الحقيقة نعمة لأنه مسبب عنها لأن تربيته ذلك كانت بسبب ذبحه أبناء بني إسرائيل وتعييدهم وذبح أبنائهم كان سبباً لإلقاء موسى في التابوت والقائه في اليم والقائه في أليم كان سبباً لوصوله إلى فرعون وتربيته فتربيته له مسببة عن النعمة التي هي تعييد بني إسرائيل وقصد ذبح أولادهم بهذه الوسائط وفي الكشف وكذب فرعون ودفع الوصف بالكفر عن نفسه وبرأ ساحته بأن وضع الضالين موضع الكافرين وبدأ بمحل من وشع للنبوة عن تلك الصفة ثم كر على امتنانه عليه بالتربية قابطله واستأصله من سنحه وأبى أن تسمى نعمته إلا نعمة حيث بين أن حقيقة إعمامه عليه تعييد بني إسرائيل لأن تعييدهم وقصدهم بذبح أبنائهم هو التسبب في حصوله عنده وتربيته فكان امتن عليه بتعييد قومه إذا حققت وتعييدهم تذليلهم واتخاذهم عبيداً أي إذا حققت التربية والعنة التي امتن بها فرعون على موسى عليه السلام كانت بتعييد بني إسرائيل وهي نعمة لا نعمة فهو من تعكيس الكلام .

التربية المنهزمة من ألم تترك لأن الاستفهام إنكار النفي وتقرير المتني قوله ظاهراً وهذا دليل على ما ذكرناه من أنه اعترف بكونها نعمة ظاهراً لا حقيقة فرد كونها نعمة أيضاً أي مثل رد الأول وهذا باعث كونه صادقاً قوله تمنها أي تعدها من المن بمعنى التعداد وهو على ظاهرها من الاستقبال أو تنعمها من العنة بمعنى المنحة فحينئذ صيغة الاستقبال لاستحضار الحال الماضية والأول أولى إذ حكاية الحال الماضية من طرفه عليه السلام ليست بمستحسنة هنا .

قوله : (وهي في الحقيقة تعبيدك بني إسرائيل وقصدهم بذبح أبنائهم فإنه السبب في وقوعي إليك وحصولي في تربيتك) وهي في الحقيقة تعبيدك في هذه الجملة مبالغة حيث جعل النعمة حقيقة نفس تعبيده والمراد أنه مسبب عن ذلك التعبيد قوله فإنه أي التعبيد السبب في وقوعي الخ^(١) إشارة إلى ما ذكرنا كقوله فيما سبق لكونه مسبباً عنها قوله وقصدهم الأولى وقصدك بذبح أبنائهم هذا داخل في التعبيد ولذا أورده عقيه .

قوله : (وقيل إنه مقدر بهزمة الإنكار أي أو تلك نعمة تمنها علي وهي أن عبت) مرضه لأنه خلاف الظاهر مع أن همزة الاستفهام لا تحذف في اختيار الكلام إلا عند الأخفش لكن على هذا يوجد الرد حينئذ صريحاً قوله وهي أن عبت هذه جملة حالية مؤكدة للإنكار .

قوله : (ومحل أن عبت الرفع على أنه خبر محذوف) ومحل أن عبت أي على الوجهين^(٢) والمبتدأ هي كما نبه عليه بقوله وهي في الحقيقة فحمله عليها بملاحظة الحقيقة

قوله : وقيل إنه مقدر بهزمة الإنكار أي أو تلك نعمة تمنها علي وهي أن عبت فيستفاد من الاستفهام الإنكاري أن ما عددته نعمة ومننت بها علي ليست بنعمة بل هو تعبيدك قومي بني إسرائيل وهي نعمة علي قال محيي السنة في المعالم اختلفوا في تأويلها فحملها بعضهم على الإقرار وبعضهم على الإنكار فمن قال هو إقرار قال عددا موسى نعمة منه عليه حيث رياه ولم يقتله كما قتل غلمان بني إسرائيل ولم يستعبده كما استعبد بني إسرائيل مجازاً بل هو نعمة علي عبت بني إسرائيل وتركنتي فلم تستعبدني ومن قال هو إنكار قال قوله وتلك نعمة هو على طريق الاستفهام يعني أو تلك نعمة حذف ألف الاستفهام كقوله : ﴿فهم الخالدون﴾ [الأنبياء : ٣٤] يقول تمن علي أن ربيتي وتنسى جناتك علي بني إسرائيل بالاستعباد والمعاملات القبيحة أو يريد كيف تمن علي بالتربية وقد استعبدت قومي ومن أهين قومه ذل فتعبدك بني إسرائيل قد احبط إحسانك إلي وقال صاحب الكشف فإن قلت إذن جواب وجزاء والكلام وقع جواباً لفرعون فكيف وقع جواباً جزاء قلت قول فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى أنك جازيت نعمتي بما فعلت فقلت له موسى فعلتها مجازياً لك تسليماً لقوله لأن نعمته كانت عنده جديدة بأن يجازي بنحو ذلك الجزاء .

(١) ولو تركهم لرياه أبواه فكان فرعون آمن على موسى عليه السلام بتعبيد قومه وذبح أبنائهم وإخراجه من حجر أبيه فظهر أن اتعاهم عليه تعبيد بني إسرائيل .
(٢) أي على الوجهين الأولى أي على الوجه الأول فاعمل .

وإلا فهما متباينان وبعد ملاحظة الحقيقة فالحمل من باب المبالغة والجملة حالية.

قوله : (أو يدل نعمة) أي يدل الكل بناء على المبالغة وفي نسخة أو يدل من المبتدأ أو الخير والمبتدأ تلك والخير نعمة بناء على المبالغة لكونها مسببة عن التعييد كأنها هو.

قوله : (أو الجر بإضمار الباء أو النصب بحذفها) أو الجر الخ فيجئ لا يكون من باب المبالغة أو النصب أي نصب محله بملاحظة حذف الباء كما أن محله مجرور بتقديرها.

قوله : (وقيل تلك إشارة إلى خصلة شتعاء مبهمة وأن عبدت عطف بباتها والمعنى تعبيدك بني إسرائيل نعمة تمنها علي وإنما وحد الخطاب في تمنها وجمع فيما قبله لأن النعمة كانت منه وحده) إلى خصلة شتعاء مبهمة لا يدري ما هي إلا بتفسيرها بأن عبدت وقد مر مراراً أن الحمل للمبالغة فحسن حمل النعمة على تلك الخصلة الشتعاء مرضه للفصل بينهما بأجنبي لكن بحسب المعنى أمس بالمقام.

قوله : (والخوف والفرار منه ومن ملكه) والخوف أي خوف القتل والفرار لخوفه منه أي من فرعون وملكه يدل عليه قوله : ﴿إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُتْرَكُونَ بِكَ يُقْتَلُونَ﴾ [القصص : ٢٠] الآية هذا الاستدلال يتوقف دخول فرعون في الملائكة وفيه نظر وقوله : ﴿مَنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْ﴾ [الشعراء : ٢١] فيه تغليب الحاضر على الغائبين.

قوله تعالى : قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾

قوله : ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ أظهر فرعون هنا دون ما سبق للالتباس هنا في بادىء النظر وما رب العالمين لما قال له إنا رسول رب العالمين خص هذا بالذكر هنا وفي طه قال : ﴿فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى﴾ [طه : ٤٩] لأنهما قالاه إنا رسولا ربك فالحقصة إما متعددة أو محمول على الحكاية بالمعنى وقد مر أن هذا وإن خالف لفظاً ما في سورة طه لكنه مطابق في المقصود.

قوله : (لما سمع جواب ما طعن به فيه ورأى أنه لم يرفعو بذلك) ورأى أي علم أنه

قوله : وإنما وحد الخطاب في تمنها أي وحد الخطاب في تمنها وعبدت وجمع في منكم وخفتكم لأن الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملكه المؤتمرين بقتله بدليل قوله ﴿إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُتْرَكُونَ بِكَ يُقْتَلُونَ﴾ وأما الامتنان فمعه وحده وكذا التعييد.

قوله : لما سمع جواب ما طعن به فيه أي لما سمع فرعون من موسى عليه السلام جواب ما طعن به زيد فيه أي لما سمع فرعون من موسى من قوله وفعلت فعلتك التي فعلت الضمير في به لما وفي فيه لموسى.

قوله : ورأى أنه لم يرفعو بذلك أي لم يترجى بما طعن به شرع في الاعتراض على دعواه في أنه رسول من رب العالمين فقال وما رب العالمين قال الإمام لم يقل لموسى وما رب العالمين إلا وقد دعاه إلى طاعة رب العالمين ﴿أَنْ أَوْسَلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ إذ لا بد أن يكونا متمثلين بالأمر مؤديين لتلك الرسالة بعينها عند اللعين فعند ذلك أنكر اللعين ذلك الكلام مفصلاً رد أولاً صدر

أي موسى عليه السلام لم يرعو أي لم ينته ولم ينكف من ارعوى بمعنى انتهى.

قوله: (شرع في الاعتراض على دعواه فبدأ بالاستفسار عن حقيقة المرسل) شرع في الاعتراض على دعواه أي دعوى وجود واجب الوجود ووحدانيته بقرينة قوله: ﴿وما رب العالمين﴾ [الشعراء: ٢٣]. وما تقدم الاعتراض على دعوى النبوة فلا إشكال فبدأ بالاستفسار الخ والمراد به ليس طلب الحق بل للتعنت^(١) عن حقيقة المرسل ويصح إسناد الإرسال إليه تعالى لكن إطلاق المرسل عليه تعالى ليس بمعلوم في الشرع.

قوله تعالى: قَالَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُومُ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤﴾

قوله: (عرفه بأظهر خواصه وآثاره) تنزيلاً لسؤاله عن الحقيقة منزلة السؤال عن خواصه تنبيهاً على أنه الأتقن بخاله لما كان السؤال عن الحقيقة بقوله: ﴿وما رب العالمين﴾ [الشعراء: ٢٣] أجاب بأنه تعالى رب هذه الأجرام المحسوسة فإنها تدل على أن له خالقاً واجباً وجوده فإن هذا استدلال ببعض أفراد العالمين لكونها محسوسة ممكنة فلا يتوهم شائبة المصادرة بأن فرعون لما لم يعرف أن للعالم رباً فالجواب بأنه تعالى رب السموات من قبيل إعادة الدعوى وفي تقرير المص إشارة إليه وبالجمله هذا استدلال بأن

الكلام وكونهما رسولين بقوله: ﴿ألم نريك فينا وليداً﴾ [الشعراء: ١٨] إلى آخره وثانياً بقوله: ﴿وما رب العالمين﴾ [الشعراء: ٢٣] ولذلك جيء بالواو والعاطفة وتقرير الأول ألم نعرفك أما كنت عندنا رضيعاً صغيراً ونحن وبينناك سنين كالأولاد وعرفناك أيضاً كافر النعمة حيث جازيت تلك النعمة بقتل بعض خدمننا فمن أين أنت والرسالة فأنكر نبوته بتحقيق شأنه وكفرانه النعمة وادمج فيه معنى الامتنان وأجابه موسى عليه السلام بقوله: ﴿فعلتها إذا وأنا من الضالين﴾ [الشعراء: ٢٠] الآية مسلماً مقتضاه وميثاق رسالته ومبطلاً لادعائه يعني هب أي كنت كما تقول صبيّاً رضيعاً عندكم قائلاً للنفس وذلك كيف يقدم في دعوى رسالتي لأن الله تعالى فاعل مختار يختص برسالته من يشاء فاختارني للرسالة وهوب لي حكماً يعني أنني كنت إذ ذاك غير عالم بالشرائع فوهب لي ربي معرفة من الأحكام وجعلني مرسلأ ثم رجع إلى جواب ما أدمج اللعين في الاعتراض من الامتنان قائلاً وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل فأبطله من أصله تبرأ من تلك الرذيلة التي نسبها اللعين إليه من كفران النعمة ثم رجع اللعين إلى قوم موسى رب العالمين بعدما القمه نبي الله الحجر في إنكار الرسالة مستفهماً ومأرب العالمين يعني هب أنك رسول رب العالمين فما مرادك وما تعني بقولك رب العالمين وما قصدك في تخصيصه بالذكر اتعني به التعريض بإنكار الهيئتي أم غير ذلك يدل عليه قوله بعد هذا: ﴿لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين﴾ [الشعراء: ٢٩] فأجاب عليه السلام بما فيه إنكار الهيئته وأن يكون رب العالمين تعريضاً بقوله: ﴿رب السموات والأرض وما بينهما﴾ [الشعراء: ٢٤] إن كنت أنت وهؤلاء البهائم الذين اتخذوك إلهاً وسموك برب العالمين من الذين يحققون الأشياء بالنظر الصحيح الذي يؤيدهم إلى الايقان.

(١) ليتفرع عليه أغراضه الفاسدة كما هو دأب المناظرين فإني له ذلك.

هذا المحسوس له مبدأ واجب لذاته على أن جميع الممكنات له مبدأ واجب الوجود إذ لا فرق بين ممكن وممكن فإذا ثبت لبعضه خالق واجب لذاته ثبت للكل.

قوله: ﴿لما امتنع تعريف الأفراد إلا بذكر الخواص والأفعال﴾ لما امتنع ما مصدرية^(١) أي لامتناع تعريف الأفراد لأن الفرد المعين لا يحد لأنه يشار إليه بالإشارة الحسية وكل ما هذا شأنه إنما يعرف بالإشارة وهي غير معرفة في الحقيقة وإنما المعروف خواصه ومشخصاته ولا يخفى عليك أن الإشارة الحسية ممتنعة في حقه تعالى ومنشأ امتناع تعريفه تعالى أمران وفي سائر الأفراد أمر واحد والحاصل أن تعريف الأفراد بما يفيد تعيينها وتشخصها بحيث لا يمكن اشتراكه بين كثيرين بحسب العقل أي التعقل إنما يحصل بالإشارة والهدية ولذا قيل إدراك زيد قبل الرؤية بالتعريف الذي هو يخص به في الخارج وفي نفس الأمر كلي لا جزئي وإن كان منحصراً في فرد في الخارج وإنما قال تعريف الأفراد ليكون إثبات الدعوى بالبرهان.

قوله: ﴿وإليه أشار بقوله: ﴿إن كنتم موقنين﴾﴾ [الشعراء: ٢٤] وإليه أشار أي إلى امتناع تعريفه بالحد حقيقة كسائر الأفراد والجزئيات الحقيقة إلا بذكر الخواص والأفعال وعبر بالإشارة لظهور أنه لا تصريح فيه والحصص المستفاد من تقديم المعمول بالقياس إلى كونه رب السموات فإن هذا القول لا إشارة فيه إليه بل صريح فيه ولذا قال في جواب الشرط المحذوف علمتم أن الأجرام الخ إلى قوله ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه إلا بلوازمه الخ فإن هذا مشار إليه^(٢) غير مسوق له الكلام.

قوله: ﴿أي ﴿إن كنتم موقنين﴾﴾ [الشعراء: ٢٤] الأشياء محققين لها) قدر المفعول العام والمراد الأشياء الموجودة ممكناً أو واجباً قوله محققين لها توضيح معنى الإيقان إذ الإيقان اتقان العلم بنفي الشك والشبهة عنه وهو معنى التحقيق وكلمة الشك في إن كنتم لأن الإيقان صاحبه^(٣) قليل نادر.

قوله: ﴿علمتم أن هذه الأجرام المحسوسة﴾ قدر مفعوله غير مفعول الشرط ليفيد

قوله: ﴿لما امتنع تعريف الأفراد لتعليل لقوله عرفه بأظهر خواصه أي عرفه بما هو أظهر خواصه لامتناع تحديد الأفراد جميع الفرد بمعنى البسيط فإن البساط لا تحد لأن الحد مركب من الجنس والفصل والبساط لا تركيب فيها وإنما قال تعريف الأفراد ولم يقل تعريف البساط تأدياً منه إذ يقال الله تعالى فرد ولا يقال بسيط لأن أسماء الله تعالى توفيقية.

قوله: ﴿علمتم جواب شرط هو إن كنتم موقنين قوله وذلك المبدأ أي مبدأ هذه الأجرام

(١) هذا إذا كان بالتخفيف وهو الظاهر في التعليل ولذا اكتفى به ويحتمل لما بالتشديد جوابه محذوف يدل عليه عرفه وهو تكلف.

(٢) به على أن المراد الإشارة في اصطلاح الأصول.

(٣) بل الظاهر أنه بمعنى لو أي لو كنتم موقنين لعلمتم فكلاهما متفيان هنا.

الفائدة المذكورة وفي الأجرام تغليب لأن ما بينهما ليس منهما قوله المحسوسة أي بعضها محسوس وكثيرها غائب عنا.

قوله: (ممكنة لتركيبها وتعددتها وتغير أحوالها فلها مبدأ واجب لذاته) ممكنة لتركيبها هذا في الإمكان كاف قوله وتعددتها الخ لمزيد التوضيح هذا صغرى وكبراهها مطلوبة أي وكل ما هذا شأنه فله مبدأ خارج عن سلسلة الممكنات واجب لذاته فقوله

المحسوسة لا بد وأن يكون مبدأ لجميع الممكنات وإلا لزم تعدد الواجب أي وإن لم يكن ذلك المبدأ مبدأ لسائر الممكنات فإن كان لسائر الممكنات مبدأ آخر غيره لزم تعدد الواجب وإن لم يكن لها مبدأ لزم استغناء بعض الممكنات عنه وكلاهما مع فلما سمع جواب موسى عليه السلام اختد العين وقال لمن حوله ألا تسمعون أي ألا تسمعون هذه العظيمة وألا ترون هذه الجراءة فثنى نبي الله التفرع بقوله: ﴿ريكم ورب آبائكم الأولين﴾ [الشعراء: ٢٦] تفصيلاً لذلك المجمل فإن المشاهد من الآيات الدالة على وجود الصانع ينقسم إلى دليلي الآفاق والأنفس فنبه به على غباوتهم وأن الرب ينبغي أن يكون متقدماً على المربوب ومتأخراً عنه هو الأول والآخر فكيف تتخلونه ريا سوى ريكهم الحقيقي والحال أن آبائكم الأولين قد تقدموا عليه وأنه سيموت قبلكم أو قبل آبائكم فعند ذلك زاد في نفر عنه وشدة شكيمته فنسبه إلى الجنون استكباراً وعناداً وتهكم به بقوله: ﴿إن رسولكم﴾ [الشعراء: ٢٧] الآية وتوكيده بوصف يدل على مزيد تقرير التهكم برسائه سفاهة فعاد نبي الله إلى تقرير ثالث بقوله: ﴿رب المشرق والمغرب﴾ [الشعراء: ٢٨] عرض به أن الرب ينبغي أن يكون قادراً على ما في يده وتحت تصرفه وأنتم تعلمون أن مشارق الأرض ومغاربها ليست في تصرفه ولا يملك منها على شيء وإلا حاط منها علماً بشيء وذيله بقوله: ﴿إن كنتم تعلمون﴾ [الشعراء: ٢٨] رداً لنسبة الجنون إليه أي كيف تنسبون إلى الجنون وأنتم مسلوبي العقل فاقدو اللب حيث لا تميزون بين هذه الشواهد ولا تنظرون إلى هذه الآيات البينات ولما عجز اللعين عن المحاجة عدل إلى التخويف بالسجن كما هو دأب المفحم المبهوت ولما قهره نبي الله في الاحتجاج انتقل إلى نوع آخر من الدلائل وهو اظهار المعجزة قاتلاً أو لو جنتك بشيء مبين وهذا الذي ذكرناه هو المسطور في بعض حواشي الكشف قوله: ألا تسمعون جوابه سألته عن حقيقته وهو يذكر أحواله قال صاحب المفتاح ولكون ما للسؤال عن الجنس والسؤال عن الوصف وقع بين فرعون وبين موسى عليه السلام ما وقع لأن فرعون كان جاهلاً بالله معتقداً أن لا موجود مستقلاً بنفسه سوى أجناس الأجسام كأنه قال أي جنس من أجناس الأجسام هو وحين كان موسى عليه السلام عالماً بالله عز وجل أجاب عن الوصف تنبيهاً على النظر المؤدي إلى العلم وهو المراد من قول القاضي رحمه الله عرفه بأظهر خواصه يريد أن الجواب من الأسلوب الحكيم أرشده بقوله: ﴿رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين﴾ [الشعراء: ٢٤] إلى طريق المعرفة وتحصيل الإيقان يعني من يكون هذه الأجرام العظام مربوبة مخلوقة له وهو مالكيها ومدير أمرها لا يكون هو من جنسها قوله أو يزعم عطف على يذكر أي لا يذكر أي ألا يستمعون جوابه وهو يزعم أنه رب السموات وقوله أو غير معلوم عطف على واجبة أي وهو يزعم أنه رب السموات وهي غير معلوم افتقارها إلى مؤثر قبل ومن حوله هم أشراف قومه من الملوك المشار إليهم وهم كانوا خسمانة ملك عليهم الأساور وكانت الملوك خاصته.

فلها مبدأ واجب لذاته نتيجة الدليل أما الصغرى فبديهية وأما الكبرى فلا متنازع الدور والتسلسل لأن سلسلة الممكنات لو لم تنته إلى الواجب لزم إما الدوران رجوع أو التسلسل إن ذهب إلى غير النهاية وكلاهما محال ولظهوره لم يتعرض له المص هنا وقد بين في علم الكلام بما لا مزيد عليه .

قوله : (وذلك المبدأ لا بد أن يكون مبدأ لسائر الممكنات ما يمكن أن يحس بها وما لا يمكن وإلا لزم تعدد الواجب أو استغناء بعض الممكنات عنه وكلاهما محال ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه إلا ببلوازمه الخارجية) وذلك المبدأ الخ شروع في بيان التوحيد إثر إثبات الواجب الوجود بالوجه الذي قررناه حاصله أن ذلك المبدأ الواجب كما يكون مبدأ لما يحس من الممكنات لا بد وأن يكون مبدأ لسائر الممكنات سواء كان ممكناً حسه ولا نحسه أو لا يمكن حسه وإلا لزم تعدد الواجب أو استغناء بعض الممكنات عنه أي عن الواجب واللازمان باطلان وكذا الملزوم أما الأول فلبرهان التمانع وقد قرره المص في سورة البقرة^(١) مع التفصيل منا وأما الثاني فلأن الممكن لإمكانه يحتاج إلى مؤثر في وجوده وإلا يلزم الوجود بلا موجد ولا إيجاد إذ الممكن ما لا يقتضي ذاته وجوده ولا عدمه فإنه ما لم يكن واجباً بالعلة الناعمة لا يكون موجوداً ومن أراد الاستقصاء في هذا المرام فليراجع إلى المقدمات الأربع مع شرحنا عليها فقله : ﴿رب السموات﴾ [الشعراء : ٢٤] كما دل على وجود واجب لذاته كذلك دل على وحدته كما عرفته وفرعون وإن كان منكراً لوجود الواجب لذاته وإثباته فقط كاف في رده لكن أثبت وحدانيته أيضاً تنميماً للفائدة وإسكناً للخصم بالمرّة ثم حاول بيان أن في قوله : ﴿إن كنتم موقنين﴾ [الشعراء : ٢٤] إشارة إلى امتناع تعريفه تعالى كسائر الأفراد فقال ثم ذلك الواجب الخ .

قوله : (لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل فيه) لاستلزامه توقّف الشيء على نفسه واستحالته بديهية .

قوله : (لاستحالة التركيب في ذاته) وجه إشارة قوله ﴿رب السموات﴾ إليه هو أنه لما كان السموات لكونها مركبة كانت ممكنة محتاجة إلى مؤثر علم أنه تعالى ليس بمركب وألا يكون ممكناً لا واجباً وجوده فإذا لم يكن مركباً لا يمكن التعريف بما هو داخل فيه وأما امتناع التعريف بنفسه فلا إشارة إليه في هذا القول فذكره لتكميل البحث .

قوله تعالى : قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾

قوله : (جوابه سألته عن حقيقته وهو يذكر أفعاله) جوابه مفعول ألا تسمعون حذف للفاصلة قد مر الفرق بين السمع والاستماع والاستفهام للإنكار والتعجب قال فرعون سألته

(١) حيث قال إذ لو كان معه إله يقدر على ما يقدر عليه فإن توافق إرادتهما فالفاعل إن كان لهما لزم اجتماع مؤثرين على أثر واحد وإن كان لأحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الآخر المنافي لإلهيته وإن اختلفت لزم التمانع والتضاد كما أشار إليه بقوله تعالى : ﴿لو كان فيهما إلهة إلا الله لفسدتا﴾ الآية .

عن حقيقته فإن ما يسأل بها عن الحقيقة مطلقاً سواء كان من أولي العلم أو لا فلذا لم يقل ومن رب العالمين وهو يذكر أفعاله ولم يراع مطابقة الجواب للسؤال مراده به القدرح والتعلل بعدم التصديق.

قوله: (أو يزعم أنه هو رب السموات وهي واجبة متحركة لذاتها كما هو مذهب الدهرية) أو يزعم عطف على يذكر لكن هو عين المعطوف عليه في المآل فالأولى أنه عطف على سألته وهي أي السموات واجبة لذاتها جملة حالية تفيد عدم كون السموات مخلوقة فلا يكون له رب وكذا الكلام في الأرض كما هو مذهب الدهرية النافين للصانع وفرعون لما احتمل كونه دهرياً كما سيصرح به ذكر هذا الاحتمال في قوله: ﴿قال لمن حوله﴾ [الشعراء: ٢٥] الآية وكونها واجبة متحركة لذاتها بناء على عدم العلم بإمكانها^(١) وحدوثها والخطأ في النظر وعدم المعرفة بمعنى الواجب لذاته والإمكان لذاته.

قوله: (أو غير معلوم افتقارها إلى مؤثر) فلا يشك ما قاله عليه السلام على زعمه على التقديرين أما على الأول فظاهر وأما على الثاني فلأنها ح لا قطع بافتقارها بعد تسليم إمكانها وعدم كونها واجبة لذاتها إذ الافتقار فرع إمكان تأثير الغير أما في الماهية^(٢) أو في الوجود أو الموصوفية والكل غير معلوم ثبوته إذ الماهية ليست بمجمولة بسيطة أو مركبة كما بين في محله مع اختلاف فيه وكذا الوجود لأنه أيضاً ماهية من الماهيات وكذا انصاف الماهية بالوجود بمعنى أنه أي المؤثر يجعل انصافها موجوداً متحققاً في الخارج وأما بمعنى أنه يجعلها متصفة بالوجود بعد أن لم تكن متصفة به فتأثير الفاعل فيه ثابت متحقق مما لا ينبغي أن ينازع فيه لكن لمن حرم من النظر الصائب والفكر الثاقب أن ينازع فيه وعن هذا قال أو غير معلوم افتقاره إلى مؤثر^(٣) بناء على زعمه وسائر الدهرية بدون قطع في أحد الطرفين وإنما تعرض هذا الاحتمال الواهي ولم يكتف بالوجه الأول وهو قوله سألته عن حقيقته وهو يذكر أفعاله مع أنه كاف في حل قوله: ﴿لمن حوله ألا تسمعون﴾ [الشعراء: ٢٥] إذ قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام ﴿قال ربيكم﴾ [الشعراء: ٢٦] الآية ملائم للاحتمال الثاني الذي بطلانه واضح كما أشار إليه بقوله عدولاً إلى ما لا يمكن الخ.



قوله تعالى: قَالَ رَبِّكُمْ رَبِّيَ آبَائُكُمُ الْأَوَّلِينَ

قوله: (عدولاً إلى ما لا يمكن أن يتوهم فيه مثله ويشك في افتقاره إلى مصور حكيم

قوله: عدولاً مفعول له لقال أي قال: ﴿ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ [الشعراء: ٢٦] عدولاً

(١) الذي هو علة الحاجة إلى المؤثر.

(٢) عبر بالماهية يشيء إشارة إلى أن كل شيء اسأله فهو يجيبني عن شيء آخر مغاير لما سألته فضلاً عن الماهية وجوايبها وفيه مبالغة جداً.

(٣) أو غير معلوم افتقاره إلى مؤثر لأنه غير معلوم كون وجوده واجباً أو ممكناً وهذا هو المناسب للمقام ولا حاجة إلى التصيل الذي ذكر في أصل الحاشية تبعاً للبعض مع بعض شيء الحقاق.

ويكون أقرب إلى الناظر وأوضح عند التأمل) عدولاً إلى ما لا يمكن الخ يعني أنه عليه السلام كان قادراً على إثبات كون السموات والأرض ممكنة مفتقرة إلى مؤثر واجب لذاته مستغن عن جميع ما عده كما مر تقريره بقوله لتركبها وتعددها وتغير أحوالها لكن أعرض عن معارضته الفاسدة واعتراضه عليها إلى الاحتجاج بما لا يقدر فيه أن يتوهم فيه مثله ويشك في افتقاره دعماً للمشاغبة وقصراً للمسافة وهو في الحقيقة عدول عن مثال خفي إلى مثال جلي^(١) أقرب إلى الناظر وأوضح عند التأمل وهذا مثل محاجة رئيس الموحدين خليل الله مع نمروود عدو الله ومثل هذا لا يسمى إلزاماً بل عدول عن إتمام الأول إلى ما هو أوضح منه وإلى هذا التفصيل أشار طاب الله ثراه بقوله عدولاً إلى قوله وأوضح عند التأمل وجه الأوضحية أنه لا يشك في حدوثه وافتقاره إلى مؤثر واجب الوجود متعالياً عن معارضة غيره ومن شك في حدوث ما ذكر إما مغالط أو مجنون قوله مثله الضمير لما مر من الوجوب لذاته أو عدم الافتقار على تقدير إمكانه ومثل كناية كقوله: ومثلث لا يبخل وليست بمقحمة وبهذا البيان ظهر فساد الوجه الأول من الوجهين الأخيرين في تفسير قال: ﴿لمن حوله﴾ [الشعراء: ٣٤] الآية وأما الوجه الأول فيجوز عليه أن يقال إنه عليه السلام عدل إلى ذكر لازم أجلى وأظهر من الأول تنبيهاً على عدم إمكان تعريفه بدون خواصه وإنما لم يتعرض له صراحة لانتهامه من التقرير المذكور بأدنى عناية والمص لم يبين كلامه

إلى دليل آخر اظهر من الدليل الأول وهو عالم الأنفس كما أن ذلك عالم الآفاق فإنه مما لا يمكن أن يتوهم فيه رب آخر مثله أي مثل ربهم الحقيقي قوله ويشك عطف على يمكن وقوله ويكون عطف على لا يمكن أي عدولاً إلى ما لا يمكن أن يشك في افتقاره إلى مصور حكيم وإلى ما يكون أقرب إلى الناظر وجه كونه أقرب أن أقرب المنظور فيه للناظر نفسه ومن ولد منه وما شاهد وعابن من الدلائل على الصانع الناقل له من حال إلى حال ومن هيئة إلى هيئة من وقت ولادته إلى وقت وفاته ثم خصص المشرق والمغرب بالذكر من بين سائر المشاهدات لأن طلوع الشمس من أحد الخافقين وغروبها في الآخر على تقدير مستقيم في فصول السنة وحساب مستو من اظهر ما استدلل به على الصانع الحكيم وظهور ذلك انتقل إلى الاحتجاج به إبراهيم عليه السلام حيث قال إن الله يأتي بالشمس من المشرق فإن بها من المغرب عن الاحتجاج بالاحياء بقوله وهو يحيي ويميت ولما قال نمروود وأنا آحيي وأميت انتقل إبراهيم منه إلى دليل اظهر منه فقال ﴿إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر﴾ [البقرة: ٢٥٨] فقله رحمه الله ويكون أقرب إلى الناظر وأوضح عند التأمل إشارة إلى أن الدلائل المبنية في السموات والأرض أبعد متناولاً من النظر في أنفسهم وآبائهم لأن الأول مشتمل عليه وعلى الدلائل الآفاقية أيضاً والثاني أبعد منظوراً من الثالث لأن المنظور في الثاني الانتقال من هيئة إلى هيئة ومن حال إلى حال من وقت الولادة إلى وقت الوفاة ولا كذلك النظر في طلوع الشمس وغروبها في فصول السنة فالمراد بقوله أقرب إلى الناظر الدليل الثاني وقوله وأوضح عند التأمل الدليل الثالث.

(١) وفيه إشارة إلى أن هذا العدول ليس من برهان إلى برهان آخر حتى يظن الأفهام في الجملة وقد أوضحنا ذلك في قصة إبراهيم عليه السلام.

على تفسير هذه الآية على الوجهين الأخيرين في تفسير الآية السابقة بناء على ترجيحهما على الأول كيف لا ورجح الأول حيث قدم ولأنه مناسب لمذاق^(١) الكلام.

قوله تعالى: قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾

قوله: (أسأله^(٢)) عن شيء فيجيبني عن آخر) أسأله عن شيء وهو السؤال عن حقيقته فيجيبني عن آخر وهو الجواب بذكر خواصه وأفعاله وهذا الجواب على الأسلوب الحكيم كما أشرنا إليه من أنه عليه السلام نزل سؤاله بمتزلة السؤال عن خواصه فأجاب بذكرها لكن لكمال حقه لم يفهم ذلك فظن أن الجواب لا يطابق السؤال^(٣) وكلامه هنا شاهد على ما قلنا من أن مساق الكلام جواب فرعون بالأسلوب الحكيم واستغرابه بعدم مطابقة الجواب السؤال لعدم معرفته لفرط حقه وتعرض المص في قوله قال: ﴿لمن حوله ألا تستمعون﴾ [الشعراء: ٢٥] قوله أو يزعم أنه هو رب السموات لتضمنه قوله سألته عن حقيقته وهو يذكر أفعاله.

قوله: (وسماه رسولاً على السخرية) أي على الاستعارة التهكمية أو بناء على زعم المخاطبين المصدقين به عليه السلام.

قوله تعالى: قَالَ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ ﴿٢٨﴾

قوله: (تشاهدون كل يوم أنه يأتي بالشمس من المشرق ويحركها على مدار غير مدار اليوم الذي قبله حتى يبلغها إلى المغرب على وجه نافع ينتظم به أمور الكائنات) يأتي بالشمس أي طلوع الشمس في كل يوم حادث لا بد له من صانع وكذا تحرك الشمس على مدارات مختلفة مع إمكان غيرها من أنحاء متشعبة لا بد له من موجد قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه حكمته وتقتضيه مشيئته متعالياً عن معارضه غيره فهو أيضاً دليل على وجود الواجب لذاته ووحدانيته وهذا أيضاً مما لا يمكن أن يتوهم فيه ما يتوهم في السموات ذكره بعد ما رماه من الإفك الجسيم إظهاراً لفرط حماقته وتحريضاً للفكر الصائب لعله يتذكر أو يخشى قوله حتى يبلغها إشارة إلى كونه رب المغرب كما أن قوله على وجه نافع الخ إشارة إلى كونه تعالى رب ما بينهما ونبه بهذا أن المراد بالمشرق والمغرب طلوع الشمس^(٤) وغروبها وتحريكها على وجه مخصوص من وجوه مختلفة ممكنة.

(١) إذ الكلام أنه ظن عدم مطابقة جوابه عليه السلام لسؤاله فلما قال ﴿ربكم ورب آياتكم﴾ بهمت وعجز عن الشك الذي أوقعه في قوله: ﴿رب السموات﴾ ومعلوم بالدينية أنه فعلة وخواصه فيكون التزاماً جواباً يذكر أفعاله ولذا قال إن رسولكم الذي أرسل الخ وفسره المص بأنه أسأله عن شيء الخ.

(٢) حكاية الحال الماضية وكذا فيجيني.

(٣) مع أنه مطابق على الأسلوب الحكيم.

(٤) قال في الكشف ثم خصص المشرق والمغرب لأن طلوع الشمس من أحد المخالفين وغروبها في الآخر انتهى وهو قريب مما فهم من كلام المص ولك أن تحمل كلام المص على ما قاله الكشف.

قوله: (إن كان لكم عقل علمتم أن لا جواب لكم فوق ذلك) إن كان لكم عقل خالص عن الوهم فلذا أتى بكلمة الشك وأشار إلى أن تعقلون من العقل بمعنى القوة التي بها تدرك النفس الأشياء الكلية ويمكن حمله على ذلك الإدراك أي إن كنتم تعلمون حقيقة الأشياء أو إن كنتم من أهل العلم واكتفى بالأول للتعريض بأن المجنون في الحقيقة من غفل عن ربه ونسب المجنون إلى العارف بالله تعالى.

قوله تعالى: قَالَ لَيْنَ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْخُورِينَ ﴿٢٩﴾

قوله: (لاينهم أولاً ثم لما رأى شدة شكيمتهم خاشنهم وعارضهم بمثل مقاتلتهم عدولاً إلى التهديد عن المحاجة) لاينهم من اللبنة على وزن المفاعلة عاملهم باللين والرفق لما قال لهم ﴿إن كنتم موقنين﴾ [الشعراء: ٢٦] ثم خاشنهم وأغلظ في الرد عليهم بقوله: ﴿إن كنتم تعقلون﴾ [الشعراء: ٢٨] قوله عن المحاجة متعلق بقوله عدولاً والتعبير بالمحاجة لكونها في صورة المحاجة.

قوله: (بعد الانقطاع وهكذا يدن المعاند المحجوج) بعد الانقطاع أي بعد انقطاع البحث ولم يكن له محال بالمناقشة ولم يكن له أن ينكر ظهور آثار صنعه تعالى ديدن بفتح الدال العادة المحجوج المغلوب.

قوله: (واستدل به على ادعائه للآلوهية وإنكاره للصانع) واستدل به أي بقوله: ﴿لئن اتخذت إلهاً غيري﴾ [الشعراء: ٢٩] أو بقول: ﴿وما رب العالمين﴾ [الشعراء: ٢٣] إلى هنا على أن فرعون يدعي الآلوهية وهذا لا يلائم قوله: ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾ [القصص: ٣٨] قال المص هناك نفى علمه بإله غيره دون وجوده إذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم بعدمه انتهى. وهذا لا يلائم الادعاء

قوله: لاينهم أولاً ثم لما رأى شدة شكيمتهم خاشنهم هذا بيان لوجه قوله عليه السلام أولاً ﴿إن كنتم موقنين﴾ [الشعراء: ٢٤] وفي هنا ﴿إن كنتم تعقلون﴾ [الشعراء: ٢٨] يعني لاين موسى عليه السلام أولاً وخاطبهم بالرفق حيث لم يخاطبهم أولاً بما يوهم أنهم منسلبون عن العقل بل خاطبهم بما يوهم أنهم مسلوبو اليقين وجه الرفق فيه أن سلب اليقين لا يستلزم سلب العقل والتمييز ثم لما رأى منهم شدة الشكيمة في العناد وقلة الإصغاء إلى عرض الحجج خاشن وعارض قوله: ﴿إن رسولكم لمجنون﴾ [الشعراء: ٢٧] بقوله: ﴿إن كنتم تعقلون﴾ [الشعراء: ٢٨] حيث خاطبهم بما يوهم أنهم مسلوبو العقل والتمييز.

قوله: وهذا ديدن المعاند المحجوج أي التهديد بعد انقطاع الكلام والمعجز عن المحاجة ديدن المعاند المحجوج أي عادة المعاند المغلوب بالحجة.

قوله: واستدل به على ادعائه للآلوهية أي واستدلوا بقول فرعون لأن اتخذت إلهاً غيري على ادعائه للآلوهية وإنكاره للصانع على أن تعجبه بقوله: ﴿ألا تسمعون﴾ [الشعراء: ٢٥] كان من نسبة الربوبية إلى غيره لا من عدم طباق الجواب السؤال كما أول به أنفأ.

وعن هذا نسب الاستدلال إلى غيره ولم يقل وهو دليل على ادعاء الألوهية^(١).
 قوله: (وإن تعجبه بقوله: ﴿ألا تستمعون﴾ [الشعراء: ٢٥] من نسبة الربوبية إلى غيره ولعله كان دهرياً أو اعتقد أن من ملك قطراً وتولى أمره بقوة طالعه استحق العبادة من أهله واللام في من المسجونين للعهد أي ممن عرفت حالهم في سجنوني فإنه كان يطرحهم في هوة عظيمة عميقة حتى يموتوا) وإن تعجبه أي واستدل بتعجبه معطوف على قوله به ولعله كان دهرياً صيغة الترجي لعدم الجزم بذلك والقطر بضم القاف وسكون الطاء جانب من الأرض قوله استحق العبادة من أهله وهذا معنى كونه [لها] رياً قال المص في تفسير قوله تعالى حكاية عن فرعون فقال ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ [النازعات: ٢٤] أي أعلى من يلي أمركم ولم يرد به أنه خالق السموات والأرض وغيرها فإن العلم بفساد ذلك ضروري ومن شك فيه كان مجنوناً ولو كان مجنوناً لما جاز من الله تعالى بعثة الرسول إليه كذا قيل في تفسير قوله: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ [النازعات: ٢٤] وأشار المص في التقرير إلى ذلك قوله بقوة طالعه بناء على زعمه في تأثير الكواكب.

قوله: (ولذلك جعل أبلغ من لأسجنتك) لخلوه عن تلك الدلالة ولاحتتمال خلف الوعيد بخلافه من المسجونين لأن المسجونين أمر محقق فكونه من زميرتهم يكون أمراً مقطوعاً^(٢) قبل وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الأرض بعيدة العمق فرداً لا يبصر فيها ولا يسمع وكان ذلك أشد من القتل ولو قيل لأسجنتك لم يؤد هذا المعنى وإن كان أخصر.



قوله تعالى: قَالَ أَوْلَوْ جَنَّتْكَ بِشَى وَمُيِّنَ
 قوله: (أي أنفعل ذلك ولو جنتك بشيء مبين صدق دعواي يعني المعجزة فإنها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة على صدق مدعي نبوته) أي أنفعل

قوله: ولذلك جعل أبلغ من لأسجنتك أي وإفادة لأجملتك من المسجونين بدلالة لام التعريف في المسجونين معنى لأجملتك ممن عرفت حالهم في سجنوني جعل أبلغ من لأسجنتك وإن كان هو أخصر منه والهوة المهواة أي المسقط.

قوله: أنفعل ذلك ولو جنتك بشيء مبين يريد أن عامل الحال وذو الحال ما دل عليه قوله: ﴿لأجملتك من المسجونين﴾ [الشعراء: ٢٩] فالمعنى أنفعل ذلك أي اتجملتي منهم وإن جنتك بيئته ومعجزة قاهرة تدل على صدقي في دعواي هذه أي اتجملتي منهم حال كوني جانياً بشيء مبين.

(١) وإن كان قوله ﴿ويلوك والهنك﴾ يقتضي أنه مشترك قبل ولا يتنافى قوله ويدرك والهنك لجواز أن يدعي الألوهية لنفسه ولها أيضاً والأولى أن يكون مراده من غيره من العاقل.
 (٢) وليس هذا من قبيل قوله تعالى: ﴿وكانت من الفاتنين﴾ وذلك نوع آخر فيه بلاغة أخرى كما ذكره ابن جني كلما قيل.

ذلك أي جعلك إياي من المسجونين ولو جئت بك بشيء مبين مظهر صدق دعواي أشار إلى أن مبين من أبان المتعدي ومفعول صدق دعواي وهو قوله: ﴿إني رسول رب العالمين﴾ [الأعراف: ١٠٤] وإن الله تعالى رب السموات فلذا قال فإنها أي المعجزة الجامعة بين الدلالة الخ خص الخطاب به لأنه رئيس القوم وأن الكلام معه وإلا فالمعجزة عامة لهم.

قوله: ﴿فالواو للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل﴾ فالواو للحال ولو منسلخة عن معنى الشرطية^(١) وليها^(٢) الهمزة بعد حذف الفعل فلا يتوهم كون الحال إنشاء إذ مدخول الهمزة الفعل المقدر وفي مثل هذا جوز كونها عاطفة للمبالغة أي أنفعل ذلك مع إنكار نبوتي لو لم أتيت بمعجزة ولو جئت بها ويقيد المبالغة أيضاً ما اختاره المص والاستفهام للإنكار أي لا تقدر ذلك في تلك الحال.

قوله: ﴿فالواو للحال أي الواو في أو لو جئت للحال وليها همزة الاستفهام بعد حذف الفعل﴾ التائب للحال العامل في ذي الحال وهو أنفعل ذلك فلما حذف الفعل زحلت الهمزة إلى صدر الحال قال الطيبي يمكن أن يقال إن الواو في أو لو جئت بك شيء مبين عاطفة وهي تستدعي معطوفاً عليه وهو ما سبق في أول المكالمة بين نبي الله وعدوه والهمزة مقحمة بين المعطوف والمعطوف عليه للتقرير والمعنى أو تقر بالوحدانية ورسالتني إن جئت بعد الاحتجاج بالبراهين القاهرة والمعجزات الباهرة الظاهرة ولو بمعنى أن غير عزيز ويؤيد هذا التأويل ما في الأعراف ﴿قد جئتكم بيئة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل﴾ [الأعراف: ١٠٥] قال: ﴿إن كنت جئت بآية فات بها إن كنت من الصادقين﴾ [الأعراف: ١٠٦] ثم كلامه ومعنى التقرير في قوله والهمزة مقحمة للتقرير الحمل على الإقرار ولذا أول معناها بقوله اتقر بالوحدانية فالمعنى على هذا التوجيه قال موسى أرسل معني بني إسرائيل واتقر يوحداً لله تعالى ورسالتني إن جئت بك شيء مبين أي قال موسى هذين القولين أقول يقتضي هذا التوجيه أن يقدم الواو على الهمزة والهمزة في الآية مقدمة على الواو على أن الاستفهام التقريري إنما يقرر مضمون الجملة والإقرار ليس بمضمون ما دخلت الهمزة عليه بل هو معنى الهمزة على تقدير فرضها للتقرير أي الحمل على الإقرار قال صاحب الكشف وفي قوله: ﴿إن كنت من الصادقين﴾ [الشعراء: ٣١] أنه لا يأتي بالمعجزة إلا الصادق في دعواه لأن المعجزة تصديق من الله لمدهي النبوة والحكيم لا يصدق الكاذب ومن العجب أن مثل فرعون لم يخف عليه هذا وخفي على ناس من أهل القبلة حيث جوزوا القبيح على الله حتى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات قال صاحب الانتصاف هذا تعريض بتفضيل فرعون على أهل السنة وحكم على القدرية أن فيهم نصيباً من الفراغة إذ كل أحد يزعم أنه خالق ومبدع لأفعاله ووجوده على الله أن يفعل إلا ما وأطأ عقولهم وقال الطيبي رحمه الله صاحب الكشف بني الكلام على الحسن والقيح العقلين ثم شنع على أهل السنة ولا يلزم من قولهم يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد وأنه لا يوجد شيء من الكائنات إلا بإرادته ومشيتته تصديق الكاذبين بالمعجزات لأنه ظهر وعلم بالاستفراء أنه تعالى ما حكم ولا أراد تصديق الكاذبين بالمعجزات ولهذا قطع الأصحاب أن سنة الله جرت على أن لا يظهر المعجزة على يد الكاذب.

(١) إذ المعنى أنفعل ذلك جانياً بها بالمعجزة.

(٢) مبتدأ خبره بعد حذف الفعل.

قوله تعالى: **قَالَ فَأَتِ بِهِ إِذَا مَنَّكَ مِنَ الْمَلَلِينَ ﴿٣١﴾**

قوله: ﴿قَالَ فَأَتِ بِهِ﴾ الفاء للسببية إذ ادعاء إثبات المعجزة سبب للأمر بها.

قوله: (في أن لك بينة أو في دعواك فإن مدعي النبوة لا بد له من حجة) في أن لك بينة مفعول الصادق المفهوم من الصادقين لا مفعول الصادقين قدمه لشدة مناسبتة لما قبله قوله أو في دعواك في إنك رسول من رب العالمين قوله فإن مدعي النبوة الخ هذا يوهم أن فرعون يعترف بذلك وفيه تأمل فالأولى الاكتفاء بالأول.

قوله تعالى: **فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾**

قوله: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ ظاهر ثعبانيته واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانتعجب إذا فجرته فانتعجر) فألقى عصاه الفاء للتعقيب أي ألقى عصاه عقيب طلب آية فإذا هي كلمة إذا للمفاجأة أي انقلبت عصاه حية عظيمة لا شيء يشبهها ظاهر ثعبانيته أي ليس بشمويه وتخيل كما فعله السحرة والثعبان مشتق من ثعبت الماء سمي به لجريانه قيل يقال انثعب الماء إذا جرى باتساع والمثعب المجري الواسع ومنه الثعبان لأنه يجري باتساع لعظمه والمص بين وجه التعبير بالثعبان مرة وبالجان مرة أخرى وبالحية تارة أخرى في سورة طه.

قوله تعالى: **وَرَجَّعَ يَدَّيْهِ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاتُ النَّظِيرِينَ ﴿٣٣﴾**

قوله: (روي أن فرعون لما رأى الآية الأولى قال فهل غيرها فأخرج يده قال فما فيها فأدخلها في إبطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يعشي الأبصار ويسد الأفق) روي أن فرعون الخ وفي الكشف روي أنها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة إلى فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون أسألك بالذي أرسلك إلا أخذتها فأخذها فعادت عصا انتهى فعلم منه أن طلب غيرها بعد هذا قوله فأخرج يده أي من جيبه قال فرعون فما فيها فأخرج يده من المعجزة فيها فأدخلها الخ يعشي بالعين المهملة ويكاد مما يقر به الصحة ويسد الأفق أي غلب شعاعها على شعاع الشمس^(١).

قوله: ظاهر ثعبانيته والظهور مستفاد من لفظ مبين أي فإذا هي ثعبان ظاهر الثعبانية لا شيء يشبه الثعبان كالأشياء المزورة بالشعوذة والسحر روي أنها انقلب حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة إلى فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون أسألك بالذي أرسلك إلا أخذتها فأخذها فعادت عصا.

(١) قال المص في سورة الأعراف فإذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعه شعاع الشمس.

قوله تعالى: قَالَ لِلْمَلِكِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤﴾

قوله: (مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال) مستقرين يعني أنه منصوب لفظاً على الظرفية والظرف مستقراً وقع حالاً وللتنبية على ذلك قال فهو ظرف الخ ولم يجعله صفة لأنه لا يناسب المقام مع أنه يحتاج إلى جعله من قبيل ولقد أمر على اللثيم يسني.

قوله: (فاق في علم السحر) أخذه من صيغة المبالغة.

قوله تعالى: يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٢٥﴾

قوله: (بهره سلطان المعجزة حتى خطه عن دعوى الربوبية) بهره سلطان المعجزة أي غلبه قوة المعجزة.

قوله: (إلى مؤامرة القوم) الذين هم بزعمه عبيده والمؤامرة المشاورة قال في تفسير قوله ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ تشيرون^(١) في أن يفعل في سورة الأعراف وفي سورة الأعراف: ﴿قال الملا من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم﴾ [الأعراف: ١٠٩] قال المص هناك قيل قاله هو وأشرف قومه على سبيل التشاور في أمره فحكى عنه في سورة الشعراء وعندهم وعن فرعون هنا انتهى لكن صوابه وعندهم هنا بدون فرعون وبهذا يحصل التوفيق بين الموضعين.

قوله: (أو اتماهم وتنغيرهم عن موسى وإظهار الاستشعار عن ظهوره واستيلائه على ملكه) وتنغيرهم عن موسى بقوله: ﴿يريد أن يخرجكم من أرضكم﴾ [الشعراء: ٣٥] أي أرض مصر والاستشعار^(٢) طلب الشعور بظهوره واستيلائه.

قوله تعالى: قَالُوا أَتُحِبُّ آلَ هَارُونَ وَتَتَّبِعُ فِي الدِّينِ حَشِيشِينَ ﴿٢٦﴾

قوله: (أي آخر أمرهما) أي الإرجاء التأخير كأنه اتفقت آراؤهم فأشاروا به إلى فرعون أي آخر أمرهما إلى أن يأتيك السحرة بقرينة ﴿يأتوك بكل سحار عليم﴾ [الشعراء: ٣٧].

قوله: فهو ظرف وقع موقع الحال ففيه نصبان نصب في اللفظ ونصب في المحل فالعامل في النصب اللفظي ما يقدر في الظرف وهو مستقرين والعامل في النصب المحلي وهو النصب على الحال كلمة قال ولقد تحجر فرعون لما أبصر الآيتين وبقي حيران حتى زال عنه دعوى الألوهية وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت فرائضه خوفاً فتضرع واستكان لقومه الذين هم بزعمه عبيده وهو ألهم وشاورهم وقوله: ﴿إن هذا لساحر عليم﴾ قول باهت إذا غلب ومتحمل إذا لزم.

قوله: وإظهار الاستشعار عن ظهوره الاستشعار من استشعر فلان خوفاً أي اضمره أي وإظهار ما اضمره من الخوف عن ظهور موسى عليه السلام.

قوله: آخر أمرهما يقال إرجأته إذا أخرته قال صاحب الكشف ومنه المرجئة وهم الذين لا يقطعون بوعيد الفساق ويقولون هم مرجون لأمر الله تعالى قال صاحب الانتصاف حرف صاحب

(١) أي الأمر هنا من أمرته فأمرني إذا شاورته فأشار عليك برأي والتفصيل في سورة الأعراف.

(٢) حيث قال لماذا تأمرون فإنه متضمن بطلب الشعور واستيلائه.

قوله: (وقيل^(١) أحبسهما) مرضه لأن الإرجاء التأخير لا الحبس لكن الحبس نوع من التأخير^(٢) ولذا جوز مع الضعف.

قوله: (شرطاً) بضم الشين وفتح الراء جمع شرطة بفتح الراء وسكونها هم أعوان الولاة.

قوله: (يحشرون السحرة) أي اسم الفاعل بمعنى المستقبل مجازاً ومفعوله السحرة بقرينة جواب الأمر.



قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَٰؤُلَاءِ

قوله: (يفضلون عليه في هذا الفن وأمالها ابن عامر وأبو عمرو والكسائي وقرئ بكل ساحر) يفضلون في هذا الفن هذا مستفاد من صيغتي المبالغة المراد بالفضل هو الفضل في العمل لأنه الذي هو المقصود من جمع السحرة فإن سحار يفيد المبالغة في عمل السحر لا في العلم ولا يضرهم التساوي في علمه ولكون المراد من السحار الفضل في عمله ذكر بعده عليهم للتنبيه على أن كمال عملهم لكمالهم في فقه علماً وقرئ بكل ساحر فحينئذ لا يفيد الأفضلية.

الانتصاف الكشاف في تفسير المرجئة وأهل السنة هم الذين لا يقطعون بوعيد الفساق ويرجعون بأمرهم إلى المشيئة فإن كان المرجئة هؤلاء فاشهدوا أنها مرجئة قال صاحب النهاية المرجئة فرقة من فرق الإسلام يعتقدون أنه لا يضر مع الإيمان معصية كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة سموا مرجئة لاعتقادهم أن الله أرجأ تعذيبهم على المعاصي أي أخر عنهم والمرجئة بهمزة وبلا همزة كلاهما بمعنى التأخير.

قوله: شرطاً يحشرون السحرة يريد أن حاشرين صفة موصوف محذوف وهو مفعول به لقوله وابتعث وفي النهاية الإشراف العلامات واحذتها شرط بالتحريك وبه سميت شرط السلطان لأنهم جعلوا لأنفسهم علامات يعرفون بها هكذا قال أبو عبيدة وحكي عن بعض أهل اللغة أنه أنكر هذا التفسير وقال أشراف الساعة ما ينكره الناس من صفار أمورها قيل أن تقوم الساعة وشرط السلطان طائفة من أصحابه الذين تقدمهم على غيرهم من جندته قوله تأبط شرأ علم شاعر قوله هل أنت يابعث دينار البيت هل أنت حث وتحريض على البعث ودينار اسم رجل وكذا عيد رب اسم رجل آخر وعيد رب منصوب معطوف على محل دينار ومحلته منصوب على أنه مفعول به لباعث قد أضيف إليه وأخا عون منادى مضاف ولا نعمت أو عطف ببيان لعبد رب يريد ابتعث أحدهما النار ولا تبطىء به وكذلك هل أنتم مجتمعون أريد به استبطاؤهم في الاجتماع والمراد منه استعجالهم واستحثاثهم كما يقول الرجل لغلامه هل أنت منطلق إذا أراد أن يحرك منه ويحثه على الانطلاق كأنما يخيل أن الناس قد انطلقوا وهو واقف.

(١) وهذا يدل على تقدم قصد فرعون بقتله على ما دل عليه قوله: «وقال فرعون ذروني اقتل موسى وليدع ربه» الآية فقالوا اطر أمره وقتله وأغله بالحجة كيلا يدخل على الناس شبهة.

(٢) فالتأخير أعم من الحبس.

قوله تعالى: فَجَمَعَ السَّحَرَةُ لِيَقْتَتَ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿٣٨﴾

قوله: (فجمع السحرة) في المفتاح تعريف السحرة عهدي وفي شرح الفاضل المحقق له أن المعهود قد يكون عاماً مستغرقاً كما هنا ولا منافاة بينهما كما يتوهم سلمنا ذلك لكن العموم المستغرق هنا غير مسلم إذ سحرة فرعون شرذمة قليلون من أفراد السحرة ولو سلم كثرت فلا نزاع في عدم استغراقه ومنشأ ذلك قوله: ﴿يَأْتُونَكَ بِكُلِّ سِحَارٍ عَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٣٧] مع أن كلمة الإحاطة ليسكنوا بعض قلقه واضطرابه كما صرح به ابن كمال باشا اللهم إلا أن يراد الاستغراق العرفي نحو جمع الأمير الصاغة فيكون كلمة كل بالنظر إليه ثم الغاء فصيحة أي أرسل الحاشرين في المدائن وأنهم حشروا وجمعوا السحرة فجمع السحرة والكلام في لام المدائن مثل الكلام في لام السحرة.

قوله: (لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى) لما وقت به أي عين وهو مخصوص بالزمان كما هو الظاهر من كلام المص حيث قال في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩] المواقيت جمع ميقات من الوقت ثم قال والوقت الزمان المفروض لأمر ما وما وقع في الكشف هنا من قوله والميقات ما وقت به أي حدد به من زمان أو مكان ومنه مواقيت الإحرام فمحمول على المجاز^(١) في المكان يشير إليه بإضافة الميقات إلى الإحرام.

قوله: (من يوم الزينة) وهو يوم عاشوراء أو يوم النيروز ويوم العيد لقوله تعالى: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضَحًى﴾ [طه: ٥٩] وإنما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤوس الأشهاد ويشيع ذلك في الأقطار قاله المص في سورة طه.

قوله تعالى: وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾

قوله: (فيه استبطاء لهم في الاجتماع حثاً على مبادرتهم إليه كقول تأبط شراً) استبطاء لهم في الاجتماع أي الاستفهام هنا مجاز عن الحث والاستعجال وهو المراد بالاستبطاء هنا في الكشف استبطاء لهم في الاجتماع والمراد منه استعجالهم واستحثاثهم وأشار إليه بقوله حثاً الخ.

قوله:

(هل أنت باعث دينار لحاجتنا أو عبد رب أخاعون بن مخراق

أي ابعت أحدهما سريعاً) باعث دينار أي مرسل رجل مسمى بدينار أو عبد رب ينصب عبد عطفاً على محل دينار كما رواه سيبويه والجر وإن صح عطفاً على لفظ دينار

(١) وشاع فيه بعد ذلك حتى الحق بالحقيقة كذا قيل ولا حاجة إلى هذا القدر إذ الاستعمال في الزمان أكثر من أن يحصى. كان لهم في كل عام.

لكنه مخالف للرواية وعبد رب اسم رجل أيضاً وكذا عون ومخراق بالخاء المعجمة علما
 أيضاً وأخا عون إما منادى بحذف حرف النداء أو عطف بيان لما قبله أي ابعت أحدهما إلينا
 سريعا ولا تبطل به فمعنى قوله استبطاء لهم نهى^(١) لهم عن البطء وهذا المعنى المجازي
 للاستفهام غير الاستبطاء^(٢) الذي ذكره أرباب المعاني مثاله قوله تعالى: ﴿مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾
 [البقرة: ٢١٤] فليحفظ هذا.

قوله تعالى: لَعَلَّنَا نَتَّبِعَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ أَغْلَبِينَ ﴿٤٠﴾

قوله: (لعلنا نتبعهم في دينهم إن غلبوا والترجي باعتبار الغلبة مقتضية للاتباع
 ومقصودهم الأصلي أن لا يتبعوا موسى عليه السلام لا أن يتبعوا السحرة) والترجي باعتبار
 الغلبة أي غلبة السحرة هذا جواب سؤال مقدر ولذا قال ومقصودهم الخ فلا ينبغي أن
 يترجى اتباع السحرة لكن لما كان الغلبة مقتضية للاتباع أبرز الكلام في صورة الترجي
 ليتوصل به إلى ما هو المقصود كناية قوله في دينهم تنبيه على أن المراد بالاتباع موافقتهم
 في مدعاهم.

قوله: (فساقوا الكلام مساق الكناية لأنهم إذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى) مساق
 الكناية والمعنى الحقيقي هنا بالنسبة إلى فرعون وإن كان منتعنا لأن مدعي الألوهية لا
 يتبع غيره فيكفي في إمكانه وقوعه في غيره أو يقال إنه لدعشته وغلبة خوف الاستيلاء
 جوز اتباعهم كما طلب الأمر ممن حوله والأولى أن قائل هذا الكلام وهو لعلنا نتبع
 السحرة اتباع فرعون دونه فإمكان المعنى الحقيقي بالنسبة إليهم متحقق فلا إشكال بأنه
 شرطوا في الكناية جواز إرادة المعنى^(٣) الحقيقي وهنا مفقود لامتناع اتباع مدعي الألوهية
 السحرة في الدين وغيره.

قوله تعالى: فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَمَّا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ
 وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمَقْرَبِينَ ﴿٤٢﴾

قوله: (فساقوا الكلام مساق الكناية لأنهم إذا اتبعوا السحرة لم يتبعوا موسى فتوصلوا بذكر
 اللازم الذي هو اتباع السحرة إلى الملزوم الذي هو مطلوبهم الأصلي وهو عدم اتباعهم لموسى
 عليه السلام وهذا هو معنى الكناية أقول في جملة من قبيل الكناية دون المجاز نظر لأن الكناية لا
 يتألفي إرادة المعنى الموضوع له اللفظ وههنا لا يجوز أداة المعنى الموضوع له اللفظ فكيف وأنه
 مدع للإلهية والربوبية والاتباع في الدين والتدين بدين لا يكون إلا للمألوه والمربوب ومدعي
 الإلهية ينتزه عن أن يستند إلى نفسه مثل ما هو صفة المألوه والمربوب من الاتباع والتدين بدين.

(١) لما قال صاحب الكشاف ولا تبطل به بعد قوله سريعا.

(٢) وارجع أحدهما إلى الآخر بعد فهنا معنى آخر مجازي للاستفهام استغناء من كلام العلامة.

(٣) بل جوز بعضهم إرادته معنى مع معنى الكناية وهو مختار صاحب المفتاح.

قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ﴾ [الشعراء: ٤١] فيه إيجاز حذف أي أرسل الحاشرين إلى المدائن التي هي تحت تصرفه فجمعوا السحرة من جهات مختلفة إذ الحشر السوق من جهات مختلفة إلى مكان واحد فلما جاء السحرة إلى فرعون قالوا له إن لنا أجراً الأجر الجزاء على العمل بالخير وإذا كان بالشر يسمى عقاباً والاستفهام للتقرير أي لحمل المخاطب على الإقرار وكلمة إن للمبالغة في التقرير ﴿إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ الضمير المنفصل لإفادة الحصر.

قوله: ﴿النَّزَمَ لَهُمُ الْأَجْرَ وَالْقِرْبَةَ عِنْدَهُ زِيَادَةً عَلَيْهِ إِنْ غَلَبُوا﴾ النزم لهم الأجر العظيم إذ التنكير للتكثير والتضخيم قوله والقربة عنده لأن اللام في المقربين للعهد أي إنكم إذا حين الغلبة لمن المقربين المعهودين قربهم عندي وقد مر توضيحه في قوله: ﴿لَا جَعَلْتُكَ مِنَ الْمُسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩] فهو أبلغ من القول وقربتوني حيثل أي قربتكم لي.

قوله: ﴿فَإِذَا عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ مِنَ الْجَوَابِ وَالْجِزَاءِ وَقُرَى نَعْمَ بِالْكَسْرِ وَهَمَّا لَفْتَانِ﴾ فإذا مبتدأ خبره على ما يقتضيه من جواب القول وجزاء الفعل أشير إليه بأن غلبوا والمراد بالكسر كسر العين مع فتح النون كما قيل.

قوله تعالى: قَالَ لَهُمْ مُوسَى الْقَوْلَ مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٤٣﴾

قوله: ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى﴾ أي فلما جمع السحرة مع موسى عليه السلام مكاناً سوى يوم الزينة في وقت الضحى قال لهم موسى بعد ما قالوا له ﴿يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ [طه: ٦٥] مراعاة للآداب أو إظهاراً للجلادة القوا ما أنتم ملقون مقابلة الآداب بالآداب أو ازدراء بهم ووثوقاً على شأنهم وقد قال لهم أولاً ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [طه: ٦١] الآية.

قوله: ﴿إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ [الأعراف: ١١٥] ولم يرد به أمرهم بالسحر والتمويه) يعني أن السحر حرام وبعضه كفر كما فصل في موضعه فلا

قوله: فإذا على ما يقتضيه من الجواب والجزاء أي فكلمة إذن مستعملة على ما يقتضيه وضعها فإنها موضوعة للجواب والجزاء فكان قوله: ﴿وَأَنْتُمْ إِذَنْ لَمَنِ الْمَقْرِبِينَ﴾ [الشعراء: ٤٢] جواباً لقول السحرة ﴿أَنْ لَنَا لأَجْرًا﴾ [الشعراء: ٤١] وهو في معنى الجزاء للشرط الذي هو ﴿إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ وهو ليس جزء له لتقدمه عليه وقد تقرر أن الجزاء لا يتقدم على الشرط لكنه دليل الجزاء والجزاء مقدر مؤخراً تقدير الكلام إن كنا نحن الغالبين فهل لنا من أجر فأجيبوا بقوله: ﴿نَعْمَ وَأَنْتُمْ إِذَنْ لَمَنِ الْمَقْرِبِينَ﴾ [الشعراء: ٤٢] أي إن غلبتم فلكم الأجر فكان قوله: ﴿وَأَنْتُمْ إِذَنْ لَمَنِ الْمَقْرِبِينَ﴾ [الشعراء: ٤٢] جزاء لفعلهم المفروض وهو فعل الغلبة المدلول عليه بقولهم ﴿إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ كما أنه جواب لقولهم ان لنا لأجراً وهذا التأويل قريب من التأويل الذي سبق في قوله تعالى: ﴿فَعَلْنَاهُ إِذَنْ وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [الشعراء: ٢٠].

قوله: وقُرَى نعم بالكسر والقارىء به الكسائي.

قوله: ولم يرد به أمرهم بالسحر والتمويه أي لم يرد موسى عليه السلام بقوله أن يأمر

يليق بالنبي المعصوم الأمر به فأجاب بأن الأمر هنا ليس على حقيقته لأنهم فاعلوه لا محالة وإن لم يقل لهم ذلك أي القوا كما أشار إليه بقوله: ﴿ما أنتم ملفون﴾ (يونس : ٨٠) لا محالة سواء وجد الإذن مني أو لا فالمراد بالأمر الإذن في تقديم ما هم فاعلوه لتضمنه خيراً كثيراً وهو التوسل إلى إظهار الحق فليس الإذن في فعلهم لأنهم فاعلوه البتة فلا فائدة في الإذن بل الإذن في تقديمه المطلوب فالرضاء المستفاد من الإذن رضاء تقديمه لا نفس الفعل على أنه لا ضير في الرضاء به للتوسل إلى إبطاله وهذا عين استباحه لكن المعول صرف الرضاء إلى تقديمه ليتوسل إلى إبطاله لا صرفه إلى الفعل فإنه لا يليق^(١) بمنصب النبوة ولو كان له محمل صحيح.

قوله: (بل الإذن في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلاً به إلى إظهار الحق) ما هم فاعلوه لا محالة أي في ظنه عليه السلام اكتفاء بالأدنى ولا يضره احتمال كونه عالمياً به بقرينة صادقة أو الهام أو وحي لأن هذا ليس بقطعي والاكتفاء بالظن أولى.



قوله تعالى: **فَالْقَوُّ أَيْمَانُهُمْ وَقَالُوا بَعْرَةٌ بَعْرَتُنَا أَنْ لَنَتَّخِذَ الْفَلِيلُونَ**

قوله: (اقسموا بعزته على أن الغلبة لهم لفرط اعتقادهم في أنفسهم وإيمانهم بأقصى ما يمكن أن يؤتي به من السحر) اقساموا بعزته لأن الباء للقسم على أن الغلبة لهم أي بمؤكدات للوثوق على أنهم ماهررون في هذا الفن لا يقاومهم أحد من الساحرين وهو كذلك في نفس الأمر

السحرة بالتنويه أي التليس من موهت الشيء أي طليت لما كان السحر باطلاً والنبي لا يجوز له أن يأمر بالباطل كيف وقد أرسل للإرشاد إلى الحق وقمع الباطل حمل صيغة الأمر في القوا على معنى الإذن في تقديم الفعل.

قوله: اقساموا بعزته وهي من إيمان الجاهلية وكذا كل حلف بغير الله ولا يصح في الإسلام إلا الحلف بالله معلقاً ببعض أسمائه وصفاته كقولك بالله والرحمن وربي ورب العرش وعزة الله وجلال الله وعظمة الله قال رسول الله ﷺ لا تحلفوا بآياتكم وبأمانتكم ولا بالطواغيت ولا تحلفوا إلا بالله وأنتم صادقون ولقد استحدث الناس في هذا الباب في إسلامهم جاهلية نسبت لها الجاهلية الأولى وذلك أن الواحد منهم لو أقسم بأسماء الله كلها وصفاته على شيء لم تقبل منه ولم يعتد بها حتى يقسم برأس سلطانه فإذا أقسم به فتلك عندهم جهد اليمين التي ليس وراءها حلف لحالف قوله تبشع قال الجوهرى لفقت الشيء بالكسر الفقه لفقاً وتلفقته أيضاً ناولته بسرعة.

(١) ولا حاجة إلى الاعتذار بأن الممتنع هو رضا الكفر على طريق الاستحسان لا مطلق الرضاء وما اشتهر من قولهم رضاء الكفر كثر ليس على إطلاقه كما عليه المحققون من الفقهاء وأهل الأصول انتهى هذا عجب لأن رضاء الكفر على الحقيقة كفر مطلقاً ولا أظن أن أحداً ذهب إلى خلافه ومراد المحققين من ذلك أن من طلب كفر الغير لغرض صحيح مثل قوله موسى عليه السلام ﴿ربنا اطعن على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا﴾ للانتقام مثلاً لا لأجل الرضاء فلا ضير فيه والرضاء غير متحقق في صورة ما من الصور الجواز خصوصاً هنا الإذن في التقديم لا الفعل نفسه وقد دُعوا عن قول المعص الإذن في تقديم ما هم فاعلوه الخ.

لأن كمال السحر متحقق في ذلك الزمان لكنهم مخطئون غافلون عن أن موسى عليه السلام ليس من جملة الساحرين فوقعوا فيما وقعوا فلما ألقوا^(١) سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤوا بسحر عظيم فأوحى الله تعالى إلى موسى ﴿أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ [الأعراف: ١١٧].

قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾

قوله: ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾ تبتلع وقرأ حفص تلتف بالتخفيف فالقى موسى عصاه عقيب أمره تعالى بالإلقاء فإذا هي وإذا فجائية تلتف بالشديد أصله تتلف وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضاراً للصورة البديعة أو التلتف بالنسبة إلى الإلقاء مستقبل وكذا الكلام في ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾.

قوله: (ما يقلبونه عن وجهه بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيتهم أنها حيات تسعى) ما يقلبونه أي الإفك هو الصرف وقلب الشيء عن وجهه وعن طريقه وأشار إلى أن ما موصولة والمراد به حبالهم وعصيتهم وهم يقلبونها عن وجوههم التي كانت هي عليها وهو الحبالية وكونها عصياً بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيتهم بذلك التمويه^(٢) والحيل حيات تسعى وتمويههم^(٣) أنهم لطحوا بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت فخيّل أنها تحرك.

قوله: (أو إفكهم تسمية للمأفوك به مبالغة) أشار إلى جواز كون ما مصدرية وهي مع الفعل مصدر بمعنى المفعول والتلفف والابتلاع بلغ في النهاية مبلغاً حتى سرى إلى الإفك نفسه قوله تسمية للمأفوك به مبالغة إشارة إليه قوله للمأفوك به إشارة إلى أن المحذوف العائد إلى ما الموصولة الجار والمجرور.

قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَهم﴾

قوله: ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ﴾ جعلهم الله ملقين على وجوههم تنبيهاً على أن الحق بهرهم واضطهرهم إلى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك.

قوله: ما يقلبونه عن وجهه فإن معنى الإفك على ما سبق صرف الشيء عن وجهه ومنه سمي الكذب إفكا لكونه صرفاً للمعنى عما هو عليه في نفس الأمر.

قوله: أو إفكهم يعني أن كلمة ما في ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ إما موصولة أو مصدرية فإن كانت موصولة فهو الوجه الأول وإن كانت مصدرية فهو الوجه الثاني وعلى الثاني سمي المأفوك بالإفك للمبالغة لكونه من قبيل الوصف بالمصدر.

(١) وقد مر أن في الحكاية اختصاراً.

(٢) فإنه لو جاز انقلاب الشيء بالسحر عن حقيقته لما ثبتوا أن مثله لا يتأتى بالسحر وأنه من المعجزة الخارقة كذا قيل.

(٣) التمويه التليس من موه الأمر إذا ظهر منه ما ليس فيه وأصله إذا طلا بالذهب المذاب كالماء لكن كل سحر ليس بتمويه كما فصل في سورة البقرة في قصة هاروت وماروت.

قوله: (لعلهم بأن مثله لا يتأتى بالسحر وفيه دليل على أن منتهى السحر تمويه وتزويق يخيل شيئاً لا حقيقة له وأن التبحر^(١) في كل فن نافع) يخيل شيئاً الخ فيه نوع مخالفة لما قرره في سورة البقرة قوله وأن التبحر في كل فن ولو حراماً تعليمه وتعلمه نافع وإن علم السحرة بأن ما جاء به موسى عليه السلام ليس من باب السحر إثر سحرهم بتبحرهم في علم السحر ألا يرى أنه لم يحصل ذلك العلم لغيرهم والتفصيل في سورة البقرة في قصة هاروت وماروت.

قوله: (وإنما بدل الخور باللقاء ليشاكل ما قبله ويدل على أنهم لما رأوه ما

قوله: لعلهم بأن مثله لا يتأتى بالسحر أي التي السحرة ساجدين لأنهم علموا جزماً وبقيناً أن انقلاب عصا وهي خشبة يابسة ثعباناً ساعياً متلفعاً لما أفكوه من حبالهم وعصيتهم التي خيلوها في أعين الناظرين أنها حيات تسعى لا يتيسر ولا يمكن بصنعة السحر فلما علموا وتيقنوا أنه ليس بسحر آمنوا وخرروا ساجدين روي أنهم قالوا إن يك ما جاء به موسى سحراً فلن يغلب وإن يك من عند الله فلن يخفي علينا فلما التقى موسى عصاه فابتلعت ما أتوا به علموا أنه من الله فآمنوا وعن عكرمة أصبحوا سحرة وأمروا شهداء.

قوله: وفيه دليل على أن منتهى السحر تمويه وتزوير والذال عليه لفظ الإفك في ﴿ما يافكون﴾ لأن معناه صرف الشيء عن وجهه وحقيقته بتمويه وتلبيس والسحر كذلك تزوير وتمويه يخيل شيئاً لا حقيقة له أي يلقى في الخيال شيئاً لا حقيقة لذلك الشيء كما يلقى حبالهم وعصيتهم في خيال الناظرين صور الحيات لكن لا حقيقة لتلك الحيات بل حقيقتها هي الحبال والعصي كما ترى بالتمويه كصور الحيات.

قوله: وإنما بدل الخور باللقاء أي قيل التقى بدل خر رعاية للمشكلة لما ذكر الالتقاء قبيل هذا بقوله: ﴿ألقوا ما أنتم ملقون﴾ [الشعراء: ٤٣] ويقول: ﴿فألقوا حبالهم وعصيتهم﴾ [الشعراء: ٤٤] ويقول: ﴿فالتقى موسى عصاه﴾ [الشعراء: ٤٥] وقيل هنا فالتقى السحرة بدل خر ليشاكل تلك الالتقاء وفي الكشف وإنما عبر عن الخور باللقاء لأنه ذكر مع الالتقاء فسلك به طريق المشكلة وفيه أيضاً مع مراعاة المشكلة أنهم حين رأوا ما رأوا لم يتمالكوا أن رموا بأنفسهم إلى الأرض ساجدين كأنهم أدخلوا وطرحوا طرْحاً.

قوله: ويدل على أنهم لما رأوها لم يتمالكوا أنفسهم أي ويدل أيضاً قوله عز من قائل: ﴿فالتقى السحرة﴾ [الشعراء: ٤٦] على أن لهم ملقياً القاهم قسراً على وجوههم ساجدين لأن الالتقاء متعدد فلا بد له من ملقٍ بخلاف خر فإنه لازم لا يدل على أن خروهم بالقسر والالتهاء فالملقي حين عاينوا ذلك هو الله تعالى أو ما شاهدوه من المعجزة الباهرة على الإستاذ المجازي قال صاحب الكشف ولك أن لا تقدر فاعلاً لأن القوا بمعنى خروا وسقطوا قال صاحب الفرائد هذا منظور فيه لأن المعدى إلى المفعول لا بد له حينئذٍ من الفاعل وإذا أسند إلى المفعول صار الفاعل متروكاً وما ذكره صاحب الكشف من لوازم معناه لا معناه وقال الطيبي أود بقوله أن لا تقدر فاعلاً أن لا تخصص على نحو قتل الخارجي فإن المقصود حصول قتله وكونه مقتولاً لا أن

(١) والتبحر من البحر وتغفل منه وهو عبارة عن زيادة العلم وسعته.

رأوا لم يتمالكوا أنفسهم وكانهم أخذوا فطرحوا على وجوههم) وإنما بدل الخورور الخ أي الموجود هنا الخورور لا الإلقاء لكنه غير به مجازاً للمشكلة بجامع السقوط والإشكال عليه بأن الله تعالى خالق خورورهم عند أهل الحق وخلقه هو الإلقاء فلا حاجة إلى ارتكاب التجوز مدفوع بأن الفعل ينسب إلى الكاسب حقيقة والفعل الموجود هنا هو الخورور دون الإلقاء كسباً فينبغي أن يقال ﴿وخروا له ساجدين﴾ وخلق الخورور لا يسمى خوروراً ولا إلقاء حقيقة ولغة كما لا يسمى خلق الضرب ضرباً حقيقة قوله وكانهم أخذوا بصيغة المجهول إشارة إلى أن الإلقاء هنا مستعار شبه^(١) خورورهم بالإلقاء في عدم تمالك أنفسهم فذكر الإلقاء وأريد الخورور وما سبق من قولنا بجامع السقوط أي السقوط بدون اختيار يحتمل الاستعارة كما يحتمل المجاز المرسل إذ الخورور لازم للإلقاء وإن كان كلام المص لا يلائمه لكن النظم يحتمله قبل فالمشكلة المذكورة هي ما حصل في ضمن الاستعارة هذا بناء على أنه لا يكون فيه حيثث مجاز مرسل وإن احتمله النظم وإلا فالمشكلة المذكورة في ضمن المجاز المرسل.

قوله: (وأنه تعالى ألقاهم بما خولهم من التوفيق) وأنه تعالى ألقاهم إشارة إلى أن الفاعل هو الله تعالى حذف للعلم به فجعل الفعل مجهولاً هذا معطوف على قوله أخذوا بأدنى تغيير أي كأنهم ألقاهم الله بما خولهم فلا يرد بحث الفاضل المحشي بأنه إذا كان الإلقاء مجازاً عن الخورور فلا إلقاء حقيقة حتى يطلب له فاعل قوله بما خولهم أي أعطاهم من التوفيق شاهد على ما قلناه وما وقع في الكشف من قوله ولك أن لا تقدر فاعلاً لأن ألقوا بمعنى خروا وسقطوا فوجه آخر غير ما ذكره أولاً إن أريد التشبيه فالفاعل يلاحظ فيه وإن نسي التشبيه كما هو شأن الاستعارة فلا يقدر فاعل.

قوله تعالى: **قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴿٤٧﴾

قوله: (يدل من ألقى يدل اشتمال أو حال بإضمار قد) وهو الظاهر لأن شرط يدل الاشتمال غير ظاهر تحققه ويحتمل الاستئناف كأنه قيل فماذا قولهم في هذا الفعل الجميل فأجيب بأن قولهم في هذا الفعل أجمل من كل جميل.

القائل من هو وكذا القصد هنا إلى كونهم ملقين ساقطين لا إلى أن الملقى من هو.

قوله: يدل من ألقى يدل اشتمال أي قوله عز من قائل: ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ [الشعراء: ٤٧] يدل من ألقى السحرة يدل الاشتمال لملابسة بينهما بالملازمة فإن الخورور على وجه السجود يلزمه أن يقولوا ﴿آمنا برب العالمين﴾ وبالعكس ويكفي في يدل الاشتمال تعلق ما.

(١) فالاستعارة تبعية وما ذكرناه فالاستعارة في المصدر ويعلم منه الاستعارة في الفعل.

قوله تعالى: رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾

قوله: (إبدال للتوضيح ودفع التوهم والإشعار على أن الموجب لإيمانهم ما أجراه على أيديهما) إبدال للتوضيح وجه كونه للتوضيح ما ذكره بقوله ودفع التوهم وهو توهم أنهم أرادوا برب العالمين فرعون لقولهم بعزة فرعون الخ ولقول فرعون ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤] ولغاية ضعفه لبعده عن المقام عبر بالتوهم قوله والإشعار الخ يشير هذا وجه تخصيصهما بالذكر بعد ذكر العالمين.

قوله تعالى: قَالَ نَمْسُرْ لَمْ يُقَبَّلْ أَنْ مَآذَنَ لَكُمْ إِنَّكُمْ لَكَبِيرُكُمُ الْكَلْبَى عَلَّمَكُمْ الْخَيْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا فُيُوعَنَ إِلَيْكُمْ وَارْتَعَلَكُمْ مِنْ جُلُوبٍ وَأَصْلَحَكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾

قوله: ﴿قَالَ أَمْتُمْ﴾ استئناف أمتم لتقبيده بقوله: ﴿قَبْلَ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ﴾ [الشعراء: ٤٩] والظاهر أن ﴿قَبْلَ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ﴾ بمعنى النفي^(١) أي بلا إذن مني بقوله تعالى: ﴿لَتُنْفَذَ الْبَحْرَ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتِ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩] الآية ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ﴾ [الشعراء: ٤٩] استئناف يجري مجرى التعليل أي سارعتم إلى الإيمان بدون إذن مني بسبب أنه كبيركم في فن السحر الذي ﴿عَلَّمَكُمْ﴾ [الشعراء: ٤٩] صفة كاشفة له.

قوله: (فعلمكم شيئاً دون شيء فلذلك غلبكم أوفوا عهدكم ذلك وتواطأتم عليه أراد به التلبس على قومه كيلا يعتقدوا أنهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر وروح أمتم بهمزتين وبال ما فعلتم به) فعلمكم شيئاً من السحر دون شيء منه فكان علمكم دون علمه ولذلك غلبكم وعلمكم جميع طرق السحر لما غلبكم قوله: ﴿أَوْفُوا عَهْدَكُمْ﴾ عطف على فعلمكم الخ أي جرى بينكم اتفاق على إظهار المغلوبة

قوله: إبدال للتوضيح يعني أن قوله: ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الشعراء: ٤٨] يدل من رب العالمين يدل الكل من الكل وفائدته التوضيح لثلاث يتوهم متوهم أن مرادهم به فرعون لادعائه الربوبية وفائدته أيضاً الإشعار بأن الموجب لإيمان السحرة ما أجراه الله تعالى على أيديهما من المعجزة وهي انقلاب العصا ثعباناً وإشراق يده والمشعر لهذا المعنى هو إضافة الرب إليهما لدلائلها على أن رب العالمين هو الذي يدعو إليه هذان والذي أجرى على أيديهما ما أجرى فيكون إبداله مضافاً إليهما كتابة عن عرفت الهيته بواسطتهما.

قوله: فعلمكم شيئاً دون شيء فلذلك غلبكم أي علمكم بعضاً من علم السحر دون بعض فغلبكم بما لم تعلموه من البعض الذي أخفاه منكم ولم يعلمه إياكم.

قوله: أو فوادعكم ذلك أي صالحكم والموادعة المصالحة أي صالحتم وتوافقتم على ذلك أي على السحر.

(١) أشار إليه مولانا السعدي بقوله أي بادرتم إلى الإيمان بلا إذن مني وقد صرح به في قوله تعالى ﴿قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ﴾ كونه بمعنى النفي لأن الإخبار العاري عن الفائدة ولازمها يحمل على ما يناسب المقام واختير الإخبار لظهوره فظهر ضعف التقدير الاستفهام هنا للإتكاف.

فراعيتم حق التعليم والاستاذية فأبطلتم حتي ومراده أن غلبته عليكم لم يكن بالمعجزة بل بما علمكم من السحر إما بتعليمه على سبيل النقصان أو بمراعاتكم حق الاستاذية وإلى ذلك أشار المص بقوله أراد به التلبيس الخ وروح يفتح الرأ مشهور بين القراء «آمنتكم» والاستفهام للإنتكار الواقعي أي ما ينبغي أن تؤمنوا لأنكم تعلمون ويال ما فعلتم حين عذبتم.

قوله: ﴿وقوله﴾ «لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين» [الأعراف: ١٢٤] بيان له أي للمفعول المحذوف حذف أولاً للتسهيل أو لرعاية الفاصلة ثم بينه لزيادة الثقل في الذهن ولذا ترك العطف والإسناد في «لأقطعن» الخ مجازي وكذا في «ولأصلبنكم» للتسهيل الشديد والمراد بالبيان بيان تفسير.



قوله تعالى: قَالُوا لَا ضَيْرَ لَنَا إِنَّ رَبَّنَا مُنْقِلُون ﴿٥٠﴾
قوله: (لا ضرر علينا في ذلك) لا ضرر أي لا ضير بمعنى ضرر وخبر لا محذوف في

قوله: لا ضرر علينا في ذلك أي في قطع أيدينا وأرجلنا وصلبنا الضر والضير والضور واحد.
قوله: بما توعدنا به أي «إنا إلى ربنا منقلبون» [الشعراء: ٥٠] بما تخوفنا به من القطع والصلب أو بسبب من أسباب الموت عطف على بما توعدنا أي «إنا إلى ربنا منقلبون» بسبب من أسباب الموت والقتل أنفع تلك الأسباب لما يحصل لنا به من الاعراض وأوجاها من الرجاء بالحييم بمعنى الأمل فارجاها تفضيل بمعنى المفعول مثل اشغل وفي الكشف أهون الأسباب وأوجاها السهلة أي أسرعها الوحا بالمد والقصر السرعة ومنه موت وحي وذكاة وحية والقتل بالسيف أوحى أي أشرع وقولهم السم يقتل إلا أنه لا يوحى صوابه يحيى من وحي الذبيحة إذا ذبحها ذبحاً وحيّاً ولا يقال أوحى كذا في المغرب وفي الكشف أرادوا لا ضرر علينا في ذلك بل لنا فيه أعظم النفع لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله من تكفير الخطايا والثواب العظيم مع الاعراض الكثيرة أو لا ضير علينا في ذلك فيما توعدنا به من القتل أنه لا بد لنا من الانقلاب إلى ربنا بسبب من أسباب الموت والقتل أهون أسبابه وأرجاها أو لا ضير علينا في قتلك إنك إن قتلنا انقلبنا إلى ربنا انقلاب من يطعمه في مغفرته ويرجو رحمته لما رزقنا من السبق إلى الإيمان تم كلامه قال الطيبي لما أجابوا اللعين بقولهم لا ضير وعللوهم بقولهم: «إنا إلى ربنا منقلبون» [الشعراء: ٥٠] فسر صاحب الكشف بهذه الوجوه الثلاثة اعتبر في الوجه الأول في لا ضير جميع

بجملته وعبر عنه بالقتل وعلله بقوله إنه لا بد من الانقلاب إلى ربنا والانقلاب حيثنذ عبارة عن الرجوع إلى الله تعالى ولا بد لكل أحد منه وأسباب الرجوع إليه سبحانه كثيرة ولهذا قال والقتل أهون أسبابه واعتبر في ثالثها نفس القتل من غير اعتبار تفصيله ولا الوعيد به وهو بمنزلة الموت حيثنذ وعلله بقوله إنك إن قتلنا انقلبنا إلى ربنا انقلاب من يطعمه في مغفرته فادخل أنا نطمع في التعليل وجعله بدلاً منه دلالة إلى إظهار الرغبة في القتل يعني أنه مطلوبنا لما يحصل به الفوز بهذه البغية السنية وذكر صاحب الكشف في سورة الأعراف وجهاً آخر وهو أنا جميعاً يعنون أنفسهم

مثله نحو لا بأس في ذلك أي في المذكور من القلع والصلب فإنه وإن كان ضرراً ظاهراً لكنه فيه نفع عظيم وخير جسيم حيث يكون ذلك سبباً إلى وصول ما وعدنا ربنا حقاً.

قوله: (بما توعدنا به فإن الصبر عليه محاء للذنوب) بما توعدنا معلوم من الأفعال أو مجهول من الفعل والباء للمسبية وما يوعد قطع الأيدي والصلب.

قوله: (موجب للثواب والقرب من الله تعالى) موجب للثواب بمقتضى الوعد^(١) من الملك الوهاب وأشار به إلى أن المراد بالانقلاب إلى الرب بسبب ما يوعد فرعون الانقلاب إلى ثوابه وكرامته وقرب الله تعالى قريباً معنوياً بتقدير المضاف فإن القلع والصلب سبب للكرامة عنده تعالى والتأكيد في إنا إلى ربنا لكمال العناية بذلك قوله فإن الصبر محاء للذنوب الخ ثابت باقتضاء النص.

قوله: (أو بسبب من أسباب الموت) أو بسبب الخ عطف^(٢) على بما توعدون فلا حاجة إلى تقدير الثواب والقرية وإن صح ذلك في الجملة.

قوله: (وقتلك أنفعها وأرجاها) فلا ضير في ذلك أيضاً قوله وقتلك الخ إشارة إلى الربط بما قبله على هذا الاحتمال ولم يذكر كون المراد مصيرنا ومصيركم إلى ربنا يحكم بيننا الخ كما ذكره في سورة الأعراف بناء على عادته وهي ترك بعض الوجوه المذكورة في محل آخر لتكثير الفائدة.

قوله تعالى: **إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا إِنَّ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴿٥١﴾

قوله: (لأن كنا) إشارة إلى قراءة الفتح وأنها على تقدير الجار ومسبب المغفرة وإن

نطمع أن يغفر لنا ربنا وأنت لا نطمع والله أعلم أقول والأظهر منه في الفرق بين هذه الوجوه الثلاثة أن الوجه الأول مبني على أن عليه الانقلاب لسلب الضير لكونه مؤدياً إلى النفع الذي هو تكفير الخطايا وحصول الثواب والمعنى متقليون إلى ثوابه والوجه الثاني مبني على أن عليه الانقلاب له من طريق التسلية لنفوسهم والمعنى أن الموت الذي لا بد منه لكل أحد بسبب من الأسباب فلهو به بناء بهذا السبب الذي هو القتل أهون وأيسر علينا لإيجابه الموت بسرعة فالنفع هو اليسر في الموت والوجه الثاني مبني على أن نفس الانقلاب هو المطلوب لنيافته مناب المطلوب الذي هو المغفرة والرحمة لأن الموت والانقلاب إلى الله عز وجل على الإيمان أصل جميع المطالب.

قوله: لأن كنا يعني قوله عز من قائل: ﴿إِن كُنَّا﴾ [الشعراء: ٥١] مقدر باللام تعليل ليغفر وكانوا أول جماعة مؤمنين من أهل زمانهم أو من أهل فرعون واتباعه أو من أهل المشهد أي من أهل شهود تلك المعجزة العجيبة الشأن.

(١) إذ لا يجب على الله شيء فالواجب بناء على الوعد وحاصله كالمرجوع.

(٢) إذ المراد بالانقلاب الموت وهو كائن لا محالة ومن لم يمت بالصلب ونحوه مات بخيره فلا ضير ولا جزع لوقوعه بما هو أنفع لنا.

كان كونهم من المؤمنين لكن كونهم من أولهم لمسارعتهم إلى الخير أولى بالمغفرة وعن هذا قالوا إن كنا أول المؤمنين.

قوله: (من اتباع فرعون^(١) أو من أهل المشهد) لم يتعرض من أهل زمانهم كما في الكشف لأن بني إسرائيل مؤمنون قبلهم إذ ليس المراد الإيمان بموسى عليه السلام لقولهم رب موسى وإيمان بني إسرائيل في ذلك الوقت به عليه السلام غير متحقق ويرد عليه أن قوله آمنتم له يدل على أن المراد إيمانه بموسى عليه السلام نعم قولهم ﴿آمنّا برب العالمين﴾ [الشعراء: ٤٧] يلائم ما ذكره القليل فحينئذ^(٢) ما ذكره الزمخشري يكون تاماً فيكون قولهم ﴿آمنّا برب العالمين﴾ إنشاء فهم أول من آمن بموسى عليه السلام من أهل زمانه كافة.

قوله: (والجملة في المعنى تعليل ثانٍ لنفي الضير) والجملة في المعنى الخ وإنما قال في المعنى لأن كلمة أن ليست بصريح في إفادة العلة عند البعض أو أنه تعليل له مع علته أو إشارة إلى أن المقصود ليس التعليل ليكون المقام مقام العطف وفيه تأمل.

قوله: (أو تعليل للعلة المتقدمة) بناء على أن المراد بالانقلاب الانقلاب إلى ثوابه والطمع المذكور تعليل له إذ الاحتساب له مدخل في نيل الثواب قال عليه السلام من أحيا ليلة القدر إيماناً واحتساباً الحديث وأما الانقلاب بالموت فلا يكون هذا علة له ولهذا آخره.

قوله: (وقرىء إن كنا على الشرط) قال أبو حيان ويحتمل أن يكون إن هي المخففة

قوله: والجملة في المعنى تعليل ثانٍ لنفي الضير أو تعليل للعلة المتقدمة يعني أن قولهم: ﴿إنّا إلى ربنا منتقلون﴾ [الشعراء: ٥٠] استئناف وقع جواباً لما عسى يسأل عن نفي الضير فكان قائلاً قال ما العلة في انتفاء الضير في القطع والصلب وهما ضير ظاهر فقالوا: ﴿إنّا إلى ربنا منتقلون﴾ [الشعراء: ٥٠] أي انقلبتنا ورجوعنا إلى ربنا هو العلة في كون القطع والصلب غير ضائر لنا فهذه الجملة أي جملة إنّا نطمع أن يغفر لنا ربنا تعليل ثانٍ بحسب المعنى أي يذكره بعده لا بالروا العاطفة فلو قيل وإنّا نطمع لكأن تعليلاً ثانياً بحسب اللفظ وإذا كانت تعليلاً للعلة المتقدمة تكون استئنافاً ليبان أن علة الانقلاب هي طمع المغفرة.

قوله: وقرىء إن كنا على الشرط لهضم النفس أي قرىء إن بكسر الهمزة على أنها حرف شرط موضوع للشك في حصول الشرط وإنما جيئت بها ومضمون الشرط محقق الوقوع لأنهم آمنوا قطعاً لهضم النفس أي لكسر النفس والتواضع وعدم الاعتماد على العواقب والاعتبار إلى الخواتيم.

(١) من اتباع فرعون المراد أنه أول من أظهر الإيمان منهم عنده كفاحاً فلا يرد عليه ما قيل إنه متفوض بمؤمن آل فرعون وأسية.

(٢) فحينئذ أي حين كون المراد الإيمان بموسى عليه السلام يكون ما ذكره الزمخشري تاماً لأنهم حينئذ يكونون أول من آمن بموسى عليه السلام من أهل زمانه كاتباً من كان.

من الثغيلة وجاز حذف اللام الفارقة لدلالة الكلام على أنهم مؤمنون فلا يحتمل النفي حتى يحتاج إلى اللام الفارقة ولم يلتفت إليه المص لأن احتمال النفي في أول الأمر ثابت وأن احتمال النفي ليس بلازم في كل ما جيء باللام فيه لمجيئه فيما لا يحتمله كقوله تعالى: ﴿وإن كانت لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ [البقرة: ٤٥].

قوله: (لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة) لهضم النفس وأنه نزله منزلة المشكوك كذا قيل والأولى أن يكون وعدم الثقة الخ عطف تفسير له لأن تنزيل اليقين منزلة المشكوك ليس بوارد في الشرع وأما عدم الثقة بالخاتمة فلا كلام في حسنه وعليه يحمل قول المؤمن أنا مؤمن إن شاء الله تعالى.

قوله: (أو على طريقة المدل بأمره) أو على طريقة المدل^(١) اسم فاعل مشدد اللام

قوله: أو على طريقة المدل بأمره والدال الفنج وقد دلت المرأة تدل بالكسر وقد تدللت وهي حسنة الدال والدلال وفلان يدل على أقرانه في الحرب كالبازي يدل على صيده وهو يدل على فلان أي يثق به قال أبو عبيد لدل قريب المعنى من الهدى وهما السكينة والوقار في الهيئة والمنظر والسمائل وفي الحديث كان أصحاب عبد الله يدخلون إلى عمر فينظرون إلى سمته وهديه ودله فيتشبهون به فيجوز أن يكون قولهم إن كنا بالكسر على الشرط على طريقة قول المدل بأمر يعبر عن المحقق بلفظ المشكوك فيه دلالةً وغنجاً لأمره كقول المحسن إليك إن كنت أحسنت إليك فلا تنس حقي فإن إحسانه واقع محقق لا شك فيه لكن يعبر عنه بلفظ الشك جماعاً للمحقق كالمشكوك دلالةً ونظيره قول العامل لمن يؤخر جعله إن كنت عملت لك قولني حقي ومنه قوله عز وجل: ﴿إن كنتم خرجه جهاذاً في سبيلي وابغوا مرضاتي﴾ [الممتحنة: ١] مع علمه أنهم لم يخرجوا إلا لذلك.

قوله: وهو علة الأمر بالإسراء معنى العلية مستفاد من وقوعه على طريق الاستئناف جواباً للسؤال من علة الأمر بالإسراء وفي الكشف وعلل الأمر باتباع فرعون وجنوده آثارهم كأنه قيل أسر بعبادي لأن فيه نجاتكم وهلاك القوم بالاتباع لكن الهلاك لما كان مسبباً عن الاتباع وضع موضعه أي أسر بعبادي ليشبعوكم فهلكوا في البحر والمعنى أنني بيتت تدبير أمركم وأمرهم على أن تنقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم ويسلكوا مسلككم من طريق البحر فأطبقه عليهم فأهلكهم روي أنه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وروي أن الله تعالى أوحى إلى موسى أن أجمع بني إسرائيل كل أربعة أبيات في بيت ثم اذهبوا الجراء واضربوا بدمائها على أبوابكم فأتى سأمراً الملائكة أن لا يدخلوا بيتاً على بابهم دم وسأمرهم بقتل أبكار القبط واختبزوا خبزاً فظفيراً فإنه أسرع لكم ثم أسر بعبادي حتى تنتهي إلى البحر فيأتك أمري قوله على إرادة القول تقديره قائلاً إن هؤلاء لشردمة قليلون أو قال: ﴿إن هؤلاء﴾ [الشعراء: ٥٤] الآية قوله: وإنما استقلهم أي وإنما عداهم قليلين بالإضافة إلى جنوده.

(١) ولا يبعد أن يكون الشك ناظراً إلى الأولية لأنها غير مقطوع وقوعه ولا وقوعه وإن كان المراد بالنسبة إلى اتباع فرعون أو من أهل مشهد ولو أبى على عمومهم فالأمر واضح.

من الأفعال في القاموس أدل عليه أي انبسط كندلل وأوتق لمحبة فأفطر عليه وحاصله أنه من قولهم تدلل عليه إذا أظهر مخالفته تعنتاً لاعتماده على محبته وليس بمراد لكنه أبرز لتزليل الأمر المعتمد منزلة غيره تلميحاً كقول القائل:

إن كنت عملت لك فوقني حقي

وقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي﴾ [المتحنة: ١] الآية.

قوله: (إن أحسنت إليك فلا تنس حقي) إن أحسنت حال أو وصف بتقدير القول أي قائلاً ذلك المدلل إن أحسنت إليك فلا تنس حقي وهو جازم في إحسانه أو بدل من المدلل بدل الاشتغال كذا قيل.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي ۖ إِنَّكَ مُشْتَبَعُونَ﴾

قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ﴾ [الشعراء: ٥٢] لما دنا هلاك فرعون وجنوده وتخلص وجه الأرض عن إفسادهم أوحى الله إلى رسوله موسى عليه السلام ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ [الشعراء: ٥٢] أن تفسيرية أو مصدرية كما مر في نظيره والإضافة هنا^(١) للتحريف لإيمانهم وانقيادهم الإسراء السير في الليل والباء إما للتعدية أي اجعل لهم سارين في الليل معك أو للملابسة أي كن سارياً ملابساً بهم والمآل واحد والإسراء والسير بمعنى واحد صرح به في أوائل سورة الإسراء.

قوله: (وذلك بعد سنين أقام بين أظهرهم يدعوهم إلى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزدوا إلا عتواً وفساداً وقرأ ابن كثير ونافع إن أسر بكسر النون ووصل الألف من سرى وقرئ إن سر من السير) وذلك أي ذلك الوحي بعد سنين أي ثلاثين سنة كما صرح به في قوله تعالى: ﴿وَلَبِثْتُ فِينَا مِنْ عَمْرٍكَ سِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٨] قوله من سرى إشارة إلى أن أسرى وسرى واحد معنى قوله سر من السير أي من الأجوف وأما الأول فمن الناقص ومعناها واحد وإن الإسراء والسير بمعنى السير في الليل.

قوله: (يتبعكم فرعون وجنوده وهو علة الأمر بالإسراء أي تسر بهم) يتبعكم أي متبعون بمعنى الاستقبال فهو مجاز لأنه حقيقة في الحال وفي الماضي مختلف فيه.

قوله: (حتى إذا اتبعكم مصبحين كان لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم إلى البحر بل يكونون على أتركم حين تلجون البحر فيدخلون مدخلكم) حتى إذا اتبعكم أي فرعون اكتفى به لأنه رئيس القوم والمراد جميعهم ولذلك قيل مصبحين لقوله: ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مَشْرُقِينَ﴾ [الشعراء: ٦٠] كان لكم تقدم عليهم مستفاد من قوله: ﴿إِنَّكُمْ مَتَّبِعُونَ﴾ [الشعراء: ٥٢] فإنه مستلزم للتقدم عليهم قوله بحيث لا يدركونكم الخ منهم مما

(١) وإنما قال هنا لأن في مثل قوله تعالى: ﴿أَتَتْنِي آسُفْتُمْ بَعْدِي هَؤُلَاءِ﴾ [الفرقان: ١٧] الآية ليس الإضافة للتحريف بل للتوبيخ.

ذكر بعده ﴿قال إن معي ربي سيهدين﴾ [الشعراء: ٦٢] قوله قيل وصولكم إلى البحر ومعلوم جزماً أنهم بعد وصولهم إلى البحر لا يدركونهم لأنهم مغرّفون فلا مفهوم قوله حين تلجّون من الولوج أي الدخول.

قوله: ﴿فأطبقه عليهم فأغرقهم﴾ فأتطبقه بالرفع عطف على يدخلون والجامع خيالي لكن المعطف مشكل عند من شرط اتحاد المسند إليه والمسند ولعله مراد من قال إنه بالنصب على جواب الأمر أي الأمر بالإسراء وإن توقف كونه جواباً على تقدير أمور كثيرة فتأمل وكن على بصيرة.

قوله تعالى: **فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾**

قوله: ﴿فأرسل فرعون﴾ حين أخبر بسراهم) فأرسل الفاء فصيحة أي ففعل موسى عليه السلام وخرجوا من مصر ليلاً فأخبر بذلك فرعون فأرسل وإنما اختير ذلك تنبيهاً على أن الحكاية بالأمر كاف وأما الإخبار بإجابته عليه السلام فأمر مفروغ عنه لظهوره.

قوله: ﴿وفي المدائن حاشرين﴾ أي مدائن مصر وما هي في تحت تصرفه فاللام إما للعهد أو للاستغراق، وقيل في تعبئة أرسل بني دون إلى للتنبيه على الاستعجال منه وسرعة الامتثال من الرسل وعلى أن ملك مصر كان معموراً في عهده بحيث سار الرسل كما خرجوا من عنده في المدائن وفيه كسر استبعاد ما ذكر في كثرة جنوده انتهى يعني للتنبيه على الاستعجال منه من فرعون كأنه وقع الإرسال في المدينة فاستعمال كلمة في المفيدة للظرفية للتنبيه على ذلك الاستعجال فالكلام محمول على الاستعارة والتشبيه.

قوله: ﴿العساكر ليتبعوهم﴾ العساكر مفعوله المحذوف حذف للفاصلة قد عرفت أن الحشر السوق من جهات مختلفة.

قوله تعالى: **إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾**

قوله: ﴿على إرادة القول وإنما استقلهم وكانوا ستمائة وسبعين ألفاً بالإضافة إلى جنوده إذ روي أنه خرج وكانت مقدمته سبعمائة ألف﴾ على إرادة القول مع اعتبار المحذوف أكثر من جملة والمعنى^(١) وجمع الرسل العساكر من كل مدين إليه فساروا في أثرهم فأروهم فقال فرعون إن هؤلاء الخ ويحتمل أن يكون المعنى فأرسل حال كونه قائلاً إن هؤلاء الخ وهو الظاهر من كلام المص والأوفق لهؤلاء ما ذكرناه أولاً.

قوله: وكانت مقدمته سبعمائة ألف وخرج فرعون بجمع عظيم ومعه ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسور مع كل ملك ألف وكانت مقدمته سبعمائة ألف كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة.

(١) لكن قوله تعالى: ﴿فأغرقناهم﴾ يؤيد الثاني.

قوله: (والشرذمة الطائفة القليلة ومنها ثوب شراذم لما يلي وتقطع) ثوب شراذم هذا من قبيل وصف المفرد بالجمع للمبالغة كأن كل جزء منه متصف بالبلى والتقطع وهذا الكلام يشير إلى أن شرذمة يقال على بقية كل شيء خسيس ولذا قال ومنها ثوب شراذم الخ كان جماعة قليلة تقطع من جماعة كثيرة.

قوله: (وقليلون باعتبار أنهم أسباط كل سبط منهم قليل) وقليلون الخ جواب سؤال بأن الظاهر شرذمة قليلة فما وجه الجمع فأشار إلى وجهه أن الشرذمة وإن كان لفظها مفردة^(١) لكنها باعتبار اشتغالها الأسباط جمع صفته فبه على أن كل سبط منهم قليل والقلة المستفادة من الشرذمة ناظرة إلى المجموع من حيث المجموع بالإضافة إلى جنوده لأن مقدمته فقط أكثر منهم والقلة المستفادة من قليلون ناظرة إلى كل سبط من الأسباط فلا تكرار وإن حمل القلة على الذلة ولا يحمل على قلة العدد فالأمر واضح يعني أنهم لقلتهم كما وكيفاً لا يبالي بهم ولا يتوقع غلبتهم.

قوله تعالى: وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٩﴾

قوله: (لغائلون ما يغيظنا) من الخروج^(٢) من مصر ليلاً وخفية بلا إذن مع ما عندهم من أموالنا المستعارة إذ روي أن قوم موسى قالوا لقوم فرعون إن لنا في هذه الليلة عيداً واستعاروا منهم حلبيهم وحللبهم بهذا السبب ثم خرجوا بثلك الأموال في الليل جانب البحر.

قوله تعالى: وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴿٥٦﴾

قوله: (وإننا لجمع^(٣) من عادتنا الحذر واستعمال الحزم في الأمور) من عادتنا الحذر

قوله: (والشرذمة الطائفة القليلة ذكرهم بالاسم الدال على القلة وهو لفظ الشرذمة ثم جعلهم قلائل بوصفهم بالقلة ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلاً واختار جمع السلامة الذي هو للقلّة والحال أنه يمكن أن يجمع القليل على أقلّة وقلل فبالغ في تقليلهم بهذه الوجوه الأربعة قال صاحب الانتصاف وفيه وجه خامس وهو جمع الصفة والموصوف مفرد كقوله دمعاً جياًعاً كأنه جعل كل جزء من أجزاء المعاء خالياً من الغذاء صفرأ من الطعام مبالغة في الجوع وقال صاحب الكشف جمع قليلاً بالواو والتون لموافقة رؤوس الآي وإن أفردها جاز لأن لفظة الشرذمة مفرد.

قوله: من عادتنا الحذر واستعمال الحزم هذا تفسير الحذر بمعنى التيقظ في الأمور.

(١) وفي الكشف ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلاً بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلاً واختار جمع السلام التي هي للقلّة انتهى وهو أوضح بياناً.

(٢) وتقديم اللام للحصر أو الفاصلة واللام لجعله منزلة اللازم كما يشير إليه بتفسيره بقائلون أو لتقوية العمل وجعله بمنزلة اللازم لا يلائمه قوله ما يغيظنا حيث ذكر المفعول وفي هذا القول إشارة إلى كون اللام صلة.

(٣) إشارة إلى أن الجمع بمعنى الجمع وليست التي يؤكد بها ولو كانت هي المؤكدة لنصبت.

يكسر الحاء وسكون الذال أي الاحتراز أو يفتح الحاء والذال وكون عادتهم ذلك مستفاد من صيغة فعل الدالة على الثبات مع المبالغة واستعمال الحزم في الأمور.

قوله: (أشار أولاً إلى عدم ما يمنع عن اتباعهم من شوكتهم ثم إلى تحقق ما يدعو إليه من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ في شأنهم حثاً عليه أو اعتذر بذلك إلى أهل المدائن) أشار أولاً الخ أي بقوله «إن هؤلاء لشزيمة قليلون» شروع في بيان إيراد هذه الكلمات إنما قال أشار لعدم التصريح به لكن فهم من كلامه التزاماً ثم أشار إلى تحقق ما يدعو إليه بقوله لغافلون قوله من فرط عداوتهم تنبيه عليه قوله ووجوب التيقظ في شأنهم أي عموماً لا سيما في شأنهم هذا عطف على فرط عداوتهم وذلك بقوله وإنا لجميع حذررون قوله حثاً عليه تحليل لقوله أشار وضمير عليه راجع إلى الاتباع فعلم منه أن الإشارة المذكورة مما سبق إليها الكلام فلا يكون إشارة بالمعنى الاصطلاحي لأرباب الأصول بل بالمعنى اللغوي قوله أو اعتذر بذلك الخ فأو لمنع الخلط ويؤيده الواو الواصلة وفي نسخة واعتذاراً بالنصب عطفًا على حثاً وفي نسخة واعتذر عطف على أشار.

قوله: (كيلا يظن به ما يكسر سلطانه) كيلا يظن به أي بفرعون أي اعتذر من إرساله إليهم بأنهم ليسوا بشيء يخاف منه وإنما تكثير الجيوش لحزم كما هو عادتنا وإرادة قوته لهم وهذا مع الإشارة إلى مقتضى ذلك والمراد من قوله ما يكسر سلطانه هو الخوف منهم.

قوله: (وقرأ ابن عامر والكوفيون حاذرون والأول للثبات والثاني للتجدد) حاذرون

قوله: حثاً عليه مفعول له لقوله أشار أي أشار إلى عدم ما يمنع اتباعهم ليس فيهم كثرة وشوكة حتى تمنع اتباعنا إياهم مع أن فيهم كثرة عداوة داعية على الاتباع وإن عادتنا التيقظ في الأمور ودفع ما يضر شوكتنا قال ذلك حثاً لهم على الاتباع.

قوله: أو اعتذر بذلك عطف على أشار أي قال فرعون «إن هؤلاء لشزيمة قليلون وإنهم لنا لغافلون وإنا لجميع حذررون» إشارة إلى ما ذكر حثاً لهم على الاتباع أو اعتذاراً به إلى أهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر به سلطانه أي كيلا يظن أهل المدائن أن بفرعون شيئاً كاسر السلطنة قد غلبه موسى ولذلك احتاج إلى الاستعانة وجمع العساكر.

قوله: والأول للثبات والثاني للتجدد أي حذررون للثبات لأن وضع صيغة الصفة المشبهة لثبات المعنى كأنه صفة غريزية مجبولة مع موصوفها بخلاف الحاذر فإن صيغته للتجدد.

قوله: وقيل الحاذر المؤدي في السلاح المؤدي على لفظ اسم المفعول من الأداة أي ذو أداة وعدة والسلاح أداة الحرب.

قوله: وقرأ ابن عامر وذكوان حاذرون بالبدال المهيمنة قال ابن جني قرأها ابن عامر الحاذر القوي الشديد يقال حذر الرجل إذا قوي جسمه وامتلأ لحمًا وشحمًا والمراد هنا تام السلاح فإن ذلك أي تمام السلاح يوجب حذارة أي غلظًا وضخامة في أجسامهم.

فحينئذٍ لا يكون المعنى وإنما لجمع عادتنا الحذر الخ وإنما المعنى وإنما لجمع نجدد الحذر والتيقظ حسبما تحقق موجبهما .

قوله : (وقيل الحاذر المؤدي في السلاح وهو أيضاً من الحذر لأن ذلك إنما يفعل حذراً) المؤدي في السلاح في القاموس أدى فهو مؤد قوي فهو للسفر تهيأ وقيل أي الداخل إلى عدة الحروب كالدرع فإن المؤدي بالهزمة هو صاحب السلاح لأنه صاحب أداة أي آلة وآلة الحرب تسمى حذراً مجازاً كما في قوله تعالى : ﴿خذوا حذرکم﴾ [النساء : ٧١] وإليه أشار بقوله وهو أيضاً الخ مرضه لتكلفه مع وجود الوجه الخالي عنه قوله لأن ذلك إنما يفعل حذراً تنبيه على ذلك واعتبار معنى الحذر مغن عنه لعمومه له ولغيره مع أن التخصيص ليس له مخصص واعتبار المعنى العام كالواجب .

قوله : (وقرىء حادرون بالذال أي أقرباء قال :

أحب الصبي السوء من أجل أمه وأبغضه من بغضها وهو حادر أو تامو السلاح فإن ذلك يوجب حذاره في أجسامهم) وقرىء حادرون الخ من حدر حذاره إذا امتلاً شحماً ولحمأً قوله وهو أي الصبي حادر أي قوي سمين حسن فكنى عن حسنه بكونه حادراً فعلم أن الحادر بمعنى القوي السمين ولهذا قال في تفسيره أي أقرباء فحينئذٍ يكون استعارة إذا أريد به تام السلام فإنه يوجب حذاره في أجسامهم ببيان العلاقة ويحتمل أن يكون مجازاً مرسلاً إن اعتبر العلاقة للزوم دون المشابهة وكناية إن اعتبر صحة المعنى الحقيقي أو اعتبر مع المعنى الكنوي المعنى الحقيقي أيضاً .

قوله تعالى : فَأَخْرَجَتْهُمْ مِّنْ جَنَّتِ وَيُؤْنُونَ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَارٍ كَثِيرٍ ﴿٥٨﴾

قوله : (بأن خلقنا داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه يعني المنازل الحسنة والمجالس البهية) بأن خلقنا الخ^(١) أي أخرجنا مجازاً عن خلق داعية الخروج فعبّر عن خلق داعية الخروج بالإخراج مجازاً لكونه سبباً للإخراج لكن قوله فحملتهم عليه يقتضي بحسب الظاهر كون الإستناد مجازاً ولذا ذهب أرباب الحواشي إليه وخلق الدواعي لا ينافي كون الخروج مخلوقاً له تعالى فالفاعل الحقيقي الداعية وفيه تأمل فالأولى كون المجاز في الكلمة قوله بهذا السبب أراد به الذي يتضمنه الآيات الثلاث المذكورة من كونهم قليلين والغيظ والحذر الباء متعلق بقوله خلقنا لا للداعية قبل ولو قال ابتداء جعلنا لهم الخروج

قوله : يعني منازل الجنة والمجالس البهية تفسير لمقام كريم فإن كرم المقام حسنة وبهاؤه .

(١) على ما ذهب إليه صاحب المفتاح من أنه يجوز إرادة المعنى الكنوي والحقيقي معاً كما صرح به في التلويح والمفتاح .

قوله تعالى : ﴿وَكُنُوزٍ﴾ وعطف كنوز بل عيون على جنات من قبل علفها تبنأ وماء بارداً أي فرقاهم من عيون وكنوز أو وبعدناهم .

لكفى ولكن أراد المصنف كيفية خلقه تفصيلاً فيكون الإسناد حينئذ حقيقياً وقد قال أولاً إنه إسناد مجازي^(١) والمراد بالكنوز الأموال التي لم ينفق منها في سبيل الله تعالى كما مر في سورة البراءة وكون المراءد المال المدفون تحت الأرض ليس بمناسب للمقام ولذا قال في الكشف وعن مجاهد سماء كنوزاً لأنهم لم ينفقوا منها في طاعة الله تعالى ومن قال إنما خصها لأن أموالهم الظاهرة قد انطمست ومن غفل عن هذا قال سماها كنوزاً لأنهم لم ينفقوا منها في طاعة الله تعالى فقد ناقش الرواية وكذا ما روي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كل ما أدت زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين وما لم يؤد زكاته فهو الذي ذكره الله تعالى وإن كان على وجه الأرض.

قوله تعالى: كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾

قوله: (مثل ذلك الإخراج أخرجناهم فهو مصدر أو مثل ذلك المقام الذي كان لهم على أنه صفة مقام) فهو مصدر فالكاف في مثله للعينية كما مر بيانه في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] فلا إشكال بأنه يلزمه تشبيه الشيء بنفسه لأنه لا يراد التشبيه حقيقة بل التضخيم والتهويل نظيره شعري شعري وكذا الكلام في قوله أو مثل ذلك المقام الخ.

قوله: (أو الأمر كذلك فيكون خبر المحذوف) أو الأمر كذلك أي الشأن كذلك أي مثل ما بيناه فيكون تقريراً لما قبله فيكون هذه الجملة وأخرجناهم جعلتان معترضتان بين المتعاطفين^(٢) والنكتة تقريراً لإخراج المذكور أو بيان هو له أو فخامته وعلى الأولين يكون المعترضة جملة وأورثناها فحسب والواو اعتراضية لا عاطفة كما في الأخير والنكتة في الاعتراض تقرير الإخراج وبيان منحة الله تعالى على بني إسرائيل بعد كونهم أذلاء في أيدي الكفرة الفجرة وقدم الوجه الأول لأنه متعارف مع أنه يفيد مزيد التأكيد ثم الثاني لعدم الاحتياج إلى التقدير كالأول.

قوله: (وأورثناها) ليس عطف على أخرجناهم داخل في حيز الفاء بل اعتراض هو استعارة شبه تملك مصر بعد إغراق القراصنة بني إسرائيل بالإرث في التملك بلا عوض وال لزوم فاستعير لفظ المشبه به للمشبه فيكون استعارة تبعية هذا إن قيل إنهم دخلوها وملكوها لكن روي أنهم لم يدخلوها في حياة موسى عليه السلام والداخلون المالكون أولادهم وبني إسرائيل في النظم الجميل يحتمل كونهم من معي موسى عليه السلام وكونهم^(٣) أولادهم.

(١) إلا أن يقال إن الإسناد إلى الكتاب حقيقي وإلى الخالق مجازي.

(٢) وهو فأخرجناهم فأتبعوهم.

(٣) وعدم ذكر موسى عليه السلام في «وأورثنا بني إسرائيل» يؤيد الاحتمال الثاني.

قوله تعالى: فَأَتَّبِعُهُمْ تَتْرِيقَ ﴿٦٠﴾

قوله: (فأتبعوهم وقرىء فاتبعهم) فاتبعوهم^(١) أي فرعون وقومه بني إسرائيل عطف على أخرجناهم بالفاء لأنه سبب للاتباع ووقع عقيه.

قوله: (داخلين في وقت شروق الشمس) داخلين أي مشرقين لازم وهمزة الافعال للدخول وهو المراد بقوله: ﴿مصبحين﴾ [الحجر: ٦٦] في قوله: ﴿حتى إذا اتبعكم مصبحين﴾ فيكون مشرقين حالاً من الفاعل يقال اتبع فلان فلاناً من الافعال وتبع من الثلاثي إذا اقتضى أثره نقل عن الزجاج أنه قال شرقت الشمس إذا طلعت وأشرقت إذا أضاءت لكن المراد هنا ليس ما ذكر إذ الإشراق صفة القوم ومعناه الداخل في وقت شروق الشمس أي طلوعه كما يستفاد من كلامه ولذا قال شروق الشمس ولم يقل في وقت إشراق الشمس وإن كان له وجه في الجملة.

قوله تعالى: فَلَمَّا قَرَّعَهُ أَجْمَعَيْنِ قَالَ أَصْحَبُ مُوسَى إِنَّا لَمَدْرُكُونَ ﴿٦١﴾

قوله: (تقارباً بحيث رأى كل واحد منهما الآخر وقرىء قراءة الفئتان) تقارباً حمل الكلام على التقارب لأنه يلائم قولهم إنا لمدركون لا لرؤية من بعيد.

قوله: (لملحقون) والتأكيد بأننا لأن المقام مقام الإنكار ولذا قال عليه السلام كلا وهذه الجملة المؤكدة بناء على الظاهر للغفلة عن وعد الخلاص والمعنى إنا لمدركون في اعتقادنا فلا كذب هذا من أدركه من الافعال.

قوله: (وقرىء لمدركون من أدرك الشيء إذا تتابع ففني أي لمتتابعون في الهلاك على أيديهم) وقرىء لمدركون بتشديد الدال وكسر الراء من أدرك الشيء إذا تتابع ففني ومنه قوله تعالى: ﴿بل ادرك علمهم في الآخرة﴾ [النمل: ٦٦] الآية قال الحسن جهلوا علم الآخرة كذا في الكشف وهو في الأصل بمعنى التتابع وهو ذهاب أحد على إثر آخر ثم صار في عرف اللغة بمعنى الهلاك وأن يفنى شيئاً بعد شيء حتى يذهب جميعه وليس معنى التتابع مهجوراً بالكلية في معناه العرفي قوله لمتتابعون في الهلاك الخ إشارة إلى ما قلنا من أن التتابع معتبر فيه لكن بطريق الإقناء والهلاك كأنه من قبيل نقل اسم العام إلى الخاص.

قوله: من ادرك الشيء إذا تتابع ففني ومنه قوله تعالى: ﴿بل ادرك علمهم في الآخرة﴾ [النمل: ٦٦] قال الحسن جهلوا علم الآخرة وفي معناه بيت الحماسة:

أبعد ينسي أمي الذين تشابعوا أرجى الحباية أم من الموت اجزع
والمعنى إنا لمتتابعون في الهلاك على أيديهم حتى لا يبغي منا أحد.

(١) أي اتبعوا أنفسهم لإياعهم أو اتبعوا من الافعال بمعنى اتبعوا من الافعال.



قوله تعالى: قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ

قوله: (لن يدركوكم فإن الله وعدكم الخلاص منهم) لن يدركوكم أي لن يلحقوا بكم أو لن يهلكوكم والمعنى ارتدعوا عما يعرض لكم من الأوهام المردية فإنه تعالى وعدكم الخلاص منهم ومن شرورهم فمن أوفى بعهده من الله تعالى.

قوله: (بالحفظ والتصرة طريق النجاة منهم روي أن مؤمن آل فرعون كان بين يدي موسى فقال أين أمرت بهذا البحر أمامك وقد غشيك آل فرعون قال أمرت بالبحر) بالحفظ والتصرة أي معنى المعية كناية عن الحفظ أو مجاز عنه والظاهر أن المراد حفظ موسى عليه السلام لأنه مطلوب فرعون وقومه فلذا خص بالذكر ولزم منه حفظ قومه لأنهم تابعون له محفوظون بواسطته وشارفته كما أنهم مطلوبون بسببه عليه السلام ويحتمل أن يكون حفظ قومه كما قال أولاً فإن الله وعدكم مع أنه تعالى وعده نقل عن بعض الفضلاء أنه قال قدم المعية هنا وأخرها في قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: ٤٠) نظراً للمقام لأن المخاطب هنا بنو إسرائيل وهم أضياء يعرفون الله تعالى بعد النظر والسماع من موسى عليه السلام والمخاطب ثمة الصديق وهو ممن يرى الله قبل كل شيء ولذا خص المعية هنا انتهى وأنت خبير بأن بني إسرائيل عارفون بالله تعالى فلا معنى لقوله يعرفون الله تعالى بعد النظر والسماع الخ^(١) نعم بين معرفتهم ومعرفة الصديق بون بعيد وفرق شديد وبعض الكلمة بين وجهه بالفرق بين حبيب الله وبين كليم الله فإن تكلمه في مقام قاب قوسين أو أدنى وتكلمه موسى في طور سيناء وقيل قال معي دون معنا لأنه هو المتيقن لذلك بما أوحى إليهم وهم خائفون ولذلك قالوا: ﴿إِنَّا لَمَدْرُكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١] وهذا وجه الأفراد وأما وجه تقديم معي هنا ووجه تأخير معنا هناك فمذكوت عنه في كلامه على أن قوله: ﴿وَهُمْ خَائِفُونَ﴾ إن أراد به أنهم غير متيقنين لذلك فبعيد لأنهم مؤمنون والخوف بحسب البشرية لا يتنافى التيقن وقد

قوله: قال أمرت بالبحر قال ابن جريج وغيره لما انتهى موسى إلى البحر هاجت الريح يرمي بموج مثل الجبال فقال يوشع يا مكلم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون والبحر أمامنا قال موسى ههنا فخاض يوشع الماء وجاز البحر ما يوراري حافر دابته الماء وقال الذي يكتم إيمانه يا مكلم الله أين أمرت قال ههنا فكبح فرسه بلجامه حتى طار الزيد من شدقه ثم اقحمه البحر فارتسب في الماء وذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدره فجعل موسى لا يدري كيف يصنع فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فإذا الرجل واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبده وروي أن موسى قال عند ذلك يا من كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه ويقال هذا البحر هو بحر القلزم وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له أساف.

(١) فإن هذا الكلام يؤهم أنهم قبل النظر وقبل السماع من موسى عليه السلام ليسوا بعارفين مع أنهم مؤمنون حيث.

قال تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةُ مُوسَى﴾ [طه: ٦٧] قوله: ﴿وَقَدْ غَشْيَكَ آلَ فِرْعَوْنَ﴾ أي وقد قرب لحوقهم إياك ومن معك.

قوله: (ولعلي أومر بما أصنع) لعلي أومر أي أرجو أن بأمرني الله تعالى بما أصنع وهو الدخول في البحر وكان لم يؤمر به قبل الوصول إليه كذا قيل وهذا لا يلائم قوله فيما مر بل يكونون على إثركم حين تلجون البحر فيدخلون الخ فالأولى أن الترجي في مقام القطع كما هو عادة الأشراف وأومر حكاية الحال الماضية.

قوله تعالى: فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ

الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾

قوله: (القلزم أو النيل) القلزم كعنفد هو الذي يتوصل أهل مصر إلى الطور وإلى مكة المشرفة وما والاها وقيل ببلدين مصر ومكة قرب جبل الطور وإليه يضاف بحر القلزم لأنه على طرفه ولأنه يتلغ من يركبه والقلزم الابتلاع أو النيل أي نيل مصر وقد يطلق على النهر العظيم البحر.

قوله: (أي فضرب فانفلق) أي الفاء فصيحة والمعطوف عليه المحذوف ضرب.

قوله: (فصار اثني عشر فرقاً بينها مسالك) ليسلك كل سبط من الأسباط^(١) الاثني عشر والمراد بالفرق ما ارتفع من الماء فصار ما تحته كالسرداب وفي الكشف والطود الجبل المتطاوّل أي المرتفع إلى السماء.

قوله: (كالجبل المنيف الثابت في مقره) كالجبل المنيف أي العالي الثابت في مقره وإجماع ذلك الماء فوق كل طرف منه حتى صار كالجبل العالي الثابت في مقره معجزة باهرة لموسى عليه السلام كما كان معجزة تفرق الماء وروي أنه تعالى جعل في تلك الجدران المائية كوى ينظر منها بعضهم إلى بعض وهذا معجز آخر.

قوله: (فدخلوا^(٢)) في شعابها كل سبط في شعب) شعابها جمع شعب وهو المسلك قيل الشعاب طرق في الجبال استعيرت أي استعيرت للمسلك قبل الفرق كناية عن قطعة من الماء ارتفعت عن سطح البحر يضربه حتى صارت كالجبل فلا يلزم كون الفرق ثلاثة عشرة على تقدير كون المسالك اثني عشر إلا إذا فرض أنه بكل ضربة انكشف الماء إلى ناحيتي المسلك وصار كطودين مكتنفين له فيزيد حيث يزد عدد الفرق على المسالك أما على ما ذكر فلا والحاصل أنه لو كان المراد بالفرق طائفة انفصلت منه وصارت كالجسر لزم ما ذكر أما

قوله: فدخلوا في شعابها الشعب بالكسر الطريق في الجبل.

(١) وهم حطّة يعقوب عليه السلام فإن اثناً عشر ابناً كيوسف عليه السلام وبنيامين ويهوذا الخ ولكل واحد منهم ذراري لا تحصى.

(٢) لا بد من هذا التعبير ليعطف عليه وإلغنا كذا قيل.

لو أريد به ما ارتفع عن الأرض وصارت تحته أرض يبس كالسرداب والفرق هو الماء المرتفع كالسقف والقبّة والطود فلا وقد صرح به المصنّ بقوله كالجبل والنظم صريح فيه أيضاً انتهى قول المصنّ وصار اثني عشر فرقاً بينهما مسالك يؤيد كون المراد بالفرق طائفة انفصلت منه وصارت كالجسر فلا بد من كون الفرق ثلاثة عشر حتى يحصل اثنا عشر مسلكاً بعدد الأسباط ليدخل كل سبط في شعب وفي كلام المصنّ نوع خلل ولو قال اثني عشر فرقاً تحت كل منها مسالك لثم الكلام والله أعلم بالمرام.

قوله تعالى: **وَأَرْزُقْنَاهُمْ الْآخِرِينَ** ﴿٦٤﴾

قوله: (وقرنا فرعون وقومه حتى دخلوا على إثرهم مداخلهم) وقرنا أي قرنا فرعون وقومه من أصحاب موسى عليه السلام ويناسبه قوله حتى دخلوا على إثرهم الخ وقيل قرنا بعضهم بعضاً كي يعمهم الفرق ولا حاصل له^(١) قوله حتى دخلوا مستفاد من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٦٦].

قوله تعالى: **وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ** ﴿٦٥﴾

قوله: (يحفظ البحر على تلك الهيئة إلى أن عبروا) من العبور بمعنى المرور أي جازوا البحر ودخلوا في البر.

قوله تعالى: **ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ** ﴿٦٦﴾

قوله: (باطفاقهم عليهم) أي بإخراج البحر عن تلك الهيئة وإعادته إلى الحالة الأصلية وهذا هو المراد من إطباق البحر عليهم وكلمة ثم دلت على تأخر غرق الهالكين عن خروج الناجين وذلك بحبس جبرائيل أولهم ليلحق به آخرهم حتى لا يشذ منهم أحد كذا قيل قوله وقرنا ثم الآخرين لا يلائمه إذ الظاهر أن بداية غرقهم عقيب نجاتهم فكلمة ثم إما بالنظر إلى آخر الفرق أو المراد التراخي الرتبتي قال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَيْنَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودَهُ﴾ [يونس: ٩٠] الآية فأتى بالغاء بالنظر إلى أول الأمر.

قوله تعالى: **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴿٦٧﴾

(وآية آية).

قوله: (وما تنبه عليها أكثرهم إذ لم يؤمن بها أحد ممن بقي في مصر من القبط وينو

قوله: رآية آية يعني أن تنكير آية للتعظيم يقال جاء رجل أي رجل أي كامل في الرجولية.
قوله: وما تنبه عليها أكثرهم أي ما تنبه على تلك الآية أي المعجزة الدالة على أن ما أمر به موسى واجب الإيمان به أكثرهم أي أكثر من بقي بعد هلاك فرعون حيث لم يتأملوا فيها ولم يعتبروا ولم يتفعلوا بها حتى يؤمنوا.

(١) إذ عموم الفرق لا يقتضي قرب بعضهم بعضاً بل يقتضي دخول البحر جميعاً.

إسرائيل^(١) بعدما نجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥] سألوا خبير لبنو إسرائيل أشار إلى الأكثر الذي لم يؤمنوا بعد مشاهدة هذه الآية العظيمة وهم القبطي عن آخرهم وبعض بني إسرائيل سألوا بقرة كما بينه تعالى بقوله: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨] لأنهم كانت لهم تماثيل على صورة البقرة فقوله بقرة استعارة البقرة للصورة.



قوله تعالى: وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْعِدٌ لِّلرَّحِيقِ
قوله: (المتقم من أعدائه) ولذا أهلك فرعون وقومه بالبحر.

قوله: (بأوليائه) وعن هذا أنجى موسى ومن معه من البحر ومن استبيلاء الأعداء وبهذه الملاحظة يظهر مناسبة ختم الكلام لما قبله وآخر الرحيم للفاصلة مع أنه ناظر إلى الإنجاء المقدر ذكراً.



قوله تعالى: وَقُلْ عَلَيْهِمُ سَآءَ الزَّيْهِرِ
قوله: (على مشركي العرب) هم مذكورون^(٢) حكماً فإن إبراهيم جد العرب فإن نبأ إبراهيم ينبغي أن يخص بهم وإن ذهب بعضهم إلى أنه لجميع الناس والنبأ الخبر العجيب الشأن والمراد به قصته مع أبيه وقومه ذكر قصته إثر قصة موسى عليه السلام تسلياً له عليه السلام بأن حزن^(٣) إبراهيم عليه السلام أشد من حزنه.



قوله تعالى: إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ
قوله: (سألهم ليربهم أن ما يعبدونه لا يستحق العبادة) سألهم مع علمه بأنهم عبدة الأصنام ليربهم ليعلمهم أن ما يعبدونه الخ أي أن الاستفهام ليس على حقيقته بل لأن يتوصل به إلى أن ما يعبدونه الخ وحاصله أن الاستفهام هنا للإنكار لا

قوله: سألهم ليربهم أن ما يعبدونه لا يستحق العبادة أعني ليس مراد إبراهيم من سؤاله هذا أن يعلم هو حقيقة ما يعبدونه من الأصنام لأنه عالم به ما هو بل مراده من السؤال أن يرهم ويعلمهم قطعاً بعد جوابهم له بأن تعبد أصناماً فنظّل لها عاكفين أن أصنامهم التي يعبدونها لا تستحق أن تعبد لاتصافها بالعجز عن النفع والضرر فالمراد بالسؤال استنطاقهم ليحييهم بما أجاب كما تقول للتاجر ما مالك وأنت تعلم أن ماله الرقيق فيقول الرقيق ثم تقول له الرقيق جمال وليس بمال.

(١) أي بنو إسرائيل مبتدأ خبره سألوا.

(٢) فيكون كذكر الميت في آية الميراث.

(٣) وأنه صبر حتى أتاه نصر الله فاصبر حتى أتاك نصرنا.

للاستعلاء قوله إذ قال بدل^(١) من نبا^(٢) إبراهيم أو ظرف له .

قوله: ﴿قالوا تعبد﴾ استئناف ونعبد للاستمرار .

قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَعْبُدُوا أَصْنَامًا فَتَنْظِلُهَا عَلَيْكُم﴾

قوله: ﴿فأطالوا^(٣) جوابهم﴾ يعني بزيادة قولهم نعبد فنظّل لها عاكفين مع أن أصناماً يكفيها وهذا الجواب لكون ظاهر ما تعبدون استعلاءً وإلا فلا استعلاء فلا يحتاج إلى الجواب .

قوله: ﴿بشرح حالهم معه تبيحاً به وافتخاراً ونظّل ههنا بمعنى ندوم وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل﴾ بشرح أي مثبساً به قوله معه كالتأكيد لمعنى الملابس وفي نسخة وشرح حالهم الظاهر أنه نصب على المفعول معه أو أنه من باب علفتها تبنياً وماء بارداً أي ذكروا شرح حالهم معه أي مع الجواب وهو الظاهر^(٤) لخلو لفظ معه حينئذٍ عن التمحّل قوله تبيحاً بتقديم الجيم على الحاء أي سروراً وكون ضمير معه للأصنام يتأويل ما تعبدون أو لإبراهيم عليه السلام ومع بمعنى عند عدول عن نهج السداد قوله بمعنى ندوم أي نظّل فعل تام بمعنى دام وعاكفين حال وكونه بمعنى صار وعاكفين خبراً له لا يلائم كلام المص وإن كان حسناً في نفسه قوله وقيل الخ فعلى هذا يكون فعلاً ناقصاً دالاً على

قوله: ﴿فأطالوا جوابهم بشرح حالهم معه تبيحاً وافتخاراً يعني أن قول إبراهيم عليه السلام ما تعبدون سؤال عن المعبود فقط وكان القياس أن يقولوا في جوابه أصناماً كقوله ﴿ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾ وماذا قال ريكتم قالوا الحق ﴿وماذا أنزل ريكتم قالوا خيراً﴾ وهم قد جازوا بقصة أمرهم كاملة وزادوا في الجواب ابتهاجاً وافتخاراً فاشتمل كلامهم على جواب إبراهيم وعلى ما قصدوه من اظهار ما في نفوسهم من الابتهاج والافتخار حيث عطفوا على قولهم ﴿نعبد أصناماً﴾ قولهم ﴿فنظّل لها عاكفين﴾ وهذه الزيادة ليست داخلية في السؤال .

قوله: ﴿ونظّل بمعنى ندوم يعني أن ظل ههنا بمعنى الدوام كما يجيء كان للدوام فالمعنى نعكف عليها عكوفاً دائماً أي ليلاً ونهاراً .

قوله: ﴿وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل وهذا المعنى هو ما اختاره صاحب الكشف حيث لم يتعرض للأول لأنه أصل معناه يقال ظللت أعمل كذا بالكسر ظلولاً إذا عملته بالنهار دون الليل مشتق من الظل لأن الظل في الحقيقة إنما هو ضوء شعاع الشمس دون الشعاع فإذا لم يكن ضوء فهو ظلمة وليس بظل ومنه قوله تعالى: ﴿فظلتم تفتكهن﴾ [الواقعة: ٦٥] كذا في الصحاح .

(١) والضمير في قومه رجوعه إلى أبيه أولى من رجوعه إلى إبراهيم وإن لزم تفكيك الضمير لأنه أمر سهل لقوله: ﴿إني أنيك وقومك﴾ الآية .

(٢) بدل الاستئناف والاحتمال الثاني أسلم .

(٣) المراد بالجواب مجموع الجواب وشرح حالهم بعموم المجاز فلذا أوقع الاطالة عليه مع أنه لا طول في الجواب ولم يقل احتبوا لعدم الفائدة فيه .

(٤) إذ جعل الواو بمعنى مع يعني عن ذكر معه فاحتج إلى التمحّل .

اقتران مضمون الجملة بالنهار مرضه لأن كون عبادتهم بالنهار دون الليل بعيد جداً.

قوله تعالى: **قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ** ﴿٧٢﴾

قوله: (يسمعون دعاءكم) بتقدير مضاف فيكون متعدياً إلى مفعول واحد لأنه داخل على المسموع وقد عرفت أنه إذا دخل على مسموع يتعدى إلى واحد.

قوله: (أو يسمعونكم تدعون) فعلى هذا يتعدى إلى مفعولين لأنه إذا دخل على غير مسموع يتعدى إلى اثنين بشرط أن يكون الثاني مما يدل على الصوت مثل سمعت زيدا يقول وهذا كثير في رواية الحديث مثل سمعت رسول الله أو النبي عليه السلام يقول أو يتكلم الخ هذا مختار أبي علي الفارسي وعند غيره يتعدى أيضاً إلى واحد وإن كان معرفة فالجملة حال وإلا فصفة فتدعون في قوله أو يسمعونكم تدعون إما مفعول ثانٍ أو حال.

قوله: (فحذف ذلك لدلالة إذ تدعون عليه وقرئ يسمعونكم أي يسمعونكم الجواب عن دعائكم) فحذف ذلك أي ما ذكر من المضاف على الأول أو الجملة أي تدعون على الثاني لدلالة إذ تدعون أي دلالة عقلية على ذلك وأفرد ذلك^(١) لأن المذكورين عطف بأو أحدهما على الآخر قوله وقرئ يسمعونكم من الاسماع فحينئذ المحذوف الجواب وهو المفعول الثاني وعن دعائكم متعلق بالجواب وعلى كلتا الفراءتين الاستفهام ليس على حقيقته بل ليراهم أن ما يعبدون بمعزل عن السمع أو الإسماع والنفع والضرر فضلاً عن العبادة.

قوله: (ومجيئه مضارعاً مع إذ على حكاية الحال الماضية استحضاراً لها) يعني

قوله: يسمعون دعاءكم أو يسمعونكم يدعون لما وقع مفعول يسمع في هل يسمعونكم نفوس المخاطبين وهم ليسوا بما يصلح أن يتعلق به السماع لأن المسموع يجب أن يكون من جنس الأصوات فسر بوجهين الوجه الأول أن يكون المضاف محذوفاً فمعنى هل يسمعونكم هل يسمعون دعاءكم والثاني أن يكون تقديره يسمعونكم تدعون مثل سمعت زيدا يقول كذا ليكون تدعون حالاً من المفعول قيداً للفعل فينسحب معنى السماع إلى القيد فيكون المسموع في كلا الوجهين الدعاء وهو من قبيل الصوت ولولا تقدير المضاف أو ذكر الوصف أو الحال لم يكن منه بد فلا يقال سمعت زيدا بل يقال سمعت كلام زيد أو سمعت رجلاً قائلاً كذا أو سمعته يقول كذا كما في قوله تعالى: ﴿سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾ [آل عمران: ١٩٣] وقرينة المحذوف هنا على الوجهين الظرف وهو إذ تدعون.

قوله: ومجيئه مضارعاً مع إذ على حكاية الحال الماضية أي مجيء تدعون أو يسمعونكم أو كل واحد منهما فإن كل واحد منهما مذكور لإذ وهو ظرف لهما وهو يقتضي الماضي لأنه موضوع لما مضى من الدهر فمقتضى الظاهر أن يقال هل سمعوا إذ دعوتهم لكن خولف الأصل

(١) ومثل هذا العطف بأو دون الواو يختار الأفراد في ضميره وإشارته قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ

نُفِقْتُمْ مِنْ نَارٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا﴾ [البقرة: ٢٧٠] أفرد ضمير يعلمه لذلك.

والحال أن إذ مختصة بالمضي قوله على حكاية الحال الماضية فحيثي ذلك يكون تعيدون وتعبد لحكاية الحال الماضية والأولى الاستمرار هنا وهناك فإنهم في صدد العبادة والدعاء بعد ومثل ذلك لا يقال له لحكاية الحال الماضية فحيثي كلمة ﴿هل في هل يسمعونكم﴾ في موقعها ولا يحتاج إلى الاعتذار بأن المعتبر هنا زمان الحكم لا زمان التكلم وهنا كذلك^(١) فلا إشكال بأن هل تخلص المضارع بالاستقبال فيضر كونها حكاية للحال الماضية.

قوله تعالى: **أَوْ يَفْقَهُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ** ﴿٧٣﴾

قوله: (على عبادتكم لها) عدي بعلی لتضمنه معنى الجزاء وجعلها للتعليل بعيد.

قوله: (من أعرض عنها) أي منكم فالضر متعلق بهم أيضاً لاقتضائه الخطاب وأما حذف الضمير أي لفظ كم فللفاصلة ولقد أبعد من قال قوله من أعرض إشارة إلى أن الضر لا يتعلق بهم ولذا لم يقل يضررونكم لما عرفت من الخطاب والكلام معهم قول المص اضربوا^(٢) عن أن يكون لهم سماع الخ صريح فيما ذكرنا.

قوله تعالى: **قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ** ﴿٧٤﴾

قوله: (اضربوا عن أن يكون لهم سماع أو يتوقع منهم ضرر أو نفع والتجأوا إلى التقليد) اضربوا أشار إلى أن بل ليس للترقي بل للإضراب عن المحذوف بدلالة سوق الكلام أي قال المشركون حين قال لهم إبراهيم عليه السلام ذلك لا يكون^(٣) لهم سماع أو ضرر بنفسه أو نفع بل وجدنا آبائنا كذلك^(٤) يفعلون فقلنا كذلك^(٥) وفي هذا الجواب إشارة إلى أن ليس لهم في ذلك دليل عقلاً أو نقلاً أيضاً وإنما عبادتنا لمجرد التقليد لمن هم محرومون عن التحقيق قدم ضرراً مع أنه مؤخر في النظم إشارة إلى أن كل واحد منهما يستحق التقديم من وجه إذ نفع ما مطلوب جلبيه لقصد الانتفاع والتمتع والضرر دفعه مطلوب

لاستحضار الصورة الماضية كأنه قيل استحضروا الأحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها وقتاً فوقتاً وقولوا هل سمعوا قط وهذا أبلغ في الزامهم وتبكيهم من التعبير بلفظ المضي.

قوله: من أعرض عنها أي أو يضررون من أعرض عن عبادتهم فالضمير في عنها للعبادة لا للأصنام قوله والتجأوا إلى التقليد أي إلى تقليد آبائهم لما عجزوا عن الاحتجاج وافحموا والقموا الحجة ولم يبق لهم حاجة أجابوا بأن داعية العبادة لها التقليد لا بأنهم.

(١) لأن السماع بعد الدعاء.

(٢) والظاهر أنهم علموا أن ما يعبدونه ليس بمستحق للعبادة فاتضح قوله وإنما سأله ليراهم أي ليعلمهم الخ والظاهر ترتب علمهم على إعلامه وإن لم يكن لازماً له.

(٣) أي لا نعيدهم لكونهم سامعين نافعين بل وجدنا.

(٤) مفعول يفعلون قدم للفاصلة ويفعلون إما حال إن قيل إن الوجدان بمعنى المصادفة أو مفعول ثانٍ أن قيل إنه بمعنى العلم والأول هو المفعول.

(٥) لأنهم كانوا خيراً منا وأعلم.

بل قيل إنه أهم من جلب النفع ولذلك قدم نفع في النظم الكريم في موضع وقدم ضر فيه في محل آخر وقيل آخر النفع لمراعاة السجع مع لفظ السمع وهذا كما ترى .

قوله تعالى: **قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كَثُرَ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَشْتَرُ وَمَذْهُبًا كُفًّا أَتَقْدُمُونَ ﴿٧٦﴾**

قوله: (قال) إبراهيم عليه السلام استئناف ولم يعطف الأقاويل بعضها على بعض تنبيهاً على أنها أصل على حياها غير تبع بعضها لبعض والهمزة^(١) داخله في المعطوف المحذوف أي انتهت فعلتم حال الذين تعبدونه من أنه لا يقدر^(٢) النفع ولا الضر فلا يستحق العبادة ما تعبدونه وما عبده آباؤكم الأقدمون هذا إذا كان ما موصولة أو فعلتم أي شيء تعبدونه إذا كان ما استظهاره .

قوله: (فإن التقدم^(٣)) لا يدل على الصحة ولا ينقلب به الباطل حقاً) أشار إلى أن الاستفهام للإنكار التوبيخي حاصله لا يكون منكم تنبيه ولا علم ما تعبدونه وأحواله مع أنه بديهي وأما تقدم عبادة آباؤكم الأقدمون فليس بشيء يفيد صحة تلك العبادة فإنها باطلة^(٤) فالتقدم لا ينقلب به الباطل حقاً فأني لكم التمسك بذلك قوله: ﴿ما كنتم تعبدون﴾ [الشعراء: ٧٥] يؤيد ما قلنا من أن الأفعال المضارعة هنا للاستمرار لا لحكاية الحال الماضية وصيغة العقلاء هنا لإسناد أفعال العقلاء إليهم إذ السمع والضر من أفعال العقلاء .

قوله تعالى: **فَأَنذَرْتُكُمْ عَذَابِي الْآلَاءِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾**

قوله: (فإنهم أي هذه الآلهة التي تعبدونها) فإنهم أي الأصنام عدو لي الفاء جزائية أي إذا ظهر عجزهم فضلاً عن استحقاق العبادة فهم عدو لي وكلمة التأكيد للمبالغة في صدق ذلك قال الفاضل المحشي أي فأخبركم وأعلمكم مضمون هذا الكلام ويجوز والله

قوله: فإن التقدم لا يدل على الصحة ولا ينقلب به الباطل حقاً لما أجابوا بجواب المقلدين لآبائهم قال لهم رقا أمر تقليدكم هذا إلى أقصى غاياته وهي عبادة الأقدمين الأولين من آباءكم فإن التقدم والأولية لا يكون برهاناً على الصحة والباطل لا ينقلب حقاً بالقدم وما عبادة من عبد هذه الأصنام إلا عبادة أعداء له ومعنى العداوة قوله تعالى: ﴿كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً﴾ [مريم: ٨٢] من حيث إنهم ينضربون من جهة أصنامهم في جهنم بما ينظر به الرجل من جهة عدوه أو لأن المقرري على عبادتها أهدى عدو الإنسان وهو الشيطان .

(١) أي همزة أفرايتهم .

(٢) إشارة إلى أن المنفي عنهم القدرة على النفع والضر .

(٣) كأنه أشار إلى وجه وصفهم بالأقدمين .

(٤) وضلال قديم لا فائدة في قدمه إلا ظهور بطلانه لأن المعنى كما علمت اتبعتهم وعلمتم أي شيء تعبدونه أنتم ومن قبلكم من آباءكم الأقدمين إذ علة البطلان وهي عدم السمع والضر مشتركة فأين الفائدة في قدم الباطلة .

أعلم أن يكون ﴿ما كنتم تعبدون﴾ مبتدأ قوله فإنهم خبره فحينئذ لا حاجة إلى تقدير الحال كما احتيج في كونه مفعول رأيتم وما حينئذ لا يحتمل أن يكون استظهارية وقد جوزة سابقاً فحينئذ تكون الجملة مفعول علمتم وكونهم عدواً له ليس معلوماً مما سبق لهم كما هو مقتضى الفاء فلا جرم أن هذا الاحتمال ضعيف جداً.

قوله: (يريد أنهم أعداء لعابديهم)^(١) ولا يريد ظاهره من أنهم عدو له.

قوله: (من حيث إنهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه) فيه إشارة إلى أن الكلام تشبيه بليغ إذ معنى أنهم عدو أي أنهم كالعدو وجه الشبه التضرر من جهتهم الخ غاية الأمر أن فاعل الضرر ليس بأصنام بخلاف العدو فإنه هو الفاعل للضرر.

قوله: (أو إن المغري بعبادتهم أعدى أعدائهم وهو الشيطان) أو أن المغري أي المحرض الباعث عطف على قوله إنهم أعداء لعابديهم أي يريد به عليه السلام إما ذلك أو يريد أن المغري المرغب بعبادتهم أعدى أعدائهم فإستناد العداوة إليهم مجاز عقلي من إسناد حال المرغب إلى العابد فلا يكون حينئذ في الكلام تشبيه بليغ قدم الأول لظهوره ولخلوه عن التمثل^(٢) الذي ذكره.

قوله: (لكنه صور الأمر في نفسه تعريضاً لهم فإنه أنفع في النصيح من التصريح وإشعاراً بأنها نصيحة) لكنه عليه السلام صور الأمر أي أمر العداوة في نفسه النفيسة حيث قال عدو لي مع أنهم لا عداوة له قطعاً تعريضاً لهم أي الكلام كناية على سبيل التعريض كقوله: ﴿وما لي لا أعبد الذي فطرني﴾ [يس: ٢٢] الآية قيل والمعنى إني فكرت في عبادتي لها لو صدرت مني فرأيتها عبادة للضار العدو فتركتها لمن الخير كله في عبادته ولا

قوله: لكنه صور الأمر في نفسه استدراك عن قوله: يريد أنهم أعداء لعابديهم يعني أن قول إبراهيم فإنهم عدو لي كلام تعريض مثل ﴿وما لي لا أعبد الذي فطرني﴾ [يس: ٢٢] والمقصود ما لكم لا تعبدون الذي فطركم فمراد إبراهيم عليه السلام بقوله ﴿فإنهم عدو لي﴾ فإنهم أعداء لكم لكنه صور أمر عداوة الأصنام في نفسه حيث قال عدو لي ولم يقل عدوكم تعريضاً لأن التعريض في النصيح أنفع من التصريح فإنه قد يبلغ التعريض للمتصوح ما لا يبلغه التصريح لأنه يتأمل فيه فربما قاده التأمل إلى قبول النصيحة ومنه ما يحكى عن الشافعي رحمه الله أن رجلاً واجهه بشيء فقال لو كنت بحيث أنت لأصبحت إلى أدب قوله وإشعاراً بأنها نصيحة بدأ بنفسه أي إشعاراً بأن تلك النصيحة نصيحة نصح بها أولاً نفسه فيكون تصويراً للأمر في نفسه على أي تأملت في أمري فرأيت عبادتي لها عبادة للعدو فاجتبتها وآثرت عبادة من الخير كله منهم ليربهم بذلك أنها نصيحة نصح بها نفسه أولاً ويبي عليها تدابير أمره لينظروا فيقولوا ما نصحتنا إبراهيم إلا بما نصح به نفسه وما أراد لنا إلا ما أراد لروحه ليكون ادعى لهم إلى القبول وأبث على الاستماع.

(١) وقيل هذا على القلب وأصله أي عدو لهم ولا يخفى أن حسن القلب إن تضمن اعتباراً لطيفاً وهنا ذلك ليس بمعلوم.

(٢) وهو تقدير المضامين أي فإن مغري عبادتهم أو مجاز عقلي.

يخفى ما فيه إذ رئيس الموحدين بعيد عن هذا الفكر وخطوره بباله السليم ولو قيل إنه فرض من أواه حليم والكناية التعريفية لا يحتاج إلى هذا التكلف العظيم ففي قوله تعريضاً إشارة إلى أنه يحتمل أن يكون مجازاً إذا قيل إن الأصنام لا تصلح أن تكون عدواً لإبراهيم عليه السلام وإلا فيكون كناية كما ذهب إليه الطيبي والتعريض مشهور في الكناية لا في المجاز.

قوله: (بدأ بها نفسه ليكون ادعى إلى القبول)^(١) بدأ بها نفسه وفيه تنبيه على أن المراد بها نفسه وغيرها وقد قال أولاً المراد غيرها تعريضاً لهم إلا أن يقال إن المعنى الحقيقي مراد في الكناية إما لذاته وهو مختار صاحب المفتاح أو للانتقال إلى المعنى الكنوي كما اختاره غيره لكن في كونه مجازاً فالأمر مشكل.

قوله: (وإفراد العدو لأنه في الأصل مصدر) ويجوز أن يكون المعنى فإن كل واحد منهم عدو ويجوز أن يكون توحيد لوحدة المعنى الذي هو معاداتهم فإنهم بذلك كالشيء الواحد وقد مر التفصيل في قوله: ﴿وجعلنا للمتقين إماماً﴾ [الفرقان: ٧٤].

قوله: (أو بمعنى النسب) أي ذو عداوة فيستوي فيه الواحد وغيره لكن صيغته في فعول غير متعارف ولعل لهذا آخره.

قوله: (استثناء منقطع) وهو الظاهر المناسب للسوق حيث تقدم ذكر الأصنام وضمير فإنهم راجع إليها.

قوله: (أو متصل على أن الضمير لكل معبود عبده وكان من آبائهم من عبد الله) أو متصل على أن الضمير أي ضمير فإنهم لكل معبود حقاً كان أو باطلاً على أن ما يعم أولى

قوله: لأنه في الأصل مصدر أي لأن العدو في الأصل مصدر على وزن القبول حمل عليهم حمل المصدر على الذات للمبالغة على طريقة رجل عدل أو هو صفة مشتقة لكن ترك المطابقة لكونه بمعنى النسب فمعناه أنهم ذوو عداوة لي كما هو تأويل قولك امرأة طامث وناقاة لابن أي ذات طمث وذات لين على وجه.

قوله: أو متصل على أن الضمير لكل معبود أي أن الضمير في فإنهم راجع إلى كل معبود إذ حيثن يكون المستثنى داخلاً في المستثنى منه بخلاف الوجه الأول والقول باتصال الاستثناء بعيد ولذا تركه صاحب الكشف قال ﴿إلا رب العالمين﴾ استثناء منقطع قال صاحب الكشف لأنه تعالى ليس من جملة الأعداء خبر عن الأصنام بأنهم أعداء ثم أخذ في حديث آخر فقال لكن رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين وقال أبو البقاء ويجوز أن يكون متصلاً لأن آباءهم قد كان منهم من يعبد الله وغير الله وعلى تقدير كون الاستثناء منقطعاً يكون إلا بمعنى لكن أي ولكن رب العالمين.

(١) قوله ليكون ادعى لهم إلى القبول إذ حيثن يقولون ما نصحتنا إبراهيم إلا بما نصح به نفسه وما أراد لنا إلا ما أراد لروحه فربما قاده التأمل إلى القبول.

العلم وغيره قال المص في سورة الزخرف ﴿وأنهم كانوا يعبدون الله والأوثان﴾ انتهى وهنا قال وكان من آياتهم من عبد الله تعالى فيبين القولين نوع تشاغل فإن من عبد الله هو آباؤهم على ما فهم هنا وأنفسهم على ما فهم من كلامه في سورة الزخرف والتوفيق هو أن عبادة الله تعالى مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادة غيره كأنه عبد غيره ولم يعبد الله تعالى كذا صرح في قوله تعالى: ﴿وإذ قال يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾ [المائدة: ١١٦] الآية وكلامه هنا مبني على ذلك وكلامه في سورة الزخرف بناء على ظاهر عبادته تعالى وكون الاستثناء متصلاً بـي هنا على أنهم لبسوا عابدين له حقيقة وجعل الضمير لكل معبود سواء كان معبودهم أو معبود آباؤهم على طريق الاستخدام إذ لا يقتصر الإرادة على الأصنام بقرينة الاستثناء لأن الأصل فيه الاتصال وأما الانقطاع فمجاز كما في التوضيح وبني في سورة الزخرف كونه متصلاً على أنهم عابدون له تعالى أيضاً بحسب الظاهر ولو لم يكن معتدّاً به فاندفع بذلك التوفيق اضطراب العلماء^(١) هنا كما لا يخفى.



قوله تعالى: أَلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ

قوله: ﴿الذي خلقني فهو يهدين﴾ صيغة المضارع هنا لأن الهداية^(٢) مستقبل بالنسبة إلى الخلق.

قوله: (لأنه يهدي كل مخلوق لما خلق له من أمور المعاش والمعاد كما قال ﴿والذي قدر فهدى﴾ [الأعلى: ٣]) لأنه يهدي كل مخلوق سواء كان من ذوي العلم أو لا لما خلق له طبعاً أو اختياراً الأول في الحيوان وهو ظاهر والثاني في النباتات فإنها تتوصل إلى كماله بالتغذية طبعاً لا اختياراً وتمام التفصيل في قوله تعالى: ﴿والذي قدر فهدى﴾ [الأعلى: ٣] حمل الهداية على المعنى اللغوي وهو التعريف كيف يرتفق بما أعطاه الله تعالى إياه وكيف يتوصل به إلى بقاءه وكماله اختياراً أو طبعاً قال المص في قوله تعالى: ﴿والذي قدر فهدى﴾ [الأعلى: ٣] فوجهه إلى أفعاله طبعاً أو اختياراً بخلق الميول والإلهامات ونصب الدلائل وإنزال الآيات^(٣) لأن المقام مقام استدلال على أن العبادة بالحق مختصة بالله تعالى لأنه هاد ومعرف كل مخلوق لما خلق له والجماد بمعزل عن ذلك مع أنه شامل للهداية في أمر الدين لكن قوله والمعاد ليس بعام لكل مخلوق بل هو مختص بذوي العقول إذ الحكم بشيء على كل أفراد لا يستلزم الحكم على كل فرد منه ولو سلم فالعقل يخصه.

(١) حيث قال ابن كمال لا حاجة إلى هذا لأنهم أيضاً يعبدون الله تعالى إلا أنهم يشركون الأصنام في العبادة دل على ذلك قوله: ﴿إذ نسويكم برب العالمين﴾ وأجاب القاضل المحشي بأن قولهم في جواب إبراهيم عليه السلام تعبد أصناماً دون أن يقولوا تعبد الله وأصناماً يدل على أن عبادتهم مقتصرة على الأصنام إلى آخر ما قاله واتداع اضطراب ظاهر مما قرئناه قليلاً.

(٢) واختيار الجملة الاسمية للدلالة على الدوام ولذا قال هداية مدرجة ولو قيل خلقني فيهدين لا يهد ذلك.

(٣) علة لقوله حمل الهداية الخ.

قوله: (هداية مدرجة من مبدأ إيجاده إلى منتهى أجله يتمكن بها من جلب المنافع ودفع المضار مبدؤها بالنسبة إلى الإنسان هداية الجنين إلى امتصاص دم الطمث من الرحم) هداية مدرجة نصب على أنه مصدر ليهدي الجنين ما في بطن الأمهات دم الطمث أي الحيض ولذا انقطع دم الحيض عن الانصباب مدة الحمل قبل هذا بناء على ما اشتهر ونقل عن جالينوس وأنه لذلك يصيبه الجدري وغيره من الأمراض الدموية لكن الحكيم بن زهر أنكروه وقال إن جالينوس أراد بدم الطمث ما في الرحم صالحاً لا دم الحيض فإنه دم فاسد لو اغتذى به الجنين لم يتصور حياته وإنما لم يتصب دم الحيض مدة الحمل للرحم لاشتغال الرحم وهو وإن كان مما يقبله العقل فالظاهر أنه لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى فلا يجزم بشيء منهما إلا إذا اعتضد بدليل سمعي انتهى ولو بني هذا على ما اشتهر من الفقهاء لا من جالينوس لكان أنسب بعلمنا هذا علم القرآن فإن الفقهاء صرحوا به فلا تخالط بعلمنا هذا كلام الحكماء وأما بحث الحكيم بن زهر فيشابه كونه رجماً بالغيب لأنه لم لا يجوز أن يكون الدم الفاسد في نفسه نافعاً للجنين غير ضار به لخاصة أودعها الله فيه ألا يرى أن الحيات غذاء للظبي وهي مع كونها مضرّة ذات سم قاتل نافعة له وإن بعض الطير يأكل النار ولا يضره^(١) قوله مبدؤها الخ أشار إلى أن هدايته المتصلة بالخلق لا تنقطع إلى كل ما يصلحه ويعينه فمن هذه أن يغتذي الجنين بالدم في البطن امتصاصاً وإلى معرفة الثدي عند الولادة.

قوله: (ومنتهاها الهداية إلى طريق الجنة والتنعيم بلذاتها) فيه دلالة على ما قلنا من أن الهداية عامة للهداية العرفية.

قوله: (والفاء للسببية إن جعل الموصول مبتدأ) إشارة إلى أن المبتدأ يتضمن معنى الشرط فدخلت الفاء في خبره إذ الشرط الموصول هنا وإن كان خاصاً به عليه السلام لكن المراد عام إلى كل مخلوق بطريق التعريض مثل قوله تعالى: ﴿وما لي لا أعبد الذي فطرني﴾ [يس: ٢٢]^(٢) وللإشارة إلى ذلك قال المص يهدي كل مخلوق في توضيح قوله: ﴿فهو يهدين﴾ [الشعراء: ٧٨] على أن العموم في المبتدأ ليس بشرط فإنه قد يكون خاصاً كما في قوله تعالى: ﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا﴾ [البروج: ١٠] فإنها مسوقة للحكاية عن جماعة مخصوصين حصل منهم الفتن والإحراق وتام التفصيل في شرح الرضي كذا قاله الفاضل المحشي ثم قال وما وقع في بعض الكتب من أنه لا بد لصحة دخول الفاء في الخبر أن يقصد أن المبتدأ سبب للخبر وأن يكون غير معين فهو ينبغي أن يكون بناء على الأكثر الأغلب.

قوله: (والفاء للسببية إن جعل الموصول مبتدأ لتضمن المبتدأ حيثل معنى الشرط.

(١) لخاصة فيه فلا يضره النار فليكن الجنين مثله.

(٢) فلا يرد إشكال أي حيان الذي تله الفاضل المحشي.

قوله: (وللعطف إن جعل صفة رب العالمين) والعطف بالفاء لإفادة تعقيب الهداية الخلق فلهذا السر جعل المص الهداية بالمعنى اللغوي وعاماً للمبدأ والمنتهى وسره ما ذكرناه آنفاً إن جعل صفة رب العالمين كما هو الظاهر من السوق لكن هذا يتوقف على أن إضافة الرب إلى العالمين معنوية لا لفظية ولذا أخره وقد فصل هذا في سورة الفاتحة ثم قيل إن سببية الخلق للهداية بمقتضى الحكمة فإن من أوجده يتكفل بما به قوامه وبقاؤه وقيل إنها سبب للإختيار^(١) لا للهداية وأنها غير مسببة عن الخلق وإن السببية قد تجامع العطف كما في الذي يطير الذباب فيغضب زيد فلا وجه للتخصيص ولا تخصيص في كلام المص غاية أنه لم يتعرض له على أن السببية غير ظاهرة كما عرفته والظاهر أنه للتعقيب فقط وأن المثال المذكور جمع العطف مع السببية احتمال مرجوح فيه والراجح أن الغاء للسببية دون العطف.

قوله: (فيكون اختلاف النظم لتقدم الخلق) اختلاف النظم أي بالمضي والاستقبال هذا على تقدير العطف وأما على الأول فلا يحتاج إليه قوله لتقدم الخلق فيكون لهداية بالنسبة إليه مستقبلاً وإن كانا ماضيين في الواقع.

قوله: (واستمرار الهداية) أي التجديدي لأن الجملة وإن كانت اسمية لكن خبرها جملة فعلية^(٢) فعلها مضارع.



قوله تعالى: وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾

قوله: (وقوله «والذي هو يطعمني ويسقني» على الأول مبتدأ محذوف الخبر لدلالة

قوله: (وللعطف إن جعل صفة رب العالمين فيكون للتعقيب إذ الهداية بعد الخلق لأنه تعالى لما خلقه ونفخ فيه الروح عقب ذلك هدائه فبح فيكون اختلاف النظم أي اختلاف المعطوف والمعطوف عليه في الصفة بأن جعل المعطوف عليه وهو خلقتي على صيغة الماضي لتقدم الخلق على الهداية والمعطوف على صيغة المضارع لكون المراد به الاستمرار التجديدي ومعنى الاستمرار مستفاد من صيغة المضارع ومن اسمية الجملة حيث قيل فهو يهديني ولم يقل فيهديني فقلوه واختلاف النظم يتناولهما فإن مقتضى الظاهر أن يقال الذي خلقتي فهداني فغير هداني إلى يهديني ثم إلى فهو يهديني وذهب أبو البقاء وصاحب الكشف إلى أن قوله: «الذي خلقتي» [الشعراء: ٧٨] مبتدأ وقوله: «فهو يهديني» [الشعراء: ٧٨] خبره وما بعده من الذي صفات للذي الأولى ويجوز ادخال الواو في الصفات لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف مثل سبعة وثامنهم كلبهم.

قوله: على الأول مبتدأ أي قوله «والذي هو يطعمني ويسقني» على الوجه الأول وهو أن يجعل الموصول في الذي خلقتي مبتدأ خبره محذوف تقديره والذي هو يطعمني ويسقني فهو يهديني حذف الخبر لدلالة المذكور قبله عليه فيكون مثل زيد منطلق وعمره إلا أن المعطوف في

(١) مثل قوله تعالى: «وما يكمن من نعمه فمن الله» [التخل: ٥٣].

(٢) وهذه الجملة الاسمية تهيد الاستمرار التجديدي ما لم يتم قرينة على الاستمرار الدوامي.

ما قبله عليه وكذا اللذان بعده وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على أن كل واحدة من تلك الصلوات على الأول أي كون الذي مبتدأ خبره فهو يهديني محذوف الخبر وهو «فهو يهديني» وكذا اللذان وهما «والذي يميّتي» الآية «والذي أطعم» الآية قوله على الوجهين في الذي خلقتني وهما الابتدائية والوصفية.

قوله: (مستقلة باقتضاء الحكم) أي الخبر نفسه أو ما تضمنه الخبر إن جعل الموصول مبتدأ وإن كان صفة فالحكم^(١) الاستثناء من العداوة.

قوله تعالى: وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي ﴿٨٠﴾

قوله: (عطف على يطعمني ويسقيني) فيكون التقدير والذي هو إذا مرضت فيكون الصلة جملة اسمية مفيدة لتقوي الحكم كالمعطوف عليه ولذا لم يجعل معطوفاً على جملة هو يطعمني.

قوله: (لأنه من رواد فهما من حيث إن الصحة والمرض في الأغلب) لأنه من رواد

الآية عين المعطوف عليه بحسب الذات وإن كان غيره بحسب المفهوم أقول في هذا الوجه نظر إذ يلزم منه اعلام ما هو معلوم بالكلام الأول لأن المعنى حيثل يكون هكذا الذي خلقتني فهو يهديني والذي يطعمني ويسقيني فهو يهديني والذي يميّتي ويحييني فهو يهديني والذي أطعم أن يغفر لي خطيئتي فهو يهديني.

قوله: وكذا اللذان بعده وهما الذي يميّتي ثم يحييني والذي أطعم أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين يعني أنهما على الوجه الأول مبتدآن خبراهما محذوفان بعدهما دلالة المذكور عليهما ويجوز أن يراد بالتثنية في قوله وكذا اللذان تثنية لفظ الذي لتكرر ذكره بعده مرتين وأن يراد تثنية معنيهما وهما أيضاً لفظا الذي المذكورين بعده.

قوله: وتكرير الموصول على الوجهين أي تكرير الموصول في «الذي هو يطعمني ويسقيني» وفيما عطف عليه على كلا الوجهين أي على تقديره جعل الموصول مبتدأ أو صفة للدلالة على أن كل واحدة من الصلوات التي هي الخلق والهداية في المعطوف عليه والإطعام والسقي والشفاء في المعطوف الأول والإمانة والأحياء في المعطوف الثاني وطعم المغفرة في المعطوف الثالث أمور مستقلة باقتضائها حكم الرضى لرب العالمين فإن معنى قاتنهم عدو لي إلا رب العالمين فأنا أعاديهم إلا رب العالمين ومنطوقه الصريح نفي معاداته لرب العالمين ويلزمه ثبوت الرضى له فكانه قيل فأنا لا أرضى ما عبده ولكن أرضى رب العالمين أو لا أرضى كل معبود سوى رب العالمين.

قوله: أنه من رواد فهما تصحيح لجهة العطف ويكفي في حسن العطف التناسب بين المعطوف والمعطوف عليه ولو في قيد من قيودهما وإلا فبين المعطوف الذي هو يشفيني وبين المعطوف عليه الذي هو يطعمني ويسقيني مباعدة لأن معنى الشفاء بعيد عن معني الإطعام والسقي

(١) والحكم في الاستثناء منطوق عند الأئمة الشافعية وثابت ضرورة أو دلالة عند علمائنا الحنفية كما بين في الأصول.

فهما أي من لوازمهما لزوماً عربياً إشارة إلى وجه التأخير وعدم تكرار الموصول وكذا الكلام في يسبقين في التأخير وعدم تكرار الموصول واختير إذا والماضي لتحقق مرض وخروج المزاج عن الاعتدال فإنه قل من يخلو عنه.

قوله: (يتبعان المأكول والمشروب) بتفريط الإنسان في مطاعمه ومشابه ومن ثمة قالت الحكماء لو قيل لأكثر الموتى ما سبب آجالهم لقالوا التخم^(١) كما في الكشف وذكر الصحة هنا لإتمام المرام فالصحة تابعة لهما إذا كانا بقدر الكفاية والمرض بالعكس.

قوله: (إنما لم ينسب المرض إليه) أي بالإيجاد بأن يقول وإذا مرضني ففي كلامه نوع تسامح.

قوله: (لأن مقصوده تعديد النعم) والمرض^(٢) من النقم وعن هذا نسب الشفاء إليه تعالى.

قوله: (ولا ينتقض بإسناد الإمامة إليه فإن الموت من حيث إنه لا يحس به لا ضرر فيه وإنما الضرر في مقدماته وهي المرض ثم إنه لأهل الكمال وصلة إلى نيل المحاب التي يستحقق دونها الحياة الدنيوية وخلاص من أنواع المحن والبلية) ولا ينتقض أي هذا بإسناد الإمامة في قوله: «والذي يميني» [الفرقان: ٨١] ولقد أصاب هنا حيث قال بإسناد الإمامة قوله من حيث إنه لا يحس الخ وهذا لا يلائم القول بسكرات الموت وشدته إلا أن يقال إن

لكن لما قيد الشفاء بوقت المرض الذي يناسب الطعام والسقي لأنه من روافدهما جاء التناسب المصحح للعطف ومفهوم الشرط قيد لمفهوم الجزء في الحقيقة فإن معنى إن أكرمني أكرمك على تقدير إكرامك إياي خصوصاً إذا كان كلمة الشرط من الظروف ولا يخفى ما بين يسبقيني ويسبقني من التجنيس المخطئ وإنما لم ينسب المرض إليه أي لم يقل وإذا أمرضني فهو يسبقيني كما نسب الخلق والهداية والإطعام والسقي والشفاء والإمامة والإحياء إليه تعالى لأن المقصود تعديد النعم.

قوله: (ولا ينتقض بإسناد الإمامة إليه هذا جواب سؤال يرد على قوله لأن مقصوده تعديد النعم فكان سائلاً قال ينافي هذا الغرض ذكر الإمامة بقوله والذي يميني فأجاب بأن الموت لكونه غير محسوس لا ضرر فيه ولما كان هذا القدر من الجواب لا يدفع السؤال إذ لا يلزم من كون الموت غير ضار أن يكون نافعاً حتى بعد من النعم قال ثم إنه لأهل الكمال وصلة إلى نيل المحاب فيكون بهذا الاعتبار معدوداً من النعم قال صاحب الانتصاف وهو أدب مع الله تعالى بنسبة النعمة إليه وقال بعض شراح الكشف ولعل الزمخشري عدل عن هذا لأن إبراهيم نسب الإمامة إلى الله تعالى وهو أشد من المرض وكلام القاضي ولا ينتقض الخ دفع بقول هذا القائل.

(١) وقد يكون المخمصة قال الشيخ البصري:

واخش الدسائس من جوع ومن شبع قرب مخمصة شر من التخم
(٢) ولو قيل إن المرض كالموت سبب لكثرة الذنوب ورفع الدرجات فلذا ذكره في تعداد النعم لم يبعد فلا يحتاج إلى ما ذكره المعص وعدم النسبة إليه تعالى لما ذكره في الوجه الثاني.

ذلك من مقدماته والإضافة للكمال قربه وفيه تأمل قوله ثم إنه لأهل الكمال الخ داخل في جواب النقض أشير إليه بالعطف بـثم دون الواو فلا تغفل فلا إشكال بأنه لا يظهر كونه من النعم لأن انتفاء الضرر ليس عين النفع ولا ملزومه مع أنه يمكن المناقشة بأن انتفاء الضرر نوع نفع والقول بأن دفع الضرر أهم من جلب النفع الوجودي وكل أهم هو النفع الأتم وبهذا يظهر كون الموت نفعاً لكل أحد^(١) بخلاف ما ذكره المص فإنه مختص بأهل الكمال والمراد بالمحباب نعيم الجنة ورضوان الله ورويته تعالى وهي جمع محبوب أصله محاب.

قوله: (ولأن المرض في غالب الأمر إنما يحدث بتفريط من الإنسان في مطاعمه ومشاربه) ولأن المرض الخ عطف على قوله لأن مقصوده وهذا مختار الزمخشري حاصله أن المرض إنما يحدث بالسبب الذي هو منسوب إليه بالكسب الظاهر فجعل كأنه فاعل حقيقي له بخلاف الصحة فإنه ليس للإنسان سببية ظاهرة في الصحة وأما ما يحصل بالعلاج فليس بمطرود مع أن أهل القرى يمرضون ولا يعرفون شيئاً من الحمية والعلاج وتناول الأشربة المضادة للمرض ويشفيهم الله تعالى بدون كسب من الإنسان فهو بالنسبة إلى الصحة لا يكون كالفاعل الحقيقي ولذا قال عليه السلام وإذا مرضت يتعاطى الأسباب المؤدية إلى المرض فهو يشفي بلا كسب الأسباب المؤدية إلى الصحة.

قوله: ولأن المرض في غالب الأمر إنما يحدث بتفريط من الإنسان في مطاعمه ومشاربه ومن ثمة قال: الحكماء لو قيل لأكثر الموتى ما سبب أجالكم لقالوا التخم وفي معناه أنشد صاحب المطلع:

عدواك من صديقك مستفاد فلا تستكشرون من الصحاب
فإن الداء أكثر مما نراه يكون من الطعام ومن شراب

وقال بعض الفحول من شراح الكشاف وهو يرد على الزمخشري فإن الموت أيضاً يكون بتسبب وتفريط فلا بد أن يفرق بين الموت والمرض بأن يقال إن الموت قضاء محتوم على جميع البشر بخلاف المرض فكم من مريض يعافى منه إلى أن يموت فلا يكون نسبه إلى الله تعالى سوء أدب ويؤيده أن كل ما ذكر مع غير المرض ذكره جزماً ويتأ وأما المرض فذكره مع الشرط وقال الطيبي في سر ذكره مع الشرط دون البواقي أن قوله تعالى: ﴿فإنهم عدو لي﴾ [الشعراء: ٧٧] وإرد على الاستدراج وإرخاء العنان فيكون قوله: ﴿إلا رب العالمين﴾ [الشعراء: ٧٧] تخلصاً منه إلى التمكن من إجراء الأوصاف التي بها يصح معنى الإلهية من كونه خالقاً ورازقاً محيياً ومميتاً معافياً ومثيباً ترقية لمعنى النصح والاستدراج وبهذا على التفكر والتدبر وأما ذكر المرض والشفاء فكتلتان لمعنى الإطعام والسقي ولذلك ترك فيها الموصول إلى الشرط والجزاء فروعت فيهما تلك النكتة وفي المطلع دخول لفظ هو دليل على أنه لا يهذي ولا يطعم ولا يسقي ولا يمرض ولا يشفي إلا الله وحده وذلك أنهم كانوا يقولون المرض من الأشربة والأغذية والشفاء من الأطباء والأدوية.

(١) إلا أن يقال إن الكفار يتلون بالمحن بعد الموت أعظم من المحن في الدنيا.

قوله: (وبما بين الأخلاط والأركان من التنافي والتنافر) وبما بين الأخلاط عطف على قوله بتفريط الخ والمراد بالأخلاط الدم والبلغم والصفراء والسوداء والأركان العناصر الأربعة وحاصله أن المرض إنما يحدث باستيلاء بعض الأخلاط على بعض وذلك الاستيلاء^(١) إنما يحصل بسبب ما بينها من التنافر الطبيعي الذي له مدخل في ذلك^(٢).

قوله: (والصحة إنما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال المخصوص عليها قهراً وذلك بقدرة العزيز الحكيم) والصحة إنما تحصل باستحفاظ اجتماعها أي الأخلاط والأركان والاعتدال المخصوص أي بقاء الأخلاط والأركان على اعتدالها والمخصوص بمعنى المقصور ولذا تعلق عليها به قهراً أي بسبب قاهر يقهرها على الاجتماع وعودها إلى الصحة^(٣) والاعتدال بعد أن كانت بطباعها مشتاقة إلى التفرق فلهذا السبب أضاف الشفاء إليه تعالى والمرض إلى نفسه وإلى هذا أشار بقوله وذلك بقدرة العزيز الحكيم ولا يخفى ما في هذا البيان من التمثل والبناء على الأغلب فالوجه الأول هو المعول ولهذا آخر هذا الوجه ولعله تركه.

قوله تعالى: **وَالَّذِي يُبَيِّنُ شَرَّ يُحْيِي**

قوله: ﴿والذي يبينني ثم يحيي﴾ [الشعراء: ٨١] في الآخرة) والذي يبينني لم يقل هو يبينني لعدم قصد تكرير النسبة إذ لا مجال لإضافته إلى غيره بخلاف البواقي إذ المراد بالإماتة إحداث الموت في الحيوان بلا تخريب البنيان فيحتاج إلى التأكيد في البواقي دونه بـثم يحيي ثم للتراخي ولذا قال في الآخرة تنبيهاً على أن بينهما تراخياً في الزمان ولو حمل على التراخي في الرتبة لم يبعد.

قوله تعالى: **وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**

قوله: ﴿والذي أطمع﴾ [الشعراء: ٨٢] الآية وجه عدم قوله: ﴿والذي يغفر لي خطيئتي﴾ [الشعراء: ٨٢] الآية ظاهر فغير الأسلوب هنا.

قوله: (ذكر ذلك هضماً لنفسه وتعليماً للامة أن يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر

قوله: ذكر ذلك هضماً لنفسه وتعليماً للامة أن يجتنبوا المعاصي والأولى أن يكون تعريضاً للمخاطبين وهم الكفرة بأنهم إن اطاعوه يغفر لهم خطيئاتهم لأن الكلام معهم أي ذكر الطمع ولم يجرم تواضعاً منه لا طلباً للغفران عن الذنوب لأنه لو كان طلباً للغفران كان الواجب الجزم في الطلب لا الظن والرجاء قال الإمام هذا الكلام لا يستقيم إلا على مذهبي

(١) وهذا الاستيلاء وإن كان سبباً للمرض لكن لا مدخل للإنسان في ذلك حتى يكون المرض الحاصل بسببه مستنداً إلى العبد لكونه كالفاعل الحقيقي إلا أن يقال إن ذلك من عدم حجة.

(٢) أي للتنافر الطبيعي مدخل في ذلك المرض.

(٣) فيه إشارة إلى أن المراد بالصحة الصحة بعد المرض.

وطلب لأن يغفر لهم ما يفرط منهم) هضماً أي كسراً لها لعددا خاطئة ويكونوا على حذر لأن النبي عليه السلام مع كونه معصوماً إذا كان حاله هذا فما ظنك بغيره أشار بهذا إلى أن المراد به إنشاء كسر النفس لتعليم الأمة فلا يقتضي الخطيئة فلا إشكال .

قوله : (واستغفاراً لما عسى يندر منه من الصغائر وحمل الخطيئة على كلماته الثلاثة) واستغفاراً الخ عطف على هضماً أي هذا الكلام بالنسبة إلى الكبار إنشاء هضم النفس واستغفاراً الخ وفيه تنبيه على أن الطمع المذكور إنما هو بالاستغفار فيما يمكن وهو الصغائر إذ الأنبياء عليهم السلام غير معصومين عن الصغائر الغير المنفرة بخلاف المنفرة كسرقة لقمة وتطقيف حبة فالاستغفار ثابت باقتضاء النص قوله يندر أي يقع نادراً ولا يخفى عليك أنه إن حمل الخطيئة على الكبيرة فاستغفار الصغائر من أين يستفاد وإن حملت على الأعم من الكبيرة والصغيرة أو على الصغيرة فقط فلا وجه للحمل على هضم النفس بالنظر إلى الصغيرة إلا أن يختار الأعم فيكون هضماً لنفسه بالنظر إلى الكبيرة واستغفاراً بالقياس إلى الصغيرة فيجئ فيشكل اعتبار المعنيين في إطلاق واحد فتدبر .

قوله : ﴿إني سقيم﴾ [الصافات : ٨٩] ﴿بل فعله كبيرهم﴾ [الأنبياء : ٦٣] وقوله هي אחتي ضعيف) إني سقيم الخ بدل من الثلاث وقد مر بيانها في قوله تعالى : ﴿بل فعله كبيرهم﴾ [الأنبياء : ٦٣] وسيجيء تفصيل ﴿إني سقيم﴾ .

قوله : (لأنها معاريض وليست خطايا) والتعريض أن يشار في الكلام إلى جانب والغرض منه الجانب الآخر وهذا مراد من قال أي ثورية قصد بها خلاف ظاهرها وقد أوضحنا هذا المقام في أوائل سورة البقرة في قوله تعالى : ﴿بما كانوا يكذبون﴾ [البقرة : ١٠] والمعنى لأنها معاريض وليست كذباً حقيقياً وإن كان كذباً صورياً فلا تكون خطيئة حتى تحمل عليها .

قوله تعالى : رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَنْجِنِي وَأَصْلِحْ لِي

قوله : (كمالاً في العلم والعمل استعد به لخلافة الحق ورياسة الخلق) كمالاً قيد به

حيث نقول لا يجب على الله لأحد شيء وأنه يحسن منه كل شيء ولا اعتراض لأحد عليه .

قوله : لأنها معاريض أي تعريضات قد سبق معنى كونها تعريضات فإن معنى إني سقيم إني سأسقم وأنه أراد بكبيرهم نفسه وأن المراد بالإخوة في قوله هي אחتي الأخوة في الدين وتسميتها معاريض إنما هي على التغليب وإلا فالأول مجاز والأخير إيهام أو على أن المراد بالتعريض معناه اللغوي الذي هو ضد التصريح وهذا المعنى موجود في المجاز والإيهام أي هي معاريض نفس درم وتخيلات للكفرة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار .

قوله : كمالاً في العلم والعمل يعني أن المراد بالحكم في قوله : ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً﴾ [الشعراء : ٨٣] الحكمة ولذلك قال كمالاً في العلم والعمل فإن الحكمة هي العلم والعمل وإنما حمل الحكمة على كمالها وهو عايه العلم ، موهبة الحكمة ، لا به عليه

لأن أصلهما حاصل له عليه السلام في العلم والعمل لأن الحكمة عبارة عنهما فمن جمعهما يكون حكيماً دون الموصوف بأحدهما فقط استعد به الخ^(١) هذا لازم لمعناه^(٢) المراد أو المراد به الحكم بين الناس فكمال العلم والعمل ثابت باقتضاء النص ولا يبعد كون مراده أن معنى الحكمة والحكم بين الناس كلاهما مقصودان أن بالحكم بناء على جواز عموم المشترك عنده.

قوله: (ووقفني للكمال في العمل لأنتظم به) هذا مقتضى النص لأن الدعاء بالإلحاق يتوقف على السؤال بالتوفيق قوله لأنتظم به إشارة إليه قيل هذا العمل غير الأول فإن الأول يتعلق بالمعاش وهذا يتعلق بالمعاد ولا حاجة إليه فإن الثاني قيد بقوله لأنتظم به كما أن الأول قيد باستعداد خلافة الحق الخ فلا تكرار لتغاير عليتهما.

قوله: (في عداد الكاملين في الصلاح الذين لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيره) في عداد الكاملين هو من تعريف العهد والمعهود هم المعروفون بكمال الصلاح فهذا أبليغ من واجعتني صالحاً أو أصل الصلاح متحقق والمطلوب كمال الصلاح وهذا بعد النبوة بقرينة قوله لأبيه وقومه ما تعبدون إلى آخر القصة فالمطلوب الكمال لا جرم وفي الكشف ولقد أجابه حيث قال ﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ [البقرة: ١٣٠] وهذا موقوف على تقدم هذا على ذلك وهو كذلك لأن هذه السورة مكية لكن تقدم الحكاية لا يقتضي تقدم المحكي ولعل لهذا لم يتعرض له المص.

السلام متصف بالعلم والعمل بالفعل فصرف معنى الطلب على الكمال فيهما لئلا يلزم استحصال الحاصل.

قوله: ووقفني للكمال في العمل لم يذكر العلم هنا لأن المراد بالصالحين العاملون عملاً صالحاً فالمعنى الحقني بالذين عملوا عملاً صالحاً واجعتني في زمرةم والحقوق بهم إنما يكون بكمال العلم وفي انكشاف الحكم الحكمة أو الحكم بين الناس بالحق وقيل النبوة لأن النبي ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله واللاحاق بالصالحين أن يوفقه لعمل ينتظم به في جعلتهم أو يجمع بينهم وبينه في الجنة ولقد أجاب حيث قال ﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ هذا الوجه الأول وهو أن يراد بالحقني أن يوفقه للعمل هو الأوفق لتأليف النظم لأن قوله تعالى: ﴿هب لي حكماً﴾ [الشعراء: ٨٣] طلب العلم والنبوة ﴿والحقني بالصالحين﴾ [الشعراء: ٨٣] طلب للعمل بمقتضى العلم ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ [الشعراء: ٨٤] طلب للذكر الجميل المستلزم لتكميل الغير بعد طلب كمال النفس واجعتني من ورثة جنة النعيم طلب لجميع الشمل معهم في دار الكرامة.

(١) أي احصل به قللاً عدي ينقسه إلى خلافة الحق مع أن الاستعداد متعدد باللام والحق اسم الله تعالى بقرينة مقابلة المخلوق قال تعالى في شأنه عليه السلام: ﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾ [البقرة: ١٢٤] الآية وإمامته عامة مؤكدة إذ لم يبعث بعده نبي إلا كان من ذريته مأموراً باتباعه.

(٢) والقرينة قوله تعالى: ﴿قال إني جاعلك للناس إماماً﴾ الآية.

قوله تعالى: **وَجَعَلْنِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾**

قوله: (جاءاً وحسن صيت في الدنيا) فاللسان مجاز في الذكر الجميل لكونه آلة له لا لكونه ^(١) سبباً له وإضافته إلى الصديق للاحتراز عن التجاوز في المدح عن الحد.

قوله: (يبقى أثره إلى يوم الدين) أي أثر ذلك الجعل إلى يوم الدين لأن اللام في الآخرين للاستغراق كما هو الأصل في لفظ الجمع حيث لا عهد لكن الأولى واجعل لي إلى يوم الدين بدون ذكر يبقى ^(٢) أثره.

قوله: (ولذلك ما من أمة إلا وهم محبوبون له ومثنون عليه) لمحبتهم فقد أجيب دعوته في الجاه وحسن الصيت وليس المحبة ناظر إلى الجاه والثناء ناظراً إلى حسن الصيت لما عرفت من أن الثناء مترتب على المحبة بل هما متحدان في المآل.

قوله: (أو صادقاً من ذريتي بجده أصل ديني ويدعو الناس إلى ما كنت أدعوهوم إليه وهو محمد عليه الصلاة والسلام) أو صادقاً أي اللسان مجاز في الإنسان بعلاقة الجزئية فالإضافة إلى صفته مبالغة أي إنساناً صادقاً وهذا أولى من تقدير المضاف أي واجعل لي صاحب لسان صدق لأن فيه مبالغة مع السلامة عن الحذف قوله بجده الخ مستفاد من الوصف بالصدق وقيد بأصل ديني وهو الاعتقاد وبعض الفروع التي لم تنسخ في شريعة.

قوله تعالى: **وَجَعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾**

قوله: (في الآخرة وقد مر معنى الورثة فيها) في الآخرة احتراز به عن جنة النعيم في الدنيا ^(٣) وقد مر معنى الورثة أي في سورة مريم والمؤمنين.

قوله: (جاءاً وحسن صيت في الدنيا الجاه القدر والمنزلة يقال فلان ذو جاه وأوجهته أي جعلته وجيهاً والصيت الذكر الجميل المشتهر في الأقطار ليس المراد به طلب الفخر الدنيوي فإنه مذموم بل مراده أن ذكره الجميل إذا اشتهر بين الناس أحيوه وانقادوا لدعوته إلى الحق).

قوله: (وقد مر معنى الورثة فيها حيث قال في تفسير قوله تعالى: ﴿تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً﴾ [مريم: ٦٣] يتفحها عليهم من ثمرة تقواهم كما يتقي على الوارث مال مورثه والورثة أقوى لفظ مستعمل في التملك والاستحقاق من حيث إنها لا تعقب بفسخ واسترجاع ولا تبطل برد واسقاط وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو اطاعوا زيادة في كرامتهم).

(١) رد على من جعل العلاقة السببية فإن كونها آلة مما صرح به في تعداد لعلاقة مولانا خسرو في حاشية المطول.

(٢) لأنه يؤهم أن التأثير وهو الجعل غير باقي وبقاؤه مقطوع به.

(٣) فإنها قد يراد في بعض المواضع كقوله تعالى: ﴿فأخرجناهم من جنت﴾ [الشعراء: ٥٧] الآية.

قوله تعالى: وَأَغْفِرْ لَآئِمٍ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُضِلِّينَ ﴿٨٦﴾

قوله: (بالهداية والتوفيق للإيمان) كأنه قال واحد لأبي إلى الإيمان واغفر له فهو لازم متقدم على الدعاء بالمعفرة وبهذا الاعتبار ساء الدعاء بالمعفرة للكفرة ولذا قال النبي عليه السلام في غزوة أحد اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون في رواية يدل اللهم اهد قومي الحديث .

قوله: (عن طريق الحق) أي اللام في الضالين للبعد وهم المعهودون بالضلال عن الحق والإيمان فهذا أبلغ من قوله إنه كان ضالاً مع مراعاة الفاصلة وهذا إذا كان قبل موت أبيه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾ [التوبة: ١١٣] الآية وفيه دليل على جواز الاستغفار لإحياء المشركين فإنه طلب توفيقهم للإيمان وبه دفع المنقضى باستغفار^(١) إبراهيم لأبيه الكافر انتهى بل الدعاء بالمعفرة أبلغ لاقتضائه الدعاء بالهداية للإيمان وقد قرر في الأصول أن دلالة اللفظ على المعنى تكون بالعبارة وبالإشارة وبالدلالة وبالافتضاء والدعاء بالمعفرة ثابت بالعبارة والدعاء بالتوفيق ثابت بالافتضاء فلا إشكال أصلاً وأما الاعتراض بأنه لو كان كذلك لما كان استثناء استغفار أبيه عن قوله: ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه﴾ [الممتحنة: ٤] الآية إلى قوله: ﴿إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك﴾ [الممتحنة: ٤] الآية متحققاً فهو مدفوع بأن السرد بالأسوة الحسنة ما يجب أن يقتدى به بدليل قوله: ﴿لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ [الأحزاب: ٢١] فلا مانع من استثناء وعد الاستغفار منها إذ لا وجوب فيه أو الاستثناء المذكور بناء على قصر النظر إلى مجرد الاستغفار من غير التفات إلى ما يقتضيه من الدعاء بالتوفيق أولاً والمعفرة ثانياً وبهذا حصل التلخيص بين النصوص بحسن التوفيق .

قوله: (وإن كان هذا الدعاء بعد موته فلعله كان لظنه أنه كان ينادي بالإيمان تقيده من

قوله: بالهداية والتوفيق فإن معنى الاستعداد للكفار طلب الهداية والتوفيق للإيمان .

قوله: وإن كان هذا الدعاء بعد موته فلعله كان لظنه أنه كان يخفي الإيمان فعلى هذا يكون الاستغفار لأبيه طلب المعفرة من دونه لا الهداية والتوفيق للإيمان لأن طلب الهداية والتوفيق للميت غير معقول المعنى .

قوله: ولذلك وعده به أي ولظنه إذ أنه كان مؤمناً يخفي الإيمان وعده بالإيمان حيث قال ﴿سأستغفر لك رب﴾ .

(١) قال المص في سورة مريم فإن حفيظة الاستغفار للكافر استدعاء التوفيق بما يوجب مغفرته انتهى فثبت ما قلنا من أنه مقتضى الكلام بالنصوص الدالة على جواز الاستغفار محمولة على مراعاة ذلك المقتضى والاستثناء المذكور في ﴿قد كانت لكم أسوة﴾ [الممتحنة: ٤] الآية محمول على عدم مراعاة ذلك المقتضى فتأمل ثم تدبر .

نمرود ولذلك وعده به) وإن كان هذا أي الدعاء بالغفران بعد موت أبيه فلا يمكن أن يحمل على الدعاء بالهداية للإيمان فلعله كان الخ قوله يخفي الإيمان الخ لا يلائم قوله: ﴿إنه كان من الضالين﴾ [الشعراء: ٨٦] إلا أن يقال إنه بناء على ظاهر الحال وهو تكلف بارد وأما قول المفاضل المحشي ولا مانع منه عقلاً وفي شرح مسلم للنووي أن كونه تعالى لا يغفر الشرك مخصوص بهذه الأمة وكان قبله قد يغفر وحمل قوله فلما تبين أنه عدو تبرأ منه على يوم القيامة والتعبير بالماضي لتحقيقه أو هو كناية أو مجاز عن عدم مغفرة الكفر فيعيد جداً سيما ما نقله عن مسلم فإنه يخالف النصوص الدالة على خلود أهل الشرك في النار أبداً الأولى المذكورة من مثل هذا المقال قوله كان يخفي الإيمان هذا بناء على أنه لا يعتبر فيه الوارث^(١) بالنسبة وعدم ضرر ما يوجب الإنكار من المؤمن بالغيب الإيمان والكل ضعيف لا سيما الثاني فإن أهل الكتاب مع عرفانهم الحق لم يعتبر في الشرع وأبو إبراهيم صدر منه الإنكار قوله تعالى: ﴿قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم﴾ [مريم: ٤٦] الآية ش. د. علي ما نقله.

٨٧: (أو لأنه لم يمنع بعد من الاستغفار للكفار) أو لأنه لم يمنع بعد أي لم يوح إليه بدافع ولا ينافية قوله تعالى: ﴿فلما تبين له أنه عدو لله﴾ [التوبة: ١١٤] الآية لأن المراد به يوم القيامة أو بالوحي والمفروض محمول على عدم الوحي بعد ولا يخفى بعد هذا الاحتمال واحتياجه إلى التمثل البارد بالمقال وليت شعري ما حمله على هذا التكلف المؤدي إلى اضطراب البال فلا جرم أن الحمل على الأول^(٢) والاكتفاء به من أحسن الأحوال.

قوله تعالى: وَلَا تُخْزِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾

قوله: (بمعائتي على ما فرطت أو بنقص رتبتي عن رتبة بعض الوارث أو بتعذبي لخفاء العقابة وجواز التعذيب عقلاً أو بتعذيب والدي أو ببعثه في عداد الضالين وهو من الخزي من الهوان أو من الخزية بمعنى الحياء) لخفاء العقابة قد قرر في محله أن الأنبياء عليهم السلام مأمونوا بالعاقبة برمتهم فضلاً عن أب الأنبياء فتركه أولى والحمل على تعليم الأمة غير ملائم لمذاق الكلام أو بتعذيب والدي على بقاءه على الكفر وهذا قبل موته كما مر تفصيله وكذا الكلام في أو ببعثه أي يبعث والدي في عداد الضالين وهذا خزي مع قطع النظر عن السذاب وعن هذا قابله والحاصل أنه متضمن للدعاء بتوقيفه في حياته للإيمان والله المستعان. ^(١) أو من الخزية بفتح الخاء.

(١) والقول بأن الإقرار كونه ركناً من الإيمان أو شرطاً لإجراء أحكام الإسلام مخصوص بهذه الأمة ضعيف جداً.

(٢) إذ الحمل على أنه قبل موته لما أمكن لا يصار إلى غيره لأن فيه تكلفاً يل تعسفاً وهنا الحمل عليه ممكن حيث لا مانع منه.

قوله: (الضمير للعباد لأنهم معلومون أو للمضالين) لأنهم معلومون إذ البعث من شأنهم أو للمضالين والتخصيص لأن الكلام فيهم قبل فيكون عطفاً على ﴿واغفر لأبي﴾ ومن تنتمه فإن المعنى ولا تخزني يوم يبعث الضالون والحال إن أبي منهم وهذا معتبر في الأول أيضاً إذ المعنى ولا تخزني يوم يبعث الناس كافة والحال إن أبي من زمرة الضالين وهذا بناء على الاحتمال الأخير والأمر في الاحتمالات البواقي مفوض إليك وإن المناسب كون مرجع الضمير الناس فيها والضالين في الاحتمالين الآخرين.

قوله تعالى: يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾

قوله: (أي لا ينفعان^(١) أحداً إلا مخلصاً سليم القلب) أي لا ينفعان أحداً إشارة إلى أن الاستثناء مفرغ من أعم المفاعيل فيفيد القصر إلا مخلصاً الخ حاصل المعنى وتفسير ﴿لمن أتى الله بقلب سليم﴾ فإذا سلم القلب الذي هو الملك المطاع في الجسد سلم سائر الأعضاء ولذا اكتفى به.

قوله: (عن الكفر وميل المعاصي وسائر آفاته) عن الكفر الخ وإسناد السلامة إلى القلب مجاز عقلي فإن السلامة عن الكفر وغيره وصف لصاحبه لكن محله القلب كالإيمان فأستد السلامة إليه.

قوله: (أو لا ينفعان إلا مال من هذا شأنه وبنوه) ففيه مضافان مقدران أي المال وبنون فحيث لا يكون الاستثناء مفرغاً بل يكون مستثنى من مال وبنون لأنهما لوقوعهما في سياق

قوله: لأنهم معلومون فلكونهم معلومين بأن يبعثوا كانوا في حكم المذكورين فلا يلزم الأضمار قبل الذكر.

قوله: أي لا ينفعان أحداً إلا مخلصاً يعني أن محل من في ﴿إلا من أتى الله﴾ إما نصب على أنه مفعول ينفع والمستثنى منه محذوف والفعل فارغ للمستثنى فالمعنى لا ينفع مال ولا بنون أحداً إلا مخلصاً سليم القلب وإما رفع على أنه بدل من مال وبنون على حذف المضاف فالمعنى لا ينفع مال ولا بنون إلا مال من أتى الله بقلب سليم وبنوه فإن ماله وبنيه ينفعانه يوم القيامة لأن من رزق في الدنيا سلامة قلب يصير جل همه بل كله مصروفاً إلى أمر الآخرة فينقذ ماله في سبيل الخير ويرشد بنيه على الخير وفي الكشف ومعنى سلامة القلب سلامته من آفات الكفر والمعاصي قال الإمام المراد سلامة القلب عن الجهل والأخلاق الرذيلة وكما أن صحة البدن وسلامته عبارة عن حصول ما ينبغي من استقامة المزاج والتركيب والاتصال ومرضه عبارة عن زوال أحد تلك الأمور كذلك سلامة القلب عبارة عن حصول ما ينبغي له وهو العلم والخلق الفاضل ومرضه عبارة عن زوال أحدهما والمعنى بقلب سليم خال عن العقائد الفاسدة والميل إلى شهوات الدنيا ولذاتها ويتبع ذلك الأعمال الصالحة إذ من علامة سلامة القلب تأثيرها إلى الجوارح.

(١) إفراد المال لأن استغراق المفرد اشمل وجميع البنون لرعاية الفواصل وتقديم المال لأن بقاء البنين والانتفاع بهم إنما هو بالمال وأعيد لا في ﴿ولا بنون﴾ تنبيهاً على استقلاله في النفي.

النفي مع كونهما نكرة يفيد أن العموم فيقتضي عموم ذي مال وبينين والمعنى لا ينفع مال من الأموال ولا ابن من البنين إلا مال من هذا شأنه وبنو من هذا شأنه.

قوله: (حيث أتفق ماله في سبيل البر) مستفاد من قوله ﴿من أتى الله﴾ بيان لوجه نفعه لأن ما أنفقه في سبيل البر سواء كان إنفاقه واجباً له ثواب عظيم ينتفع به والمال الذي لم ينفق منه كثر يضر صاحبه.

قوله: (وأرشد بنيه إلى الحق وحشهم على الخير وقصد بهم أن يكونوا عباداً لله مطيعين شفعاء له يوم القيامة) وأرشد بنيه الخ وهذا غير مخصوص بالأبناء بل عام للبنات أيضاً وتخصيص البنين بالذكر لشرافتهم فالمراد مطلق الأولاد مجازاً ذكر المفيد وأريد المطلق لأن الخير الشريف ورد بالولد الصالح يدعو له وقصد بهم أن يكونوا عباد الله الخ لا الزينة في الحياة الدنيا كأبناء الدنيا غافلين عن العقبى.

قوله: (وقيل^(١) الاستثناء مما دل عليه المال والبنون أي لا ينفع غني إلا غناه) وفي الكشف وإن شئت حملت الكلام على معنى وجعلت المال والبنين في معنى الغنى كأنه قيل لا ينفع غني إلا غنى من أتى الله بقلب سليم لأن غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما أن غناه في دنياه بماله وبنيه وقد قال أولاً وهو من قولهم:

تحبة بينهم ضرب وجيع

وبيانه أن يقال لك هل لزيد مال وبنون فتقول ماله وبنوه سلامة قلبه تريد نفي المال والبنين عنه وإثبات سلامة القلب بدلاً عن ذلك طريق تخريجه أن يجعل قوله: ﴿لا ينفع مال ولا بنون﴾ [الشعراء: ٨٨] بمعنى لا ينفع شيء ذكر الخاص الذي هو العمدة وأريد العام بقرينة استثناء سلامة القلب وجعلها بدلاً من ذلك فمعنى قول المص لا ينفع غني إلا غناه أي إلا غنى من أتى الله بقلب سليم وهو غنى القلب المعبر عنه بسلامة القلب فيكون الاستثناء متصلاً.

قوله: (وقيل منقطع والمعنى ولكن سلامة من أتى الله بقلب سليم تنفعه) وقيل منقطع وفي الكشف ولا بد على هذا من تقدير مضاف وهو الحال والمراد بها سلامة القلب وبين وجه صاحب الكشف بأن المراد على تقدير الاستثناء من مال لا يتحصل المعنى بدونها لأن المستثنى لا بد من دخوله في المستثنى منه ولو توهماً ولو لم يقدر لم يكن كذلك بخلاف استدراك الصرف وهو غير مناسب لأن المراد بيان حال المال والبنين في النفع^(٢) وعدمه لا مطلق النفع هذا خلاصة ما قيل هنا ولا يخفى ما فيه إذ الاستثناء المنقطع لا بد من عدم دخول المستثنى في المستثنى منه^(٣) ولو توهماً^(٤) مثل ما جاءني القوم إلا زهداً فزيد غير داخل بطريق الإشارة إلى غير زيد فيكون منقطعاً وما ذكره تبعاً للكشاف غير بين

(١) مرضه لأن الحمل على ظاهره ممكن فالمدلول عنه إلى غيره من غير داع تكلف.

(٢) ونفع سلامة القلب مستلزم لنفع جميع الخيرات فيدخل نفعه المال والبنين دخلاً أولاً وبهذا يحصل الارتباط.

(٣) وقد صرح به اللغات من النحاة وأرباب الأصول فما قيل هنا مخالف له فلا يعبأ به.

(٤) فيه تعريض بأن القائل عكس الحال واجتسر على المقال بأن المنقطع لا بد من دخول المستثنى فيه =

ولا مبين والمص أشار إليه بقوله ولكن سلامة من أتى الله الخ ولعل ترميضة لذلك ولو ثبات في المعنى ولكن من أتى الله بقلب سليم ينقعه سلامته لاستقام ولوائف أفق القاعدة المقرر: من أن خبره حين كون إلا للاستثناء منقطعاً محذوف يقدر في كل ما يليق به وهنا الخبر المحذوف ما قرئناه وهو يفيد ما أفاده تقدير المضاف فلا جرم أن لا يقدر المضاف إذا كان الاستثناء منقطعاً ولذا لم يرض به المص.

قوله تعالى: **وَأُزْلِفَتُ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٦٠﴾**

قوله: (بحيث يرونها في الموقف فيتبحجون بأنهم المحشورون إليها) فيحجون بتقديم الحاء على الجيم أي يسرون سروراً تاماً.

قوله تعالى: **وَرُزِّيَتْ الْغَاوِينَ ﴿٦١﴾**

قوله: (فيرونها مكشوفة ويتحسرون على أنهم المسوقون إليها وفي اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد) لأن التعبير بالإزالة^(١) وهو القرب التام يشير إلى تحقق الدخول بلا احتمال خلفه والإبراز الإراءة ولو من بعيد فإنه يطعم النجاة ولو لم يكن واقداً إذ خلف الوعيد وإن جاز عند بعضهم في عصاة الموحدين لكنه لم يجز في شأن الكفار بالاتفاق قوله فيرونها مكشوفة إشارة إلى أن الجحيم جيء بها إلى الموقف كما في الحديث يؤخر بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها زواة المص في سورة الفجر ولذا قال هنا فيرونها مكشوفة وقال بحيث يرونها من الموقف هناك ويحتمل أن يكون الإبراز مع ثباتها في مكانها مثل الجنة وإلى كلا الوجهين أشار في سورة الفجر وصيغة الماضي في الموضعين لتحقيق وقوعه وقدم الجنة لسبق رحمته أو لأن الجحيم طويل ذيل أصحابها.

قوله: وفي اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد أي وفي اختيار أزلقت في حق المتقين وبرزت في طرف الغاوين حيث لم يقل فيهما برزت ترجيح لجانب الوعد أي العدة بالشواب على جانب الوعيد أي العدة بالعقاب وجه دلالة اختلاف الفعلين على رجحان جانب الوعد على جانب الوعيد أنه لم يقل في طرف الغاوين أزلقت أيضاً بل قيل برزت إشعاراً بأن اللاتق بشأن الكريم أن لا يقرب دار الشقاء للبعيد بل يبرز بروزاً لهم من البعيد ولكن دخولهم فيها إنما هو بشؤم فعلهم السيئ وكذا لم يقل في طرف المتقين وبرزت أيضاً بل قيل فيه أزلقت أي قربت ترجيحاً لجانب الوعد.

= ولو توهماً قوله ولو توهماً يشعر بأن دخوله في المستثنى منه تحقيقاً أولى وهذا قول مستحدث لم يقل به أحد.

(١) أي فعل أزلقت وهذه الجملة معطوفة على الجملة المتقدمة ومن مقالات إبراهيم عليه السلام وكذا قول وقيل لهم من مقوله كذا فهم من تقرير الإمام.

قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِمَ إِنْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ (٩٢) ﴿بِإِنْ دُونَ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُوكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ﴾ (٩٣)

قوله: (أي الهتكم التي تزعمون أنهم شفعاؤكم) أين الهتكم أي بزعمكم الاستفهام للتوبيخ والسخرية الذين تدعون من الادعاء بقرينة أنهم شفعاؤكم وهذا حاصل المعنى يناسب ما بعده إذ أصل المعنى تعبدونه متجاوزين الله تعالى من العبادة إذ تجاوزهم الله في العبادة لا في ادعاء لشفاعته واسقط كان كما هو عادته ولا يرى وجهه.

قوله: (هل ينصرونكم)^(١) المناسب لقوله وقيل لهم هل نصرونكم لكن اختيار المضارع لأنه مستقبل بالنسبة إلى القيل كما أنه كذلك في الواقع مع رعاية الفاصلة في ينصرون.

قوله: (يدفع العذاب عنكم) إذ النصرة أصل معناها دفع المضرة وإن استعملت بعمونة القرينة في جلب المنفعة والاستفهام أيضاً للتهكم والإنكار الوقوعي فلذا قال تعالى: ﴿فَكَيْبُوا﴾ [الشعراء: ٩٤] بالفاء.

قوله: (يدفعه عن أنفسهم لأنهم يدخلون النار كما قال:

قوله تعالى: ﴿فَكَيْبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ (٩٤)

قوله: ﴿فَكَيْبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ [الشعراء: ٩٤] لأنهم وآلهتهم من الأوثان وأما أولو العلم فهم لا يسمعون^(٢) حسيها.

قوله: (أي الآلهة وعبيدتهم والكعبة تكرير الكب لتكرير معناه كأن من ألقى في النار ينكب مرة بعد أخرى حتى يستقر في قعرها) تكرير الكب وهو الإلقاء على الوجه أي كرر لفظه ليعلم أن معناه مكرر وعن هذا قال كأن من ألقى الخ وإنما قال كأن لأن الكب في الحقيقة مرة واحدة لكن لبعد قعرها يشبه ذلك قوله أي الآلهة وما عطف عليه وهو الغاؤون لا أنه تأكيد كما توهم من ظاهر العطف.

قوله: أين الهتكم الذين تزعمون أنهم شفعاؤكم المبهم وهو ما في أينما كنتم موصول عبارة عن الهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله والعائد إليه من الصلة محذوف فالمعنى أين الذي كنتم تعبدونه في الدنيا من دون الله هل ينصرونكم اليوم يدفع العذاب والاستفهام للتقريع والتحصير والجمع في هل ينصرون وما عطف عليه لعموم المبهم من جهة المعنى وإن كان يقتضي الأفراد بحسب اللفظ قوله يدفعه عن أنفسهم وضع انتصر أي انتقم موضع الدفع مبالغة وتهكماً.

قوله: أي الآلهة وعبيدتهم يعني أن لفظ هم عبارة عن الهتهم ولفظ غاؤون عن عبيدتهم.

قوله: والكعبة تكرير الكب لتكرير معناه جعل تكرير اللفظ دليلاً على تكرير المعنى كأنه إذا ألقى في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها اللهم أخرجنا منها يا خير مستجار.

(١) هذا أبلغ من أن ينصرونكم.

(٢) فيه القياس لطيف حاصله أن مثل المسيح وعزير والملائكة مستثنى من قوله تعالى: ﴿إِنكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] لو سلم شمولها لهم قد مر التوضيح في أواخر سورة الأنبياء.

قوله تعالى: وَيَحْمُودُ إِلَيْسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾

قوله: (متبعوه من عصاة الثقلين أو شياطينه) أي أعوانه ولفظة أو لمنع الخلو.

قوله: (تأكيد للجنود إن جعل مبتدأ خبره ما بعده) وهو قوله تعالى: ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا﴾ [الشعراء: ٩٦].

قوله: (أو للضمير وما عطف عليه) أي أو تأكيد للضمير وهو هم وما عطف عليه وهو الغاؤون أي عبيدهم كما أن المراد بهم ألهمهم قيل الأولى وإلا فللضمير لأن قوله يوحى أن هذا الاحتمال إذا جعل الجنود مبتدأ خبره ما بعده وليس كذلك لكن لظهور المراد قال الأولى.

قوله: (وكذا الضمير المنفصل وما يعود إليه في قوله:

قوله تعالى: قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَأَلَّوْا لِي ضَلَالِي مُبِينٍ ﴿٩٧﴾

قوله: ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ [الشعراء: ٩٦] وكذا أي وكذا يجري الاحتمالان في الضمير المنفصل وهو هم فيها وما يعود إليه من الضمير المتصل في يختصمون أي هم راجع إلى الجنود إن جعل مبتدأ خبره قال وإلا فللضمير في قوله: ﴿فَكَيْبُوا فِيهَا هُمْ﴾ [الشعراء: ٩٤].^(١)

قوله: (قالوا) أي جنود إبليس إن جعل خبراً للجنود أو المجموع من ألهمهم والغاؤون أي عبيدهم وبنود إبليس مقول القول تأله الآية ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ [الشعراء: ٩٦] جملة حالية معترضة بين القول وبين مقوله ﴿إِنْ كُنَّا﴾ [الشعراء: ٩٧] إن

قوله: متبعوه عصاة الثقلين أي عصاة الجن والإنس.

قوله: خبره ما بعده وهو قالوا: ﴿تَأَلَّوْا لِي ضَلَالِي مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ٩٧] وإلا للضمير وما عطف عليه أي وإن لم يجعل وبنود إبليس مبتدأ بل معطوفاً على هم في ﴿فَكَيْبُوا فِيهَا﴾ هم يكون أجمعون تأكيداً للضمير الذي هو هم وما عطف عليه وهو الغاؤون وبنود إبليس فيؤكد المعطوف عليه والمعطوفين بعده جميعاً أي فكيبك فيها ألهمهم وبنود إبليس أجمعون.

قوله: وكذا الضمير المنفصل وما يعود إليه في قوله: ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ [الشعراء: ٩٦] أي وكاحتمال أجمعون لأن يكون تأكيداً لجنود إبليس وللضمير على اختلاف جهتي الرفع في وبنود إبليس كذلك الضمير المنفصل في وهم في: ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ [الشعراء: ٩٦] يجوز أن يكون راجعاً إلى جنود إبليس إن جعل رفع الجنود على الابتداء وأن يكون راجعاً إلى هم وما عطف عليه في فكيبكوا فيها هم والغاؤون وبنود إبليس إن لم يكن الجنود مبتدأ وتخصيص المنفصل بالذكر مع أن المتصل في قالوا كذلك في احتمال الأمرين نظر.

(١) هذا الاحتمال راجع إذ التغاير عام لجميع الكفار ثم عطف جنود من عطف الخاص على العام أو المراد بهم ما سوى عبدة الأوثان.

مخففة من الثقيلة ﴿لَئِي ضَالُّ﴾ [الشعراء : ٩٧] هذا أبلغ من كنا لضالين أو لمن الضالين .

قوله تعالى : ﴿إِذْ نَسُواكُمْ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٩٨﴾

قوله : (على أن الله تعالى ينطق الأصنام فيتحاصم العبد ويؤيده الخطاب في قوله تعالى : ﴿إِذْ نَسُواكُمْ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء : ٩٨] أي في استحقاق العبادة) على أن الله ينطق الأصنام نطقاً بالمقال لا بالحال كما أنطق أسماهم وأبصارهم وكذا سائر أعضائهم وجلودهم هذا إذا كان الضمير راجعاً لهم ويؤيده الخطاب الخ وجه التأييد هو أن المخاطبين الذين يسوون^(١) برب العالمين في استحقاق العبادة هم الأصنام لا العبد كما في الاحتمال الثاني .

قوله : (ويجوز أن يكون الضمائر للعبدة كما في قالوا والخطاب للمبالغة في التحسر والندامة) ويجوز أن يكون الضمائر أي في قوله : ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ [الشعراء : ٩٦] على أن الخصومة جارية بينهم بقول المستضعفين للمستكبرين ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ : ٣١] وعكسه ﴿أَنْحَن صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهَدْيِ﴾ [سبأ : ٣٢] فحينئذ لا بد من التحمل في الخطاب في قوله ﴿إِذْ نَسُواكُمْ﴾ [الشعراء : ٩٨] لأنه جماد غير مستحقين الخطاب فقال والخطاب للتحسر الخ . لا لأنها جعلت ممن يعقل إذ لا داعي إليه بخلاف الأول فإن الخصام جار بينهم وبين عبدتهم فجعلت ممن يعقل وفيه أيضاً تلوين الخطاب من العبدة بعضهم لبعض إلى خطاب الأصنام للمبالغة في التحسر .

قوله : على أن الله تعالى ينطق الأصنام أي إسناد القول في قالوا إلى المذكورين والحال أن فيهم ما لا يقدر على القول وهو الأصنام مبني على أن الله تعالى ينطق الأصنام بإعطائها القدرة على النطق فيقولون ذلك مختصين .

قوله : ويؤيده الخطاب في قوله : ﴿إِذْ نَسُواكُمْ﴾ [الشعراء : ٩٨] أي ويؤيد أن الله ينطق الأصنام فيتحاصمون العبد الخطاب في نسويكم فإن الخطاب فيه للأصنام وهو يدل على أن اختصاصهم يكون مع الأصنام والمخاصمة لا تخلو عن النطق من المتخاصمين .

قوله : ويجوز أن يكون الضمائر للعبدة كما قالوا أي ويجوز أن يكون ضمير كيبوا وضميرهم في الموضعين وضمير يَخْتَصِمُونَ وضمير كنا ونسوي لعبدة الأصنام كضمير قالوا والخطاب للمبالغة في التحسر فيكون الضمير بالاختصاص حينئذ اختصاص بعض العبدة مع بعض لا اختصاصهم مع الأصنام فعينئذ لا حاجة إلى التأويل بأن يقال ينطق الله الأصنام فتحاصم العبدة فعلى هذا يكون الخطاب في ﴿إِذْ نَسُواكُمْ﴾ للتحسير كمخاطبة الجمادات التي يقصد بها مجرد التحسير والتحرز كخطاب الاطلال والأشجار كقوله :

أَمْسُزَلْشِي مِي سَلَامْ عَلَيْكُمَا هَلْ الْأَرْمَنُ السَّلَاتِي مَضِيين رَوَاجِعْ

(١) ولم يتعرض قول الأصنام هنا واكتفى بقول العبدة لها قال تعالى في سورة يونس : ﴿وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ يُبَارَاتُونَ فَكُنَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ [يونس : ٢٨ ، ٢٩] الآية وغير ذلك وجه الاكتفاء بيان تحسر العابدين .

قوله: (والمعنى^(١) أنهم مع تخاصمهم في مبدأ ضلالهم) مع تخاصمهم مع بعضهم لبعض كما قال تعالى في سورة ص ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ (ص: ٦٤) في مبدأ ضلالهم يقول بعضهم لبعض كما مر.

قوله: (معترفون بأنهم آكلهم في الضلالة متحسرون عليها) بدلالة الظرفية وكان الاستمراري.

قوله تعالى: وَمَا أَضَلُّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾

قوله: (﴿وما أضلنا إلا المجرمون﴾ [الشعراء: ٩٩]) نسبة مجازية فالنفسر إضافة إد الهوى له مدخل في الإضلال والشيطان داخل في المجرمين وإن خص بالمجرمين من الإنس كما هو المتبادر فكون القصر إضافياً أظهر.

قوله: (كما للمؤمنين من الملائكة والأنبياء).

كما للمؤمنين مستفاد من الحصر المستفاد من تقديم لنا والجمع التقسيم أو ساد^(٢) إلى الآحاد ولذا قيل ولا صديق بالآفراد مراداً به الجنس والنفي هنا متوجه إلى القيد والمقيد جميعاً.

قوله تعالى: وَلَا صَدِيقٌ حَسْبُ

قوله: (﴿إذ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾ أو ﴿فما لنا من شافعين ولا

وهل يرجع التسليم أو يكشف العمى ثلث الاتفاقي والديار السلاتح

وكقوله:

أيا شجر الخابور مالك مورقا كأنك لم تحزج على ابن طريف

قوله: (والمعنى أنهم مع تخاصمهم في مبدأ ضلالهم معترفون بأنهم آكلهم في الضلالة متحسرون عليها معنى الاتهامك مستفاد من كان الناقصة ومعنى التحسّر من خطاب الجمادات التي هي أصنامهم ومعنى تخاصمهم في مبدأ ضلالهم أن يقول بعضهم لبعض أنت أضللتني ولولاك لما ضللت وأنت سبب ضلالي ومبدؤه.

قوله: من الملائكة والأنبياء أي ما لنا من شافعين كما ترى المؤمنين لهم شفعاء من الملائكة والأنبياء ولا صديق كما ترى لهم أصدقاء لأنه لا يتصادق في الآخرة إلا المؤمنون، أما أهل النار فليس لهم الشفاعة والتباغض قال الله تعالى ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾ (زخرف: ٦٧) فقوله رحمه الله إذ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين.

قوله: أو فما لنا من شافعين ولا صديق ممن نعدهم شفعاء أي نعدهم شفعاء وأصدقاء نعتقد أنهم يشفعون لنا في الآخرة.

(١) أي على الوجه الأخير ويمكن التعميم إلى جميع الوجوه بأدنى عبارة.

(٢) قوله تعالى: ﴿ما للظالمين من حميم ولا شفيع بظالم﴾ [عافر: ١٨] يؤيد ما قلناه من التقسيم الآحاد.

صديق حميم» ممن نعدهم شفعاء وأصدقاء) أو «فما لنا من شافعين» أي المنفي المخصوصون من الشافع والصديق وجه التخصيص لأنهم يعدونهم شفعاء وأصدقاء والتخصيص لهذا الغرض لا مفهوم له بأن غيرهم يشفعون الخ ومع هذا التعميم أولى ولهذا قدمه.

قوله: (أو وقعنا في مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق) أو وقعنا في مهلكة الخ فالمنفي هنا ليس نفس الشافع بل نفعهم والأول الأهم ولذا قدمه والمعنى على الأولين أيضاً كناية عن الوقوع في المهلكة لأنه كلام الكفرة الواقعة في الهلاك والفرق بينهما أن المنفي في الأولين الشافع والصديق وفي الثاني نفع الشفاعة والأول أولى لأنهم صرحوا في قوله تعالى: «ولا شفيع يطاع» [غافر: ١٨] المنفي هو المقيد مع قيده.

قوله: (و مع الشافع ووحدة الصديق لكثرة الشفعاء في العادة) قيد العادة يخلص مفهوم المخالفة لأن نافي كثرة الشفعاء بناء على العادة فلا يرد أنه يوم أن لهم شافعاً واحداً لكن الأول بانقسام الأحاد كما أشرنا إليه أولى والفرق أن الشفيع من الأباعد من الأنبياء والأولياء والملائكة كما أشار إليه المصنف أنفأ والصديق الحميم من الأقارب والحميم من الاحتمام وعدم الاهتمام وهو الذي يهمه ما يهكم أو من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص.

قوله: (وقلة الصديق) ألا ترى أن الرجل إذا ابتلي بجور ظالم نهضت جماعة كثيرة من أهل بلده لشفاعته ترحماً وإن لم يكن معارفه وأما الصديق فقليل حتى قال بعض الحكماء إنه اسم لا معنى له أي لا وجود له بالغ حيث نفى وجوده تنبيهاً على كمال قلته.

قوله: (ولأن الصديق^(١) الواحد يسعى أكثر مما يسعى الشفعاء) أي الواحد منه يقوم

قوله: (أو وقعنا في مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق يعني أن قولهم فما لنا من شافعين ولا صديق حميم قد يجيء على وجه الكناية وأخذ الزبدة حيث دل مجموع هذا القول على الإيقاع في المهلكة لأن هذا القول قول من وقع في ورطة لهلاك فيكون لازماً للوقوع في الهلاك فتوسل باللازم إلى الملزوم فسرّه بوجوه ثلاثة والفرق بين هذه الوجوه أنهم في الوجه الأول نفوا ابتداء الشفعاء والأصدقاء رأساً وفي الوجه الثاني اثبتوا في الدنيا شفعاء وأصدقاء فلما اضلّهم هنالك نفوهم وفي الوجه الثالث وجدوهم حاضرين حين لم يأنّ لهم ففعلوهم كالمعدومين لأن ما لا ينفع حكمه حكم المعدوم.

قوله: (لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق) ألا ترى أن الرجل إذا ابتلي بإرهاب ظالم ناهض جماعة كثيرة من أهل بلده لشفاعته رحمة له وحسنة لأنهم يعرفه أكثرهم وأما الصديق فلم

(١) قيل قلت لا يبعد أن يكون جمع الأول وتوحيد الثاني إشارة إلى أنه لا فرق بين استغراق الجمع والفرق وليس الثاني اشتمل من الأول كما زعمه بعضهم مع مراعاة الفاصلة انتهى ورد بأن هذا ليس هذا محل الخلاف لأن من إذا زيدت بعد التي داخلته على الجمع جعلته في حكم المفرد ويتساوى في الاستتراق بلا خلاف انتهى ولم نطلع عليه.

مقام جماعة في كمال السعي وللتنبية على ذلك اكتفى به وسهيه في الآخرة إنما هو بالشفاعة أيضاً ولك أن تعلم لأن دفع العذاب إما أن يكون بغيره وهو النصرة أو غيره وهو إما أن يكون مجاناً وهو الشفاعة أو بأداء ما كان عليه وهو أن يجزيه عنه أو بغيره وهو أن يعطي عنه عدلاً وفدية والكل منتف.

قوله : (أو لإطلاق الصديق على الجمع كالعدو لأنه في الأصل مصدر كما حنين والصهيل) كالحنين مصدر من حن إليه إذا اشتاق وصهيل صوت الخيل والقول بأنه لم يسمع صديق وعدو بمعنى الصداقة والعداوة ضعيف لأنه من الغلبة التقديرية وهي عبارة عن أن لا يستعمل اللفظ من ابتداء وضعه في غير ذلك المعنى لكن مقتضى القياس أن يستعمل في غيره على أن عدم السمع غير مسلم إذ الاستفراء التام مشكل والناقص غير مفيد.



قوله تعالى : فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

قوله : (تمنى الرجعة وأقيم عنه ومقام ليت لتلاقيهما في معنى التقدير أو شرط حذف جوابه) مقام ليت مجازاً والعلاقة التقدير وهي المشابهة فيكون استعارة تبعية والتقدير في ليت على طريق التمني وفي لو بطريق^(١) التعليق.

الصادق في محبتك بهالك الذي يهيم ما اعمك فهو أعز من بيض الأنوق وعن بعض الحكماء أنه سئل عن الصديق فقال اسم لا معنى له.

قوله : كالحنين والصهيل والحنين مصدر حن بمعنى الأنين والصهيل أيضاً مصدر وهو صوت الفرس فيمكن أن يكون الصديق أيضاً من هذا القبيل مصدر في الأصل بمعنى الصداقة وصف به لذات للمبالغة أقول مصادر الثلاثي سماعية لا يجري فيها القياس وفي مجيء الصديق مصدراً الصديق مستعملاً بمعنى الصداقة نظر وفي الكشف ويجوز أن يريد بالصديق الجمع ولعل مراد صاحب الكشف منه أنه لكون المراد به الجنس يفيد معنى الجمع لا أنه مصدر في الأصل فكان القاضي رحمه الله ظن أن صاحب الكشف أراد بقوله هذا أنه في الأصل مصدر فقلله بناء على ظنه.

قوله : تمن للرجعة وأقيم فيه لو مقام ليت لتلاقيهما في معنى التقدير يعني أن المراد بالكرة الرجعة إلى الدنيا ولو في مثل هذا الموضع في معنى التمني كأنه قيل فليت لنا كرة لما بين معنيي لو وليت من الثلاثي في معنى التقدير فإن أصل معنى لو للشرط وقد يستعمل متخزلاً عن معنى الشرط في معنى التمني لعلاقة بين الشرط والتمني لما أن في كل منهما معنى التقدير فكما يقدر بلو غير الواقع واقعاً نحو لو كان لي مال لحببت يقدر بليت غير الواقع واقعاً نحو : ليت الشباب يعود وإنما الفرق أن الثاني يستعمل في طلب ما لا يمكن حصوله حقيقة قال صاحب المفتاح إذا قلت لو يأتيني زيد فيحدثني بالنصب طالباً لحصول الوقوع فيما يفيد لو من تقدير غير الواقع واقعاً ولا التمني فعلى هذا يكون قولهم فنكون في ﴿فنكون من المؤمنين﴾ منصوباً على جواب التمني.

قوله : أو شرط حذف جوابه تقديره فلو أن لنا كرة لفعلنا كيت وكيت.

قوله: (جواب التمني أو عطف على كرهة أي لو أن لنا أن نكر فنكون) جواب التمني على الأول أو عطف على كرهة لأنها لكونها مصدرأ مأول بأن مع الفعل وعن هذا قال أي لو أن لنا أن نكر فنكون هذا إذا حمل لو على الشرط وجوابه محذوف وهو رجعنا عما كنا عليه أو لكننا نعمل عملاً صالحاً وقيل لو حقيقة في التمني وهو خلاف ما قرره المص.



قوله تعالى: **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ**

قوله: (فيما ذكر من قصة إبراهيم) توجيه توحيد اسم الإشارة مع تعدد المشار إليه.
قوله: (الحجة وعظة لمن أراد أن يستبصر بها ويعتبر فإنها جاءت على أنظم ترتيب وأحسن تقرير يتفطن المتأمل فيها لغزارة علمه لما فيها من الإشارة) لحجة تفسير الآية وعظة بيان لازمه قوله لمن أراد الخ لأنه ينتفع به وإلا فهي حجة لمن أراد وللمن لم يرد قوله لغزارة علمه أي لكثرتة.

قوله: (إلى أصول العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم وحسن

قوله: جواب التمني وهذا ما اختاره صاحب المفتاح في مثل هذا التركيب.

قوله: أو عطف على كرهة أي لو أن كنا أن نكر فنكون يعني أن كرهة مصدر كره مأول بأن مع الفعل وتكون معطوف بالفاء عليها وهو أيضاً مقدر بأن فالمعنى لو أن لنا أن نكر فإن نكون أي لو أن لنا رجعة إلى الدنيا فنكون من المؤمنين بمعنى ليت لنا ذلك وهذا الوجه هو ما ذهب إليه أبو البقاء وعن بعضهم قوله فيكون في تقدير المصدر عطفأ على أن لنا كرهة أي لو ثبت حصول الكرهة فلكون من المؤمنين لفعلا.

قوله: لحجة وعظة لمن أراد أن يستبصر بها والضمائر في بها وفي فيها عائدة إلى القصة في قوله من قصة إبراهيم.

قوله: لغزارة علمه اللام متعلقة بيشفطن أي يتفطن من يتأمل في تلك القصة لكثرة علم إبراهيم ووفوره لما فيها من الإشارة إلى أصول العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها وجه الإشارة والتنبيه أنه عليه السلام بين لهم في أول القصة أن ما يعبدونه من دون الله لا يصلح أن يعبد ويتخذ إليها فقدم أولا المدعي ثم برهن عليه وعلله بأنه لا يقدر على النفع والضرر وهذا هو معنى مجيئه على أنظم ترتيب كما هو دأب المستدلين في إثبات الدعاوى من تقديم الدعوى على الدليل ثم قال ﴿فإنهم عدو لي إلا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين﴾ إلى قوله: ﴿والذي أطعم أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾ [الشعراء: ٨٢] تعريضاً بأن آلهتهم التي يدعونهم لا يقدر على هذه الأفعال التي هي لوازم الألوهية ليؤذن بذلك أن ما لا يقدر على أمثال هذه الأفعال ولا يتصف بصفات الألوهية فهو بمعزل عن الألوهية وهو المراد بقوله والتنبيه على دلائلها مع ما تقدمه من قوله هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفونكم أو يضرون فإن ذلك كله دليل على عدم صلاحية ما يعبدون من دون الله للإلهية.

قوله: وحسن دعوته حيث شرع في الدعوة أولاً مستفهماً بماذا تعبدون ليحيبوا بما أجازوا فيرد جوابهم بدليل قاطع قوله وحسن مخالفتة حيث قال: ﴿فإنهم عدو لي إلا رب العالمين الذي

مخالفتهم معهم وكمال إشفاقه عليهم وتصوير الأمر في نفسه وإطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضاً وإيقاظاً لهم ليكون ادعى لهم إلى الاستماع والقبول إلى أمر الله العلوم الدينية من نفي الإشراك بالإلزام والبرهان وإثبات الصانع بقوله : ﴿إلا رب العالمين الذي خلقني﴾ [الشعراء : ٧٧ ، ٧٨] الآية وتوحيده قوله والتنبية على دلائلها الخ والكل معلوم من بيانه سابقاً.

قوله : (وما كان أكثرهم أكثر قومه به) وما كان أي في علم الله تعالى رضائه^(١) قد مر توضيحه في أوائل السورة.

قوله تعالى : وَلَئِنْ رَّبُّكَ لَهْوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾

قوله : (وإن ربك لهو العزيز القادر على تعجيل الانتقام) وإن ربك لهو العزيز وهو فصل راجع إلى الرب في قوله تعالى : ﴿إنك أنت العليم الحكيم﴾ [البقرة : ٣٢].

قوله : (الرحيم بالإمهال لكي يؤمنوا أو واحد من ذريتهم) الرحيم بالإمهال أو العزيز في انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وآمن.

قوله تعالى : كَذَبَتْ قَوْمٌ نَبَأَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾

قوله : (القوم مؤنثة ولذلك تصغر على قومية) القوم مؤنثة بناء على أنه جمع قائم كزائر وزور قال في سورة الحجرات والقوم مختص بالرجال لأنه إما مصدر نعت به نساغ ثم إنه جمع قائم وهنا رجع ما أخره هناك فهو ليس على إطلاقه ولذا نقل عن المصباح أنه قال القوم يأكرو ويؤث فيقال قام القوم وقامت القوم انتهى ووجه احتمال كونه مصدراً أو جمع قائم.

قوله : (وقد مر الكلام في تكذيبهم المرسلين) أي في سورة الفرقان ولم يرض ما في

خلقني فهو يهديني﴾ [الشعراء : ٧٧ ، ٧٨] الآية وجه حسن المخالفة أنه خالفهم بالرفق لا بالغلظة حيث قال ﴿فإنهم عدو لي﴾ ولم يقل فإنهم أعداء لكم مع ما في حيز الاستثناء من بيان العلة.

قوله : وكمال الإشفاق عليهم معنى الشفقة مستفاد من التعريض وتصوير الأمر في نفسه بقوله عدو لي حيث لم يقل لكم للإشعار بأنه يريد لهم ما يريد لنفسه وأن ما هو عدو له عدو لهم.

قوله : وإطلاق الوعد والوعيد الخ أي إطلاق الوعد بقوله ﴿وأرسلت الجنة للمؤمنين﴾ [الشعراء : ٩٠] وإطلاق الوعيد بقوله ﴿وبرزت الجحيم للغاوين﴾ [الشعراء : ٩١] ومعنى الإطلاق أنه لم يقل أرسلت الجنة للمؤمنين من عبادة ما عملتموه وبرزت الجحيم للغاوين بعبادة ما أنتم عابدهم وتعريضاً ببعدهم من الجنة لعدم اتقائهم عن الإشراك وبدخولهم الجحيم لغوايتهم بعبادة الأصنام.

قوله : ليكون ادعى لهم علة لتعريضاً.

قوله : وقد مر الكلام في تكذيبهم المرسلين وهو أن من كذب واحداً من الرسل فكأنما كذب

(١) أو المعاصي بالنسبة إلى وقت النزول.

الكائنات من وجه آخر وهو أن المراد به نوح عليه السلام فقط مثل قولك فلان لا يركب الخيل ويلبس البرود يعني أنه للجنس فيتناول الواحد لأنه يفوت المبالغة من أنهم كذبوا رسلاً عظاماً وفي القوم تغليب لما عرفت أن القوم مختص بالرجال وهنا يعم الرجال والنساء .

قوله تعالى: **إِذْ قَالَ لَهُمُّ نُوحٌ تَبِعُونِي أَلَّا تَكُونُوا**

قوله: (لأنه كان منهم) توجيه لقولهم أخوهم قد مر التفصيل^(١) وإنما جعل منهم لأنهم أنهم لقوله وأعرف بحاله فلم منه أن الضمير في منهم لقوم نوح لا للمرسلين .

قوله: (الله فتركوا عبادة غيره) راغباً إلى عبادة غيره أو فتركوا فرجحوا عبادة غيره فيكون المراد الاتقاء من الكفر .

قوله تعالى: **إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ**

قوله: (مشهور بالأمانة فيكم) حملة عليه لأنه ادعى إلى الإيمان به .

قوله تعالى: **فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا**

قوله: ﴿فاتقوا الله﴾ [الشعراء: ١٠٨] الغاء لترتب الأمر بالاتقاء على كونه رسلاً .

قوله: (فيما أمركم به من التوحيد والطاعة) من التوحيد أي من الاعتقادات الحقة والطاعة بأنواع العبادات من الفروع .

قوله تعالى: **وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ**

قوله: (وما أسألكم عليه على ما أنا عليه من الدعاء والنصح) وما أسألكم ما

الجميع وفي الكشف وتظير قوله: ﴿المرسلين﴾ [الشعراء: ١٠٥] والمراد نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود وما له إلا دابة وبرد .

قوله: (لأنه كان منهم تغليب) وبيان لوجه الأخوة هو من قول العرب يا أخا بني تميم يريدون يا واحداً منهم ومنه بيت الحماسة :

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في الشايبات على ما قال يرهانا

يندبهم أي يدعوهم يقول لا يسألون من يدعوهم إلى الإعانة حجة ولا يراجعونه في كيفية ما الجاؤوا إليهم فيه لكنهم يجعلون الإعانة وعن بعضهم الأخوة إما في الدين أو في النسب أو في الشبه وأما الأخوة في النسب فظاهرة والأخوة في الدين كما في قوله: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ [الحجرات: ١٠] وفي الشبه كما في قوله تعالى: ﴿وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها﴾ [الزخرف: ٤٨] أي شبيهاها في الاعجاز .

قوله: فتركوا عبادة غيره جواب الاستفهام والعرض مثل لا تنزل فتصيب خيراً .

(١) أي في سورة الأعراف من بيان نسه عليه السلام .

لمطلق التفي هنا وإن كان الأصل فيه لتفي الحال^(١) والسؤال سؤال استعطائي.

قوله تعالى: **فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا** ﴿١١٠﴾

قوله: (كرره للتأكيد والتنبيه على دلالة كل واحد من أمانته وحسم طمعه على وجوب طاعته فيما يدعوهم إليه فكيف إذا اجتماعاً) من أمانته أي أمانته فيما بينهم وحسم طمعه أي قطعته على وجوب طاعته متعلق بدلالة فإن من يدعو إلى ما ينفع الناس دينياً ودنيوياً بلا شائبة طمع يجب على المدعو طاعته فلا قصور فيه على وجوب الطاعة وجه دلالة كل واحد هو ترتيب الأمر بالغاء على كل واحد على حياله وإذا نظر إليه فلا تكرار لكن المراد في الموضعين لما كان واحداً حكم بالتكرار فكيف إذا اجتماعاً أي فكيف لا يجب الطاعة إذا اجتماعاً الاستفهام للإتكار وكناية عن إنكار وجوب الطاعة.

قوله: (وقرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو وحفص بفتح الياء في أجري في الكلمات الخمس) أي في القصص الخمس.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنْزِلْ لَنَا آيَةً﴾

قوله: ﴿قَالُوا أَنْزِلْ لَنَا آيَةً﴾ واتبعك الأردلون ﴿١١١﴾ الأكلون جاءوا وما لا جمع الأردل على الصحة ﴿قَالُوا أَنْزِلْ لَنَا آيَةً﴾ استئناف ولذا ترك العطف ﴿واتبعك الأردلون﴾ فعلم منه أن المخاطبين في أي لكم رسول أشرف قومهم وأيضاً هذا الخطاب بعد إيمان المقلين ما لا وجاءوا جمع الأردل على الصحة على كونه جمعاً صحيحاً وأما الأردال فجمع مكسر.

قوله: والتنبيه على دلالة كل واحد من أمانته وحسم طمعه على وجوب طاعته يعني لما قال عليه السلام ﴿إني لكم رسول أمين﴾ رتب عليه ﴿فاتقوا الله وأطيعوا﴾ دلالة على أني إذا كنت رسولاً من عند الله يجب عليكم أن تعرفوا من أرسلني إليكم ومن لوازم المعرفة الخشية ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [فاطر: ٢٨] وإذا كنت أميناً يجب عليكم أن تطيعوني فيما أَدْعُوكُمْ إليه وأمركم به لأن نصحي لا يكون عن غدر وخيانة ولما قال: ﴿ما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين﴾ [الشعراء: ١٠٩] رتب عليه أيضاً ﴿فاتقوا الله وأطيعوا﴾ دلالة على أن ما يدعوكم إلى ما ينفعكم ديناً دنياً ولا شائبة طمع يجب عليكم طاعته فيما أمركم به.

قوله: جمع الأردل على الصحة أي جمع جمع السلامة بالواو والنون وجمع على التكسير في قوله: ﴿الذين هم أَرَادْنَا﴾ (هود: ٢٧) والردالة والندالة الخسة والدلة لا تضاع نسبهم أي لكونهم وضيعين في النسب وقلة نصيبهم في الدنيا وقيل كانوا من أهل الصناعات الدنية كالحياكة والحجامة والصناعة لا تزري بالديانة وما زالت اتباع الأنبياء كذلك حتى صارت من سماتهم وأماراتهم ألا يرى إلى هرقل حين سأل أبا سفيان عن اتباع رسول الله ﷺ فلما قال ضعفاء الناس وأرادلهم قال ما زالت اتباع الأنبياء كذلك.

(١) صرح به المص في سورة الكافرين لكن لقيام القرينة براد به مطلق التفي.

قوله: (وقرأ يعقوب واتباعك وهو جمع تابع كشاهد وأشهد أو تبع كبطل وأبطال) على أنه مبتدأ خبره الأزدلون والجملة حال يجري مجرى العلة على عدم إيمانهم وكذا الجملة الفعلية في قراءة غيره حال أيضاً والواو رابط بتقدير قد.

قوله: (وهذا من سخافة عقلم وقصور أبهم) وهذا أي قولهم أنؤمن منكبين الإيمان من سخافة عقلم أي عقلم المعاد.

قوله: (على الحطام الديني حتى جعلوا اتباع المقلين فيها مانعاً عن اتباعهم وإيمانهم بما يدعوهم إليه دليلاً على بطلانه) على الحطام متعلق بقصور لأنه بمعنى الحصر وتأنيت الدينية لتأويل الحطام بالزخارف.

قوله: (وأشاروا بذلك إلى أن اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة) وأشاروا بذلك أي اتباع الأزدلين إلى أن اتباعهم ليس عن نظر الخ فهو كقولهم وما نريك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي أي ظاهر الرأي من غير تعمق والحاصل أن قولهم «واتبعك الأزدلون» مجاز أو كناية عن بطلان ما يدعوهم كأنهم قالوا أنؤمن لك والحال أن ما تدعوننا باطل لأنه لو كان حقاً لما تدعوا الأراذل إليه ولم يؤمنوا به فظهر ما ذكرنا آنفاً من أن هذه الحال كالعلة لعدم إيمانهم.



قوله تعالى: قَالُوا وَمَا لِيْهِمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

قوله: (وإنما هو لتوقع مال ورفعة فلذلك قال وما علمي بما كانوا يعملون أنهم عملوه إخلاصاً أو طمعاً في طعمة) وإنما هو لتوقع مال أي مال كثير وزيادة رفعة إن حمل القلة على معناها الظاهري وإن حملت على العدم^(١) فالكلام هنا على ظاهره فلذلك أي فلإشارتهم إلى ذلك قال نوح عليه السلام ردأ لهم وما علمي ما نافية أو استغماية إنكارية في معنى النفي قوله في طعمة بضم الطاء ما يطعم والمراد هنا مطلق المال.

قوله: جعلوا اتباع المقلين فيها مانعاً عن اتباعهم فيها متعلق بمقلين والضمير للحطام أي جعلوا اتباع جماعة مقلين في المال مانعاً عن اتباع الناس إياهم وإيمانهم به دليلاً على بطلان الاتباع فأعرضوا عن اتباعه.

قوله: إنهم عملوا إخلاصاً أو طمعاً في طعمة أي وما علمي أي شيء علمي والمراد انتفاء علمه بإخلاص أعمالهم لله وإطلاعه على سر أمرهم وباطنه وفي الكشف ويجوز أن يتغابى لهم نوح عليه السلام فيفسر قولهم الأزدلين بما هو الرذالة عنده من سوء الأحمال وفساد العقائد ولا يلتفت إلى ما هو الرذالة عندهم ثم يبيّن جوابه على ذلك فيقول ما علي إلا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن أسرارهم والشق عن قلوبهم وإن كان لهم عمل سيئ فاه محاسبهم ومجازيهم عليه وما أنا إلا منظر لا محاسب ولا مجاز.

(١) إذ القلة قد تستعمل في العدم كقوله تعالى: ﴿قليلًا ما تشكرون﴾ [الأعراف: ١٠].

قوله: (وما على إلا اعتبار الظاهر) فظاهر حالهم إخلاص إيمانهم فلا يكون إيمانهم ولا دعوتنا إياهم دليلاً على بطلان ما تدعوهم وهذا مراده عليه السلام رداً بليغاً عليهم.

قوله تعالى: **إِنْ جَسَادُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ** ﴿١١٣﴾

قوله: (ما حسابهم على بواطنهم إلا على الله فإنه المطلع عليها) أي كلمة إن نافية بقرينة إلا على بواطنهم إحصاءً كان أو توقع مال إلا على الله تعالى فلا تقدر على البواطن ولذلك قال فيما سبق وما على إلا اعتبار الظاهر لأن الله تعالى يعلم السرائر فقط.

قوله: (لو تشعرون لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون) لو تشعرون أي لو كنتم ذوي شعور لعلمتم جوابه جمل عليه السلام إياهم مؤوف الموعود مستلوب العقل ولذا قال ولكنكم تجهلون.

قوله تعالى: **وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴿١١٤﴾

قوله: (جواب لما أوهم قولهم من استدعاء طردهم وتوقيف إيمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه وقوله: ﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الشعراء: ١١٥]) المانع عنه أي عن الإيمان أي بحسب الظاهر وإلا فالمانع عنه ادعاء بطلان ما يدعوه إلى كما عرفته المانع عنه مفعول ثانٍ لجعلوا فالأولى مانعاً عنه.

قوله تعالى: **إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ** ﴿١١٥﴾

قوله: (كالعلة له) بل العلة له لكن لعدم كونه في صورة العلة قال كالعلة.

قوله: (أي ما أنا إلا رجل مبعوث لإنذار المكلفين عن الكفر والمعاصي سواء كانوا أعماء أو أذلاء فكيف يلقى بي طرد الفقراء لاستتباع الأغنياء) أي ما أنا إلا رجل أتخ أي أنا مقصور على ذلك فالقصر إضافي بالنسبة إلى الطرد قوله فكيف يلقى الخ هذا مؤيد لما قلنا من أنه العلة له.

قوله: (أو ما على إلا إنذاركم إنذاراً بيناً بالبرهان الواضح فلا على أن اطردهم

قوله: كالعلة له أي قوله عز من قائل: ﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الشعراء: ١١٥] جملة استئنافية وأردت على وجه التعليل لمضمون الجملة السابقة التي هي ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي لست أنا طارد المؤمنين لضعفهم ورفالتهم لأن شأني والمقصود من بعثي مقصور على إنذار الجميع من غير تفرقة بين الأعماء والأذلاء وطرد البعض لردائته لكي تؤمنوا أشم بتا في ذلك أو لأن شأني والمقصود من رسالتي مقصور على إنذاركم لا يتجاوز إلى إرضائكم وتطليب خواطركم بطرد الأذلين منكم وطردهم لأجل حصول رضاكم خارج عن المقصود بالبعث والإرسال والفرق بين هذين الوجهين ظاهر فإن معنى القصر في الوجه الأول أنني بعثت لإنذار الجميع لا لإنذار البعض وطرد البعض الآخر لإيمان ذلك البعض وفي الوجه الثاني أنني بعثت لإنذاركم لا لإرضائكم بطرد الأذلكم.

قوله: (وهو تكذيب الحق لا تخويفهم له واستخفافهم عليه) فيكون الدعاء عليهم لأجل استخفاف الحق لا لغرض نفساني وهو كون الدعاء لأجل تخويفهم له عليه فلا إشكال بأنه ليس فيه فائدة الخبر ولا لازمها لما عرفت من أن المراد به ليس إفادة الخبر ولا لازمها بل إنشاء يراه به إظهار ما يدعوا عليهم لأجله.

قوله تعالى: **فَأَفْتَحَ بَنِي إِسْرَءِيلَ فَتْحًا وَيَجْنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴿١١٨﴾

قوله: (فاحكم بني وبينهم من الفتاحة) وهي الحكومة لا من الفتح والفتاح الحاكم لأنه يفتح المستغلق فالفتاحة مأخوذ من الفتح لتحقيق معناه فيها^(١) بالجملة والمراد من هذا الحكم إنزال العقوبة عليهم لأنه قال عقبيه ونجني ومن معي وهذا الدعاء عليهم بعد اليأس عن فلاحهم.

قوله: (من قصدهم أو شؤم عملهم) من قصدهم أي من قصد القوم المكذبين إيانا بالسوء قدمه لأنه هو المناسب لقولهم: ﴿لئن لم تنته يا نوح﴾ [الشعراء: ١١٦] الخ قوله أو شؤم عملهم وهو العذاب النازل بكفرهم ومعاصيهم وهذا هو الملاثم لقوله:

قوله تعالى: **فَأَجْنَيْنَهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَكَ الْمَشْحُونِ** ﴿١١٩﴾

قوله: ﴿فأنجيناه ومن معه﴾ [الشعراء: ١١٩] وهذا الإنجاء فيه نجاة من قصدهم أيضاً فلا يقال إن الأول لا يناسب قوله تعالى: ﴿فأنجيناه﴾ [الشعراء: ١١٩].

قوله: (المملوء) والفلك يستعمل مفرداً كما هنا فيكون ضمته كضمة قفل مفرد وقد يستعمل جمعاً فيكون ضمته كضمة أسد جمع أسد والفرق بين المفرد والجمع بالتقدير كون الفلك مشحوناً^(٢) قد مر بيانه في سورة هود.

قوله تعالى: **ثُمَّ أَفْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ** ﴿١٢٠﴾

قوله: ﴿ثم أفرقنا بعد﴾ [الشعراء: ١٢٠] إنجائه كلمة ثم للنفاتوت الربني لا للتراخي في الزمان ولذا قال بعد أي بعد إنجائه.

قوله: (من قومه) أي من قوم نوح وهم المكذبون فلا ينافيه هلاك من في الأرض جميعاً وتخصيص قومه بالذكر لأن الكلام فيهم وهم الباعثون لتزول هذا العذاب.

قوله: من الفتاحة والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لأنه يفتح المستغلق كما سمي فيصلاً لأنه يفصل بين الخصومات.

(١) حيث قيل لأنه يفتح المستغلق.

(٢) المشحون من الإنسان وسائر الحيوان كما مر تفصيله في سورة هود.

قوله تعالى: **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾**

قوله: (شاعت وثواترت) هذا تفنن^(١) في البيان وهو من شعب البلاغة لدى أرباب البيان.

قوله تعالى: كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾

قوله: (انته باعتبار القبيلة وهو في الأصل اسم أبيه) أي إنه في الأصل اسم لرجل وهو جد هم سمي القبيلة باسم أبيهم الأكبر وهم المراد هنا وعن هذا انت الفعل المستند إليها.

قوله تعالى: إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا مِمَّا أَمَرْتُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرٍ إِنِّي أَنبَأُكُمْ عَلَىٰ رُبِّ الْمَلَكِينَ ﴿١٢٦﴾

قوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ﴾ لأنه كان منهم وهو بيان لأخوهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا أخا العرب فإنه هود بن عبد الله بن رياح بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ بن ارفحشد بن سام ابن عم أبي عاد كذا قاله المص في سورة الأعراف.

قوله: (تصدير القصص بها دلالة) أي القصص الخمس بها أي بجملة ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ إلى ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ دلالة مرفوع خبر تصدير بمعناها اللغوي وهو الإرشاد مصدر دللت فلاناً على كذا إذا أرشدته إليه وهذا مراد من قال أي دليل أي إرشاد كما قال ابن الحاجب الدليل لغة الإرشاد وما به الإرشاد الخ قبل وذكر هذا الكلام هنا دون القصة الأولى منها أو الأخيرة لأن هذه القصة أول موضع تكرر فيه هذه الكلمة فاحتيج إلى التنبيه عليه.

قوله: (على أن البعثة مقصورة على الدعاء إلى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو إلى ثوابه ويبعده عن عقابه) لأن هؤلاء الأنبياء لم يرتبوا على رسالتهم إلا الأمر بالتقوى حيث قال كل واحد ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ فإذا كان الأمر كذلك ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ وبه يعلم أن البعثة مطلقاً مقصورة على المذكور إذ لا قائل بالفصل بين رسالة

قوله: (تصدير القصص بهذه الأقوال الثلاثة وهي قولهم ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ وقولهم: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٢٧] وقولهم: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُكُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٩] دلالة على أن بعثة الأنبياء مقصورة على دعوة الخلق إلى معرفة الحق وطاعتهم فيما يقرب المدعو إلى ثوابه أي وطاعتهم في عمل يقرهم ذلك العمل إلى ثوابه أي إلى ثواب ذلك العمل ويبعده عن عقابه.

(١) حيث قال أولاً لدليلاً أو لدلالة وثانياً أي حجة في تفسير الآية وهنا قال شاعت الخ.

ورسالة في هذا المعنى وإن كان فرق بغير ذلك^(١) فلا إشكال بأن بعثة الأنبياء المخصوصين كونها مقصورة على ذلك لا يلزم منه كون مطلق البعثة مقصورة على ذلك ثم التقوى الاجتناب عن كل ما يؤثم فينتضمن معرفة الله تعالى وجميع الطاعات فإن التقوى وإن كانت عبارة عن ترك الكبائر والصغائر أو عن ترك الكبائر فقط لكن الموجودات كإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم داخله في التقوى لأن تركها معصية وتركها من التقوى كما أن ترك شرب الخمر تقوى فيكون الوجوديات بهذا الاعتبار من التقوى ولذلك تراهم يعدون الوجوديات كالسرم والصلاة من التقوى تارة ويكتفون بالتروك والعهديات كترك الزنا وشرب الخمر في بيان التقوى تارة أخرى والمص اختار عمومها بالوجوديات والعهديات.

قوله: (وكان الأنبياء متفقين على ذلك وإن اختلفوا في بعض التفاريع) على ذلك أي على المذكور من السورة إلى معرفة الحق الخ وفي نسخة وإن الأنبياء متفقون فحيثلي يكون معطوفة على أن البعثة مقصورة الخ واتفاق هؤلاء المذكورين من الأنبياء مستلزم لاتفاق جميع الأنبياء عليهم السلام إما مر من أنه لا فرق بين رسالة ورسالة.

قوله: (مبرؤون من المطامع الدنية والأغراض الدنيوية) معطوف على قوله متفقان وناظر إلى قوله: ﴿وما أسألكم عليه من أجر﴾ [الشعراء: ١٢٧] الآية عن المطامع الدنية أي الخسيسة الحفيرة.



قوله تعالى: أَتَبْشُرُونَ بِخَيْبٍ رَّيْعٍ مَّآيَةٍ تَبْشُرُونَ

قوله: (بكل مكان مرتفع ومنه ربيع الأرض لارتفاعها) أي لما ارتفع منها وأما الربيع بمعنى النماء الحاصل فاستعارة قيل ومنه الربيع في الطعام وهو ارتفاعه بالزيادة والنماء وهو أظهر مما ذكره المص لأن ربيع الأرض مكان^(٢) مرتفع منها فلا يظهر وجه قوله ومنه ربيع الأرض إلا أن يراد به النماء الحاصل وإن كان مجازاً ولا يراد به ما ارتفع من الأرض.

قوله: (أي علماً للمعارة) أي للقاظة المعارة ليعرفوا بذلك غنائهم أو ليعلم بذلك الطرق قوله ببنائها في تفسير تبشرون يؤيد الثاني ولذا قال إذا كانوا يهتدون بالنجوم الخ النجوم

قوله: وأن الأنبياء متفقون على ذلك عطف على أن البعثة أي ودلالة على أن الأنبياء متفقون جميعاً على ذلك أي على الدعاء إلى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو إلى ثوابه ويبعد عنه عقابه وهو أصل مقصودهم وإن كانوا اختلفوا في بعض تفاريع هذا الأصل.

قوله: مبرؤون خير ثان لأن في وأن الأنبياء معصومون ومعنى التبري عن المطامع الدنية مستفاد من نفي طلب الأجر في قوله: ﴿وما أسألكم عليه من أجر﴾ [الشعراء: ١٠٩] لأن معناه من أجر دنيوي دني.

(١) كالبعثة بشرع جديد وكتاب رباني والبعثة إلى قوم مخصوص وإلى كافة الناس.

(٢) والمراد بكل مكان كل مكان يتصرفون فيه.

شاملة للشمس فلا إشكال^(١) بأن النهار لا نجوم فيه وعروض الغيم لها نادر لا سيما في ديار العرب ألا يرى قوله تعالى: ﴿وبالنجم هم يهتدون﴾ [النحل: ١٦] فمثل هذه المناقشة واهية جداً.

قوله: (بينائها إذ كانوا يهتدون بالنجوم في أسفارهم فلا يحتاجون إليها أو بروج الحمام) عطف على -لما سنا تفسير المجاهد ليسكن الحمام فيها ولا ريب في عبيثها.

قوله: (أو بنياناً يجسمون إليها للعبث بمن يمر عليهم أو قصوراً يفتخرون بها) للعبث أي للعب بمن يمر عليهم قوله أو قصوراً يفتخرون بها ولا شك في كونها عبثاً وعلى كل وجه لا يناسب حمل الاستفهام على التقرير بل للإنكار الواقعي وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية وكذا وتتخذون مدخول الهمزة والإنكار متوجه إليه.

قوله تعالى: ﴿تَتَخَلَّدُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾

قوله: (تأخذ الماء وقيل قصوراً مشيدة وحصوناً) مأخذ الماء وهي مجاريه كذا قيل فالصواب وهي أجامع الماء كالحياض وقيل قصوراً الخ هذا على تقدير كون آية غير قصور وإنما مرصده لأن المصانع في هذا المعنى غير مشتهر مع كونها مجازاً.

قوله: (لعلكم تخلدون) [الشعراء: ١٢٩] فتحكمون بنيانها) لعلكم تخلدون حال كونكم راجعين الخلود في الدنيا إذ هذا العمل إنسا هو لمن يرجو البقاء قال تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّ مَالَهُمْ أَخْلَدَهُ﴾ [الهمزة: ٣] فالكلام محمول على التشبيه^(٢) وإلا فلا يظن أحد الخلود لكن معاملته يشبه^(٣) بمعاملة من يرجو الخلود ولا يظن الموت (يسوط أو سيف).

قوله تعالى: ﴿وَلِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَابِينَ﴾

قوله: (متسلطين غاشمين بلا رافة ولا قصد تأديب ونظر في العاقبة) متسلطين غاشمين معناه بلا رافة كما فسره وفيه إشارة إلى أن الجزاء لكونه مقيداً بغير الشرط فلا حاجة إلى التأويل بالإرادة كما جنتح إليه أبو حيان إذ البطش بلا رافة مغاير للبطش المطلق

قوله: إذ كانوا يهتدون بالنجوم لتعليل المعنى العبث في بنائهم ذلك يعني إن كان مرادهم بنيان تلك العلامات للاعتناء إلى الطريق في أسفارهم فالتنجم مغنية عنها وهم مستغنون بعلامة التنجم عن تلك العلامات فيكون بناؤها عبثاً قال صاحب الانتصاف وليس بعيب لأن الحاجة قد تدعو إليه لغيم مطبق أو غيره قال الإمام البناء المرتفع إنما كان مذموماً لدلالته على السرف والخيلاء واتخاذ القصور لدلالته على الأمل الطويل والغفلة عن أن الدنيا دار ممر لا دار مقر.

قوله: غاشمين أي ظالمين يقال الحرب غشوم لأنها تنال غير الجاني.

(١) وهذا الأخير هو الملازم لكلام المص.

(٢) فالمعنى لعلكم تخلدون حال كونكم في صورة راجعين الخلود وغير ظانين الموت.

(٣) والمعنى به مفروض مقرر لا محقق.

والقول بأن المطلق ليس سبباً للمقيد فلا بد من التأويل بالإرادة ضعيف إذ المقيد موقوف على المطلق^(١) فهو سبب له ولو ناقصاً لأن الشخص ما لم يقدر المطلق لم يقدر المقيد فالمعنى وإذا فعلتم هذا الفعل فعلتم على وجه أتم وفي مثل هذا الموضع الإشكال باتحاد الشرط والجزاء ودفعه بما ذكرناه لا بعدم سببية الشرط للجزاء ألا يرى أن شراح الحديث دفع إشكال الاتحاد في قوله عليه السلام فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله بأن المراد فهجرته مقبولة كاملة فجعلوا مطلق الهجرة إلى الله ورسوله سبباً للهجرة المقيدة لكونها سبباً في الجملة.

قوله تعالى: **فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا** ﴿١٣٢﴾

قوله: (بترك هذه الأشياء) قيده بها لبيان ارتباطه بها قبله وإلا فالمعنى ﴿فاتقوا الله﴾ [الفرقان: ١١٠] بترك جميع المنكرات وإتيان جميع المأمورات إلا أن يقال إن العموم لكونه مستفاداً من قوله وأطيعون خص الأشياء المذكورة بالذكر.

قوله: (فيما ادعوكم إليه فإنه أنفع لكم) من قبيل الصيف أحر من الشتاء أو بمعنى أصل الفعل.

قوله تعالى: **وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَدْعُونَ بِمَا تَعْلَمُونَ** ﴿١٣٣﴾

قوله: (كرره مرتباً على إمداد الله إياهم بما يعرفونه من أنواع النعم) كرره أي بحسب الظاهر وإلا فبالنظر إلى ما ذكره من قوله مرتباً عليه الخ لا تكرار.

قوله: (تعليلاً) فإن نسبة أمر إلى المشتق يفيد عليه مأخذ الاشتقاق لكن ليست علة مستقلة إذ خلقه تعالى يقتضي الانتفاء عنه وسائر إنعاماته لم تذكر هنا ثم المراد بالعلة العلة الحصولية لا التحصيلية.

قوله: (وتنبيهاً على الوعد عليه بدوام الإمداد والوعيد على تركه بالانقطاع) وتنبيهاً على الوعد عليه أي على الانتفاء لأن التقوى^(٢) لما عللت بالإمداد يفهم منه أن بالتقوى يدوم الإمداد

قوله: كرره أي كرر هود الأمر بالانتفاء مرتباً على إمداد الله تعالى إياهم ما يعرفونه من أنواع النعم تعليلاً أي تعليلاً للأمر بالانتفاء أو تعليلاً بانتقائهم فالمعنى أن الله تعالى كما قدر أن يتفضل عليكم بهذه النعمة وهي نعمة الإمداد بما يعملون من صنوف النعم فهو قادر على الثواب والعقاب فاتقوه أو أنه تعالى كما قدر على أن ينعم تلك النعم عليكم فهو قادر على نزعها من أيديكم إن لم تشكروها فاتقوا ترك شكر منعمها لئلا يكون ترك الشكر مسلية لتلك النعم ونحوه في ضم وصف القهارية مع وصف الرحمانية قوله تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد﴾ [آل عمران: ٣٠].

(١) كيف لا والشروع في المقيد المخصوص مسبوق بالمطلق فيكون سبباً مؤدياً إليه.

(٢) وأيضاً انتفاء المعلول مستلزم لانتهاء العلة التامة كما أن وجوده مستلزم لوجودها.

وإلى هذا أشار المحشي بقوله إذ التكرير يبط به الفيد فلا جرم أن انقطاع الإمداد بانقطاع التقوى إذ التقوى شكر له وقد قال تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم﴾ [إبراهيم: ٧] الآية وفي نسخة أو تنبهاً بدل الواو لكن الأولى هو الأول لأن كلاهما يجتمعان في العلية.

قوله تعالى: أَمَذَّرُ بِأَنفَعِهِ وَيَبِيْءَ ﴿١٣٣﴾ وَخَسَنَتْ وَعُبُوْنِ ﴿١٣٤﴾ إِنْ أَحَافَ عَلَيْكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيْمٍ ﴿١٣٥﴾

قوله: (ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض مساوئهم المدلول عليها إجمالاً بالإنكار في ﴿ألا تتقون﴾ مبالغة في الإيقاظ والحث على التقوى فقال: ﴿أمذكهم﴾ [الشعراء: ١٣٢] الآية ثم فصل الخ ثم للتراخي الرتبة لا للزمانى لاتصاله به قوله تلك النعم إشارة إلى أن النعم التي أمدها كثيرة نوعاً فضلاً عن أفراد وما ذكر هنا نبذ منها فالمراد ببعض تلك النعم بعض أنواعها فقال: ﴿أمذكهم بأنعام﴾ [الشعراء: ١٣٣] الآية وهذا بناء على أن أمذكهم تفسير له أو بدل منه كون الجملة بدلاً راجح وإن أنكرها البعض قدم الأنعام لأن حفظ البنين يكون بها وآخر جنات وعيون لأن البساتين ليس في مثابة الانعام في حفظ القوام وعيون قد يستغنى عنها بسائر المياه مع مراعاة الفاصلة (ثم أوعدهم) إن بقوا على الكفر وعدم التقوى عنه ولم يشكروا على نعمائه المذكورة وغيرها.

قوله: (فقال) عطف المفصل على المجمع.

قوله: ﴿إني أخاف﴾ [الشعراء: ١٣٥] الآية أكده مبالغة في وقوعه قال أخاف ولم يجزم مع أنه مجزوم على تقدير بقائهم على الكفر إما للتعميم إلى العذاب في الدنيا وهو غير مقطوع به أو لأنه أدخل في النصيح وأبعد عن المجادلة والمناقشة.

قوله: (في الدنيا والآخرة فإنه كما قدر على الانعام قدر على الانتقام) فإنه كما قدر على الانعام أشار به إلى أن المراد بالنعم في قوله بعض تلك النعم بمعنى الانعام فإنها قد يطلق عليه إذ الإمداد فعل الله وهو الانعام والنعمة إتمام وبنون وغيرها ولك أن تقول مراده فيما سبق الانعام ونظيرها إذ هي المفصل والانعام هو إمداد الله وهو المراد هنا.

قوله تعالى: قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِيْنَ ﴿١٣٦﴾

قوله: (فإننا لا نرعوى عما نحن عليه) أي لا تكف ولا تنتهي قابلوا الحسنة بالسيئة لانهم اكهم في التقليد وعدم لفتهم إلى التحقيق.

قوله: (وتغيير شق النبي عما تقتضيه المقابلة للمبالغة في قلة اعتدادهم بوعظه) وتغيير شق النبي حيث لم يجىء أم لم تعظ مع أن الظاهر^(١) في المقابلة للمبالغة في قلة الخ

قوله: وتغيير شقي النبي عما يقتضيه المقابلة أي تغيير طرف النبي عما يقتضيه حكم المقابلة

(١) مثل قوله تعالى: ﴿الظلمات لم لم تظلمهم﴾ [البقرة: ٦].

والمبالغة من حيث إنهم نفوا عنه كونه من عداد الواعظين وجنسهم فكانهم قالوا استوى عندنا وعظك بعدم عدك من هذا القبيل أصلاً وعدم كونه من قبيل الواعظين أبلغ من عدم كونه واعظاً لأن الأول يفيد عدم كونه من هذا الجنس بالفعل ولا بالقوة بخلاف الثاني والاستمرار المستفاد من كان يعتبر بعد النفي فيفيد استمرار النفي ودوامه لا نفي الدوام واستمراره أو لرعاية^(١) الفاصلة سواء بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر خبر مقدم أو عطف الخ مبتدأ تقديره مستو وعظك وعدمه علينا والهمزة وأم المتصلة جرّدتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء وتقرير معنى سواء وتأكيده وقد مر التفصيل في قوله تعالى: ﴿سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرتهم﴾ [البقرة: ٦].



قوله تعالى: **إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ**

قوله: (ما هذا الذي جئنا به إلا كذب الأولين أو ما خلقنا هذا إلا خلقهم نحى ونموت مثلهم ولا بعث ولا حساب) ما هذا الخ أشار إلى أن إن بمعنى النفي بقرينة إلا أوردوا الكلام بطريق الحصر بالمغة في الإنكار وتعصباً في العناد والاستكبار إلا كذب الأولين هذا على قراءة خلق الأولين بفتح الحاء وسكون اللام من الاختلاق أي الكذب وإضافته إلى الأولين لكونه من مخترعاتهم على زعمهم والمراد بما جئنا به البعث

وهو أن يقال أم لم تعظ ليكون المضي هنا هو الميثب في المقابل الآخر وهو أوعظت فكان مقتضى الظاهر أوعظت أم لم تعظ لكن غير طرف النفي من مقتضى الظاهر إلى أم لم تكن من الواعظين قد ورد في الخبر على كونه من أهل الوعظ وزمرة الواعظين لا على فعل الوعظ للمبالغة في قلة اعتدادهم بوعظه فالمعنى سواء علينا افعلت هذا الوعظ أم لم تكن أصلاً من أهل الوعظ فهو أبلغ في قلة اعتدادهم بوعظه أم لم تعظ وجه أبلغيته منه أنه ادل على شدة امتناعهم عن قبول وعظه حيث سورا بين تكلمه بالوعظ وبين عدم صلاحيته له أي كما أنا لا ننعظ بوعظك ولا نتأثر به حين كونك غير أهل للوعظ كذلك لا ننعظ ولا نتأثر به إن وعظت بخلاف أوعظت أم لم تعظ لأن التسوية بين الوعظ وتركه في عدم التأثير ليست في تلك المثابة من الدلالة على شدة الامتناع والاعراض إذ يمكن الانتعاض بفعل الواعظ وإن لم يعظ قولاً إذا كان صالحاً للوعظ أهلاً له ولذا قيل الواعظ بالفعل نافذ سهامه والواعظ بالقول ضائع كلامه فكيف إذا كان أهلاً للوعظ قولاً وفعلًا.

قوله: (ما هذا الذي جئنا به إلا كذب الأولين هذا على قراءة الفتح من خلق بمعنى اختلق أي افترى والافتراء كذب فعلى هذا التفسير يكون المشار إليه لهذا ما جاء به نوح من أحكام الشرع وقوله: أو ما خلقنا إلا خلقهم هو على قراءة الفتح أيضاً لكن الخلق هنا من خلق بمعنى قدر وأوجد والمشار إليه هو الخلق بمعنى اليجاد أيضاً قوله في جوفه شعاريخ جمع شعراخ بالقسر وهو ما بالكسر الكياسة وهي في الثمر بمنزلة العنقود في العنب والشعاريخ جمع شعراخ بالكسر وهو ما عليه اليسر من عيدان الكياسة.

والحساب بقرينة قولهم ﴿وما نحن بمعتدين﴾ أو الخلق بمعنى الإيجاد لا بمعنى الكذب فحينئذٍ المشار إليه بقولهم إن هذا الخلق ولذا قال ما خلقنا إلا خلقهم أي إلا مثل خلقهم ففي الكلام مبالغة قوله نحيا ونموت وجه الشبه ولذا قال مثلهم قوله ولا بعث ولا حساب مأل قولهم ﴿وما نحن بمبعوثين﴾ وحاصل كلامهم إنكار العذاب المشار إليه بقوله: ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ [الشعراء: ١٣٥] ورد له.

قوله: (وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة خلق بضمين أي ما هذا الذي جئت به إلا عادة الأولين كانوا يلقفون مثله) أي ما هذا الذي الخ حمل الخلق على العادة لاستلزامها قوله كانوا أي قوم قبل هود عليه السلام يلقفون أي يخترعون مثله مثل هود عليه السلام وعكسوا التشبيه فالظاهر كان يلقف مثلهم وحاصله إنكار البعث أيضاً وهذا مثل الوجه الأول في القراءة الأولى.

قوله: (أو ما هذا الذي نحن عليه من الدين إلا خلق الأولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون أو ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت إلا عادة قديمة لم يزل الناس عليها) أو ما هذا الذي نحن عليه من الدين الخ فحينئذٍ المشار إليه ما كانوا عليه وفي الأول الذي جاء به وكثرة الوجوه في القراءتين كثرة احتمال المشار إليه بمعونة المقام قوله لم يزل الناس عليها فحينئذٍ لا بعث ولا عذاب كما لا حساب ولا ثواب وهذه الوجوه الخمسة كلها بناء على إنكار البعث وإن تغايرت مفهوماً فتأمل في تقديم الوجوه ومناسبتها المقام.

قوله تعالى: وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾

قوله: (على ما نحن عليه) من الشرك والمعاصي منتظم على الوجوه كلها وهذه الجملة تذييلية مقررة لمضمون ما قبلها.

قوله تعالى: فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾

قوله: (فكذبوه فأهلكناهم بسبب التكذيب بريح صرصر) بسبب الخ أي الغاء للسببية داخلية على المسبب بريح صرصر أي شديد الصوت من الصر بفتح الصاد شدة الصوت أو شديدة البرد من الصر بكسر الصاد شدة البرد وقد مر التفصيل في سورة هود وسيجيء في سورة الحاقة.

قوله تعالى: وَإِنَّ رَبَّكَ لَكَوَافِرُ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْقَوْمَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُنْكِرُونَ فِي مَا هُنَّآ مَا مِيتَ ﴿١٤٦﴾

قوله: (إنكار لأن يتركوا كذلك أو تذكير بالنعمة في تخليط الله تعالى إياهم وأسباب تنعمهم أمتين) إنكار لأن يتركوا كذلك أي إنكار للوقوع وإبطال له أو تذكير بالنعمة الخ

فيكون الاستفهام للتقرير أي للتحقيق والتثبيت أي قد تركتم في تلك النعمة بإنعام الله تعالى طول الحياة وتسهيل أسباب المعاش.

قوله تعالى: **فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ وَزُرُوعٍ وَنَحْلٍ ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ**

قوله: (ثم فسر بقوله: ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر: ٤٥] الآية ثم فسر أي فسر قوله فيما هنا وما موصولة أي في الذي استقر في هذا المكان كون في جنان الخ تفسيراً له على أنه بدل^(١) منه.

قوله: (لذَوَاتٍ لِّينٍ لِلطَّلَفِ التَّمَرِ) لطيف وهذا معنى مجازي للهضيم لأن أصله الانحطاط أو الشن ثم تجوز به عن الرقة واللفظ واللين إذ في الرقة انحطاط من الغلظة قوله للطف التمر فيكون الطلع مجازاً عن التمر باعتبار الأول أو وصف له للطف تمره فيكون المجاز في النسبة وهذا هو الملائم لقوله للطف التمر.

قوله: (أو لأن النخل انثى فطلع إناث النخل هو ألطف ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ^(٢) انثى) أو لأن النخل انثى أي ولأن المراد بالنخل هنا الأنثى منها لا مطلقاً لأنها المثمرة^(٣) وهي المناسب لكون المقام مقام تعداد النعم ولما كان المراد الأنثى وطلع إناث النخل هو ألطف ما يطلع أي يظهر منها أي من جنس النخل فيكون وصف الطلع بالهضيم حقيقة كما أن المراد بالطلع معناه الحقيقي بخلاف الوجه الأول فإن فيه مجازاً في الكلمة على تقدير أو مجازاً في النسبة على تقدير آخر فلا جرم أن هذا الاحتمال هو الراجح وهو المذكور في الكشاف قوله كنصل السيف وصف له بتقدير طلوعاً أي طلوعاً يشبه له في الهيئة والصورة القنن من التمر كالعنقود من العنب وكل غصن من أغصان وهو الذي عليه البسر كشماريخ وجمعه شماريخ.

قوله: (أو مثلك تكسر من كثرة الحمل) أو متدل عطف على لطيف وتفسير آخر للهضيم والتكسر إما على ظاهره أو مجاز عن قرب الانكسار بسبب التدلي قوله من كثر الحمل بكسر الحاء وهو الثمار.

قوله: (وإفراد النخل لفضله على سائر أشجار الجنات) شروع في بيان وجه ذكر النخل بعد الجنات المتناولة لها لفضله على سائر الأشجار وبهذا الفضل كأنها ليست منها فأفرد ذكرها. قوله: (أو لأن المراد بها غيرها من الأشجار) بناء على أن العام إذا قوبل بالخاص

قوله: والمراد النخل لفضله يعني كان ذكر الجنات يغني عن ذكر النخل لاشتغالها عليه لكن أفرد النخل بالذكر لشرفه وفضله على الأشجار.

قوله: أو لأن المراد بها غيرها أي وإفراد النخل بالذكر لأن المراد بالجنات غير النخل من

(١) أي المراد بالتفسير ليس بالمعنى المصطلح بل بالمعنى اللغوي وهو الإيضاح وكشف المراد.

(٢) أشار بهذا إلى أن المراد بالانثى ما هو المثمرة ثمرأً لطيفاً.

يراد به ما وراء الخاص وفي مثل هذا المشهور هو الوجه الأول كمعطف جبريل على الملائكة ذكر ضمير النخل هنا لأنه يجوز تذكيره كقوله تعالى: ﴿نخل منقعر﴾ [القمر: ٢٠] وتأنيثه مثل قوله تعالى: ﴿نخل خاوية﴾ [الحاقة: ٧] وسره التذكير للحمل على اللفظ والتأنيث للحمل على المعنى.

قوله تعالى: وَتَنحَنُّونَ مِنْ أَلْيَالٍ يُؤْتِيهَا قُرُونٌ ﴿١٤٩﴾

قوله: (وتنحنون)^(١) وتنقبون.

قوله: (بطرين أو حاذقين من الفراهة وهي النشاط فإن الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو فرهين وهو أبلغ) بطرين البطر الشره والحرص وعدم القناعة قوله أو حاذقين آخره إذ الأول يناسب مقام الذم وإنما تعرضه إذ الحمل على المعنى الآخر غير المعنى الذي في سورة الحجر صحيح لتكثير الاحتمالات والتأسيس أولى من التأكيد لكن لمناسبة المعنى الأول للمقام يزاحم الأولوية فبقي صحة اعتباره قوله من الفراهة وهي النشاط ظاهر كلامه أن حقيقته النشاط واستعماله في الحذافة مجاز قيل وهو كذلك كما في نهاية ابن الأثير ولا يتناقض تفسيره به في بعض كتب اللغة لأنهم لا يفرقون بين الحقيقة والمجاز الواردين عن العرب انتهى وفيه نوع خدشة إذ معنى اللفظ إنما يعرف ببيان كتب اللغة فإذا جوز ذلك يقع الالتباس إلا أن يقال هذا إذا كان قرينة على ذلك وإلا فما ثبت في كتبهم يجب الحمل على أنه معنى موضوع له ولذا قال الفاضل المحشي وهو خلاف ما في كتب اللغة لدلالته على كونه حقيقة لغوية فالأولى حمل كلام المص على أنه حقيقة وبيانه توضيح تحقق النشاط في الحاذق والحمل على المجاز وإن كان ظاهراً فلمحافظة ما في كتب اللغة فالحمل على الحقيقة أولى قوله فرهين وهو أبلغ من المبالغة لدلالته على الثبوت دون فارهين.

الأشجار لأن لفظ الجنات مطلق يصلح للكل والبعض قرينة إرادة البعض عطف ونخل عليه فأفرد النخل بالذكر لعدم تناول الجنات له ذكر ضمير النخل في قوله لفصله وائته في قوله غيرها لأن النخل مما يذكر ويؤث قوله أو من ذي السحر بضم السين وفتحها وسكون الحاء الراء.

قوله: بضرب وعقر من عقره أي جرحه . فهو عقير أي جريح .

قوله: وهو أبلغ من تعظيم العذاب أي وصف اليوم بالمعظم لمعظم ما فيه من العذاب أبلغ من وصف نفس العذاب به أي قوله عز من قائل: ﴿فياخذكم عذاب يوم عظيم﴾ [الشعراء: ١٥٦] أبلغ أي ادخل في المبالغة من أن يقال فياخذكم عذاب يوم عظيم أبلغ أي ادخل في المبالغة من أن يقال فياخذكم عذاب عظيم وجه ابلغيته منه أن عظم العذاب كأنه سرى إلى زمانه فيكون مثل نهاره صائم فإن الوقت إذا عظم بسببه كان موقعه من العظم أشد فهو من باب الكناية.

(١) عطف على أتركون والهمزة معتبرة فيه إن كان للتقرير وإن حملت على الإنكار فالظاهر أنه عطف على مجموع أتركون فالاستفهام لا ينصب على تنحنون وقيل الإنكار متوجه إليه لكن هذا لا يلائم السوق.

قوله تعالى: فَأَنفِقُوا أَنَّهُ وَاطِعُونَ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٥١﴾

قوله: (استعبرت الطاعة التي هي انقياد الأمر لامثال الأمر) استعير الطاعة التي بمعنى الإطاعة لا بمعنى الخير نفسه قوله التي هي انقياد الأمر الخ قرينة عليه هذا جواب عما يقال إن الإطاعة تكون للأمر لا للأمر فأجاب بأن الإطاعة استعبرت للامثال فيكون مجازاً في الكلمة بطريق الاستعارة التبعية شبه امثال الأمر بطاعة الأمر في كونه سبباً لتحصيل مرضات الله تعالى ثم أطلقت عليه فاشتق منه وكونه مجازاً مرسلاً بعلاقة اللزوم إذ امثال الأمر يلزمه إطاعة الأمر وبالعكس ضعيف إذ المبالغة في الاستعارة أتم واتفاقي وأما جعله استعارة بالكناية بتشبيه الأمر بالأمر قوله: ﴿وَلَا تُطِيعُوا﴾ [الشعراء: ١٥١] قرينة عليه فركبك إذ مشابهة الأمر بمعنى القول بالأمر غير واضح.

قوله: (أو نسب حكم الأمر إلى أمره مجازاً) أو نسب حكم الأمر وهو الإطاعة إلى أمره مجازاً لملازمة بينهما فيكون مجازاً في النسبة دون الكلمة وهذا بناء على أن الاعتبار بالاثبات وإلا فلم ينسب الإطاعة إلى الأمر بل نهى عنه وتفصيله في المطول^(١) في قوله تعالى: ﴿فَمَا رِيحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦].

قوله تعالى: الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾

قوله: (وصف موضح لإسرافهم ولذلك عطف ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [الشعراء: ١٥٢] على يفسدون دلالة على خلوص فسادهم) وصف موضح كاشف عن المراد بالإسراف وهو الإفساد ومثل هذا لا يسمى مخصصاً قوله دلالة على خلوص فسادهم وأما ما يرى فساداً ظاهراً لكن فيه نوع صلاح كقتل الخضر الغلام ونحوه فلا خلوص في فساد.

قوله تعالى: قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾

قوله: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٣] الذين سحروا كثيراً حتى غلب على عقولهم) قالوا استئناف مبين لشناعة حالهم وسوء مقابلتهم بتأصيحهم ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٣] فيه مبالغة الحصر واختيار إنما المفيد لمعلومية الحكم للمخاطب قولهم من المسحورين دون إنما أنت ساحر واختيار صيغة التفعيل التي تفيد التكثير ولذا قال الذين سحروا كثيراً منها على أن المراد تكثير الفعل لا الفاعل.

قوله: (أو من ذوي السحر وهو الرثة أي من الأناسي فيكون ما أنت) الآية فيكون صيغة المسحورين من صيغ النسب مع كونه اسم مفعول من المزيد وكلاهما ليس بشائع في صيغة النسبة ولذا أخره أي من الأناسي حاصل معناه لأن صاحب الرثة الحيوان فالمراد به هنا الإنسان من بين الحيوان^(٢).

(١) وفي المطول وجوابه أنه لو اعتبر الكلام مجرداً عن النفي وأدى بصورة الاثبات لكان إسناداً إلى ما هو له لأن النفي فرع الاثبات انتهى والنهي كالنفي.

(٢) لأن الجمع المذكور السالم يتناسب الأناسي.

قوله تعالى: **مَا أَنتَ إِلَّا نَسْرٌ يَتَّبَعُ فَأَنْتَ بِكَافٍ** ﴿١٥٤﴾

قوله: (تأكيداً له) للمبالغة في نفي الرسالة وأما على الأول فهي استئناف للتعليل أي أنت مسحور لأنك لست إلا بشراً مثلنا لا فضل لك علينا فدعوى الرسالة إنما هي لخلل في عقلك بسبب السحر ولذا اختير الفصل.

قوله: **﴿فَأَنْتَ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾** [الشعراء: ١٥٤] في دعواك) فأت بآية تدل على دعواك بزعمك فلا يلزم الاعتراف بإمكان رسالته بعدما ادعوا امتناعها لأن زعمهم أن الرسالة والبشرية متنافيتان فالأمر بالإتيان للتعجيز والفاء لترتب ما بعده على ما قبله على الوجه المحرر^(١) قولهم: **﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾** [الشعراء: ١٥٤] بناء على اعتقاد المخاطب وإلا فهم جازمون بعدم الصدق غير مترددين فصيغة الشك لما ذكرناه.

قوله تعالى: **قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لِّمَا شِئْتُمْ وَلَكِنْ رَجِعْ يَوْمَ يُنْفَخُ** ﴿١٥٥﴾

قوله: **﴿قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ﴾** قال صالح عليه السلام هذه ناقة.

قوله: (أي بعد ما أخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها) من الصخرة المنفردة في ناحية الجبل يقال لها الكائبة بدعاء الصالح عليه السلام بعد ما صلى كما اقترحوها وسألوها بالإنحاح حيث قال سيدهم جندع بن عمرو أخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة أي مشابهة الخلقة الجميل جوفاء أي عظيم البطن وبراء أي كثير الشعر فإن فعلت صدقناك إلى آخر القصة المبسطة في سورة الأعراف.

قوله: **﴿لَهَا شَرِبَ﴾** صفة ناقة وبهذه الصفة يفيد حمل ناقة على هذه.

قوله: **﴿نَصِيبٌ مِنَ الْمَاءِ كَالسَّقِيِّ وَالْقَيْتُ لِلْحِظِّ مِنَ السَّقِيِّ وَالْقَوْتُ وَقرئ بالضم﴾** كالسقي بكسر السين وسكون القاف وكذا القيت بكسر القاف وسكون الياء للحظ من السقي ناظر إلى الأول والقوت ناظر إلى الثاني.

قوله: **﴿فَاقْتَصِرُوا عَلَى شَرِبِكُمْ وَلَا تَزَاحِمُوا عَلَى شَرِبِهَا﴾** فاقْتَصِرُوا الخ مستفاد من تقديم لكم^(٢).

قوله تعالى: **وَلَا تَمْسُوهُا بِسُوءٍ فَإِنْ أَهْلَكَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴿١٥٦﴾

قوله: **﴿وَلَا تَمْسُوهُا بِسُوءٍ﴾** فيه مبالغة حيث نهى عن المس^(٣) والمراد النهي عن السوء.

(١) أي لما قال صالح إني رسول ولي معجزة امتاز بها عنكم قالوا في مقابلته فأت بآية هذا القول متعهم مما قبله أو مقدر قبله بالقرينة.

(٢) لكن الأولى فلا تزاحمكم هي فيه لأنه مقتضى الحصر وما ذكره حاصل المعنى وفي الأول فلا تزاحموا فيه.

(٣) هذا إذا أريد بالمس مقدمة الإصابة وإلا فلا مبالغة فيه.

قوله: (كضرب وعقر) ولذا نكر سوء.

قوله: (فياخذكم) منصوب على أنه جواب النهي والمعنى ولا يكن منكم من الناقة بسوء وأخذكم عذاب يوم ونهي الأخذ كناية عن نهى السوء بقصد.

قوله: (عظم اليوم لعظم ما يحل فيه) عظم فعل ماض من التعظيم أي نسب العظيم إلى اليوم مجازاً بملايسة الظرفية.

قوله: (وهو أبلغ من تعظيم العذاب) لأنه يفيد أن عظم العذاب بلغ مبلغاً لا يعرف كنهه حتى تجاوز إلى اليوم الذي وقع العذاب فيه.

قوله تعالى: **فَمَقْرُوهَا فَاصْبِرُوا نَارِهَا** ﴿١٥٧﴾

قوله: (أسند المقر إلى كلهم لأن عاقرها إنما عقر برضاهم ولذلك أخذوا جميعاً) لأن عاقرها وهو قذار بن سالف بن أحيمر ثمود إنما عقر برضائهم^(١) وإسناد الفعل الصادر من البعض إلى الجميع بشرط الرضاء وإليه أشار بقوله إنما عقر برضاهم لكن هذا ليس بكلي وقد أشار إلى ما ذكرنا المص في تفسير قوله تعالى: ﴿ويقول الإنسان أئذا مت﴾ [مريم: ٦٦] الآية من سورة الكهف وقد بين الفاضل السعدي بمثل ما ذكر مع التفصيل فيه.

قوله: ﴿فَاصْبِرُوا نَادِمِينَ﴾ أي فصاروا نادمين وقت الصبح والقيد بوقت الصباح إما لأن نزول العذاب كان أكثره نازلاً في وقت الصبح أو لأنه كذلك وقع فيه.

قوله: (على عقرها خوفاً من حلول العذاب لا توبة) عطف على خوفاً إنما لم يكن توبة

قوله: أسند الفعل إلى كلهم لأن عاقرها إنما عقر برضاهم ولا يظن أنه يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز لأنه مجاز صرف من باب إطلاق لفظ الجزء على الكل.

قوله: خوفاً من حلول العذاب لا توبة أو عند معاينة العذاب هذا جواب سؤال عسى يرد هنا بأن الندامة على الجريمة توبة فكيف أخذهم العذاب وهم قد ندموا فأجاب بأن ندمهم ذلك ليس على وجه التوبة بل إنما كان خوفاً من حلول العذاب العاجل على عقرهم الناقة أو ندموا على وجه التوبة لكن لم يتفهم لكون ندمهم في غير وقت التوبة حيث ندموا عند معاينة العذاب قال عز من قائل: ﴿وليس التوبة للذين يعملون السيئات﴾ [النساء: ١٨] الآية وفي الكشف لم يكن ندمهم ندم تائبين ولكن ندم خائفين أن يعاقبوا على العقر عقاباً عاجلاً كمن يرى في بعض الأمور رأياً فاسداً ويبني عليه ثم يتندم ويتحسر كندامة الكسبي ثم كلامه قال الميداني الكسبي رجل من كسفة واسمه محارب بن قيس أنه كان يرمي إبلاً له بهود معشب فاتخذ قوساً من ليفة قد كان رباها وخمسة أسهم ثم خرج حتى أتى موارد حمر فرمى عيراتها ثم أضر وأضر إلى خمس مرات ففرت

(١) وفي معناه أمرهم بذلك على ما رواه في الكشف قال الفاضل المحشي وقد دلت الرواية على رضاهم به لا على أمرهم وهذا وجه عدول المص إلى الرضاء على أن الرضاء بعم الرضاء مع الأمر أو الرضاء بلا أمرهم وعزتهم فلا غبار في كلامه طاب الله ثراه.

قوله لمقروها الفاء فصيحة أي شق عليهم ذلك فمقروها.

لأن التوبة ليست مجرد الندامة بل إذا كان مع العزم أن لا يعود وما ورد في الخبر من أن التوبة ندم فإشارة إلى الركن الأعظم كقوله عليه السلام الحج عرفة على أن الندامة على المعصية من حيث إنها معصية لا شيء آخر كندامة شرب خمر لصداق يستلزم العزم على عدم العود .

قوله : (أو عند معاينة العذاب ولذلك لم يتغهم) أو عند عطف على خوفاً أي صاروا نادمين عند معاينة العذاب وهذا وإن كان توبة^(١) لكن لم تنفعهم لفقد الامتثال ومناقشة بعض هذا مردود بقوله تعالى : ﴿وَقَالُوا يَا صَالِحُ اتِّنَّا بِمَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف : ٧٧] فإنه يدل على أن ندامتهم على ترك ولدها لا على عقربا لأن هذا القول بعد عقربا ضعيف جداً أما أولاً فلأنه من أين يعلم أن هذا القول بعد عقربا والواو لا يدل على الترتيب كما لا يدل على عدمه فإنه يجوز أن يكون المعنى اتتنا بما تعدنا من المعجزة أو يجوز أن يكون الواو حالية أي والحال أنهم طلبوها من صالح ووعده الإيمان به عند ظهور الناقة ومع مانع العقر وموجب الإيمان عند ظهورها عقر في غاية من الشناعة ومقتض لنزول العقوبة ولذهول هذا القائل عن هذه النكتة الأنيقة تطاول مد الأعناق واعترض على سيد الحذاق كما هو عادته في مد الساق وأما ثانياً فلأنه يجوز أن يندم بعض وهو المراد بقوله : ﴿فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾ [الشعراء : ١٥٧] ويقول ذلك بعض آخر وإسناد فعل البعض وقوله إلى الجميع شائع وأما ثالثاً فلأنه يجوز أن يندموا أولاً خوفاً من حلول العذاب ثم نكسوا على رؤوسهم فقالوا ما قالوا بعد ما عقرها وأما رابعاً فلأنه يجوز أن يقولوا ذلك حين لم يروا أمارات العذاب ويندموا إذا رأوها لأنه لا دليل على عموم^(٢) الأوقات كما لا دليل على عموم الأشخاص .



قوله تعالى : فَآخَذَهُمُ الْعَذَابُ فِي ذَلِكَ لَأَيُّكُمْ مُؤْمِنِينَ

قوله : (أي العذاب الموعود) أي اللام في العذاب للعهد أي الموعود بقوله : ﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء : ١٥٦] .

قوله : (في نفى الإيمان عن أكثرهم في هذا المعرض) هذا غير مختص بهذه القصة لكن عادة الشيعين بيان اللطائف في مواضع شتى من المعارف .

الحرر إلى الجبل فتبعها هو فجاء الليل فأورى نارا فظن أنه اخطأ في رمية ذلك ثم عمد إلى قوسه فغضب بها حجراً فكسرها فلما أصبح نظر إلى الحرر مطرحة حوله واسهمه بالدم ملطخة فندم على كسر القوس فشد على إبهامه فقطعها وأنشأ يقول :

ندمت ندامة لو أن نفسي تطاوعني إذن لقطعت خمسي

قوله : في نفى الإيمان في هذا المعرض إيماء بأنه لو آمن أكثرهم أو شطرهم لما أخذوا

(١) إشارة إلى أنه على الوجه الأول ليس بتوبة .

(٢) فإذا لم يكن دليل على عموم الأوقات فيصح الجواب الثالث والرابع وإذا لم يكن دليل على عموم الأشخاص فيحسن الجواب الثاني .

قوله: ﴿إِيْمَاءُ بَأَنَّهُ لَوْ آمَنَ أَكْثَرُهُمْ أَوْ شَطَرُهُمْ لَمَّا أَخَذُوا بِالْعَذَابِ وَإِنْ قَرِيبًا إِنَّمَا عَصَمُوا عَنْ مِثْلِهِ﴾ بَأَنَّهُ لَوْ آمَنَ الْخِ قِيلَ هَذَا بِنَاءٌ عَلَى أَنْ يَكُونَ تَعْلُقُ قَوْلُهُ ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٨] بقوله: ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ [الشعراء: ١٥٨] لَكِنِ الظَّاهِرُ أَنَّهُ مُتَعْلِقٌ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ﴾ [الشعراء: ١٥٨] كَمَا فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَصَفًا لَهُمْ بِقِسْوَةِ الْقَلْبِ انْتَهَى قَدْ اعْتَرَفَ هَذَا الْقَائِلُ بِأَنَّ هَذَا الْبَيَانَ لَا يَخْتَصُّ بِهَذِهِ الْقِصَّةِ وَهَذَا الْإِحْتِمَالُ جَارٍ فِي كُلِّ قِصَّةٍ ذَكَرَ فِيهَا ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ﴾ [الشعراء: ١٥٨] بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ [الشعراء: ١٥٨] الْخِ وَهَذَا الْوَجْهُ جَارٍ إِنْ تَعْلُقُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ﴾ [الشعراء: ١٥٨] لَوْ قَوَّعَهُ بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ [الشعراء: ١٥٨].

قوله: (ببركة من آمن منهم) أي في علم الله تعالى أنهم يؤمنون أو يولد منهم من آمن وقد صرح المص في قصة موسى أن معنى ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٨] أي في علم الله تعالى وقضائه وقد فصلناه هناك المراد بالمعرض السياق بإسناد الذنب إلى جميعهم وهذا شامل في كل معرض كذلك والمراد بالشر هنا النصف ولو اكتفى به لكفى^(١).

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَالْيُسْرَىٰ ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ ثَمَرٍ إِذْ أَجْرِي إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أَتَأْتُونَ الذِّكْرَ مِنَ الْعَالَمِينَ

قوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ﴾ لأنهم أصهاره كما ذكره في موضع آخر.
قوله: (أي أتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران) يعني إنكم مخصوصون بهذه الفاحشة كما قال تعالى في موضع آخر: ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠].

بالعذاب وجه الإيماء أن قوله عز من قائل: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٢١] جملة اعتراضية وقعت في معرض التعليل للحكم السابق الذي هو أخذ العذاب فكانه قيل فأخذهم العذاب لكون أكثرهم غير مؤمنين ولما دلت الآية على أن كفر الأكثر يوجب العذاب دلت أيضا على أن إيمان الأكثر يوجب العصمة والنجاة عنه بحكم العكس كقريش وهذا هو المراد بقوله وأن قريشاً إنما عصموا عن مثله ببركة من آمن منهم قوله: أو شطرهم أي نصفهم.

قوله: أي أتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران هذا التفسير مبني على أن المراد بالعالمين كل ما علم به الخالق فالعنى أتأتون الذكران من بين من عداكم من العالمين فلفظة من على هذا بيان للضمير في أتأتون والمراد بالعالمين كل من ينكح من الحيوان إذ العالم حيثلج عبارة عن الآتي أي من العالمين لأئين الناكحين.

(١) إذ إيمان نصفهم إذا كفى في دفعه فأكثرهم أولى.

قوله: (لا يشارككم فيه غيركم أو أناتون الذكوران من أولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الإناث فيهم كأنهم قد أعوذتكم) لا يشارككم فيه غيركم أي من الناس في ذلك العصر أو فيما قبل ذلك العصر أو من الحيوان وأما كون الحمار والخنزير كذلك فلا نقض لإسقاطه في حيز الاعتبار على أن مشاركة أخس حيوان بكفي في زجرهم عن هذا الفعل القبيح.

قوله: (فالمراد بالعالمين على الأول كل من ينكح) بوزن المعلوم أي من الحيوان على التغليب أي على تغليب الناكح على غير الناكح أو المراد بالنكاح الوطء فحينئذ التغليب في العالمين غلب العقلاء على غيرهم.

قوله: (وعلى الثاني الناس)^(١) حيث قيل أو أناتون الذكوران من أولاد آدم والمعنى أناتون من بين أولاد آدم على قرط كثرتهم وتفاوت أجناسهم وغلبة إناثهم على ذكورهم كأن الإناث قد أعوذتكم أي أوجتكم إلى إتيان الذكوران بعدم قدرتكم على نكاحهن تركه أولى والحاصل أن العالمين يحتمل عوده إلى الآتي أي أنتم من جملة العالمين مخصوصون بهذه الصفة وهي إتيان الذكوران ويحتمل عوده إلى المآتي أي أنتم اخترتم الذكوران من العالمين لا الإناث منهم كذا قاله الإمام فعلم أن من في قوله من العالمين متعلق^(٢) بأناتون في المعنى الأول وبالذكوران في الثاني وعلى كلا المعنيين فالاستفهام للإنكار الواقعي للتوبيخ.



قوله تعالى: وَقَدْ ذَرَأْنَا لِكَرْبِكُمْ مِنَ الْوَعْدِ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾

قوله: (لأجل استمئاعكم) في محل الحرث لا في موضع الفرت.

قوله: (لبيان ما خلق إن أريد به جنس الإناث) لأن ما حقيقة في ذوي العقول أيضاً كما اختاره المص والمعاد الاستمئاع بالنكاح الصحيح أو بملك اليمين وهذا المعنى هو المناسب للمعنى الثاني في من العالمين أي أناتون الذكوران من بين آدم مع الإناث خلقت لاستمئاعكم.

قوله: أو أناتون الذكوران من أولاد آدم وهذا التفسير مبني على أن يكون العالم اسماً لذوي العلم ويراد بالعالمين المأتون المنكوحين من أولي العلم فلظقة من على هذا بيان للذكوران ويجوز أن يكون للتبعيض فالمعنى أناتون الذكوران من أولاد آدم المنكوحين والنكاح حقيقة لغوية في مطلق الوطء وكثيراً ما يراد به الزوج مجازاً فالمراد بالعالمين على الأول كل من ينكح على لفظ المبني للفاعل وعلى الثاني الناس فيكون المراد بالعالمين كل من ينكح على لفظ المبني للمفعول فاختص العالم في الوجه الأول بالحيوان لفرقة أناتون الذكوران وفي الوجه الثاني بالناس لتلك الفرقة قوله كأنهم قد أعوذتكم أي كأن اتات بني آدم قد أعجزتكم فلم تقدرُوا عليهم فقال أعوزه الشيء إذا احتاج إليه فلم يقدر عليه.

(١) إما حقيقة أو مجازاً كسائر إطلاق العام على الخاص.

(٢) على أنه ظرف مستقر والتعلق بالذكوران أيضاً على أنه ظرف مستقر أي الكائنين من العالمين.

قوله: (أو للتبعض إن أريد به العضو المباح منهن فيكون تعريضاً بأنهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم أيضاً) العضو المباح فحيتل ما لغير أولي العلم لأنه عبارة عن العضو المخصوص منهن فيكون على هذا الاحتمال تعريضاً بأنهم كانوا الخ فيكون قوله وتذرون كالتأكيد لما يتضمنه الكلام وهو إتيان الذير وهو المراد بإتيان الذكران ودخل الاستفهام عليه أي وتذرون إنكاراً له كما مر فعلم من هذا التقرير أنه لا تنافي بين هذا المعنى التعريضي وبين ما سبق له الكلام من إنكار إتيانهم الذكران بل مؤكداً له كما عرفته وقيل لا تنافي بين هذا الخ لأنه من منطوق الكلام وهذا من مفهومه ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ما أصلح لكم ربيكم من أزواجكم كما في الكشف انتهى والوجه ما قدمناه.

قوله: (متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس وللحيوانات) متجاوزون لأن العادي المعتدي في فعله المتجاوز حده فإن حد الشهوة الاكتفاء بالنساء التي خلقت لاستمتاع الرجال في موضع الحرث فإتيان الذير مطلقاً ذكوراً كانت أو إناثاً منكوحات أو غيرها المتجاوز عن حد الشهوة كلمة بل للإضراب^(١) أي للانتقال من شيء إلى شيء والمعنى أترتكبون هذه الفعلة الفاحشة بل أنتم عادون متجاوزون الحلال إلى الحرام.

قوله: (أو مفرطون في المعاصي وهذا من جملة ذلك) أو مفرطون في المعاصي كلها

قوله: أو للتبعض إن أريد به العضو المباح أي إن أريد بلفظ ما في ما خلق لكم العضو المباح يكون من تبعية معنى الإباحة مستفاد من اللام في لكم فالمعنى وتذرون عضواً من أزواجكم خلقه لكم ربيكم وإباحة للاستمتاع أقول كلمة من التبعية تفيد بعضية ما دخلت هي عليه فإن كان المدخول عليه جمعاً يفيد بعض آحاد ذلك الجمع وإن كان واحداً يفيد بعض أجزاء ذلك المدخول عليها وهو هنا جمع وهو الأزواج فيلزم أن يفيد كلمة من بعض آحاد الأزواج لا بعض أجزائهن لكن لما كان مقابلة الجمع بالجمع يفيد مقابلة الآحاد بالآحاد وكان المعنى وتذرون ما خلق لكم ربيكم لكل واحد منكم من زوجكم جاز صرف معنى من إلى البعضية في الأجزاء.

قوله: فيكون تعريضاً بأنهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم أيضاً وجه افادته معنى التعريض أن الاستفهام في اثبات الذكران للإنكار والتفريع وعطف التذرون عليه بالواو قرنه معه في حكم الإنكار فتكون مضمون المعطوف وهو ترك ما خلق لهم من العضو المباح متكرراً أيضاً فالإنكار والتفريع بترك المباح من عضوي الزوج تعريض لأحد العضو الغير المباح منهما أقول لا يستقيم حملة على التعريض لأن الإنكار دائر بين فعل المحرم الذي هو إتيان الذكران وبين ترك المباح الذي هو ترك ما خلق لهم من أزواجهم لا بين العضو المباح وغير المباح من الأزواج فالمترك إليه الذي هو المقصود بالإنكار في الآية هو إتيان الذكران لا إتيان العضو الغير المباح من عضوي الزوج فتعريف المقصود بالإنكار وإرادته ينافي إرادة معنى التعريض لما ذكر صاحب الكشف أن الكلام إذا كان منصباً إلى غرض من الأغراض جعل مسأله له وتوجهه إليه كأن ما سواه مرفوض مطرح والحاصل أن عطف تذرون على تأتون يمنع الكلام أن يحمل على التعريض.

(١) ولا يعد في كونه للتفريع.

وهذا أي إتيان الذكران من جملة ذلك ذكره بعد التعميم لبيان الارتباط .

قوله : (أو أحقاء بأن توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة) أو أحقاء الخ فعلى هذا العادون نزل منزلة اللازم وعلى الأولين متعدد باق على تعديته لكن حذف مفعوله لرعاية الفاصلة أو للتعميم معها كما في الوجه الثاني قوله لارتكابكم الخ تنبيه على الربط لا تقدير للمتعلق قدم الأول وهو كون متعلقه حد الشهوة لأنه أمس بالمقام والظاهر أن بل في الاحتمالين الآخرين للترقي .



قوله تعالى : قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَكُونُ لَكَ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾

قوله : (عما تدعيه أو عن نهينا أو عن تقبيح أمرنا) عما تدعيه متعلق بقوله لم تنته على أنه قيد للمنفى من الرسالة وما يترتب عليه قدمه لأن الانتهاء عنه مستلزم للانتهاه عن غيره ثم جوز كون المتعلق خاصاً بمعونة المقام عن نهيه عن فعلنا وهو إتيان الذكران والنهي عنه مستفاد من إنكار الإتيان المذكور وكذا تقبيح أمرهم ومآلهم واحد ولذا قال في الكشف وتقبيح أمرنا والمص نظر إلى أن التقبيح أعم مفهوماً^(١) من النهي إذ تقبيح الشيء لا يستلزم النهي وإن كان النهي مستلزماً للتقبيح إما قبل النهي كما هو مذهبنا أو بسبب النهي كما هو مذهب أبي الحسن الأشعري وإن كان النهي للتنزيه فلا يستلزم القبح أيضاً فبينهما عموم وخصوص إما مطلقاً أو من وجه فلا وجه لما قيل من أن الظاهر عطفه بالواو على أنه تفسير له أو يقال إنه للتخيير في التعبير بناء على أن النهي لا ينفك عن التقبيح قيل فإنه غير مسلم كما لا يخفى ولا مانع من جمع هذه المعاني كلها بل الأولى الاكتفاء بالمعنى الأول لأنه مستلزم لها كما عرفت .

قوله : (من المنفيين من بين أظهرنا) بيان المعنى المراد من المخرجين فإنه عام للمنفى وغيره والتخصيص بالقريظة .

قوله : (ولعلمهم كانوا يخرجون من أخرجوه على عنف وسوء حال) ولعلمهم كانوا الخ

قوله : أو أحقاء بأن يوصفوا بالعدوان فسر عادون بثلاثة أوجه الوجهان الأولان باعتبار ملاحظة تعلقه بمتعلق غير أن الأول على كونه بمعنى التجاوز عن حد الشهوة والمتعلق خاص والثاني على كونه بمعنى الانقراط في المعاصي والمتعلق عام والوجه الثالث باعتبار أخذه مجرداً عن ملاحظته التعلق بمتعلق كالتعدي المنزل منزلة اللازم .

قوله : ولعلمهم كانوا يخرجون من أخرجوه بعنف وسوء حال إشارة إلى أن اللام في المخرجين للعهد الخارجي فالمعنى لتكون من الذين عرفت حالهم في إخراجنا كما ذكر في تفسير قوله : ﴿لأجعلنك من المسجونين﴾ [الشعراء : ٢٩] من أن اللام في المسجونين للمعهد أي ممن عرفت حالهم في سجونهم قوله من المبغضين غاية البغض معنى غاية البغض مستفاد من لفظ القلى

(١) وإنما قال مفهوماً لأن ذاته لا يفارق النهي .

أي كان ذلك معهوداً بينهم ولذا قالوا من المخرجين على أن اللام للمعهد فيكون تهديداً بالمعاملة بالسوء والأذى^(١) حين الإخراج كما هو المعروف فيما بينهم كما مر تفصيله في المسجونين .

قوله تعالى: قَالَ إِنِّي لَمَعْلُومٌ مِنَ الْغَالِينَ ﴿١٦٨﴾

قوله: (من المبغضين غاية البغض) نيه به على أن القلى هو البغض الشديد كما في الكشف كأنه بغض يقلى الفؤاد والكبد أي يشويه قال في المغرب المقلية المشوية من قلى اللحم إذا شواه يقلى أو يقلو ويقال مقلية ومقلوة وهما لغتان انتهى نقل عن الراغب أنه قال في مفرداته القلى شدة البغض يقال قلاء يقليه ويقلوه فمن جعله من الواوي فهو من قلوب بالقللة إذا رميتها فإن المقلو يقذفه القلب لبغضه ومن جعله من اليائي فهو من قليت السويق على المقلاة انتهى . والحاصل أن بعض الألفاظ يكون واوياً ويائياً ومنه قلاء بمعنى أبغضه فيندفع به اعتراض أبي حيان بأنه لا يكون قلى بمعنى أبغض وبمعنى الطبخ والشيء من مادة واحدة لاختلاف التركيب فمادة قلى من الشيء من ذوات الواو تقول قليت اللحم ومادة قلى من البغض من ذوات الباء تقول قليت الرجل فهو مقلى وجه الاندفاع هو أنا لا نسلم ما ذكره من اختلاف المادة لما عرفت من قول المغرب كيف لا والإمام محمد بن الحسن استعمل المقلية بمعنى المشوية في باب الزبا وهو ممن يؤخذ عنه اللغة والشيخ الزمخشري ثقة في اللغة

إذا قالت حذام فصددوها فإن القول ما قالت حذام

قوله: (لا أئف من الإنكار عليه بالإبعاد وهو أبلغ من أن يقول إني لعملمكم قال

على ما قال في الكشف والقلى البغض الشديد كأنه بغض يقلى الفؤاد والكبد .

قوله: وهو أبلغ من أن يقول إني لعملمكم قال هو كما تقول فلان من العلماء فيكون أبلغ من قولك فلان عالم لأنك تشهد له بكونه معهوداً في زمرتهم مشهوراً بأنه منهم قال صاحب الانتصاف كثيراً ما ورد في القرآن خصوصاً في هذه السورة التغيير عن الفعل إلى الصفة المشتقة وجعل الموصوف واحداً من الجمع لأن التعبير بالفعل يفهم وقوعه خاصة وأما التعبير بالصفة وجعل الموصوف واحداً من جمع فيفهم أمراً زائداً وهو جعل ذلك الصفة تامة للموصوف بآيته المتعلق كاللقب المشهور فلو قلت مكان قوله تعالى رضوا بأن يكونوا مع الخوائف رضوا بأن يتخالفوا لم تزد على الاختيار بتخلفهم والمتلو مع الخوائف الحقيق لقباً ردياً وصبرهم نوعاً ودلاً تم كلامه وفي الكشف ويجوز أن يريد من الكاملين في قلائم فاللام على الأول للمعهد وعلى الثاني للجنس وأريد قوم مشهورون لأن الجنس إذا أطلق على بعضه في مقام المدح حمل على الكمال قال أبو البقاء

(١) لكنهم لم ينالوا ذلك بل أخرجه الله تعالى وأهل دينه من بينهم سالمين عن العذاب وناجين من الأذى والعقاب فيكون عليه السلام من المخرجين لا على الوجه الذي أرادوه فقولهم «لنكونن من المخرجين» انطقهم الله تعالى من حيث لا يشعرون .

لدلالته على أنه معدود في زميرتهم مشهور بأنه من جملتهم) لا أقف الخ أي لا أرجع ولا أنتهي عن الإنكار بسبب ما وعدتموني من الإخراج لما في القائلين من الدلالة على الاستمرار وأشار بهذا إلى مناسبة هذا الجواب عن قولهم ﴿لئن لم تنته يا لوط﴾ الخ قوله وهو أبلغ من المبالغة لأنه إذا قيل قال لم يفد التركيب أكثر من تلبسه بالفعل وإذا قيل من القائلين أفاد أنه مع تلبسه به من قوم عرفوا واشتهروا فيكون راسخ القدم عريق العرق فيه وقد صرح به ابن جني وتبعه الزمخشري وقرره الشريف في شرح المفتاح والظاهر أن هذه الإفادة بسبب الاستعمال ودلالة اللفظ عليه باتضمام الاستعمال والفاضل المحشي لم ينكر دلالة اللفظ عليه بالقرينة وإنما أنكره مع قطع النظر عن الاستعمال فمعنى قوله لدلالته على أنه معدود الخ دلالته بحسب الاستعمال^(١) وعرف اللغة لا أصل اللغة.

قوله تعالى: رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾

قوله: (من شؤمه وعذابه) قدر المضاف تنزيهاً لساحته عن عملهم فلا فائدة في طلب الإنجاء عنه وإنما الطلب عن الإنجاء من العذاب المترتب على فعلهم القبيح ويؤيده قوله تعالى: ﴿فنجينا وأهله أجمعين﴾ [الشعراء: ١٧٠].

قوله تعالى: فَنجِئْهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾

قوله: (أهل بيته والمتبعين له على دينه) والمتبعين له أشار به إلى أن المراد بالأهل من اتبع دينه سواء كان من ذي القرابة أو لا وهذا معنى للأهل حقيقة^(٢) ولا مجاز هنا فقول

تقديره إني لعملكم لقال من القائلين فمن صفة للخير متعلقة بمحذوف واللام متعلقة بالخبر المحذوف وبهذا يخلص من تقديم الصلة على الموصول إذ لو جعلت من القائلين الخبر لأعملته في لعملكم وكذا في الكواشي حيث قال من القائلين المبغضين متعلقة بمحذوف أي لقال من القائلين فقال الخبر ومن صفة واللام متعلقة بالخبر ولو جعل من القائلين الخير لعمل القائلين في لعملكم فيفضي إلى تقديم الصلة على الموصول إلى هنا كلام الكواشي.

قوله: من شؤمه وعذابه يريد أن ما في مما يعملون مصدرة والمعنى على تقدير مضاف أي نجني من عذاب عملهم وعقوبته ويجوز أن لا يقدر مضاف فنحن إذ يكون المراد بالنتيجة العصمة فالمعنى رب اعصمني من عملهم أي اعصمني من أن أعمل عملهم فعلى هذا يكون فنجينا وأهله إلا عجزاً فمعصناه وأهله من ذلك العمل إلا العجز فإنها كانت غير معصومة منه لكونها راضية له والراضي بالمعصية في حكم العاصي لكن الوجه الأول أظهر لوجهين أحدهما أن استعمال النجاة في الخلاص من العقوبة أظهر من استعماله في العصمة عن الذنوب وثانيهما دلالة الدعاء بعد قولهم لئن لم تنته يا لوط على أنه عليه السلام حصل على بأس عظيم من إيمان القوم فأذن بأن الإنذار لم يجد فيهم فلم يبق إلا حلول العذاب.

(١) وبهذا اندفع اعتراض بعض المحشين عليه.

(٢) لأنه المذكور في القاموس فمن قال قوله أهل بيت الخ هو بالتجاوز في أهله لمن اتبع دينه الخ لم يصح.

المص أهل بيته معنى آخر للأهل والاتباع في الدين معتبر فيه أيضاً فهو أخص من المذكور في النظم الجليل .

قوله : (بإخراجهم من بيثهم وقت حلول العذاب بهم) بإخراجهم متعلق بنجيناؤه وفيه إشارة رشيقة إلى أن قول الكفرة «لنكونن من المخرجين» لطف له عليه السلام في صورة الغضب لكنهم لا يشعرون قوله وقت حلول العذاب المراد بالوقت الزمان المتسع لقرب حلوله .

قوله تعالى : **لَا عَجُوزَ لِي الْقَدِيرِ** ﴿١٧١﴾

قوله : (هي امرأة لوط) وهي كافرة .

قوله : (مقدرة في الباقيين في العذاب إذ أصابها حجر في الطريق فأهلكها لأنها كانت مائلة إلى القوم راضية بفعلهم) مقدرة في الباقيين^(١) أشار به إلى أنها وإن كانت مخرجة تحقيقاً كما اختاره المص إلا أنها لما أصيبت في الطريق فهلكت كانت من الباقيين حكماً ولذا قال المص مقدرة في الباقيين في العذاب لما كان المراد بالبقاء البقاء في العذاب لا في القرية فلا حاجة إلى قوله مقدرة أي حكماً .

قوله : (وقيل كائنة فيمن بقيت في القرية فلإنها لم تخرج مع لوط) فحيثل لا حاجة إلى التأويل بما مر مرضه لأنه يخالف ظاهر قوله تعالى : «فأسر بأهلك بقطع من الليل» (هود : ٨١) الآية العجوز المرأة التي أعجزها عن أمور كثير كبر سننها وهو من خواصها ولذا لم يقل عجوزة والظاهر أن استثناء عجوزاً متقطع لما عرفت من أن المراد من الأهل من آمن به قوله فيمن بقيت الأولى فيمن بقي لكنه أنث لرعاية^(٢) معنى من مع ذكر امرأة لوط قبله

قوله : هي امرأة لوط فاستثنائها من أهله وإن كان أهله مؤمنين وهي كافرة باعتبار أن لها شركة معهم في هذا الاسم الذي هو الأهل بحق الزواج وإن لم تشاركهم في الإيمان .

قوله : مقدرة في الباقيين يعني أن قوله في الغابرين صفة لعجوزاً كأنه قيل إلا عجوزاً غابرة ولم يكن الغيور أي البقاء في العذاب صفتها وقت تنجيتهم فوجب أن يؤول بمعنى التقدير فالمعنى إلا عجوزاً مقدراً غيوراً وهذا هو معنى قوله رحمه الله مقدرة في الباقيين من العذاب فيكون صفة مقدرة كالحال المقدرة ومعنى الغيور البقاء يقال غير الشيء يغير غيراً أي يغي أقول تأويل الغيور بالتقدير ينافي تقييد التنجية والإخراج بوقت حلول العذاب حيث قال رحمه الله بإخراجهم من بيثهم وقت حلول العذاب لأن التنجية إذا كانت وقت حلول العذاب يكون العجوز غابرة في العذاب بالفعل في ذلك الوقت لا مقدراً غيوراً في العذاب فكان الأولى أن يقول رحمه الله بإخراجهم من بيثهم قبيل حلول العذاب بدل قوله وقت حلول العذاب .

(١) في الغابرين صفة لها كأنه قيل إلا عجوزاً غابرة أي مائكة في الهلاك .

(٢) فيه إشارة إلى رجحان رعاية معنى لفظة من .

قوله تعالى: ثُمَّ دَرَجَاتٍ الْآخِرِينَ ﴿١٧٢﴾
قوله: (أهلكناهم).

قوله تعالى: وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٧٣﴾

قوله: (قيل أمطر الله على شذاذ القوم حجارة فأهلكهم) على شذاذ بمعجمات جمع شاذ بوزن نصار والشاذ من أفرد عنهم في الطريق أو من كان غريباً من غير قبائلهم والأول هو الظاهر المعمول فضمير عليهم راجع إلى الآخرين بطريق الاستخدام وفي كلامه إشارة إلى التوفيق بين طرق هلاكهم فإنه ورد أنه بصيحة وفي أخرى برجفة وفي أخرى بأمطار حجارة فهو إما يوقوع بعضه لبعض أو لأنه أرسل لطائفتين أهلك كل منهما بنوع منه ولا مانع من الجمع بينهما وتفصيل القصة قد مر في سورة هود وإن الظاهر أن إمطار الحجارة على أهل المدن لقوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا أَوْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ مَجْرِمِينَ أَنْ نُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ [الذاريات: ٣٢، ٣٣] ولذا قال المص وقيل أمطر الله على شذاذ ومرضه ولم يرض به فلا تكلف حيث لا يفي إرجاع ضمير عليهم إلى الآخرين.

قوله: (اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف إليه فاعل ساء والمخصوص بالدم محلوف وهو مطرهم) اللام فيه للجنس لا للعهد أي ليس المراد بالمتنذرين قوماً بأعيانهم قوله حتى يصح وقوع الخ هذا بناء على أن ساء بمعنى بش أي من أفعال الذم وفاعلها لا يكون إلا مبهماً وإن اعتبر ساء من الأفعال التامة فيصح كونها للعهد وقد جوز في أواخر سورة الفرقان كون ساء بمعنى الفعل التام والمضاف المراد هنا المطر وإليه متعلق به وضميره راجع إلى الجنس وحاصله أن فاعل ساء مطر المتنذرين.

قوله تعالى: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَلَئِنْ رَأَيْتَ عِزَّةً مِنْ رَبِّهِمْ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَابُ النَّارِ كَذِبًا ﴿١٧٦﴾

قوله: (الآية غيضة نبت ناعم الشجر يريد غيضة بقرب المدين تسكنها طائفة فيبعث الله تعالى إليهم شعباً كما بعث إلى مدين وكان أجنباً منهم فلذلك قال):

قوله: قيل أمطر الله على شذاذ القوم حجارة أي أمطر الله على قوم شذاذ أي قلائل وهم الذين لم يهلكوا بقلب الأرض عليهم وجعل عاليها سافلها بل بقوا فيما وراء تلك الأرض المقلوبة حجارة فأهلكهم وقيل شذاذ القوم هم الذين يكونون في القوم وليسوا بقبيلتهم.

قوله: اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف الخ أي اللام في لفظ المتنذرين للجنس حتى يصح وقوع المضاف إلى المتنذرين وهو مطر فاعل ساء لأن فاعل ساء ويش ونعم مشروط فيه أن يكون جنساً أو مضافاً إلى جنس ليكون المخصوص بالدم أو المدح تفسيراً له فيحصل في الكلام إبهام وتفسير فيتكمن في الدهن فضل تمكن يحصل به مزيد ذم أو مدح قوله الآية غيضة نبت ناعم الشجرة الغيضة الأجمة وهو مفيض ماء يجتمع فيه الشجر والناعم اللين اللطيف.

قوله تعالى: إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

(ولم يقل أخوهم شعيباً وقيل الأيكة شجرة تلتف) غيبة بغين وضاد معجمتين مكان كثير الأشجار وناعم الشجر أي لينه ما كان أخضر غير الشوك أو غير كثير الشوك لعل الأيكة خاص والغيبة عام وعن هذا اعتبر في تفسير الأيكة كون الشجر ناعماً.

قوله: (وكان شجرهم الدوم وهو المقل) الدوم بفتح الدال المهملة وسكون الواو وهو المقل من شجر البادية يشبه صغار النخل.

قوله: (وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر ليكة بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام) قيل وفيه بحث فإنه لو كان وجه قراءتهم ما قرره لكان الكلمة مكسورة لظهور أنه لا يأتيين لحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام في تفسير الحركات الإعرابية كما في نظائرها قيل

قوله: ولم يقل أخوهم شعيب هذا بيان وجه ترك لفظ الأخ في قصة شعيب عليه السلام بعد ذكره في قصة نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام.

قوله: وقيل الأيكة شجر ملتف وفي الصحاح الأيك الشجر الملتف الكثير الواحدة أيكة ومن قرأ أصحاب الأيكة فهي الغيبة ومن قرأ أيكة فهي اسم للقرية ويقال هما مثل يكة ومكة فعلى هذا يكون أيكة وليكة بمعنى واحد وهو الغيبة على ما روى محمد بن إسماعيل البخاري في صحيحه الأيكة وليكة الغيبة.

قوله: فإذا كانت الأيكة بمعنى الغيبة يكون حقيقة بمعنى أرض فيها شجر ملتف كثير وإذا كانت بمعنى الشجر الملتف يكون مجازاً من باب اطلاق اسم المحلل على الحال قوله وكان شجرهم الدوم وهو المقل أي الدوم شجر المقل يقال الدوم بفتح الدال والمقل بضم الميم هو صمغ شجر الدوم أكثر ما يكون ببلاط العرب خصوصاً في اليمن يعرف بالمقل الأزرق لأن أجوده الأزرق الصافي إلى حمرة تيسيرة.

قوله: وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام قال الزجاج ويجوز وهو حسن جد اليكة بغير ألف على الكسر على أن الأصل الأيكة يعني حذفت الهمزة بحركتها من الأيكة للتخفيف فاجتمع ساكتان اللام والياء فكسرت اللام لأن تحريك الساكن بالكسرة أولى فاستغثت عن همزة الوصل لحركة اللام فقيل ليكة قوله وقرئت كذلك مفتوحة على أنها ليكة وهي اسم بلدهم وفي الكشف ومن قرأ بالنصب وزعم أن ليكة بوزن ليلة اسم بلد فتوهم فاد إليه خط المصحف حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة وفي سورة صاد بغير ألف وفي المصحف أشياء كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه وإنما كتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ الالفاظ كما يكتب أصحاب النحو لأن ولولي على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف وقد كتبت في سائر القرآن على الأصل والقصة واحدة قال الزجاج الأولى بسكون اللام وثابت الهمزة أجود اللغات وبعدها لولي بضم اللام وطرح الهمزة والقياس إذا حركت اللام أن يسقط همزة الوصل لأن ألف الوصل إنما اجتليت لسكون اللام وقد قرئ عاد الولي على هذه اللغة فعلى هذا لأن أصله الآن فألقت حركة الهمزة الثانية على لام التعريف حين خفت وحذفت همزتها أي همزة لام التعريف فصار لان.

وقال أبو عمر وكتب في جميع المصاحف ليكة في الشعراء وصاد بلام من غير ألف قبلها وفي الحجر وقاف الأيكة ويقال إن ليكة بفتح التاء اسم البلدة نفسها والأيكة اسم الكورة ولذلك قرأ الحرمين وابن عامر فيها ليكة بفتح التاء غير مصروف للعلمية والتأنيث وقال بعض النحويين إنما هو مكتوب في هذين الموضعين على نقل الحركة فكتب على لفظه وقال أبو عبيدة لا أحب مفارقة الخط في القراءة إلا فيما يخرج عن كلام العرب وليس هذا بخارج عن كلامها مع صحة المعنى وذلك لأننا وجدنا في بعض كتب التفسير الفرق بين الأيكة وليكة فقبل ليكة اسم القرية التي كانوا فيها والأيكة اسم البلاد كلها كالفرق بين بكة ومكة ثم وجدتها في مصحف عثمان الذي يقال له الإمام في الحجر وقاف الأيكة وفي الشعراء وصاد ليكة وعلى هذا فراء المدينة وهذا رد على ما قاله النحاة فإنهم نسبوا القراءة إلى التحريف وليس بشيء قاله السخاوي في شرح الرائية فلا عبرة بإنكار الزمخشري ومن تبعه كالمصنف وقوله على القراءة على النقل غير صحيح انتهى وأنت خبير بأن الفرق المذكور بين الأيكة وليكة لا يلائم ما وجدته في مصحف عثمان رضي الله تعالى عنه .

قوله : (وقرئت كذلك مفتوحة على أنها ليكة وهي اسم بلدهم) وقرئت كذلك مفتوحة الخ وهذا يقتضي أن ما قبله بالكسر وليس كذلك فإن فيها ثلاث قراءات فراء ابن كثير ونافع وابن عامر ليكة بفتح التاء وقراءة غيرهم على الأصل الأيكة وقرئ شاذاً ليكة بكسر التاء كما قيل .

قوله : (وإنما كتبت ههنا وفي ص بغير ألف اتباعاً للفظه) قد علمت أنه غير صحيح والذي غره كلام الزمخشري وأنه ليس في كلام العرب مادة ل ي ك وليس بشيء لما عرفته والأسماء المرتجلة لا منع منها وذكر في البخاري أن ليكة بمعنى الأيكة وناهيك به كما قيل وفي الكشاف والقصة واحدة وما نقل هنا مضطرب لأن ما نقل عن أبي عبيدة ناطق بالفرق بين الأيكة وليكة كما سمعته وكلام غيره عدم الفرق فيه ظاهر قوله وقراءة غيرهم على الأصل الأيكة ينادي اتحادهما والزمخشري أيد كلامه بأن القصة واحدة ولم يتعرض المجيب وحده القصة ولا عدمها والتلفيق بين القراءتين على هذا وبالجملة الكلام هنا لا يخلو عن دغدغة وخدشة .

قوله تعالى : **إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنِّي لَكُنَّي لَأَعْلَمُ رَبِّي الْعَلِيمُ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾**
قوله : (أنموه) .

قوله : (حقوق الناس بالتطفيف) فتكون هذه الجملة كالتأكيد لما قبله عكس ما في سورة هود فإنه صرح الأمر بالإيفاء بعد النهي عن ضده وهنا بالعكس مبالغة وتنبيهاً على

قوله : بالتطفيف التطفيف نقص المكيل وهو أن لا تملأ إلى أصباره .

أنهم يلزمهم السعي في الإيفاء ولو بزيادة لا يتأتى^(١) دونها مع الكف عن تعمد التطفيف.

قوله تعالى: وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الَّتِي كُنْتُمْ تُنْصِفُونَ ﴿١٨٢﴾

قوله: (بالميزان السوي) لا نقصان فيه ولا زيادة فإن الزيادة غير واجب بل مندوب في بعض الأمور إذا تيسر الإيفاء بدون الزيادة وإلا فواجب كما أشرنا إليه بقولنا ولو بزيادة لا يتأتى الإيفاء بدونها وقد يكون الزيادة محظوراً كما في الربويات كبيع الفضة بالفضة ونحوها والتفصيل في سورة هود.

قوله: (وهو وإن كان عربياً فإن كان من القسط) إشارة إلى قول آخر فيه وهو أنه معرب رومي الأصل واختاره في أوائل سورة البقرة في توضيح ألم ومعناه العدل أيضاً كالقسط فهو من قيل توافق اللغتين.

قوله: (فعلاس بتكرير العين وإلا ففعال) قيل المراد بتكرير العين صورة لا حقيقة إذ العين لا يضاعف وحدها مع تحليل اللام لما يلزم من الفعل الممتنع عندهم وقيل بتكرير العين أي شذوذاً إذ هي لا تكرر وحدها مع الفصل باللام ومن قال إنها مكررة صورة لا حقيقة فقد وهم لأنه يتحد حينئذٍ مع القول الثاني ولذا قال الزمخشري وزنه فعلاس كما وقع في بعض نسخ النص تحقيقاً لزيادتها ومن قال إنه رباعي فهو من قسطس وزنه فعالل إذ فعلاخ لا نظير له وهو الحق إذ ما ذكر لا نظير له عند النحاة ولا داعي لما قالوه انتهى ومراد الفاضل السعدي ما اختاره القائل بقرينة قوله لما يلزم من الفعل الممتنع عندهم.

قوله: (وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف) أي بلا تغيير المفرد وأما في القراءة الأولى حول حركة القاف إلى الضم.

قوله تعالى: وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُبِينِينَ ﴿١٨٣﴾

قوله: (ولا تنقصوا شيئاً من حقوقهم) تعميم بعد تخصيص البخس النقص فإنه أعم من المقدار وغيره وإلى هذا أشار بقوله شيئاً من حقوقهم ﴿أشياءهم﴾ بدل من الناس ولذا

قوله: فإن كان من القسط فعلاس أي إن كان اشتقاقه من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس وإلا فهو رباعي وزنه فعالل فعلى الأول يكون ملحقاً بالرباعي بزيادة السين وعلى الثاني رباعياً مجرداً لا ملحقاً به فيكون السين لاه الثانية قيل في كونه وزن فعلاس على تقدير جعل عينه مكررة نظر والصواب أن وزنه حينئذٍ فعلاخ لأن التكرير يقتضي أن يوزن بما قبله فلا بد أن يكون الحرف المتكرر في الوزن أعني في فعل العين لا السين فيكون عند تكرار العين فعلع ومصدره فعلاخ والحرف المتكرر في قسط السين فيكون قسطس ومصدره قسطاس فعلاخ لا فعلاس.

(١) أشار به إلى أن الزيادة حينئذٍ واجبة.

جعل شيئاً مفعول لا تنقصوا وتخصيص الدراهم والدنانير والبخس بالقطع من أطرافها تخصيص بلا داع فإنه يدخل تحت العموم.

قوله: (بالقتل والغارة وقطع الطريق) قد حمل الإفساد هنا على الأمور الثلاثة وجعل في سورة هود تعميماً بعد تخصيص فإن العثو^(١) يعم تنقيص الحقوق وغيره من أنواع الفساد وكلا الأمرين جائزان لكن ما وقع هناك أوقع لإفادة التوكيد والتفريغ والعتو الفساد أو أشده و«مفسدين» حال مؤكدة وفائدتها إخراج ما يقصد به الصلاح كما مر بيانه ولو كان معناه مفسدين أمر دينكم ومصالح آخرتكم فالأمر واضح.

قوله تعالى: **وَأَنفَعُوا آلَؤَيْ خَلْقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولَى** ﴿١٨٤﴾

قوله: (وذوي الجبل^(٢) الأولين يعني من تقدمهم من الخلائق) قيل الجبل^(٢) الخلق المتجمدة الغليظة مأخوذ من الجبل فحينئذ يناسب التعبير بها عن خلقه عاد وثمود والظاهر أنه مطلق الخلق ذكر الجبل^(٢) بمعنى الخلق وأريد به المخلوق بقرينة تعلق الخلق به وإنما ذكر خلق من تقدمهم لمزيد الترغيب على التقوى.

قوله تعالى: **قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمَسْحُورِينَ** ﴿١٨٥﴾ **وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَئِنَ الْكَذِبِينَ** ﴿١٨٦﴾

قوله: (﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمَسْحُورِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٥]) قد مر تفسيره.

قوله: (أتوا بالواو للدلالة على أنه جامع بين وصفين منافيين للرسالة مبالغة في

قوله: بالقتل والغارة وقطع الطريق أي لا تعتدوا حال إفسادكم بهذه الأشياء القتل والغارة وقطع الطريق يقال عثى في الأرض عثو أي أفسده وكذلك عثى بالكسر وإنما قبله بمفسدين وهو هو في المعنى لأنه قد يكون منه ما ليس بفساد وإن كان في صورة الفساد ظاهراً كمقابلة الظالم المعتدي بفعله ومنه ما يتضمن صلاحاً راجحاً كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة.

قوله: وذوي الجبل^(٢) يعني أن المضاف محذوف من الجبل^(٢) فإن الجبل^(٢) عطف على ضمير المفعول في جعلكم والمعنى خلقكم وذوي الجبل^(٢) الأولين أي ذوي الخلق الأولين.

قوله: أتوا بالواو للدلالة على أنه جامع بين وصفين يريد بيان وجه لترك الواو في قصة ثمود حيث قالوا هناك ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمَسْحُورِينَ﴾ ﴿١٨٥﴾ وما أنت إلا بشر مثْلُنَا ﴿١٨٦﴾ ومجيء الواو في قصة قوم شعيب حيث قالوا هنا ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [الشعراء: ١٨٤] فالوجه في العطف على ما قال رحمه الله الدلالة على أن كل واحد من الوصفين وهما وصف المسحورية ووصف البشرية مستقل في كونه مانعاً للرسالة من الله منافياً لها مبالغة في تكذيب الرسول في دعواه فالتقص في العطف

(١) فإن العثو إشارة إلى أن لا تعتدوا وادعي كما اختاره المعص واختار الزمخشري أنه يأتي قد مر التوضيح في سورة هود.

(٢) قيل الجبل^(٢) الطليعة لكن المناسب الخلق.

تكذيبه) أتوا بالواو الخ يعني أن كل واحد منهما كاف في نفي الرسالة فكيف إذا اجتماعاً وأما في قصة ثمود فإنهم تركوها للتأكيد أو الاستئناف والنكتة مبنية على الإرادة ويغهم من كلامهم أيضاً أن كل واحد منهما كاف في نفي الرسالة بحسب المعنى ولهذا ختم الكلام في هذه القصة بقولهم ﴿وإن نظنك﴾^(١) لمن الكاذبين تأكيداً لقولهم المذكور وأما هناك فقد ختم الكلام بقول: ﴿فأتت بآية إن كنت من الصادقين﴾ لأنهم لما قرروا أنه بشر مثلهم لا ينبغي أن نؤمن برسالتك إلا بشيء تمتاز به عنا وهو إثبات آية لا تقدر عليها ولو كان الأمر بالعكس أو اعتبر في قصة شعيب ما في قصة صالح أيضاً أو عكسه لكان له وجه في دعواك.



قوله تعالى: فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ

قوله: ﴿فأسقط علينا﴾) القاء للدلالة على سببية ظنهم كاذباً هذا القول ومرادهم به التهمك وإظهار اليقين والجزم التام على كذبه عليه السلام وإليه أشار المص بقوله ولعله جواب لما أشعر به الخ أي جواب على سبيل الجزم التام عن التهديد المذكور بأنه لا احتمال لوقوعه لأن دعواك ليس بصادق.

قوله: (قطعة منها ولعله جواب لما أشعر به الأمر بالتقوى من التهديد وقرأ حفص بفتح السين) بفتح السين فيكون جمعاً والمعنى أي قطعاً وقيل الكسف بالسكون يجوز أن يكون مفرداً أو جمعاً كما قاله الزمخشري فالأولى تفسيره بالجمع ليوافق القراءة ولعل

إلى معنيين كل واحد منهما مستقل في منع الرسالة على زعمهم وفي ترك العطف إلى معنى واحد وهو كونه مسحراً ثم قرر بكونه بشراً مثلهم قال الطيبي فإن قلت هذا بيان خاصة التركيب فما بيان الأبلغية واختصاص الواو بموضع دون موضع قلت التركيب بدون الواو في قصة ثمود يفيد التوكيد والتقرير والقطع بأنه بشر مثلهم أي لا ينبغي أن نؤمن برسالتك إلا بشيء تمتاز به عنا ولهذا قالوا: ﴿فأتت بآية إن كنت من الصادقين﴾ [الشعراء: ١٥٤] وأما قوم شعيب فإنهم انتوا له شيتين كونه مسحراً وكونه بشراً مثلهم كل واحد منهما مستقل في المنع من كونه رسولاً يعنون نحن وأنتم في عدم صلوحية الرسالة من جهة كوننا بشراً سواء ذلك المزيّد علينا في كونك مسحراً دوننا ثم أكدوا ذلك بقولهم ﴿وإن نظنك لمن الكاذبين﴾ والظن بمعنى اليقين ولذلك ادخل أن واللام ولما كان هذا الرد أبلغ من الأول ما طلبوا البرهان هنا كما طلب ثمود حيث قالوا ﴿فأتت بآية إن كنت من الصادقين﴾ بل قطعوا بما يدل على اليأس من إيمانهم بقولهم ﴿فأسقط علينا كسفاً من السماء﴾ على سبيل الاستهزاء كما قطع قريش بقولهم ﴿إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء﴾.

قوله: ولعله جواب لما أشعر به الأمر بالتقوى من التهديد فإن قوله: ﴿واتقوا الذي خلقكم﴾ [الشعراء: ١٨٤] متضمن معنى التهديد والتحذير فكأنه قال واحذروا الذي خلقكم فقالوا في جوابه على سبيل الاستهزاء ﴿فأسقط علينا كسفاً من السماء﴾.

قوله: وقرأ حفص بفتح السين وفي الكشف قرئ كسفاً بالسكون والحركة وكلاهما جمع

اختياره التفسير بالمفرد لأن الساقط عليهم قطعة واحدة من السحاب حيث قال فيما سيجيء فأظلمهم سحابة الخ إلا أن يقال السحابة وإن كانت قطعة واحدة لكن العذاب النازل وهو النار قطع فالمراد بالقطعة الجنس والتاء لوحدة الجنس.

قوله: ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٧] في دعواك كلمة الشك لا اعتقاد المخاطب صدقه أو لتهكم.



قوله تعالى: قَالَ رَبِّ أَعْلَمْ بِمَا تَعْمَلُونَ

قوله: (وبعذابه) إما بتقدير المضاف أو العلم بالعمل كناية عن الجزاء وهو العذاب هنا.

قوله: (فيتنزل عليكم ما أوجب لكم عليه في وقته المقدر له لا محالة) ما أوجب لكم أي بمقتضى الوعيد قبل الأظهر ما أوجب عليكم به قوله في وقته الخ فلا تعجلوا عليهم^(١) إنما يعد لكم عدأ.



قوله تعالى: فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلُمَةِ إِنَّهُمْ كَانُوا عَذَابٍ عَظِيمٍ

قوله: (على نحو^(٢)) ما اقترحوا بأن سلب الله عليهم الحر سبعة أيام حتى غلت أنهارهم وأظلمتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فأمرت عليهم ناراً فاحترقوا) على نحو ما اقترحوا

كسفة نحو قطع وسدر وقبل الكسف والكسفة كالربيع والريفة وهي القطعة وكسفة قطعة والسماء السحاب أو المظلة وما كان طلبهم ذلك إلا لتصميمهم على الجحود والتكذيب ولو كان فيهم ادنى ميل إلى التصديق لما أخطروهم ببالهم فضلاً أن يطلبوه قوله وبعذابه أي ربي أعلم بعملكم وبعذاب عملكم منزل عليكم ما أوجب لكم عليه أي منزل عليكم عذاباً أوجب ريكم ذلك العذاب لكم على عملكم ذلك وهو البخس ونقص حقوق الناس في المكايال والميزان فضمير الفاعل في أوجب إلى الرب وضمير المفعول المتصل إلى ما وهو عبارة عن العذاب والضمير المجرور في عليه إلى العمل.

قوله: على نحو ما اقترحوا هذا إشارة إلى أن المراد بالسماء في قولهم ﴿فأسقط علينا كسفاً من السماء﴾ غير السماء التي هي هذه المظلة بل المراد بها السحاب بناء على أن كل ما هو عالي سماء عند العرب وإن كان المراد بالسماء في قولهم ذلك هذه المظلة لا يكون العذاب النازل عليهم على نحو مقترحهم بل يكون على خلاف المقترح فإن المقترح قطعة من المظلة والنازل عليهم ليس هذه بل هو عذاب المظلة قال الطيبي رحمه الله المخالفة نسب بأن يجعل كلام شعيب من باب الأسلوب الحكيم فإتهم حين طلبوا اسقاط الكسف من السماء عناداً وجحوداً قال ربي أعلم بعملكم وبما تستحقونه من العذاب فإنه فوق ما تطلبونه ولذلك عاقبهم بحبس الريح وتسلط الرمد ثم أمطر عليهم ناراً فاحترقوا.

(١) أي أيام آجالهم عدأ فلا تعجلوا في هلاككم فإنه لم يبق لكم إلا أياماً محصورة وأنفساً معدودة.

(٢) إقحام نحو في نحو ما اقترحوا إشارة إلى ما قلنا من أن المراد بالسماء إما السحاب أو الفلك.

إشارة إلى أن السماء في كلامهم بمعنى ما علاك سواء كان المراد السحاب كما هو الظاهر أو الفلك قوله فاحترقوا وإضافة العذاب إلى يوم الظلة^(١) إشارة إلى أن عذابهم بالظلة وأنهم هلكوا بها فلا يعرف وجه ما قيل إن إضافة العذاب ليوم الظلة إشارة إلى أن لهم فيه عذاباً غير عذابها وما في الكشف من أن شعيباً عليه السلام بعث إلى أمتين أصحاب مدين وأصحاب الأيكة فأهلكتهما أصحاب مدين بصيحة جبرائيل وأصحاب الأيكة بعذاب يوم الظلة دليل على ما ذكرناه.

قوله تعالى: **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ** **وَلَذَٰلِكَ هُوَ الْعَذَابُ الرَّحِيمُ**

قوله: (هذا آخر القصص السبع المذكورة على سبيل الاختصار تسلياً لرسول الله عليه السلام وتهديداً للمكذبين به واطراد نزول العذاب على تكذيب الأمم بعد إنذار الرسل به واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاة به) وتهديداً الخ أشار إلى أن في التكرير تقريراً للمعاني في الأنفس وتثبيتاً لها في الصدور ألا يرى كلما زاد ترديد ما يراد تحفظه من العلوم كان أمكن له في القلب وأرسخ في الفهم ولأن هذه القصص طرقت بها أذان وقر عن الإصغاء إلى الحق وقلوب غلف عن تدبره فكررت لعل ذلك يفتح أذنًا ويفتح ذهنًا ويفصل عقلاً ويجلو فهماً قد غطى عليه تراكم الصداء كما في الكشف وإلى هذا التفصيل أشار طاب الله ثراه بقوله هذا آخر القصص السبع الخ.

قوله: (يدفع أن يقال إنه كان بسبب اتصالات فلكية أو كان ابتلاء لهم لا مواخذة على تكذيبهم) يدفع أن يقال الخ وهذا إشارة إلى ما ذكره الإمام بقوله لم لا يجوز أن يقال العذاب النازل بعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ما كان ذلك من كفرهم بل بسبب اتصالات الكواكب ثم أجاب والمص لخص الجواب بقوله واطراد نزول العذاب الخ وهذا يقطع عرق

قوله: واطراد نزول العذاب الخ يعني أن اطراد نزول العذاب على مكذبي الرسل مراراً ودفعات كثيرة ووقوعه كلما كذبوهم وعدم تخلفه عن تكذيبهم في كل مرة يدفع توهم متوهم أن نزوله إنما وقع على وجه الاتفاق عند زمان تكذيبهم بسبب اتصالات فلكية وأسباب سماوية وأنه لو كانوا لم يكذبوهم بل صدقوهم لكان قد وقعت تلك الحادثة بسبب من تلك الأسباب على ما عليه الحكماء والمنجمون وجه دفعه ذلك التوهم أن الاتفاق لا يتصور في جميع تلك الدفعات الكثيرة والعمرات المتكررة يتكرر تكذيبهم فتعين أن بسبب نزول تلك التوازل عليهم من أنواع العذاب ليس شيئاً آخر غير تكذيبهم للرسل قوله أو كان ابتلاء عليهم عطف على كان في قوله إنه كان سبب اتصالات فلكية أي اطراد نزول العذاب على تكذيب الأمم يدفع كونه بسبب اتصالات فلكية وكونه ابتلاء عليهم إذ لو كان كذلك لتخلف نزوله عن تكذيبهم ولو مرة أو مرتين ولم يطرده كلما كذبوهم.

(١) الظلة ما افلك من السحاب وإضافة اليوم إليه لوقوعها فيه.

هذا الاحتمال الواهي لمن له الذهن العالي ولعل عدم التعرض لمثل هذه الشبهات في الذروة العليا في التقارير والتحقيقات.

قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا لِتَنبِئَ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٩٢﴾ ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ ﴿١٩٣﴾ ﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ ﴿١٩٤﴾

قوله: (تقرير لحقية القصص) بيان ارتباطه بما قبله.

قوله: (وتنبية على إعجاز القرآن ونبوة محمد عليه الصلاة والسلام) إشارة إلى أن الضمير وأنه للقرآن لحضوره في الأذهان^(١) ولظهوره من البيان.

قوله: (فإن الإخبار عنها ممن لم يتعلمها لا يكون إلا وحياً من الله تعالى) تعليل لهما أو تعليل للأخير فقط فإن إعجاز القرآن ببلاغته وفصاحته بحيث يعجز البشر عن إتيان مثله ولظهوره لم يذكره لكن مقتضى السوق كونه تعليلاً لهما وكونه معجزاً من حيث اشتماله على الإخبار عن المغيبات لا يتنافى كونه معجزاً بكونه في الذروة العليا من البلاغة كما هو المختار.

قوله: (والقلب إن أراد به الروح فذاك وإن أراد به العضو فتخصيصه لأن المعاني الروحانية إنما تنزل أولاً على ثم ينتقل منه إلى الروح القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد

قوله: تقرير لحقية تلك القصص أي قوله عز من قائل: ﴿وَإِنَّا لَنَنْزِلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢] الآية تقرير وتحقيق لحقية تلك القصص السبع المذكورة الضمير في أنه عائد إلى التنزيل أي وإن هذا التنزيل يعني ما نزل من هذه القصص والآيات والمراد بالتنزيل المنزل والباء في به للتعلية قوله فإن الإخبار عنها ممن لم يتعلمها تعليل لكونه مقررأ لحقية القصص وتنبية على اعجاز القرآن ونبوة محمد ﷺ أي فإن الإخبار عن تلك القصص على ما هي عليه من غير زيادة ولا نقصان عما وقع من أمي لم يقرأ ولم يتحفظها من الكتب ولم يتعلمها من أحد لا يكون إلا بالوحي من الله تعالى ليس من عنده ﷺ.

قوله: فهو متعلق بنزل أي قوله بلسان متعلق بنزل في ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣] فالمعنى نزل بلسان العربي لتنذر به لأنه لو نزل بلسان الأعجمي لشجافوا عنه ولقالوا ما نصنع بما لا نفهم فيتعذر الانذار به وهذا الوجه يفيد أن تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لأنك تفهمه وتفهمه قومك ولو كان أعجمياً لكان نازلاً على سمعك دون قلبك لأنك تسمع أصوات حروف لا تفهم معانيها ولا تحفظها وقد يكون الرجل عارفاً بلغات كثيرة فإذا تكلم آخر مخاطباً إياه بلغة هو نشأ عليها وتطبع بها لم يكن قلبه إلا إلى معاني الكلام يتلقاها بقلبه ولا يكاد يقطع الألفاظ كيف جرت وإن تكلم وخاطبه بغير تلك اللغة وإن كان ماهراً في معرفتها كان نظره أولاً في الفاظها ثم في معانيها ولم يكن قلبه أولاً إلى المعاني فهذا تقرير أنه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي.

(١) كانه لشهرة شأنه وفرط تعبه لم يحتج إلى ذكره السابق وهذا يدل على فخامة شأنه.

منه إلى الدماغ فينتش بها لوح المتخيلة) والقلب إن أراد به الروح فإنه قد يطلق على الروح مجازاً لأنه محل الروح كما صرح به في قوله تعالى: ﴿وما يخدعون إلا أنفسهم﴾ [البقرة: ٩] الآية قوله فذلك أي فأمراً واضحاً إذ الروح هو الدراك وإن أراد به العضو المخصوص فلا بد من تخصيصه من نكتة لأنه نزل على رسول الله عليه السلام فتخصيصه لأن المعاني الروحانية الخ قيل إن كان هذا بناء على أن جبرائيل أنزل له المعاني خاصة وهو عبر عنها بلسانه فالأمر ظاهر لكنه خلاف القول الأصح عند المفسرين والمحدثين وإن كان هذا على المشهور بأنه أوحى إليه تارة كصلصلة الجرس وتارة يتمثل الملك فيتصل بالسمع أولاً ثم يرسم في الخيال ويدركه الروح لا بالعكس وإسقاط الواسطة لشدة تقيه لا يفيد هنا كما لا يخفى فعمل المراد بالمعاني هنا ما يقابل الأعيان لا ما يقابل الألفاظ ويكون هذا شأنًا خاصاً بالأنفس القدسية والأرواح المقدسة كأنها لقوتها تسبق الحواس في إدراك ما يلقي منها حتى كأنها تأخذ منها على عكس ما للعامة انتهت ولا يخفى أن قيد أولاً في قوله إنما ينزل أولاً على الروح بالنسبة إلى انتقاله إلى القلب كما صرح به حيث قال ثم ينتقل منه إلى القلب وهذا لا ينافي كون نزولها بالحواس أولاً ثم نزولها إلى الروح ثانياً غاية الأمر أنه لم يذكره لظهوره ولكون الروح مدركاً والحواس واسطة قوله تعالى: ﴿فإذا قرأناه﴾ [القيامة: ١٨] بلسان جبرائيل ﴿فاتبع قرأته﴾ [القيامة: ١٨] شاهد ناطق على أن وحي القرآن بالتلقي إلى السمع أولاً ونظائره كثيرة وأما قوله كأنها أي الأرواح المقدسة تسبق الحواس الخ ضعيف لأن سمع الأرواح المقدسة كروحه له شأن خاص وليس دون الروح في القوة وإدراك ما يلقي إليه والقول بسبقها الحواس يوزن نقبضة للحواس كما لا يخفى على أرباب الحواس فما الحاجة إلى ذلك التكلف^(١) والاكتفاء في البيان شائع في المحاورات كثير في الكتب المعنويات والمراد بالمعاني إما ما يقابل اللفظ بناء على أن القرآن عبارة عن المعاني كما هو رواية عن إمامنا أبي حنيفة حتى جوز القراءة بالفارسي في الصلاة وإن كان الصحيح خلافه ولعل المص اختاره هنا أو عام لها بملاحظة الحيثية أي المعاني الروحانية من حيث إنها مدلولات الألفاظ فيفيد أن القرآن مجموع اللفظ والمعنى بل التحقيق أنه عبارة عن النظم^(٢) من حيث دلالاته على المعنى وأما كون المعاني مقابلاً للأعيان لتتناول الألفاظ فضعيف لأنه غير متعارف في مثل هذا المقام نعم إن صاحب المواقف تبعاً لمحمد الشهرستاني حمل المعنى الواقع في كلام الشيخ أبي الحسن المعنى قديم على ما يقابل الأعيان فذهب إلى قدم نظم القرآن كمعناه كما فصل في المواقف وليس هذا بمناسب للمقام هنا ولك أن تحمل كلمة ثم في قوله ثم ينتقل منه إلى القلب وفي قوله ثم يتصعد الخ للتراخي الرتبي أو

(١) على أن المص لم يقل ثم ينتقل إلى الحواس حتى يقال كأنها لقوتها تسبق الحواس الخ بل قال ثم ينتقل منه إلى القلب ثم يتصعد منه إلى الدماغ الخ فأفاد أن القلب محل الإدراك بواسطة الحواس فيما يحتاج إلى الحس والخيال يحفظه بسبب تصعده إلى الدماغ فينتش بها لوح المتخيلة والمتخيلة هي الخيال.

(٢) اختار هذا صاحب التوضيح في أوائله فارجع إليه.

لتفاضل الأمرين أو للتراخي في الأخبار فيندفع الإشكال بالمرة ولا حاجة إلى التكلف الذي ارتكبه أرياب الحواشي.

قوله: (والروح الأمين جبريل فإنه أمين الله على وحيه) هذا وجه تسميته بالأمين وأما وجه تسميته بالروح فلكونه سبباً للحياة المعنوية كما أن الروح الذي يتردد في منافذ الحيوان سبب للحياة الفانية ويقال روح القدس لكرامته عند الله تعالى.

قوله: (وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر والكسائي بتشديد الزاي ونصب الروح والأمين) والمعنى نزل به الروح جعل الله الروح نازلاً به على قلبك والباء للتعدي في هذه القراءة وفي قراءة التخفيف وتنزيل بمعنى المنزل يفتح الزاي (عما يؤدي إلى عذاب من فعل أو ترك).

قوله تعالى: يَلْسَنَ عَرَفُو ثُبِينِ ﴿١٩٥﴾

قوله: (واضح المعنى لثلاثاً يقولوا ما نصنع بما لا نفهم فهو متعلق بنزل) واضح المعنى أي مبين من أبيان اللازم اختاره ليناسب المقام ولهذا قال لثلاثاً يقولوا الخ وأما المتعدي على معنى مبين للناس ما يحتاجون إليه من أمور دينهم ودنياهم وإن كان معنى جيداً في نفسه لكنه لا يناسب هنا فهو متعلق بنزل تفريع على هذا المعنى أي إذا اعتبر تعلقه بنزل فالمعنى ما ذكر.

قوله: (ويجوز أن يتعلق بالمتدبرين أي لتكون ممن أنذروا) فيكون المعنى غير ما ذكر وهو مقصود هنا كما عرفته ولهذا زيفه ولم يرض به إذ غرض النزول التفهيم لثلاثاً يتعذر الإنذار والوجه الثاني ساكت عنه.

قوله: (بلغة العرب) أشار إلى أن المراد باللسان اللغة دون الجارحة الظاهر أنه مجاز إذ المراد باللغة ما يعبر كل قوم عن مراده فذكر الآلة وأريد اللغة أي الألفاظ^(١) الموضوع.

قوله: (وهم هود وصالح وإسماعيل وشعيب عليهم السلام ومحمد عليه السلام) وهم هود الخ وزاد بعضهم خالد بن سنان وصفوان بن حنظلة.

قوله تعالى: وَإِنَّكُمْ لَفِي ذَمْرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾

قوله: (وإن ذكره) أي بتقدير المضاف أي إن ذكر القرآن مثبت في سائر الكتب السماوية.

قوله: (وإن ذكره أو معناه يعني أن الضمير في أنه يعود إلى القرآن على حذف مضاف وذلك المضاف ذكر أو معانٍ فالمعنى أن ذكر القرآن أو معانيه لمثبت في زبر الأولين أي كتب الأقدمين وفي تقديم الوجه الأول وهو أن يكون المضاف المقدر لفظ ذكر إشارة إلى أوليته من الوجه الثاني لأن المقصود في الإبراد إثبات النبوة وتفريع المكذبين على أن القرآن المجيد نازل من عند الله نزل

(١) أشار إلى أن المراد باللغة الألفاظ الموضوع.

قوله: (أو معناه لفي الكتب المتقدمة) أشار إلى أن المنزل هو القرآن الغير القديم وقيل المراد بالقرآن هنا معناه القديم لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَفِي زَكْرٍ الْأَوَّلِينَ﴾ وهذا عجب منه لأن ما نزل به الروح الأمين هو الألفاظ المخصوصة المترتبة ترتيباً خاصاً كما صرح به

به الروح وأنه ليس من الفناء الجن وما ينبغي لهم وما يستطيعون وفي قوله بلسان عربي إيماء إلى بيان اعجازه وأنه بنفسه دليل بين على حقيقته ومع ذلك أنه مذكور في كتب الأقدمين ومفسر على لسان الأولين ويؤيده قوله تعالى: ﴿أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٧] والضمير في يعلمه للقرآن ولذلك قال وإذا يثلى عليهم قالوا آمناً به إنه الحق من ربنا ولناصر الوجه الثاني وهو أن يكون المضاف المقدر المعاني أن يقول إن الضمير في قوله: ﴿وَإِنَّ لَتَنْزِيلَ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢] هو هذا بعينه كروء لإناطة معنى آخر به وهذا الضمير أيضاً راجع إلى ما سبق من القصص والآيات فيكون المعنى أن هذا المذكور من القصص والآيات منزل عليك بلسان عربي مبين وأن معاني منزلة في سائر الكتب السماوية المتقدمة ولذلك يصدقه علماء بني إسرائيل حيث وجدوه موافقاً لما في كتبهم وعلى هذا سائر المعاني من اثبات التوحيد وتأسيس الأحكام والحث على مكارم الأخلاق قال صاحب الكشاف وإن القرآن يعني ذكره مثبت في سائر الكتب السماوية وقيل إن معانيه فيها وبه يحتج لأبي حنيفة رحمه الله في جواز القراءة بالفارسية في الصلاة على أن القرآن قرآن إذا ترجم بغير العربية حيث قيل: ﴿وَإِنَّ لَفِي زَكْرٍ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٦] لكون معانيه فيها قال صاحب التفسير وفي الاحتجاج نظر على أنه على حذف المضاف وهو المعاني لا تسميتها قرآناً وقال الطيبي أيضاً وأما الاحتجاج به على جواز القراءة بالفارسية فمشكل والله أعلم أقول في حوايه من مراد صاحب الكشاف هو أن الضمير في أنه راجع إلى القرآن نفسه لا على حذف المضاف فحيث يتم الاحتجاج نقله إذا قيل إن القرآن لفي زير الأولين باعتبار كون معانيه فيها يفهم منه أن معنى القرآن مسمى بالقرآن على ما هو مقرر عند أئمة الأصول من أن القرآن لفظ مشترك يطلق على اللفظ والمعنى فعلى هذا يصلح الآية حجة للحنفية على أن القرآن قرآن إذا ترجم بغير العربية ومنشأ إشكال الشارحين إيراد قوله وبه يحتج عقيب قوله وقيل إن معانيه فيها فظن منه أن الاحتجاج على تقدير المضاف الذي هو المعاني وليس مراده ذلك بل مراده أن ظاهر الآية من غير تقدير مضاف به يحتج لأبي حنيفة رحمه الله على أن القرآن قرآن إذا ترجم بغير العربية قوله على التخفيف أي على حذف ياء النسبة من أعجميين كأنه جمع أعجم وهو على خلاف قراءة الحسن فإنه قرأ على بعض الأعجميين بإثبات ياء النسبة قال ابن جني قراءة الحسن عذر في القراءة المجمع عليها وتفسير للقرآن منها وذلك أن ما كان من الصفات على الفعل وانتاء فعلاء لا يجمع بالواو والنون دليلاً عليها وأما لإرادتها كما جعلت صحة الواو في عواور أمارة لإرادة الباء في عواوير يعني أن القراءة المجمع عليها وهي القراءة بالتخفيف توهم أنه جمع أعجم فيرد عليها أن الفعل صفة لا يجمع بالواو والنون فقراءة الحسن بالتشديد اعتذار من طرف القراء الذين قرؤوا بالتخفيف حيث أرادوا أنه مخفف من المشدد أصله أعجميين جمع أعجمي لا جمع أعجم ولذا جمع بالواو والنون ولو لا اعتبار أنه مخفف من المشدد لما جمع بالواو والنون وهذا هو معنى قوله رحمه الله ولذا جمع جمع السلامة أي ولأجل أن أعجميين جمع أعجمي مخفف من أعجميين جمع جمع السلامة إذ لو كان جمع أعجم لما جمع جمع السلامة بل جمع جمع التكسير على أعاجم أو على عجم.

صاحب التوضيح في أوائله وتقدير المعنى صريح في أن المراد هو النظم المخصوص من حيث دلالة على المعنى المخصوص.

قوله تعالى: **أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَوُا بَنِي إِسْرَءِيلَ** ﴿١٩٧﴾

قوله: (على صحة القرآن أو نبوة محمد عليه السلام) أي^(١) مع قطع النظر عن دلالة إعجازه على كونه من عند الله أو على نبوة محمد عليه السلام.

قوله: (أن يعرفوه بنعته المذكور في كتبهم) أن يعرفوه أي القرآن أو محمداً عليه السلام وكلمة أو هنا لمنع الخلو.

قوله: (وهو تقرير لكونه دليلاً وقرأ ابن عامر تكن بالثاء وآية بالرفع على أنها الاسم والخبر لهم وأن يعلمه بدل) وهو تقرير لكونه دليلاً أي الاستفهام إنكار للنفي وتقدير للنفي أي تقرير كون علم بني إسرائيل دليلاً وفيه إشارة إلى أن قوله أن يعلمه اسم كان وآية خبره وآية بمعنى دليلاً.

قوله: (أو الفاعل وأن يعلمه بدل ولهم حال أو أن الاسم ضمير القصة وآية مبتدأ وخبره أن يعلمه والجملة خبر تكن) أو الفاعل عطف على قوله الاسم على أن كان تامة قوله أو أن الاسم الخ عطف على قوله إنها الاسم.

قوله تعالى: **وَلَوْ رَفَعْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ** ﴿١٩٨﴾

قوله: (كما هو) أي القرآن على حاله من الإعجاز مع كونه عربياً.

قوله: (زيادة في إعجازه) أي في إعجاز المنزل عليه حيث ظهر على يديه مثله حاوياً الفصاحة والبراعة مع أنه لا يعرف^(٢) اللسان العربي أو في إعجاز المنزل وتنزيل القرآن بلسان عربي على بعض الأعاجم الذي لا يحسن العربية كونه زيادة في إعجاز المنزل محل نظر.

قوله: (أو بلغة المعجم) عطف على قوله كما هو.

قوله تعالى: **فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ** ﴿١٩٩﴾

قوله: (فقرأه) أي فقرأ بعض الأعجمين عليهم أي على كفار قريش ﴿ما كانوا به

(١) وكون علم علماء بني إسرائيل دليلاً لأنفسهم يعلم بالطريق الأولى وفيه توبيخ عظيم للأخبار والرهان حيث انكروا القرآن مع أنه معلوم لهم بالرهان.

(٢) وهذا سبب زيادة إعجاز القرآن حيث ظهر على يد بعض الأعاجم الذي لا يحسن العربية فضلاً أن يقدر على نظم مثله فقرأه عليهم هكذا فصيحاً معجزاً متحدثاً به لكفروا به كما كفروا ولثمحلوا ليجودهم علماً ولسموه سحراً وهذا بيان من الله تعالى كمال شدة شكيتهم وقرط عنادهم لأن هذا أعجب من إنزال القرآن على رسول عربي بلسان عربي فكفرهم به أشنع من كفرهم به حين إنزاله على نبي عربي ولذا قال تعالى: ﴿ولو نزلنا﴾ مفروضاً تنصيصاً على كمال تماديه على الكفر وفيه تسلية لرسول الله عليه السلام على أكمل وجه وجيه.

مؤمنين» سلب كلي والدوام في السلب وفي الكبير لكفروا به أيضاً ولتمحلوا لجهوده عذراً والظاهر من كلام المص السلب الكلي حيث قال لفرط عنادهم واستكبارهم هذا ناظر إلى قوله كما هو زيادة في إعجازه أو لعدم فهمهم الخ ناظر إلى قوله أو ببلغه العجم.

قوله: (لفرط عنادهم واستكبارهم أو لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم والأعجمين جمع أعجمي على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة) جمع أعجمي كالأشعري جمع الأشعري على التخفيف أي في الجمع حيث حذف ياء النسبة ولذلك أي ولكون مفردة أعجمياً لا أعجم جمع السلامة فإن افعل فعلاء لا يجمع جمع سلامة نقل عن صاحب الكشف أنه قال الأعجم الذي بمعنى لا يفصح وفي لسانه عجمة ليس له فعلاء وإن كان متقولاً عما له ذلك فجاز أن يجمع بالواو والنون قيل ومراده أنه ليس له فعلاء بهذا المعنى وما سمع من عجماء فيغير هذا المعنى كما في صلاة النهار عجماء وجرح العجماء جبار وهو الذي أراده أبو بكر الرازي في كتابه غريب القرآن الأعجم هو الذي لا يفصح لعجمة في لسانه وإن كان عربياً والأثنى عجماء.

قوله تعالى: كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾

قوله: (ادخلناه).

قوله: (والضمير للكفر المدلول عليه بقوله: ﴿ما كانوا به مؤمنين﴾ [الشعراء: ١٩٩]) والضمير للكفر الخ وسيجيء احتمال آخر قدمه لمناسبة السوق وإليه أشار بقوله المدلول عليه بقوله: ﴿ما كانوا به مؤمنين﴾ [الشعراء: ١٩٩].

قوله: (فتدل الآية على أنه بخلق الله تعالى) أي الكفر بخلق الله تعالى وفيه رد للمعتزلة.

قوله: ادخلناه هو تفسير باللازم وإلا فمعنى ﴿سلكناه في قلوب المجرمين﴾ جعلناه سالكاً فيها وهذا هو معنى الإدخال أي مثل ذلك السلك سلكناه فذلك إشارة إلى السلك الذي ذكر وهو اضطراب جهود القرآن وتكذيب الرسول في قلوبهم أي مثل السلك الذي ذكر جعلنا الكفر سالكاً في قلوبهم وهكذا مكناه وقررناه فيها وعلى مثل هذه الحال وهذه الصفة من الكفر والتكذيب وضعناه فيها فكيف ما فعل بهم وصنع وعلى أي وجه دير أمرهم فلا سبيل إلى أن يتغيروا عما هم عليه من الجحود والإنكار كما قال الله تعالى: ﴿ولو أنزلنا عليك كتاباً﴾ [الأنعام: ٧] في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا: ﴿إن هذا إلا سحر مبين﴾ [الصافات: ١٥] قوله فتدل الآية على أن الكفر يخلق له تعالى لأن معنى ادخال الكفر في قلب خلقه فيه والمعتزلة لما لم يجوزوا إسناد خلق القبيح إلى الله تعالى صرفوا الآية عن ظاهر فأولوا سلك الكفر في القلوب بشمكته وتبشبه فيها ولذا قال صاحب الكشف في تفسير ﴿كذلك سلكناه في قلوب المجرمين﴾ هكذا مكناه وقررناه فيها ثم قال فإن قلت كيف أسند السلك بصفة التكذيب إلى ذاته قلت أراد به الدلالة على تمكنه أي على تمكن المنزل مكذباً في قلوبهم أشد التمكن فجعله بمعتزلة أمر قد جيلوا عليه وفطروا فقال القاضي رحمه الله رداً عليه فتدل الآية على أنه بخلق الله تعالى.

قوله: ﴿وقبل للقرآن أي أدخلناه فيها فعرفوا معانيه وإعجازه ثم لم يؤمنوا به عناداً﴾ وقبل للقرآن مرضه لما مر وأيضاً كونه متسلطاً في قلوب المجرمين بالمعنى الذي ذكره المص بعيد ولزوم تفكيك الضمير على الأول لا يخل كونه راجحاً لقربه وسلامته عن المحذور في إرجاعه إلى القرآن مع أن فيه تقوية مذهب أهل السنة من أن الكفر وسائر المعاصي يخلق الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾

قوله: (الملجئ إلى الإيمان) الملجئ إلى الإيمان أي أنهم يؤمنون حيثئذ لكنه ليس بمقبول لعدم الامتثال لقوله لا يؤمنون حال مقررة لما قبله مؤكدة له في صورة رجوع الضمير إلى الكفر واستئناف معاني في احتمال رجوع الضمير إلى القرآن.

قوله تعالى: ﴿فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

قوله: (فيأتيهم في الدنيا والآخرة) فيأتيهم الفاء للتعقيب بغتة أي على غفلة منه إذ البغته حصول الأمر من غير توقع وتقديم الأسباب وهذا غير مرتبط بقوله: ﴿حتى يروا العذاب الأليم﴾ [الشعراء: ٢٠١] فإن المراد به معاينة العذاب عند الموت حتى يقال إن الرؤية تنافي البغته بل هذا مرتبط بقوله لا يؤمنون في الوجود قوله ﴿حتى يروا﴾ بيان غاية عدم إيمانهم فحيثئذ ينتهي عدم الإيمان بالإيمان لكن لا ينفعهم والزمخشري حمل التعقيب والترتب على الشدة دون الوجود كأنه قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم العذاب فما هو أشد منه وهو لحوقه بهم مفاجأة فما هو أشد منه وهو سؤالهم النظرة انتهى^(١) وحاصله أنه جعل الفاء للتفاوت الترتبي كأنه قيل حتى تكون رؤيتهم للعذاب فما هو أشد منها وهو مفاجئته فإن المفاجأة أشد على النفوس من رؤية العذاب فما هو أشد منه وهو سؤالهم النظرة فإن ذلك السؤال أشد من مفاجأة العذاب فاستفدنا منه أن التفاوت الترتبي قد يستعمل الفاء فيه مثل استعمال ثم فيه وسره أنهما يدلان على الترتيب على التعقيب في كلمة الفاء وعلى التراخي في ثم ولو قيل الفاء في قوله فيأتيهم بغتة للترتيب في الاخبار كما قيل في قوله تعالى: ﴿فليُنظر هل يذهبن كيده ما يغيظ﴾ [الحج: ١٥] لكان أقل مؤنة قوله في الدنيا الخ أما المفاجأة في عذاب الدنيا فظاهر وأما في عذاب الآخرة فوجه البغت فيه أن يراد أنه يأتيهم من غير انتظار وشعور به قبل وقوعه.

قوله: (بإيتانه) في قوله تعالى: ﴿وهم لا يشعرون﴾ [الشعراء: ٢٠٢] إشارة إليه.

(١) تمامه ومثال ذلك أن تقول لمن تعظ إن أسأت مقلتك الصالحون فمقلتك الله فإنك لا تقصد بهذا الترتيب أن مقلته الله يوجد عقب مقلته الصالحين وإنما قصدك إلى ترتيب شدة الأمر على المسيء وأنه يحصل له بسبب الإساءة مقلته الصالحين فما هو أشد من مقلتهم وهو مقلته الله تعالى.

قوله تعالى: **فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ** ﴿٢٠٣﴾

قوله: (فيقولوا هل نحن منظرون تحسراً وتأسفاً) منظرون يسألون النظرة والإمهال طرفة عين فلا يجاب إليها كذا في الكشف وفيه تأمل لأن هذا القول عند نزول العذاب فلا يكون سؤالهم على ظاهره حتى يقال فلا يجاب إليها بل مرادهم إظهار التحسر وإلى ذلك أشار المصنف بقوله تحسراً وتأسفاً ثم هذا أبلغ من أنحن منظرون أو فهل نحن ننظر تقديم المسند إليه على المشتق للاهتمام به لا للحصر.

قوله تعالى: **أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ** ﴿٢٠٤﴾

قوله: ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ الفاء للمعطف على مقدر أي أيقفلون^(١) فيستعجلون بعذابنا قدم المعمول لرعاية الفاصلة وقيل في الفاء دلالة على تربيته على السابق إلا أنها أخرت لأن همزة الاستفهام حقها الصدارة وإن استعير للمعنى آخر.

قوله: (فيقولون أمطر علينا حجارة من السماء فأتينا بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب أي طلب النظرة) فيقولون أمطر علينا الخ إشارة إلى أن استعجالهم لاعتقادهم أنه غير كائن ولا لاحق بهم وأنهم متمتعون بأعمار طوال في سلامة وأمن وأنكر الله عليهم بأنهم يستعجلون بعذابنا استهزاء وحالهم عند نزول العذاب طلب الإمهال فالاستفهام للإنكار الواقعي توبيخاً.

قوله: تحسراً وتأسفاً أي يقولون هل نحن منظرون تحسراً وتأسفاً على ما فات منهم وفرط عنهم منظرون من الانتظار بمعنى الإمهال أو من النظرة بمعنى الانتظار وكلاهما دالّان على معنى المهمل قال صاحب الكشف في معنى الفاتين في قوله تعالى: ﴿فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً﴾ [الشعراء: ٢٠٢] فيقولوا ليس المعنى ترادف رؤية العذاب ومفاجأته وسؤال النظرة فيه في الوجود وإنما المعنى تربيته في الشدة كأنه قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم للعذاب فما هو أشد منها وهو لحوقه بهم مفاجأة فما هو أشد منه وهو سؤالهم النظرة ومثال ذلك أن تقول لمن تعظه إن أسأت مفتك الصالحون فمفتك الله فإنك لا تقصد بها الترتيب أن مفت الله يوجد عقيب مقت الصالحين وإنما قصدك إلى ترتيب شدة الأمر على المسيء وأنه يحصل له بسبب الإساءة مقت الصالحين فما هو أشد من مقتهم وهو مقت الله وتري ثم في هذا الأسلوب فيحل موقعه.

قوله: فيقولون أمطر علينا حجارة فأتينا بما تعدنا وما لهم عند نزول العذاب طلب النظرة يعني قوله عز من قائل: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٤] تبيكيت لهم بإنكار وتوبيخ واستهزاء فالمعنى كيف يستعجل العذاب من هو معرض لعذاب يسأل فيه اليوم النظرة والإمهال منه ويستعجلون على هذا مضارع وقع موقع الماضي على حكاية الحال الماضية في الدنيا وكان من حق الظاهر أن يقال أفبعذابنا استعجلوا.

(١) لأنه قد فاجتبعهم فيها ما لم يكن يبرأى ولا خاطر.

قوله تعالى: أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَفَنَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَشْكُرُونَ ﴿٢٠٧﴾

قوله: (أفرايت) أي أخبر لما كان الرؤية أقوى سبب الإخبار استعمل أرايت بمعنى الإخبار والفاء مثل الفاء في ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ والخطاب لكل من يصلح أن يخاطب ويؤيده التعبير بالفعل مع الاستفهام عن معنى أخبر لإفادة معنى التعجب والإنكار وإن من حق هذه القصة أن يخبر بها كل أحد حتى يتعجب أو الخطاب له عليه السلام.

قوله: (لم يغن عنهم تمتعهم المتطاوّل في دفع العذاب وتخفيفه) لم يغن عنهم الخ الظاهر أنه حمل ما في ما أغنى على النفي ويحتمل أن يكون استفهامية لإنكار الوقوع فيفيد النفي قوله تمتعهم إشارة إلى كون ما في ما كانوا مصدرية لكن الظاهر كونهم متمتعين وعادته إسقاط كان فلا يعرف وجهه وقد أشرنا إليه في أول السورة في قوله تعالى: ﴿لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين﴾ [الشعراء: ٣] مناقشة للفاضل المحشي^(١) ومثل هذا المقام دليل على ما ذكرنا هناك قوله المتطاوّل منفعهم من قوله سنين^(٢) حيث لم يكتف بقوله إن متعناهم ولم يتعرض لما في الكشف ثم قال هب أي سلمنا أن الأمر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فإذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول أعمارهم وطيب معاشهم إذ المناسب للمقام عدم نفعهم في دفع العذاب لا عدم نفعهم في حد ذاته ويمكن حمل كلامه على ما اختاره المصنّ بالعتاية.

قوله تعالى: وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْنٍ إِلَّا مَا مُنِذَرُونَ ﴿٢٠٨﴾

قوله: (أنذروا أهلها إلزاماً للحجة) أشار إلى أن جمع منذرون من قبيل انقسام الآحاد لأن القرية في سياق النفي عامة للقرى الظالمة كأنه قيل وما أهلكنا من القرى الظالمة فلا حاجة إلى أن يقال المنذرون من بني ومن معه من المؤمنين.

قوله تعالى: ذِكْرٌ وَمَا كُنَّا عَلَى يَدَيْهِمْ

قوله: (تذكّرة ومحلها النصب على العلة أو المصدر لأنها في معنى الإنذار أو الرفع

قوله: ومحلها النصب على العلة أو المصدر فالعنى على الأول وما أهلكنا وعلى الثاني منذر ومن قرية ظالمين إلا بعد ما الزمانهم الحجة بإرسال المنذرين إليهم ليكون إهلاكهم تذكّرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم فيكون تذكّرة مفعولاً له لأهلكنا وعلى الثاني منذرون إنذاراً ومذكّرون تذكّرة لأن الذكر بمعنى التذكير وهو تذكير أهوال الآخرة وهو عين الإنذار قوله أو بجعلهم ذكرى لإمعانهم في التذكّرة عطف على بإضمار ذوو أي كونه صفة إما بإضمار ذوو

(١) وهنا قال ذلك الفاضل أي كونهم متمتعين إشارة إلى أنه مراد المصن ولا يخفى أن كلامه آب عنه.

(٢) وقيل هو مستفاد من كان فإنها تستعمل في الاستمرار لا يخفى أن هذا خلاف مذاق المصن.

على أنها صفة منذرون بإضمار ذوو) ومحلها النصب على العلة أي مقول له للمنذرين أي لأجل التذكير لمن نفع الذكر فاعلة نحصلية.

قوله: (أو يجعلهم ذكري لإمعانهم في التذكرة) أي لمباغتتهم وأصل معنى الإمعان البعد ولذا يطلق على دقة النظر إمعان النظر لبعده عن الوصول.

قوله: (أو خبر محذوف والجملة اعتراضية) أو خبر محذوف أي هذه ذكري أو هم ذوو ذكري أو هم نفس ذكري للمبالغة والجملة اعتراضية بين المتعاطفين^(١).

قوله: (﴿وما كنا ظالمين﴾ [الشعراء: ٢٠٩]) للاستمرار في النفي لا نفي الاستمرار بملاحظة النفي أولاً ثم الاستمرار ثانياً وفي عكسه عكس.

قوله: (فنهلك غير الظالمين أو قبل الإنذار) فنهلك بالنصب جواب النفي أي وما وجد منا ظلم ولا إهلاك غير الظالمين وقيل الإنذار وهذا أبلغ من وما ظلمنا مع رعاية الفاصلة والمراد في مثل هذا نفي ما هو في صورة الظلم لو صدر من غيره تعالى وإلا فالتصرف في ملكه فلا يتصور ظلم ولو أهلك غير ظالم وقبل الإنذار.

قوله تعالى: وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾

قوله: (﴿وما تنزلت به الشياطين﴾ كما زعم المشركون أنه من قبيل ما يلقي الشياطين على الكهنة) ﴿وما تنزلت به الشياطين﴾ قيل إنما أتى بصيغة التكلف والجمع لأنه على تقدير وقوع المنفي لا يكون إلا بزيادة تكلف ومشقة من جماعة منهم على ما تبين عند تفصيل كيفية استراق السمع وهذا لا يلائم قوله تعالى في سورة مريم: ﴿وما ننزل إلا بأمر

فالمعنى منذرون ذوو ذكري أو بلا إضمار ذوو فيكون من قبيل الوصف بالمصدر مبالغة كأن يقال هم تذكرة مثل رجل عدل فجعلوا ذكري لأمعانهم في التذكرة واطنابهم فيها.

قوله: أو خبر محذوف أي أو يكون مرفوعاً على أنه خبر مبتدأ محذوف بمعنى هذه ذكري والجملة اعتراضية حيث في آخر الكلام لبيان علة الحكم السابق وهو حكم الإهلاك أي أهلكتناهم تذكرة لمن بعدهم ويحيي الجملة كثيراً لبيان العلة كبعض صور الجمل الاستثنائية والحالية والاعتراضية.

قوله: وقيل الإنذار عطف على غير الظالمين أي ما كنا ظالمين فنهلك قبل الإنذار وفيه إشعار بأن الإهلاك قبل الإنذار وفيه إشعار بأن الإهلاك قبل الإنذار ظلم سواء كان المهلك ظالماً أو غير ظالم.

قوله: كما زعمت المشركون كانوا يقولون إن محمداً كاهن وما ينزل عليه من جنس ما تنزل به الشياطين على الكهنة فكذبوا بأن ذلك مما لا يتسهل للشياطين ولا يقدرون عليه لأنهم مرجومون بالشبه معزولون عن استماع كلام أهل السماء.

(١) ونكتة الاعتراض الترخيب على اتباع المنذرين والتوبيخ على المعرضين.

ربك ﴿مریم: ٦٤﴾ فإن التكلف فيه لا معنى له قال المص هناك والتزول النزول على مهل لأنه مطاوع نزل وقد يطلق بمعنى النزول مطلقاً فهو لازم وكان متعدباً بكلمة الباء غاية الأمر أنه يفهم منه التزليل على مهل والمص أشار إليه كما زعم المشركون أنه من قبيل ما يلقي الشياطين والإلقاء يكون على مهل ولا بحسن معنى التكلف هنا والجمع لكونه^(١) واقعاً كذلك في زعم المشركين.

قوله تعالى: وَمَا يَنْفِي هُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾

قوله: (وما يصح لهم أن يتزولوا به وما يقدون) وما يصح لهم حمل عليه لأنه أبلغ وأنسب لقوله ﴿وما يستطيعون﴾ هذا إذا جعل الكلام من قبيل الترفي وإن جعل تأكيداً له فالمعنى ذلك لا غير.

قوله تعالى: إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾

قوله: (لكلام الملائكة) يعني كلامهم الذي هو الوحي النازل للأنبياء عليهم السلام فالإضافة لكونهم حاملين له وإلا فهو كلام الله تعالى مثل قوله تعالى: ﴿إنه لقول رسول كريم﴾ [الحاقة: ٤٠] أي جبرائيل فإنه قال عن الله تعالى فلا يرد أنهم قد يسترقون السمع.

قوله: (لأنه مشروط بمشاركة في صفات الذات وقبول فيضان الحق والانتقاش بالصور الملكوتية ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات لا تقبل ذلك والقرآن مشتمل على حقائق ومغيبات لا يمكن تلقيبها إلا من الملائكة) لأنه مشروط الخ يعني شرطاً عادياً فلا يخالف مذهب أهل الحق والمراد أن سماع الوحي مشروط كما يشير إليه قوله والقرآن مشتمل الخ لا مطلق سمع كلامهم فإن للوحي شأناً آخر ألا يرى إلى ما ورد في الآية الكرسي من أنها لا تقرأ في بيت فتقر به وفي رواية إلا أخرج منه الشيطان وورد نحوه في الآيتين من سورة البقرة كذا قيل لكن بيان المص يقتضي كونهم معزولين عن سمع كلامهم على الإطلاق^(٢) ألا يرى قوله والانتقاش بصور الملكوتية فأنى لهم ذلك نعم إن الكلام في القرآن وإنهم أي الشياطين لمعزولون أي لممنوعون عن السمع أي سمعه قبل نزول الوحي للحفظ عن التغيير فالإشكال في تقرير المص قيدنا بقبل نزول الوحي لأنه يسمعون آيات القرآن بعد الوحي إلا آية الكرسي وآيتين من آخر سورة البقرة كما مر.

قوله: لأنه مشروط أي لأن السمع أي استماع كلام الملائكة مشروط بمشاركة السامع في صفات الذات إذ بذلك المشاركة يحصل المناسبة والاستعداد لقبول الفيض من الذات المقدسة.

(١) ألا يرى أنه قال تعالى في آية أخرى ﴿وما هو بقول شيطان رحيم﴾ [التكوير: ٢٥] بالافراد فلا جرم أن ما ذكره القائل ليس بنام.

(٢) لكن ما ذكره المص جار في استراق السمع والوحي بعد النزول والمدعي متخلف فإن قوله لأنه مشروط بمشاركته في صفات الذات يقتضي عدم الأخذ من الملائكة مطلقاً فتأمل.

قوله تعالى: فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا لَّهَا لَعَنَ فَتَكُونُ مِنَ الْمَعْدُودِينَ ﴿٢١٤﴾

قوله: (تهيبج لازدياد الإخلاص) والنهي ليس بمقصود لأنه غير متوقع منه عليه السلام فالمراد تحريك وترغيب على ما كان عليه من الإخلاص والتوحيد وزيادته بدوامه فإن الشيء يزداد بدوامه فهو كتابة عن الإخلاص في التوحيد حتى لا يرى مع الله سواء أو مجاز عنه فإن النهي عن الشيء يلزمه الأمر^(١) بضده.

قوله: (ولطف لسائر المكلفين) يحتمل أن يكون إشارة إلى وجه آخر ذكره في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٧] في سورة البقرة حيث قال هناك أوامر الأمة باكتساب المعارف الخ وهنا أوامر الأمة بالإخلاص وكونه لطفاً أنه لم يوجهها به ولو خوطبوا به لخافوا أن يتهموا به أو محتملاً صدورهم منهم فيما سيأتي عند الله تعالى فخطوبه به من لم يخف في شأنه الاتهام به واحتمال صدورهم وهذا فن من البلاغة فاحفظ هذا فإنه يجري في جميع مثل هذا النهي.

قوله تعالى: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٥﴾

قوله: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ [الشعراء: ٢١٤] ظاهره عطف على قوله تعالى ﴿فَلَا تَدْعُ﴾ لأنه أمر بالتوحيد وهذا أمر بالأمر للأقربين للتوحيد بهذا علم الارتباط وأما ارتباط ﴿فَلَا تَدْعُ﴾ بالفاء لما ثبت مما قبله التوحيد في ضمن تسليّة الرسول عليه السلام وإقامة الحجة على نبوته والجواب عن سؤال المنكرين.

قوله: (الأقرب منهم فالأقرب) من بيانية لا تفضيلية فالأقرب أي الأقرب بعده.

قوله: (فإن الاهتمام بشأنهم أهم) وجه تخصيصهم بالذكر وتقديم إنذارهم على إنذار غيرهم واكتفى بالإنذار لأنه أهم من التبشير العشيرة عامة للمفخذ وما فوقها المفخذ في العشائر أقل من البطن أولها الشعب ثم القبيلة ثم الفصيلة ثم العمارة ثم البطن ثم المفخذ كذا في الصحاح فيتناول الذكور والإناث.

قوله: الأقرب فالأقرب اختار رحمه الله من الوجهين اللذين ذكرهما صاحب الكشف في بيان معنى ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ [الشعراء: ٢١٤] الوجه الأول وهو أن يؤمر ﷺ بإنذار الأقرب فالأقرب من قومه ويبدأ في ذلك بمن هو أولى بالبداة ثم بمن يليه وأن تقدم الأقرب على الأقرب كما روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه لما دخل مكة قال كل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين وأول ما أضعه ربا العباس والوجه الثاني أن يؤمر عليه السلام بأن لا يأخذه رافة في إنذار قرأته وتخوفهم وعلى هذا الوجه لا يلزم مراعاة الترتيب كما روعيت في الوجه الأول.

(١) فيما يكون النهي فائتاً بالاشتغال بعدم الضد وفي التوضيح والصحيح أنه أن فوت أي الضد المقصود بالأمر يحرم الضد وأن فوت عدم الضد المقصود بالنهي يجب الضد.

قوله: (روي أنه لما نزلت صعد الصفا ونادبهم فخذاً فخذاً حتى اجتمعوا إليه فقال لو أخبرتكم أن يسفح هذا الجبل خيلاً أكتتم مصدقي قالوا نعم) بيان لإنذاره عليه السلام أقاربه امتثالاً لأمره تعالى فخذاً فخذاً قد عرفت معنى الفخذ لكن المراد به هنا مطلق الأقارب ولذا قال فيما مر الأقرب فالأقرب مصدقي بياء مفتوحة مشددة أصله مصدقين فأضيف إلى باء المتكلم فصار مصدقي.

قوله: (قال إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد) بين يدي مستعار للقرب أي بعذاب قريب إن لم تؤمنوا قال في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦] أي قدامه لأنه مبعوث في نسيم الساعة أي أوائلها ولو بمعنى إن أي إن أخبرتكم أن يسفح هذا الجبل أي في أسفله خيلاً أي فرساً أو جماعة من الفرس ومراده عليه السلام به إظهار صدقه وأمانته عندهم وأن يعترفوا به فلما اعترفوا لكونه مشتهراً بينهم قال إني رسول الله إليكم وإلى جميع الناس فاتبعوني تنجوا من العقاب وإني نذير لكم الخ قبل والحديث المذكور صحيح رواه ابن حبان وغيره.



قوله تعالى: وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

قوله: (لين جانبك لهم مستعار من خفض الطائر جناحه إذا أراد أن ينحط ومن للتبيين لأن من اتبع أعم ممن اتبع لتبيين أو غيره) لين جانبك لهم وتواضع وأرفق بهم قوله من خفض الطائر الخ يشير إلى أن الكلام استعارة تمثيلية تشبه هيئة حال المتواضع بالهيئة المأخوذة من الطائر وجناحه وخفضه حين أن ينحط والاستعارة التبعية بعيدة إذ التشبيه في المركب على ما هو الظاهر من كلام المص ولا يصار إلى المجاز المرسل حسبما أمكن الاستعارة لا سيما التمثيلية وإن صح في نفسه بالقول بأنه مستعمل في لازم معناه ومن للتبيين وهو الظاهر وعن هذا قدمه والمراد بالمؤمنين جميع من آمن من عشيرته وغيرهم

قوله: فخذاً فخذاً أي قبيلة قبيلة قوله مصدقي بتشديد إحدى الباءين هي المتقلبة من واو الجمع والأخرى باء الإضافة.

قوله: مستعار من خفض الطائر جناحه إذا أراد أن ينحط للوقوف كسر جناحه عند الانحطاط وخفضه وإذا أراد أن ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلاً في التواضع ولين الجانب فيكون استعمال خفض الجناح في التواضع من باب الاستعارة التمثيلية حيث شبه حال المتواضع بحال الطائر الخافض جناحه للانحطاط والوقوف من استعمال خفض الجناح في التواضع قوله:

وَأَنْتَ شَهِيرٌ بِخَفْضِ الْجَنَاحِ فَلَا تَسْكُ فَيَرْفَعُهُ أَجْدَلَا

الأجدل الصقر لجدالته أي قوته ومعنى البيت أنت مشهور بالتواضع فلا تك متكبراً كالصقر في رفع الجناح فرفع الجناح عبارة عن التكبر والتجبر كما أن خفضه عبارة عن التواضع والسكينة ولين الجانب.

كما في المدارك وغيره وسره أن علة الخفض الإيمان وهو عام فاللام للاستغراق العرفي لا للعهد كما يوهمه عقيب ذكر العشيّة.

قوله: (أو للتبعض على أن المراد من المؤمنين المشارفون للإيمان أو المصدقون باللسان) المشارفون للإيمان وإن لم يؤمنوا فمن تحقق منهم الاتباع بعض منهم وهو من آمن بالفعل وليس فيه جمع بين الحقيقة والمجاز كما هو الظاهر إذ المشارف له ما لم يتصف به بالفعل سواء كان متصفاً به بعده أو لا وهذا تكلف وإن جاز عند المص أو المصدقون^(١) باللسان ومن جمع إليه التصديق وهو المراد ممن اتبعك بعض منهم وهذا خلاف الظاهر ولذا أخره وعلى هذا المراد من الاتباع الاتباع الديني.

قوله تعالى: فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾

قوله: (﴿فإن عصوك﴾) أي عشيرتك.

قوله: (ولم يتبعوك مما تعملونه أو من أعمالكم) ولم يتبعوك بيان عصيانهم والتعبير بالماضي لأن العصيان منتظر الوقوع منهم كأنه وقع وفي الكشف يعني أئذ قومك فإن اتبعوك وأطاعوك فاحفض لهم ولغيرهم جناحك فإن عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن أعمالهم الشرك بالله وغيره وأشار به إلى أن أصل الكلام هكذا لكن غير في الشق الأول تعميماً لهم ولغيرهم كما عرفته وأما في الشق الثاني وهو العصيان فخص بالعشيّة إذ الكلام فيهم وليظهر ذلك الحكم في حق غيرهم بطريق الأولى وأما في الشق الأول فلو خص

قوله: على أن المراد بالمؤمنين المشارفون للإيمان هذا على تقدير كون من للبيان وقوله أو المصدقون باللسان على تقدير كونها للتبعض وتأويله هذا جواب لما عسى يسأل ويقال إن قوله: ﴿من المؤمنين﴾ [الشعراء: ٢١٥] ظاهراً غير متصلح لأن يقع بياناً لقوله من اتبعك لأن من اتبعك لا إبهام فيه ولا يحتمل غير المؤمنين حتى يحتاج إلى البيان فأجاب عنه بوجهين أحدهما أن المؤمنين يراد بهم الذين لم يؤمنوا بعد بل شاربوا لأن يؤمنوا كالمؤلفة قلوبهم مجازاً باعتبار ما يؤول إليه فكان من اتبعك عاماً شاعراً في من آمن حقيقة ومن آمن مجازاً فبين لإبهامه بقوله من المؤمنين أن المراد بهم المشارفون للإيمان أي تواضع لهؤلاء استمالة وتآليفاً وثانيهما أن يراد بالمؤمنين الذين قالوا آمنا وهم صنفان صنف صدق واتبع وصنف ما وجد منهم إلا التصديق فقل من المؤمنين وأريد بعض الذين صدقوا واتبعوا أي تواضع لهم محبة ومودة فمن على الأول بيانية وعلى الثاني تبعية وموقعه على كونها تبعية موقع البدل من من اتبعك والتقدير واحفض جناحك لمن اتبعك منهم فعدل إلى المؤمنين ليعم ويؤذن أن صفة الإيمان هي التي يستحق أن يكرم صاحبها ويتواضع لأجلها من اتصف بها سواء كان من عشيرتك أو غيرهم.

قوله: أو من أعمالكم يعني لفظ ما في ما تعملون موصولة أو مصدرية قوله الذي يقدر على قهر أعدائه ناظر إلى معنى العزيز وقوله ونصر أوليائه ناظر إلى معنى الرحيم.

الحكم وهو التواضع بالأقربين فلا يظهر كون ذلك الحكم في حق غيرهم بطريق الأولى وفي قوله: ﴿فقل إني بريء مما تعملون﴾ [الشعراء: ٢١٦] مبالغة وإن كان إطناباً حيث لم يجرء فتيراً منهم ومن أعمالهم مع أنه المراد أشير إليه في الكشف ولم يذكر التبرؤ منهم لأن التبرأ من أعمالهم مستلزم للتبرؤ منهم إذ التبرؤ منهم مقابل لخفض جناحه لهم لا التبرؤ من أعمالهم فقط مع أن أعمالهم ليست بمتوقعة منه عليه السلام حتى أمر بالتبرؤ منها فلا جرم أن المراد التبرأ منهم ولهذا قال تعالى عقيبهُ ﴿وتوكل على العزيز الرحيم﴾ [الشعراء: ٢١٧].

قوله تعالى: وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾

قوله: (الذي يقدر على قهر أعدائه ونصر أوليائه يكفك شر من يعصبك منهم ومن غيرهم) الذي يقدر ناظر إلى تفسير العزيز ونصر أوليائه تفسير الرحيم قوله يكفك الخ تنبيه على ربطه بالمقام أو القادر على الانتقام ممن يعصبك الرحيم حيث أمهلهم لعلمهم بتأييد أو يولد من آمن منهم قوله يكفك مجزوم في جواب الأمر قوله منهم أي من العشيرة ومن غيرهم إشارة إلى عموم المؤمنين كما نيهناك عليه الأمر بالتوكل أمر بدوامه بالنسبة إليه عليه السلام وأنه للوجوب بالنظر إلى أصل التوكل وللتدب بالنسبة إلى كماله.

قوله: (وقرأ نافع وابن عامر فتوكل بالفاء على الإبدال من جواب الشرط) على الإبدال من ﴿فقل إني بريء﴾ بدل الكل لكن المبدل منه مقصود أيضاً^(١) لم يجعله معطوفاً على الجزاء لخفاء التعقيب فيه لكن السببية واضحة إذ هذا القول مع كثرة المشركون الخصماء بسبب التوكل إذ هو تفويض الأمر إلى من يملك ويقدر النفع والضرر وفي الكشف وله محل في العطف أن يعطف على فقل أو على فلا تدع.

قوله تعالى: الَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾

قوله: (الذي يراك حين تقوم) هذا بيان كونه رحيماً على رسوله لأن ما ذكر من أسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه في تصفح أحوال المتهجدين من أصحابه كما في الكشف.

قوله: (إلى التهجد) هذا القيد بناء على الرواية المذكورة.

قوله: يكفك بالجزم على أنه جواب الأمر من الكفاية قوله لما نسخ قيام الليل أي بقوله تعالى: ﴿علم أن لن تحصوه فتاب عليكم﴾ [المزمل: ٢٠] أي اسقط عنكم قوله: من دندنتهم الدندنة أن تسمع من الرجل نعمة ولا تفهم ما يقول.

(١) لما صرح به صاحب الكشف في قوله تعالى: ﴿وجعلوا له شركاء الجن﴾ [الأنعام: ١٠٠] من أن المبدل منه ليس في حكم المفعول.

قوله تعالى: **وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّجْدَيْنِ** ﴿٢١٩﴾ **إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴿٢٢٠﴾

قوله: (وترددك في تصفح أحوال المتجهدين) وترددك إشارة إلى أن التقلب بمعنى التردد وهو الذهاب والمجيء مجازاً لأنه لازم له قوله في تصفح أحوال المتجهدين أي المراد بالساجدين المتجهدين مجازاً ذكر الجزء وأريد الكل هذا أيضاً بناء على الرواية وقدر المضامين التصفح والأحوال إذ صحة المعنى إنما هي بهما.

قوله: (كما روي أنه عليه السلام لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون حرصاً على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع بها من دندنتهم بذكر الله تعالى والتلاوة) لما نسخ فرض قيام الليل وهو التهجّد أي الصلاة بعد النوم أي أنه كان فرضاً قبل الصلوات الخمس ثم نسخ بها قوله طاف وهو المراد بالتقلب قوله من دندنتهم الدندنة الأصوات المختلطة المرتفعة حتى لا تكاد تفهم بذكر الله أي بدل التهجّد ويحتمل أنهم يصلون التهجّد على سبيل الندب كما هو فعلنا الآن إذ النسخ يرفع الوجوب في مثل هذا لا الجواز ثم هذا النسخ في حق الأمة وأما في حق عليه السلام فبإيجابية التهجّد وخاصة له وفي كلام المص إشارة إلى ذلك حيث قال إلى التهجّد^(١).

قوله: (أو تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود إذا أمتهم) أو تصرفك احتمال آخر للتقلب إذ الرواية المذكورة لكونها من خير الأحاد لا يفيد القطعية بل الرجحان وعن هذا قدمه ورجحه قوله فيما بين المصلين أي المراد بالساجدين المصلين مجازاً أيضاً لكن في الأول باعتبار ما كان وهنا على الحقيقة والمقدر هنا لفظ ما بين لأنه المناسب هنا بخلاف ما سبق قوله بالقيام الخ بيان التقلب وهو مجاز أيضاً فحيث لا يكون فيه إشارة إلى أن قيامه وسائر الأركان على أحسن وجه وأكملة ولا يخفى ما في التعبير عن أركان صلاته عليه السلام حال إمامته بالتقلب المنبئ عن أحسنيتها تفخيم لشأنها لا مما يخل بشأنها كما زعم وتنبه على الصلاة بالجماعة وفي الكشف وعن مقاتل أنه سأل أبا حنيفة رحمه الله هل تجد الصلاة في الجماعة في القرآن فقال لا تحقروني فتلى له هذه الآية:

قوله: (وإنما وصفه الله تعالى بعلمه بحاله التي بها يستأهل ولايته بعد أن وصفه بأن من شأنه قهر أعدائه ونصر أوليائه تحقيقاً للتوكل وتطميناً لقلبه عليه) وإنما وصفه الله أي بقوله تقلبك وهذا وصف معنوي لا تحوي قوله بعلمه بحاله أشار إلى أن معنى يراك يعلمك

قوله: تحقيقاً للتوكل وتطميناً لقلبه عليه أي تثبيتاً للتوكل في قلبه وجعلاً لقلبه مطمئناً على التوكل فإن معنى التوكل تفويض الرجل أمره إلى من يملك أمره ويقدر على نفعه ودفع ضرره فإذا

(١) قال المص في تفسير قوله: ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾ [الإسراء: ١٧] فريضة (الثلة لك على الصلاة المفروضة).

بعلم خاص وانكشاف مخصوص ولا يعتبر في مفهوم الرؤية والبصر كونهما بالحاسة بل هما عبارتان عن الانكشاف المخصوص وتعلقهما بالحاسة المخصوصة بالنسبة إلى المخلوق لاحتياجه إليها ولا يظن أن الرؤية راجعة إلى صفة العلم كما اختاره الشيخ أبو الحسن الأشعري وإن احتمله في الجملة لكن ظاهر كلام المص أن البصر والسمع صفتان مغايرتان لصفة العلم قوله يستأهل أي يكون أهلاً ومستحقاً استفعال من الأهل أي يستحق ويليق وفي القاموس استأمله استوجبه لغة جيدة وإنكار الجوهري باطل والتفصيل في سورة الفاتحة في آخر توضيح ﴿مالك يوم الدين﴾ [الفاتحة: ٤] والمراد بالولاية الرسالة قوله بعد أن وصفه الخ إشارة إلى ارتباطه بما قبله (بما تقوله) بما تنويه.

قوله تعالى: هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَعَزَّ الشَّيْطَانُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾

قوله: (لما بين أن القرآن لا يصح أن يكون مما نزلت به الشيطان أكد ذلك بأن بين أن محمداً عليه السلام لا يصلح أن تنزلوا عليه من وجهين) لما بين أن القرآن أي في قوله

علم واعتقد أن وكيله عزيز أي غالب قادر على قهر أعدائه ورحيم أي منعم مفضل لأوليائه وأنه براء وبرقه أينما يتقلب ويتصرف قوي قلبه واطمأن على تفويض أمره إليه وأما إذا لم يعتقد ذلك فهو ح يكون ضعيف التوكل متردداً بين التفويض وعدمه قال الشيخ العارف إسماعيل الأنصاري التوكل على ثلاث درجات الأولى التوكل مع الطلب ومباشرة السبب على نية شغل النفس ونفع الخلق وترك الدعوى والثانية التوكل مع إسقاط الطلب وغض البصر عن السبب اجتهداً في تصحيح التوكل وقمع تشوق النفس وتفرغاً إلى حفظ الواجبات والثالثة التوكل مع معرفة التوكل النازعة إلى الخلاص من علة التوكل وهو أن يعلم أن ملكية الحق سبحانه وتعالى للأشياء كلها ملكية عز لا يشاركه فيها مشارك فإن من ضرورة العبودية أن يعلم العبد أن الحق هو مالك الأشياء كلها وحده لا يشاركه فيها أحد غيره وعنى بقوله مع معرفة التوكل النازعة إلى الخلاص من علة التوكل أن يعلم العبد أن الله تعالى لم يترك أمراً مهملًا قط بل فزع من الأشياء كلها وقدرها وشأنه سوق المقاد إلى المواقيت فأكل من أراح نفسه من كذ النظر ومطالعة السبب سكوناً إلى ما سبق من القسمة مع استواء الحالين وهو أن يعلم أن الطلب لا يجمع والتوكل لا يمنع ومنى طالب بتوكله عوضاً كان توكله مدخولاً وقصده معلولاً وإذا خلص من رق هذه الأسباب ولم يلاحظ في توكله سوى خالص حق الله تعالى كفاه الله كل مهمة وإلى المرتبة الأولى الإشارة بترتب الأمر بالتوكل على وصف الرحيم فإن من رحمته تعالى جعله صلوات الله عليه سبباً لإرشاد الخلق ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وإلى المرتبة الثانية الإشارة بقوله: ﴿الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين﴾ [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩] أي حين تتفرغ لأداء حفظ الواجبات لأن في حفظ الواجبات تصحح أمر التوكل وفي الاخلاص فيها بأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك الموصى إليه بقوله: ﴿الذي يراك حين تقوم﴾ [الشعراء: ٢١٨] قمع تشوق النفس وإلى المرتبة الثالثة الإشارة بقوله العزيز كما قال إسماعيل العارف أن تعلم أن ملكية الحق تعالى للأشياء ملكية عز لا يشاركه فيها مشارك قوله فإن اتصال الإنسان بالغائبات أي بالأرواح الخبيثة الغائبة عن العيون يكون لتناسب وتواد بينهما وحاله عليه السلام على خلاف ذلك ليس بينه وبينهم مناسبة أصلاً.

﴿وما تنزلت به الشياطين﴾ قوله لا يصح الأولى ولا يقدرون بعد قوله لا يصح الخ لأن هذا معنى وما ينبغي لهم قوله أكد ذلك بإبراز البرهان فالمراد التأكيد معنى قوله من وجهين متعلقين وبين ولا يحسن تعلقه بلا يصح.

قوله: (أحدهما أنه إنما يكون على شرير كذاب كثير الإثم) إنما يكون على شرير الحصر مستفاد من العلة المختصة بهم إذ المعنى تنزل على كل أفك لإفكه وشريته وكثرة إثمه لكن الأولى إنما يكون على كل شرير^(١) كذاب قوله كذاب تفسير أفك والشرير لازم معناه كثير الإثم تفسير أثم لأنه من الصيغ المبالغة.

قوله: (فإن اتصال الإنسان بالغائبات لما بينهما من التناسب والتواء وحال محمد عليه السلام على خلاف ذلك وثانيهما قوله: ﴿يلقون السمع﴾ [الشعراء: ٢٢٣]) فإن اتصال الإنسان الخ تعليل للحصر وبيان أن العلة وهي الطغيان سبب التضام وجوداً وعدماً والمراد بالغائبات هنا ما غاب عن الحس ولا يقتضيه بديهية العقل وإن قام عليه دليل والجبن والملائكة من هذا القبيل لكن المراد كفرة الجن والشياطين ولدلالة المقام على المراد بينه على عمومهما فإن هذا الكلام منظم لاتصال الإنسان بالملائكة بالرياضات والمجاهدات كما أنه متصل بالشيطان بالعصيان وفرط الطغيان قوله لما بينهما من التناسب والتواء يلائم كلاً منهما لكن المقام أب عنه ولذا قال وحال محمد صلى الله تعالى عليه وسلم على خلاف ذلك وجه دخول حرف الجر على من الاستفهامية هو أن الهمزة تقدر قبل حرف الجر في نيتك كأنك تقول أعلى من تنزل الشياطين والتفصيل في الكشف.

قوله تعالى: يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾

قوله: (أي الأفاكون يلقون السمع إلى الشياطين) أي الأفاكون مرجع ضمير يلقون فيه إشارة إلى أن الجملة مستأنفة لبيان حالهم معهم ولا يبعد أن يكون حالاً من الشياطين إذ التقدير يلقون السمع إلى الشياطين قيل ويجوز أن يكون صفة لكل أفك لأنه في معنى الجمع لكن تقدير المبتدأ أظهر في الأول وأما الحالية فلم يلتفت إليها لعدم المقارنة انتهى وهذا عجب إذ نزول الشياطين وهو عبارة عن تقريرها^(٢) في إذن وليه مما لا ريب في مقارنتها والحالية أنسب بالمقام.

قوله: (فيتلقون منهم ظنوناً وأمارات لنقصان علمهم فيضمون إليها على حسب تخيلاتهم أشياء لا يطابق أكثرها) فيتلقون أي يأخذون من الشياطين لما كان المراد بالإلقاء الإصغاء إليه والشدة فيه يتفرغ عليه التلقي أي الأخذ والقبول ولذا قال فيتلقون منهم الخ ظنوناً أي مظنونات ولذا عطف عليها أمارات قوله لنقصان علمهم أي لعدم علم الأفاكين

(١) كأنه لم يحتمل كل على الاحاطة فهو للتكثير لكن لا بعد في نزولها على كل كامل في الإفك كما يرشدك إليه صيغة القفال.

(٢) نيه عليه المص بقوله فيقرها في إذن وليه.

المنجي عن الظلمات فالتقصان بمعنى العدم أو على ظاهره إذ الإنجاء يترتب على الكمال .

قوله : (كما جاء في الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة) الحديث رواه الشيخان عن عائشة رضي الله تعالى قالت سأله ناس رسول الله عليه السلام عن الكهان فقال لهم ليسوا بشيء قالوا يا رسول الله فإنهم يحدثنون إخباراً بالشيء يكون حقاً فقال عليه السلام تلك الكلمة يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه قر الدجاجة فيخلطون بها أكثر من مائة كذبة قوله فيقر بفتح القاف وكسرهما في القاموس قر الدجاجة تقرأ وقريراً قطعت صوته ويقال قره يقره إذا ساره وهو من الأول والمعنى يسمعه إياها وليه كذا قاله الفاضل المحشي وغيره فلعلم منه أن قول المص فيزيد فيها أكثر الخ نقل بالمعنى .

قوله : (ولا كذلك محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فإنه أخبر عن مغيبات كثيرة لا نحصى وقد طابق كلها) ولا كذلك محمد عليه السلام عطف على الأفاكون إذ المقصود من بيان أنهم يكذبون ويذكرون أموراً مظنونة موهومة ببيان أن النبي عليه السلام ليس شأنه كذلك فإنه أخبر عن مغيبات الخ .

قوله : (وقد فسر الأكثر بالكل) أي مجازاً والجامع الدلالة على الكثرة والتعدد .

قوله : (لقوله تعالى ﴿كل أفاك أثيم﴾ [الشعراء: ٢٢٢]) قرينة المجاز ولم يذكر العلاقة وهذا إنما يكون قرينة لو كان المراد بالكل الإحاطة وهو خلاف مرضي المص كما عرفته .

قوله : (والأظهر أن الأكثرية باعتبار أقوالهم على معنى أن هؤلاء قل من يصدق منهم

قوله : الكلمة يخطفها ويروي بحفظها الحديث من رواية البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت سألت ناس رسول الله ﷺ عن الكهان فقال لهم ليسوا بشيء قالوا يا رسول الله فإنهم يحدثنون إخباراً بالشيء يكون حقاً فقال رسول الله ﷺ الكلمة من الحق تحفظها الجني فيقرها في أذن وليه قر الدجاجة فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة والخطف استلاب الشيء وأخذ به بسرعة ومنه حديث الجن يخطفون السمع أي يسترقونه ويستلبونه والقر ترديدك الكلام في أذن المخاطب حتى تفهمه يقول قررت فيه أقره وقر الدجاجة صوتها إذا قطعته وفي حديث فيأتي بها إلى الكاهن فيقرها في أذنه كما يقر القارورة إذا فرغ فيها وهذا المعنى هو الذي عناه صاحب الكشاف بقوله والقر الصب .

قوله : وقد فسر الأكثر بالكل لما اقتضى رجوع الضمير في أكثرهم إلى كل أفاك إسناد الكذب إلى الكل لا إلى البعض الأكثر الموهوم أن منهم من هو صادق صرف معنى الأكثر إلى الكل فقال وقد فسر الأكثر بالكل وهذا التأويل باعتبار رجوع معنى الكثرة إلى كثرة ذواتهم .

قوله : والأظهر أن الأكثرية باعتبار أقوالهم أي لا باعتبار ذواتهم كما في الوجه الأول فلا ينافي كون بعض أقوالهم مطابقاً للواقع وصف كلهم بالإفك فالمعنى وأكثر أقوال هؤلاء الأفاكين كذب وجه اظهرية هذا التأويل ورود الحديث فيه حيث قال ﷺ فيزيد فيها أكثر من مائة كلمة كذبة .

فيما يحكي عن الجني) باعتبار أقوالهم أي أقوالهم الخاصة بقرينة قوله فيما يحكي عن الجني فلا إشكال بأن الكذب إنما هو بالأقوال فالمراد بالكذب ما وقع في حكايتهم عن الجن والشياطين فإن ما ينسبون لهم كذب عنهم في الأكثر وقد يصدقون في الثقل عنهم والقرينة على هذا التخصيص كون الكلام مسوقاً لبيان تنزل الشياطين عليهم وإلقاء سمعهم إليهم والخلاصة أن الأكثرية راجعة إلى أقوالهم المحكية عن الشياطين والمعنى أن كلهم كاذبون فيما يحكون عن الجني لكن ليس في كل قول بل أكثر قولهم كاذب وقليل منه صادق ولظهور المراد قيل وأكثرهم كاذبون مع أن المراد وأكثر أقوالهم ويدل على ذلك الخبر المذكور ولما كان كون الأكثر بمعنى الكل بعيداً قال والأظهر أن الأكثرية الخ وإن كان مآله كون الأكثر بمعنى الكل بالنسبة إلى ذواتهم ويؤيده قول الكشاف الأفاكون هم الذين يكثرُونَ الإفك ولا يدل ذلك على أنهم لا ينطقون إلا بالإفك فأراد أن هؤلاء الأفاكين قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني وأكثرهم مفتر عليه نعم ما وافق أول كلامه قل ما يصدق من كلامهم فيما يحكي عن الجني لكنه تسامح لظهور المراد^(١).

قوله: (وقيل الضمائر للشياطين أي يلقون السمع إلى الملأ الأعلى قبل أن رجموا) الضمائر أي ضمير يلقون وأكثرهم كاذبون فضمير الجمع حيثنزل في بابهِ وأما في الأول فبثأويل أن كل أفك في معنى الجمع وعلى هذا الاحتمال فالأكثر على ظاهره كما هو الظاهر ومع ذلك^(٢) ضعفه ولم يرض به لخلو الكلام حيثنزل عن الدلالة على الوجه الثاني من وجهي بيان عدم صلوحه عليه السلام لأن ينزل عليه عليه السلام الشياطين كما ادعاه المص ولكونه خلاف مذاقه مرضه مع أنه في نفسه مناسب للمقام على أن هذا المعنى مستلزم للأول كما فهم من تقرير المص فإن الشياطين كما كذبوا فيما يروحون إليهم يلزم كون الأفاكين وهم الكهنة كاذبين فيوجد بيان حال من تنزل عليه الشياطين وبيان عدم صلوحه عليه السلام لأن ينزل عليه الشياطين التزاماً لكن التصريح لما كان أمس بالمقام لم يرض هذا الاحتمال مع الإشارة إلى جواز اعتباره والمراد بالملأ الأعلى الملائكة أشار إليه بقوله تكلمت به الملائكة قبل أن رجموا أي متعوا من السموات وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات ولما ولد محمد عليه السلام منعوا من كلها رواه المص في سورة الحجر.

قوله: (فيختطفون منهم بعض المغيبات ويروحون به إلى أوليائهم) فيختطفون أي يختلسون كلام الملائكة مسارقة ويروحون به أي بعض المغيبات أي يوسوسون به والمراد بالوحي المعنى اللغوي وهو الكلام الخفي إلى أوليائهم من الكفرة الكهنة.

(١) ويكون المعنى أكثرهم كاذب فيما يحكي وقليلهم صادق فيما يحكي وإن تناول جنس الكذب كلهم بعيد مخالف للحديث المذكور وللواقع أيضاً إذ الكاهن لا بد وأن يكون كاذباً فيما يحكي عن الجني وإلا لا يكون كاهناً مذموماً.

(٢) أي مع خلوه عن التكلف في جمع الضمائر والأكثر في بابهِ.

قوله: (أو يلقون مسموعهم منهم إلى أوليائهم) أو يلقون مسموعهم أي السمع بمعنى المسموع مجازاً عطف على قوله يلقون السمع إلى الملا الخ منهم أي من الملا الأعلى إلى أوليائهم وكون مسموعهم من الملاكة مستفاد من الفحوى.

قوله: (وأكثرهم كاذبون فيما يوحون به إليهم إذ يسمعونهم لا على نحو ما تكلمت به الملاكة لشرارتهم^(١)) أو لقصور فهمهم أو ضبطهم) وأكثرهم كاذبون أي على الوجهين قد عرفت أن أكثرهم على ظاهره إذ لا موجب لتأويله بالكل قوله فيما يوحون به الخ هذا القيد بمعونة المقام ولا ينافيه أنهم كاذبون أيضاً في غيره لكنه لا مساس له هنا قوله لشرارتهم فيتعمدون الكذب بمقتضى طبائعهم الخبيثة أو لقصور فهمهم فحينئذ لا تعمد لهم في الكذب وكذا في قوله أو ضبطهم أي وإن كان فهمهم غير ناقص لكن ضبطهم قاصر.

قوله: (أو إفهامهم) بكسر الهمزة أي منشأ كذبهم نقصان إفهامهم ما يلقون إلى أوليائهم كلمة أو لمنع الخلط.

قوله تعالى: وَالشَّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٥﴾

قوله: (والشعراء يتبعهم الغاؤون) تقديم المسند إليه على الخبر الفعلية للمحصر وفيه دلالة على أن الشعراء غاؤون أيضاً ففيه إيجاز لطيف والمعنى والشعراء غاؤون ولا يتبعهم إلا الغاؤون.

قوله: (وأصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لبسوا كذلك وهو استثناء أبطل كونه شاعراً وقرره بقوله: ﴿ألم تر أنهم﴾ [الشعراء: ٢٢٥]) الاستثناء أبطل الخ إشارة إلى ما ذكرنا وبيان وجه ارتباطه بما قبله أي أبطل كونه شاعراً كما أبطل كون ما يأتي به من قبل الكهانة وبنفسه منه أيضاً إبطال كونه ساحراً بطريق الأولوية لأن الساحرين لا يتبعهم إلا الغاؤون بلا استثناء واتباع الرسول عليه السلام ليسوا كذلك ﴿ألم تر﴾ [الشعراء: ٢٢٥] خطاب لمن يصلح أن يخاطب للتعجب وتخصيصه به عليه السلام ليس بمناسبة وضمير أنهم للشعراء وتجوز كونه للغاوين لا يلائم الاستثناء وتقرير المص في كل واد أي من أودية القول الفاسد والوادي هو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة وقد يستعمل في الماء الجاري فيه مجازاً والمراد هنا فنون القول وطرقه كما فصله المص وجه الاستعارة مظان الهلاك فكما أن الوادي مظن الهلاك الحسي كذلك الأقوال الكاسدة مظنة الهلاك المعنوي والجامع مطلق مظنة الهلاك والكل في مثل هذا بمعنى الأكثر ولك أن تقول إن الاستغراق عرفي ﴿يهيمون﴾ [الشعراء: ٢٢٥] أي يخوضون في كل لغو كما فصله المص وأصل الهيام أن يذهب الرجل على وجهه من عشق أو غيره حاصله التحير وهو ترشيح للاستعارة المذكورة إذ التحير من ملائمت

(١) قدمه لأنهم مجبولون على الشر وأما البواقي فاحتمال.

المشبه به أعني الوادي وفيه وجه آخر مذكور في الكشف حيث قال ذكر الوادي والهيوم فيه تمثيل لدهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق ومجاوزة حد القصد فيه حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة وأشجعهم على حاتم وأن يبهتوا البري ويفسقوا التقى فحيث لا مجاز في مفرداته .

قوله تعالى: **الَّذِينَ أَنْتَهُمْ فِي كُفْرٍ وَإِيهِيْمُونَ** ﴿٢٢٥﴾

قوله : (لأن أكثر مقدماتهم خيالات لا حقيقة لها وأغلب كلماتهم) لأن أكثر مقدماتهم خيالات ووهميات اخترعها الوهم وهو بالخيالات كتفضيل أبخل الناس على حاتم وتفضيل عطاء الأمير على نوال الغمام وقت الربيع وغير ذلك من الثرعات حتى قيل في شأنهم أفصح الشعراء أكذبهم .

قوله : (بالنسيب والحرم والغزل والابتهار وتمزيق الأعراض والقدح في الأنساب والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لا يستحقه والإطراء فيه) بالنسيب بثون وسين مهملة ذكر محاسن^(١) الحسان وإظهار التعشق والهيام بها والحرم جمع حرمة وهي المرأة

قوله : لهر أشد عليهم من النيل من إصابة السهم إلى أبدانهم .

قوله : وروح القدس جبرائيل والمراد أنه معك يلهمك بإلهام الله تعالى ويؤيدك في قولك .

قوله : وقد تلا أبو بكر رضي الله تعالى عنه لأنه أمر عثمان رضي الله تعالى عنه في مرض موته وقد عهد لعمر رضي الله تعالى عنه ما صورته بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ وسلم عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة في الحال التي يؤمن فيها الكافر ويتقي فيها الفاجر أنني قد استعملت عليكم عمر بن الخطاب فإن بر وعدك فذاك علمي ورأيي فيه وإن جار وبدل فلا علم لي بالغيب والخير أردت ولكل امرئ ما اكتسب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴿الشعراء : ٢٢٧﴾ كما نقل عن المبرد .

قوله : وأغلب كلماتهم في النسيب بالحرم النسيب مصدر على وزن فاعيل كالصهيل والوجيف من نسب ينسب أي شيب فالتنسيب بمعنى التشبيب يقال نسب الشاعر بالمرأة ينسب بالكسر إذا شيب والحرم بضم الحاء وفتح الراء جمع حرمة وحرمة الرجل أهله والحرم النساء قال والموت أكرم نزال على الحرمة ومغازلة النساء محادثتهن ومرادتهن تقول غازلتها وغازلتني والاسم الغزل والابتهار ادعاء الشيء كذباً قال الأخطل :

وما بي أن مدحتهم ابتهار

أي ليس لي ابتهار في أن مدحتهم أي ليس في مدحي إياهم ووصفهم بالمناقب الحسنة دعوى شيء هو كذب بل أنا صادق في كل ما ادعيه لهم من محامدهم ومحاسنهم والاطراء المبالغة في المدح .

(١) ويحيى بهذا المعنى كما يحيى بمعنى القريب .

المحرمه على غير زوجها والغزل التلهي بصفات النساء ومرادتهن وذكر الميل لهن والابتهار وهو ادعاء وصول الشيء كذباً لا سيما إلى وصول محبوبته وتمزيق الأعراض جمع عرض وتمزيقه كناية عن القدح والطعن فيه والمدح من لا يستحقه لحطام الدنيا أو لأغراض أخرى والإطراء أي المبالغة فيه أي في المدح وإن استحقه في الجملة كمدح الملوك بأن عطاه زائد على نوال الغمام.

قوله: (وإليه أشار بقوله «وأنهم يقولون ما لا يفعلون» [الشعراء: ٢٢٦]) يعني أنه كناية عن أنهم يكذبون لأن الكذب لازم له فذكر الملزوم وأريد لازمه فلا إشكال بأنه لا إشارة فيه مدح من لا يستحق المدح والإطراء فيه وكذا ذم من لا يستحق الذم وكذا ذكر شيء فعله غيره أو لم يفعله وجه الاندفاع هو أنه لما أريد به الكذب بمعونة القرينة بشاؤ كل ما ذكر بلا تكلف وصيغ المضارع هنا للاستمرار وحكاية الحال الماضية بعيد والتأكيد في الجملتين بأن وتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي للمبالغة في وقوعه وصدقه والاهتمام بذلك.



قوله تعالى: وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ

قوله: (وكانه لما كان إعجاز القرآن من جهة المعنى واللفظ وقد قدحوا في المعنى بأنه مما تنزلت به الشياطين وفي اللفظ بأنه من جنس كلام الشعراء تكلم في القسمين وبين منافاة القرآن لهما ومضادة حال الرسول عليه السلام لحال أربابهما وقرأ نافع يتبعهم على التخفيف) وكأنه لما كان إعجاز القرآن الخ إعجازه من جهة المعنى مطابقته لمقتضى الحال إذ مطابقة الكلام لمقتضى الحال إنما هو بمطابقة المعنى له والمراد بالمعنى المعنى الأول أو الثاني فيه تفصيل في أوائل المطول وإن أريد بإعجاز المعنى الإخبار بالمغيبات على ما هو في نفس الأمر لكان أسلم من التكلف وأنسب بالمقام وفي كلام المص إشارة إليه هنا وفيما قبله فإعجاز اللفظ بكونه في المرتبة العليا من البلاغة وهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال وكأنه إشارة إلى أن ما ذكره ليس بمجزوم فإن قولهم إن القرآن مما تنزلت الشياطين وقولهم بأنه من جنس كلام البشر قدح كل منهما في المعنى وفي اللفظ والتوزيع المذكور احتمال مظهر.

قوله: (وقرىء بالتشديد وتسكين العين تشبيهاً لبعضه بعضاً) أي بعضه الذي ينضمته يتبعهم قيل نقل عن الزمخشري أنه قال إنهم لما غيروا الضمة في عشد واقعة بعد الفتحة فلان يغيروها بعد الكسرة أولى انتهى لكن هذا عجب في جزء الكلمة وقد

قوله: تشبيهاً لبعه بعضه أقول في تشبيهه بعضه نظر إذ ليس في قراءة التشديد بع بفتح الباء وضم العين بل ما فيه بع بكسر الباء وضم العين وهو ليس يشبه عضداً في الصيغة ويمكن تصحيحه بأن يقال مراده رحمه الله ما روي عن صاحب الكشاف أنه قال لما غيروا الضمة في عشد واقعة بعد الفتحة فلان يغيروها واقعة بعد الكسرة أولى.

في سورة التور ويتفه قرأ حفص بسكون القاف تشبيهاً بتفه بكتف وخفف لكن هذا ليس في هذه المثابة .

قوله تعالى : **إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا**
وَسِعَاظُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيْ مُنْقَلَبٌ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

قوله : (استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يذكرون ذكر الله تعالى) استثناء للشعراء الخ فهم يتبعهم الصالحون الذاكرون فإن التناسب شرط التضام .

قوله : (ويكون أكثر أشعارهم في التوحيد والثناء على الله تعالى والحث على طاعته ولو قالوا هجوا أرادوا به الانتصار ممن هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت) ويكون أكثر أشعارهم بيان كونهم ذاكرين الله كثيراً وفيد بالأكثر لأنهم قد يهجوا كما قال ولو قالوا هجوا الخ والمكافحة المدافعة وبهذا الاعتبار يرجع إلى ذكر الله لأنه طاعة الله وطاعة رسوله .

قوله : (والكعبيين وكان عليه السلام يقول لحسان قل وروح القدس معك وعن كعب بن مالك أنه عليه الصلاة والسلام قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من النبل تهديد شديد لما في سيعلم من الوعيد البليغ وفي الذين ظلموا من الإطلاق والتعميم في «أي منقلب ينقلبون» أي بعد الموت من الإبهام والتحويل وقد تلى أبو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد إليه وقرئ^(١) أي منقلت ينقلتون من الاتفلات وهو النجاة

قوله : أرادوا به الانتصار أي الانتقام ممن هجاهم .

قوله : ومكافحة هجاة المسلمين الهجاة جمع هاج والمكافحة المدافعة .

قوله : فوالذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من النبل الثبل السهام العربية وهي مؤنثة لا واحد لها من لفظا وقد جمعوها على ليال وإنبال أي الهجوم أشد عليهم من السهام .

قوله : لما في سيعلم من الوعيد البليغ وجه دلالة على الوعيد أن ستعلم وسترى وستبصروا أمثالها تستعمل عرفاً فيما سيقع من أمور هائلة يقصر البيان عن كنهها فيقال سترى حالك وستعرف عاقبة أمرك .

قوله : وفي الذين ظلموا من الإطلاق والتعميم حيث ترك جهة الظلم لم يبين من أي جهة وقع بل أطلق إطلاقاً وكذا ترك ذكر مفعوله وأجرى مجرى قولك فلان يعطي قصداً إلى أنه يفعل كل الاعطاء والمعنى «وسيعلم الذين ظلموا» [الشعراء : ٢٢٧] كل الظلم وظلموا كل أحد ونقسه وهو معنى الإطلاق والتعميم .

قوله : وقرئ أي منقلت ينقلتون من الاتفلات وهو النجاة فعلى هذا الأنسب أن يكون منقلت مصدراً ميمياً أي وسيعلم الذين أي اتفلات ينقلتونه والمعنى أي نجاة ينجونها فيؤول إلى

(١) من الشواذ قارنه الحسن وابن عباس رضي الله تعالى عنهما .

والمعنى أن الظالمين يطمعون أن ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانفلات) والكعبيين هما كعب بن زهير وهو من مشاهير الصحابة وكعب بن مالك وفي نسخة والكعبان فهو من قبيل:

إن من صاد عققاً لمشوم كیف من صاد عققان ويوم

وحديث الحسان متفق عليه وحديث كعب قوله وهو اهجهم ليس معروفاً فيه وإنما هو مع حسان كما قيل لما في سيعلم من الوعيد الشديد فإن السين تدل على التأكيد وإطلاق الظلم إذ لم يقيد بنوع منه والتعميم لأن الموصول من صيغ العموم.

قوله: (عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الشعراء كان له من الأجر من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وإبراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد عليه السلام) عن النبي عليه السلام الخ حديث موضوع كذا قيل.

الحمد لله الذي وفق عبده إتمام ما يتعلق بسورة الشعراء وهو الذي أمرنا بالتمسك بالشرعة الغراء والصلاة والسلام على رسوله الذي أوضح لنا الملة السمحاء وعلى آله وأصحابه الذين أقاموا الدين في السراء والضراء في جمادى الأولى سنة ١١٨٧ يوم الاثنين ما بين الصلاتين.

معنى سيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه النجاة وهذا المعنى يفيد الاستفهام الإنكاري المستفاد من أي ويحتمل أن يكون بمعنى مكان الانفلات والمعنى وسيعلمون أي منجاة ينجون قال الإمام إنه تعالى لما ذكر في هذه السورة ما يزيل الحزن عن قلب رسول الله ﷺ من الدلائل من إخبار الأنبياء ثم ذكر مقالات المشركين في تسميته تارة بالكاهن وأخرى بالشاعر بين الفرق بينه وبين الكاهن ثم بينه وبين الشاعر ثم ختم السورة بهذا التهديد العظيم اللهم اجعلنا ممن جعل هذه الآية بين عينيه فلم يغفل عنها وعلم أن من عمل سيئة فهو من الذين ظلموا هذا آخر ما أمليت في شرح ما في تفسير سورة الشعراء فالآن أشرع معتصماً بحبل الله المتين في حل ما في سورة النمل وبالله التوفيق وعليه التكلان وهو يفيض الحق ويهدي السبيل فأقول متوكلاً عليه.

سورة النمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (سورة النمل مكية) إضافة السورة إلى النمل لامية عند بعض وبيانية على ما حققناه في سورة الفاتحة والحاصل أن السورة عام والنمل خاص وإضافة العام إلى الخاص لامية أو بيانية مكية أي نزلت قبل الهجرة.

قوله: (وهي ثلاث أو أربع وتسعون آية) وفي التفسير وقيل خمس وتسعون واختلف أيضاً في مكية بعض آياتها وسيجيء الإشارة إليه.

قوله تعالى: طس تلك آيات القرآن وكتب مبين ﴿١﴾

قوله: ((طس)) [النمل: ١] قد تقدم في سورة الشعراء أنه قرئ بالإمالة وعدمها وبين بين ومعناه وإعرابه قد مر في أوائل سورة البقرة.

قوله: (الإشارة إلى أي لسورة والكتاب المبين أما اللوح وإبائه أنه خط فيه ما هو كائن) الإشارة إلى أي السورة أي من حيث المجموع فيؤول إلى الإشارة إلى السورة إن أريد بالقرآن السورة فإفادة الحمل باعتبار تغاير العنوان^(١) وكذا الكلام في الكتاب إن أريد به مجموع القرآن فالأمر واضح وكلامه في سورة الحجر وسورة يوسف ناظر إلى الأول فإفادة الحمل بتأويل آيات القرآن الحاوية للبلاغة والفصاحة وأنواع الغرابة والبراعة فلا يتحد الموضوع والمحمول أو إفادته بالتقييد بالمبين بالنسبة إلى كتاب وإن اعتبر في القرآن هذا القيد بقرينة اعتباره في

سورة النمل

مكية وهي ثلاث أو أربع وتسعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين﴾ [النمل: ١].

قوله: وإبائه أنه خط فيه ما هو كائن يعني إذا خط أمر وكتب يكون مبيناً لأياته الكلام المكتوب ما فيه لينظر إليه.

(١) فإن عنوان كونها أي السورة مغاير لكونها آيات القرآن لا سيما إذا أريد بالقرآن المنزل المبارك المصدق لما بين يديه كما سيجيء من الكشف.

المعطوف فالإفادة أيضاً بهذا القيد هذا إن كان المراد بالكتاب القرآن وإن أريد به اللوح المحفوظ فأمر الحمل ظاهر لظهور التباين وآيات السورة كون اللوح محمولاً عليه باعتبار كونها فيه فهي الحمل مبالغة قول المص ما هو كائن فيه إشارة إلى ما ذكرناه.

قوله: (فهو يبينه) من الأفعال وهو المناسب لقوله مبين وقد جوز كونه من التفعيل.

قوله: (للتناظرين فيه) أي للملائكة الناظرين فيه وحمل مبين على معنى المتعدي والمفعول محذوف وهو كل ما هو كائن حذف المفعول للتعميم مع الاختصار.

قوله: (وتأخيره باعتبار تعلق علمنا به وتقديمه في الحجر باعتبار الوجود) وتأخيره جواب سؤال مقدر بأنه لم آخر الكتاب هنا مع تقديمه في سورة الحجر فأجاب بما ترى أي له جهتان جهة تعلق علمنا به وهو بهذا الاعتبار مؤخر عن القرآن لأننا نعلمه من القرآن وإن أمكن علمنا من الرسول عليه السلام لكن علمنا من القرآن مقطوع بالنظر إلى الأمة إلى يوم القيامة وجهة وجوده وهو بهذا الاعتبار مقدم على القرآن المقروء المكتوب في المصاحف الذي هو المراد هنا وإن كان مؤخراً أيضاً من القرآن بمعنى الكلام النفسي فروعياً في

قوله: وتأخيره باعتبار تعلق علمنا به فإن علمنا باللوح المحفوظ بعد علمنا بالقرآن وأنه من عند الله إذ فيه ذكره وأما تقديمه في الحجر حيث قال هناك: ﴿الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين﴾ [الحجر: ١] فباعتبار الوجود الخارجي فإن وجود اللوح مقدم على وجود كتابة القرآن إذ ما لم يوجد المحل لا يوجد الحال فيه كتقدم وجود القرطاس على وجود الحروف المنقوشة عليه وفي الكشف فإن قلت ما الفرق بين هذا وبين قوله: ﴿الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين﴾ [الحجر: ١] قلت لا فرق بينهما إلا ما بين المعطوف والمعطوف عليه من التقدم والتأخر وذلك على ضربين ضرب جار مجرى التثنية لا يرجع فيه جانب على جانب وضرب فيه ترجح فالأول نحو قوله: ﴿وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً﴾ [الأعراف: ١٦٦] ومنه ما نحن بصده والثاني نحو قوله: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم﴾ [آل عمران: ١٨] يعني أن التقديم يجيء لمعينين أحدهما جار مجرى التثنية فقط فلا يتفاوت المعنى فيهما سواء قدم في موضع وآخر في آخر كما في نحو ﴿وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً﴾ [الأعراف: ١٦٦] وقولك رجلاً جاماً لا ترجيح لمجيء أحدهما على الآخر هذا هو معنى التثنية قال بعض علماء العربية إن الواو دلالتها قد على الجمع أقوى من دلالتها على العطف فإنها قد تعرى عن العطف ولا تعرى من معنى الجمع وهي في المختلطين بمنزلة التثنية والجمع في المتفقين وإذ لم يمكنهم التثنية في المختلطين عدلوا إلى الواو وثانيهما ما فيه رعاية الرتبة كقوله تعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾ [آل عمران: ١٨] الآية فإن شهادة الله تعالى مقدمة على شهادة الملائكة وأولو العلم لأن شهادته أصل وشهادتهم كالتابع لشهادته ومن ثمة فصل بين المعطوف والمعطوف عليه بالمفعول به قال صاحب القرائد الفخامة فيما نحن بصده أي في أول سورة النمل للكتاب فإن كان المراد به اللوح وفي الحجر الفخامة للقرآن فافترقا وإن كان المراد من الكتاب القرآن في السورتين فالفخامة للقرآن من حيث إنه كتاب هنا وفي الحجر من حيث إنه قرآن إلى هنا كلامه أقول مبنى كلام صاحب القرائد على أن التذكير في الموضعين هو الفارق لأنه للتفخيم.

السورتين الجهتين ولم يعكس لتقدم نزول هذه السورة الكريمة على الحجر نص عليه في الاتفاق فتناسب ذكر الدليل وتلك عرف الكتاب في الحجر والمراد المعهود في هذه السورة أو مثل هذا السؤال دوري فلا يلتفت إليه ولو تم ما ذكر أولاً لأشكل تعريف القرآن هنا وتنكيره في سورة الحجر .

قوله : (أو القرآن وإيافته لما أودع فيه من الحكم والأحكام أو لصحته بإعجازه) أو القرآن عطف على اللوح وإيافته لما أودع مبتدأ وخبر قوله لما أودع إشارة إلى أنه أيضاً من المتعدي والمفعول المحذوف هنا لما أودع الخ أو المفعول صحته وكونه من الله تعالى لا من كلام البشر ولا ضير في كون أو لمنع الخلو فقط آخر هذا الاحتمال لاحتياج عطفه إلى التمثل المذكور ولأن في الأول تكثير فائدة ولذا قال وعطفه الخ .

قوله : (وعطفه على القرآن كمعطف إحدى الصفتين على الأخرى) وعطفه أي على القرآن مع أنهما عبارتان عن المقروء المكتوب للتغاير الاعتباري وهو كمعطف إحدى الخ أتى بكلمة التشبيه لأنه من عطف الصفة على الاسم أو لكونهما اسمين غالباً^(١) عليه وإن كان أحدهما مصدراً في الأصل والآخر اسم جنس فهو كقولهم هذا فعل السخي والجواد الكريم لأن القرآن هو المنزل المبارك المصدق لما بين يديه فحكمه حكم الصفات المستقلة بالممدح فكانه قيل تلك الآيات آيات المنزل المبارك وأي كتاب مبين كذا في الكشف .

قوله : (وتنكيره للتعظيم وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه) وتنكيره للتعظيم سواء أريد به اللوح أو القرآن وليس تنكيره لإيهامه على الأول لأنه في الشرع معروف في اللوح المحفوظ كما هو معروف فيه في القرآن .

قوله : أو القرآن عطف على اللوح المحفوظ في قوله والكتاب المبين أما اللوح المحفوظ . قوله : وإيافته لما أودع فيه من الحكم والأحكام هذا الوجه مبني على أن المبين من إبان المتعدي وقوله أو لصحته مبني على أنه من إبان التلازم فالمعنى على الأول وقرآن مبين أي مظهر للحكم والأحكام الشرعية وعلى الثاني وقرآن بين الصحة بإعجازه . قوله : وعطفه على القرآن كمعطف إحدى الصفتين على الأخرى أي عطف كتاب مبين على القرآن على تقدير كون المراد منه القرآن يكون من باب عطف إحدى صفتي الشيء على صفته الأخرى نحو قولك هذا فعل السخي والجواد الكريم أي هذا فعل الرجل السخي والجواد الكريم .

(١) وهذا هو الأولى لأنه في اللغة اسم المكتوب ثم غلب في عرف الشرع على كتاب الله تعالى المثبت في المصاحف والقرآن في الأصل مصدر بمعنى القراءة غلب في عرف العام على المجموع المبين من كلام الله تعالى المقروء على ألسنة العباد وهذا في المعنى أشهر من لفظ الكتاب كذا في التلويح ولعل لهذا قدم القرآن هنا على الكتاب وعرف القرآن ونكر الكتاب وإن كان معروفاً أيضاً ولذا قال وتنكيره للتعظيم .

قوله تعالى: هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾

قوله: (حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الإشارة) والتعبير بالمصدر للمبالغة ولا يأول بالهادي وبالمبشر لفوات المبالغة إلا لبيان أن الظاهر هادية ومبشرة إن لم يقصد المبالغة قوله والعامل فيهما معنى الإشارة المنفهمة من تلك ولا يجري هنا التأويل بآية لانتفاء هاء التنبيه والتأويل أشير الكتاب والقرآن وآياتهما فهو الذي سمته النحلة عاملاً معنوياً والآيات مفعول معنى قدم هدى لتقدمه في الوجود وللمؤمنين من باب التنازع وتخصيص الهداية بهم لأنهم المستفدون به وإلا فهو هدى للناس وإن جعل للمؤمنين متعلقاً بالبشرى فقط فالهدى عام بمعنى الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب.

قوله: (أو بدلان منهما) أي من الكتاب والقرآن أي بدل الكل من الكل والبدل والمبدل منه كلاهما مقصودان وهذا بناء على أن إبدال النكرة من المعرفة لا يشترط فيه اتحاد اللفظ وكون النكرة موصوفة كما اشترطه الكوفيون نحو قوله تعالى: ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ﴾ [الملق: ١٥، ١٦] هذا بالنظر إلى القرآن وأيضاً كونهما حالين أو بدليين على احتمال كون المراد بالكتاب القرآن دون اللوح كأنه أشار إلى رجحان كون المراد به القرآن مع أنه قد آخره.

قوله: (أو خبران آخران أو خبران لمحذوف) أو خبران آخران لتلك والتذكير لكونهما مصدران قوله أو خبران لمحذوف أي هما القرآن والكتاب هدى وبشرى وهذا من تقدير هي هدى ولم يذكر كونهما بدلاً من كتاب فقط مع أنه بدل نكرة من نكرة لتلا يلزم الترجيح بلا مرجح ويحتمل أن يكونا مفعولان مطلقان للفعل المحذوف والجملة حال أو استئناف ويحتمل كونهما صفتان لكتاب والمجموع وجوه سبعة في إعرابه لكن لا يظهر ارتباطهما بالكتاب المراد به اللوح إلا بملاحظة الآيات المضافة إليه فلا تغفل.

قوله تعالى: الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾

قوله: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ﴾ صفة مادية إن أريد المؤمنون الكاملون أو مقيدة إن أريد بهم مطلق المؤمنين وفي يقيمون استعارة أو مجاز مرسل كما بيته في أوائل سورة البقرة ولذلك اختير على يصلون مع أنه أخصر.

قوله: حالان من الآيات أي هادية ومبشرة هذا على تقدير كونهما منصوبين ويحتمل أن يكونا مرفوعين إما على البدلية من الآيات بتقدير تلك هدى وبشرى أو على أنهما خبران لتلك أو على أنهما خبران المحذوف بتقديره هي هدى قال الزجاج وحسن أن يكون خبراً بعد خبر لتلك نحو حلو حامض أي جامع بين الطعمين فيجتمع أنها آيات وأنها هادية ومبشرة للمؤمنين ومعنى كونها هدى للمؤمنين والمؤمنون مهتدون أنها زيادة في هدايتهم كقول المؤمنين ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ [الفاتحة: ٦] والمعنى زدنا هداية.

قوله: (الذين يعملون الصالحات من الصلاة والزكاة) إشارة إلى أن ذلك كناية عن عمل الصالحات مطلقاً لأن جميع العبادات مرجعها التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله ففي الصلاة تعظيم أمر الله وفي الزكاة الشفقة على خلق الله فإفراد بهما جميع المبرات وأيضاً الصلاة العبادة البدنية والزكاة العبادة المالية فإفراد بهما جميع العبادات البدنية والمالية وخصاً بالذكر لأن الصلاة أم العبادات الحاوية لجميع المبرات والزكاة قنطرة الإسلام.

قوله: (من تنمة الصلة والوالمحال أو للعطف) من تنمة الخ لأن الحال قيد والمعطوف في حكم المعطوف عليه ولما كان محط الفائدة القيد أخره بيان إيقانهم الآخرة ذكر مع أنه مقدم وجوداً وأنه متضمن إيقان جميع ما يجب الإيمان به وجه التخصيص ما سيحيه.

قوله: (وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباتهم وإنهم الأوحديون فيه) وتغيير النظم حيث اختير الجملة الاسمية هنا مع تقديم المفعول للدلالة على قوة يقينهم وثباتهم لأن الجملة الاسمية تدل على الثبات والدوام وفي الحصر المستفاد من التقديم تعريض بمن عداهم من أهل الكتاب بأن اعتقادهم غير مطابق ولا صادرة عن إيقان فاستفيد منه أن اعتقادهم بالآخرة في قوة يقين ومطابق للواقع قوله وأنهم الأوحديون فيه إشارة إلى ما ذكرناه.

قوله: (أو جملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة) أو جملة اعتراضية أي غير متعلقة بما قبلها بحسب الإعراب وإن تعلقها معنى وهذا بناء على كون الجملة الاعتراضية في آخر الكلام وهو مختار صاحب الكشف ورضي به المص وماله أنها جملة تذييلية مقررلة لما قبلها.

قوله: (فإن تحمل المشاق إنما يكون لخوف العقابة والوئوق على المحاسبة) فإن تحمل المشاق الخ المراد بالمشاق التكاليف الشرعية التي وضعها الله تعالى وإنما سميت

قوله: من تنمة الصلة والوالمحال وذو الحال هو الواو أن في يقيمون ويؤتون فالمعنى يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة مخصوصين بالإيقان بالآخرة أوحديين فيه والحصر فيه هو التسمي بحصر الكمال مثل زيد هو الجواد.

قوله: كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون إلى آخره يريد أن الضمير الأول وضع موضع اسم الإشارة فهو مثل قوله تعالى: ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ [البقرة: ٣] ﴿أولئك على هدى﴾ [البقرة: ٥] وفائدته الإشعار بأن من يرد عقيب اسم الإشارة وهم المذكورون قبله أهل له لأجل انصافهم بالخصال التي عدت لهم فهو بمنزلة إعادة ذكرهم بصفتهم لتعليل الحكم الوارد بعده فالمعنى هم أحقاء بأن يؤمنوا بالآخرة لأنهم هم الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح وهذه المعاني أعني معنى التخصيص والتوكيد والتعليل إنما يفيد هذا التركيب إذا جعل وهم بالآخرة هم يؤمنون جملة اعتراضية لاستقلاله حيثنن وأما إذا دخل في حيز الصلة بأن جعل حالاً أو عطفاً على يقيمون على التأويل لم يفتح إلى هذه العبارة إذ لو أريد ذلك لقليل هم بالآخرة يؤمنون على تقدير الحال وبالأخرة هم يؤمنون على تقدير العطف فيفوت تلك الفوائد ولهذا قال صاحب الكشف ويكون جملة اعتراضية وهو الوجه فإن تحمل المشاق إنما يكون لخوف العقابة وعن النبي ﷺ من خاف أدلج بلغ المنزل.

مشاق لأنها ثقيلة على الأنفس إلا المرثاضين الذين وطنوا نفوسهم على الصبر على الطاعات والصبر عن المنكرات لأنها متوقعة في مقابلتها ما يستحقر لأجله مشاقها ويستلذ بسببه متاعها ومن ثمة قال النبي عليه السلام وجعلت قرّة عيني في الصلاة فلو قال فإن تحمل المشاق إنما هو للتوقع في مقابلتها ما يستحقر لأجله وهو الثواب الدائم مشاقها ولخوف العاقبة لكان إشارة إلى أنهم بين الخوف والرجاء .

قوله : (وتكرير الضمير للاختصاص) والمراد بالاختصاص بعد الاختصاص إذ تقديم المسند إليه على الخبر يفيد القصر لكن إفاضة تكرير الضمير الاختصاص محل تأمل والتكرير إنما يفيد التأكيد أي تأكيد الإسناد أو تأكيد المسند إليه أو المسند لا تأكيد الاختصاص إلا أن يقال تكرير ما يفيد الاختصاص يؤكد الاختصاص كما يفيد تقوي الحكم وهنا لما أفاد تقديم الضمير الثاني الاختصاص تعريضاً بمن عداهم من أهل الكتاب كما صرح به في سورة البقرة فإفاضة اختصاص تقديم الضمير الأول الاختصاص يكون تأكيداً فهذا أبلغ مما في سورة البقرة وهو قوله تعالى : ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة : ٤] .

قوله تعالى : **إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ رَبَّنَا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ فَبِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴿١﴾

قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ لما بين أحوال الذين يوقنون بالآخرة شرع في بيان أحوال أضدادهم وتخصيص عدم إيمانهم بالآخرة بالذكر لما خص إيقانهم بها وجه الاختصاص هناك لأن الإيمان بها الركن الأعظم من الإيمان كالإيمان بالله لأن الإيقان بالآخرة يحمل صاحبه على النظر والتدبر خوف العاقبة حتى يؤمن بجميع ما يحبب الإيمان به وترك العاطف لتباين الغرض إذ الأول مسوق لكون الكتاب هدى ويشرى للمؤمنين والثاني سيق لكون أعمالهم القبيحة مزينة لهم والتأكيد بأن للمبالغة في وقوع مضمون الجملة .

قوله : (زين لهم أعمالهم القبيحة بأن جعلها مشتتة للطبع محبوبة للنفس) وإسناد التزيين إلى الله تعالى حقيقة إذ ما من شيء إلا وهو فاعله وإسناده إلى غيره تعالى مجاز لكونه سبباً له

قوله : وتكرير الضمير للاختصاص قال صاحب الانتصاف عد الضمير من آيات الحصر ليس بثبت وهنا الضمير مكرر لأن الأصل وهم يوقنون بالآخرة فقدم المجرور للعناية فوق فاصلاً بين المبتدأ والخبر فأريد أن يلي المبتدأ خبره وقد حال المجرور بينهما فتكرر ذكره ولم يفت العناية بالمجرور حيث بقي مقدماً وقال الطيبي كلام صاحب الانتصاف كلام من لم يشم رائحة من علم البيان فإنهم اجمعوا على أن مثل أنا عرفت يحتمل التثني والتخصيص أما الفتوى فتكرر الإسناد وأما التخصيص فلاعتبار تقدم الفاعل الممعنوي على عامله ولما تقدم ضميرهم على يوقنون وأكد بالتكرير أفاد التخصيص والتوكيد ولهذا قال صاحب الكشف معناها وما يوقن بالآخرة حق الايقان إلا هؤلاء المجامعون بين الإيمان والعمل الصالح .

قوله : بأن جعلها مشتتة للطبع محبوبة للنفس فسرّه رحمه الله على ما عليه أهل السنة فإنهم قالوا معناه زيناهم أعمالهم بما ركبنا فيهم من الشهوات والأمانى حتى رأوا ذلك حسناً وهو كالختم والطبع وفيه اثبات خلق الله تعالى أفعال العباد قال الزمخشري فإن قلت كيف أسند تزيين أعمالهم

القييحة وهي ما نهى عنه يذم فاعلمها ويعاقب عليها بأن جعلها متعلقاً بزين مشتة للطبع حتى نهلكوا عليها وأعرضوا عن غيرها وسبب هذا الجعل اتهامهم على الشر والمعاصي وإصرارهم على الكفر باختيارهم وهذا في المعنى كالتختم والطبع فلا يرد الإشكال بأنهم حيثئذ يكونون مجبورين على الكفر وسائر المعاصي وقد مر توضيحه في سورة البقرة.

قوله: (أو الأعمال الحسنة التي وجب عليهم أن يعملوها يترتب المثوبات عليها) أو الأعمال الحسنة التي أعرضوا عنها بالإضافة في النظم الكريم لأدنى ملاسة ولذا قال المص الأعمال الحسنة ولم يقل أعمالهم الحسنة كما قال أعمالهم القبيحة قوله التي وجب عليهم إشارة إلى وجه إضافتها إليهم مع إعراضهم عنها بقوله يترتب المثوبات متعلق بزين وهذا الاحتمال^(١) بعيد إذ التزيين في مثل هذا المقام أعمالهم القبيحة فإنها مشتة ومحبوكة لنفوسهم وأما الطاعات فتثقلة على النفوس إلا على المرتاضين ولذا ورد حفت الجنة بالمكاره وحفت جهنم بالشهوات.

قوله: (فهم يعمهون عنها لا يدركون ما يتبعها من ضر أو نفع) فهم يعمهون اختير

إلى ذاته وقد أسنده إلى الشيطان في قوله: ﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ [النمل: ٢٤] قلت بين الاستادين فرق وذلك إن إسناده إلى الشيطان حقيقة وإسناده إلى الله تعالى مجاز وله طريقان في علم البيان أحدهما أن يكون من المجاز الذي يسمى الاستعارة والثاني أن يكون من المجاز الحكمي فالطريق الأول أنه لما تمتعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا إنعام الله بذلك عليهم وإحسانه إليهم ذريعة إلى اتباع شهواتهم وبطرحهم وإيثارهم الروح والترفع ونفارهم عما يلزمهم فيه التكليف الصعبة والمشاق المتعبة فكانه زين لهم بذلك أعمالهم وإليه أشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر والطريق الثاني أن إمهاله الشيطان وتخليته حتى زين لهم له ملاسة ظاهرة للتزيين فأسند إليه لأن المجاز الحكمي يصححه بعض الملابس وقال صاحب الانتصاف قول الزمخشري مبني على قاعدة رعاية الأصلح ولو عكس فقال الأستاذ إلى الله تعالى حقيقة واختار قول الحسن لكن أصوب لما أنه ليس فيما رواه الحسن هدماً لمذهبهم بخلاف الوجه الأول إذ ظاهره يهدم بنيان قاعدتهم لكن الأولى هو الوجه الأول لما ورد التزيين غالباً في الشر زين للناس حب الشهوات زين للذين كفروا الحياة الدنيا وكذلك زين لكثير من المشركين وورد في الخبر قليلاً كقوله: ﴿حبيب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم﴾ [الحجرات: ٧] ويبعد الخير هنا إضافة الأعمال إليهم في قوله أعمالهم وهم لم يعملوا الخير أصلاً.

قوله: والأعمال الحسنة فتكون الآية نظير قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: ١٧].

قوله: لا يدركون ما يتبعها من ضر أو نفع فسر رحمه الله العمه بعدم الإدراك لأن العمه عدم البصيرة كما أن العمى عدم البصر وفي الكشف العمه التحير والتردد كما يكون حال الضال عن الطريق.

(١) قيل قاله الحسن وأنت تعلم أنه ليس بحسن.

الجملة الاسمية ليفيد الدوام والثبات فلم يجيء فيعمهون مع أنه أخصر العمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير في الأمر فالظاهر فهم يعمهون فيها والنسخة عندنا عنها فتعلقه به باعتبار تضمين معنى الإعراض قوله من ضر ناظر إلى المعنى الأول أو نفع ناظر إلى المعنى الثاني.

قوله تعالى: **أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سَوْءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسُونَ** ﴿٥﴾

قوله: (كالقتل والأسر يوم بدر) كالقتل الخ هذا مستفاد من قيد السوء فإنه صفة أضيفت إلى موصوفه خصه بعذاب الدنيا لقوله بعده وبالأخرة قدمه لكونه مقدماً على عذاب الآخرة.

قوله: (أشد الناس خسراناً لفوات المثوبة واستحقاق العقوبة) أشد الناس خسراناً والتعبير بأشد الناس لما في أشد من المبالغة لفوات المثوبة وهو خسران واستحقاق العقوبة خسران آخر وعن هذا كانوا هم أشد خسراناً.

قوله تعالى: **وَلِلَّهِ تَلْقَى الْقُرْآنَ مِنَ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ** ﴿٦﴾

قوله: (التوثاة) أي لتعطاء أي أعطينا القرآن من فضلنا لتنذر به أشار إلى أن لفي من الثلاثي يتعدى إلى مفعول واحد ومن التفعيل يتعدى إلى مفعولين أولهما هنا نائب الفاعل والإعطاء لازم للتلقي ولهذا فسر بالإعطاء.

قوله: (أي حكيم وأي عليم والجمع بينهما مع أن العلم داخل في الحكمة) أي حكيم وأي عليم معناه حكيم عظيم عليم عظيم لا يعرف قدره مستفاد من التنوين لأنه للتعظيم داخل في الحكمة لأنها إيقان العلم واتقان العمل وقد يطلق على معنى المحكم لبدعائه الذي لا يفعل إلا ما فيه حكمة بالغة كما صرح به في سورة البقرة فيقابل العلم وما ذكر هنا بناء على تفسير الحكمة في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ [البقرة: ٢٦٩] من أنها إيقان العلم واتقان العمل هذا معناها لغة وفي اصطلاح الشرع لا لازم معناها.

قوله: (لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل) لعموم العلم وخصوص الحكمة لأن العلم يتعلق بالمعدومات ولا فعل فيه والحكمة عبارة عن العلم واتقان الفعل كما عرفته

قوله: أي حكيم وأي عليم يعني أن تنكير حكيم وعليم للتعظيم كتكثير حاجب في قوله:

له حاجب عن كل أمر يغنيه

قوله: مع أن العلم داخل في الحكمة لأن الحكمة هي العلم المشفوع بالفعل المتقن المراعى فيه غاية محبودة ومصلحة داعية إليه.

قوله: لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل فيكون الجمع بينهما لقصد التدرج من الأخص إلى الأعم وصف ذاته بالأعم بعد وصفها بالأخص دلالة على شمول علمه تعالى للأشياء.

ولذا قال ودلالة الحكمة الخ فذكر العام بعد الخاص للتكميل والاحتراس أي لدفع توهم عدم شمول علمه بالمعدومات حال عدمه سواء كان ممتنعاً أو ممكناً سواء كان موجوداً في الخارج فيما سيأتي أو لا .

قوله : (والإشعار بأن علوم القرآن منها ما هو حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والإخبار عن المنفيات) وإنما قال بالإشعار لأن المنطوق كونه تعالى حكيماً عليماً وأما كون بعض علوم القرآن حكمة وبعضه ليس كذلك فبمعونة كون القرآن نازلاً من حكيم عليم وهذا إشعار وإشارة إلى ذلك .

قوله تعالى : إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَأْتِكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾

تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾

قوله : (ثم شرع في بيان بعض تلك العلوم بقوله : ﴿إذ قال موسى﴾ [النمل : ٧]) ثم شرع ببيان ارتباطه بما قبله والعلم الذي شرع فيه من القصص وهذا ليس من الحكمة وإن اشتملها إذ القصص لا يخلو عن العقائد والشرائع لكن لما لم يكن مسوقاً لبيانها جعل القصص مقابلاً للحكمة .

قوله : (أي أذكر قصته إذ قال ويجوز أن يتعلق بعليم) أي أذكر الخطاب لرسول الله عليه السلام ولا يحسن جعله خطاباً لكل من يصلح أن يخاطب . قوله ويجوز أن يتعلق بعليم فيكون المراد بالعلم علماً متعلقه حادث فإن العلم بوجود القصة بأنها وجدت الآن أو قبل هذا الآن إنما يكون بعد وجودها وأما العلم بالأشياء قبل وجودها فبطريق أنها ستوجد فهو قديم غير مفيد بشيء ولا يتغير أصلاً وهكذا يجب الفرق بين العلم بالأشياء قبل وجودها وبين العلم بعد وجودها فلا إشكال بأنه يلزم تقييد علمه تعالى إذ هذا التقييد لازم في التعلق بالحادث والتقييد إنما يضر في التعلق القديم وإنما ضعفه لأن العموم هو الأصل وتقييد علمه تعالى بالقصة خلاف المتبادر .

قوله : (أي عن حال الطريق لأنه قد ضله) عن حال الطريق هذا القيد لأنه قد ضله كما صرح به وإلا فالذهاب إلى جانب النار لا يلزم أن يكون كذلك ألا يرى إلى قوله : ﴿أو أتاكم بشهاب﴾ [النمل : ٧] الآية .

قوله : (وجمع الضمير إن صح أنه لم يكن معه غير امرأته لما كنى عنها بالأهل) إن صح الخ إشارة إلى منع ذلك لجواز أن يكون معها غيرها كولدها فحينئذ الجمع في بابه ولو سلم ذلك فوجه الجمع لتعبيره بالأهل فإن الأهل جماعة ولما سمي امرأته أهلاً للتعظيم

قوله : لما كنى عنها بالأهل أي بقوله : ﴿إذ قال موسى لأهله﴾ [النمل : ٧] فورود الخطاب بالجمع وإطلاق الأهل على امرأته تعظيم لشأنها ونحو قوله تعالى : ﴿مما ترك آل موسى وآل هارون﴾ [البقرة : ٢٤٨] والمراد بهما موسى وهارون رفعاً لمزنتهما .

ولإحاطتها كمالات عديدة وخصالاً كثيرة بحيث لا توجد إلا في جماعة فأطلق عليها ما يطلق على الجماعة قوله لما كنى بكسر اللام وتخفيف الميم على أن ما مصدرية وقد جوز فتح اللام وتشديد الميم.

قوله: (والسين للدلالة على بعد المسافة أو الوعد بالإتيان وأن إبطاء) والسين للدلالة لأنها حرف تنفيس^(١) يفيد التأخير ومنشأ التأخر بعد المسافة قوله أو الوعد بالإتيان لأن صيغة المضارع تدل على الوعد حين أريد بها الاستقبال بقرينة السين أو سوف قوله وإن إبطاء مقتضى السين لكن إن الوصلية تخل بالمقصود في الجملة ومراده أنه لو جرد الفعل عن السين لمتبادر الحال فزيادتها تعين معنى الاستقبال مع أن الأول أنسب لدفع الوحشة للدلالة على بعد المسافة حتى لا يضطرب أهله بإبطائه ولك أن تقول إن السين للتأكيد كقوله: ﴿مسنكتب ما قالوا﴾ [آل عمران: ١٨١] بقرينة عدم ذكره في سورة طه وفي سورة القصص مع أن القصة واحدة وقرينة الحال تعين الاستقبال لأن كون النار بعيدة من الأهل معلوم بالחס فلا جرم أنه تدل على الإبطاء كما في سورة أخرى.

قوله: (شعلة نار مقبوسة وإضافة الشهاب إليه لأنه يكون قبساً وغير قبس ونونه الكوفيون ويعقوب على أن القبس بدل منه أو وصف له لأنه بمعنى المقبوس) وإضافة الشهاب إليه الخ أي الإضافة بيانية لما بينهما من العموم والخصوص فإن الشهاب شعلة النار والقبس ما يتناول من الشعلة فكل قبس شعلة بدون العكس قوله لأنه أي الشهاب يكون قبساً وغير قبس إشارة إلى ما ذكرنا قوله لأنه بمعنى المقبوس أي قبس فعل بمعنى المفعول وأما كونه صفة مشبهة كحسن فبعيد لأنها من فعل اللازم فمجئها بمعنى اسم المفعول تكلف.

قوله: (والعدتان على سبيل الظن ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجي في طه) والعدتان على سبيل الظن بقرينة التعبير عنه بصيغة الترجي في موضع آخر كسورة طه والقصص فلا

قوله: شعلة نار مقبوسة أي مأخوذة يقال قبست منه ناراً أقبس قبساً فأقبسني أي أعطاني منه قبساً واقبست منه ناراً واقبست منه علماً استفدته قوله وإضافة الشهاب إلى القبس لأنه يكون قبساً وغير قبس قال مكى بشهاب قبس من إضافة النوع إلى جنسه نحو ثوب خز قال الفراهي إضافة الشيء إلى نفسه كصلاة الأولى لأن صلاة الأولى في الأصل موصوف وصفة وأصلها الصلاة الأولى.

قوله: والعدتان على سبيل الظن أي الودعان اللذان هما إتيان الخبر وإتيان الشهاب بناء على الظن وهذا رد سؤال يرد على ترك كلمة الترجي هنا وذكرها في سورة طه حيث قيل هنا

(١) أي توسيع قالوا معناه أنه ينقل المضارع من الزمن الضيق وهو الحال إلى الزمن الواسع وهو الاستقبال وهذا بناء على أن المضارع حقيقة في الحال كما اختاره الرضي لكن ذهب بعضهم إلى الاشتراك وبعضهم إلى أنه حقيقة في الاستقبال فالأولى أن يقال معناه أن يعين المضارع للزمن الواسع.

تدافع بين ما وقع هنا وقوله تعالى: ﴿لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا﴾ [طه: ١٠] لأنهما يدلان على الظن وما صدر عن موسى عليه السلام إحدى العبارتين في ذلك الوقت لكنه تعالى حكى القصة بالعبارتين في المواضع فمعنى العبارتين واحد لا محالة فكون الخبر بمعنى الترجي أولى من عكسه وأوفق لكون العدتين ظنيتين.

قوله: (والترديد للدلالة على أنه إن لم يظفر بهما لم يعدم أحدهما بناء على ظاهر الأمر وثقة بعبادة الله تعالى أنه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده) والترديد للدلالة الخ فيه نوع مخالفة لما ادعى من أن العدتان ظنيتان وأشار به إلى أن أو لمنع الخلو أي الظاهر الواو لأن كلا الأمرين مطلوب جيد لكن أنى بأو للدلالة قال الفاضل السعدي يجوز أن يكون احتياجه لأحدهما لا لهما لأنه كان في حال الرحلة قد ضل عن الطريق فمقصوده أن يجد أحداً يهدي إلى الطريق فيستمر في سفره فإن لم يجد أخذ يقبس من النار توقد بها ويدفع ضرر البرد في الإقامة ولا يخفى أنه يخالف تقرير المص لكن مراده بيان وجه آخر كما يرشده إليك قوله يجوز الخ.

قوله: (رجاء أن تستدفوا بها والصلاة النار العظيمة) الصلاة بكسر الصاد والمد أو الفتح مع القصص هو الدنو من النار لتسخين البدن وهو الدفء ودفع ألم البرد ويطلق على النار نفسها كما قال المص والصلاة النار العظيمة لكن المناسب هنا المعنى الأول.



قوله تعالى: قُلْنَا جَاءَهَا نُورٌ أَنْ يُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ

قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا﴾ الغاء فصيحة أي ذهب إلى جانب النار فجاءها فلما جاء موضعاً يقرب من النار التي أبصرها.

﴿سَأَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾ [النمل: ٧] على لفظ القطع وفي سورة طه ﴿لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا﴾ [طه: ١٠] بخبر على لفظ الظن وهما متدافعان في الظاهر فأجاب عنه رحمه الله بأن العدة هنا مبنية على الظن أيضاً وإن جاءت بلفظ القطع فإن الراجي قد يقول إذا قوي رجاءه سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويز الخيبة.

قوله: (والترديد للدلالة على أنه إن لم يظفر بهما لم يعدم أحدهما أي معنى الترديد بأو بين هاتين العدتين وهما لا تتناقضان ومقتضى الظاهر الواو لجواز الجمع بينهما هو إنه عليه السلام بنى الرجاء على أنه إن لم يظفر بحاجتيه جميعاً لم يعدم واحدة منهما إما هداية الطريق وإما اقتباس النار ثقة بعبادة الله أنه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده وما علم عليه السلام حين قال ذلك إنه ظافر على النار بحاجتين الكلتيين جميعاً وهما عز الدنيا وعز الآخرة انظر أيها المتأمل إلى العناية الأبدية فإنه عليه السلام طلب الدلالة على الطريق والنار لحاجة الأهل فجاز بهز التدارين.

قوله: رجاء أن تستدفوا منها الاستدفاء استعمال من الدفء وهو السخونة يقال تدفأ هو بالثوب واستدفأ به وادفأ به وهو اقتحل أي لبس ما يدفئه أي يسخنه وقد ادفأ الثوب أي اسخنه.

قوله: (والصلاة النار العظيمة أي الصلاة بالمد والكسر هي النار العظيمة وكذا الصلا بالفتح والقصر ويجيء الصلاة بالكسر والمد أيضاً بمعنى الشواء وهو لا يتناسب المقام).

قوله: (أي بورك فإن النداء فيه معنى القول) يعني لفظة إن تفسيرية بمعنى أي بورك قوله فإن النداء فيه معنى القول إشارة إلى تحقق كونها تفسيرية.

قوله: (أو بأن بورك على أنها مصدرية أو مخففة من الثقيلة) أو بأن بورك بتقدير الجار على أنها مصدرية قيل وإذا كانت مصدرية يجوز في بورك أن يكون خبراً أو إنشاء للنداء ولا يضر فوات معنى الطلب إذا أول بالمصدر كما توهم لأنه أمر تقديرية وسلم فواته كفوات معنى المضي والاستقبال انتهى ولك أن تقول إنه بإضمار القول أي نودي بأن يقال بورك كما قيل في الأمر الصريح.

قوله: (والتخفيف وإن اقتضى التعويض بلا أو قد أو السين أو سوف لكنه دعاء وهو يخالف غيره في أحكام كثيرة) التعويض بلا الخ هذا بطريق التمثيل وإلا فالتعويض لا يختص بلا قال الرضي يجب أن يعوض المخففة من الثقيلة إما بالسين أو سوف أو حرف نفي قال أبو علي الفارسي في الحجة إنها لما كان لا يليها إلا الاسم استقيحوا أن يلي الفعل من غير فاعل قال الشيخ الرضي لو قلنا إن بورك بمعنى الدعاء فهي إن مفسرة لا غير لأن صلة المخففة لا يكون أمراً ولا نهياً ولا غيرهما مما فيه معنى الطلب إجماعاً وكذا صلة المصدرية على الأصح قيل وهذا مخالف لما ذكره النحاة ودعوى الإجماع غير صحيحة يمكن أن يكون مراده بدون فاصل فلا يكون مخالفاً لقول النحاة لما نقلنا عنه من أنه قال يجب أن يعوض المخففة من الثقيلة إما بالسين الخ والمراد بالإجماع أكثرهم.

قوله: (من في مكان النار وهو البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى: ﴿نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة﴾ [القصص: ٣٠] ومن حول مكانها) من في مكان النار إشارة إلى أن فيه مضافاً مقدراً في الموضع الأول المكان وفي الثاني حول مكانها.

قوله: أي بورك لفظ أي تفسير بمعنى أن التفسيرية في أن بورك محكي لا حكاية وقوله أو بأن بورك على أنها مصدرية والجار محذوف تقديره بأن بورك أي نودي بكثرة بركة من في النار.

قوله: والتخفيف وإن اقتضى التعويض بلا أو قد أو السين أو سوف لكنه دعاء وهذا رد على صاحب الكشاف حيث قال فإن قلت هل يجوز أن تكون المخففة من الثقيلة وتقديره نودي بأنه بورك والضمير ضمير الشأن قلت لا لأنه لا بد من قد قال في المفصل والمفتوحة يعوض عما ذهب منها أحد الأحرف الأربعة حرف التثني وقد وسوف والسين نحو علمت أن لا يخرج زيد وإن قد خرج وإن سوف يخرج وأن سيخرج فجوز القاضي رحمه الله كونها مخففة من الثقيلة بناء على أن بورك دعاء والنداء يخالف غيره في كثير من الأحكام فيجوز فيه ما لا يجوز في غيره وكلامه هذا مأخوذ من كلام أبي البقاء فإنه قال إن بورك هي المخففة من الثقيلة وجاز ذلك من غير عوض لأن إن بورك ولم يأت بعوض كما في قوله: ﴿كان لم يغنوا فيها﴾ [الأعراف: ٩٢] وقوله: ﴿أن قد أبلغوا﴾ [الجن: ٢٨] لأنه دعاء قوله: ﴿وهو البقعة المباركة﴾ [القصص: ٣٠] المذكورة أي المذكورة في قوله تعالى: ﴿نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة﴾ [القصص: ٣٠].

قوله : (والظاهر أنه عام في كل من في تلك البقعة وحواليها من أرض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الأنبياء عليهم السلام وكفاتهم أحياء وأمواتاً وخصوصاً تلك البقعة التي كلم الله فيها موسى عليه السلام) والظاهر إشارة إلى أن عدم العموم محتمل قوله وكفاتهم أي مقرهم أصل الكفات اسم لما يكفت أي يضم كالضمام والجماع لما يضم ويجمع كذا قاله في سورة والمرسلات .

قوله : (وقيل المراد موسى عليه السلام والملائكة الحاضرون) هذا خلاف الظاهر نيه عليه بقوله والظاهر أنه عام الخ أي المراد بمن في النار الملائكة ومن حولها موسى عليه السلام وقيل المراد بمن فيها موسى عليه السلام ومن حولها الملائكة الحاضرون والاحتمال الأول هو المعول وذكر موسى عليه السلام أولاً لفضيلته على الملائكة لا إشارة إلى ما ذكر .

قوله : (وتصدير الخطاب بذلك بشارة بأنه قد قضى له أمر عظيم ينتشر بركته في أقطار الشام) وتصدير الخطاب أي تصدير النداء بذلك أي بقوله إن بورك سواء كان خيراً كما هو الظاهر أو دعاء فإن الدعاء من الله تعالى بمنزلة الخير لتحقيقه جزماً فيكون بشارة أيضاً قوله بأنه قد قضى له أمر عظيم وهو الرسالة سواء كان المراد بمن في النار الخ عاماً أو خاصاً قوله ينتشر بركته أي البركة في الدين إذ أصل البركة حاصلة قبله فلا ينافي ما سبق من قوله من أرض الشام الموصوفة بالبركات .

قوله : (من تمام ما نودي به لثلاثتهم من سماع كلامه تشبيهاً وللتعجب من عظمة ذلك الأمر) من تمام ما نودي به وهو الظاهر قوله تشبيهاً أي تشبيهاً للبشر إذ مجيء

قوله : والظاهر أنه عام وجه ظهوره عموم اللفظ وعدم تفيد البقعة المذكورة فيكون من شاملاً لكل من ذلك الوادي غير مختص بموسى عليه السلام والملائكة الحاضرين عنده وكذا حولها شامل لجميع من حواليها من أرض الشام فتحصيص مكان النار بالبقعة المذكورة وتخصيص من فيها ومن حولها بموسى والملائكة عليه السلام خلاف الظاهر .

قوله : وتصدير الخطاب بذلك أي بقوله فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها بشارة بأنه قد قضى له أمر عظيم أي قدر له وحكم أمر عظيم وهو تكليم الله موسى واستناباه له وإظهار المعجزات عليه ورب خير يتجدد في بعض البقاع فينشر الله بركة ذلك الخير في أقاصيها ويثبت آثار يمنه في أباعدها يعني إذا أريد بمن في بورك من في النار العموم فما معنى ابتداء الخطاب بموسى عليه السلام يتجدد بركة أخرى إلى تلك البركات بواسطته تنشر تلك البركة في تلك الأراضي وتصل إلى ساكنيها .

قوله : لثلاثتهم من سماع كلامه تشبيهاً يعني لولا تميم المنادى به بكلام التنزيه لثوهم موسى عليه السلام من سماع هذا النداء تشبيهاً أي ثوهم أن المتكلم مثل البشر لكون كلامه مثل كلام البشر في كونه صوتاً مركباً من حروف وكلمات مسموعة فاتبعه سبحانه الله رب العالمين دعواً لعروض من ذلك الوهم وخطوره .

قوله : وللتعجب من عظمة ذلك الأمر عطف على لثلاثتهم أي وللتعجب موسى

الخطاب من جانب وغير ذلك مما يتوهم منه مشابهة البشر وللتعجب من عظمة الخ أشار إلى أن التعجب لا يكون منه تعالى فهو كناية عن عظمته .

قوله : (أو تعجب من موسى عليه السلام لما داهاه من عظمته) بتقدير القول أي وقال موسى عليه السلام وقال السدي إنه تنزيه منه وهو الأولى لأنه معنى حقيقي له وقد أمكن حمله عليه .

قوله تعالى : يَسْئَلُونَكَ إِنَّهُ أَأَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾

قوله : (الهاء للشأن وأنا الله جملة مفسرة له أو للمتكلم وأنا خبره الله والله بيان له) أو للمتكلم المنادى له فحينئذ الظاهر أنه الله لكن قصد التقدير والتوضيح فقيل أنا ثم بين بقوله الله بعد الإبهام لما عرف من أن الإيضاح بعد الإبهام أوقع في النفوس ثم كون أنا خيراً بناء على التأويل فالحمل مفيد بالبيان والله بيان أي عطف البيان والمراد بالمتكلم المنادي ما فهم من السياق لا من الفاعل المحذوف في نودي فلا إشكال بأنه إذا حذف الفاعل وبني الفعل للمفعول فلا يجوز أن يعود الضمير إلى ذلك المفعول لأنه نقض الغرض والعزم على أن لا يكون محدثاً عنه معتنى به مع أنه لا منافاة بين كون المتروك في جملة مقصودة وملتبساً إليه في جملة أخرى وقد ورد مثله في قوله تعالى : ﴿فمن عفي له من أخيه شيء﴾ [البقرة : ١٧٨] ثم قال وأداء إليه^(١) أي الذي عفي وهو ولي الدم ولم يلتفت إلى كون أنا تأكيداً للضمير والله خبره كما مر في سورة طه لأن كون ضمير المتكلم تأكيداً للضمير الغائب غير متعارف كما لم يتعرض كون الله بدلاً من الضمير لأنه مختلف فيه .

قوله : (صفتان لله مهدهتان لما أراد أن يظهره) أي هما صفتان فائدة الخبر باعتبار قيده قوله لما أراد أن يظهره أي هذا المذكور من الصفتين أنسب بهذا المقام كما بينه بقوله يريد أنا لقوي الخ فلذا اختير ذكرهما هنا .

وايقاعه في العجب من عظمة ذلك الأمر العظيم وهو أحداث أمر ديني من تكليمه واستنباؤه .

قوله : أو تعجب من موسى أي أو تعجب الغير من حال موسى وقت الخطاب به لما داهاه أي أصابه أمر عظيم وحالة غريبة من الداهية وهي الأمر العظيم ودواهي الدهر ما يصيب الناس من عظيم نوبة يقال ما دهاك أي ما أصابك قال صاحب الكشف وسبحان الله رب العالمين تعجب لموسى من ذلك وإيهان بأن ذلك الأمر مرعبه ومكونه رب العالمين تنبيهاً على أن الكائن من جلائل الأمور وعظائم الشؤون .

قوله : أو للمتكلم عطف على اللسان فيكون راجعاً إلى ما دل عليه قبله يعني أن مكلمك أنا والله عطف بيان لأنما سمي ضمير الغائب بضمير المتكلم لأنه هو في هذا المقام لأن المراد به المتكلم وإن عبر عنه بالغائب .

قوله : صفتان مهدهتان التمهيد على ما ذكر جعل كلام مهداً وبساطة للكلام آخر يذكر بعده يعني أنه تعالى كما جعل سبحانه الله رب العالمين تذييلاً للكلام السابق دفعاً للتوهم والتعجب

قوله: (يريد أنا القوي القادر على ما يبعد عن الأوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما يفعل بحكمة وتدبير) أنا القوي الخ أي العزيز من عز يعز من الباب الأول بمعنى القدرة وله معنى آخر لا يتناسب المقام قوله كقلب العصا حية إذ لا مناسبة بينهما وقلب العصا حية إما بإبدال صورة العصا بصورة الحية مع بقاء الجواهر المفردة عند من ذهب إلى أن أجزاء كل جسم متماثلة ومتحدة في الماهية أو بإعدام العصاء وإيجاد الحية عند من ذهب إلى أنها متخالفة في الماهية الأولى كقلب العصا جاناً لكنه عبر بالاسم الذي يعم الجان والثعبان قوله الفاعل الخ إشارة إلى معنى الحكيم ولم ينبه على ما فيه من العلم لأن ما ذكره هو المناسب للمقام.

قوله تعالى: **وَأَنِّي عَصَاكَ فَلَمَّا رَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْرِياً وَكَرَّ يَصْبِحُ يَصْغُبُ لَئِي لَا**

يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾

قوله: (عطف على بورك أي نوذي أن بورك من في النار وأن ألق عصاك ويدل عليه قوله وأن ألق عصاك بعد قوله: ﴿يا موسى إني أنا الله﴾ [القصص: ٣٠] بتكرير (إن) عطف على بورك لأنه أيضاً إنشاء لأنه جملة دعائية كما صرح به فحينئذ يكون تجديد النداء جملة معترضة بين المتعاطفين أو يقال إن قوله يا موسى من جملة تفسير النداء المذكور وليس بتجديد النداء كما قيل أو أنه معطوف على مقدر أي افعل ما أمرك وألق عصاك.

قوله: (تتحرك باضطراب حية خفيفة سريعة وقرىء جان على لغة من جد في الهرب عن الثقاء الساكنين) قيد الاضطراب لأن الهز التحريك الشديد والاهتزاز التحرك الشديد

جعل قوله: ﴿أنا الله العزيز الحكيم﴾ [النمل: ٩] تمهيداً لما أراد أن يظهره على يده من المعجزة يريد أنا العزيز أي القوي القادر على ما يبعد عن الأوهام كقلب العصا حية والحكيم الفاعل كل ما فعله بحكمة وتدبير.

قوله: ويدل عليه قوله: ﴿وأن ألق عصاك﴾ [القصص: ٣١] أي يدل على أن ألق عصاك عطف على بورك قوله في القصص ﴿وأن ألق عصاك﴾ [القصص: ٣١] بتكرير أن التفسيرية المشعر بأنه داخل في حيز نوذي أيضاً فإنه قيل هناك ﴿فلما أتاهها نوذي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين وأن ألق عصاك﴾ [القصص: ٣٠، ٣١] وتكرير أن هناك دليل على أن ألق هنا عطف أيضاً على بورك والقرآن يفسر بعضه بعضاً فالمعنى نوذي أن بورك من في النار وأن ألق عصاك كلاهما تفسير لنوذي ومعناه قيل له بورك من في النار وقيل له ألق عصاك كما تقول كنت إليك أن حج وأن اعتمر وإن شئت قلت إن حج واعتمر.

قوله: وقرىء جانم بجيم وهمزة مفتوحتين ونون مشددة على لغة من جد في الهرب من الثقاء الساكنين فإن أهل تلك اللغة قالوا شابة ودابة بالهمزة المفتوحة بعد الفاء والثقاء الساكنين وإن كان مفترقاً في حروف مد بعدها مدغم عند جمهور أهل اللغة قد جد بعضهم في الهرب منه مطلقاً فحركوا الألف ومنها قراءة عمرو بن عبدي ولا الضالين بالهمزة المفتوحة بعد الصاد قوله من عقب

وهو معنى الاضطراب هنا وإنما قال كأنها جان لأنها في السرعة مثل الجان وفي الغلظة مثل الثعبان ولذا قال في موضع آخر فإذا هي ثعبان مبين ﴿الأعراف: ١٠٧﴾ أي كثعبان ف قوله حية حفيظة الخ إشارة إلى التوفيق بين هذه التعبيرات كما صرح به في طه.

قوله: (ولم يرجع من عقب المقاتل إذا كر بعد الفرار وإنما رعب لظنه أن ذلك لأمر أريد به) وإنما رعب بصيغة المعلوم وهو الظاهر أو بالمجهول والرعب مستفاد من قوله ولي مدبراً إذ معناه أعرض عنها وجعلها يلي ظهره خوفاً منها بمقتضى البشرية قوله لظنه إن ذلك لأمر أريد به أي أريد وقوعه به بأن قلبت حية لإهلاكه منشأ الظن هو أن الموجود هناك ليس إلا هو من الحيوان والإنسان والحية من المهلكات.

قوله: (ويدل عليه قوله: ﴿يا موسى لا تخف﴾ [النمل: ١٠]) أي على أن ذلك لخوفه لظنه^(١) المذكور هذا مقتضى السوق لكن دلالته على ذلك بخصوصه ليست بظاهرة بل يدل على أنه عليه السلام خاف وأما خوفه لذلك فلا وعن ذلك قال بعضهم ويدل على أن ذلك لخوفه بأي وجه كان وهذا جيد لكن لا يلائم قوله وإنما رعب لظنه أنه الخ ثم قال ويدل عليه قوله الخ وغرضه الاستدلال على ما ادعاه أولاً لا على خوفه مطلقاً.

قوله: (أي من غيري ثقة بي) من غيري مفعوله المقدر بقرينة ما قبله سواء كان ذلك الغير حية أو لا عم الكلام لدخول الحية فيه دخولاً أولاً ولأن الظاهر العموم لاقتضائه العلة وهي ثقة بي.

قوله: (أو مطلقاً لقوله: ﴿إني لا يخاف﴾ [النمل: ١٠]) الآية فيدخل الحية بطريق الأولى.

المقاتل بتشديد القاف إذا كر أي رجع بعدما فر كما في قوله:

فما عقبوا إذ قيل هل من معقب ولا نزلوا يوم الكريهة منزلاً

قوله: لظنه أن ذلك لأمر أريد به لأمر خبر ان واللام لام الابتداء مفتوحة أي وإنما خاف موسى حيث ولي مدبراً لظنه أن انقلاب العصا حية أمر أريد هو به ويدل على ظنه ذلك قوله تعالى: ﴿يا موسى لا تخف﴾ [القصص: ٣١] فإن نفيه عن الخوف دليل على أنه رعب بمقتضى ذلك الظن والرعب الخوف أروع الرجل ملئ خوفاً عند السيل بالوادي ملاء.

قوله: أي من غيري ثقة بي أو مطلقاً يعني أن لا تخف إما أن يراد تعلقه بمفعول حذف للاختصار أو لا يراد ذلك بل نزل منزلة اللازم فأراد بقوله من غيري الاحتمال الأول وقوله مطلقاً الاحتمال الثاني قوله لقوله: ﴿إني لا يخاف لدي المرسلون﴾ [النمل: ١٠] تعليل الوجه الثاني وهو احتمال الإطلاق لأن الإطلاق ظاهر مفهوم لا يخاف لدي المرسلون إطلاق الخوف وعدم تقيده بالمخوف منه أي لا يصدر منهم خوف أصلاً يدل عليه ما في الكشف حيث قال ولا بمعنى لكن لأنه لما أطلق نفي الخوف عن الرسل كان ذلك مظنة لطرق الشبهة فاستدرك ذلك.

(١) قيل وفيه أنه أيضاً خوف من الله تعالى فإن رعبه لظنه أن ذلك الأمر بإرادة الله تعالى وهذا مما لا بد منه والتعرض له كالمستدرك.

قوله: (حين يوحى إليهم من فرط الاستغراق) هذا متفهم من التعبير بالمرسلون ويقول له في قوله من فرط الاستغراق أي بتوجههم الكلي إلى تلقي الوحي وانجذاب أرواحهم إلى عالم الملكوت فيغيب عنهم كل شيء سواء فحينئذ يرد الإشكال بالخوف المذكور فإن قوله تعالى: ﴿إني لا يخاف لدي المرسلون﴾ [النمل: ١٠] خبر والخوف المذكور ينافية ظاهراً وأشار بعضهم إلى الجواب عنه وهذا باعتبار الأغلب والمعنى لا ينبغي لهم أن يخافوا في تلك الحال بل لا يخطر بالهم الخوف وإن وجد ما يخاف منه فيندفع رعبه الناشئ عن ظنه ولذا قال أقبل ولا تخف إنك من الأمنين تتيباً له ولا يخفى ما فيه من التكلف إذ حمل قوله: ﴿إني لا يخاف﴾ [النمل: ١٠] الآية على الأغلب بعيد جداً فالأولى الحمل على الاستعارة التمثيلية بأن يقال إنه لما عاين مثل هذه الخوارق وشاهد منها ما لا يسع طوق البشر وقدرته شبه حاله عليه عليه السلام بحال من يخاف ويهرب بمشاهدة مثل هذه الأمور الغريبة والشؤون العجيبة ويقبل ويدبر ويسرع لظنه أنه أريد به هلاكه فاستعمل ما هو موضوع للمشبه به في المشبه وأما قوله تعالى: ﴿خذها ولا تخف﴾ [طه: ٢١] فمن باب التبييض والتثبيت زيادة الاطمئنان كقوله تعالى: ﴿ولا تكونن من الممثرين﴾ [البقرة: ١٤٧] أو المنفي حين استمرار الوحي والخوف المثبت حين ابتداء الوحي كما فيما نحن فيه أو غير الوحي كخوف إبراهيم عليه السلام من ضيفه المكرمين ونظيره قوله تعالى: ﴿حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا﴾ [يوسف: ١١٠] الآية على وجه حيث قال المص وما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن الرسل ظنوا أنهم أخلفوا ما وعدهم الله تعالى من النصر إن صح فقد أراد بالظن ما يهيج في القلب على طريق الوسوسة هذا وإن المراد به المبالغة في التراخي والإمهال على سبيل التمثيل.

قوله: (فإنهم أخوف الناس من الله تعالى) بيان لتقيد عدم خوفهم بما مر الدال عليه لدي وهو حين الوحي لأنهم أخوف الناس من الله تعالى في سائر الأحيان كما قال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [فاطر: ٢٨] ولا أعلم بالله منهم.

قوله: (أو لا يكون لهم عندي سوء عاقبة فيخافوا منه) هذا جار في الوجهين أي لا تخف من غيري ثقة بي أو مطلقاً فإنك آمن من سوء العاقبة في الآخرة كسائر المرسلين فإن لدي بمعنى عند ذكر هنا على سبيل الاستعارة التمثيلية المعبر عنها بالعندية المكانة لا المكاني فينبغي أن يخشاه أولو العزم وغيرهم إنما هو من سوء العاقبة لا الخوف من نحو الحية وغيرها في هذه الملاحظة يظهر المناسبة للمقام لكن الأول أمس بالمرام ولذا قدمه وبين وجهه قوله فيخافوا بإسقاط النون لأنه جواب النفي وفي نسخة يخافون منه فلا حذف فيه.

قوله: فإنهم أخوف الناس من الله يعني أن اسلاب الخوف منهم حين الوحي إنما هو لفرط استغراقهم وغفلتهم عن أحوالهم وإلا فهم أخوف الناس من الله أو لانعدام سوء العاقبة فيهم.

قوله تعالى : **إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلْ حَسَنًا بَعْدَ سَوْءٍ فَإِنَّ غَفُورًا رَحِيمًا** ﴿١١﴾

قوله : (استثناء منقطع استدرك به ما يختلج في الصدور من نفي الخوف عن كلهم وفيهم من فرطت منه صغيرة فإنهم) استثناء منقطع أي إلا بمعنى لكن فيكون محل من منصوباً على الأصح قوله من نفي الخوف متعلق بـيختلج ومن للتعليل قوله فإنهم متعلق باستدرك قوله وفيهم من فرطت^(١) قيل فعلى هذا يكون الاستثناء متصلاً لا منقطعاً أوجب بأنه لو كان متصلاً لزم إثبات الخوف لهم وليس كذلك فلا يكون متصلاً بل شروع في حكم آخر توضيحه ما قاله صاحب التوضيح والاستثناء المنقطع منه أن يكون المستثنى داخلاً في المستثنى منه لكن لا يخرج عن عين ذلك الحكم بل المراد إثبات حكم آخر له .

قوله : (وإن فعلوها اتبعوا فعلها ما يظنها ويستحقون به من الله مغفرة ورحمة) وإن فعلوها الخ تفسير لقوله ثم بدل الخ والمعنى لا يخاف المرسلون إلا من ظلم فإن يخاف من سوء العاقبة أولاً ثم بعد الثبوت يزول ذلك عنه أيضاً وإسناد التبديل إليه مجاز باعتبار السببية .

قوله : (وقصد تعريض موسى بوكزه القبطي) لأن من ظلم على العموم فلا يلزم في قصد التعريض صدور ما صدر منهم بعد الإرسال .

قوله : (وقيل متصل وثم بدل مستأنف) هو على الوجه الأخير وهو كون المعنى أي لا يكون عندي سوء عاقبة الخ ولذا قبل في توضيحه والمعنى لا يخافون أي المرسلون من سوء

قوله : استثناء منقطع أي كلمة إلا في ﴿إلا من ظلم﴾ استثناء منقطع بمعنى لكن ومن منصوب المحل كقوله تعالى : ﴿إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين إلا آل لوط﴾ [الحجر : ٥٨ ، ٥٩] فإن ﴿إلا آل لوط﴾ استثناء منقطع لأن القوم موصوفون بالإجرام فاختلف لذلك الجنسان بناء على اختلاف صفتيهما وهنا الأمر بالعكس أي المستثنى منه هناك مجرم والمستثنى غير مجرم والأمر هنا بالعكس لأن المستدرك جنس غير المعصومين قد استدرك من المعصومين .

قوله : وقصد تعريض موسى بوكزه القبطي معنى التعريض مستفاد من التعبير بلفظ المبهم وإسناد الظلم والتبديل إليه حيث لم يصرح موسى عليه السلام وإن كان القصد إليه كأنه قيل لكنك ظلمت بقتل القبطي ثم بدلت حسناً بعد سوء فإني غفور لك رحيم عليك فترك التصريح إلى الكتابة التي من أقسامها التعريض لإثبات ذلك المعنى بيينة ولئلا يوحشه صراحة نسبة الظلم إليه .

قوله : وقيل متصل أي وقيل الاستثناء متصل فيكون موضع من رفعا على البدل من فاعل يخاف كما قال أبو البقاء والمعنى ﴿إني لا يخاف لدي المرسلون﴾ [النمل : ١٠] إلا الذي فرط منه ما غفر له ثم يرحم عليه فإنه يخاف وروى الإمام عن بعضهم أنه إذا أمرت المرسلين بإظهار معجز فينبغي أن لا يخافوا فيما يتعلق بإظهار ذلك وإلا فالمرسل قد يخاف لا محالة فالمعنى على هذا لا يخاف لدي المرسلون فيما يتعلق بمعجزة امرتهم بإظهارها فالمعني هو الخوف المقيد لا مطلق الخوف قال صاحب الكشف وإلا بمعنى لكن والمعنى ولكن من ظلم منهم أي فرط منه صغيرة مما يجوز على الأنبياء

(١) الأولى كون المراد بمن ظلم غير المعصومين من الأمم كما ذهب إليه بعضهم .

العاقبة إلا من ظلم فإنه يخاف منه أولاً ثم بعد التوبة والاستغفار يزول ذلك عنه أيضاً وزواله بعد التوبة لا يضر كون الاستثناء متصلاً إذ الاعتبار حين صدور ما صدر منهم وثم يدل أي على هذا الوجه مستأنف وأما على الأول جواب من إن كانت شرطية وخبر إن كانت موصولة.

قوله: (معطوف على محذوف أي من ظلم ثم يدل ذنبه بالتوبة) على محذوف مستأنف لا على المذكور لأنه لا يصح حيثل كون الاستثناء متصلاً لأن تبديله يناقض الخوف فالتقدير فمن ظلم بالذنب ثم بدله بالتوبة فإني غفرو رحيم وهذا بناء على أن الأنبياء عليهم السلام مأمونو العاقبة ولا يخافون سوء العاقبة.

قوله تعالى: وَأَنزِلْ بِدَعْوَتِكَ فِرْعَوْنَ يَخُودُ مِنْ غَيْرِ سَوْفَ فِي رَبِّهِ مَكِيدٌ إِلَىٰ رَبِّهِمْ وَفِرْعَوْنُ وَهُوَ يُكْفَرُ
 كَلَّا قَوْمًا فَتِيهِينَ ﴿١٢﴾

قوله: (لأنه كان مدرعة صوف لا كم له وقبل الجيب القميص) لأنه الخ بيان لقوله

كالذي فرط من آدم ويونس وداود وسليمان وإخوة يوسف ومن موسى عليه السلام بركة القبطي هذا كلامه إما فرطة آدم عليه السلام وإخوة يوسف وموسى عليه السلام فظاهرة وإما فرطة يونس فما دل عليها قوله ﴿إذ أبق إلى الفلك المشحون﴾ وفرطة داود ما يشعر بها قوله وظن داود أننا فتناء وفرطة سليمان قوله: ﴿ولقد فتنا سليمان﴾ (ص: ٣٤) هذا وقد اختلف في جواز صدور الفرطة من الأنبياء فمنهم من جوز صدور الكبار عن الأنبياء عمداً وهم الحشوية ومنهم من لا يجوز عليهم الكبار ويجوز الصغار إلا ما ينفر كالكذب والتطيف وهم المعتزلة ومنهم من لا يجوز عليهم الصغيرة ولا الكبيرة على جهة العمدة بل على التأويل كترك الأولى وهو الجبائي ومنهم من قال لا يقع منهم ذنب قط وهم معصومون من وقت مولدهم وهم الروافض ثم قال الإمام والمختار عندنا أنه لم يصدر منهم ذنب قطعاً حال النبوة لا من الصغار لا من الكبار في تضاعيف كلامه إشعار بأن ترك الأولى منهم كالصغيرة منا لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين.

قوله: وثم يدل مستأنف معطوف على محذوف أي قوله ثم يدل على جعل الاستثناء متصلاً بكون كلاماً مستأنفاً غير داخل في حيز الاستثناء ومعطوفاً على محذوف تقديره من ظلم ثم يدل حسناً ﴿فإني غفرو رحيم﴾ [النمل: ١١] وإنما لم يجعله معطوفاً على ظلم المذكور إذ لو كان معطوفاً على المذكور يكون داخلاً في حيز الاستثناء فيكون مال المعنى يخاف من ظلم ثم تاب عن ظلمه وغفر ذنبه ورحم عليه ويمكن توجيه معنى المعطف على المذكور بالتأويل الذي ذكره أبو البقاء وهو أن يكون المعنى ﴿فإني لا يخاف لدي المرسلون﴾ [النمل: ١٠] إلا الذي فرط منه ما غفر له ثم يرحم عليه فإنه يخاف الله من عقوبة ما فرط منه وإن تاب عنه ظناً منه أن توبته يحتمل أن لا تغفر له ولا يغفر ذنبه العاقبة ترك صاحب الكشف حمل الاستثناء على الاتصال ولعل تركه له بناء على مذهبه من وجوب قبول التوبة على الله تعالى وقال صاحب الكشف سماء ظلماً كما قال موسى ﴿رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي﴾ [القصص: ١٦] يعني سمي الله تعالى وكرة موسى عليه السلام القبطي ظلماً على طريق المشاكلة لوقوعه في صيحة تسمية موسى إياها في دعائه ظلماً وهذا مبني على معنى التعريض المذكور.

قوله: لأنه كان مدرعة صوف المدرعة بكسر الميم الدرع بمعنى القميص لا الدرع من الحديد فالمراد هذا الصوف الذي يلبس فوق القميص أو القميص.

في جيبيك دون كمنك والمدرعة بكسر الميم لباس لا أكمام له والجبب مدخل الرأس من القميص وقد يطلق الجبب على ما يوضع فيه الدراهم كما هو معروف الآن لكنه مولد .

قوله: (لأنه يجاب أي يقطع) والاطراد ليس بشرط في وجه التسمية وتسمية الجبب مدرعة صوف لأنها يقطع أيضاً هذا مقتضى كلامه ولا يعرف وجه عدم التعرض هناك فالجبب حينئذ فعل بمعنى المفعول .

قوله: (تخرج) في الكلام حذف إذ الخروج إنما يترتب على الإخراج لا على الإدخال والتقدير وأدخل يدك تدخل وأخرجها تخرج فحذف عن الأول جواب الأمر وعن الثاني حذف الأمر على طريق صنعة الاحتباك وجه ذلك أن الإدخال يدل على الدخول والدخول يترتب عليه الخروج وعن هذا لم يعكس «بيضاء للناظرين» [النمل: ١٢] كما ذكر في موضع آخر .

قوله: (أفة كبرص) قال في سورة طه كنى به عن برص وهنا أشار إلى جواز التعميم إلى غير برص من الأفة التي يستقذر منه قيل لما كان الخروج عن خلقته وجوهره مما يستقبح ويستقذر أخبر أنه كذلك وأما احتمال البرص فيمعزل عن هذا المقام مثل ذلك لا يخطر بالبال في أمثال هذه الآيات العظام حتى يحتاج إلى دفعه وهذا غريب لأنه من قبيل الاحتراس وهو متعارف في محاورات البلاغة على أنه يرد هذا إن سلم وروده على ما اختاره من أن الخروج عن جوهره كونه مما يستقذر ويستقبح مما لا يخطر بالأوهام فضلاً عن البال في أمثال هذه الآيات العظام حتى يحتاج إلى دفعه والإخبار بأنه ليس كذلك وليت شعري كيف ارتكب أمراً رد مثله أولاً بل ما التزمه بأشنع وأبعد .

قوله: (في جملتها أو معها) أشار إلى أن في تسع آيات حال متعلق بأدخل يدك أي معدودة من جملتها أو كائنة معها قدم الأول لأن في باقي على معناه فيه وأيضاً يروم لفظ مع في معناها أن التسع الباقية أصل مع أن الآية الكبرى العصا واليد البيضاء وهما أصل في الآيات .

قوله: (على أن التسع هي الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجذب في وادبهم النقصان في مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع أن يعد الأخيرين واحداً ولا يعد الفلق لأنه لم يبعث به إلى فرعون) على أن التسع خبر محذوف أي هذا

قوله: ولمن عد العصا واليد من التسع الخ أي من عد العصا واليد البيضاء من جملة الآيات التسع له أن يعد الآيتين الأخيرتين وهما الجذب في وادبهم والنقصان في مزارعهم آية واحدة لأن معنييهما واحد وهو القحط ولا يعد الفلق فمعنى في تسع آيات عنده في جملتها ومن لم يعد العصا واليد من التسع يكون معناه مع تسع آيات فيكون الآيات إحدى عشر والظرف حال مقدرة من مفعولي التي وأدخل أعني العصا واليد أي مقدراً في كونهما في جملة تسع آيات أو معها أو من مفعول أدخل فقط أو من فاعل تخرج قال أبو البقاء بيبضاء حال ومن غير سوء حال أخرى وفي

المذكور على أن التسع الخ قوله ولعن عد الخ^(١) دفع إشكال بأن الآيات إحدى عشرة لا تسعاً إن عدت اليد منها أو عشر إن لم يعد والأخيرين الجذب والنقصان والطمسة جعل أشيائهم حجارة.

قوله: (أو اذهب في تسع آيات على أنه استئناف بالإرسال فيتعلق به) أو اذهب عطف على قوله في جملتها قوله وعلى الأولين يعني على تقدير أن يكون التقدير في جملتها أو معها فيكون في تسع متعلقاً بمقدر مستأنف أي غير متعلق بما قبله وفي بمعنى مع والمراد بتسع آيات اليد والعصا الخ أو ما سوى اليد والعصا كما مر بيانه آخره لأن الاحتمال الأول هو مذاق السوق وبيان حال اليد البيضاء.

قوله: (وعلى الأولين يتعلق بنحو مبعوثاً ومرسلاً لتعليل للإرسال) إذ كلمة إن صريح في التعليل في مثل هذا الكلام قيل أي مستأنفاً يبيناً كأنه في جواب سؤال لم أرسل إليهم بما ذكر وهو على وجهي تعلق إلى فرعون إما على تعلقه بنحو مبعوثاً ومرسلاً فظاهر وإما على تعلقه بأذهب فلأن الأمر بالذهاب المقصود منه الإرسال والمراد بالتعليل بيان علة الإرسال فهي علة حصولية سبب للإرسال فهذه وأمثاله ليست من الأغراض حتى يقال إن أفعال الله ليست بمعللة بالأغراض فيحتاج في دفعه إلى أنه بمعنى الحكم والمصالح.

تسع آيات حال ثالثة والتقدير آية في تسع آيات وإلى متعلقة بمحذوف أي مرسل إلى فرعون ويجوز أن تكون صفة تسع أو لآيات أي واصله إلى فرعون قال صاحب الكشاف ولقائل أن يقول كانت الآيات إحدى عشرة عن بعضهم كأنه يقول ليس يلزم أن يقال هذا داخل فيها وقال صاحب التفسير ولعل الطمسة والجذب في بواديهم والنقصان في مزارعهم يرجع إلى واحد وقال صاحب الفرائد يمكن أن يقال الجراد والقمل واحدة والجذب والنقصان واحدة لأنهما متقاربان القمل يفتح الفاء وسكون اللام مصدر فقلت الشيء أي شققته والمراد فلق البحر بضرب العصا والطمسة المحو والتغيير ومنه: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾ [يونس: ٨٨] أي غيرها كقوله تعالى: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا﴾ [النساء: ٤٧] والمراد هنا طمس أموالهم والجذب بالفتح القحط نقض الخصب ومكان جذب أيضاً وجذيب بين الجنوبة وأرض جذبة وأجذب القوم أصابهم جذب.

قوله: أو اذهب في تسع آيات عطف على في جملتها أو معها يعني في تسع آيات في جملة تسع آيات أو مع تسع آيات فيكون الظرف مستتراً أو اذهب في تسع آيات فيكون الظرف لغواً وعلى الأولين يكون إلى فرعون متعلقاً بمحذوف تقديره مبعوثاً بها أو مرسلاً إلى فرعون وعلى الثاني بأذهب المقدر قبله والمعنى اذهب في تسع آيات إلى فرعون ونحوه فقلت إلى الطعام فقال منهم:

فريقك يحسد الإنس الطعاما

في أن الجار أعني إلى متعلق بمحذوف تقديره أئت لي الطعام أو هلم.

(١) ومن عده يقول يكفي معانيهم له في البحث به أو بحث به لمن آمن من قومه ولعن يخلّف من القبطي ولم يؤمن.

قوله تعالى: فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ مَائِلَتْنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا بِصَرٌّ شَيْئٌ

قوله: (بأن جاءهم موسى بها) أي المجيء بها بواسطة موسى عليه السلام كما دل عليه الترتيب بالفاء والمراد بآياتنا المعجزات المذكورة الظاهرة في يد موسى عليه السلام وهنا حذف إيجاز والمعنى ولما أمرنا موسى عليه السلام بإظهار تلك الآيات العظام أظهرها وجاءهم بها فلما جاءتهم الآية وقد جاء الآيات بلا واسطة ولذا قال بأن جاءهم موسى بها وإسناد المجيئة إلى الآيات ليس بمجاز بل المجاز في الطرف إذ المجيئة من خواص الأجسام فجاء مجاز واستعارة لحصولها في وقته المقدر له وأما القول بأنه لم يقل جاءهم موسى بها لأنها كانت خارجة عن حيز طاقته وفي بعضها لم يكن منه عليه السلام تصرف عادي فسخيف جداً لأن شأن المعجزة كونها خارجة عن طوق البشر بل شرطها ظهورها على يد مدعي النبوة عند التحدي وعدم المعارضة لها وعدم تصرف عادي لو سلم لا يصح كشق القمر مع أن أكثرها وقع بدعائه أو بإخبار وقوعه والقرآن معجزة لرسولنا عليه السلام مع أنه لم يكن منه عليه السلام تصرف عادي.

قوله: (بيئة اسم فاعل أطلق للمفعول إشعاراً بأنها لفرط اجتلائها للإبصار بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما يبصر) بيئة هذا حاصل المعنى اسم فاعل من البصر بمعنى رأى وهذا ليس من شأن الآيات ولذا قال أطلق للمفعول أي مجازاً إما في الطرف أو في الإسناد كقوله: ﴿عيشة راضية﴾ [الحاقة: ٢١] أي شبه النسبة إلى المفعول بالنسبة إلى الفاعل في كون كل منهما ملائماً للفعل فاستعير ما هو موضوع للنسبة إلى الفاعل للنسبة إلى المفعول.

قوله: (أو ذات تبصر بمعنى الإبصار) أي أنها ليست اسم فاعل بل للنسب كلاين وتامر فلا مجاز لا في الطرف ولا في الإسناد والتبصر بمعنى الإبصار فإن تبصر يجيء بمعنى أبصر أي التفعّل يجيء بمعنى الأفعال.

قوله: بأن جاءهم موسى بها والباء في بأن للسببية وفي بها للمصاحبة أو للتعدية. قوله: اسم فاعل أطلق للمفعول يعني جعلت الآيات مبصرة وهي مبصرة فهو من الإسناد المجازي أسند الإبصار إلى الآيات وهو في الحقيقة لذوي البصائر وهم إما كل أحد أو فرعون وملؤه فالمعنى ظاهره بيئة كأنها لفرط ظهورها وانكشافها لإبصار الناظرين بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما يبصر ويبصر على لفظ المبني للفاعل.

قوله: أو ذات تبصر من حيث إنها تهدي وهو على هذه الوجه استعارة مكنية شبهت الآيات في جلالتها وظهورها في نفسها وأنها بحيث يهتدي بها الناس بشخص يبصر بنفسها فيهدي الناس والهادي ينبغي أن يكون قادراً على الاهتمام ليهدي غيره فإن العمى لا يقدرون على الاهتمام فضلاً أن يهتدوا غيرها فتشبيهاً بالشخص المتبصر استعارة مكنية والثبات البصارة تخييل ومنه قولهم كلمة عيناء وكلمة عوراء لأن الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تغوي ونحوه قوله تعالى: ﴿لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر﴾ [الإسراء: ١٠٢] فوصفها بالبصارة كما وصفها بالإبصار.

قوله : (من حيث إنها تهدي والعمى لا تهتدي فضلاً عن أن تهدي أو مبصرة كل من نظر إليها وتأمل فيها) من حيث إنها تهدي أي من حيث إنها سبب الهداية التي هي الضوء الأعظم فيكون لها نسبة إلى التبصر في الجملة مثل نسبة الرضاء إلى العيشة من حيث إنها مرضية وجه نسبة التبصر أي الإبصار هو كون كل منهما سبباً للهداية وإن كان بينهما فرق من جهة أن الآية هادية إلى الطريق المعنوي والإبصار من جهة أنه هاد إلى الطريق الحسي وهذه الهداية لا توجد في العمى جمع أعمى كحمر جمع أحمر ولنسبة أمر إلى شيء طرق شئ ونسبة الإبصار إلى الآيات من هذه الحيثية فلا استعارة مكتبة هنا كما ذهب إليها الفاضل المحشي.

قوله : (وقرى مبصرة أي مكاناً يكثر فيها التبصر) وقرى مبصرة بفتح الميم وسكون الباء وفتح الصاد.

قوله : (واضح سحرته) أي مبين من أبان اللازم ولا يصح المتعدي هنا.

قوله تعالى : وَجَعَدُوا بِهَا وَأَسْتَيْقِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وكذبوا بها.

قوله : (وقد استيقنتها لأن الواو للحال) وقد استيقنتها بتقدير قد لأنه أبلغ وفي هذه الحال توبيخ عظيم لهم وتنبية على الإيقان لا يفيد حين وجد علامة الإنكار كالإنكار باللسان وإنما لم يجرء واستيقنوا كما جاء وجحدوا لأن محل الإيقان الأرواح والأذهان والإنكار وإن كان كذلك لكن أريد المبالغة كأنهم جحدوا بأبدانهم وأرواحهم والظاهر أن إسناد الجحد إليهم مجاز لأنه للأنفس أي الأرواح كالاستيقان وسين استيقنتها للتأكيد إذ الحاصل بالطلب في غاية الكمال.

قوله : (وقرى مبصرة بفتح الميم أي محلاً يكثر فيه التبصر فإن صيغة مفعلة موضوعة لمكان يكثر فيه الشيء مثل مأسدة ومجبة ومبخلة.

قوله : وكذبوا بها يريد أن الجحد هنا مضمن معنى التكذيب ولهذا عدي بالباء وإلا فهو متعد بنفسه يقال جحدته حقه.

قوله : لأن الواو للحال أي قوله عز وجل : ﴿وَأَسْتَيْقِنَتْهَا﴾ [النمل : ١٤] فعل ماضٍ وقع حالاً بتقدير قد من وأو جحدوا فإن قيل ما الفائدة في هذه الحال وقد أفاد معناها لفظ الجحد لأنه إنكار مع علم قلنا ليس الجحد هنا على معناه الأصلي بل هو مستعمل بمعنى التكذيب والتكذيب أعم من أن يكون إنكاراً مع علم أو إنكار مع جهل فلما كان مبهماً بينه مضمون الجملة الحالية بأن المراد التكذيب مع علم وفي الكشف وقائدة ذكر الأنفس أنهم جحدوا بالستهم واستيقنوها في قلوبهم وضماثرهم والاستيقان أبلغ من الإيقان وأي ظلم أفحش من ظلم من اعتقد واستيقن أنها آية بيينة واضحة جاءت من عند الله ثم كابر بتسميتها سحراً بينما مكشوفة لا شبهة فيه قوله ترفعاً من الإيمان أي استكباراً من الإيمان بما جاء به موسى كقوله : ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ [المؤمنون : ٤٦ ، ٤٧].

قوله: (لأنفسهم) تعليل للجحود وهذا وإن لم يكن غرضهم من الإنكار لكن لثريه عليه جعل علة له استعارة وكونه ظلماً لأنفسهم لتضرر به دون غيرهم في الآخرة.

قوله: (ترفعاً عن الإيمان) وهذا أشنع الكبر والترفع وهذا يصلح أن يكون علة حصولية إذ إنكارهم الآيات لوجود الترفع عن الإيمان وأن يكون علة تحصيلية بملاحظة أن تكذيبهم بالآيات لأجل تحصيل الترفع عن الإيمان في الخارج وهذا يصلح أن يكون غرضاً فلا استعارة في إطلاق العلة والغرض عليه.

قوله: (وانتصابهما على العلة لجحدوا) وقد مر بيانها ويجوز أن يكون على الحالية بالتأويل والإفراد لكونهما مصدرين أي ظالمين أنفسهم وعالين مترفعين عن الإيمان (وهو الإغراق في الدنيا والإحراق في الآخرة).

قوله تعالى: وَلَقَدْ مَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عَلِمَاءً وَقَالَا لَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ

الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾

قوله: (طائفة من العلم وهو علم الحكم والشرائع أو علماً أي علم) طائفة من العلم أي التنوين للتفصيل بالنسبة إلى علم الله تعالى وهو علم الحكم الذي من أوتي به فقد أوتي خيراً كثيراً والكثرة في ذاته والقلّة بالنسبة إلى علمه تعالى فلا منافاة قوله أو علماً أي علم إشارة إلى ما ذكرناه من أن علمهما كثير بالنسبة إلى الإنسان من آحاد الأمة واجتماع المتقابلين بالاعتبارين لا كلام في جوازه وحسنه وقدم الأول للإشعار بأنهما حمداً على العلم الملحوظ فيه القلة بالنسبة إلى علم الله تعالى فما ظنكم بحمدهما على العلم المعتبر فيه الكثرة بالنسبة إلى آحاد الأمة ففيه ثناء عظيم ومدح جسيم ثم تعرض الثاني لكون المقام مقام الامتنان.

قوله: طائفة من العلم الخ يعني أن تنكير علماً إما للنوعية فالمعنى جملة ونوعاً من العلم وهو علم الحكمة والشرائع وإما للتعظيم فالمعنى علماً أي علم أي علماً سنياً عزيزاً.

قوله: عطفه بالواو إشعاراً بأن ما قالاه بعض ما اتيا به في مقابلة هذه النعمة يعني أن مقتضى الظاهر عطفه على اتينا بالفاء كقولك اعطيتك فشكر ومنعته فصور لكن عطفه عليه بالواو إشعاراً بأن ما قالاه بعض ما أحدث فيهما إيتاء العلم وشيء من مواجبه فأضمر بعض ما أحدث فيهما وعطف عليه البعض الآخر منه كأنه قال ولقد آتيناها علماً فعملنا في مقابلته علماً شكراً له وقالوا الحمد لله أي تقابله فعلاً وقولاً ليؤدي شكر ذلك النعمة وهي نعمة العلم كقوله:

افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجوب

يعني لما كان العلم من جلال النعم وفواضل المنح يستدعي إحداث الشكر أكثر مما ذكر لحي. بالواو لأنها تستدعي معطوفاً عليه مضمراً فيقدر بحسب ما يقتضيه موجب الشكر ولو جيء بالفاء لاقتصر على المذكور وفات المقصود وهو مقابلة النعمة فعلاً وقولاً شكراً لها قال صاحب المفتاح في تأويل الواو واختياره على الفاء ويحتمل عندي أنه أخبر تعالى عما صنع بهما وأخبر عما قالاه فكانه قال نحن فعلنا إيتاء العلم وهما فعلاً الحمد تمويضاً.

قوله: (عطفه بالواو) مع أن الظاهر أن يقال فقالا لترتب الحمد على الإتياء المذكور والإشعار به أحسن.

قوله: (وإشعاراً بأن ما قالاه بعض ما أتيا به في مقابلة هذه النعمة كأنه قال ففعلاً شكراً له ما فعلاً وقالوا الحمد لله) فالعطف بالشعر بترتيب الحمد على الإتياء المذكور محذوف يدل عليه سوق الكلام كأنه قيل ففعلاً فعلاً جميلاً كثيراً لا يحيط به القلم من الصلاة والصوم وسائر المبرات في عموم الأوقات شكراً له حسب ما أمكن وقالوا الحمد لله الخ فكان الثناء باللسان بعضاً مما فعلاه شكراً وفيه تنبيه أيضاً على أن هذا القول لا يعادل لهذه النعمة الجسيمة فعدل عن العطف بالفاء إلى الواو إشعاراً بذلك المقدر فيكون شكراً بصرف العبد جميع ما أنعم عليه إلى ما خلق له وبهذا وإن لم يعادل تلك النعمة العظمى حقيقة لكنه معادل لها بحسب الطاقة البشرية وإنما أفرد الحمد بالذكر لأنه من بين شعب الشكر أدل على وجود النعمة لخباء الاعتقاد وما في آداب الجوارح من الاحتمال ولذا جعل رأس الشكر والعمدة فيه فقال عليه السلام الحمد رأس الشكر ما شكر الله من لم يحمده.

قوله: (يعني من لم يؤت علماً أو مثل علمهما وفيه دليل على فضل العلم وشرف أهله حيث شكرا على العلم وجعلاه أساس الفضل) يعني من لم يؤت علماً أي أصلاً وهو المتبادر ولذا قدمه أو لم يؤت علماً مثل علمهما وهو علم الحكم والشرائع كما تقدم وحاصله علم القضاء وغيره وأما علم النبوة فلم يتعرض له فيما تقدم قوله وشرف أهله بسبب فضله.

قوله: (ولم يعتبروا دونه ما أوتيا من الملك الذي لم يؤت غيرهما) ولم يعتبروا الخ وفيه لأن ذكر الشيء لا ينافي ما عداه ألا يرى أن النبوة أعظم منه نعمة قوله من الملك الخ يشعر بأن الكلام بالنسبة إلى الملك.

قوله: (وتحريض للمعالم على أن يحمد الله تعالى على ما آتاه من فضله وعلى أن يتواضع ويعتقد أنه وإن فضل على كثير فقد فضل عليه كثير).

قوله تعالى: وَوَيْتَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَابُهَا النَّاسُ كَلِمَاتٍ مَطْلُوعَ الطَّيْرِ وَأَوْعِنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْعَمِيمُ ﴿١٦﴾

(النبوة) لأن الأنبياء عليهم السلام لا يورثون كما في حديث نحن معاشر الأنبياء

قوله: يعني من لم يؤت علماً أو مثل علمهما أي المراد من كثير من عباده من لم يؤت علماً قط أو من لم يؤت مثل علمهما من العلماء.

قوله: حيث شكرا على العلم الخ هذا وجه دلالة الآية على شرف العلم وفضله على سائر الفضائل والفواضل يعني أن تخصيص نعمة العلم بالذكر ويجعله علة للحمد من بين سائر النعم الموجبة للشكر دليل على إنافة محله ورفعة منزلته.

قوله: وعلى أن يتواضع ويعتقد أنه وإن فضل على كثير فقد فضل عليه كثير قول في دلالة

لا نورث نفل عن ابن عطاء الله في شرح الشفاء أنه لا زكاة على الأنبياء لأن الله تعالى نزههم عن الدنيا فما في أيديهم لله تعالى ولذا لا يورثون فعلم سر قوله نحن معاشر الأنبياء لا نورث وإطلاق الإرث على النبوة والعلم^(١) والملك إما حقيقة إن كان المراد بالإرث مطلق الخلافة أو استعارة إن خص بالخلافة بالمال وهذا هو الظاهر من الاستعمال والورثة أقوى لفظ يستعمل في التملك والاستحقاق.

قوله : (أو العلم أو الملك بأن قام مقامه في ذلك دون سائر بنييه وكانوا تسعة عشر) أو العلم أي علم القضاء والفن أو العلم المخصوص بالنبوة وإلا فمطلق العلم ليس بموروث من داود قوله أو الملك بضم الميم أي الرياسة العامة فإنه موروث من داود قوله بأن قام الباء متعلق بورث مقامه في ذلك أي المذكور من النبوة وهو ظاهر أو العلم ففيه نوع اضطراب^(٢) يدل عليه قوله تعالى : ﴿فنهيناهما سليمان وكلاً أتينا حكماً وعلماً﴾ [الأنبياء : ٧٩] الآية قوله أو الملك أي في مطلق الملك والسلطنة وإن كان ملك سليمان أوسع من ملك داود كما نطق به النص الكريم.

قوله : (تشهيراً لنعمة الله تعالى وتنوياً بها ودعاء للناس إلى التصديق بذكر المعجزة) تشهيراً لنعمة الله تعالى وتحديثاً به لأن المنعم عليه مأمور به لا افتخاراً ولا ترفعاً قوله ودعاء للناس بيان فائدة يأبها الناس على سبيل العموم قوله بذكر المعجزة متعلق بدعاء ومتعلق التصديق محذوف أي التصديق بنبوته بالمعجزة المذكورة على أن الإضافة من إضافة الصفة إلى الموصوف إذ التصديق بالمعجزة نفسها لا يذكرها.

الآية على هذا المعنى نظر لأنه لا يلزم من فضل عالم على كثير من العلماء أن يفضل عليه بعض آخرون لجواز أن يفضل هو على كثير في العلم ويساويه آخرون ولا يفضلون عليه فيه وفي الكشف وفي الآية دليل على شرف العلم وإنافة حمله وتقدم حملته وأهله وأن نعمة العلم من أجل النعم واجزل القسم وإن من أوتيته فقد أوتي فضلاً على كثير من عباد الله كما قال : ﴿والذين أوتوا العلم درجات﴾ [المجادلة : ١١] وما سماهم رسول الله ﷺ ورثة الأنبياء إلا لمداناتهم له في الشرف والمعتزلة لأنهم القوام بما بعثوا من أجله وفيها أنه يلزمهم لهذه النعمة القاضية لوازم منها أن يحمدا الله على ما أوتوه من فضلهم على غيرهم وفيها التذكير بالتواضع وأن يعتقد العالم أنه إن فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما أحسن قول عمر رضي الله عنه كل الناس أفقه من عمر.

قوله : تشهيراً لنعمة الله وتنوياً ودعاء عليه لقول سليمان ذلك القول نصب على أنه مفعول له لقال.

(١) قال ابن الكمال حقيقة الميراث انتقال الثروة من ملك إلى ملك واستعبر هنا لما ذكر.

(٢) قيل العلم المخصوص بالنبوة أو علماً زائداً على ما كان له في حياته ولا يخفى أنه تكلف والأولى إسقاطه من البين.

قوله: (التي هي علم منطق الطير وغير ذلك من عظامم ما أوتيه) التي هي علم منطق الطير لا تعليمه وغير ذلك الخ من عظامم ما أوتيه كون الريح مسخرة غدوها شهر ورواحها شهر وإسالة عين القطر وكون الجن مسخرة بعضهم من يقوصون له وبعضهم من يعملون عملاً دون ذلك يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات أشار إليها هنا بقوله: ﴿وأوتينا من كل شيء﴾ [النمل: ١٦] إجمالاً لكن قوله من كل شيء عام خص من البعض فالمراد به الكثرة فإن ظاهره محال.

قوله: (والنطق والمنطق في المتعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفرداً كان أو مركباً) والمنطق مصدر ميمي في التعارف أي في العرف كل لفظ الخ وأما في اللغة فهما التلغظ والتكلم لأنهما مصدران يشتق منه نطق ينطق فهو ناطق ومعناهما العرفي الحاصل بالمصدر فهو وإن كان مجازاً في اللغة لكنه صار حقيقة في العرف نظيره كلمة اللفظ فإنه مصدر ثم نقل إلى المفعول وكذا هنا مصدر ثم نقل إلى المنطوق وهذا أولى من الحمل على الحاصل بالمصدر.

قوله: (وقد يطلق على كل ما يصوت به على التشبيه) فهو إما تشبيه الصوت بالنطق في الدلالة على أمر ما فيكون استعارة مصرحة أو على تشبيه المصوت بكسر الواو بالإنسان فيكون استعارة بالكناية وإثبات النطق له تخيل.

قوله: (أو التبع كقولهم نطق الحمامة ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد فإن الأصوات الحيوانية) أو التبع أي المشاكلة كقولهم نطق الحمامة مثال للتشبيه قوله ومنه الناطق والصامت بيان للتبع للحيوان وللجماد فإطلاق الناطق للجماد بالتبع أي للمشاكلة فإنه لما سمي الجماد صامتاً على الحقيقة سمي غيره ناطقاً مشاكلة له تقديرية.

قوله: (من حيث إنها تابعة للتخيلات منزلة منزلة العبارات سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف الأغراض بحيث يفهمها ما هو من جنسه) من حيث إنها الخ وهذا رجوع إلى بيان التشبيه وهو المختار عنده قوله سيما وفيها أي الأصوات الحيوانية ما يتفاوت باختلاف الأغراض بحيث يفهمها أي تلك الأغراض ما في جنسه أي ما كان من جنسه قبل كما نشاهده منها إذا صوتت للقرع وغيره وكما يقرقر الدجاج إذا وجد الحب.

قوله: (ولعل سليمان عليه الصلاة والسلام^(١) مهما سمع صوت حيوان علم بقوته

قوله: كقولهم نطق الحمامة بيان للنطق على وجه التبع قال الراغب النطق في التعارف الأصوات المقطعة التي يظهرها اللسان وتعيها الأذان قال تعالى: ﴿ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون﴾ [الصافات: ٩١، ٩٢] ولا يكاد يقال إلا للإنسان ولا يقال أخبره إلا على سبيل التبع نحو الناطق والصامت فيراد بالناطق ما له صوت وبالصامت ما لا صوت له.

(١) مهما سمع صوت حيوان أشار به إلى أن المراد من الطير مطلق الحيوان وفيه تأمل فتأمل.

القدسية التخيل الذي صوته والغرض الذي توخاه به ومن ذلك ما حكى أنه مر يلبل يتصوت ويترقص فقال يقول إذا أكلت نصف ثمرة) ولعل سليمان شروع في بيان أن المراد بمنطق الطير صوته الذي يشابه النطق وأنه عليه السلام علم بقوته القدسية الخ ولذا قال يا أيها الناس علمنا الخ ولا يخفى أن هذا أمر لا يوجب داع فالإبقاء على ظاهره^(١) حسن وصيغة الترجي إشارة إلى ما ذكرناه قوله الذي صوته أي حملة على التصويت فالضمير منصوب بنزع الخافض أي صوت له أو الضمير منصوب بنفسه لأن بناءاً للتعدية أي جعله مصوتاً وتوخاه بمعنى قصده قوله نصف ثمرة بالثاء المثناة ويحتمل أن يكون بالثاء.

قوله: (فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فقال إنها تقول ليت الخلق لم يخلقوا) فعلى الدنيا العفاء بفتح العين والمد العفاء الدروس والانمحاء والمراد بمثل هذا عدم المبالاة أي لا حاجة إليها لأنني مستغن عنها بسبب الشيع ولا يراد ظاهره بل هو كناية عما ذكرنا ومثل هذا يصدر عن الإنسان حين حصل له الكفاية من الدنيا.

قوله: (فلعله كان صوت البلبل عن شيع وفراغ بال وصباح الفاختة عن مقاساة شدة وتألم قلب) فلعله الخ يعني اختلاف دلالة الصوت على الغرض لاختلاف الأحوال والعوارض وأن ما فهم من صوتهما ليس بدائم بل في ذلك الوقت ويمكن أن يكون العكس في وقت آخر ومثل هذا يشاهد من نوع الإنسان بحسب الأوقات والأزمان.

قوله: (والضمير في علمنا وأوتينا له ولأبيه عليهما السلام) فلا يحتاج إلى التوجيه^(٢).

قوله: (أو له وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة) أو له وحده الخ أي لأنه ملك مطاع فتكلم بما يليق بحاله الذي كان عليه من إظهار العلو لمراعاة قواعد السياسة^(٣) لا للتكبر.

قوله: فعلى الدنيا العفاء قال صاحب النهاية وفي حديث صفوان إذا دخلت بيتي فأكلت رغيفاً فعلى الدنيا العفاء أي الدروس وذهب الأثر وقيل العفاء التراب.

قوله: أو له وحده على عادة الملوك وفي الكشف أن هذا التوهم يقال لها نون الواحد المطاع وكان سليمان ملكاً مطاعاً فكلم أهل طاعته على صفته وحاله التي كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك وقد يتعلّق بتحمل الملك وتفخمه وإظهار آيته وسياسة مصالح فيعود تكلف ذلك واجباً وقد كان رسول الله ﷺ يفعل نحواً من ذلك إذا وفد عليه وفد واحتاج أن يرجع في عين عدو ألا يرى كيف أمر العباس بأن يحبس أبا سفيان حتى يمر عليه الكتاب.

قوله: والمراد كل شيء إلى آخره يعني عبر عن الكثير بالكل لأن سليمان لم يؤته الله كل

(١) كما به عليه بقوله الآتي مع أنه لا يمتنع خلق الله العقل والنطق.

(٢) لكنه خلاف الظاهر إذ الكلام بعد موته عليه السلام.

(٣) فيكون استعارة تشبيهه بجماعة ذوي قدرة.

قوله: (والمراد من كل شيء كثرة ما أوتي) والمراد من كل شيء قد مر بيانه والقول بأن الكل للإحاطة وقد يرد للتكثير كثيراً أو هو كناية أو مجاز مشهور ضعيف لأن تخصيص العام بالقرينة شائع فلا حاجة إلى ما ذكر من التعسف وهذا التأويل لا يد منه سواء كان من زائدة في الإثبات مع اختلاف أولاً لأنه عليه السلام لم يعط بعضاً من كل شيء.

قوله: (كقولك فلان يقصده كل أحد ويعلم كل شيء) والمراد الكثرة بطريق تخصيص العام والمخصص العقل والكثرة هنا مقابل للقلة فلا ينافيه كون ما لم يعلم أكثر مما علم بأضعاف كثيرة إذ المراد الكثرة بالنسبة إلى علم غيره لا بالنسبة إلى ما لم يعلم وكذا الكلام فيما نحن فيه وفي أمثاله (الذي لا يخفى على أحد).

قوله تعالى: وَخَشَرَ لِسْلِيمَانَ جُودُودُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالْقَطْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾

قوله: (أي جمع) إذ الحشر الجمع من كل جانب وجهات مختلفة فهو أخص من الجمع.

قوله: (لسليمان) أظهر لما في الإظهار من مزيد البيان وشرف سليمان قدمه على الفاعل لكونه طويل الذيل ولثلاً يلزم الإضمار قبل الذكر ﴿من الجن﴾ قدمه لأنه مقدم في الوجود^(١) ولأنه في بيان التسخير له وتسخير الجن أعظم من تسخير الإنس والطير كذا قيل وتسخير الجن كونه أعظم من تسخير الطير لأن الجن جسم لطيف والطير جسم كثيف وإلا ففيه نظر لا يخفى والأولى في البيان ما ذكرناه من تقدم وجود الجن وأما التسخير فلأنه معجزة له فلا ينبغي أن يقال إن تسخير الجن أعظم لأنه كما أن الجن جسم لطيف كذلك الطير طائر في الهواء فتسخيرها صعب بلا امتراء بالنسبة إلينا قيل تخصيص الثلاثة لأنه لم يسخر له الوحش والتخصيص المذكري لا يفيد القصر فلا يعلم عدم تسخير الوحش كما لا يعلم تسخيره ﴿فهم يوزعون﴾ [النمل: ١٧] الفاء لأن هذا مسبب عن الحشر وصيغة المضارع لأنه بالنسبة إلى الحشر مستقبل أو لحكاية الحال الماضية.

قوله: (يحبسون يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا) على آخرهم متعلق بيجبس بتضمين معنى الشفقة أي يوقف أولهم شفقة على آخرهم وظاهر هذا التفسير أن الحبس

شيء ولا بعضاً من كل واحد من الأشياء وإنما أتاه بعض الأشياء فلا يدفع الاحتياج إلى هذا التأويل صرف معنى من إلى التبعيض.

قوله: الذي لا يخفى على أحد فسر العيين على معنى اللزوم من أبان بمعنى ظهر والمهزمة للتصويرية أي صار ذا بيان وظهور لا من أبان المتعدي بمعنى أظهر واللام في الصفات المشتقة بمعنى الذي ولذا قال في تفسيره الذي لا يخفى على أحد وهو قول وارد على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله ﷺ أنا سيد ولد آدم ولا فخر أي أقول هذا شكر أو لا أقوله فخراً.

(١) كذا قال المص في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا معشر الجن والإنس﴾.

للاول منهم فالإسناد إلى المجموع مجازي والوزع بفتح الواو مع سكون الزاء المنع وأطلق على الحبس لأن فيه منعاً عن الحركة قوله ليتلاحقوا أي ليلحق بعضهم بعضاً لأن في الجمع من المهابة أو التعاون ما لا يوجد في التفرق.

قوله تعالى: **حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِلُكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** ﴿١٨﴾

قوله: ﴿حتى إذا أتوا﴾ لما لم يكن في يحبس امتداد بقدر فعل ذو امتداد دل عليه يوزعون أي فمشوا وساروا سيراً مع الاجتماع بلا تفرق حتى إذا أتوا حتى ابتدائية^(١) إذا شرطية جوابه قالت نملة ويجوز أن تكون جارة وإذا أتوا في موضع الجر فإن لفظة إذا ظرفية وجملة قالت مستأنفة مسوقة لبيان ما رأى فيه سليمان عليه السلام.

قوله: (واد بالشام كثير النمل) واد بالشام وقيل الطائف لم يرض به المص لأن الشام مقر الأنبياء عليهم السلام قوله كثير النمل بيان وجه التعبير بواد النمل وإن الإضافة لأدنى ملاسة.

قوله: (وتعدية الفعل إليه بعلى إما لأن إتيانهم كان من عال) وتعدية الفعل الخ أي إن أتى متعدد بنفسه أو بإلى لتضمنته معنى الانتهاء وبدون هذه الملاحظة يتعدى بنفسه إما لأن إتيانهم كان من عال وفي نسخة من عل بكسر العين وضمها أي من فوق فعدي بها للدلالة على ذلك حاصله أن تعلقها به باعتبار التضمين أي أتوا مستعلين عليه استعلاء الراكب على المركوب ففيه استعارة تمثيلية أو تبعية.

قوله: وتعدية الفعل إليه بعلى أي تعدية فعل الإتيان إلى مفعوله الذي هو الوادي بكلمة على حيث قيل أتوا على وادي النمل وهو مما يتعدى بنفسه بلا واسطة الجار ومقتضى الظاهر أن يقال حتى إذا أتوا وادي النمل إذ يقال أتيته ولا يقال أتيته عليه لوجهين أحدهما أن إتيانهم كان من فوق فأتى بحرف الاستعلاء كما قال أبو الطيب:

ولشد ما قربت عليك الأنجم

لما كان قريباً من فوق وثانيهما أن يراد قطع الوادي ويلوغ آخره من قولهم أتى على الشيء إذا أتفه وبلغ آخره كأنهم أرادوا أن يترلوا عند مقطع الوادي لأنهم ما دامت الريح تحملهم في الهواء لا يخاف خطمهم قال صاحب الكشف وروي عن قتادة أنه دخل الكوفة فالتفت عليه الناس فقال سلوني عما شئتم وكان أبو حنيفة رحمه الله حاضراً وهو غلام حديث السن فقال سلوه عن نملة سليمان أكانت ذكراً أم أنثى فأنشأه فأنشأه فقال أبو حنيفة كانت أنثى فقيل له من أين عرفت فقال من كتاب الله وهو قوله: ﴿قالت نملة﴾ [النمل: ١٨] ولو كانت ذكراً لقال قال نملة وقال صاحب الانتصاب العجب من أبي حنيفة أن ثبت ذلك منه لأن النملة كالحمامة والشاة يقع على الذكر والأنثى فيقال نملة ذكر ونملة أنثى فلنقلها مؤنث ومعناها محتمل وثانيها لأجل لفظها وإن كان

(١) هي التي يقع بعدها الحمل لا عمل لها والجملة إذا وجوبه.

الفاء لتفصيل ما قبلها فهو من عطف المفصل على المجمع إذ الصيحة قبل فرار النملة والتبعية لا بعدها فلا تكرر في قوله فتبعتها وقيل التبعية الثانية في الدخول للبيوت لا الفرار وهذا ليس بمناسب لوقوعه في حيز الفاء التفصيلية وإن كان أقرب في ذاته .

قوله : (ففيه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم) نشبه ذلك والكلام استعارة تمثيلية شبه الهيئة المنتزعة من فرار النملة وصيحتها خوفاً من الإهلاك وتبعية غيرها لها بالهيئة المنتزعة من أمور عديدة وهي صيحة شخص بفريق وقت المخافة فاتبعوه والاتباع وإن لم يكن صريحاً لكنه مفهوم من السوق .

قوله : (ولذلك أجروا مجراهم مع أنه لا يمتنع أن خلق الله تعالى فيها العقل والنطق) ولذلك أجروا الخ حيث نادى بالواو التي هي ضمير العقلاء قيل وأما خلق الله تعالى لها عقلاً ونطقاً حقيقياً وإن جاز لكنه غير مناسب هنا من ذكر اختصاص سليمان أن يفهم أصوات الحيوانات إلا أن يخص بالطير لظاهر النظم انتهى ولك أن تقول إن خلق العقل والنطق جار في الطير أيضاً وهذا الخلق لسليمان لا يفهم غيره كفهم المراد من أصوات الحيوان والمص أشار إليه فيما مضى بقوله ولعل سليمان مهما سمع صوت حيوان الخ بصيغة الترجي ولم يحزم فيه تنبيهاً على جواز إرادة غير ذلك وغيره خلق النطق مع العقل .

قوله : (نهى لهم عن الحطم والمراد نهياً عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم لا أرينك ههنا) نهى لهم أي لسليمان وجنوده بحسب الظاهر لكن المراد نهى النمل عن المكث لئلا تحطم وهذا كناية لطيفة مشهورة .

قوله : (فهو استئناف أو بدل من الأمر) فهو استئناف تفريع على كونه نهياً عن التوقف قوله أو بدل من الأمر أي بدل الاشتمال بملاحظة أنه تفريع على كونه نهياً عن التوقف أو بدل الكل بناء على أن الأمر بالشئ نهى عن ضده فلا يضره كون مدلولي الجملتين متخالفان .

قوله : (لا جواب له) رد على الزمخشري في تجويزه تبعاً لأبي البقاء قيل يعني أن يكون لا يحطمنكم نفيًا والمعنى إن دخلتم مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده .

قوله : شبه ذلك أي شبهت صيحتها ذلك بخطاب العقلاء ولذلك أجروا مجراهم في رجع الضمير حيث قالت ادخلوا مساكنكم بضمير العقلاء .

قوله : نهى لهم عن الحطم الحطم الكسر يقال حطمته حطماً أي كسرتة .

قوله : لا جواب له جوز صاحب الكشف أن يكون هو جواباً للأمر حيث قال يحتمل أن يكون جواباً للأمر وأن يكون نهياً وروى صاحب الفرائد عن الفراء هو نهى فيه طرف من الجزء وعن الأخفش بل هذا على تقدير الرواء العاطفة يكون نهياً بعد أمر والتقدير ادخلوا مساكنكم ولا يحطمنكم سليمان وعلى قول الفراء التقدير إن دخلتم مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وقال صاحب الكشف هذا وإن كان في المعنى صحيحاً إلا أن اللفظ يمنع فصاحته لو حمل عليه لأن النون لا

قوله: ﴿فَإِنِ التَّوْنُ لَا تَدْخُلُهُ فِي السَّعَةِ﴾ قد جوز كونه جواباً له وأجاب عن هذا في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا فِتْنَةٌ لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥] الآية فبين كلاميه تدافع ولعله أن فيه قولين اختار أحدهما هناك والآخر هنا.

قوله: ﴿إِنَّهُمْ يَحْطُمُونَكُمْ إِذْ لَوْ شِئُوا لَمْ يَفْعَلُوا كَأَنَّهُمْ شِئُوا﴾ شعرت عصمة الأنبياء عليهم السلام من الظلم والإيذاء كأنها شعرت عصمة الأنبياء عليهم السلام أي بعصمة الأنبياء بنزع الخافض وهذا بناء على أنه تعالى خلق العقل والفهم بذلك إذ علمه بذلك لا يكون إلا بالعقل والمراد بالشعور العلم مجازاً إذ الشعور هو الإحساس والعصمة ليست بمحسوسة وإنما قال كأنها لعدم الجزم بذلك نزوه عليه السلام عن الإيذاء بالذات وبالتسبب لفعل الجنود بفعله أو برضاه والدخول في الوادي سبب لذلك وهو عليه السلام أصل متبوع فنسب الفعل إليه بالذات أو بالسبب.

قوله: ﴿وَقِيلَ اسْتَغْنَى أَي فَهَمَ سَلِيمَانُ وَالْقَوْمُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ وقيل استغنى اختار كونه حالاً ثم عطف وقيل على مقدر أي قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٥] حال وقيل الخ مرضه لأن الحال هو الظاهر المتبادر لإقادتها أنه هيئة الفاعل حين كونه فاعلاً فيفيد مدحهم كما قرره المص قوله فهم لأن الفاء أظهر في الاستغناء كذا قيل وفيه نظر^(١).

قوله تعالى: ﴿فَتَبَسَّ ضَاحِكاً مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْفِّقْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ رَحْمَتِكَ وَأَنْ أَعْمَلَ مَتَكِباً تَرْضَاهُ وَأَلْجُئِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الْمَكْرُوهِينَ﴾

قوله: ﴿فَتَبَسَّ﴾ الفاء فصيحة أي سمع سليمان قولها أو فهم مرادها أو للسببية فلا حاجة إلى تقدير المعطوف عليه إذ السبب عام للسبب البعيد لكن الأول هو المعروف في مثله وإنما قال ضاحكاً لأن التبسم قد يكون من غضب وقد يكون من استهزاء وتبسم الضحك لا يكون إلا عن سرور كذا قيل والتبسم مقابل للضحك ومخالف له في الحكم حيث لا يبطل الصلاة بالتبسم وتبطل بالضحك فكيف يكون الجمع بينهما وكيف يقع ضاحكاً حالاً من ضمير تبسم والجواب أن المراد بضاحكاً شاعراً فيه لا ضاحكاً

يدخل الجزء إلا في ضرورة الشعر وقال صاحب الفرائد لم يعطف لأنه تأكيد للطلب فهو كما في الخبر نحو قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢] لقوله: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ [البقرة: ٢].

قوله: ﴿أَنَّهُمْ يَحْطُمُونَكُمْ هَذَا عَلَى تَقْدِيرِ أَنْ يَكُونَ﴾ ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ من جملة مقول قول النملة وحالاً من مقول لا يحطمونكم وقوله وقيل استغنى فعلى هذا يكون حالاً من فاعل فهم المقدر أي فهم سليمان قولها والحال أن قومه لا يشعرون ذلك ولا يكون من جملة مقول قول النملة بل قائله الله تعالى حكى ما جرى بين سليمان والنملة لنبيه ﷺ فهو من الحكاية لا من المحكي بخلافه في الوجه الأول فإنه فيه من المحكي لا من الحكاية.

(١) لأنه فعل ماضٍ من الفهم ذكره هنا لأنه مستفاد من قوله فتبسم.

بالفعل أو المراد الزمان الممتد فيقع التبسم أولاً ثم الضحك ثانياً وهذا مأل ما قيل إن الحال حال مقدرة.

قوله: (تعجباً من حذرهما وتحذيرها واعتدائها إلى مصالحها أو سروراً مما خصه الله تعالى) تعجباً الخ والمراد به إدراك أمور الغريبة وجه مناسيته لما بعده ما ذكر في الكشف من قوله أضحكه ما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفتقتهم وعلى شرح حاله وحال جنوده في التقوى وذلك قولها ﴿وهم لا يشعرون﴾ فهذه نعمة جليلة ومنحة عظيمة فوق النعمة التي أشار إليها بقوله وسروراً الخ.

قوله: (من إدراك همسها وفهم غرضها ولذلك سألت توفيق شكره) من إدراك همسها أي صيحتها مجازاً تشبيهاً لها بالهمس في كونهما صوتاً وجه التعبير به أنه عليه السلام أدرك صوتها الخفي كما أدرك الصوت الجلي وهو الصيحة وهذا أولى مما قيل إنه همس بالنسبة إليه عليه السلام صيحة بالنسبة إلى النمل الذي يقرّبها فلا ينافي قوله فصاحت وأما علمه بصوت النمل على طريق خرق العادة^(١) أو بإعلام الله تعالى بخلاف الطير فإنه كان يعلم منطقتها على العموم ولذلك خصه بالذكر في قوله ﴿علمنا منطلق الطير﴾ على أن هذا التخصيص الذكري لا يفيد التخصيص في نفس الأمر والظاهر العموم علم أصوات سائر الحيوانات ثابت بدلالة النص وللتنبية على ذلك قال المص فيما مر فإن أصوات الحيوانات الخ ولم يقل أصوات الطيور^(٢).

قوله: (اجعلني أزغ شكر نعمتك عندي أي أكفه واربطه لا تنفقت عني بحيث لا أنفك عنه وقرأ البزي وورش يفتح ياء أوزعني) أزغ أصله أوزع فحذف الواو كما حذف في أضع أشار إلى أن همزة أوزعني للتعدي لأن الوزع بمعنى الكف والحبس كما أشار إليه بقوله أي أكفه الخ فإذا نقل إلى الأفعال يكون معناه ما ذكره قوله واربطه توضيح معنى الكف المراد هنا وهو المنع عن الانفلات لا المنع عن الحصول فيكون كناية عن المداومة

قوله: من ادراك همسها همس الصوت الخفي وهمس الأقدام أخفى ما يكون من صوت القدم.

قوله: اجعلني أزغ شكر نعمتك أي أكفه أي كف وجوبه عن ذمتي أو أربطه في قلبي واكفه عن الانفلات عني حتى أكون شاكراً دائماً من وزعته بمعنى كفته والأنسب أن يكون من استوزعت الله شكره فاوزعني أي استلهمه فآلهمني والمعنى رب آلهمني أن أشكر نعمتك أي علمني ووفقتي قوله لا ينفلت من الانفلات بمعنى النجاة أي لا ينجو شكره عني أي لا ينفك عني وأنا لا أنفك عنه.

(١) وما روي عن الشعبي من أن لها جناحين فعلى تسليم صحتها لا يقتضي عدداً من الطيور كما قيل.

(٢) قال صاحب الكشف إن كان المقصود معلوماً قطعاً كما في تحريم التأنيث فالثابت بدلالة النص قطعية وإن احتمل أن يكون غيره هو المقصود كما في إيجاب الفطر في الأكل والشرب فالدلالة غنية انتهى وما نحن فيه من قبيل الثاني قدبر.

والملازمة كما قال بحيث لا انفك عنه والمراد الدوام العرفي لا الحقيقي ويقرب منه معنى قوله تعالى: ﴿فهم يوزعون﴾ [النمل: ١٧] قد مر توضيحه آنفاً قوله لا ينفلت من الانفلات بمعنى الذهاب وفي نسخة بالقاف وبالباء الموحدة ومآله ما مر من الانفلات وحاصله طلب المداومة على الشكر كما هو شأن الأنبياء عليهم السلام فهذا أبلغ من القول رب وفقني^(١) على شكر نعمتك.

قوله: (أدرج فيه ذكر والديه تكثيراً للنعمة أو تعميماً لها فإن النعمة عليهما نعمة عليه والنعمة عليه يرجع نفعها إليهما سيما الدينية) أدرج ذكر والديه الخ لكن قدم نفسه لأنه هو المعروف في الدعاء إذ النفس مقدم في طلب المطالب قوله تكثيراً للنعمة أي النعمة التي طلب الشكر ومداومته عليهما فإن الاعتراف بالنعمة وتحديثها شكر فإذا اعترف بكثرتها فقد شكر شكرًا كثيراً وأيضاً كثرة النعمة سبب لدوام الشكر ولذا طلب المداومة على الشكر وهذا باعتبار أن الإتمام عليهما إتمام عليه قوله أو تعميماً هذا وجه آخر للإدراج ومعناه أن ما أنعم عليه غير خاص به بل هو عام شامل لوالديه لكونه سبباً لذكرهما بالخير والدعاء لهما وثواب عمله راجع إليهما باعتبار السببية وعن هذا قال والنعمة عليه يرجع نفعها الخ قوله فإن النعمة الخ متعلق بالتكثير قوله والنعمة عليه الخ ناظر إلى التعميم وجه كون النعمة عليهما نعمة عليه هو أن الله أنعم عليهما بالدين وحسن الأخلاق وقد ورث ذلك منهما فكان^(٢) ما أنعم عليهما وصل إليه لكونه سبباً بحسب الظاهر لنعمته فيكون تلك النعمة بحسب تحققها فيه نعمة وبحسب تحققها في الوالدين نعمة أخرى له وبهذا الاعتبار بكثير النعمة فيه وبهذا البيان ظهر وجه التعبير في الأول بأن النعمة عليهما نعمة عليه وفي الثاني والنعمة عليه يرجع نفعها إليهما فتأمل.

قوله: (وأن أعمل صالحاً ترضاه) هو عمل صالح لا يشويه شيء من الرياء فهي مخصصة وقيل صفة مؤكدة أو مخصصة إن أريد به كمال الرضاء.

قوله: (تماماً للشكر واستدامة للنعمة) تماماً للشكر أي إتماماً له بذكر شكر الأركان فكأنه حمل الشكر على شكر الجنان المستلزم لشكر اللسان بقرينة المقابلة لكن الأولى جعله من قبيل عطف الخاص على العام.

قوله: (في عبادهم الجنة) بكسر العين بمعنى جعلتهم قوله الجنة مفعول أدخلني حذف للاختصار ولرعاية الفاصلة وإنما قدر المفعول لثلاثاً يلزم التكرار فإن العمل الصالح المرضي يستلزم الانخراط في سلك الصالحين ولو أريد بالصالحين هنا هم الذين لا يصدر عنهم زلة لاندفع وهم التكرار فلا حاجة إلى التقدير.

(١) ولذا اختير أوزعني على وفقني.

(٢) أشار إلى أن الكلام محمول على التشبيه البليغ.

قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْفُكَّارِ﴾ (٢٠)

قوله: (وتعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد) وتعرف أي تكلف في معرفة الموجود منها وحاصله أراد معرفته والتفقد تفعل من فقد ويستعمل لازماً بمعنى عدم ومتعدياً بمعنى الإعدام ومعناه من التفعل مغاير لمعناه من الثلاثي وإن كان مناسباً في الجملة قوله: ﴿فلم يجد فيها﴾ الخ هذا بقرينة ﴿فقال ما لي لا أرى الهدهد﴾ [النمل: ٢٠] لأنه مستلزم لعدم الوجدان ولو قال فلم ير الهدهد لكان أشد مناسبة فالفاء في فقال فصيحة كما قرره والاستفهام للتعجب.

قوله: ﴿فَلَا أَرَى الْهَدْهَدَ﴾ جملة حالية.

قوله: (أم منقطعة كأنه لما لم يره ظن أنه حاضر ولا يراه لسائر أو غيره فقال ما لي لا أراه ثم احتاط فلاح له أنه غائب) ظن أنه حاضر الخ لأن الغيبة بلا إذن بعيد وبهذا يظهر الملازمة وإلا فعدم الرؤية سبب لظن أحد الأمرين حضوره مع عدم الرؤية بسبب غيبته قوله لسائر أو غيره مثل كونه في مكان في ذلك المجلس قوله ثم احتاط إذ الاحتياط بعد ذلك يترأخى ولو قليلاً.

قوله: (فاضرب عن ذلك وأخذ يقول أهو غائب كأنه يسأل عن صحة ما لاح له) أي بل أهو غائب لم يذكره لإفادته بقوله فاضرب وهذا حاصل المعنى إذ النظم الجليل أم كان من الغائبين وصيغة العقلاء لأنه فعل فعل العقلاء حيث أخبر أحوال بلقيس ولا يبعد أن يخلق فيه العقل والتطق كما مرا وبناء على التغليب قوله كأنه يسأل الخ وإنما قال كأنه لأن السؤال ليس بمقصود بل الظاهر أن الاستفهام للتقرير أو للإنكار الواقعي ولذا قال لأعذبه لما علم أنه غائب بلا إذن فلو كان للسؤال لم يظهر الخلف على ذلك.

قوله تعالى: ﴿لَأَعَذِّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَنِ مُبِينٍ﴾ (٢١)

قوله: ﴿لَأَعَذِّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [النمل: ٢١] كنتفد ريشه وإلقائه في الشمس أو

قوله: (وتعرف الطير أي تكلف أن يعرفها حتى يعلم أيهن حاضر عنه وأيهن غائب).

ما غاب عن حضوره فلم يجد بعد تفقده الهدهد التفقد من فقد وهو عدم الشيء بعد وجوده فهو أحسن من العدم فإن العدم يقال فيه وفيما لم يوجد بعد قال الله تعالى: ﴿مَاذَا تَفْقَدُونَ﴾ قالوا نفقد صواع الملك﴾ [يوسف: ٧١، ٧٢] والتفقد التمهيد لكن حقيقة التفقد تعرف فقدان الشيء والتمهيد تعرف العهد المتقدم ومنه ﴿وتفقد الطير﴾.

قوله: أهو غائب هو معنى أم المنقطعة فإنها تكون بمعنى بل والهمزة قالمعنى بل أكان من الغائبين فإنه عليه السلام حين تفقد الطير ولم ير الهدهد كان علمه بحضور الهدهد وغيبته على السواء لا يترجح أحدهما على الآخر فسأل شيء عرض له فمنعه عن رؤيته ثم لما تأمل وترجع عنه العلم بغيبته اضرب عن السؤال الأول وجعله في حكم المسكوت عنه فشرع في السؤال الآخر وهو السؤال عن صحته ما لاح وترجح عنده ونحو قولهم إنها لا بل أم هي شاة.

حيث التمل يأكله أو جعله مع ضده في قصص) لأعذبه اللام جواب القسم عذاباً أي تعذيباً على أنه مصدر أو بعذاب على أنه مفعول به بحذف الجار قوله في الففص لأن الحبس مع ضده في محل ضيق من أشد العقوبات أو لأذبحته هذا أيضاً تعذيب لكنه لكونه إهلاكاً سريعاً قابله فالمراد التعذيب بالتدرج وإن أدى إلى الموت.

قوله: (ليعتبر به أبناء جنسه) قيد لهما جميعاً أو للأخير ويعلم وجه الأول به ولعل هذا كان مشروعاً في شريعته ثم الظاهر لفظة أو لمنع الخلو في الأولين.

قوله: (بحجة تبين عذره) أي المراد بسلطان الحجة أطلق على الحجة لغليتها على الخصم بها قوله تبين عذره أي مبين هنا من إبان المتعدي.

قوله: (والحلف في الحقيقة على أحد الأولين بتقدير عدم الثالث) والحلف في الحقيقة أراد به دفع أسكال وهو أن الحلف على فعل الغير في المستقبل لا يصح إلا إذا علم به فلا يقال والله ليأتيني زيد غداً إلا وأنت متيقن أو قريب من المتيقن وهذا ليس كذلك وأما ما ورد في الحديث ليردن الحوض أقوام الحديث فبناء على علمه عليه السلام ولو سلم صحة الحلف على فعل الغير فهنا لا يراد به البمين إذ الظاهر أن يقال لأعذبه أو لأذبحته إلا أن يأتي بسلطان إذ الحلف على التعذيب أو الذبح على تقدير إثبات الحجة لا معنى له وإلى هذا أشار المص بقوله بتقدير عدم الثالث^(١).

قوله: (لكن لما اقتضى ذلك وقوع أحد الأمور الثلاثة ثلاث المحلوف عليه بعطفه

قوله: بحجة تبين عذره جعل المبين من إبان المتعدي.

قوله: (والحلف على أحد الأولين بتقدير عدم الثالث هذا جواب عن سؤال يرد ههنا وهو أن حلفه على التعذيب والذبح لا كلام فيه لأنهما فعلاً بنفسه عليه السلام ولكن ما وجه حلفه على فعل الهدد ومن أين علم أنه يأتي بسلطان مبين حتى يقول «أو ليأتيني بسلطان مبين» فأجاب عنه بأنه عليه السلام لما نظم هذه الأشياء الثلاثة بأو في الحكم الذي هو الحلف صار مآل كلامه إلى معنى ليكون أحد الأمور يعني إن كان الاتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وإن لم يكن كان أحدهما وليس في هذا ادعاء علم بإثبات الهدد السلطان على أنه يجوز أن يتعقب حلفه بالفعلين وحسبي من الله بأنه سيأتي بسلطان مبين عن علم وإيقان فلفظة ذلك بقوله لكن لما اقتضى ذلك إشارة إلى الحلف المقيد بتقدير عدم الثالث أي لما اقتضى حلفه على أحد فعلية بتقدير عدم الثالث الذي هو الاتيان بالسلطان وقوع أحد الأمور الثلاثة ثلث المحلوف عليه فالمعنى فاه لأعذبه أو لأذبحته إن لم يأتي بسلطان مبين وإن أتاني به فلا واقتضاء حلفه ذلك وقوع أحد فعلية ظاهر وأما اقتضاه وقوع الثالث وحلفه مقيد بعدمه فمستفاد من رجوع معنى الكلام إلى الشرطية المذكورة القائلة إن كان كان وإن لم يكن لم يكن.

(١) أشار إلى أن الفقهاء صرحوا بأنه لو قال لآخر قسمت عليك بالله ليفعلن كذا وقصد البمين كان يميناً ما لم يكن مكروهاً أو مكروهاً وجوابه أن مقتضى الظاهر أن يقال لأعذبه أو لأذبحته إلا أن يأتي بسلطان مبين على تقييد المحلوف عليه بذلك هذا خلاصة ما قيل.

عليهما وقرأ ابن كثير أو لياتيني بنونين الأولى مفتوحة مشددة) لكن لما اقتضى ذلك أي غيبته بلا إذن وقوع أحد الأمور الثلاثة فيه إشارة إلى وجه العدول عن الظاهر وأن أو للترديد في الثلاثة وقيل إنها في الأولين للتخيير وفي الثالث للترديد بينه وبينهما ولا يظهر وجهه ولا يلائم بيان المعص وأما في القول إنها في الأولين للتخيير وفي الثالث بمعنى إلا فضعيف لأن لام القسم يقتضي كونه جواباً للقسم وحمله على الزيادة بعيد .

قوله تعالى : فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ حِطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنِي



قوله : (فمكث غير بعيد زماناً غير مديد يريد به الدلالة على سرعة وجوعه خوفاً منه وقرأ عاصم بفتح الكاف) فمكث غير بعيد الفاء فصيحة أي كان غالباً فمكث أي لبث بعد هذا التهديد زماناً غير مديد عن وقت تفقده حاصله بيان لمقدار ما مضى من غيبته بعد التهديد والحكمة في ذلك البيان التنبيه على سرعة رجوعه خوفاً منه إما لغيبته بلا إذن أو لفهمه ما أوعده بطريق من الطرق وفيه إشارة إلى أن امتثال المتبوع لازم حسيماً أمكن فإذا غاب بدون إذن ينبغي أن يرجع بسرعة قوله خوفاً منه أو لإخبار ما أحاط به خيراً وهذا أقوى في الدلالة على سرعة الرجوع من القول فمكث قريباً ولذا اختير ذلك عليه إذ القرب إضافي يختلف بالإضافة بخلاف غير بعيد قوله بفتح الكاف وهما لغتان فيه بلا فرق وكون الضم دالاً على شدة الغيبة على سليمان عليه السلام ليوافق حركة الكلمة ما أنهمه تركيب الكلام لا يعرف له وجه .

قوله : (يعني حال سبأ وفي مخاطبته إياه بذلك) والظاهر أنه خلق العقل والنطق في الهدهد ولا يناسب هنا ما سبق ذكره من أن أصوات الحيوانات تابعة للتخيلات ولعل سليمان مهما سمع صوت حيوان علم بقوته القدسية الخ والسوق أب عن حمله على هذا المعنى .

قوله : (تنبيه له على أن في أدنى خلق الله تعالى من أحاط علماً بما لم يحط به

قوله : وقرأ عاصم بفتح الكاف وقرأ الباقون بضمها .

قوله : وفي مخاطبته إياه إلى آخره يعني اللهم الله الهدهد فخاطب سليمان بهذا الكلام مع ما أوتي سليمان من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمّة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له وتنبيهاً على أن في أدنى خلقه واضعفه من أحاط علماً بما لم يحط به ليتحاذر إليه نفسه أي ليرى نفسه وتعد عنده شيئاً حقيراً وتصاغر علمه لديه أي صار عنده أمراً صغير الشأن ويكون ذلك لطفاً له في ترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء والاحاطة بالشئ أن يعلم بجميع جهاته لا يخفى منه معلوم فليست هذه المخاطبة من قبيل رفع الصوت بين يدي رسول الله ﷺ في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات : ٢] حتى يعارض به فيقال كيف يمكن للهدهد المخاطبة والمكافحة بذلك وهو أضعف مخلوق وقد أمر الله المؤمنين بخفض الصوت عند نبيه ﷺ يقول : ﴿وَلَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات : ٢] لأن هذا تأديب وتهذيب لسليمان عليه السلام وذلك تعظيم بجلالة حضرة الرسالة ورفع منزلتها ولكل مقام مقال قالوا في الآية دليل على بطلان قول الرافضة إن الإمام لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه أعلم منه .

ليتحاقر إليه نفسه ويتصاغر لديه علمه) تنبيه الخ وهذا التنبيه من خطابه بأنه أحاطه علم ما لم يحط به سليمان لا من رؤية سبأ فلا يرد أن التفرد بالوقوف على بعض المحسوسات لا يعد كمالاً لكن المص قال في تفسيره يعني حال سبأ إلا أن يقال إن التنبيه المذكور مستفاد من عموم التعبير وإن كان المراد حال سبأ بمعونة القرينة قوله أحاط علماً مع أن العلم لم يذكر في النظم لأن الإحاطة مشتهرة في العلم والمحسوس لا يطلق عليه المعلوم والحس ليس بعلم عند المحققين والتعبير بالإحاطة دون الحس يشعر بالتنبيه المذكور قوله ليتحاقر أي ليعد نفسه حقيرة صغيرة وإن كان نبياً ملكاً.

قوله: (وقرىء بإدغام الطاء في التاء بإطباق وبغير إطباق) أي في أحطت وفرطت وبسطت فقرئ في السبعة بالإدغام مع بقاء صفة الإطباق وليس بإدغام حقيقي وقرأ ابن المحيصن في الشواذ بإدغام حقيقي والمص أشار إلى ذلك بقوله بإطباق وبغير إطباق واعترض ابن الحاجب على القراءة الأولى بأن الإطباق صفة الحرف والإدغام يقتضي إبدالها تاء وهو ينافي وجود الصفة لأنه يقتضي أن يكون موجودة وغير موجودة وهو تناقض والتحقيق على هذه القراءة أنه لا إدغام فيها ولكنها أطلق عليها إدغام توسعاً لأنه لما اشتد التقارب وأمكن النطق بالثاني مع الأول من غير نقل اللسان كان النطق بالمثل بعد المثل وأطلق عليه الإدغام وفي التسهيل أنه إذا ادغم المطبق يجوز إبقاء الإطباق وعدمه.

قوله: (وقرأ ابن كثير برواية البزي وأبو عمرو غير مصروف على تأويل القبيلة أو البلدة والقواس بهمة ساكنة) غير مصروف للعلمية الخ هذا مشهور في عدم انصراف البلدة ومن صرفه أوله بالحي أو القوم أو المكان.

قوله: (بخبير محقق) وفي الكشاف النبأ الخبير الذي له شأن فهو أخص من الخبير

قوله: بإطباق وبغير اطباق هذا مبني على قول من قال إن الحروف المطبقة يدغم في غيرها مع بقاء الاطباق ورده ابن الحاجب بأن الاطباق صفة المطبقة ولا يكون إلا بها وإذا لم يكن إلا بها ينافي الادغام لأنه يجب إبدالها إلى المدغم فيه فيؤدي إلى أن تكون موجودة غير موجودة وهو متناقض وذلك لأن الاطباق رفع اللسان إلى ما يحاذيه من الحنك للتصويب بصوت الحرف المخرج عنده فلا يستقيم إلا بنفس الحرف وإذا كان كذلك فالتحقيق أن نحو فرطت وغلطت واحطت بالاطباق ليس معه ادغام ولكنه لما اشتد التقارب وأمكن النطق بالثاني مع الأول من غير ثقل اللسان وفصله من مخرجه الذي اعتمد عليه كان كالنطق بالمثل بعد المثل فأطلق عليه الادغام وأيضاً الإنسان يحس من نفسه عند قوله احطت بالنطق بالطاء حقيقة وبالتاء بعدها فلا يجوز أن يقال إن الطاء مدغمة لأن ادغامها يوجب قلبها إلى ما بعدها.

قوله: وقرأ ابن كثير برواية البزي وأبو عمرو غير مصروف أي قرأ من سبأ بنصب الباء والهمزة على أنه غير منصرف للعلمية والثانيث لأنه مأول بالبلدة أو القبيلة وهما قرأ ههنا وفي سورة سبأ هكذا بالنصب من غير تنوين وقرأ قبلل بإسكانها على نية الوقف والياقون بالخفض مع التنوين.

وكذا قال الراغب الثبأ خبر له فائدة عظيمة يحصل به العلم أو غلبة ظن انتهى ولذا اختير في النظم مع ما فيه من التجنيس وموازنة سبأ فتفسيره بالخبر تفسير بالأعم وهو صحيح في التفسير اللفظي كقولهم سعدان ثبت لكونه أشهر وكون هذا معنى لغوياً للثبأ ليس بمجزوم بل يحتمل أنه معنى له في عرف اللغة ولذا قال الفاضل السعدي اختصاص الثبأ بهذا المعنى ليس بحسب الوضع ومقصود المص بيان مدلوله الوضعي فلا وجه لرده بأنه معنى لغوي صرح به أهل اللغة.

قوله: (روي أنه عليه السلام لما أتم بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم وأقام به ما شاء ثم توجه إلى اليمن فخرج من مكة صباحاً فوافى صنعاء ظهراً فأعجبته نزاهة أرضها فنزل بها ثم لم يجد الماء) لما أتم بناء بيت المقدس الخ لعل هذا رواية وما ذكره في سورة سبأ من أنه مات قبل إتمامه وهو المشهور رواية أخرى وهي الموافق لظاهر قوله تعالى: ﴿فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض﴾ [سبأ: ١٤] الآية قوله فوافى أي جاء الغاء للسببية دون التعقيب وأقام بها أي مكة انتها لتأويلها بالبقعة ما شاء أي مدة مشية إقامتها ولم يعين لعدم الرواية بالتعيين ثم توجه اليمن أي قصد التوجه إليها.

قوله: (وكان الهدهد رائده لأنه يحسن طلب الماء فتفقدته لذلك) وكان الهدهد رائده براء ودال مهملتين هو الذي يتقدم لطلب الماء لأنه يحسن طلب الماء قالوا كان يرى الماء من تحت الأرض كما يرى الماء في الزجاجه وعن هذا خص الهدهد بهذه الخدمة دون غيره من الطير فتفقد أي سليمان إياه لذلك أي لطلب الماء.

قوله: (فلم يجدده إذ خلق حين نزل سليمان فرأى هدهداً واقفاً فأنحط إليه فتواصفا وطار معه لينظر ما وصف له ثم رجع بعد العصر وحكى ما حكى ولعل في عجائب قدرة الله وما خص به خاصة عباده أشياء أعظم من ذلك يستكبرها من يعرفها ويستنكرها من ينكرها) إذ خلق تحليل لقوله لم يجدده وتحليق الطير ارتفاعه في طيرانه وفي الهواء قوله فتواصفا أي وصف كل منهما ملك أرضه قوله وما خص به عطف على قدرة الله لا على عجائب قوله يستكبرها أي يعدها أمراً كبيراً عظيماً عظم الله تعالى به بعض خواصه ويستنكرها أي يعدها

قوله: إذ خلق تحليق الطائر ارتفاعه في الطيران.

قوله: فرأى هدهداً أي هدهد سليمان حين خلق هدهداً آخر قد وقع في أرض فأنحط إليه فتواصفا أي وصف هدهد سليمان فضائل سليمان وحشمة وشوكتة ووصف الهدهد الواقع حال بلقيس وطار معه لينظر ما وصف له فوصل ونظر ثم رجع وحكى ما حكى.

قوله: وما خص به عطف على عجائب أي في ما خص به خواص عباده كإنبيائه وأوليائه وملائكته المقربين.

قوله: أعظم من ذلك أي أعظم مما خص به سليمان عليه السلام يستكبرها أي يعدها كبيراً عظيماً من يعرفها ويستنكرها أي يعدها منكراً من ينكرها والسين فيها للوجدان.

أمراً منكراً أو المراد بذلك أمر سليمان مع الهدهد لكن كون المراد أشياء أعظم من ذلك هو الأنسب للسوق.

قوله تعالى: **إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَئِنْ عَرَضْتُ عَلَيْكَ**

قوله: (إني وجدت) استئناف أكد للمبالغة في صدقه تملكهم من الملك يضم الميم قبل قال وجدت دون رأيت للإشعار بأنه أمر غير معلوم أولاً لأن الوجدان بعد الفقد وهذا متقوض بقوله فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين والاستعمال شاهد على خلافه فالوجه أن المراد وجدان ملكها لأنفسها والملك ليس من المرئي والمراد الوجدان القلبي أو المصادفة مبالغة ولذا قال فيما سبق أحطت بما لم تحط به يعني حال سبأ.

قوله: (يعني بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان والضمير في تملكهم لسبأ أو لأهلها) بلقيس بكسر الباء علم لملك سبأ معرب وهو قبل التعريب مفتوح ذكره الطيبي وشراحيل بفتح الشين المعجمة.

قوله: (وأوتيت) اختير صيغة الماضي هنا والمضارع هناك إذ الإتياء أي الإعطاء ماض بالنسبة إلى زمان الإخبار والملك أيضاً ماض لكنه قصد حكاية الحال الماضية لغرابته أو للاستمرار.

قوله: (يحتاج إليه الملوك) أي كل شيء عام خص منه البعض وهو قصر العام على بعض ما يتناول به بالحس وفي نسخة إليها وجه التأنيث باعتبار أن كل شيء بمعنى أشياء ولهذا جمع الضمير الراجع إليه في بعض نحو كل إلينا راجعون كلمة من ابتدائية ولو جعلت للتبويض لكان كل شيء مخصصاً أيضاً كما مر في قوله: «وأوتينا من كل شيء» [النمل: ١٧] وجملة أوتيت معطوفة لوجود الجامع وكونها حالاً بتقدير قد ضعيف ولها عرش عظيم اختير الجملة الاسمية لدوام كون العرش لها بخلاف سائر ما أوتيت وتقديم الخبر للاختصاص فهو عطف الخاص على العام إن قيل إن مثل هذا العرش مما يحتاج إليه الملوك وإلا فلا وكذا الكلام في تملكهم.

قوله: والضمير لسبأ أو لأهلها أي ضمير المفعول في تملكهم راجع إلى سبأ إن أريد به القوم والقبيلة أو إلى أهله إن أريد به المدينة.

قوله: يحتاج إليه الملوك وصف كل شيء وتقليده به إشارة إلى نفي توهم المساواة بين سليمان وبلقيس في إتياء كل شيء حيث قال سليمان وأوتينا من كل شيء وقال الهدهد في وصفها وأوتيت من كل شيء فإن ما أوتيت بلقيس كل شيء يحتاج إليه الملوك لا كل شيء أوتي سليمان بل بعضه فإن سليمان عليه السلام قد اتاه الله تعالى النبوة والحكمة وأسباب الدين وأسباب الدنيا التي منها الملك والسلطنة وما أوتيت بلقيس هو أسباب الدنيا فقط وأين هذا من ذاك.

قوله: (عظمه بالنسبة إليها أو إلى عروش أمثالها وقيل كان ثلاثين ذراعاً في ثلاثين عرضاً وسمكاً أو ثمانين في ثمانين من ذهب وفضة مكلل بالجواهر) بالنسبة إليها لا بالنسبة إلى سليمان عليه السلام أو بالنسبة إلى عروش أمثالها وهذا هو الظاهر إذ النسبة إلى الأمثال في مثل ذلك هو الشائع المتبادر والعرض أقصر الامتدادين والسمك الارتفاع لكن المراد به هنا طوله بقرينة المقابلة بالعرض قوله مكلل أي مزين بها.

قوله تعالى: وَجَدْنَاهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَصْنَانَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾

قوله: (كانهم كانوا يعبدونها)^(١) وإنما قال كأنهم لأن الإرادة من السجود العبادة مطلقاً^(٢) مقلنون وأما القول بأنه يحتمل سجودهم للتحية أو جعلها كما فعله النصاري فضعيف لأن قوله: ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ [النمل: ٢٤] الخ يأبى عنه وكذا قوله من دون الله هذا عطف على يسجدون والماضي هنا والمضارع هناك إذ السجود مستقبل بالقياس إلى التزيين وجوز الحالية بتقدير قد وإسناد التزيين إلى الشيطان مجاز باعتبار السببية.

قوله: (عبادة الشمس) جزم هنا بعبادة الشمس وينكشف من هنا وجه آخر لا يراد كان وهو هنا بمعنى الجزم كصيغة الترجي في مقام الجزم مثل ﴿لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢] ومثل ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَكْفُرَ عَنْكُمْ سِجْنَاتِكُمْ﴾ [التحریم: ٨] الآية فإنه في مقام الجزم بناء على العادة الملوك صرح به المص في أواخر سورة التحريم.

قوله: (وغيرها من مقايح أفعالهم) بمعنى القبايح وفي نسخة أعمالهم.

قوله: (سبيل الحق والصواب) أي اللام عوض عن المضاف إليه أو اللام للمعهد بقرينة أن السبيل الذي صدهم عنه لا يكون إلا سبيل الحق والصواب وبقرينة أن هذه الجملة مترتبة على تزيين الشيطان للمبالغة في الذم.

قوله: (إليه) أي إلى سبيل الصواب هذا الحكم منه إما بناء على ظاهر حالهم أو بالإلهام ولذا اختير الجملة الاسمية وقدم المسند إليه على الخبر الفعلية لتقوية الحكم.

قوله: عرضاً وسمكاً السمك الرقعة أي كان طوله وعرضه وارتفاعه ثلاثين ذراعاً في ثلاثين.

قوله: مكللاً أي مزيناً بالجواهر من الاكلیل هو شبه عصاية يزين بالجواهر ويسمى التاج اكليلاً لكون تيجان الملوك في غالب الأمر مرصعاً بالجواهر.

(١) فيه تغليب كما في قوله تعالى: ﴿يَسْجُدُونَ﴾.

(٢) أي سواء كان بالسجود أو لا.

قوله تعالى: **أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ** ﴿٢٥﴾

﴿٢٥﴾

قوله: (أي فصددهم لأن لا يسجدوا) اختار تقدير لام الجر قبل ان المصدرية لأن قياسي وذلك اللام متعلق بقوله فصددهم ولا يضره الفاصل لعدم كونه أجنبياً ولم يلتفت إلى تقدير عن مع كون لا زائدة على كونه بدلاً من السبيل لأنه خلاف الظاهر مع إمكان ما هو الظاهر نعم أنه وجه لكنه ضعيف .

قوله: (أو زين لهم أن لا يسجدوا)^(١) على أنه بدل من أعمالهم) أعاد العامل لكونه بدلاً من أعمالهم أي بدل البعض من الكل بتقدير العائد أي أن لا يسجدوا من تلك الأعمال فإن المراد بعدم السجود كف النفس عن السجود وهو من الأعمال ينتفع به المكلف أو يتضرر به لكن آخره لأن فيه تكلفاً في الجملة بخلاف الأول مع أن مآلهما واحد .

قوله: (أو لا يهتدون إلى أن يسجدوا بزيادة لا) آخره من الوجهين لأن زيادة اللام خلاف الظاهر مع صحة المعنى مع عدم زيادة اللام ويحتمل أن يكون المعنى لا يهتدون لأن يسجدوا باللام بدل إلى لأن الهداية يتعدى إلى وبالإلام بالاعتبارين وقبل لا يهتدون ثلثا يسجدوا على أن اللام للتعليل وأورد عليه بأن الفاء في فهم لا يهتدون للسببية فسبب عدم الاهتمام الصد لا عدم السجود إلا أن يقال الفاء حيثنؤ للفرع أو للتفصيل .

قوله: (وقرأ الكسائي ويعقوب إلا بالتخفيف على أنها للتنبيه وبالإهداء ومناداه محذوف أي ألا يا قوم اسجدوا) على أنها للتنبيه لا للتضييق قوله وبالإهداء لكن أبو حيان لم يرض به واختار أنها للتنبيه مؤكدة لقوله إلا وتوالت حرفين للتأكيد مع تباين اللفظ فصيح وإنما اختاره ثلثا يلزم الإحجاف في الحذف أي حذف المنادى وجملة ادعو ورسمه

قوله: فصددهم لأن لا يسجدوا يعني قوله: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾ (النمل: ٢٥) يحتمل أن يكون متعلقاً بصددهم بتقدير لام التعليل أو متعلق بزين على أنه بدل من مفعوله بدل البعض من الكل فإن ترك السجود لله تعالى بعض من أعمالهم السيئة أو متعلق بلا يهتدون بتقدير إلى وزيادة لا كما في ما منعك أن لا تسجد فالمعنى فهم لا يهتدون إلى أن يسجدوا لله .

قوله: على أنها للتنبيه وبالإهداء ومناداه محذوف وفي المطلع فإن قيل كيف جاء في قراءة التخفيف مكتوباً في المصحف يسجدوا كما يكتب المضارع وحرف النداء لا يوصل بالفعل كتابة قلنا رسم الكتابة الأولى كان على موافقة اللفظ كما في قوله تعالى ﴿يوم يدع الداعي﴾ واشباعه فلما وصلت الياء من حرف النداء بأسجدوا لفظاً كتبت الياء موصولة بها وهذا هو العذر في قوله في قوم فرعون: ﴿أَلَّا يَتَّقُونَ﴾ (الشعراء: ١١) لمن فسرهم بالآيا ناس اتقون .

(١) أي أن لا يعبدوا ولما كان السجود أعظم أركان الصلاة عبر به عن الصلاة التي يراد بها مطلق العبادة لكونها أم العبادات وجامعة لجميع المبرات .

متصلاً بدون ألف على خلاف القياس وكون يا للتنبيه غير متعارف وإن رسمه متصلاً بدون ألف على خلاف القياس أيضاً.

قوله : (كقوله :

وقالت ألا يا اسمع نعظك بخطة فقلت سمياً فأنطقني وأصيبي)

وقالت الخ أي يا فلان اسمع سمياً بأذن واعية ولذا قال نعظك جواب للأمر فلو لم يكن هذا القيد معتبراً لم يظهر كونه جواباً والخطة بضم الخاء المعجمة وتشديد الطاء المهملة وهي الخصلة المهمة وسمياً منصوب بمقدر أي ناديت سمياً وفي نسخة سمعنا ومعناه واضح وأصيبي أي تكلمي بالصواب.

قوله : (وعلى هذا يصح أن يكون استثنافاً) وعلى هذا أي قراءة التخفيف باعتبار ما ذكر قوله يصح الخ إشارة إلى صحة كونه من كلام الهدد خطاباً لقوم سليمان عليه السلام للحث على دوام عبادة الله تعالى وأما كونه خطاباً للبلقيس وقومها فبعيد لفظاً لكنه قريب معنى والأولى أن يكون عاماً تغلياً للحاضرين على الغائبين وأما كون الخطاب للغائب فقط فخلاف الظاهر فحيث أن يكون مجازاً بطريق اسم المقيد وهو الموضوع لمعين مخاطب على المطلق ثم على مقيد آخر وهو المخاطب الغير المعين.

قوله : (من كلام الله تعالى أو من سليمان) من كلام الله تعالى وهو ظاهر أو من سليمان بتقدير القول أي قال سليمان لقومه بقرينة أن الكلام مسوق لقصته لكن قيل يأبى قوله قال سننظر بعده من كونه كلام سليمان ويمكن أن يقال إن قال تكرير للأول لكونه مقدراً فلا إباء.

قوله : (والوقف على لا يهتدون ويكون أمراً بالسجود) أي الوقف على هذه القراءة حسن وحسن الوقف لا يقتضي كونه آية والآيات توقيفية كما صرح به في ألم في أوائل سورة البقرة فلا يرد ما أورده الفاضل المحشي.

قوله : (وعلى الأول ذماً على تركه) أي قراءة التشديد ذماً أي يكون ذماً على ترك السجود بمعنى كف النفس وهذا إشارة إلى رجحان عدم زيادة لا.

قوله : (وعلى الوجهين يقتضي وجوب السجود في الجملة) أي على القراءتين يقتضي وجوب السجود في الجملة أي ولو مرة في العمر سواء قرأها أو لا.

قوله : (والوقف عطف على أن يكون استثنافاً أي وعلى أن لا للتنبيه وبإلثناء صح كون لا يسجدوا لله جملة مبتدأة مستأنفة بتقدير القول غير متعلقة بلا يهتدون وصد وزين كالقراءة بالتشديد وصح الوقف على لا يهتدون فالمعنى قال الله تعالى أو قال سليمان ألا يا هؤلاء القوم اسجدوا لله.

قوله : وعلى الوجهين يوجب وجوب السجود في الجملة لا عند قراءتها هذا عند الشافعي رحمه الله وعليه القاضي رحمه الله وعند أبي حنيفة رحمه الله يجب على الوجهين سجدة التلاوة لأن مواضع السجدة في القرآن إما أمر بها أو مدح لمن أتى وذم لمن تركها فالقراءة بالتشديد ذم

قوله : (لا عند قراءتها) أي حين تقرأ يجب ذلك على القارئ والسامع .

قوله : (وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزة هاء وألا تسجدون وهلا تسجدون على الخطاب) وقرئ هلا وهلا بتخفيف اللام وتشديدها قوله وألا يسجدون بإثبات النون والتخفيف والتشديد أيضاً فيكون للعرض أو التحفيض ويسجدون يحتمل الغيبة والخطاب كذا قيل .

قوله : (وصف له بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود) وصف له صفة مادية قوله باستحقاق السجود أي العبادة أفحم الاستحقاق لأن السجود لغيره تعالى متحقق بلا استحقاق .

قوله : (من التفرد بكمال القدرة والعلم حثاً على سجوده ورداً على من يسجد لغيره والخباء ما خفي في غيره وإخراجه إظهاره) من التفرد بكمال القدرة الدال عليه الذي يخرج الخياء إما دلالة على القدرة الكاملة فظ وإما على التفرد فلأنه وصف مختص به تعالى باتفاق العقلاء والعلم أي بكمال العلم الدال عليه قوله ويعلم ما يخفون وما يعلنون عبارة ويخرج الخياء بالالتزام وذكر ما يعلنون مع أنه مفهوم من علمه بما يخفون للتنبيه على أن علمه بما يخفون كعلمه بما يعلنون والإخفاء والإعلان بالنسبة إلى المخلوق لا بالنسبة إليه تعالى وصيغة المضارع في الموضعين للاستمرار وقدم الأول لأنه دليل على كمال القدرة والعلم التام وتخصيص الوصفين بالذكر لأنهما أمس بالمقام حيث دل كل منهما على اختصاص استحقاق العبادة له تعالى .

قوله : (وهو يعم إشراق الكواكب وإنزال المطر وإنبات النبات بل الإنشاء فإنه إخراج ما في الشيء بالقوة إلى الفعل والإبداع فإنه إخراج ما في الإمكان والعدم إلى الوجود والوجود ومعلوم أنه يختص بالواجب لذاته وقرأ حفص والكسائي ما تخفون وما تعلنون بالثناء) وهو يعم إشراق الكواكب أي الإخراج يعم الإشراق أيضاً يعم الخياء بالكواكب لكون الشمس مخبوءة بالليل وسائر الكواكب بضوء الشمس قوله بل الإنشاء أي يعم الإخراج إلى الإنشاء لفظاً بل للترقي والانتقال إلى ما هو أشد خفاء والفرق بين الإنشاء والإبداع إن الإنشاء ما له مادة موجودة كأن الشيء فيها بالقوة إذ المادة ما يكون الشيء معه

لثارتها والقراءة بالتخفيف أمر باتيانها فوجبت السجدة على كل من هاتين القراءتين وفي الكشف وقد اتفق أبو حنيفة والشافعي رحمهما الله على أن سجدة القرآن أربع عشرة وإنما اختلفا في سجدة ص فهي عند أبي حنيفة سجدة ثلاثة وعند الشافعي سجدة شكر وفي سجدة سورة الحج يعني أنهما متفقان في أن عدد سجدة القرآن أربع عشرة لكن أبا حنيفة رحمه الله عد ما في سورة النمل موجباً للسجدة ولم يعد إحدى ما في سورة الحج والشافعي رحمه الله عكس الأمر حيث أوجب السجدة في سورة الحج ولم يوجب سجدة للتلاوة في سورة النمل وهما أوجبا السجدة في سورة ص لكنهما اختلفا في أن السجدة الواجبة هناك سجدة تلاوة أم سجدة شكر فعند أبي حنيفة هي سجدة تلاوة وعند الشافعي سجدة شكر .

بالقوة والإبداع ليس كذلك فإنه قال في الإبداع فإنه إخراج ما في الإمكان الخ سواء كان ماله مادة موجودة أو لا فالإبداع أعم من الإنشاء وقد يستعمل كل منهما في موضع الآخر.

قوله تعالى: **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ** ﴿٣٧﴾

قوله: (الله لا إله) الله مبتدأ خبره لا إله إلا هو أو خبره رب العرش ولا إله جملة معترضة وتقدير الخبر إما ممكن أو موجود والأول أولى.

قوله: (الذي هو أول الأجرام وأعظمها والمحيط بجملتها) الذي هو أول الأجرام أي خلقاً على ما ورد أنه أول ما خلق الله أي أول ما خلق الله تعالى من الأجرام لما قال الإمام الثعلبي في قوله تعالى: ﴿يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ﴾ [الحاقة: ١٧] الآية عن علي بن الحسين أنه قال إن الله خلق العرش ثم خلق قبله إلا ثلاثة أشياء الهواء والنون والقلم ثم خلق العرش وعن هذا قال أول الأجرام ولم يقل أول المخلوقات قوله المحيط بجملتها وهذا بناء على كرويته وكروية العالم قال الإمام ولا ضير فيه إذا قيل بحدوثها.

قوله: (فبين العظيمين بون عظيم) فبين العظيمين الأول عرش الله الذي أعظم من كل شيء ممكن والعظيم الثاني عرش بلقيس الذي هو عظيم بالنسبة إلى بعض المخلوقات وهو عرش سائر الملوك واليون البعيد المعنوي والفرق البين فلا نسبة بينهما وإن وقع ذلك في التعبير وفي الصحاح البون الفضل والمزية يقال بون بعيد وأما في البعد الحقيقي فيقال بين لا غير كذا حققه أرباب اللغة.

قوله تعالى: ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿٣٨﴾

قوله: (ستتعرف من النظر بمعنى التأمل) ستتعرف الظاهر أن السنين للمبالغة لا للتأخير ولذا قال اذهب شارحاً للتعرف هذا مشتق من النظر بمعنى التأمل أي التفكير إذا النظر إذا تعدى بغي يكون بمعنى التفكير والتدبر لا بمعنى الرؤية فإنه يتعدى بإلى ولا بمعنى المرحمة فإنه يتعدى باللام.

قوله: (أي أم كذبت والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل) أي أم كذبت هذا حاصل المعنى ومقتضى الظاهر لأنه عدل أصدقت لكن مقتضى الحال التغيير لما ذكره وجه المبالغة لإفادته انخراط سلك الكاذبين والكاذبون كثيرون فهو يفيد أنه من جملتهم وأنه كاذب لا محالة ويرد عليه أن أم المتصلة مع الهمزة يفيد التساوي بين الأمرين ولا يحتمل

قوله: (فبين العظيمين بون عظيم أي فبين العرشين العظيمين اللذين هما عرش الله تعالى وعرش بلقيس بعد بعيد وأن وصف عرش بلقيس بالعظم أيضاً لأن وصف عرشها تعظيم له بالإضافة إلى عروش أبناء جنسها من الملوك ووصف عرش الله بالعظم تعظيم له بالنسبة إلى سائر ما خلق الله من السموات والأرض).

قوله: (والتغيير للمبالغة وجه المبالغة إذا كان معروفاً بالانخراط في سلك الكاذبين كان كاذباً لا محالة وإذا كان كاذباً اتهم بالكذب فيما أخبر به فلم يوثق به).

كون أم منقطعاً وأيضاً من أين يجزم أنه كاذب لا محالة ولو سلم ذلك لقال كذبت ولم يقل سننظر أصدقت والاعتذار بأن وجه المبالغة إن أحقر مخلوق إذا كذب بين يدي عظيم يخشى سطوته دل على أنه شديد الكذب حتى لا يملك نفسه في أي موطن كان ليس بمناسبة لأن ما أفاده التركيب من المبالغة ما ذكر آنفاً وهو كونه من زمرة الكاذبين لا محالة دون ما ذكره ومثل ما ذكرناه صرح المص في قوله تعالى: ﴿لأجعلنك من المسجونين﴾ [الشعراء: ٢٩] فالأولى الاكتفاء بمراعاة الفاصلة.



قوله تعالى: أَذْهَبَ بِكُنْيَتِي هَكَذَا فَأَلْقَيْتَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ

قوله: (أذهب بكناي) شروع في النظر المذكور الباء إما للتعدي أو للملازمة وحاصل المعنى أنه كتب مكتوباً إلى بلقيس وقومها يدعوهم فيه إلى التوحيد والإسلام وأمر الهدهد بالذهاب به وإيصاله إليهم ففي الكلام حذف إيجاز.

قوله: (ثم تنح عنهم إلى مكان قريب تتوارى فيه) ثم تنح عنهم الخ إنما حملة عليه لأن التولي بالكلية يأبى عنه قوله فانظر ماذا يرجعون فالمراد التولي والتبعد إلى مكان يطلع أحوالهم وإنما أمره بالتولي لاحتمال أنهم يكتُمون عنه أحوالهم ولذا قال تتوارى الخ أي تختفي فيه ولو قال فتوار كما في نسخة فيه بصيغة الأمر لكان أوفق بما بعده وبهذا سقط ما قيل من أنه لا دلالة في الكلام على التواري وجمع الضمير لأن الدعوة تجب أن نعم.

قوله: (ماذا يرجع بعضهم إلى بعض من القول) أشار إلى أن المراد رجوع بعضهم إلى بعض لا رجوعهم برمتهم إلى غيرهم كما هو المتبادر ورجع لازم هنا بقرينة تعديته إلى لا متعد كما قيل قوله من القول بيان لماذا أي من القول الدال على إطاعتهم أو على مخالفتهم قيل ولا يبعد أن يلهم الله ذلك الهدهد ما يفهم به الكلام ولا ينافيه قوله انظر لأنه بمعنى تأمل والتأمل يكون للأقوال والأفعال ولا حاجة إلى جعل النظر مجازاً عن الإدراك انتهى وأنت خير بأن الكلام بناء على أن الله تعالى خلق في الهدهد عقلاً ونطقاً لأن القصة من أولها إلى آخرها دلت على ذلك ولا يختص بهذا المقام وإذا كان النظر بمعنى التأمل يكون تعديته بني فالتقدير فانظر فيما ذا يرجعون.



قوله تعالى: فَالَتْ بِأَنْبِيَائِهَا آتَاكُمَا إِلَهِ إِلَهِ أَنْبِيَإِ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ

قوله: (أي بعدما ألقى إليها) أشار إلى أن في الكلام حذف مضاف بأكثر من جملة أي أخذ الهدهد الكتاب بعد ما أمره به وذهب به ووصل إليها وألقاه كما أمره وأخذته

قوله: ثم تنح أي تبعد من نحيته عن موضعه فتتحى أي بعدته فتبعد أي تنح إلى موضع قريب تستر فيه ليكون ما يقولونه يسمع منك قوله أو لأنه كان مختوماً قال عليه السلام كرم الكتاب ختمه وكان عليه الصلاة والسلام يكتب إلى العجم فقبل له إتهم لا يقبلون إلا كتاباً عليه خاتم فاصطنع خاتماً وعن ابن المقفع من كتب إلى أخيه كتاباً ولم يختمه فقد استخف به.

وقرأته أو أمرت بقراءته فإذا قالت لعلها إني ألقى التأكيد لأنه مظنة الإنكار وتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي للحصر أو لتقوية الحكم وصيغة المجهول لأنها لا تعرف الملقى وتكثير الكتاب للتفخيم.

قوله: (لكرم مضمونه أو مرسله أو لأنه كان مختوماً أو لغرابه شأنه إذ كانت مستقلة في بيت مغلقة الأبواب فدخل الهدهد من كوة وألقاه على نحرها بحيث لم تشعر به) لكرم مضمونه ولا يلزم من معرفة أن مضمونه كريم الإيمان لأنه هو التصديق بالقبول أو مرسله ولعلها كانت عالمة بعظم شأن سليمان عليه السلام أو استدلت بكرم مضمونه على كرم مرسله أو لأنه كان مختوماً وفي الخبر الشريف كرم الكتاب ختمه وقال ابن المقفع من كتب إلى أخيه كتاباً ولم يختمه فقد استخف به والمراد من كونه مختوماً مهوراً أو مختوماً باسمه على عادة الملوك والعظماء أو لغرابه شأنه فيحصل للكتاب الفضل والشرف بها ولغظة أو لمنع الخلو قوله مستقلة أي نائمة على فراش.



قوله تعالى: إِنَّكُمْ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (استئناف كأنه قيل لها ممن هو وما هو) استئناف أي يبياني قوله كأنه الخ إشارة إلى أن السؤال المقدر وقع من مرسله ومن مضمونه بقرينة الجواب أو بقرينة ما قبله ولم يجعله سؤالاً عن سبب الحكم مطلقاً أو خاصاً لعدم التعرض له في الجواب لكن يفهم من الجواب سبب الإلقاء وهو الدعوة إلى الإسلام وترك العلو ولك أن تعمم ما هو إياه.

قوله: (فقالت إنه أي إن الكتاب أو العنوان من سليمان) أو العنوان وهو ما يكتب على ظاهره لفظ من سليمان قيل وهذا بقرينة الحال والتمتعاد وإلا فالعنوان لم يذكر قيل انتهى أي كونه مرجعاً باعتبار أنه مذكور حكماً لما بينه فرجوعه إلى الكتاب راجع ولذا قدمه.

قوله: (أي وإن المكتوب أو المضمون وقرئنا بالفتح على الإبدال من كتاب أو التعليل لكرمه) أي وإن المكتوب خبره بسم الله بناويل أنه ملتبس به أو ملتصق به تلبس الكل بالجزء وكذا الالتصاق أو هذا اللفظ إلى آخره على طريق الحكاية واتحاد الخبر يغني عن العائد إلى المبتدأ قوله على الإبدال من كتاب بدل الكل وهذا يؤيد الوجه الأخير قوله أو

قوله: وقرئنا بالفتح على الإبدال من كتاب أي قرئ أنه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم يفتح همزة أن على أنها بدلان من كتاب فيكونان مرفوعي المحل كأنه قيل ألقى إلي أنه من سليمان.

قوله: أو التعليل لكرمه عطف على الإبدال أي القراءة بالفتح إما للإبدال أو لتعليل كرم الكتاب فيكون لام التعليل محذوفاً من أن مقدراً أي ألقى إلي كتاب كريم لأنه من سليمان ولأنه بسم الله الرحمن الرحيم قوله أن مفسرة أي كلمة أن في أن لا تعلقوا مفسرة لشخصين الكتاب معنى القول.

التعليل لكرمه فحينئذ يتعين الوجه الثاني وهو لكرم مرسله وفيه ضعف ولذا أخره ويحتمل في قراءة الكسر كونه تعليلاً لكرمه ولم يتعرض له لأنه ليس بصريح في العلية بخلاف الفتح فإنه بتقدير اللام الجارة.

قوله تعالى: أَلَا تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ

قوله: (أن مفسرة) بمعنى أي والمفسر الكتاب نفسه لا مجموع ألفي إلي كتاب لأن في التفسير لم يتعرض ما سوى الكتاب والكتاب فيه معنى القول فتحقق شرط التفسيرية والمعنى ألقى إلي كتابه شيء هو ألا تعلموا على الخ قدمه لأنه خال عن التمثل فعلى هذا لا تعلموا نهى عطف عليه أمر.

قوله: (أو مصدرية فتكون بصلته خبر محذوف أي هو أو المقصود أن لا تعلموا أو بدل من كتاب) أو مصدرية فعلى هذا يكون لا نافية^(١) فحينئذ العطف بناء على جواز وصلها بالأمر كما مر مراراً فعطف الإنشاء على الخبر لكونه في تأويل المفرد.

قوله: (مؤمنين أو متقادين) فسر به لأن المراد بالإسلام معناه اللغوي وهو الانقياد فلفظ أو للمتقادين ترديد في العبارة لأن الإسلام المصطلح مختص بشرعنا قال المص في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩] وهو التوحيد والتدريج بالشرح الذي جاء به محمد عليه السلام.

قوله: (وهذا كلام في غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود) فيكون في غاية البلاغة ونهاية البراعة الوجازة كون اللفظ قليلاً والمعنى كثيراً وإليه أشار بقوله مع كمال الدلالة إبراده مع للتنبيه على أنه أصل متبوع وكون اللفظ جيزياً وذريعةً ووسيلةً إليه وهكذا كتب الأنبياء عليهم السلام لا يكتشرون الكلام فيها لكن معانيها كثيرة جداً وهذا لا ينافي كونه من خصائص النبي عليه السلام لأنه في بعض أحوالهم وأما رسولنا ففي عموم مقاصده.

قوله: (لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع وصفاته صريحاً أو التزاماً) فإن

قوله: أي هو أو المقصود يعني إذا كان أن مصدرية يكون أن لا تعلموا على في حيز الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره هو أن لا تعلموا أي ذلك الكتاب الملقى أن لا تعلموا أو المقصود منكم أن لا تعلموا وفي عطف وأتوني عليه على تقدير كونه خبر مبتدأ محذوف تكلف إذ يلزم عطف الجملة على المفرد فوجه الحمل على المعنى فالمعنى والمقصود عدم علوكم علي وإتيانكم مسلمين.

قوله: أو بدل من كتاب أي ألقى إلي أن لا تعلموا.

قوله: لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع وصفاته صريحاً والتزاماً فإن البسملة

(١) كذا قيل لكن الموافق لكلام المص حيث قال والنهي عن الترفع كون لا ناهية في الوجهين ودخول أن المصدرية على النهي وعلى الأمر قد مر مراراً بيانه.

لفظة الجلال علم له إما بالوضع كما هو عند الجمهور أو بالغلبة وهو المختار عند المص
إطلاق الصانع عليه بمعنى الخالق وارد في الحديث وهو قوله عليه السلام إن الله صانع كل
صانع وصنعه كذا نقل عن السبكي وصفاته أي جميع صفاته لأن اسم الجلال دال على
الذات صريحاً وعلى الصفات بأسرها التزاماً ولذا قالوا والله اسم الذات المستجمع بجميع
الصفات وقع في أكثر النسخ أو التزاماً والظاهر والتزاماً ولفظة أو لمنع الخلط والرحمن
الرحيم بعكسه حيث يدلان على الصفة صريحاً وعلى الذات التزاماً لاختصاص الرحمن به
تعالى ومعناه للنعم النعم كلها دنيوي وأخروي موهبي وكسبي روحاني وجسماني كتخليق
البدن وغيره ففيه إشارة إلى أنه تعالى هو المعبود الحقيقي معطي النعم كلها عاجلها وآجلها
جليلها وحقيقها وهذا يقتضي التوجه بشرائره إلى جناب القدس وأنتم معرضون عن عبادته
وتعبدون ما لا يقدر النفع والضّر وهذا من سليمان عليه السلام تنبيه نبيه على ضلالهم
والإرشاد إلى ما هو سبب نجاتهم وبهذا علم وجه تخصيص البسملة بالذكر .

قوله : (والنهي عن الترفع الذي هو أم الرذائل والأمر بالإسلام الجامع لأمّهات الفضائل)
والنهي عن الترفع الخ فيه إشارة إلى أن لا تعلوا نهى سواء كان إن مفردة أو مصدرية .

قوله : (وليس الأمر فيه بالانقياد قبل إقامة الحجة على رسالته حتى يكون استدعاء
للتقليد) وليس الأمر الخ أي بقوله التثني الخ وكذا النهي ولو تعرض له لكان أولى وفيه
إشارة إلى أنه دعوة نبوة لا السلطنة لأنه اللائق بشأن الأنبياء عليهم السلام وقولها إن الملوك
إذا دخلوا فقبل تيقننا بنبوته عليه السلام .

قوله : (فإن إلقاء الكتاب إليها على تلك الحالة من أعظم الدلالة) فإن إلقاء الكتاب
على هذا الوجه من خوارق العادات فيكون دالاً على نبوته وإن لم يكن معجزة اصطلاحاً
ألا يرى أن القرآن من أبهر معجزات نبيينا عليه السلام إلى يوم القيام مع أنه لم يقارن
التحدي بالنسبة إلى الغائب .



قوله تعالى : قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَائِلَةً بِأَنَّهُ حَقٌّ تَهْتَدُونَ ﴿٣٢﴾

قوله : (﴿قالت يا أيها الملأ﴾) صرح به لدفع اشتباه كون افتوني في أمري من تهمة
مكتوب سليمان .

قوله : (أجيوني في أمري الفتى واذكروني ما تستصيون فيه) أجيوني في أمري الفتى
حاصل معنى أفْتُونِي إذ الإفتاء تبين المبهم والفتوى الجواب في الحادثة قوله في الأمر
الفتى أي في هذا الأمر الغريب الحادث اليوم والفتى بتشديد الياء فاعل بمعنى الفاعل عبارة
عن الحادث المحتاج إلى الجواب وإضافة الأمر إلى ياء المتكلم للمعهد بمعونة السوق
والتعبير بالأمر الفتى لقولها افتوني وهذا الأمر وإن كان عاماً لكنّها أضافت إلى نفسها

مشتملة على لفظة الله وهو علم دال على ذات الصانع صريحاً وعلى صفاته التزاماً ومشتملة أيضاً
على لفظي الرحمن الرحيم الدالين على صفات الصانع صريحاً وعلى ذاته التزاماً .

لكونها رئيساً متبوعاً والمراد بالفتوى هنا جوابهم في هذه الحادثة بما يقتضيه رأيهم ولا يلزم القول ولذا قالت في مقابلة جوابهم أن الملوك تزيف لما فهم من كلامهم .

قوله: (ما أبت أمراً إلا بمحضركم استعظفتهم بذلك ليمالئوها على الإجابة) ما أبت أمراً من الأمور في الزمان الماضي الذي قبل هذا الأمر والحادثة الكبرى أي كانت عادتي أن لا أبت أمراً إلا بمحضركم فلا أبت ولا أقضي في هذه النازلة الكبرى إلا بمحضركم كأنها إشارة إلى دفع وهم العجز والمعنى أن عرض هذا الأمر وطلب الجواب له ليس لعجز عن الجواب بل لكون عادتي المستمرة إلى الآن والبت فصل القضية بالحسم فيها وبأيده قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قاضية ليمالئوها الممالاة المساعدة .



قوله تعالى: قَالُوا نَحْنُ أَوْلَىٰ الْقُوَّةِ وَالَّذِينَ يَأْتِيَنَّاهُمْ يَكُونُونَ قَائِلِينَ

قوله: (بالأجساد والعدد) بالأجساد أي بالقوة التي قائمة بأجسادنا وهي القوة الذاتية وبالعدد جمع عدة وهي ما يعد من آلات الحرب وهي قوة عرضية وأحدهما كاف في المقاتلة فما ظنك في جمعهما أو أحدهما وإن لم يكف فيها لكن لا ريب في كفاية مجموعهما .

قوله: (نجدة وشجاعة) نجدة بكسر النون وسكون الجيم والదال المهملة المراد بها البلاء في الحروب وهذا كالتأكيد لما قبله إلا أن يقال إن المراد بالقوة بالأجساد كثرة الأعداد وبالبأس القوة الذاتية والشجاعة ومرادهم بهذا التحريض على المقاتلة ببيان تهيجوا سببها على ما ذهب المص وقيل دفع توهم العجز بتفويض الأمر إليها حيث قالوا فانظري ماذا تأمرين .

قوله: (موكول) متعلق الجار فعل خاص بقرينة قوية أي مفوض إليك لكونك رئيساً لنا فإطاعتنا إليك لازم قيل يشير إلى أن الخير مقدر مؤخراً ليفيد الحصر المقصود لفهمه من السياق وهذا بعيد إذ الظاهر أنه بيان المتعلق المحذوف أما كونه مؤخراً فلا يفهم من كلامه غايته أنه ذكره مؤخراً والظاهر أن الحصر مستفاد من كون المسند إليه محلي بلام الجنس أي جميع الأمر مفوض إليك وهذا الأمر أيضاً موكول إليك وحمل اللام على العهد ضعيف .

قوله: ما أبت أمراً من بت ببت إذا قطع أي ما أقطع أمراً ولا أجزم به ولا أفعله بنا إلا بمحضركم قيل كان أهل مشورتها ثلاثمائة وثلاث عشر رجلاً كل واحد على عشرة آلاف .
قوله: ليمالئوها قال الجوهري قال أبو زيد مالأته على الأمر ممالأة ساعدته عليه وشأبعته وقال ابن السكيت تمالؤوا على الأمر اجتمعوا عليه وتعاونوا .

قوله: نجدة وشجاعة عطف الشجاعة على النجدة من باب عطف التفسير فإن النجدة تجيء بمعنى الشجاعة يقال نجد الرجل بالضم فهو نجد ونجد ونجد ويحيى بمعنى البأس يقال رجل ذو نجدة أي ذو بأس ولأق فلان نجدة أي شدة واختار معنى الشجاعة لكن تفسير البأس بالنجدة التي بمعنى الشدة والبأس انسب .

قوله : (من المقاتلة والصلح نطعمك إلى رأيك وتنتج) وإن كان المختار عندنا المقاتلة قوله نطعمك بالجزم جواب الأمر وهذا إشارة إلى ما ذكرنا من أنك ملكنا يجب الاتباع والإطاعة لك .

قوله تعالى : قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ لَأَنَافِكُوا قَرْبَةً أَنفُسُوهَا وَجَعَلُوا لَهَا أَهْلِيهَا آؤُلَةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾

قوله : (تزييف لما أحست منهم من الميل إلى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتية والعرضية وإشعار بأنها ترى الصلح مخافة أن يتخطى سليمان عليه السلام خططهم فيسرع إلى إفساد ما يصادفه من أموالهم وعماراتهم) تزييف^(١) لما أحست الخ أي رده له استعبر من تزييف النقود أي بيان زيوفها وردبها وحاصله الرد للمبالغة في رد مقالهم وأنه كالزيوف من الدراهم والدنانير في عدم الرواج والخطط بكسر الخاء جمع خطة بكسر الخاء وهي الديار وأراضيها .

قوله : (ثم إن الحرب سجال لا يدري عاقبتها) هذا مثل مستعار من المساجلة وهي المناوبة في السفى من السجل وهو الدلو العظيم والمراد أنه كل من زاولها يغلب تارة ويكون مغلوباً تارة أخرى ولا اعتماد على شوكة وكثرة إذ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة قوله لا يدري عاقبتها بيان ما هو المراد من هذا القول والقول بأنه مثل لمن غلب مرة فلا يناسب هنا إذ لم يقاتل بعد قيل إنه غير مسلم فإنه يقال لمن لم يقاتل أصلاً وقيل في الجواب عنه بأن المقصود بهذا الكلام الكناية عن عدم الوثوق بأمر الحرب لا معناه الحقيقي ولا يخفى عليك أن معنى هذا الكلام الإفادة بعدم الوثوق بأمر الحرب فإنه لو سلم أنه يقال لمن غلب مرة فمعناه أيضاً عدم الاعتماد بأسباب الحرب والجواب ما ذكر أولاً من أنه يقال لمن لم يقاتل .

قوله : ﴿وجعلوا أعزة أهلها أذلة﴾ ينهب أموالهم وتخریب ديارهم إلى غير ذلك من

قوله : بادعائهم القوى الذاتية والعرضية القوة الذاتية هي الشجاعة المدلول عليها بقولهم أولو بأس والقوة العرضية هي العدد والأسباب المدلول عليها بقولهم نحن أولو قوة ودلالته على عرضية القوة والقوة بحسب أصل الوضع أعم لوقوعه في مقابلة القوة الذاتية المستفادة من قولهم أولو بأس فإن المراد بالباس على ما فسرهم رحمه الله هي الشجاعة وهي قوة ذاتية جبيل الإنسان عليها .

قوله : إن الحرب سجال هو من المساجلة بمعنى المفاخرة بأن تصنع مثل صنعه في جرى أو سقى وأصله من السجل بمعنى الدلو قال الفضل بن عباس من يساجلني يساجل ما جلد بملء الدلو ومته الحرب سجال وتساجلوا أي تفاخروا كذا في الصحاح .

(١) والتعبير بالإحساس مع أن المقاتلة ليست من الأمور المحسوسة للمبالغة كأنها لكمال إدراكها مرادهم أحست به .

الإهانة والأسر) «وجعلوا أعزة أهلها أذلة» لكسر شوكتهم هذا الجعل بالفعل ولذا قال بنهب أموالهم الخ ومغايرة هذا الجعل للإفساد مع أن الظاهر الإفساد أيضاً لشموله بالأسر ونحوه دون الإفساد والملائم لقوله أفسدوها وأذلوا أعزة أهلها مع أنه أخصر لأن في هذا الإطناب المبالغة في الجعل حيث صرح به.

قوله: (وكذلك يفعلون تأكيد لما وصفت من حالهم وتقرير بأن ذلك من عادتهم الثابتة المستمرة أو تصديق لها من الله تعالى عز وجل) وكذلك يفعلون المشار إليه بذلك مصدر يفعلون والكاف للعينية لا للتشبيه ولهذا قال تأكيد لما وصفت من حالهم أي ومثل هذا الفعل يفعلون مستمراً والتعبير بالفعل للاختصار فهو مفعول مطلق له وصيغة البعد للتسهيل قوله وتقرير بأن ذلك من عادتهم الخ هذا مستفاد من التعبير بالمضارع ويفهم منه جواز كون الكاف للتشبيه لا للعينية فعلى هذا يكون تأسيساً لا تأكيداً وكذا إذا كان مرجع التضمير سليمان ومن معه لكنه خلاف الظاهر لأن سليمان عليه السلام داخل في الملوك كما هو الظاهر قوله أو تصديق لها الخ فيكون الكاف للعينية لا غير اخرة لأن توسط تصديق الله تعالى بين كلامي بلقيس مما يشوش الكلام وإن صح بكونه من قبيل الاعتراض.



قوله تعالى: وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾

قوله: (بيان لما ترى تقديمه من المصالحة والمعنى أنني مرسله رسولاً بهدية ادفعه بها عن ملكي) بيان لما ترى تقديمه الخ أي لما زيفت رأيهم حاولت بيان ما هو المختار عندها وإنما قال لما ترى تقديمه ولم يقل لما ترى من الصلح لأن الحال غير معلومة لها وعن هذا قال المص في بيان مرادها من حاله حتى أعمل بحسبه قوله ادفعه بها عن ملكي أي أقصد دفعه بها عن ملكي لكن هذا القصد لم يغد قوله رسولاً إشارة إلى أن مفعول مرسله محذوف حذف لظهوره ولضيق المقام عن تفصيل الكلام.

قوله: (فناظرة) أي فإني ناظرة عطف على مرسله بالقاء لأن الإرسال سبب له والنظر بمعنى الانتظار أي فإني منتظرة ومترقبة بم أصله بما استفهام حذف ألفه «يرجع المرسلون» (النمل: ٣٥) أي رسولاً ومن معه.

قوله: تأكيد لما وصفت من حالهم بقوله إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وتقرير بأنهم من عادتهم الثابتة المستمرة هذا التأويل على أن يكون وكذلك يفعلون من مقول قول بلقيس ومعنى الاستمرار مستفاد من صيغة المضارع وهي صيغة يفعلون الدالة على الاستمرار التجديدي وقوله أو تصديق لها من الله عز وجل على تقدير أن يكون هو كلام الله تعالى قاله تصديقاً لما قالته بلقيس من أن الملوك إذا دخلوا الآية فلا يكون من مقول قولها وهذا ملخص كلام الراغب حيث قال ويجوز أن يكون خيراً عن الله تعالى يخبر نبينا صلوات الله عليه وسلامه فيعرض بين جمل ما يحكى تصديقاً له ثم قال عائداً إلى حكاية قولها وأنا مرسله إليهم ويجوز أن يكون حكاية على معنى أن الملوك تأثيرهم في القرى التي يدخلونها تخريبها وكذلك يفعل هؤلاء يعني سليمان عليه السلام وخيله هذا فعلى الوجهين يكون جملة «وكذلك يفعلون» تذيلاً للكلام السابق وتقريراً له.

قوله: (من حاله حتى أعمل بحسبه فلك) من حاله بيان لما وهي قبول الهدية فيقع المصالحة ويرفع المنازعة أوردها فحيثما يقع لنا رأي آخر قوله حتى أعمل بحسبه إشارة إلى ما ذكرناه.

قوله: (روي أنها بعثت منذر بن عمرو في وفد وأرسلت معهم غلماناً على زي الجوارى وجوارى على زي الغلمان وحقاً فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب) ولعمد الجزم بذلك قال روى الخ منذر بن عمرو وهذا رسول متبوع جعله رئيساً لكونه من أشرف قومها في وفد مع وفد أي جماعة تابعة له الأولى في جماعة بدل في وفد وحقاً بضم الحاء وتشديد القاف بمعنى الحقة درة أي درة كبيرة الظاهر أنها واحدة فإنها كافية في التجربة عذراء أي لم تثقب وهو استعارة حسنة غريبة إما استعارة مكنية وتخيلية أو استعارة مصرحة فذكر العذراء وأريد عدم الثقب وجزعة بكسر الجيم وسكون الزاي والعين المهملة نوع من الجواهر ملون معوجة الثقب لثلا يمكن إدخال سلك فيها بحسب زعمها.

قوله: (وقالت إن كان نبياً ميز بين الغلمان والجوارى وثقب الدرة ثقباً مستوياً وسلك في الخرزة خيطاً) وقالت إن كان نبياً الخ فيه دليل على أنها وقومها لم يعرفوا أنه نبي بالقاء الكتاب إليها على تلك الحالة لكنه لا ينافي كونه من أعظم الدلالة على رسالته ولا يضر قوله فيما سبق من أنه ليس الأمر فيه بالانقياد قبل إقامة الحجة الخ وجعل ثقب الدرة ثقباً مستوياً من أمانة نبوته غير ظاهر.

قوله: (فلما وصلوا إلى معسكره ورأوا عظم شأنه تقاصر إليهم نفوسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبريل بالحوال فطلب الحق وأخبر عما فيه) إلى معسكره اسم مكان أي محل المعسكر تقاصر إليهم نفوسهم وأنهم نظروا إلى أنفسهم وتعديته يالئ لتضعنه معنى راجعة إليهم والمعنى أنه اتضح لهم أنهم محقرون بالنظر إلى شوكة سليمان عليه السلام وأنهم نظروا مقاصرين أي محقرين ضد التناول بمعنى التعظم مع أنهم مفتخرون بأنهم أولو قوة وأولو بأس شديد.

قوله: (فأمر الأرض فأخذت شعرة ونفذت في الدرة وأمر دودة بيضاء فأخذت الخيط ونفذت في الجزعة ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الأخرى ثم تضرب بها وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية) فأمر الأرض وهي دوية تثقب الأشجار وأفسدتها قوله نفذت بالمعجمة أي خرقتها بدخلها فأخذت شعرة قبل الفاء فصيحة أي فثقتها فأخذت شعرة قوله كما يأخذ الكاف للقرآن.

قوله: فيه درة عذراء وجزعة العذراء البكر فإذا وضعت به الدرة يكون المراد بها ما لم تثقب والجزعة بالزاي المعجمة المفتوحة واحدة من الحزب اليماني وهو الذي فيه بياض وسواد يشبه به الأعين.

قوله: تقاصر إليهم نفوسهم أي عدت نفوسهم متقاصرة عنهم.

قوله: فأمر الأرض الأرضة بالتحريك دوية تأكل الخشب.

قوله تعالى: فَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ عَلَىٰ مَلَكٍ فَقَالَ تَتَّبِعُنِي يَهْدِيَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ فَأَخَذَ بِأُذُنِ الْأَسْثِنِ الْأَيْمَنِ فَنَسِيَ الْيَمَنَ فَكَانَ مِنَ الْمُنْقَرِبِينَ ﴿٣٦﴾

قوله: (أي الرسول أو ما أهدت إليه وقرئ فلما جاؤوا) أي الرسول مع الهدية بقرينة الجواب أو ما أهدت إليه وهو المقصود لكن نسبة المجيء إليها مجازاً أو المجيء مجاز عن الوصول ولهذا آخره مع كونها مقصودة وتذكير جاء ح باعتبار ما أهدت كما قال الغاء في فلما جاء فصيحة أي أرسلت رسولاً بهدية عظيمة فجاء الرسول إلى سليمان مع هدية فلما جاء سليمان الخ وقرئ فلما جاؤوا أي الرسول ومن معه وهذا يؤيد كون المرجع رسولاً في القراءة بالمفرد قال عقيب مجيئه بلا تلثم.

قوله: ﴿فَقَالَ أَتَمْدُونِي﴾ الاستفهام للإنكار الواقعي للتوبيخ إذ الإمداد بناء على الاحتياج ولا احتياج لي كما سيجيء.

قوله: (خطاب للرسول ومن معه أو الرسول والمرسل على تغليب المخاطب وقرأ حمزة ويعقوب بالإدغام وقرئ بنون واحدة وبنونين ويحذف الياء) خطاب للرسول أي منذر بن عمرو فإنه رئيسهم ولذا قال ومن معهم وإلا فكلهم رسول ولما كان رئيسهم أصلاً في المجيئة أسند المجيء إليه في القراءة الأولى والإمداد بمال وقع من جميعهم ولهذا اختير الجمع في الخطاب قوله أو الرسول والمرسل على تغليب المخاطب على الغائب وإنما جوزه لأن الإمداد بمال وقع من بلقيس بالأصالة ومن قومها بالتبع فأنكشف منه أن إسناد الإمداد إليهم مجاز عقلي وأيضاً إن في الاحتمال الثاني تغليبين تغليب المخاطب على الغائب وتغليب ما هو له على غير ما هو له وفيه إطلاق الجمع على الاثنين وفيه أيضاً أطلق المرسل على المرسل بتأويل الشخص قوله بنون واحدة والمحذوف نون الوقاية والقراءة بنونين لتافع كما قيل.

قوله: (فما أتاني الله من النبوة والملك الذي لا مزيد عليه) فما أتاني الله الغاء للتعليل لأنه لما أنكر إمدادهم بمال علله بأن ما أعطاني الله خير مما أتاكم ولم يقل مما أنتموني مع أنه مقتضى السوق للمبالغة في ذلك لأن النبوة والملك الذي أعطي سليمان عليه السلام خير وأفضل من الملك الذي أوتي بلقيس فضلاً عن النبوة وإيقاع الإعطاء على بلقيس وقومها مع أن الملك للبلقيس للتنبيه على أنها مستعينة في ملكها عن قومها بخلاف سليمان عليه السلام وعن هذا قال فما أتاني الله ولم يقل فما أتانا الله (وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص بإسكان الياء وبإسقاطها الباقيون وبإمالتها الكسائي وحده).

قوله: على تغليب المخاطب أي على تغليب على الغائب الذي هو المرسل.

قوله: وقرئ بنون واحدة وبنونين أي قرئ أتمدونني وأتمدونن يحذف الياء اكتفاء بكسرة النون الثانية.

قوله: (فلا حاجة إلى هديتكم) أي ما ذكر دليل على ذلك وهو المراد اكتفى عنه بذكر دليله وفيه إشارة إلى أن الغرض من تفضيل حاله بيان عدم احتياجه واستغنائه بفضل الله تعالى لا الاختيار كما هو عادة الأبرار.

قوله: (ولا وقع لها عندي) أي لا اعتبار لها عندي فكثيراً لزخارف الدنيا كما هو عادة أبناء الدنيا فإنهم مع عدم احتياجهم يقبلون الهدايا.

قوله: (بل أنتم بهديتكم تفرحون) فيه حصران إن قيل إن تقديم بهديتكم للحصر أو حصر واحد إن قيل إن تقديمه لرعاية الفاصلة فقط.

قوله: (لأنكم لا تعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا) أي ما تشاهدونه منها والتمنع بزخارفها وأما باطنها فإنها ذريعة إلى الآخرة ووصلة إلى نيل نعمها وأنموذج لأحوالها فأنتم عنها غافلون.

قوله: (فتفرحون بما يهدي إليكم حياً لزيادة أموالكم أو بما تهدونه افتخاراً على أمثالكم) فتفرحون الخ أشار به إلى أن سبب فرحهم انحصار علمهم ظاهراً من الدنيا قوله: بما يهدي إليكم إشارة إلى أن الهدية مضافة إلى المفعول قوله أو بما تهدونه الخ فالإضافة حيثل إلى الفاعل.

قوله: (والإضراب عن إنكار الإمداد بالمال عليه وتعليله) عن إنكار الإمداد تنبيه على أن الاستغناء للإنكار التوبيخي قوله وتعليله إشارة إلى أن قوله فما أناني الله للتعليل كما نبهناك عليه آنفاً.

قوله: فتفرحون بما يهدي إليكم هذا على تقدير إضافة المصدر إلى مفعوله وقوله أو بما تهدونه على تقدير إضافته إلى فاعله.

قوله: والاضراب عن إنكار اللمداد بالمال وتعليله يعني أنكر سليمان عليه السلام أولاً إمدادهم له بالمال بهمة الإنكار حيث قال اتمدوني بمال ثم علل إنكار الإمداد بقوله: ﴿فما آتاني الله خير مما آتاكم﴾ [النمل: ٣٦] ثم اضرب عن مجموع الإنكار والتعليل بكلمة بل متوجهاً إلى بيان ما حملهم عليه أي إلى بيان ما أمر دعا بلقيس وأهل مشورتها على إهداء الهدية وذلك الأمر الحامل الداعي عليه هو قياس حال سليمان على حالهم حيث ظنوا أنه يفرح بالهدية مثلهم وإن حاله مثل حالهم في كون الهمة مقصورة على الحطام الدنيوية وتكثيرها أنكر عليهم نبي الله إمدادهم بالمال مآل إنكاره إلى تجهيلهم بأنهم غير عالمين بحاله وأنه غني عن ذلك ثم ترقى إلى الأخذ فيها هو الأهم من ذلك الإنكار وهو الإعلام بأن ما جعلوه سبباً للإمداد أنجح من ذلك الجهل وذلك أن قصارى أمرهم الفرح بما يهدي إليهم قاسوا حال نبي الله بحالهم في أن ليس الرضاء والفرح إلا بالحفظ العاجلة هذا إذا قدر إضافة المصدر إلى المهدي إليه الذي هو مفعوله وإما إذا جعلت الإضافة إلى المهدي الذي هو فاعله فالمعنى وأنتم بهديتكم هذه تفرحون فرح افتخار على الملوك بأنكم قدرتم على إهداء مثلهما والذي منح الله به من الدين والملك الواسع خير مما آتاكم فأن لا أفرح بمثل هذه المحقرات التي تفتخرون بها وأولى الضمير حرف الاضراب ليفيد

قوله : (إلى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو قياس حاله على حالهم في قصور الهمة بالدنيا) إلى بيان السبب متعلق بالإضراب أي خير له وهو قياس حاله عليه السلام على قياس حالهم قوله عليه متعلق بالإتكاف والضمير للرسول المتبوع أو لسليمان والجار والمجرور حال من الإمداد بالمال والأول أوفق .

قوله : (والزيادة فيها) أما في الصورة الأولى فظاهر وأما في الثانية فإنها وإن كان يرى نقصاً لكنه زيادة أيضاً لأنه بها يدفع المضرة والتسلط على الملك فلذا قالت بلقيس ادفع بها عن ملكي .

قوله تعالى : **أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأَيِّبَنَّهُمْ بِمِثْوَرٍ ۖ لَا يَخْلُ لِمَ بَيَّاهَا وَلَتُنْجِرَنَّهُمْ بِنَهَا أَيْدِيَهُمْ وَأَنَّهُمْ سَخِرُونَ** (٣٧)

قوله : (ارجع أيها الرسول إلى بلقيس وقومها) ارجع الظاهر أنه راجع إلى الرسول وأمر له وجوز في الكشف أن يكون للهدد .

قوله : (فلنأينهم بجنود) الظاهر أن اللام ابتدائية والجملة خبرية وقيل اللام جواب القسم والفاء جواب شرط مقدر أي إن لم يأتوني مسلمين فلا يتوهم أنه حث في يمينه إذ لم يقل إن شاء الله وكذا الكلام في كونه خبراً فإنه يلزم الكذب والأولى أنه قال إن شاء الله إذ عدم النقل لا يستلزم عدم الذكر وأما ما ذكره القائل من التقدير إن لم يأتوني مسلمين فبعد إذ لم يساعد الوقت ذلك كما يدل عليه بقية القصة .

قوله : (لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على مقاتلتها وقرىء بهم من سبأ بذهب ما كانوا فيه من العز أسراء مهانون) لا طاقة أي القبل بمعنى الطاقة إذ أصله بمعنى المقابلة

أنتم خصوصاً تفرحون بها ويجوز أن يعبر معنى تفوى الحكم من التركيب ولا يعبر معنى التخصيص فيفيد مطلق الرد أي أنتم لا بد لكم أن تفرحوا بمثل هذه المحقرات اتحدوني بمال وتزعمون أن من عادتي أن أفرح بأخذ الهدية بل أنتم من شأنكم أن تفرحوا به فخذوها وافرحوا وهذا معنى ما قاله صاحب الكشف من أنه يحتمل أن يكون عبارة عن الرد كأنه قال بل أنتم من حثكم أن تأخذوا هديتكم وتفرحوا بها .

قوله : أيها الرسول يعني أن الخطاب بأرجع إلى الرسول أي المأمور في أرجع مفرد والمقدم ذكرهم جماعة بدليل قوله هم يرجع المرسلون فيحتمل على المصدر كقولهما أنا رسول رب العالمين وقيل الخطاب للهدد كما في قوله اذهب بكتابي هذا ويؤيد الأول قولها فناظره بم يرجع المرسلون لأن المعنى أتى رسالة إليهم بهدية أصانهم بها وادافعهم عن ملكي فناظره ما يكون منه حرياً أو مسلماً حتى أصعل على حسب ذلك فإن نبي الله عليه السلام لما وقف على أن الهدية كانت مصانة منها وأنها خالفت ما أراد منها بقوله ﴿ألا تعلموا علي وأتوني مسلمين﴾ احتد وغضب حمية للإسلام ولذلك عقب الأمر بالرجوع بالجملة القسمية المثبتة للذل والصغار جزاء على ذلك الصنع مرتباً عليه بالفاء الجزائية فقال : ﴿فلنأينكم﴾ الآية .

قوله : لا طاقة لهم بمقاومتها حقيقة القبل المقاومة والمقابلة أي لا يقدر أن يقابلهم .

بالمقابلة جعل كناية عن القدرة عليها والجزم بذلك إما بالوحي أو بحسب العادة فلا إشكال بأنه كم فئة قليلة غلبت فئة كثيرة فكيف يجزم بها والفرق بين الذلة والصغار أن الذلة بالنسبة إلى ذهاب العز عنهم يذهب مالهم وجاههم والصغار بكونهم أسراء محقرين وللمبالغة فيه اختير الجملة الاسمية .

قوله تعالى : **قَالَ يَأَيُّهَا الْمَلَأُوا إِلَيْكُمْ يَأَيُّهَا عَرْشَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَنِي مُسْلِمٌ** ﴿٣٨﴾

قوله : ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ أَيُكُم يَأْتِيَنِي بِعَرْشِهَا﴾ [النمل : ٣٨] أراد بذلك أن يريها بعض ما خصه الله تعالى به من العجائب الدالة على عظم القدرة وصدقه في دعوى النبوة ويختبر عقلها بأن يتكرر عرشها فينظر أتعرفه أم تنكره) قال يا أيُّها الملا المراد من الملا الجن والإنس بقرينة قوله قال عفريت من الجن والملا في الأصل جماعة تملأ الميرون لشرافتهم لكن المراد هنا ما ذكرناه ولا بعد في أن يكون المراد أشراف الجن والإنس قيل وكان الرسول رجع إليها وأخبرها بعظمته فعرفت أنها لا تقاومه فحفظت عرشها وتجهزت للخروج إليه ولا يخفى عليك أن ما ظهر من القصة أنه عليه السلام قال : ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾ [النمل : ٣٨] الآية عقب فراق الرسول عن مجلسه ولا يساعد الوقت ما ذكر في الرسول ورجوعه .

قوله : ﴿فَإِنَّمَا إِذَا أَتَتْ مُسْلِمَةٌ لَمْ يَحِلْ أَخْذُهُ إِلَّا بِرِضَاهَا﴾ علة لإتيان العرش قبل إسلامهم وتخصيص بلقيس بالذكر مع العموم في النظم لأنها متبوعة قبل هذا مروى عن قتادة وليس هذا غنية ولم يذكر أحد أنه أخذه لملكه وإنما أراد إظهار معجزته وقوته انتهى وهذا صريح في كلام المص حيث قال أراد بذلك أن يريها الخ ووجه كلامه هنا أن إثبات اليد على مال مسلم بغير رضاه محظور فلذا قيده به فقال قبل أن يأتوني وأما ما يفهم منه من حل أخذه قبل إسلامها فلأنه مال حربي يجوز إتلافه بنحو حرق وهدم وإتلاف بلا رضاه كما صرحوا به في أخذ مال الكفرة في شرع من قبلنا بخلاف مال المسلم فلا وجه للإشكال بأن الغنائم لم تحل قبل نبينا وأيضاً لا يرد عليه بأن هذا لا يناسب رد الهدية وتعليقه بقوله : ﴿فَمَا أَتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ﴾ [النمل : ٣٦] الخ لأن هذا ليس بهدية كما أنه ليس بغنية لما عرفت من أن طلب إتيان عرشها ليس لطمع فيه فإن الأنبياء عليهم السلام بمعزل من ذلك لا سيما سليمان عليه السلام فإنه سخر له من الشياطين كل بناء وغواص فأتى بتوهم أن هذا لطمع عرشها ثم قيل مع أن الظاهر أنه بالوحي فيجوز أن يكون من خصوصياته لحكمة^(١) كما أشاروا إليه فلا إشكال أصلاً ولا يخفى أن هذا ينافي أن حل

قوله : ﴿فَإِنَّمَا إِذَا أَتَتْ مُسْلِمَةٌ لَمْ يَحِلْ أَخْذُهُ عَلَى مَا رَوَى عَنْ قَتَادَةَ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَأْخُذَهُ قَبْلَ أَنْ تَسْلِمَ لَعَلَّمَهُ أَنَّهَا إِذَا اسْلَمَتْ لَمْ يَحِلْ لَهُ أَخْذُ مَالِهَا .

(١) إلا أن يقال إن هذا رخصة لحكمة دعت إليه إذ كم من حرام يرخص تملكه وتناوله لسبب دعا إليه وبهذا التدفع الإشكال بالمرة .

الغنائم من خصائص نبينا عليه السلام مع أنه احتمال لا يقوم عليه^(١) دليل.

قوله تعالى: قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْإِنِّ أَنَا مَا لَكَ بِهِ قَوْلٌ أَنْ تَقُولَ مِنْ مَقَامِكَ وَلَئِنْ عَلَيَّ لَقْوَىٰ آمِينَ ﴿٣٩﴾

قوله: (قال عفريت خبيث مارد) قال استئناف ولذا ترك العطف عفريت التاء زائدة للمبالغة وللتنبية عليه قال خبيث ثم قال مارد وهو الذي لا يعلق بخير وأصل التركيب للملابسة ومنه صرح مارد وغلّام أمرد.

قوله: (بيان له لأنه يقال للرجل الخبيث المنكر) بيان له أي من اللبيان أي عفريت الذي هو الجن أي بعض من الجن والظاهر أن من للتبعيض ومبين لما هو المراد.

قوله: (المعفر أقرانه وكان اسمه ذكوان أو صخرأ) المعفر أقرانه أي يغلب أقرانه فيصرعه ويمرغه في التراب فالتعفير هو التمرغ في التراب على وجه الخبث والشرارة ومراده أنه بحسب الأصل والاشتقاق لا يختص بالجن وعن هذا بينه من الجن للاحتراز عن الرجل الخبيث من الإنسان.

قوله: (أنا أتيك) يحتمل الفعلية والاسمية وعلى التقديرين يفيد التخصيص على زعمه أو تقوية الحكم.

قوله: (من مجلسك للحكومة) ولعل التخصيص بالرواية وفهم من هذا الجواب أن مراده عليه السلام أيكم يأتيني بعرضها في أسرع وقت.

قوله: (وكان يجلس إلى نصف النهار) وكان يجلس أي الغداة إلى نصف النهار على الاستمرار.

قوله: (وأنى عليه) جملة تذييلية تؤكد لمفهوم الكلام ولهذا اختير الجملة الاسمية مع تأكيدها بأن.

قوله: (على حملة) لم يقل على إتيانه مع أنه مقتضى السوق إعلاماً لطريق إتيانه وحملة بمجرد القوة لا بالإعانة ولذلك قال لقوي ولم يقل قادر وكونه أميناً بالنظر إلى إتيان العرش ولا يتأق به كون خبيثاً مارداً في نفسه.

قوله: لأنه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر أقرانه أي لأن لفظ المعفريت يقال ويطلق على مثل ذلك الرجل قال الجوهرى العفر بالتحريك التراب وعفره في التراب يعفره بالتخفيف وعفره تعفيراً أي مرعه في التراب وفي الأساس عفر قرنه وعافرته الزمه بالعفر أي صارعه فاعفره أي ضرب به للأرض قال أبو عبيدة المعفريت من كل شيء المبالغ يقال فلان عفريت نفریت وفي الحديث إن الله يبغض العفريّة النفريّة الذي لا يرضى أي في أهل ومال والعفريّة المصحح والنفريّة اتباع.

(١) وما لا دليل عليه لا يعاب به.

قوله: (لا اختزل منه شيئاً ولا أبدله) لا اختزل بالخاء والزاى المعجمتين بمعنى لا اقتطع شيئاً من جواهره وفرائده ولا أبدله قيل وإنما عبر عن القدرة بالقوة للحاجة في تحصيل ما ذكر إلى القدرة بالقوة أشار به إلى أن القوة وضع أولاً للمعنى الموجود في الحيوان الذي يمكنه أن يصدر عنه أفعال شاقة وقال الإمام ولهذه القوة مبدأ وهو القدرة ولازماً وهو عدم الانفعال بسهولة فاتضح الفرق بين القوة والقدرة لكن المراد بها القدرة وذهب الفاضل الخياي إلى الترادف ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب﴾ [النمل: ٤٠] وهذا أبلغ من قال ذو علم وإن كان أطنب فإنه يفيد تقرر العلم فيه تقرر المظروف في الظرف ولم يضاف إلى الكتاب لأن فيه إجمالاً وتفصيلاً وأيضاً يفيد التنكير أنه نوع من العلم بديع وهو العلم اللدني وعن هذا قيد بالكتاب.

قوله تعالى: قَالَ أَلَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِي رَبِّي يُسَلِّفُ لَوْ أَن شِئْنَا أَن نَّكُفِّرَ بَدَلًا يُشْكِرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ عَزِيزٌ ذُو قُوَّةٍ



قوله: (أصف بن برخيا وزيره أو الخضر أو جبرائيل أو ملك أبداه الله تعالى به) أصف بن برخيا وعليه الجمهور نقل عن القرطبي ولذا قدمه قيل إنه كاتب سليمان وبهذا احتج أهل الحق على جواز الكرامات ووقعها حيث أتى أصف على الأشهر بعرض بلقيس قيل ارتداد الطرف مع بعد المسافة كذا في شرح العقائد لكن قيل إن المحتمل لا يكون حجة والجواب أنه وإن احتمل غيره لكنه مؤيد بنوع آخر من الكرامات.

قوله: (أو سليمان نفسه) ولا يرد الخطاب في قوله آتيك لأن الخطاب للعفريت كما صرح به المص والمعترض ذهل عنه قوله أنا آتيك مع أن الإتيان ليس للعفريت لأنه صار سبباً صورياً لإتيانه بهذه الكيفية ولا يرد أيضاً قوله فلما رآه إذ المناسب حينئذٍ فلما أتى به إذ المراد ليس الإخبار بالرؤية بل الرؤية مستقراً عنده وهذا لا يلائم الإتيان والقول بأنه لإظهار لا حول ولا قوة فيه يرد التعمير أولاً بالإتيان.

قوله: (فيكون التعبير عنه بذلك للدلالة على شرف العلم وإن هذه الكرامات كانت بسببه) فيكون الخ وكذا التعبير عنه بذلك في الاحتمالات الأولى للدلالة على شرف العلم وأن ما قدر عليه ليس بقوة جسمانية بل بقوة روحانية لا سيما في الاحتمال الأول فإن الآخرين يمكن فيهما بقوة جسمانية لكن المراد هنا قوة روحانية قوله وإن الكرامات أي

قوله: لا اختزل منه شيئاً الاختزال الاتقطاع يقال اختزل عن القوم.

قوله: فيكون التعبير بذلك أي على تقدير كون المراد به سليمان نفسه يكون التعبير عنه بالذي عنده علم الكتاب للدلالة على شرف العلم ويكون الخطاب في أنا آتيك به من سليمان للعفريت فكان سليمان عليه السلام استبطأ أي عد الاتيان بالعرش قبل القيام من المجلس بطيئاً فقال له أنا آتيك ما هو أسرع مما تقول.

المعجزة بقرينة قوله أو أراد إظهار معجزة وجه التعبير لأنها مما أكرمه الله تعالى ولعل اختياره للإشارة إلى أن كرامة أصف بسبب العلم بل الأخيرين أيضاً وإنما خص البيان بالأخير لأنه لما كان صاحب النبوة احتاج إلى بيان وجه اختيار العلم على النبوة.

قوله: (والخطاب في أنا أتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك للعفريت كأنه استبطأه فقال له ذلك أو أراد إظهار معجزة في نقله)^(١) والخطاب في أنا أتيتك أي على الاحتمال الأخير وقد مر توضيحه قوله كأنه استبطأه كان هنا للتحقيق لا للظن قوله أو أراد إظهار معجزة كلمة أو لمنع الخلو في نقله أي في نقل عرشها في أسرع وقت فعلى هذا ينبغي أن يكون الخطاب لكل أحد لكنه خص بالعفريت لأنه سبب صوري للإتيان وإلا فالإتيان له عليه السلام لا غير لكن يفهم بإشارة النص أنه معجزة لكل أحد من شأنه أن يطلب المعجزة.

قوله: (فتحدهم أولاً ثم أراهم أنه يتأني له ما لا ينتهي لمعارف الجن فضلاً عن غيرهم) فتحدهم أولاً ولا تحدي هنا بل السوق لإتيان العرش لكن لما كان بعضهم منكراً نبوته كالعفريت فإنه خبيث مارد كما صرح به المص كان هذه المحاورة التخدي بالآخرة وإن كان الكلام مسوقاً لإتيان عرشها إذ أفكار الأبرار مائلة إلى أبواب الدين في كل ما يظهر لهم من أمور الدين والدنيا كذا صرح به المص في سورة طه في قوله تعالى: ﴿أو أجد على النار هدى﴾ [طه: ١٠].

قوله: (والمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة أو اللوح وآتيك في الموضعين صالح للفعلية والاسمية والطرف تحريك الأجفان للنظر فوضع موضعه) والمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة أي جميعها المنزلة في هذا الزمان والتوصيف به مع أن العلم لا يكون إلا من الكتاب لتفخيم شأن العلم أو احتراز عن علم لا ينفع قوله أو اللوح أي على الثالث والرابع كما أن الأول على الأول والثاني قوله وآتيك الخ لكن الفعلية راجع لإفادة تقوي الحكم ولهذا قدمه فوضع موضعه أي موضع النظر وغير عن النظر به مجازاً لكونه سبباً له ولا مانع من الحمل على ظاهره لكن الارتداد أظهر في النظر.

قوله: (ولما كان يوصف الناظر بإرسال الطرف كما في قوله:

وكنت إذا أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً أتمبشك المناظر

قوله: وصف بالرد بالارتداد هو جواب لما أي لما وصف الناظر بإرسال الطرف إذ يقال فلان مرسل الطرف كما في البيت وصف بسبب رده الطرف بالارتداد أي بارتداد الطرف يقال فلان مرتد الطرف قال الإمام الطرف تحريك الأجفان عند النظر فإذا فتحت الجفن فقد يتوهم أن نور العين امتد إلى المريء وإذا غمضت فقد يتوهم أن ذلك النور ارتد إلى العين فكما وصف الشاعر

(١) ولا يبعد أن يكون الخطاب على الأخير نفس سليمان عليه السلام بطريق التجريد نحو قول امرئ القيس تطاول ليلك بالأمم.

وصفه برد الطرف والطرف بالارتداد والمعنى أنك ترسل طرفك نحو شيء فقبل أن ترده أحضر عرشها بين يديك وهذا غاية في الإسراع ومثل فيه) ولما كان يوصف الناظر الخ شروع في وجه التجوز في ارتداد النظر وبيان له بأنه لما عبر عن النظر بالإرسال تعبيراً شائعاً بحيث يلحق الحقيقة والإرسال الإطلاق والتسريح إما لتوهم أن النور امتد من العين إلى المرئي وإما لتهيئة آلات للتحريك وتوجيهها نحو المنظور فغير عن مقابله بالرد لذلك فيكون استعارة مبنية على استعارة أخرى أو مشاكلة كذا قيل وفيه رمز إلى مذهب الحكماء في وجه رؤية العين لكن لا ضير في تفهيم المراد والمعنى أي معنى الآية على أي احتمال كان أي يقول أصف لسليمان مد طرفك وقيل رد طرفه أحضر عندك عرشها وكذا يقول جبريل أو ملك أبده الله به هكذا أو يقول سليمان لعزيرت ذلك وكنت الخ هو لعبد الله بن طاهر الحماسي وبعده:

رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر
والرائد الذي يتقدم القوم لطلب الكلأ لهم وهو حال قاله الإمام المروزي أنتعكت
جواب إذا والمناظر جمع منظر قوله رأيت الذي تفصيل لقوله أنتعكت المناظر إذا جعلت
عينك طالبة لقلبك ما يهواه أوقعتك في المشاق التي لا تقدر على تحصيلها ولا تصبر
على تركها.

قوله: (رأى العرش) فاعل فلما رآه فاعل قال على^(١) الأخير.

قوله: (حاصلاً بين يديه) معنى مستقراً عنده ذهب ابن مالك إلى أن كون متعلق
الظرف واجب الحذف إذا كان عاماً كحاصلاً ومستقراً أغلبي واختاره المص وإلا فينبغي أن
يفسر مستقراً هنا بأنه ساكن غير متحرك أو اختار كون الظرف متعلقاً برآه والمراد بالساكن
أنه قادر على حاله الذي كان عليه ففيه فائدة عظيمة.

ابتداء النظر بالإرسال وصف العالم الانتهاء بالرد ثم أسند الارتداد إلى الطرف على الاستناد
المجازي وما بعد هذا البيت:

رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر
قال المروزي رائداً حال وجواب إذا اتعبتك وقوله رأيت الذي تفصيل لما أجمله اتعبتك
المناظر والرائد الذي يتقدم القوم لطلب الكلأ لهم المعنى إذا جعلت عينك رائداً لقلب يطلب له
هواه فيتبعك مناظرها وأوقعتك مواردها في أشق المكان وذلك أنها تهجم بالقلب في ارتدادها له
على ما لا تصبر في بعضه على فراقه مع مبهجات اشتياقه ولا يقدر عن السلوى عن جميعه فهو
ممتحن الدهر ببلوى ما لا يقدر على كله ولا يصبر عن بعضه وعن بعض الحكماء من أرسل طرفه
استدعى حنقه وفي المثل الرائد يكذب أهله لأنه إن كذب هلك معهم قيل الشعر لعبد الله بن
طاهر بن الحسين.

(١) وأما في الجواني فضعير فلما رآه لسليمان عليه السلام فحيث يتلزم تكفيك الضمير ولا ضير فيه.

قوله تعالى: ﴿ومن شكر﴾ من قيل التكميل والاحتراس.

قوله: (تلقياً للنعمة بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد الله) تلقياً للنعمة بالشكر للاسترداد وجلب زيادة النعمة قال تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ [إبراهيم: ٧] قوله على شاكلته أي على طريقتهم التي تشاكل حالهم في الهدى ثم الأولى تلقياً بالانعام إذ الشكر له أولاً وللنعمة ثانياً والمراد بالشكر اللغوي ويحتمل العرفي بالعناية.

قوله: (تفضل به علي من غير استحقاق) وهب لي بلا كسب مني قوله من غير استحقاق إشارة إلى ما ذكرناه إذ الاستحقاق بالكسب بحسب العادة فلا يتوهم سوء الأدب وقيل أي استحقاق بالذات ثم قال فلا يتوهم أنه سوء الأدب وفيه نظر.

قوله: (والإشارة إلى التمكن من إحضار العرش في مدة ارتداد الطرف) والإشارة إلى التمكن الخ أو إلى الحضور على هذه الكيفية وهو كونه ثابتاً في مقره وموضعه.

قوله: (من مسيرة شهرين بنفسه أو بغيره) لأنه تحول في أثناء ذلك من صنعاء إلى الشام كما قيل وإلا فمسافته من صنعاء ثلاثة أيام وقد عرفت أن الهدهد ذهب من صنعاء إلى سبأ قوله بنفسه أي بنفس سليمان عليه السلام أو غيره من آصف بن برخيا أو الخضر الخ لكن التمكن أي القدرة كونه مشاراً إليه يقتضي ظاهراً أن الإحضار من سليمان عليه السلام فالأولى كون الإشارة إلى الحضور.

قوله: (والكلام في إمكان مثله قد مر في آية الإسراء) لم يقل في وقوع مثله لأن الوقوع موقوف على الإمكان لأنه لو لم يكن ممكناً يحمل مثل هذا على المجاز وقد أشار إلى إمكانه وأخير الشرع بوقوعه فيجب على المكلف اعتقاده ولو أخبر الشارع بوقوع شيء واستحال ذلك الشيء عند العقل يحتاج إلى التأويل مثل قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥] وقد مر تحقيق ذلك في أوائل سورة الإسراء فليراجع إليه.

قوله: على شاكلة المخلصين أي على طريقتهم قال صاحب الكشاف والذي قاله سليمان عليه السلام عند رؤية العرش شاكراً لربه جرى على شاكلة أبناء جنسه من أنبياء الله والمخلصين من عباده يتلقون النعمة القادمة بحسن الشكر كما يشيعون النعمة المودعة بجميل الصبر.

قوله: (والإشارة إلى التمكن من إحضار العرش أي الإشارة بكلمة هذا إلى القدرة على إحضار العرش).

قوله: (والكلام في إمكان مثله قد مر في آية الإسراء) قال هناك واختلف في أنه كان في المنام أو اليقظة بروحه أو بجسده والأكثر على أنه أسرى بجسده إلى بيت المقدس ثم خرج به إلى السموات حتى انتهى إلى مدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوا والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة أن ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الأرض مائة ونيفاً وستين مرة ثم إن طرفها الأسفل يصل إلى موضع طرفها الأعلى في أقل من ثانية وقد برهن في الكلام أن الأجسام متساوية في قبول الاعراض وأن الله تعالى قادر على كل الممكنات فيقدر أن يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي عليه الصلاة والسلام أو في ما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات.

قوله: (ليلوني) أي ليعاملني معاملة الامتحان.

قوله: (بأن أراه فضلاً من الله بلا حول مني ولا قوة وأقوم بحقه) إشارة إلى أن المراد الشكر العرفي مع ملاحظة ما قبله.

قوله: (بأن أجد نفسي في البين أو أقصر في أداء مواجهه) بأن أجد نفسي في البين أي بأن أعتقد أن لنفسي مدخلاً في ذلك وهذا معنى البين هنا وحمل البين على البعد بعيد.

قوله: (ومحلها النصب على البدل من الياء) ومحلها أي محل الجملة وفي نسخة ومحلها أي محل أشكر أم أكثر النصب على البدل من الياء بدل الكل وكل واحد بدل البعض وقد جعله في سورة الملك مفعولاً ثانياً لفعل البلوى لتضمنه معنى العلم ثم قال وليس هذا من باب التعليق لأنه يخل بها وقوع الجملة خيراً فلا تعلق الفعل عنها بخلاف ما إذا وقعت موقع المفعولين وأثبت التعليق في سورة هود والتوفيق بين كلاميه مذكور في سورة هود فلا تغفل قبل المناسب لما سيأتي في سورة الملك أن يجعل الجملتان واقعيتين موقع المفعول الثاني لفعل البلوى.

قوله: (لأنه به يستجلب لها دوام النعمة وتزايدها ويحط عنها عبء الواجب ويحفظها عن وصمة الكفران عن شكره) لأنه به يستجلب لها الخ أشار إلى أن منفعة الشكر راجعة إليه فقط فسارعوا إلى الكفر لاستجلاب المنفعة الدنيوية والدنيوية والمراد بالنفس هنا ذاته والقصر قصر الموصوف على الصفة قدمه للمترغيب ولشرافته وإن كان قليلاً قال تعالى: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ [سبأ: ١٣] المتوفر على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه أكثر أوقاته مع أن شكره يحتاج إلى شكر آخر لا إلى النهاية ولذا قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر ﴿ومن كفر﴾ [النمل: ٤٠] من الكفران لا من الكفر حذف جزاؤه وهو فإنما يكفر على نفسه لأن ضرر كفره عليه لا يتعداه إلى غيره لظهوره بقرينة ما ذكر في قرينه وأقيم تعليقه مقامه وهو قوله فإن ربي غني عن الشكر إذ خزائنه «شحونة» به وهذا أولى مما قيل لا يتقرر إن لم يشكر.

قوله: (بالإعتماد عليه ثانياً) لأنه لا لغرض ولا لغرض فلا يترك لعدم شكره فالوصف المذكور من تمام التعليق وهذان الوصفان أوقع هنا وفي سورة لقمان ﴿ومن كفر فإن الله غني حميد﴾ [لقمان: ١٢] والمال واحد.

قوله تعالى: قَالَ تَزَكُّرُوا لَهَا عَزَّتْهَا نَنْظُرُ أَنْتُمْ تَكُونُونَ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾

قوله: (بتغيير هيئته وشكله) عطف تفسير وإطناب بل تطويل وإنما زاد لها لأن

قوله: ويحط عنها عبء الواجب العبء بالكسر الحمل وأنشد لزهير الحامل العبء الثقيل عن الجاني بغير يد ولا شكر ويقال لعدل المتاع عبء وهما عينان والجمع اعتباء.

قوله: بتغيير هيئته وشكله فالمعنى اجعلوه متغيراً متغيراً عن هيئته وشكله قالوا وسعوه وجعلوا مقدمه مؤخره وأعلاه أسفله.

المراد التنكير لها لا لغيرها ولا لها ولغيرها فاللام للبيان كما في هيت لك إذ الاختيار والامتحان لها وكونه منكراً مطلقاً لا بضر إذ المقصود نفس بلقيس والقيد تنبيه على ذلك حيث جاء باللام الاختصاصية نظيره قوله: ﴿أَهِكُم بِأَتْنِي عَرْشَهَا﴾ [النمل: ٣٨] مع أنه إذا أتى أتاهم جميعاً وكذا قوله أنا أتيتك به وله نظائر كثيرة والمراد بالتغيير التغيير في الجملة بحيث يحصل به الجهل به إذ التنكير جعل الشيء بحيث لا يعرف فلا إشكال في كلام المص أصلاً.

قوله: (جواب الأمر وقرئ بالرفع على الاستئناف) جواب الأمر أن قصد السببية وإن لم يقصد السببية يبقى المضارع على رفعه وعن هذا قال وقرئ: ننظر بالرفع على الاستئناف أي على الجواب عن سؤال يتضمنه ما قبله كأنه قيل ماذا أريد بالتنكير ورجح القراءة الأولى لأن ملاحظة السببية أمس بالمقام.

قوله: (إلى معرفته أو الجواب الصواب وقيل إلى الإيمان بالله ورسوله) إلى معرفته وهو الظاهر من التنكير ولذا قدمه أو الجواب الصواب بالجر معطوف على معرفته وقيل إلى الإيمان بالله ورسوله قوله إذ رأت الخ بيان للأخير مرضه لأن الإيمان بالله لا يحتاج إلى تنكير عرشها بل إيقاظه على حالته الأولى أعون على ذلك إلا أن يقال إن مراد القائل وإلى الإيمان بالله مع معرفته إذ الإيمان بدون المعرفة غير متصور فثبت الاعتناء إلى المعرفة اقتضاء لكونه لازماً متقدماً وبهذه النكتة الأنيقة ظهر صحة هذا الغرض أي كون الغرض من التنكير الاعتناء إلى الإيمان أو لم تهتد والجواب الصواب وهو جوابها حين سئلت بأنه أعرضك أم لا راجع إلى المعرفة وعلى كل احتمال تنازع الفعلان فيه.

قوله: (إذ رأت تقدم عرشها وقد خلفته مغلقة عليه الأبواب موكلة عليه الحراس) وقد خلفته الخ فيه إشارة إلى أنها ذهب من سبأ إلى سليمان عليه السلام فقيل قدومها أتى عرشها فلما وصلت إلى سليمان رأت عرشها والحال أنها قد خلفت ذلك العرش مغلقة الأبواب وهذه معجزة باهرة فلهاذا صح أن يقال أنهتدي إلى الإيمان وإنما اختير الإطناب حيث لم يجيء أنهتدي أم لم تهتد إذ المراد كونها من الطائفة الحمقى كما أشار إليه المص بقوله إذ ذكرت عنده سخافة عقلها والمعنى أم تكون أم يظهر كونها من زمرة الحمقى الذي لا قدرة لهم للمعرفة على ما هو عليه ولا الجواب المطابق للواقع فقوله أم لا تهتد لا يفيد ذلك والتعبير بقوله تكون لإفادة دوام ذلك^(١) كما أخبر وفي من الذين تغلب.

قوله تعالى: فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشِي قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكَأَنَّهُ سُبْحَانَ

قوله: (فلما جاءت) أي جاءت هي وقومها اللقاء فصيحة أي جاءت هي وقومها فلما جاءت الخ.

قوله : (تشبيهاً عليها زيادة في امتحان عقلها) الظاهر أن تشبيهاً تفصيل من الشبهة بقرينة تعديته يعلى أي إلقاء الشبهة والمعنى المتعارف تعديته بالباء وإن أريد معناه المتعارف فتعديته يعلى لتضمنته معنى التلبس وعلى التقديرين مراده به التعليل لقوله أهكذا عرشك لم يقل أهذا عرشك لثلا يكون تلقيناً للجواب فيختل الاختيار لأن كمال الامتحان بإلقاء الشبهة عليها .

قوله : (إذ ذكرت عنده سخافة عقلها) قالوا إن الشياطين قالوا إن يتزوجها سليمان عليه السلام فيولد منها ولد يجتمع له فطنة الجن والإنس لأنها كانت بنت جنة فيخرجون من ملك سليمان هو أشد وأقطع فعابوا له في عقلها شيء وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتكبير العرش وتعرف ساقها ورجلها باتخاذ الصرح على ما يأتي بيانه كذا قيل .

قوله : (ولم تقل هو هو لاحتفال أن يكون مثله وذلك من كمال عقلها) لاحتفال أن يكون مثله ولا يكون عينه فانت بكأن الدالة على غلبة الظن في اتحاده معه مع الشك في خلافه فكان هنا ليس للتشبيه بل للشك وهو مشهور كذا قيل وبيانه مختل لأنه فسرهُ أولاً بغلبة الظن ثم قال للشك والظاهر أنه للتشبيه مطابقاً لسؤالهم بقولهم أهكذا عرشك فأجابت بأحسن الجواب سواء كان علمها به متحققاً أو لا إذ لا مانع من حملها على التشبيه نقل عن صاحب الانتصاف أنه قال الفرق بين كأن وهكذا إن كان تفيد قوة التشبيه حتى كان المتكلم يشكك نفسه في تغايرهما ولفظ هكذا تفيد الجزم بتغايرهما والحكم بوقوع التشبيه بينهما فلذلك عدلت عنها وهذا الفرق ليس بمشهور عندهم والعهدة عليه والظاهر من كلام المص أن بلفظ علمته حيث قال إذ رأتها أن عرشها تقدم ثم قال هنا لاحتفال أن يكون مثله فبين الكلامين نوع تنافر ولو قيل إن قوله كأنه هو مثل قولك مثلك لا يبخل كناية عن أن يكون عينه ووجه التعبير به ليوافق قوله أهكذا عرشك لكان بعيداً عن الاضطراب إذ قد عرفت أن بيانهم مضطرب وسوق الكلام ينادي أنها علمت أنه عرشها وقد صرح به بعض المتأخرين .

قوله : (من ثمة كلامها) فحينئذ قولها وأوتينا العلم للتغليب ولم تقل علمنا مع أنه

قوله : تشبيهاً عليها وزيادة في امتحان عقلها وفي الكشف هكذا ثلاث كلمات حرف التنبيه وكاف التشبيه واسم الإشارة لم يقل أهذا عرشك ولكن أمثل هذا عرشك لثلا يكون تلقيناً فقالت كأنه هو ولم يقل هو هو أو ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل قال صاحب الانتصاف وفيه نكتة حسنة فإن الكاف كاف التشبيه في السؤال والجواب فحكمته أن كان عبارة من قوي عند الشبهة بينهما وكادت تقول هو هو وهكذا هو عبارة جازمة للأمرين حاكم بوقوع الشبه بينهما فالأول أشبه بحال بلفظ قال الطيبي إن كان مركبة من كاف التشبيه وأن على ما قالوا إن الأصل في قولك كان زيد الأسد إن زيدا كالأسد فلما قدمت الكاف فتحت الهمزة ليكون داخلًا على المفرد لفظاً والمعنى على الكسر بدليل جواز السكوت عليه فلا يكون قولك كان زيدا أسد غير التشبيه بتوكيد مضمون الجملة بأن مثل زيد كالأسد .

أخسر للإشعار بأنه من مواهب الله تعالى قوله من قبلها تأكيد لأوتينا لاحتمال كون المراد المستقبل عبر بالماضي لتحقق وقوعه .

قوله : (كأنها ظنت أنه أراد بذلك اختبار عقلها وإظهار معجزة لها) مدار الظن أن هذه العبارة مشتهرة في الاختيار لكن لا جزم فيه ولهذا قال كأنها ظنت الخ ولم يقل ظنت قوله وإظهار معجزة وهذا الظن من إتيان عرشها قبل إتيانها لكن هذا بناء على أنه يأتيه سليمان بنفسه وعلمها بأنه يأتيه قبل ارتداد طرفه وكل منهما مظنون ولهذا قال كأنها ظنت أنه أراد إظهار معجزة .

قوله : (فقالت أوتينا العلم بكمال قدرة الله تعالى وصحة نبوتك قبل هذه الحالة أو المعجزة بما تقدم من الآيات) بكمال قدرة الله مفعول العلم المقدر والتخصيص من مقتضيات المقام قوله قبل هذه الحالة أي هذه الخوارق العادة أشار إلى مرجع الضمير وزيادة لفظة من والمرجع مذكور حكماً فحينئذ يكون معنى قولها وكنا مسلمين وكنا مؤمنين ولما لم يكن العلم مستلزماً للإيمان بلا إذعان ذكرت وكنا مسلمين أي صرنا لأن إسلامهم بانتقال من الشكر .

قوله : (وقيل إنه من كلام سليمان وقومه عطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة على إيمانها بالله ورسوله حيث جوزت أن يكون ذلك عرشها) وقيل إنه من كلام سليمان وقومه بتقدير القول في الحكاية لا في النظم أي وقال سليمان وقومه عاطفين كلامهم على كلامها فعطفهم في المحكي ولا بد للعطف في الحكاية من تقرير القول لما فيها من الدلالة على إيمانها فيكون العطف على المعنى كذا قاله الفاضل المحشي لكن قوله عطفوه على جوابها لا يلائمه هذا التقرير لأن ظاهره يقتضي أنه عطف على مقدر اقتضاء المقام إذ المقام يقتضي وصفها بكمال العقل في الهداية إلى الإسلام فالتقدير أصابت وكيت وكيت وأوتينا العلم الخ كذا فهم من تقدير البعض لكن لا بد من تقدير القول أي وقال سليمان أصابت الخ إلا أن

قوله : عطفوه على جوابها فيه نظر لأن جواب بلقيس هو قوله كأنه هو وله محل من الإعراب منصوب على أنه مقول قالت وعطفه عليه يشتركه في حكم إعرابه فيلزم أن يكون هو أيضاً مقول قولها فحينئذ لا يكون هو كلام سليمان وقومه وقد فسر رحمه الله معنى العطف على أنه كلام سليمان وقومه والجواب عنه أن العطف إنما هو قبل الحكاية وجواب بلقيس قبل الحكاية لا محل له من الإعراب وإعرابه كان بعد الحكاية والعطف ليس بعدها قال صاحب الكشف في العطف كلاماً مبسوطاً حاصله أنه عطف على مقدر هو كلام سليمان أيضاً مع قومه فيكون عطفاً لأحد كلاميه على الآخر تقديره قد أصابت في الجواب وآمنت بالله الآن ونحن أوتينا العلم بالله من قبلها وكنا مسلمين يعنون أنها وإن أصابت في جوابها ورزقت الإسلام الآن ملقنة بالآيات السابقة الظاهرة عند وفدها والمعجزة اللاحقة التي هي حضور عرشها دفعة من مسيرة شهرين لكن أقدم منها في الإسلام ويكون غرضهم بكلامهم هذا التحدث والإعتراف بما أنعم الله عليهم من سبق عليها في الإيمان ولتقدم فيه شكراً له قوله تجوزاً له غالباً إشارة إلى النكتة المذكورة التي بينها صاحب الانشاص .

يقال إن وصل كلام إنسان بكلام إنسان آخر لا يبعد إذا دلت القرينة عليه كذا نقله الإمام عن الفراء في سورة يوسف فحينئذ لا يحتاج إلى تقدير القول ولهذا التكلف مرضه وأخره عكس الكشف والقرينة على أنه من كلام سليمان وقومه قولهم وكنا مسلمين لأنه بحسب الأصل يفيد أنهم دائمون على هذه الحالة لا يتصفون بخلافها أصلاً وإليه أشار بقوله لم نزل على دينه .

قوله : (نجويزاً غالباً وإحضاره ثمة من المعجزات) تجويزاً غالباً بقولها كأنه هو وقد مر ما فيه وما عليه قوله من المعجزات وهذا ظاهر في الاحتمال الأخير وكذا في أيدي الملائكة وإن كان أصف كما هو المختار فلأن كرامة الأمة معجزة لنبيه وهذا معنى ما قبل^(١) إقدار الله تعالى أصف معجزة لسليمان عليه السلام والمراد بالمعجزة ما يكون في صورة المعجزة من الأمور الخارقة للعادة الظاهرة في أيدي الأنبياء عليهم السلام وإن لم يكن معه تحد فإن استعمالها في هذا المعنى كثير .

قوله : (التي لا يقدر عليها غير الله تعالى ولا تظهر إلا على يد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أي وأوتينا العلم بالله وقدرته وصحة ما جاء من عنده قبلها وكنا متقادين لحكمه لم نزل على دينه ويكون فرضهم فيه التحدث بما أنعم الله عليهم من التقدم في ذلك شكراً له) لا يقدر عليها غير الله تعالى أي بطريق الكسب فلا مخالفة فيه لمذهب الأشاعرة .

قوله تعالى : وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾

قوله : (أي وصدها عبادة الشمس عن التقدم إلى الإسلام أو وصدها الله تعالى عن عبادتها بالتوفيق للإيمان) أي وصدها ومنعها بطريق السببية عبادتها الشمس أشار إلى أن ما مصدرية والمراد من دون الله الشمس والتعبير به للتنبيه على أن عبادة جميع من دون الله كذلك صدها الأولى أن يقال كونها عابدة للشمس قوله عن التقدم إلى الإسلام هذا بيان حالها قبل الإسلام قوله أو صدها الله على أن فاعل صد ضمير الله بيان حالها بعد الإسلام بتقدير عن في قوله ما كانت قوله بالتوفيق إلى الإيمان متعلق بصدها وجوز أن يكون الفاعل سليمان عليه السلام أي وصدها بإظهار المعجزة والإسناد مجازي وجوز أن يكون ما موصولة وهو ضعيف لاحتياجها إلى تقدير الضمير للموصول وأيضاً المانع في الأول عبادتها لا ذات المعبود والممنوع عنه في الثاني العبادة دون ذات المعبود وعن هذا لم يلتفت إليه المص آخر الاحتمال الثاني لأن قوله إنها كانت يلائم الأول ملائمة ظاهرة وأيضاً قراءة الفتح على البديلة لا ينتظم الثاني بل لا ينتظم على كونه للتعليل .

قوله : أو صدها الله عن عبادتها هذا على تقدير حذف الجار وإيصال الفعل والتقدير صدها عما كانت تعبد حذفت كلمة عن وأوصل فعل الصد إلى ما .

(١) وإلا فلا قدرة لأصف عليها ولا إقدار الله تعالى لما مر من أن المعجزة لا يقدر عليه غير الله تعالى .

قوله: (وقرىء بالفتح على الإبدال من فاعل صد على الأول أي صدها نشوها بين أظهر الكفار أو التعليل له) وقرىء بالفتح على الإبدال الخ أي بدل الاشتغال فإن نشوها بين عبدة الشمس يتضمن عبادتها إياها لكن يذكر المبدل منه لا ينتظر إلى البدل وهو شرط فيه كما هو المشهور فالتعليل راجح قوله أو التعليل له بتقدير التلام الجارة قوله نشوها بين الخ إشارة إلى أن من للابتداء ويحتمل أن يكون للتبعض فيحتمل أن يكون الكلام من تغليب الذكور على الإناث كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التحریم: ١٢].

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَتْهُ أَلْسِنُهَا فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُثَمَّرٌ مِنْ قَوَارِيرٍ قَالَتْ رَبِّ إِنْ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

قوله: (قيل لها) قائله سليمان أو غيره بأمره هذه حكاية أخرى غير متعلقة بأحوال العرش ولذا اختير الفصل^(١) وعرف الصرح لكونه محسوساً لها.

قوله: (الصرح القصر وقيل عرصة الدار) الصرح القصر قدمه لأنه هو المشهور ولذا مرض القول الثاني لكن لا بد من تقدير المضاف في قوله فلما رآته أي فلما رأت صحته الغاء فصيحة أي رأت القصر.

قوله: (فلما رآته) أي فلما أبصرته حسبته أي ظنته لجة وهي معظم الماء منشأ الظن كون صحته من زجاج أبيض والمرؤية مدخل ما فلذا جعل الرؤية سبباً لهذا الظن لكفاية السببية في الجملة وكشفت أي فعزمت على الدخول وشمرت امتثالاً لأمره وكشفت فالمعنى على هذا سواء اعتبر تقديره في نظم الكلام كما هو الظاهر أولاً

قوله: (وقرىء بالفتح على الإبدال من فاعل صد أي على الإبدال من ما في ما تعبدون وهو فاعل صد على الوجه الأول فيكون بدل الاشتغال لملازمة بين كفرها وعبادتها دون الله واشتغاله عليها اشتغال العام على الخاص والتعليل له عطف على الإبدال أي وقرىء بالفتح على الإبدال أو على التعليل فيكون لام التعليل محذوفاً من أن والمعنى صدها عبادتهاً غير الله عن التقدم إلى الإسلام لأنها كانت من الكافرين.

قوله: (الصرح القصر أي معنى الصرح القصر وقيل معناه عرصة الدار قال الراغب الصرح بيت عالي سمي به اعتباراً بكونه صرحاً عن الشوب أي خالصاً يقال ابن صريح أي بين الصراحة.

قوله: (مجلس قال الراغب المارد المرید من شياطين الجن والإنس المتعري عن الخيرات من قولهم شجر أمرد إذا تعرى من الورق ومته رملة مرداء إذا لم ينبت شيئاً ومته الأمرد لتجرده من الشعر وصرح مرمد من قولهم شجرة مرداء وكان معنى المرمد كما في قول الأعشى:

في مجدل مشيد بنينائه تزل عنه ظفر الطائر

(١) قيل لم تعطف على قوله قيل أنكذا عرشك لأنه استئناف في جواب ماذا قيل لها بعد الامتحان ولو عطف لم يقد ذلك ولا يخفى ما فيه.

واكتفى بانفهامه عن الكشف وقيل الواو فصيحة عاطفة على مقدر تقديره فشمرت زيلها فالمرتب على الحسبان المذكور مجموع المعطوف والمعطوف عليه فلم تطلع في كلام الثقات كون الواو فصيحة .

قوله : (روي أنه أمر قبل قدومها فبنى قصر صحته من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه حيوانات البحر ووضع سريره في صدره فجلس عليه فلما أبصرته ظنته ماء راكداً فكشفت عن ساقها وقرأ ابن كثير برواية قبل ساقها بالهمزة حملاً على جميعه سوق وأسوق) روي أنه الخ مراده توضيح المعنى أمر أي سليمان عليه السلام للجن ببناء القصر قبل قدومها فبنى قصر إشارة إلى ترجيح كون معنى الصرح القصر صحته أي وسطه كذا في اللغة وألقى فيه حيوانات البحر أي السمك كما صرح به البعض لكن المتبادر من كلام المصنوع العموم ووضع أي أمر سليمان بوضع سريره فوضعوه في صدر القصر فجلس عليه لينظر قدميها وساقها لما مر من أنه ذكر عنده سخافة عقلها وقد امتحن عقلها فوجد عاقلة لبيبة رشيدة وذكر عنده أيضاً بأنها شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فأراد امتحان ساقها ورجلها باتخاذ صرح حاله كذا قوله فكشفت إشارة إلى تفرعه عنه باعتبار ما ذكر وإنما ترك الفاء في النظم وجيء بالواو لأن الشرط سبب له بواسطة .

قوله : (قال إنه : إن ما نظنته ماء مملس).

قال سليمان لها بعد ما رأى ساقها ورجلها حسناً خلاف ما أخبرته الشياطين أنه إن ما ظنت ماء صرح ذكر هنا لكونه غير معروف باعتبار وصفه وهو مجرد أي مملس مستو ومته الأمر لكونه مملساً من الشعر ولعل نظر سليمان عليه السلام إلى ساقها لإرادة التزوج

قوله : من زجاج روي أن سليمان أمر قبل قدومها فبنى له على طريقها قصر من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والإنس وإنما فعل ذلك ليزدادها استعظماً لأمره وتحققاً لنبوته وثباته على الدين وزعموا أن الجن كرهوا أن يتزوجها فتقضي إليه بأسرارهم لأنها كانت بنت جنية وقيل خافوا أن يولد له منها ولد يجتمع له فطنة الجن والإنس فيخرجون من ملك سليمان إلى ملك هو أشد وأقنع فقالوا له إن في عقلها شيئاً من السخافة وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختر عقلها بتشكير العرش واتخذ الصرح ليترف ساقها ورجلها فكشفت عنهما فإذا هي أحسن الناس ساقاً وقدماً إلا أنها شعراء ثم صرف بصره ونادى أنها صرح مجرد من قوارير وقيل هي السبب في اتخاذ النورة أمر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها سليمان وأحبها وأقرتها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها مدينة في اليمن يقال لها سيلحون وبناء عظيماً في صنعاء يقال لها غمدان وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام وولدت له وقيل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على اليمن وأمر زوبعة أمير جن اليمن أن يطعمه فبنى له المصانع ولم يزل أميراً حتى مات سليمان .

ويؤيده قول بعضهم وأراد سليمان عليه السلام تزوجها فكره شعرها فعمل لها الشياطين النورة فأزالته فتكلمها وأما على القول على أنه زوجها من ذي نبع^(١) الخ فمشكل إلا أن يقال إنه جائز في شرعه لكنه بعيد فالراجح تزوجها.

قوله: (من الزجاج) جمع زجاجة سمي به لقراره الماء فيه والمعنى أنه مصنوع من قوارير وليس بمتعلق بقوله مجرد وقد سبق أن بنى قصر صحته زجاج ظاهره مخالف لما في النظم.

قوله: (بعبادتي الشمس وقيل بظني سليمان فإنها حسبت أنه يفرقها في اللجة) بعبادتي الشمس وهو الظاهر المطابق لما ذكر في النظم الجليل لأن الشرك ظلم عظيم وقيل بظني سليمان الخ وهذا هو الملائم لما قبله لكن هذا الظن لم يفهم مما قبله وعن هذا زيفه.

قوله: (وأسلمت) أي آمنت مصاحبة مع سليمان أي تابعة له فلا يقتضي المعية زمناً فيما أمر عباده الله رب العالمين وسبب الالتفات من الخطاب إلى الغيبة إشعار لياست إسلامه وإيمانه وهو الألوهية أي استحقاقه العبادة قوله: ﴿رب العالمين﴾ [الفاتحة: ٢] بيان استحقاقه العبادة.

قوله: (فيما أمر عباده وقد اختلف في أنه تزوجها أو زوجها من ذي نبع^(٢) ملك همدان) أو زوجها من ذي نبع أي صاحب هذا الاسم وحمدان بسكون الميم ودال مهملة من بلاد اليمن وفتح الميم من بلاد العجم والظاهر إن أسلمت هنا خير لا إنشاء لأن إيمانه قبل القدوم كما صرح به في قوله تعالى: ﴿وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ﴾ [النمل: ٤٢] الآية نعم إنه يحتمل كونه إنشاء يحصل به إيمانه على تقدير كون ﴿وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ﴾ [النمل: ٤٢] الخ من كلام سليمان عليه السلام.

قوله تعالى: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ كَثُورٍ أَهْلَهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فِئَكَيْنِ

يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾

قوله: (ولقد أرسلنا) أي وبالله لقد أرسلنا إلى ثمود قبيلة من العرب سمو باسم أبيهم الأكبر ثمود^(٣) بن عامر بن آدم بن سام وقيل سموا به لقلة مائتهم من الثمد وهو الماء القليل وقرىء مصروقاً باعتبار الحي أخاهم في النسب صالحاً يدل.

قوله: (بأن اعبدوا الله وقرىء بضم النون على اتباعها الباء) بأن اعبدوا الله أشار إلى أن إن مصدرية والباء الجارة محذوفة ويجوز وصلها بالأمر والنهي كما مر بيانه غير مرة ويجوز كونها مفسرة لتقدم ما فيه معنى القول دون حروفه ولم يتعرض له لما ذكره في مثله

قوله: على اتباع أي على اتباع ضمة باء اعدوا كما في متحدر الجبل ضم الدال اتباعاً لضممة الراء.

(١) المراد من ذي نبع صاحب هذا الاسم.

(٢) أي سوء الظن.

(٣) صالح بن عبيد بن أسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود قنمود جده الأعلى كما أنه جد قبيلة ثمود.

مراراً لكن الاكتفاء به أولى من عكسه ويجوز كونها مخففة من الثقيلة ولم يذكره أيضاً لما مر في قوله: ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [المائدة: ١١٧] حذفاً أي أرسلناه بتبليغ أن أعبدوا الله أي وحدوه لأنه ما لكم من إله غيره.

قوله: (ففاجئوا التفرق والاختصام) أشار إلى أن إذا للمفاجأة متسلخ عن الشرطية ومعتبر فيه معنى الظرفية إما ظرف مكان كما اختاره الزجاج أو ظرف زمان كما اختاره المبرد فالمعنى على الأول ففاجئوا زمان التفرق والاختصام أو مكانهما التفرق والاختصام والعامل في إذا معنى المفاجأة على أنه مفعول فيه لا على أنه مفعول به بل المفعول به محذوف كما أشرنا إليه والفاء للسببية والمتعارف في مثله أن يقال ففاجأ صالح عليه السلام تفرقهم واختصامهم وما ذكره غير متعارف واعتذر بعضهم بقوله فما أوهموا من قوله فاجئوا التفرق والاختصام ليس بمراد فإنه بيان حاصل المعنى ومفاجأة التفرق ووقوعه عقيب الإرسال والمعنى فاجأ إرسالنا تفرقهم الخ والفاضل المحشي جعل ما ذكره المص وجهاً آخر والكل تكلف فالأحسن ما ذكرناه وما ذكره هنا لم نطلع عليه في غير هذا الموضع قال في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصْبُهُمْ﴾ [طه: ٦٦] الآية والمعنى ففاجأ موسى تخيله وقت تخيله سعي حبالهم الخ وهو الأليق بالمعنى لهذا المبنى.

قوله: (فأمن فريق وكفر فريق) هذا التفرق والاختصام بأن يقول كل فريق الحق معي وقد مر تفصيله في سورة الأعراف في قوله: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَغْفَرُوا﴾ [الأعراف: ٧٥] الآية والمراد بالفريق فريق من ثمود وقيل قوم صالح فريقان والمآل واحد.

قوله: (والواو لمجموع الفريقين) والواو أي ضمير يختصمون لمجموع الفريقين وهو صريح في أنه صفة فريقان إذ لو كان خبراً ثانياً لكان الواو للمبتدأ وهو هم لكن قولهم ففاجئوا التفرق والاختصام يشير إلى أنه خبر ثانٍ حيث عطف على التفرق فلا مجال لجعله صفة لفريقان فأشار في الموضعين إلى الوجهين كما هو عادته في بعض المواضع.

قوله تعالى: قَالَ يَتَقَوَّمُ لِمَنْ نَسْتَعِجْلُونَ يَا سَيِّدَةَ قَبْلِ الْحَسَنَةِ لَوْلَا نَسْتَعِجْرُونَ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ

تُرْحَبُونَ ﴿٤٦﴾

قوله: (قال) استئناف بياني يا قوم أي يا من كفر من قومي بقرينة لم تستعجلون وقيل وفريق الكفرة أكثر فلذا ناداهم يا قوم لجعلهم في حكم الكل ولا يخفى ضعفه إذ إدخال الفريق المؤمن في خطاب لم تستعجلون لا يخلو عن دغدغة واعتبار التغليب لا يرضى عنه اللبيب.

قوله: (والواو لمجموع الفريقين أي ضمير الفاعل وهو الواو في يختصمون لمجموع فريقين الثمود لا لأحدهما إذ يقول كل فريق من هذين الحق معي).

قوله: (بالمعقوبة فتقولون ﴿اثنتا بما تعدنا﴾ [الأعراف: ٧٧]) بالمعقوبة لم يقل بالمعاصي لأن استعجالهم بالمعقوبة تهكماً لقوله تعالى: ﴿وقالوا يا صالح اثنتا بما تعدنا﴾ [الأعراف: ٧٧] الآية مع أن استعجالهم بالمعاصي يلزم لاستعجالهم بالمعقوبة بطريق الاقتضاء دون العكس وصيغة المضارع إما لحكاية الحال الماضية أو للاستمرار فإنهم استعجلوه وكانوا في صدد الاستعجال بعد وسين الاستعجال للطلب إذ الاستعجال من العبد والتعجيل من الله تعالى بمعنى الإسراع.

قوله: (قبل التوبة فتؤخرونها إلى نزول العقاب) قبل التوبة فسرنا بها لأن الحسنة يطلق على العبادة كما تطلق على العاقبة والنعمة والتوبة من أنواع الطاعة إذ سائر الطاعات لا تقبل من الكفرة بلا توبة فتؤخرونها أي التوبة إلى نزول العذاب فتتوبون حين لا ينفع.

قوله: (فإنهم كانوا يقولون إن صدق إيعاده تبناً حيثئذ قبل نزوله) فإنهم كانوا علة لمقدر وهو أنهم يؤخرون إلى العذاب فإنهم كانوا الخ ولولا في لولا تستغفرون الخ للتحضيض أي هلا تستغفرون الله وهذا قرينة قوية على أن المراد بالحسنة التوبة كما أن المراد بالاستغفار هنا التوبة قبل نزول العذاب فإنه هو المعيد.

قوله: (﴿لعلكم ترحمون﴾ [يس: ٤٥]) بقبولها فإنها لا تقبل حيثئذ لعلكم ترحمون حال من الفاعل أي راجين الرحمة والمغفرة وفيه تنبيه على أن الثابت وإن بالغ في التوبة وفي مراعاة شرائطه لا ينبغي أن يجزم بقبوله لها وأن يكون بين الخوف والرجاء.



قوله تعالى: قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ مَكَرْتُمْكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْسِدُونَ

قوله: (قالوا اطيرنا تشامنا إذ تتابعت علينا الشدائد أو وقع بيننا الافتراق) قالوا اطيرنا بك استئناف معاني أصله تطيرنا فأدغم قصار اطيرنا قوله تشامنا تعريف لفظي له أي اعتقدنا بأنه ما أصابتنا شدائد إلا بشؤمكم وشرككم وهذا إغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة فإن الشدائد ترفق القلوب وتذلل العرائك إذ لم تؤثر فيهم مشاهدة الآيات بل زادوا عندها عتوا وانهماكاً فجعلوا الخير المحض شراً وسبباً لإصابة الشر.

قوله: (منذ اخترعتم دينكم) فالسبب في زعمهم لإصابة الشدائد الدين القويم فالمعنى حيثئذ تشامنا بدينكم قبالوا وتشاموا بأنفسهم كأن شامة الدين المخترع تجاوز لشدة إلى من اخترعه.

قوله: (فإنهم كانوا يقولون هذا جواب لما عسى يسأل ويقال من أن السيئة التي هي عقوبة أفعالهم القبيحة والحسنة التي هي التوبة معدومتان عند استعجالهم ذلك فما معنى الاستعجال بأحد المعدمين قبل الآخر فأجاب بأنهم يقولون إن صدق الخ يعني قال صالح لهم ذلك على وفق معتقدهم فإن اعتقادهم أنه عليه الصلاة والسلام إن صدق في إيعاده ونزل علينا العذاب تبناً حيثئذ ولم يعلموا أن التوبة لا تنجع في ذلك الوقت.

قوله: (فإنها لا تقبل حيثئذ أي فإن التوبة لا تقبل عند نزول العذاب فإنها عند مشاهدة العذاب توبة يأس فلا تقبل).

قوله: (سبيكم الذي جاء منه الشر وهو قدره أو عملكم المكتوب عنده) سبيكم الذي الخ لما كان العرب يقيمون ويشاءمون بسنوح الطائر وبروحه أي إذا مر به طائر سائحاً وهو ما وليه بمسيرة وبارحاً وهو ما وليه يمينه يقيمون بالأول ويشاءمون بالثاني فنسبوا الخير والشر إلى الطائر ثم استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله تعالى وعمل العبد فأشار المصنف بقوله سبيكم الخ إلى هذا التفصيل ولم يذكر الخير لأن الشر هو المناسب للمقام والعمل عام لسوء عقائدهم الظاهر المعنى الثاني هنا ويؤيده قوله تعالى في سورة ياسين: ﴿قالوا طائركم معكم﴾ [يس: ١٩] وهو سوء عقيدتكم وشؤم معاصيكم والتعرض للقدر ليس بمناسب هنا لأن الكلام مسوق للتوبيخ.

قوله: (تختبرون بتعاقب السراء والضراء والإضراب من بيان طائرهم) تختبرون معنى تفتنون إذ الفتنة بمعنى الاختبار والامتحان سواء كان بالمنحة أو بالمحنة لقوله تعالى: ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾ [الأنبياء: ٣٥] وإن كثر استعماله عرفاً في المحنة وفيما يشق على الإنسان ومقتضى السوق الاكتفاء بالامتحان بالضراء هنا إذ الكلام في نتائج الشدائد فزعموا أن سببه شؤم صالح عليه السلام ومن معه من أهل الإسلام فرد عليه السلام عليهم بأنه بسبب شؤم أعمالكم ثم اضرب عنه إلى ذلك فقال بل أنتم قوم شأنكم كونكم مختبرين بأنواع الشدائد قبل اختراعنا الدين المستقيم فهو للترقي لا للإبطال.

قوله: (الذي هو مبدأ ما يحيق بهم إلى ذكر ما هو الداعي إليه) الذي هو مبدأ ما يحيق بهم أي يحيط بهم ويحل بهم لأنه سببه.

قوله: سبيكم الذي جاء منه شركم عند الله وهو قدره كان الرجل يخرج مسافراً فيمر بطائر فيزجره فإن مر ما ولاء ميامنه تيمن وإن مر ما ولاء ميسره تشاءم فلما نسبوا الخير والشر إلى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته أو من عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة والنقمة وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾ [الإسراء: ١٣] وعند أهل السنة عملكم مكتوب فيه عند الله مقدر من عنده وهو المراد بقوله: أو عملكم المكتوب عنده ومنه قالوا طائر الله لا طائرك أي قدر الله الغالب الذي ينسب إليه الخير والشر لا طائرك الذي تشاءم به وتبين فلما قالوا اطيرنا بكم أي تشاءمنا وكانوا قد قحطوا قال طائركم عند الله أي سبيكم الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته إن شاء رزقكم وإن شاء حرمكم.

قوله: والاضراب من بيان طائرهم الذي هو مبدأ ما يحيق بهم يعني بين أولاً طائرهم أي سببهم الذي هو مبدأ ما يحيط بهم من عذاب القحط وباقي الشدائد المتتابعة عليهم ثم اضرب بكلمة بل إلى ذكر سبب ذلك السبب والغاية منه فإن السبب ما احاط بهم من الشدائد هو قدره تعالى وقضائه الأزلي وقضاء الله حكمه النافذ في الأشياء ولا يخلو حكمه تعالى عن حكمة هي علة غاية له والحكمة في تعاقب السراء والضراء على عباده هي اختيارهم يختبرهم في السراء هل يشكرون أو يكفرون وفي الضراء هل يصبرون أو يجزعون فالإضراب بيان السبب إلى بيان سبب السبب وهو المراد من قوله إلى ذكر... الخ.



قوله تعالى: وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ

قوله: (وكان في المدينة) مدينة قوم ثمود وهي الحجر وهو واد بين المدينة والشام يسكنونها.

قوله: (تسعة أنفس) أي أشخاص لأن النفس تكون بمعنى الذات والشخص كما يكون بمعنى الروح وغيره فهو مذكر كالشخص كما نقل عن المصباح فلا وجه للاعتراض بأن الأظهر تسعة رجال فإن النفس مؤنث سماعي.

قوله: (وإنما وقع تمييزاً للتسعة باعتبار المعنى) لأنه بمعنى الجماعة فلا يضره كونه مفرداً للفظ وإنما صح إضافته مع أنه اسم جمع والقياس فيه كونه مجروراً بمن كقوله تعالى: ﴿فَخَذَ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ﴾ [البقرة: ٢٦٠] لما عرفته من أنه في معنى جمع القلة كما أشار إليه بقوله تسعة أنفس والعدد يضاف إلى تمييزه إذا كان جمع قلة فيما دون العشرة وكذا يضاف إذا كان بمعنى جمع القلة وأريد به ذلك كما فيما نحن فيه فلا إشكال بخمسة من القوم فإنه وإن كان في معنى جمع القلة بالتأويل لكنه لم يقصد به فإذا قصد صح الإضافة أي خمسة قوم بمعنى خمسة أشخاص.

قوله: (والفرق بينه وبين النفر أنه من الثلاثة أو السبعة إلى العشرة والنفر من الثلاثة إلى التسعة) أنه أي الرهط من الثلاثة الخ فيكون إطلاق الرهط على شخص واحد كما هو مقتضى النص مجازاً نقل عن القرطبي أنه قال الرهط اسم الجماعة فكأنهم كانوا رؤساء يتبع كل واحد منهم رهط فيكون استعارة شبه كل واحد منهم برهط بسبب اجتماع خصال الجماعة لكونه رئيساً متبوعاً قوله إلى العشرة والغاية داخلية في المعنى لما قال في الأحقاف والنفر دون العشرة فهو صريح في دخول التسعة أي التاسع وكذا الكلام في العشرة ومعنى الكلام أن الرهط مبتدأ من الثلاثة أو السبعة والزائد عليها إلى العشرة ولا بد من هذا التقدير في مثل هذا الكلام إذ لا امتداد في الثلاثة حتى يكون له غاية.

قوله: (أي شأنهم الإفساد الخالص عن شوب الصلاح) أي شأنهم الخ أي صيغة

قوله: (وإنما وقع تمييز التسعة باعتبار المعنى يعني لا يحتاج التسعة إلى أن يميز بالرهط لأن التسعة لا يحتمل أن يكون غير الرهط حتى يميز بالرهط رفعاً لإيهامه لأن الرهط يطلق من الثلاثة أو من السبعة إلى العشرة فما بينهما من الأعداد رهط فاعتذر رحمه الله عن ذلك بأن قال إنما وقع الرهط تمييزاً للتسعة نظراً إلى جانب المعنى لأن الرهط بمعنى الجماعة فكأنه قيل تسعة أنفس وأسماءهم هذيل بن عبد رب وغنم بن غنم ورياب بن فهرج ومصلح بن فهرج وعمر بن كردبة وعاصم بن مخزومة وسيب بن صدقة وسمعان بن صفي وقد آزرين سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من أبناء أشراقتهم.

قوله: أي شأنهم الإفساد الخالص عن شوب الإصلاح هذا دفع لما يثوبهم من أن قوله عز من قائل: ﴿يُفْسِدُونَ﴾ [النمل: ٤٨] يعني بحسب الظاهر عن قوله: ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [النمل: ٤٨] لأن الإفساد ضد الإصلاح واتصاف المحل بأحد الضدين يدفع اتصاله بالتضاد الآخر لأن الضدين لا

المضارع هنا للاستمرار المفيد كونه عادة لهم ولذا اختير على الماضي وأيضاً في الأرض يفيد عموم إفسادهم لأن الإفساد لا يكون إلا في الأرض فذكرها لتأكيد العموم كقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣٨] الآية قوله الخالص أي الخالي عن شوب الصلاح إذ الإفساد قد يكون مشوباً أي مخلوطاً بالصلاح كقتل الخضر عليه السلام غلاماً وخرق السفينة فقوله: ﴿وَلَا يَصْلَحُونَ﴾ [الشعراء: ١٥٢] من قبيل الاحتراس والتكميل.

قوله تعالى: قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ ﴿١١﴾

قوله: (قَالُوا) استئناف.

قوله: (أَي قَال بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ) فحينئذٍ إسناد القول إلى المجموع مجاز إذ القائل بعضهم^(١).

قوله: (أمر مقول) وهو الظاهر أي تخالفوا بالله لا بغيره وهم معترفون بالله تعالى لكنهم عبدوا أصناماً فنهى عنه صالح عليه السلام فأرادوا سوء القصد ثم أكدوا بالقسم بالله تعالى.

قوله: (أو خبر وقع بدلاً أو حالاً بإضمار قد) أو خبر أي فعل ماضٍ بمعنى قاسموا واقتسموا فحينئذٍ يكون الكلام دالاً على قسمهم وأما في صورة الأمر فوقع القسم مفهوماً من عرض الكلام.

يجتمعان في محل واحد فأجاب عنه بجواز الاتصاف بهما على سبيل البديل فيفيد قوله: ﴿وَلَا يَصْلَحُونَ﴾ [النمل: ٤٨] أنهم مستمرون على الإفساد ولا يفعلون الصلاح قط ومعنى الاستمرار مستفاد من صيغة المضارع في يفسدون والمراد الاستمرار التجديدي وأشار رحمه الله إلى إرادة معنى الاستمرار بلفظ الشأن في قوله أي شأنهم الإفساد الخالص قال الراغب الصلاح ضد الفساد وهما مختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال وقول في القرآن تارة بالفساد وتارة بالسيئة قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَفْسُدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦] وقال تعالى: ﴿خَلُوطُوا صِلَاءً صَالِحاً وَآخِرُ سِبْطاً﴾ [التوبة: ١٠٢] والصلح مختص بإزالة النفاق أي بإزالة المنافرة الكائنة بين المتخاصمين وإصلاح الله تعالى للإنسان تارة يكون بخلقه إياه صالحاً وتارة بإزالة ما فيه من فساد بعد وجوده وتارة يكون بالحكم له بالصلاح وفي الكشف ﴿وَلَا يَصْلَحُونَ﴾ [النمل: ٤٨] يعني أن شأنهم إلا الفساد البحث الذي لا يخلط بشيء من الصلاح كما ترى بعض المفسرين قد يندر منه بعض الصلاح أو خبر وقع بدلاً والمراد بالخبر ما يقابل الإنشاء أي قوله تعالى: ﴿تَقَاسَمُوا﴾ [النمل: ٤٩] إما إنشاء محله النصب بأنه مقول قالوا أو خبر وقع بدلاً من قالوا أو حال من واو قالوا بإضمار قد لأنه ماضٍ والمعنى قالوا متخاصمين.

(١) لرضاء قولهم فكأنهم قالوا جميعاً كما أنهم مقول لهم جميعاً والاختلاف الاعتباري كافٍ في ذلك.

قوله : (لنبيته) مقول القول على الاحتمال الثاني وقيل إنه محذوف لنبيته جواب القسم كما في صورة الأمر .

قوله : (لنباغتن صالحاً وأهله ليلاً) أي نفاجئهم بالإيقاع منهم ليلاً وإهلاكهم فجأة وهم غافلون عن ذلك .

قوله : (وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء على أن تقاسموا خير) على خطاب بعضهم لبعض على الوجه الذي مر في توجيه قالوا من المجاز العقلي ولكون البعض مبهماً يتناول جميعهم بحسب المعنى فحينئذ يكون ما قبل نون التأكيد مضموماً وكذا في القراءة بالياء وأما بنون المتكلم فيالفتح قوله على أن تقاسموا خير أي على قراءته بياء الغيبة إذ لا معنى له على تقديره أمراً أي لا معنى لقولهم احلفوا لبيئن صالحاً وفي قراءته بتاء الخطاب يجوز فيه الوجهان .

قوله : (فيه القراءات الثلاث) ثم لتقولن بفتح اللام أو بضمها في القراءة بالتاء أو بالياء .

قوله : (لولي دمه) بتقدير المضاف بمعونة المقام إذ أثر الولاية إنما يظهر في الدم بعد الموت .

قوله : (فضلاً عن أن تولينا إهلاكهم) أشار إلى أن ما شهدنا مهلك أبليغ مما قتلناه ولم يقل وفضلاً عن أن تولينا إهلاك صالح عليه السلام لأن عدم شهود مهلك أهله يستلزم عدم شهود مهلكه لأن الاحتراز عن مهلك المفضول مستلزم عن الاحتراز عن مهلك الفاضل ولذا اكتفى به .

قوله : لنباغتن صالحاً ليلاً المباغثة المفاجأة يقال لست آمن من بفتات العدو أي فجأته يقال لقيته بفتة أي فجأة وبفته أي فاجأه ومعنى بيت العدو أوقع بهم ليلاً والاسم الليات ولما كان معنى الليات مناسباً لمعنى المباغثة فسره بها وعن الإسكندر أنه أشير عليه بالليات فقال ليس من آيين الملوك استراق الظفر .

قوله : وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على خطاب بعضهم لبعض فعلى هذا يجوز أن يكون تقاسموا أمراً وخبراً فإذا كان أمراً يكون المعنى احلفوا لنبيته وإذا كان خبراً يكون المعنى احلفوا لنبيته أي احلفوا بأن خاطب بعضهم بعضاً قائلاً لنبيته وأما إذا قرئ بالياء يكون تقاسموا خبراً ليس إلا فالمعنى قالوا لبيئته متقاسمين أو احلفوا لبيئته كقولك حلف بالله ليفعلن بالياء التحثاني وجوز بعضهم كون تقاسموا أمراً على قراءة الياء التحثاني بأن قدر يقسم بعضهم بعضاً والمعنى احلفوا يقسم بعضهم بعضاً لبيئته وقال صاحب الكشف تقاسموا يجوز أن يكون أمراً أمر بعضهم بعضاً بالتقاسم والتحالف على النبييت وقال الزجاج ومن قرأ بالتاء فكانه قال احلفوا لنبيته وكأنه أخرج نفسه من اللفظ ويجوز أن يكون قد أدخل نفسه في التاء لأنه إذا قال تقاسموا فقد قال تحالفوا ولا يخرج نفسه من التحالف ومن قرأ بالياء فالمعنى قالوا لبيئته متقاسمين وكان هؤلاء تحالفوا أن يبيتوا صالحاً ويقتلوه وأهله في بيتهم ثم ينكرون عند أولياء صالح أنهم ما شهدوا مهلكه ومهلك أهله ويحلفون أنهم صادقون في ذلك فهذا هو مكر عزموا عليه قال الله تعالى : ﴿ومكروا مكراً ومكروا مكراً وهم لا يشعرون﴾ [النمل : ٥٠] إلى هنا كلام الزجاج .

قوله: (وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان) وهو أي المهلك من أهلك يحتمل المصدر أي الإهلاك الموجود في الخارج لأن المراد الحاصل بالمصدر إذ الشهود إنما هو للموجود والزمان فحينئذ النسبة مجازية إذ المراد هلاكه الواقع في ذلك الزمان وإلا فكل موجود في زمان شيء فهو مشاهد له ووجودهم فيه محقق لا محالة فلا مجال للإنكار والفرق أن في الثاني أريد المصدر الواقع في ذلك الزمان وفي الأول يراد المصدر ولا يلاحظ فيه وقوعه في الزمان قوله والمكان آخره مع أنه هو الظاهر في بادئ الرأي إذ المقصود هو الحضور في نفس الهلاك لإمكانه وإن تلازما لكن النسبة فيه حقيقية لا مجازية كما في الزمان فالأولى تقديم المكان على الزمان.

قوله: (وكذا مهلك في قراءة حفص فإن مفعلاً قد جاء مصدراً كمرجع وقرأ أبو بكر بالفتح فيكون مصدراً) وكذا مهلك من الثلاثي بكسر اللام وهو نادر ولهذا قال كمرجع وقد قالوا إن المهلك والمرجع والمحيط والمكيل مصادر أربعة لا خامس لها فيكون مصدراً على القياس ولا يحتمل كونه مكاناً وزماناً.

قوله: (ونحلف إننا لصادقون) أي إنه معطوف على ما شهدنا فإنه مقسم عليه بواسطة القسم على قوله فلا حاجة إلى القول بأنه معطوف على ما شهدنا ظاهراً ومعطوف على لنقولن حقيقة.

قوله: (أو والحال إننا لصادقون فيما ذكرنا إذ الشاهد للشيء غير المباشر له عرفاً) أو والحال إننا لصادقون فيكون الواو للحال لا للمعطف فلا يكون مقسماً عليه قوله إذ الشاهد للشيء غير المباشر لكن لا في اللغة بل في العرف فيريدون به المعنى العرفي فيكونون صادقين في نفس الأمر بناء على العرف فإنهم مباشرون الإهلاك لا الحاضرون وينصره قوله تعالى: ﴿وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾ [النور: ٢] ولا شك أن تلك الطائفة لم

قوله: (وكذا مهلك في قراءة حفص أي كما يحتمل مهلك بفتح الميم واللام في قراءة أبي بكر المصدر والزمان والمكان يحتملها أيضاً مهلك بفتح الميم وكسر اللام في قراءة حفص وقراءة الباقون بضم الميم وفتح اللام وهو أيضاً يحتمل هذه الوجوه الثلاثة المذكورة وكونه اسم مفعول من أهلك قال أبو اليعاقبة مهلك بضم الميم وفتح اللام فيه وجهان أحدهما أنه مصدر بمعنى الإهلاك كالمدخل والثاني هو مفعول أي لمن أهلك أو لما أهلك منها ويقرأ بفتحهما وهو مصدر هلك يهلك ويقرأ بفتح الميم وكسر اللام وهو مصدر أيضاً ويجوز أن يكون زماناً وهو مضاف إلى الفاعل أو المفعول على لغة من يقول هلكته أهلكته وفي حواشي الكشاف والأعرا في المصدر الفتح والكسر قليل والكسر جاء في المكان مثل المرجع قبل المرجع والمهلك والمحيط والمكيل أربعة لا يوجد لها خامس.

قوله: (ونحلف إننا لصادقون أو الحال إننا لصادقون يعني أن قوله: ﴿وإننا لصادقون﴾ [النمل: ٤٩] إما عطف على لنقولن أو على ما شهدنا بتقدير نحلف أو يتضمنه معنى الحلف المحيتر في المعطوف عليه فيكون داخلاً في التقاسم وإما حال من فاعل لنقولن أو شهدنا جاءت بالواو لكونه جملة اسمية.

قوله: (لأن الشاهد للشيء غير المباشر له هذا التوجيه إنما يحتاج إليه على تقدير كون جملة

يباشروا عذابهما وكونهم أهل العرف لا يضر لأنهم أوهموا الولي أنهم أرادوا المعنى اللغوي فإذا هم كاذبون لأنهم حضروا بالمباشرة لكنهم يريدون المعنى العرفي فهم صادقون لأنهم ما شهدوا فقط بدون المباشرة بل حضروا مع المباشرة فإنهم صادقون في نفي الحضور بلا مباشرة وهو المعنى العرفي.

قوله: (أو لآنا ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك ما رأيت ثمة رجلاً بل رجلين) أو لآنا ما شهدنا مهلكهم وحده ويقيد وحده صاروا صادقين فلا يرد إشكال صاحب الانتصاف عند الإنصاف بأن من فعل أمرين وجحد أحدهما لم يكن في كذبه شبهة إلى آخر ما قاله فإن هذا الإشكال بناء على الغفول عن قيد وحده لأن من فعل أمرين وجحد فعل أحدهما حال كونه منفرداً ألم يكن في صدقه شبهة والفرق بين إنكار فعل أحدهما وبين إنكار كون فعل أحدهما منفرداً واضح إذ المنكر في الأول ذات الفعل وهو كذب وفي الثاني كونه منفرداً وهو صدق.



قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُؤُهُمْ لَمَّا كَانُوا فِي الْحِيلَةِ أَنْ يَدْعُوا بِالصَّدَقِ الْمَذْكُورِ أَوْ الْخُدْعَةِ فِي قَوْلِهِمْ

لنيتته وأهله وإنما عبر بالمكر لأنهم قصدوا بذلك إبطال الحق والتأكيد بالمفعول المطلق في الموضوعين للإشارة إلى المبالغة فيه.

قوله: (بأن جعلناها سبباً لإهلاكهم) أي تلك المواضع سبباً لإهلاكهم والمكر من حيث إنه في الأصل حيلة يجلب بها غيره إلى مضرة لا يستند إليه تعالى إلا على سبيل الازدواج والمشاكلة أي بطريق الاستعارة وقد فصل في تفسير قوله تعالى: ﴿يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٩] الآية المواضع الموافقة في أمر مخصوص تقول واضعته في الأمر إذا وافقته فيه على شيء.

﴿وإننا لصادقون﴾ حالاً وأما على تقدير عطفها على ما قبلها ودخولها في حيز التقاسم لا يلزم صدقهم حتى يحتاج إلى تكلف توجيه صدقهم.

قوله: كقوله ما رأيت ثمة بل رجلين يختلف العلماء في أن من حلف أن لا يضرب زيداً فضرب زيداً وعصروا كان حائثاً بخلاف من حلف أن يضرب زيداً وعصروا فضرب أحدهما فهو محل خلاف العلماء في الحث وعدمه وما أورده رحمه الله في تفسير ﴿وإننا لصادقون﴾ هو مأخوذ من كلام صاحب التقریب حيث قال لعل المراد وما شهدنا مهلك أهله فضلاً أن تولينا إهلاكهم ونحلف إننا لصادقون أو والحال إننا لصادقون فيما ذكرنا لأن الشاهد للشيء غير المباشر له عرفاً أو لآنا ما شهدنا مهلك أهله وحدهم بل مهلكه ومهلكهم كقولك ما رأيت ثم رجلاً بل رجلين إلى هنا كلامه قال الطيبي التقدير الأول وهو نحلف إننا لصادقون كما نص عليه الزجاج ليكون عطفاً على ما شهدنا ويدخل في حيز التقاسم أولى وأوجه ولا يلزم صدقهم ولا يحتاج إلى تلك التكلفات وعليه قول إخوة يوسف: ﴿واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإننا لصادقون﴾ [يوسف: ٨٢] فإن قولهم ﴿وإننا لصادقون﴾ تأكيد في محل القسم بتقدير وتقسم أو نحلف إننا لصادقون.

قوله: (بذلك روي أنه كان لصالح في الحجر مسجد في شعب يصلي فيه فقالوا زعم أنه يفرغ منا إلى ثلاث^(١)) ففرغ منه ومن أهله قبل الثلاث) روي الخ شروع في بيان مكروهم في شأن صالح عليه السلام ومكروه تعالى في شأنهم لكن في هذه الرواية بيان مكروهم في شأنه عليه السلام مع أن النص ناطق بأن مكروهم في أمره وأهله ولعل لهذا قال^(٢) روي الخ في شعب بكسر الشين الطريق في الجبل لكن الظاهر المراد الغار يصلي صفة مسجد والمضارع للاستمرار إلى ثلث الغاية داخله بقرينة وقوع قوله قبل الثلث في مقابله قبل الظاهر بعد ثلث وإلا فهم جاوزوا الثلث ولما كان الغاية داخله اندفع هذا ولذا قال الظاهر.

قوله: (فذهبوا إلى الشعب ليقتلوه فوقع عليهم صخرة^(٣) حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثمة) ليقتلوه يعني إذا جاء يصلي أو إذا جاء إلى الشعب ولعلهم كانوا منتظرين لمجيء صالح عليه السلام متوجهين إليه فوقعت صخرة حيالهم أي صخرة في حيالهم ففروا منها لثلاث يقع عليهم إلى داخل الشعب فطبقت الصخرة فم الشعب.



قوله تعالى: فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِمِهِمْ أَنَا دَرَرَتْهُمْ وَقَوْمُهُمْ أَجْمَعِينَ

قوله: (وهلك الباقيون في أماكنهم بالصيحة كما أشار إليه بقوله ﴿فانظر كيف كان﴾ [القصص: ٤٠]) بالصيحة متعلق بكلا الفعلين على التنازع وقيل فهلكوا في الشعب بالجوع والعطش فحينئذ لا تنازع لكن الرواية أنهم هلكوا بالصيحة أي بصيحة جبريل عليه السلام. قوله: (وكان إن جعلت ناقصة فخيرها كيف وإنا دمرناها مستثاف أو خبر محذوف) فخيرها كيف قدم عليه لاقتضائه الصدارة والمعنى فانظر يا أيها الرسول كانت عاقبة مكروهم

قوله: إلى ثلاث أي إلى ثلاث ليالٍ والشعب بالكسر ما انفلق بين الجبلين وقيل الطريق في الجبل والجمع شعاب.

قوله: فوقع عليه صخرة حيالهم حيال الشيء إزائه وفي الصحاح قعدوا حوله وحواله وحوليه وحواليه ولا تقل حواليه بكسر اللام وقعد حياله وبحياله بالكسر أي بآزانه وأصله الواو والحوّل بالضم الحيال والحوّل أيضاً جمع حائل من التوق وهي ما مضى عليه حول يقال حائل حول.

قوله: وكانت أن جعلت ناقصة أي كلمة كانت في كيف كانت أن جعلت ناقصة يكون خبرها كيف قدم عليها لكونها من كلمات الاستفهام التي تقتضي صدر الكلام فإن كيف موضوع للسؤال عن الحال وقد ينخلع عن معنى الاستفهام والسؤال ويستعمل لمجرد معنى الحال والتعجب مجازاً

(١) إلى ثلاث أي إلى ثلاث ليالٍ إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتُّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ فلو قال هنا إلى ثلاثة لكان لائق ما في النظم.

(٢) وأيضاً هذا بظاهره يخالف ما في سورة الأعراف حيث قال فقال لهم صالح بعد عقر الناقة تصيح وجوهكم غداً مصفرة وبعد غد محمرة واليوم مسودة ثم يصحبكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه فأنجاه الله تعالى إلى أرض فلسطين وهذا يخالف ما ذكر هنا ولذا لم يرض بهذه الرواية وعلى تقدير صحة هذه الرواية يقال فيه اختصار أو نقل بالمعنى فلا تغفل.

(٣) قوله: ﴿فَوَقَعَ عَلَيْهِمْ﴾ أي على مكان يقرب منهم أي شارب الوقوع.

واقعة على وجه غريب يتحير منه العقول ويعتبر به المعتبرون والجملة في محل النصيب على المفعولية معنى لأنه معلق لأنه لكونه سبب العلم في حكم أفعال القلوب وكيف في مثل هذا منسلخ عن معنى الاستفهام وأصل معناه فانظر واعلم كان عاقبة مكرمهم مكيفة بكيفية عجيبة وحاصله ما مر .

قوله : (لا خير كان لعدم العائد وإن جعلتها تامة فكيف حال وقرأ الكوفيون ويعقوب أنا دمرناهم بالفتح على أنه خير محذوف أو بدل من اسم كان أو خير له وكيف حال) لا خير كان لعدم العائد إلى اسم كان والقول بأنه يكفي في الربط وجود ما يرجع إلى متعلق المبتدأ مخالف لمذهب الجمهور وإنما يتمشى على مذهب الأخفش القائل بأنه إذا قام بعض الجملة مقام مضاف إلى العائد اكتفى به وقد مر البيان في قوله تعالى : ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتريصن﴾ [البقرة : ٢٣٤] الآية وإن جعلتها تامة فكيف حال والمعنى فانظر كان أي وجد عاقبة مكرمهم حال كونها مكيفة بكيفية عجيبة على أنه خير محذوف وهو ضمير الشأن لا العاقبة أي وهي العاقبة إنا دمرناهم لأن له حاجة إلى العائد لأن مدخوله ليس في تأويل المفرد قوله وكيف حال أي على الاحتمال الأخير وهو كونه خيراً فإذا كان خيراً فكيف يكون حينئذ حالاً فتلك الغاء لإفادة أن تلك الحالة متفرعة عما قبلها ومسببة له فائدة الخبر باعتبار القيد .

قوله تعالى : ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

قوله : (خالية من خوى البطن إذا خلا أو ساقطة منهذمة) فحينئذ تكون هذه الجملة تذييلية مفررة لمفهوم لتأكيد إهلاكهم أجمعين قوله أو ساقطة أي على عروشها أي ساقطة حيطانها على سقوفها بأن تعطلت بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق العروش والسقوف والظاهر أن المراد بقوله خالية مع بقاء عروشها وسلامتها وإلا لم يحسن التقابل لكن المشهور انهدام بيوتها فالأولى الاكتفاء بالثاني .

وهنا كذلك بمعنى كيف كانت عاقبة مكرمهم الاستئصال والتدمير أي فانظر تتعجب منها فيكون قوله عز من قائل : ﴿إنا دمرناهم﴾ [النمل : ٥١] جملة مستأنفة مودة لبيان كيفية عاقبة مكرمهم هذا على قراءة كسر همزة أن أو خير مبتدأ محذوف تقديره هي إنا دمرناهم وهذا على تقدير القراءة بالفتح .

قوله : أو بدل من اسم كان أي من عاقبة مكرمهم بدل الكل من الكل إن اعتبر الذات أو بدل البعض من الكل إن اعتبر المفهوم أو بدل الاشتغال إن اعتبر الملازمة بين العام والخاص أو نقول هو بدل الكل من الكل بحسب الذات فإن عاقبة مكرمهم عين تدميرهم ذاتاً أو بدل البعض من الكل من حيث إن الخاص بعض افراد العام أو بدل الاشتغال من حيث إن الخاص متضمن لمعنى العام أو مشتمل عليه وعلى أمر آخر مخصص له فالمعنى كيف كان تدميرنا إياهم .

قوله : أو خير له وكيف حال والمعنى وقعت عاقبة مكرمهم متعجباً منها قدم الحال لاقتضاء كيف الصدارة بحسب أصل الوضع وإن كان الآن معدولاً عن الأصل .

قوله: (من خوى النجم إذا سقط وهي حال عمل فيها معنى الإشارة) من خوى النجم إذا سقط فلفظ خوى يجيء بمعنيين على الاشتراك اللفظي يجوز اعتبار كل واحد منهما هنا وقد عرفت ما فيه إذ بيوت قوم صالح منهزمة فالمعنى الأول لا يناسب هنا إلا أن لا يعتبر سلامة سقوفها فيكون المراد كونها خالية عن السكان مع الانهدام وفي الثاني المعبر تدهمها بدون نظر إلى خلوها.

قوله: (وقرىء بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف) ولم يلتفت إلى كونه خيراً بعد خبر لأنه مختلف فيه.

قوله: (بسبب ظلمهم) فيكون تأكيداً لما يستفاد من الفاء في ﴿فتلك بيوتهم﴾ أو بيان عليه العلة.

قوله: (إن في ذلك) أي فيما ذكر من إهلاك ثمود وخلو بيوتهم أو سقوطها لآية لعبرة عظيمة يعتبر بهما أولو الألباب ويتعظون بها ﴿لقوم يعلمون﴾ [النمل: ٥٢] أي من شأنهم العلم بحقيقة الأشياء أو من يتصف بالعلم خص بهم لأنهم المنتفعون بها وإلا فهي آية لكل أحد وصيغة البعد للتفخيم والتأكيد لكمال العناية بها.

قوله: (فيتعظون) تفريع إذ العبرة أصلها من العبور الذي هو النفوذ من أحد الجانبين إلى الآخر ثم استعمل في العبور عن حضيض الجهل إلى أوج العلم تشبيهاً للمعقول بالمحسوس فيلزم له الانتعاض وقد فسرت بالانتعاض للمسامحة وعن هذا قيل إنه تفسير له لا للتفريع لكن قوله لا للتفريع إسقاطه أولى.

قوله تعالى: وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٤﴾

قوله: (صالحاً ومن معه) لما كان قومه مشاركاً له في أصل الإيمان قيل آمنوا ولما كان صالح أصلاً في الإيمان قيل في موضع آخر ﴿فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه﴾ [هود: ٦٦] الآية وأشار إليه المص هنا بقوله ومن معه.

قوله: وهي حال عمل فيها معنى الإشارة أي أشير إليها خاوية مثل ﴿هذا بعلي شيخاً﴾.

قوله: على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هي خاوية قوله بدل على الأول وظرف على الثاني أي محل كلمة إذ في إذ قال نصب على أنه بدل من لوطاً على تقدير كونه مفعولاً به لأذكر أو على أنه ظرف مفعول فيه لأرسلنا على تقدير كونه مفعولاً به لأرسلنا ولا يجوز أن يكون ظرفاً لأذكر إن قدر نصب لوطاً به لأن زمان الماضي لا يصلح أن يكون ظرفاً لفعل يحدث بعده وكذا لا يجوز أن تكون بدلاً على التقدير الثاني إذ لا معنى لأرسال الوقت فإن الوقت مرسل فيه لا مرسل به قوله واقتراف القبايح من العالم بقبحها اتبع وفي الكشف وفيه دليل على أن القبيح من الله أقيح منه من عباده لأنه أعلم العالمين وأحكم الحاكمين وفيه إشارة إلى أصل أهل الاعتزال من أن الله تعالى لا يخلق القبيح قوله أو يبصرها بعضهم من بعض فيكون من بصر الحس لا من البصيرة التي هي للقلب.

قوله: (الكفر والمعاصي) الأولى الاكتفاء بالمعاصي إشارة إلى أن المراد بالتقوى المرتبة الوسطى.

قوله: (فلذلك خصوا بالنجاة) أي امتازوا بالنجاة فالباء داخل في المقصور أشار به إلى أن التعبير بالإيمان والاتقاء إشارة إلى علة الإنجاء بحسب مقتضى الوعد ولا يتنافى قوله تعالى في سورة هود ﴿نجيهم برحمة منا﴾.

قوله تعالى: وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾

قوله: (واذكر لوطاً أو وأرسلنا لوطاً لدلالة ولقد أرسلنا عليه) واذكر لوطاً أي قصة لوط قوله لدلالة ولقد أرسلنا أي قبله في قصة صالح عليه السلام وجوز أبو حيان عطفه على صالحاً أو على الذين آمنوا أي وأنجينا لوطاً قيل وفيه بحث أما أولاً فلأن صالحاً وقع بدلاً أو عطف بيان من أخاهم فيكون لوط أخاً لثمود وأما ثانياً فلأنه مقيد بقوله إلى ثمود ولم يرسل لوط إليهم.

قوله: (بدل على الأول وظرف على الثاني) بدل أي بدل الاشتغال إذ في ذكر المبدل منه تشويق إليه وعلى الثاني ظرف لأن المراد الزمان المتشعب.

قوله: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ [النمل: ٥٤] أي أتفعلونها فإن أتى يجيء بمعنى فعل إما مجازاً أو بالاشتراك اللفظي.

قوله: (تعلمون فحشها من بصر القلب واقتراف القبائح من العالم بقيحها أقبح) واقتراف القبائح أي اكتسابها من العالم متعلق باقتراف أقبح خبر الاقتراف بيان فائدة هذا القيد مع أنه قبيح من العالم والجاهل والجملة الاسمية لإفادة دوام العلم.

قوله: (أو يبصرها بعضهم من بعض لأنهم كانوا يعلنون بها فتكون أفحش) أو يبصرها الخ أي من بصر العين آخره لأن فيه نوع خفاء قوله بعضهم من بعض البعض غير متعين فيكون في حكم الجميع فلا مجاز في إستاد تبصرون.

قوله تعالى: أَلَيْسَ لِكُلِّ شَيْءٍ شَهْوَةٌ مِّنْ دُونِ الْإِنْسَانِ إِنَّكُمْ لَعَاهِلُونَ ﴿٥٥﴾

قوله: (بيان لإتيانهم الفاحشة) ولذا ترك العطف ولما كان الإبهام أولاً والتفصيل ثانياً أوقع وأؤكد ذكر الفاحشة أولاً ثم بين ثانياً اختيار الرجال دون الذكوران لمزيد التقييد وبيان اختصاصه بالإنسان حسبما نطق به قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذَّكَرَانَ وَالْأُنثَىٰ﴾ [الشعراء: ١٦٥] على وجه وأما الحمار والخنزير فلا اعتبار بهما لأنهما أحسن الحيوان قال في سورة الأعراف بيان لقوله: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ [الأعراف: ٨٠] وهو أبغ في الإنكار والتوبيخ أي مما في أنأتون الفاحشة لوجود أن واللام.

قوله: (وتعليقه بالشهوة) اختار كون شهوة مفعولاً له للإتيان علة تحصيلية إذ المعنى لقضاء الشهوة أشار إليه بقوله لا قضاء الوطر وجوز في سورة الأعراف كونه مصدرأ في

موضع الحال أي مشتبهين وحاصله قاصدين قضاء الشهوة وجوز بقاؤه على المصدرية وناصبه أنأتون لأنه بمعنى تشتهون أشار به إلى أن إتيان الرجال مجاز عن الاشتهاه إليه .

قوله : (للدلالة على قبحه والتنبيه على أن الحكمة في المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر) للدلالة على قبحه لكونه خلاف الحكمة فقوله والتنبيه على أن الخ بمنزلة عطف البيان للقيح أي شرعاً إذ لا فيح عقلياً عند الأشعري قوله لا قضاء الوطر إشارة إلى أنه وصف البهيمية الصرفة لا العاقل إذ الداعي له إلى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع ولا يمكن هذا إلا في الذي محل الحرث وهو الفرج دون محل الفرج وهو الدبر وبهذا البيان ظهر وجه التقييد بها مع أن إتيان الرجال لا يكون إلا للشهوة فما الفائدة في التقييد بها والمراد أنه لا ينبغي أن يراد بالمواقعة قضاء الوطر وإن لم يكن له الحذر إذا وافق الشرع المتيين .

قوله : (من دون النساء) من للابتداء والظرف صفة الشهوة أي شهوة مبتدأة من دونهن وقيل حال من الرجال أي أنأتون الرجال منفردين عنهن أو متجاوزين عنهن .

قوله : (اللاهي خلقن لذلك) يعني إن الله تعالى إنما خلق الأنثى للذكر ولم يخلق الذكر لاستمتاع الذكر ولا الأنثى للأنثى ولذا حرم السحق كاللواطلة لأنه مما يغير خلق الله أيضاً قبل فهي مضادة لله تعالى في حكمته (تفعلون فعل من يجهل قبحها أو يكون سفيهاً لا يميز بين الحسن والقبح أو تجهلون العاقبة والثاء فيه لكون الموصوف به في معنى المخاطب) .

قوله : تفعلون فعل من يجهل إشارة إلى دفع ما يرد عليه من أن وصفهم بالبصارة يتنافي وصفهم بالجهل وحاصل الجواب أن المراد بالجهل هنا ليس حقيقة معناه بل المراد به فعل يلزم الجهل حيث يفعله من يجهل بقبحه فاطلق اسم الملزوم على اللازم على طريقة المجاز المرسل قال صاحب الكشف أراد تفعلون فعل الجاهلين بأنها فاحشة مع علمكم بذلك وقال الطيبي هذا الجواب غير مرضي تأباه كلمة الإضراب بل أنه تعالى لما نكر عليهم فعلهم على الإجمال وسماه فاحشة وقيدته بالحال المفردة لجهة الإشكال تمييزاً للإتكاف بقوله : ﴿وأنتم تبصرون﴾ [النمل: ٥٤] أراد مزيد ذلك التوبيخ والإتكاف فكشف عن حقيقة تلك الفاحشة متصلاً وصرح بذلك الرجال محلي بلام الجنس مشيراً به إلى أن الرجولية منافية لهذه الحالة وقيدته بالشهوة التي هي أخس أحوال البهيمية وقد تقرر عند ذوي البصائر أن إتيان النساء لمجرد الشهوة مسترذل فكيف بالرجال وضم إليه من دون النساء وآذن بأن ذلك ظلم فاحش ووضع للمشء في غير موضعه ثم اضرب عن الكل بقوله : ﴿بل أنتم قوم تجهلون﴾ [النمل: ٥٥] أي كيف يقال لمن يرتكب هذه الشناعة وأنتم تعلمون فأولى حرف الاضراب ضمير أنتم وجعلهم قوماً جاهلين والنكت في تجهلون موبخاً معيراً إلى هنا كلامه وحاصل رده لجواب صاحب الكشف أن الإضراب يتنافي ملحوظية ما اضرب عنه واعتباره وهو قد اعتبر بعض ما اضرب عنه بعد الاضراب عن كله حيث قال مع علمكم بذلك إشارة إلى معنى ﴿وأنتم تبصرون﴾ [النمل: ٥٤] والحال أنه من جملة ما اضرب عنه .

قوله : أو تجهلون العاقبة هذا تفسير لتجهلون على حقيقة معناه بخلاف الوجه الأول فإنه تفسير بالمجاز قوله والثاء فيه لكون الموصوف به في معنى المخاطب يعني أن مقتضى الظاهر أن

قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوْنَا مَالِ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ (٥٦)

قوله: (فما كان) الفاء للتضريع وفي سورة الأعراف بالواو على طريق الاستئناف وإنما جعل جواب قومه خبراً وإن قالوا اسماً لأن المصدر المأخوذ أعرف^(١) ومعلوم بالبديهة أن هذا القول لا يكون جواباً فالمعنى ما جاؤوا بما يكون جواباً من كلامه ولكنهم قابلوا بنصحه بالأمر بإخراج لوط عليه السلام ومن معه من المؤمنين من قريتهم وهي سدوم فالاستثناء متصل من قبيل ولا عيب فيهم الخ وكونه منقطعاً يخرجهم عن المبالغة والمراد بأن لوط قومه المؤمنون فيدخل لوط في الحكم بدلالة النص والقول بأن المراد به لوط هو ومن اتبع دينه ضعيف.

قوله: (يتنزهون عن أفعالنا أو عن الأقدار ويعدون فعلنا قذراً) عن أفعالنا أي الفاحشة المذكورة زعماً منهم أنها من الفواحش العظيمة قوله أو يعدون فعلنا قذراً ويزعمون التطهر فهم يتكفلون بإظهار ما ليس فيهم فقولهم إنهم الخ يكون استهزاء كما صرح به في سورة الأعراف وفي كلام الإمام في سورة الأعراف إيماء إلى عدم كونه استهزاء إذ لا عز في اعتقاد العدد محاسن خصمه بل ورد أن أكمل المحاسن ما اعترفه العدد.

قوله تعالى: ﴿فَأَجَبْنَاهُ وَأَخْلَدَهُ إِلَّا أَمْرًا نَّمَّ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْعَلَمِينَ﴾ (٥٧)

قوله: ﴿فأنجينا﴾ [النمل: ٥٧] الفاء فصيحة أي أهلكناهم فأنجيناهم وأعله شامل لامرأته لإيمانها ظاهراً فإنها ستر الكفر وتوافق قبيل لما كان مآل قوله إلا أن قالوا إلا أن يأتوا بما ليس بجواب حقيقة لم يكن منافاة بين هذا القصر وبينه في قوله: ﴿إلا أن قالوا اثنتا بعداد الله﴾ [العنكبوت: ٢٩] إذ المراد في الموضعين ليس بخصوص هذا القول بل لازمه وهو إلا أن يأتوا بما ليس بجواب حقيقة لعجزهم عن الجواب على وجه الصواب فيكون من قبيل:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فسلول من قراع الكتائب

كما مر والقصر إضافي والمنفي الجواب على الحقيقة فلا ينافية قوله تعالى: ﴿فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اثنتا بعداد الله﴾ [العنكبوت: ٢٩] الآية فإنه ليس بجواب على الحقيقة أيضاً والقصر ليس بالنظر إليه بل بالنظر إلى الجواب حقيقة وقيل ولما كان

يقال يجهلون بالياء التحتاني لإسناده إلى ضمير قوم وهو اسم ظاهر والأسماء الظاهرة في حكم الغيب لكن جيء بالفاء فوقاني على طريق الالتفات من الغيبة إلى الخطاب نظراً إلى جانب المعنى لأن القوم هم المخاطبون بأنتم ونكتة الالتفات هي التفريع والتوبيخ.

(١) من المحلى باللام لأنه يشبه الضمير من حيث إنه لا يوصف ولا يوصف به والأعراف أحق بالاسمية.

مآل المعنى أنهم لم يقدروا على الجواب وكان السلوك إلى الطريقة المذكورة للمبالغة في عدم قدرتهم اتدفع وهم المنافاة بينه وبين قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ الْعَنَكُبُوتَ﴾ [٢٩] الآية ولا يخفى أنه ليس فيه التعرض لتوجيه الحصر صراحة (قدرنا كونها من الباقيين في العذاب).

قوله تعالى: وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ﴿٥٨﴾

قوله: (وأمطرنا) قال أبو عبيدة مطر في الرحمة وأمطر في العذاب عليهم تعديت يلاى لتضمنه معنى أرسلنا تقديمه للاهتمام مطراً أي نوعاً من المطر عجيباً فالثنوين للتنوع كثنوين غشاة أي نوعاً غريباً لا يتعارفه أحد وهو الحجارة من سجيل وفي الكشف في سورة الأعراف أي الكبريت والنار والمطر مستعار ولذا قيل والصحيح إن أمطرنا بمعنى أرسلنا عليهم إرسال المطر والظاهر أنه على العموم وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة على مسافريهم وإطلاق النص برده لكن ورد أنهم هلكوا بصيحة وفي أخرى برجفة وفي أخرى بأمطار حجارة والوجه في التوفيق أنه لا مانع في الجمع.

قوله: ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾ [النمل: ٥٨] مر مثله فساء مطر المنذرين الفاء للسببية لأن ما قبله سبب لإخبار كونه سوء اللام في المنذرين للجنس لأن ساء هنا بمعنى بشس وفاعلها لا يكون إلا مبهماً فلا يكون للعهد كما هو مقتضى السوق فالمراد بالمنذرين جنس الكافرين والمخصوص بالذم وهو مطرهم محذوف.

قوله تعالى: قُلِ الْخُسُوفُ يُدْعَى عَلَىٰ عِبَادِي الَّذِينَ أَصْلَحْتُ ۖ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

قوله: (أمر رسوله عليه السلام بعد ما قص عليه) أمر رسوله قدم هذا الوجه لأن كون المراد بالعباد الأنبياء عليهم السلام هو الظاهر المتبادر فيكون المأمور رسوله عليه السلام والأصل في الأمر الوجوب لكن الظاهر هنا التندب بعد ما قص الخ إشارة إلى بيان سبب الأمر وبيان الارتباط إلى ما قبله.

قوله: (القصص الدالة على كمال قدرته وعظم شأنه) الدالة على الخ أي دلالة عقلية وكذا تدل على كمال علمه ووحدته وسائر كمال الأوصاف ولعل قوله وعظم شأنه إشارة إليه.

قوله: قدرنا كونها من الباقيين في العذاب قدر رحمه الله المضاف قبل ضمير المفعول في قدرناها حيث فسر قدرناها بقدرنا كونها لأن قضاء الله تعالى وقدره إنما يشمان على الأحوال والصفات لا على الذوات لأن الذوات لا تقدر هكذا قالوا وقال الواحدي معناه جعلناه تقديراً وقضائنا أنها لمن الباقيين في العذاب وهذا أيضاً راجع إلى معنى قدرنا كونها من الباقيين لأن أن المفتوحة جعلت ما دخلت هي عليه من الجملة في حكم المفرد فيؤول معنى تفسير الواحدي إلى جعلنا تقديراً كونها من الباقيين في العذاب ومعنى الغيور البقاء.

قوله: (وما خص به رسله من الآيات الكبرى والانتصار من العدى بتحميده) وما خص به رسله عطف على القصص عطف الخاص على العام الباء داخله على المقصور أشار إلى أن العباد هم الرسل عبروا بها لأن العبودية أشرف أوصافهم قوله بتحميده متعلق بأمر الأولي بحمده لكنه أشار إلى أن المراد المبالغة كماً وكيفاً وهو المتحقق في ضمن الشكر العرفي ولذا قال شكراً على ما أنعم عليهم وإن كان بالقول الحمد لله لكن المراد الأمر بالتحميد إذ هذا القول ليس عمداً بل يحصل به الحمد.

قوله: (والسلام على المصطفين من عبده شكراً على ما أنعم عليه وعلمه ما جهل من أحوالهم وعرفاناً لفضلهم وحق تقدمهم واجتهادهم في الدين) والسلام اللام من الحكاية لا من المحكي على المصطفين أي المختارين من بين الناس بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية وبها استدلل على فضلهم على الملائكة والاصطفاء افتعال من الصفوة وهي خيار الشيء والمعنى اتخاذ صفوة الشيء ويدخل عليه السلام في أنعم عليهم دخولاً أولاً ولذا لم يقل ما أنعم عليهم وعليه أو لأن إنعامهم إنعام عليه صلى الله تعالى عليه وسلم لأنهم كالكواكب يظهر أنوار شمس رسالته عليه السلام للناس في النظم كما قال الإمام البصري في قصيدته قوله وعلمه عطف على أنعم قوله وعرفاناً معطوف على شكراً لتعليل السلام والاكتفاء به دليل على جواز السلام بدون ذكر الصلاة وعلى جواز السلام على سائر الأنبياء عليهم السلام بالأصالة.

قوله: (أو لوطاً بأن يحمده على هلاك كفره قومه ويسلم على من اصطفاه بالمعصية عن الفواحش والتجاة من الهلاك) أو لوطاً أي أمر لوطاً معطوف على قوله على رسوله أخره لاحتياجه إلى تقدير وقتنا له وأيضاً هذا التعبير شائع في الأنبياء ويلزم أن يكون السلام على غير الأنبياء بالأصالة إذ الظاهر أن العباد مختصة بقوم لوط ممن آمن به وقيل تعمهم أيضاً

قوله: بتحميده متعلق بأمر أي أمر رسوله بتحميده أعلم أن قوله تعالى: ﴿قل الحمد لله﴾ [النمل: ٥٩] يمكن أن يوجه على وجهين الأول أن يكون ابتداء كلام مصدر بالتحميد غير متصل بما قبله من القصة فيكون من باب الاقتضاب فيكون المذكور في علم البديع وهو الخروج مما شيب الكلام به إلى المقصود من غير رعاية ملائمة بينهما ومنه ما يذكر في الخطب بعد الحمد لله والصلاة على نبيه ويقال أما بعد وههنا أيضاً قد أمر عليه الصلاة والسلام بأن يبتدىء بتحميد وتسليم لثلاثة الآيات الناطقة بالبراهين وهي قوله: ﴿الله خير أما يشركون آمن خلق السموات والأرض﴾ [النمل: ٥٩، ٦٠] إلى آخر الآيات والثاني أن يكون متصلاً بما قبله فيكون من باب التخلص المذكور في علم البديع أيضاً وهو الخروج من كلام إلى المقصود برعاية ملائمة بينهما بذكر كلام بينهما هو واسطة لربط المقصود بالكلام الأول وههنا جعل التحميد على الهالكين من كفار الأمم والصلاة على الأنبياء واشاعتهم ذريعة على الشروع في قصته ﷺ مع مشركي قومه وأن له ولهم أسوة بالأمم الماضية والأمم الخالية اقتصر القاضي رحمه الله من هذين الوجهين على الوجه الثاني وذكر صاحب الكشف الوجه الثاني أيضاً حيث قال وقيل متصل بما قبله وأمر بالتحميد على الهالكين من كفار الأمم والصلاة على الأنبياء الناجين.

والعبارة غير ظاهرة فيه ولا يندفع به المحذور المذكور واختار كونه تخلصاً من قصص الأنبياء عليهم السلام إلى ما جرى له من المشركين الله بالمد لقلب الهمة ألقاً.

قوله : (إلزام لهم وتهكم به وتسفيه لرايهم) إلزام لهم بإرخاء العنان بتسليم أن فيهم خيرية وتهكم بهم حيث سلم الخيرية مع أنه لا خيرية لهم أصلاً أو تهكم بهم حيث جعل موازناً له تعالى مع أنه لا خيرية لها أصلاً قوله وتسفيه أي نسبة إلى السفاهة مثل فسقته .

قوله : (إذ من العلوم أن لا خير فيما أشركوا به رأس حتى يوازن بينه وبين من هو مبدأ كل خير وقرأ أبو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء) فيما أشركوا به أشار إلى أن ما موصولة والمضارع بمعنى الماضي اختير لحكاية الحال الماضية وجعل مصدراً بتقدير أتوحيد الله خير أم شركهم تكلف ولذا لم يلتفت إليه .

قوله تعالى : **أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَبَابًا كَذَلِكَ يَهْجِكُمْ مَاءٌ كَذَاتٍ لَّكُرْ أَنْ تُبَلِّغُوا شَجَرَهَا أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ يَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْبُدُونَ** ﴿٦٠﴾

قوله : (بل آمن)^(١) إشارة إلى أن أم منقطعة ولا مساع لكونها متصلة .

قوله : (التي هي أصول الكائنات) أي الموجودات المركبة من الجسمانيات الكثيفة فإن النباتات تخلق من ماء السماء والأرض والحيوانات من الأغذية الحاصلة من النبات فلا يتناول الملائكة والأجسام البسيطة .

قوله : إذ من المعلوم أن لا خير فيما أشركوه رأساً حتى يوازن بينه وبين ما هو مبدأ كل خير فيكون جرياً للمعلوم مساق المجهول استدراجاً وإرخاء عنان لتبكيثهم والاستهزاء بهم وتسفيههم وذلك أنهم أثروا عبادة الأصنام على عبادة الله ولا يؤثر عاقل شيئاً على شيء إلا لداع يدعو إلى إثارة من زيادة خير ومنفعة فإن في موازنة ما لا خير له أصلاً لمن هو مبدأ كل خير والترديد بينهما بالهمزة وأم مستضهماً مع العلم بأن لا مشاركة ولا موازنة له معه الزاماً لهم لعدم اقتدارهم على أن يقولوا إن أصنامهم التي هي عجرة عن النفع والفكر خير من الله الذي هو مبدأ كل خير ونفع وتهكماً بهم لخطابهم بكلام يستعمل في مقام الموازنة فحين استعمل فيما لا موازنة فيه أصلاً جاء التهكم تسفيهاً لرايهم أي نسبة لرايهم إلى السفاهة لأن إثارة شيء على شيء من غير أمر داع إلى إثارة عبث وفعل من أفعال الجاهلية السفاهة .

قوله : بل آمن خلق إشارة إلى أن أم فيه منقطعة بمعنى بل والهمزة بخلافها في أم ما يشركون كأنها متصلة لأن المعنى ثمة أيهما خير وههنا على الانقطاع لأنه لما قال الله خير أم الآلهة قال بل ﴿وَأَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ خير تقريراً لهم بأن من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء فيكون اضرباً عن السؤال الأول إلى تقرير المعنى الثاني أي دعوا ذلك الستم تفرون أنه خالق السموات والأرض وأنه خير من جماد لا يقدر على شيء .

(١) وفيه إشارة إلى أن أم فيما قبله متصلة والاضراب هنا من الاستفهام الإنكاري التوبيخي إلى الاستفهام التقريري .

قوله: (ومبادئ المتافع وقرىء آمن بالتخفيف على أنه بدل من الله) ومبادئ المتافع إذ كل مشروب ومأكول ومركوب وملبوس يتكون منهما وهما وإن كانا مبادئ المضرات لكنها لتضمنها المنفعة راجعة إليها ثم المراد بهذا التوصيف إشارة إلى وجه تخصيص الذكر بهما.

قوله: (أي لأجلكم) تنبيه على أن اللام للتعليل إذ المقصود انتفاعهم ولذا قدم والمراد بالسماء كونها فلماً أولى من كونه سحاباً إذ أصول الكائنات هو الفلك فالأحسن الموافقة لما قبله والإفراد هنا على قول من قال إنه مفرد لأن نزول المطر من السماء الدنيا.

قوله: ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ﴾ [النمل: ٦٠] الغاء بالنظر إلى ابتداء النبات فإنه إذا نزل المطر بشرع النبات أنبت وإن كان ظهوره متراجخاً ولذا يصح ثم بأن يقال ثم أنبتنا وصف ذات بهجة للملح.

قوله: (عدل به عن الغيبة إلى التكلم لتأكيد اختصاص الفعل^(١) بذاته والتنبيه على أن إنبات الحقائق البهية المختلفة الأنواع المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة) عدل به أي مقتضى الظاهر الغيبة عدل عنه الخ لتأكيد اختصاص الفعل وهو الإنبات المتفرع على الخلق فالفعل هو مجموع الخلق والإنبات ولذا عبر بالفعل العام ولذا قال الفاضل المحشي فإن أصل الاختصاص يفهم من الاستفهام التقريري أو المراد الإنبات فقط وفهم اختصاصه من الاستفهام التقريري لتفرعه عليه وهذا أولى مما قيل اختصاص الإنبات به بحكم المقابلة بين أخس الشركاء وخالق الأرض والسماء فإذا التفت ونسب الفعل إلى ذاته تأكد ذلك الاختصاص وهذا نكتة مخصوصة يمثل هذا الالتفات مصححة لا موجبة إذ جاء في موضع

قوله: وقرىء آمن بالتخفيف على أنه بدل من الله كأنه قال آمن خلق السموات والأرض خير أم ما يشركون.

قوله: عدل به عن الغيبة إلى التكلم لتأكيد اختصاص الفعل بذاته أي عدل بقوله فأنبتنا عن الغيبة التي هو من خلق السموات لأن من اسم ظاهر في حكم الغائب يعني أن أصل الاختصاص مستفاد من الاضراب ونفي الخبرية عن الشركاء وإنباتها لله تعالى بعد ما أنبتنا له بقوله الله خير على سبيل التبيكيت فأكد ذلك الاختصاص بنقل الخطاب من الغيبة إلى التكلم لأن التكلم أقوى وأرسخ من الغيبة لأن الأصل أن يكون الخطاب بين الحاضرين ولأن الأصل في الإخبار أن يخبر الإنسان عن نفسه ثم عن نفسه وعن معه ثم عن المخاطب ثم عن الغائب ثم من إشار صيغة الدال على الكبرياء والمعظمة ثم رسخ هذه المبالغة والتأكيد بقوله: ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ [النمل: ٦٠] أي لا ينهي ولا يصح ولا يستقيم منكم أن تفعلوها بل هو من خصائص من عظم شأنه وجل سلطانه فإنكم أحقر عاجزون عن ذلك ثم رشح هذا التحقير بالنقل من الخطاب في قوله لكم إلى الغيبة في قوله: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠] لعكس المعنى الأول وهو الطرد والتعبد والتحقير فانظر إلى هذه الرموز التي تسلب العقول.

(١) ولا يخفى أن حصول هذا التأكيد لا يتوقف على نون المعظمة فالأولى الاكتفاء بما ذكره في التنبيه كما اكتفى به في سورة طه.

آخر فأخرج به والتنبيه الخ بيان ما يترتب على ذلك الاختصاص المؤكدة ولما علم ذلك بأدنى توجه عبر بالتنبيه البهية تفسير البهجة المختلفة الأنواع أشار إلى أن جمع الحقائق باعتبار الأنواع لا الأفراد فالأنواع مختلفة لا محالة المتباعدة الطباع لأن ألوانها وطعمها مختلفة متضادة مع أنها من مادة واحدة وهي المواد من قوله في المراد المتشابهة وهي الأرض والماء والجمع باعتبار الأفراد فإن العادة جارية في جعل الماء الممزوج بالتراب سبباً عادياً في إنباتها ومادة لها كالنظفة للحيوان وإن كان النيات بقدرة الله تعالى ومشيته .

قوله : (لا يقدر عليه غيره) إذ لا قدرة كاملة له والنون العظيمة تدل على كمال قدرة .

قوله : (كما أشار إليه بقوله : ﴿ما كان لكم﴾ [النمل : ٦٠] الآية) لم يقل كما صرح به إذ عدم القدرة غير مصرح به فإن معنى قوله تعالى : ﴿ما كان لكم أن تنبتوا﴾ [النمل : ٦٠] ما صح لكم وما أمكن لكم فيكون عدم قدرة غيره مشاراً إليه .

قوله : (شجر الحقائق وهي البساتين من الأحداق وهو الإحاطة) أشار إلى أن الحديقة بستان يحيط بجوانبه الحائط لكنه أغلبي إذ بعض البساتين لا حائط له .

قوله : (أغيره يقرن به ويحمل له شريكاً وهو المتفرد بالخلق والتكوين وقرىء الهاء بإضمار فعل مثل أتدعون أو أتشركون ويتوسط مدة بين الهمزتين وإخراج الثانية بين بين عن الحق الذي هو التوحيد) .

قوله تعالى : **أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خَلْقَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوْبِيكًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِئَلَّ كُفْرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴿٦١﴾

قوله : (بدل من أمن خلق السموات وجعلها قراراً بإبداء بعضها من الماء وتسويتها بحيث يتأني استقرار الإنسان والدواب عليها) بدل من أمن خلق الخ بدل العين لكن المبدل منه مقصود أيضاً ليس في حكم الساقط قوله إبداء بعضها من الماء وهو الربع المسكون وهذا مذهب الحكماء من أن الماء فوق الأرض لكن أظهر الربع منها ليسكن عليها الإنسان

قوله : من الإحداق بكسر الهمزة من أحقد بمعنى أحاط فالحقائق جمع حديقة وهي بستان عليه حائط ولكونه محوطاً بحائط سمي حديقة والتاء للنقل من الوصفية إلى الاسمية .

قوله : وهو المتفرد بالخلق والتكوين لما اثبت الآيات السابقة تفردة تعالى في خلق العالم انكر اشتراك الغير معه في ذلك بهمزة الإنكار فقال لا إله مع الله لأن شركة الغير في صنعه تنافي تفردة فيه .

قوله : بدل من ﴿أمن خلق السموات﴾ يعني إذا أخذت مجموع الآيتين وخلصتهما وكونتهما داليتين على اختصاص الله بهذه الأعمال التي لا يقدر عليها غيره فإنها دالة على التوحيد ونفي الضد والتد كان حكم الثاني حكم الأول فيصح الإبدال لذلك ولأن الآثار السفلية اظهر من الآثار العلوية وأقرب خطوراً عند الاعتبار ولأن الدلائل كلما كانت اسهل مآخذاً كانت أبين وأوضح فصح إبدال الثانية من الأولى .

والدواب قوله وتسويتها أي جعلها مبسطة مستوية متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى تكون مهيئة لأن يمشوا عليها ويقعدوا ويناموا كالفرش المستوي المفروش قوله بحيث يتأني استقرار الإنسان الخ إشارة إلى ما ذكرناه وذلك لا يستدعي كونها مسطحة لأن كربة شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا تأني الاستقرار عليها وهذا مما صرح به المص في بعض المواضع وميل أكثر علمائنا كونها مسطحة خيمية وفي قوله الاستقرار إشارة إلى أن قراراً بمعنى مستقر على أنه اسم مكان لا بمعنى قارة بقرينة لكم لكنه يلزم منه وأيضاً هذا يفهم من قوله وجعل لها رواسي لأنها كالأوتاد لها منعها عن الاضطراب والحركة قال ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ كراهة أن تميد بكم وتضطرب فالمعنى أمن جعل الأرض مستقرة لكن بولغ وحمل عليها المصدر مبالغة.

قوله: (أوساطها) إذ الخلال جمع خلل وهو الفرجة بين الشيتين فهو اسم ظرف قام مقام المفعول الثاني أو حال.

قوله: (جارية) صفة موصحة لا مخصصة لأنها جمع نهر بالفتح والسكون المجري الواسع فوق الجدول دون البحر كالنيل والفرات.

قوله: (وجعل لها رواسي) ثوابت من رسا الشيء إذا ثبت ومنه قوله أرسوا أي السفينة نزولها جمع راسية والتاء للتأنيث على أنه صفة لجبل أو للمبالغة كذا ذكره المص^(١) في سورة الرعد.

قوله: (جبالاً تتكون فيها المعادن ويشع من حضيضها المنابع) تتكون فيها المعادن الخ لم يذكر فائدة منعها عن الحركة والاضطراب لما مر غير مرة قوله وينبع من حضيضها المنابع أكثرى وكذا التكون أغلبي قيل قوله منبع إشارة إلى وجه تعقيب الأنهار به وهو ضعيف إذ التعرض بتكون المعادن لا يلائمه والمقصود تعداد النعم والواو للجمع لا يقتضي الترتيب. (العذب والمالح أو خليجي فارس والروم).

قوله: (برزخاً وقد مر بيانه في الفرقان) قال هناك برزخاً حاجزاً من قدرة الله تعالى وذلك كدجلة تدخل البحر فنشقه فتجري في خلاله فراسخ لا تتغير طعمها.

قوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾ [النمل: ٦١] أي أكثر الناس وأما أقلهم فهم يعلمون الحق والترحيد أو أكثرهم أي الكافرين وأما أقلهم وإن علموا الحق لكنهم لا يؤمنون فعلمهم كلا علم أو الأكثر بمعنى الكل.

قوله: (فيشركون به) أي عدم العلم سبب لإشراكهم ومنشأ عدم علمهم ترك النظر

قوله: أو خليجي فارس والروم الخليج من البحر شق منه والخليج أيضاً النهر والمعنى الأول هو المناسب للمقام.

(١) وفي سورة الرعد مزيد توضيح.

في الآيات العقلية والتقليدية وعدم التفاتهم قول نبيهم هذا في الأكثر وأما أقلهم فسيب شركهم علوهم واستكبارهم قال تعالى: ﴿وَجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً﴾ [النمل: ١٤] الآية.

قوله تعالى: **أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْثِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ**
أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾

قوله: ﴿أَمَّنْ يجيب المضطر إذا دعاه﴾ [النمل: ٦٢] المضطر هو الذي أحوجه شدة ما به إلى اللجأ إلى الله تعالى من الاضطرار ﴿أَمَّنْ يجيب المضطر﴾ الإجابة من الاستجابة لأن معناه إعطاء الجواب إما بتحصيل المطلوب أو بدونه وأما استجابته فمختص بتحصيل المطلوب فاتضح أن اختيار الإجابة هنا على الاستجابة أحسن المضطر هو الذي الخ هذا تعريف بالأخص لأن المضطر من وقع في الضرورة كحال المخمصة وحال الإكراه إلا أن يقال إن في كل واحد من المضطرين شأنه ما ذكره المص.

قوله: (وهو افتعال من الضرورة) ويناؤه للمطوعة وفي هذا الكلام دليل على العموم.

قوله: (واللام فيه للجنس لا للاستغراق فلا يلزم منه إجابة كل مضطر) واللام فيه للجنس أي للعهد الذهني فإنه من فروع اللام للجنس ولك أن تقول إنه للاستغراق لأن كل مضطر يجاب بنوع الإجابة أو مقيد بأنه إذا دعاه مقروناً بشروط الإجابة ويؤيد الأول التعبير بالإجابة دون الاستجابة كما عرفته وأما قول الزمخشري أي يجيب كل مضطر إن شاء أو إن علم فيه مصلحة فيرد عليه أنه يمكن الاستغراق في كل موضع بهذا القيد.

قوله: (ويدفع عن الإنسان ما يسوءه) الظاهر أنه مقيد بأنه إذا دعاه ويمكن الإطلاق وإنما قال يدفع لأن الكشف مستعمل فيه كما في الرفع ولك أن تريد عمومه الرفع أيضاً لأن فيه دفع الزيادة فيكون الدفع عاماً للرفع أيضاً ويحتاج إلى تعميم الكشف أيضاً وهو تكلف والمراد بالإنسان مطلق الإنسان مضطراً أو غيره فهو عطف العام على الخاص وتخصيص المضطر لكونه أحوج فيكون أهم قوله ما يسوءه تنبيه على أنه صفة مشبهة أو بمعنى المشتق إذ أصله مصدر وضم السين جرى مجرى الشر.

قوله: (خلفاء فيها بأن ورثكم سكناتها والتصرف فيها) خلفاء فيها أي الإضافة بمعنى

قوله: واللام فيه للجنس هذا ادفع لما عسى يرد ههنا بأن اللام في المضطر للاستغراق فيلزم أن يكون دعاه كل مضطر مستجاباً وكم من مضطر يدعو فلا يجاب فأشار رحمه الله إلى جوابه بأن اللام فيه للجنس لا للاستغراق والمطلق يحتمل الكل والبعض كاللفظ المشترك فيحتاج في تعيين أحد مفهوميه إلى القرينة والدليل وقد قام الدليل هنا على البعض وهو أن رعاية الحكمة شرط في الإجابة فلذا لا يجاب دعاه كثير من المضطرين قال صاحب الفرائد ما من مضطر دعاه إلا أجب وأعيد نفع دعائه إليه إما في الدنيا وإما في الآخرة وذلك أن الدعاء طلب شيء فإن لم يعط ذلك الشيء بعينه أعطي ما هو أجل منه أو إن لم يعط في هذا الوقت فهو يعطى بعده.

في قوله بأن ورثكم الخ من التورث أي بأن مكنكم فيها تمكن الوارث ملك الموروث منه ففيه استعارة تبعية قوله والتصرف الخ إشارة إليه فالخطاب لنوع الإنسان فإنه يرث بعض أفرادهم ممن قبله في مدة ثم تركه^(١) ويرث بعض آخر بعده قال تعالى: ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾ [هود: ٦١]^(٢) الخ وفيه تنبيه تنبيه على أنه من العواري الزمان فلا ينبغي أن يغتر به ولا يحيل إليه كل الميل .

قوله : (ممن قبلكم)^(٣) من أبناء نوعكم المتقدمين وقيل من بني آدم ومن غيرهم والتصرف فيها بعمارتها حساً ومعنى وهو إصلاحها بأنواع الطاعات وأصناف المبرات وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ أمر الله تعالى فيها هذا إذا كان الخطاب عاماً وأما إذا كان خاصاً^(٤) بالكفار فالمراد التصرف بالعمارات حساً .

قوله : (ءاله مع الله) كرهه لتكرر دليل الوحداية .

قوله : (الذي خصكم بهذه النعم العامة والخاصة) بهذه النعم العامة لإفرادكم وهي خلافة الأرض بالمعنى المذكور وهي القرار في الأرض والتصرف فيها بالبناء وغيره من غرس الأشجار وتحصيل الأثمار والنعم الخاصة إجابة المضطرين ودفع سوء فإنها مختصة ببعضكم كما مر .

قوله : (أي تذكرون آلاءه تذكراً قليلاً) أي نعماءه تذكراً قليلاً أشار إلى أن قليلاً صفة لمفعول مطلق محذوف قدم لرعاية الفاصلة .

قوله : (وما مزيدة) أي مزيدة لتأكيد القلة أو المعنى زمناً قليلاً تذكرون كما ذكره في بعض المواضع والمآل واحد .

قوله : (والمراد بالقلة العدم) هذا إشارة إلى أن المخاطبين هم المشركون ومعنى

قوله : منكم لهذه النعمة أي انعمكم بها من المن بمعنى الانعام ومنه المنان من أسماء الله تعالى .

قوله : أي تذكرون آلاءه تذكراً قليلاً قليلاً صفة للمفعول المطلق المحذوف القائم هو مقامه وفعله محذوف أيضاً أي تذكرون تذكراً قليلاً وتذكرون المذكور مفسر للمحذوف وما مزيدة لتأكيد معنى القلة .

قوله : والمراد بالقلة العدم لأن التذكر من الكافر بعيد ولو تذكر لا يعتد به لعدم ثمرته ونفعه في الآخرة لاتعدام أساس عمله الخير وهو الإيمان بالله وهو المراد بقوله أو الحقارة المزينة للفائدة .

(١) فالفرق الواحد يجمع فيه الخلافة وعدمها بالنسبة إلى من قبله ومن بعده فلا محذور .

(٢) وقيل من العمري بمعنى أعماركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام أعماركم أو جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم .

(٣) كالتأكيد لما قبله فإن الخلافة إنما هي لمن قبلهم .

(٤) قول المص والمراد بالقلة العدم الخ صريح في أن الخطاب للكفار تأمل .

العدم مجاز للقلّة والعلاقة عدم الاعتناء بهما وقيل لقربها من العدم وليس هذا من العلاقة المعبرة.

قوله: (أو الحقارة المزينة للفائدة وقرأ أبو عمرو وروح بالياء وحمزة والكسائي وحفص بالتاء ويتخفيف الذال) أو الحقارة أي المقابل للكثرة قوله المزينة أي المزيلة للفائدة أي فائدة التذكّر وهي التوحيد والطاعات فهي منتفية فيهم لما عرفت أن الخطاب للمشركين لكن المناسب حينئذ كون الخطاب للكل كما صرح به الفاضل السعدي في سورة الملك مع أن السوق يقتضي العموم إذ النعم المذكورة غير مختصة بالكافرين بل غير مختصة بالإنسان حيث قال ليتأتى استقرار الإنسان والدواب إذ النعم العامة فسرّها بعضهم بالما والنبات وإن لم يكن ملائماً لتقرير المص.

قوله تعالى: **أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّيْلٍ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ بَشْرًا يَمُوتُ يَوْمَ تَحْمِيهِمْ أَولَئِكَ مَعَ اللَّهِ تُعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴿٦٣﴾

قوله: (أمن يهديكم) أي بل أمن يهديكم أي يرشدكم فالهداية بالمعنى اللغوي وهو الدلالة بلطف قوله بالنجم الخ إشارة إليه والحاصل أن النجم يستدل به السابله بالليل في البراري والبحار أو بالنهار أيضاً إن عمم النجم إلى الشمس إذ المراد مطلق النجم ولذا قال بالنجوم بالجمع فظهر ضعف ما قيل إن المراد الثريا والفرقدان وبنات النعش والجدي.

قوله: (بالنجوم وعلامات الأرض) أي معالم نستدل بها السابله من جبل وسهل ومنهل وريح وغيرها كذا ذكره في سورة النحل فقوله بالنجوم الخ لف ونشر مشوش أو هو لكل منهما لأن من في البحر قد يهتدي بعلامات الأرض لأن الريح من علامات الأرض كما صرح به في سورة النحل ولا ريب في اهتداء من في البر بالنجوم وهداية الله تعالى نصب هذه العلامات وخلقها.

قوله: (والظلمات ظلمات الليالي وإضافتها إلى البر والبحر للملاسة) ظلمات الليالي لأن عدم النور حال الليالي وإضافتها الخ أي الإضافة مجازية للملاسة لوقوع الظلمات فيها ولو جعل الإضافة بمعنى في لم يبعد.

قوله: (أو مشتبهات الطرق) أي طرق البر والبحر ومشتبهاته ملتبساته سميت ظلمة لمشابهتها في عدم الاهتداء وضلالة من سلك فيها عن المطلوب فهي استعارة مصرحة

قوله: أو مشتبهات الطرق شبهت الشبهة في الطريق بظلمة الليل فأطلق اسم المشبه به على المشبه على سبيل الاستعارة المصروفة أو شبهت طرق البر والبحر بالليل في كونها ملتبسة محيرة على وجه الاستعارة بالكناية فأثبت لازم المشبه به وهو الظلمة للمشبه تخيلاً ويحتمل أن يكون هذا من اجتماع الاستعارة التصريحية والمكنية بأن يكون التصريحية قرينة للمكنية كما في «يتنفسون عهد الله» [البقرة: ٢٧] على ما مر تحقيقه في تفسير «واشتعل الرأس شيباً».

فالإضافة في بابها ويمكن أن يراد كلاهما بطريق عموم المجاز أو جمع الحقيقة والمجاز كما هو مذهب المص والهداية أتم نعمة في صورة اجتماعهما معاً وكيفية الاستدلال في صورتين إما على نسق واحد أو بطرق مختلفة فلا تغفل.

قوله: (يقال طريقة ظلماء وعمياء للتي لا منار بها) طريقة ظلماء أي على طريق الاستعارة كما عرفته وعمياء الظاهر أن تسمية الطريق بحال السالك فإنه كالأعمى في عدم الوصول إلى المطلوب فيكون استعارة مع مجازية الإسناد والمنار ما يوضع على الطريق لمعرفة.

قوله: (ومن يرسل الرياح) أعيد من لأنه نوع آخر من النعم ودليل آخر على الوحدانية والتقدير وأم من يرسل الرياح بشراً تخفيف بشر جمع بشير وقد قرئ به جمع الرياح لأن المراد الصبا والذبور والشمال والجنوب والذبور فالصبا تثير السحاب والشمال تجمعهم والجنوب تدره والذبور تفرقه قوله بين يدي رحمته أي قدمه بين يدي كناية عن القدم وإنما اختير لأنه يدل على القرب بخلاف الإمام والقدم.

قوله: (يعني المطر) الذي هو من أهم النعم وأجلها تفسير للرحمة فإنها تطلق عليه.
قوله: (ولو صح) إشارة إلى عدم صحته عند أهل العملة لأنه قول الحكماء الذين يضيعون أوقانهم فيما لا يعنيهم.

قوله: (أن السبب الأكثر في تكون الرياح معاودة) أن السبب الأكثر في قبه لأن سببه قد يكون بأن يتخلخل الهواء فيندفع عن مكانه بواسطة عظم جرمه فيدافع ما يجاوره فيطأوعه فيدافع ذلك المجاور أيضاً مجاوره فيتموج الهواء فيحصل الريح ريحه الريح بأنه متحرك هو هواء لا بأنه هواء متحرك إذ الهواء مادة الريح وموضوعها فلا يجوز وضعها موضع الجنس كذا في شرح المواقف.

قوله: (الأدخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها) الأدخنة الصاعدة أدخنة جمع دخان وهو المركب من الأجزاء النارية والترابية وسبب صعودها الحر فإذا وصلت إلى الطبقة الزمهريرية وهو المراد من الطبقة الباردة.

قوله: (وتموجها الهواء فلا شك أن الأسباب الفاعلية والقابلية لذلك من خلق الله

قوله: ولو صح الخ يريد أن إسناد تكون الريح إلى معاودة الأدخنة من فوق وتموجها الهواء الكائن تحتها عند هبوطها إلى السفلى إن صح يكون سببها الفاعلي تلك المعاودة الهابطة والآية الكريمة ناطقة بأن فاعلها هو الله تعالى والمعلول الواحد لا يستند إلى فاعلين وحاصل جوابه رحمه الله أن المحال استناد معلول واحد إلى فاعلين مستقلين والسبب الفاعلي هنا الاستقلال له بل هو بخلق الله تعالى فيكون المسبب أيضاً يخلقه لأن الخالق لسبب الشيء خالق لذلك الشيء أيضاً قوله تعالى: ﴿الْقَادِرُ﴾ [الأنعام: ٦٥] عن مشاركة الغير يريد أن قوله عز من قائل: ﴿إِلهَ مع الله تعالى الله عما يشركون﴾ [النمل: ٦٣] تذييل كالنتيجة للآيات السابقة المثبتة أن الله تعالى هو الواحد القادر الخالق دون ما عداه وأن ما عداه عاجز لا يشاركه في الخلق والقدرة التامة فهو المتفرد المتعالي عن مشاركة الغير في صفاته وأفعاله.

تعالى والفاعل للسبب فاعل للمسبب) وتمويجها أي تحريكها قوله فلا شك أن الأسباب الفاعلية وهي معاودة الأذخنة والقابلية وهي الهواء من خلق الله تعالى فإن مسلك الحكماء أن الأشياء مستندة إلى الله تعالى بواسطة الآلات وهذا مذهب التحقيق لهم وأما قولهم فلأن الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد فمذهب مشهور والتعمويل على تحقيقهم (يقدر على مثل ذلك) .

قوله : (تعالى الخالق القادر عن مشاورة العاجز المخلوق) تعالى الخالق الخ أي تنزه عن مشاركة الخ فهي صفة سلبية قوله عن مشاركة الخ حمل الماء على المصدرة لأن في الموصولة تكلفاً لفظاً ومعنى إما لفظاً فاحتياجه إلى العائد المحذوف وإما معنى فلأن التنزه عن الذات لا معنى له إلا بملاحظة الإشراك .

قوله تعالى : **أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكَ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ قُلْ هَكَأُوذُ بِرَهْنِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾**

قوله : (﴿أمن يبدأ الخلق﴾) ترك العطف أيضاً وتبنيهاً على استقلاله .

قوله : (والكفرة وإن أنكروا الإعادة) جواب سؤال مقدر أن الكلام مع المشركين وأكثرهم منكر للإعادة بالمعنى المراد هنا وهو إعادة بدنه بعد هلاكه بإعادة الأجزاء المتفرقة وجمعها أو إعادة المعدوم بعينه فكيف يلقي إليهم الكلام إلقاء المعترفين بها .

قوله : (فهم محجوجون بالحجج الدالة عليها) جواب السؤال ومن جملة الحجج الدالة عليه الخلق ابتداء لأن إمكان الوجود أولاً يدل على إمكانه ثانياً بل هو أهون عليه ثم ذكر ما يدل على وقوعه بقوله ثم يعيده وبهذا البيان ظهر وجه ذكر الخلق ابتداء والحاصل لظهور الحجج على وقوع الإعادة جعلوا كأنهم معترفون بها فإن التمكن من العلم مثل المعرفة .

قوله : (﴿ومن يرزقكم من السماء والأرض﴾ [النمل : ٦٤] أي بأسباب سماوية وأرضية) من السماء والأرض أي منهما جميعاً أشار إليه بقوله بأسباب سماوية وأرضية أو

قوله : والكفرة وإن أنكروا الإعادة فهم المحجوجون بالحجج الدالة عليها هذا رد لما يرد على ظاهرها الآية من أن الاستفهام في ﴿أمن يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ للترديد أي حمل المخاطب على الإقرار والمخاطب بالاستفهام التقريري ينبغي أن يكون من شأنه أن يقر بضمون الكلام المستفهم منه والمخاطبون هنا كفرة وهم يتكروا الإعادة لا يقرّون بها قطعاً فما وجه خطابهم بالاستفهام التقريري المراد به حمل المخاطب على الإقرار فقال رحمه الله والكفرة وإن أنكروا الإعادة لكنهم لكونهم محجوجين بالحجج والبراهين الدالة عليها الملجئة على الإقرار بها صاروا ممن يصلح أن يخاطبوا بهذا الاستفهام والمراد بالحجج هي الآيات السابقة الدالة على ثبوت الإعادة وقد أشار صاحب الكشاف إلى هذا الجواب بقوله قد ازيلت عنهم بالتمكن من المعرفة والإقرار فلم يبق لهم حذر في الإنكار .

من كل واحد منهما ولم ينبه عليه هنا وقد ذكره في سورة يونس وقد فصلناه هناك في قوله أسباب سماوية إشارة إلى أن من ابتدائية داخلية على ما فيه السبب وكونها للبيان غير صحيح هنا بخلاف ما في سورة يونس فإنه قد جوزه هناك بتقدير المضاف .

قوله : ﴿ بفعل ذلك ﴾ أي يقدر ذلك والفعل يستلزم القدرة بخلاف القدرة إلا أن يراد بها القدرة مع الفعل فذكر الفعل هنا والقدرة هناك للتفنن والسؤال بأنه لم لم يعكس ليس بشيء لأنه سؤال دوري وقس أمثاله .

قوله : ﴿ قل هاتوا برهانكم ﴾ [النمل : ٦٤] أحضروا برهانكم وحجتكم مشتق من البره وهو القطع أو البرهنة وهي البيان .

قوله : ﴿ على أن غيره يقدر على شيء من ذلك ﴾ [إن كنتم صادقين] [النمل : ٦٤] في إشراككم فإن كمال القدرة من لوازم الألوهية على أن غيره يقدر الخ والمشركون لم يدعوا ذلك صريحاً لأنه مكابرة صريحة لكنهم لما ادعوا إلهاً مع الله يلزم منه ادعاءان غيره يقدر الخ فألزم وأفحم بطلب إحضار البرهان ويؤيد ما ذكرنا قوله : ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ [النمل : ٦٤] وقول المص فإن كمال القدرة من لوازم الألوهية فمن أثبت للغير ألوهية لزمه أن يثبت كمال القدرة وقدرة شيء من ذلك وإنما اختار هذا التقدير لمناسبة ما قبله وكلمة الشك تهكم بهم وخطاب معهم على حسب ظنهم في إشراككم في قولكم إن لنا إلهاً غيره تعالى إذ اعتقاد الشركة لا يصدق عليه الصدق إلا أن يكون مجازاً عن الحق .

قوله تعالى : قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾

قوله : ﴿ لما بين اختصاصه بالقدرة التامة الفاتكة العامة ﴾ أشار إلى أن القدرة معتبرة في كل موضع ذكر في تفسير قوله تعالى : ﴿ وإله مع الله ﴾ [النمل : ٦٤] وفيه دليل واضح على أن المراد بالفعل في قوله بفعل ذلك الفعل مع القدرة كما نبهنا عليه قبل في قوله أمن خلق السموات إلى هنا وهذا إشارة إلى ما ذكرناه .

قوله : ﴿ اتبعه ما هو كالتلازم له وهو التفرد بعلم الغيب والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة التيممية ﴾ اتبعه ما هو كالتلازم له وبذلك علم ارتباطه بما قبله وإيراد قل

قوله : فإن كمال القدرة من لوازم الألوهية ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ [النمل : ٦٤] في دعواكم أن مع الله إلهاً آخر يقدر على شيء من تلك الأفعال فأتوا برهانكم فإذا لم تأتوا به فدعواكم هدم باطله لأن ما اتخذتموه إلهاً من دون الله منتف عنه القدرة على تلك الأفعال والقدرة عليها من لوازم الألوهية وانتفاء اللازم يستلزم انتفاء الملزوم فما اتخذتموه إلهاً من دون الله لا يضح أن يكون إلهاً لتفقد لازمه .

قوله : ورفع المستثنى على اللغة التيممية يريد أن انقطاع المستثنى يوجب نصبه على مذهب جمهور النحاة فرفعه هنا على اللغة التيممية فإنهم يقولون ما في الدار أحد إلا حمار يرفع حمار يربدون ما فيها إلا حمار كان أحداً لم يذكر وإنما اختير هذا المذهب ليؤول المعنى إلى أنه إن كان

اهتماماً بشأنه قوله وهو التفرد بعلم الغيب والمراد بالغيب المغيبات التي لا دليل عليها وهو المعنى بقوله تعالى: ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾ [الأنعام: ٥٩] الآية بخلاف الغيب الذي نصب عليه دليل كالباري تعالى وصفاته واليوم الآخر وأحواله وعلم تفرد بعلم الغيب من القصر وإنما قال كالتزام له لأن لازم القدرة التامة العلم بالغيب لا اتباع اختصاصه به بذلك الاختصاص ولك أن تقول لا التفرد به فإنه لا يلزمه عقلاً لجواز انفكاك التفرد به عن القدرة التامة وإن كان لازماً لها في الواقع وفي نفس الأمر لكن هذا بناء على أن المراد للزوم العقلي والمستعمل في الشرع للزوم العربي وهو صحة الانتقال من الملزوم إليه ولو بالقرينة فالتحويل على ما ذكرناه قوله والاستثناء منقطع لظهور عدم دخوله في من في السماء والأرض ورفع المستثنى مع أن الظاهر نصبه ولذا قال على اللغة التيمية ولغتهم اتباعه لما قبله في الإعراب وهي غير مشهور ولذا ورد في عموم المواضع بالنصب في القرآن العظيم وغيره لكن اختير هنا الرفع لتكنة المبالغة في نفي علم الغيب عما سواه بناء على أن السموات والأرض تمت لجميع المخلوقات التي تمكن فيها العفلاء حتى العرش والكرسي إذ المراد بالسموات العلويات.

قوله: (للدلالة على أنه تعالى إن كان ممن في السموات والأرض ففيها من يعلم الغيب مبالغة في نفيه عنهم) للدلالة على أنه تعالى إن كان الخ لكن المقدم محال وكذا التالي لكن هذا إن كان الاستثناء متصلاً تأويلاً كما حقق في قوله:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكشائب

وبعد كون رفعه بناء على اللغة التيمية لا يظهر له وجه وهل ادعى بنو تميم مثل هذه المبالغة في كل موضع رفعوا المستثنى المنقطع فيه إن ثبت هذا ثم ذاك وإلا فلا^(١).

الله ممن في السموات والأرض فهم يعلمون الغيب يعني أن علمهم الغيب في استحالة أن يكون الله منهم فإن في ادخال رب العزة في المستثنى منه بالدعوى وجعله جنساً منهم كما سبق ثم الإخراج بالمستثنى قطعاً للقول بتفي علم الغيب ممن في السموات والأرض وإن استحالة علمهم الغيب كاستحالة أن يكون الله منهم فيكون من باب تأكيد الشيء بما يشبه نقضه كالبيت المشهور في باب تأكيد المدح بما يشبه الذم نحو ولا عيب فيهم البيت ونحو قوله:

إلا البعافير وإلا العيس

بعد قوله:

ليس لها أنيس

(١) قال ابن الكمال جاء على لغة بني تميم حيث يجرون الاستثناء المنقطع مجرى المتصل ويجزون النصب والبدل في المنقطع كما في المتصل انتهى فإذا رفع على البدلية يراد المبالغة كما هو الظاهر من كلامهم فيكون هذا قاعدة في إفادة المبالغة قد اعملوا في فن البديع وبينوا تأكيداً لمدح بما يشبه الذم وهذا مثله في إفادة المدح فليحفظ هذا.

قوله: (أو متصل على أن المراد ممن في السموات والأرض من تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها فإنه يعم الله تعالى وأولي العلم من خلقه وهو موصول أو موصوف) أو متصل على أن المراد الخ وقرينة إرادة من تعلق علمه قوله لا يعلم والعلاقة العالمية والمعلومية فيكون مجازاً مرسلأ فليس فيه الجمع بين الحقيقة والمجاز حتى يقال إنه بعموم المجاز فلا يتم ما ذكر في الكشف من أن كونه في السموات والأرض مجاز وكونهم فيهن حقيقة إذ المراد كما عرفت كون العلم فيهما لا أنفسهما وأما الإشكال بأنه يلزم الجمع بينه تعالى وبين غيره في إطلاق لفظ واحد مع أنه منهي عنه في حديث ومن يعصمها فقد غوى حيث قال النبي عليه السلام بشن الخطيب أنت فمدفوع بأنه ورد في كثير من الآيات والأحاديث وتفصيله في شرح المصاييح للمصنف نقله الطيبي كما قاله المحشي السعدي فإن قيل كون علمه تعالى فيهما يقتضي كون ذاته فيهما قلنا يكفي لصحة الظرفية

كأنه قيل في البيت الأول إن كان فلان سيوفهم بالمقارعة في الحروب مما يعد عيباً ففيهم عيب بتأ للقول بأن لا عيب فيهم أصلاً وفي البيت الثاني إن كانت العيافير أنيساً ففيها أنيس قطعاً للقول بخلوها عن الأنيس.

قوله: أو متصل على أن المراد بمن في السموات والأرض من تعلق علمه بها لما اقتضى حمل الاستثناء على الاتصال أن يدخل المستثنى في المستثنى منه أول رحمه الله من في السموات بمن تعلق علمه فيها ليكون عاماً شاملاً له تعالى وللذي العقل الكائنين في السموات والأرض لكن ذلك المعنى بعيد غير متبادر من ظاهر الآية ولذا تركه صاحب الكشف فلم يحمل الاستثناء على الاتصال حيث قال فإن قلت هلا زعمت أن الله ممن في السموات والأرض كما يقول المتكلمون الله في كل مكان على معنى أن علمه في الأماكن كلها فكان ذاته فيها حتى لا تحمله على مذهب بني تميم قلت بآبى ذلك أن كونه في السموات والأرض مجاز وكونهم فيهن حقيقة وإرادة المتكلم بعبارة واحدة حقيقة ومجازاً غير صحيحة على أن قولك ﴿من في السموات والأرض﴾ وجمعك بينه وبينهم في إطلاق اسم واحد فيه إبهام تسوية والإيهامات مزلة عنه وعن صفاته ألا يرى كيف قال عليه الصلاة والسلام لمن قال ومن يعصمها فقد غوى بشن خطيب القوم أنت ثم كلامه روي أن رجلاً خطب عند رسول الله ﷺ فقال ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصمها فقد غوى فقال رسول الله ﷺ بشن الخطيب أنت قل ومن يعص الله ورسوله وذلك أن في الجمع بالضمير توهم التسوية والعطف بالواو وإن دل على الجمع والتسوية في الفعل لكن في الإفراد بالذكر وجعل أحدهما متبوعاً والآخر تابعاً ما يزيل ذلك التوهم ووجه قوله القاضي في الجواب عما قال صاحب الكشف أن يحمل استعمال لفظ من في ﴿من في السموات والأرض﴾ على عموم المجاز حيث نقل اللفظ من معنى خاص حقيقي إلى معنى عام مجازي شامل للجميع له تعالى وللذي العلم فيكون مجازاً صرفاً لا جمعاً بين الحقيقة والمجاز لكن بقي الطعن في الجمع بينه وبينهم في إطلاق لفظ واحد خالياً عن الجواب.

قوله: وهو موصول أو موصوف أي لفظ من في لا يعلم من في السموات موصول بمعنى الذي أو موصوف بمعنى شيء.

كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد في الحرم إذا كنت خارجه والصيد فيه كذا حققه المص في أوائل سورة الأنعام وبهذا البيان سقط ما قاله في التائارخانية رجل قال علم خدأ درهمه مكان هست هذا خطأ لأن منشأه أنه يوهم كون ذاته فيه لكونه قائماً بذاته على أن القائم نفس صفة العلم ولا كلام فيه بل الكلام في التعلق وهو أمر إضافي ليس قائماً بذاته .

قوله : (متى ينشرون مركبة من أي وأن وقرىء بكسر الهمزة والضمير لمن وقيل للكفرة) متى ينشرون أي أبان استفهام عن الزمان مثل متى قيل ويستعمل في مواضع التفضيم مثل يسأل أبان يوم القيامة ولذا قال مركبة^(١) من أي وأن أي زمان وأن لكن عدم التركيب هو الأصل قوله والضمير لمن وهو المختار إذ الكلام مسوق لبيان حالهم قوله وقيل للكفرة لأن الآيات الكثيرة المذكورة قبله سبقت لتوبيخهم .



قوله تعالى: بَلْ أَذْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ تَنْهَاهَا عَمُونَ

قوله : (لما نفى عنهم علم الغيب وأكد ذلك بنفي شعورهم بما هو مآلهم لا محالة) لما نفى عنهم علم الغيب إذ الاستفهام للإنكار الوقوعي وهو مستلزم للنفي قوله وأكد ذلك الخ وجه التأكيد هو أنهم لا يشعرون الغائب الذي نصب عليه دليل فكيف يعلمون الغيب الذي لا ينصب عليه دليل وهو المراد هنا أو وجه التأكيد هو أنهم لا يشعرون وقت نشرهم الذي هو الغائب الذي لم ينصب عليه دليل وأما الساعة نفسها فمن جملة المغيبات التي نصب عليها دليل وهو المراد بقوله بالغ فيه بأن أضرب الخ كما أشار إليه بقوله أسباب علمهم الخ وفيه إشارة إلى أنه لا بد من تقدير المضاف إذا أريد بإدراك هذا المعنى والتكامل في الأسباب لا العلم نفسه .

قوله : (بالغ فيه بأن أضرب عنه وبين أن ما انتهى وتكامل فيه أسباب علمهم) بالغ فيه أي في نفي الشعور بقرينة بأن أضرب عنه لأن ضمير عنه راجع إلى نفي الشعور ولو رجع ضمير فيه إلى نفي علم الغيب لزم تفكيك الضمير ولا ضير فيه .

قوله : لا محالة قيد للنسبة الواقعة في قوله وهو ما لهم أي هو مرجع أمرهم البتة لا تحول منه .

قوله : بالغ فيه أي بالغ في نفي علم الغيب عنهم بأن أضرب وقال بل ادرك هو من ادرك الغلام وادرك الثمر أي بلغ النهاية وتكامل فمعنى ادرك علمهم في الآخرة ادراك أسباب علمهم على الإسناد المجازي أي تكاملت وتتابعت أسباب معرفة الآخرة وتعاضدت الحجج والآيات الناطقة بوقوع البعث المهيئة لهم إلى العلم بوقوع القيامة والبعث والمجازاة لكنهم لا يفتنون إلى تلك الحجج والآيات ولا يمعنون النظر فيها حتى أيقنوا أنها كائنة لا محالة فلذا لا يعلمون كما ينبغي ووجه افادة هذا الاضراب المبالغة في نفي علم الغيب عنهم أنه اضراب من نفي علم مفقود

(١) ولم يرض به في سورة الأعراف لما فيه من التزام حذف الهمزة من غير تعويض وقلب الواو ياء على غير قياس ثم حذف إحدى الياءات وإدغام الياء في الياء وهنا يجوز تنبيهه على القولين في الموضعين كما هو عادته من غير نظر إلى ضعف وقوته .

قوله: (من الحجج والآيات وهو أن القيامة كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغي) من الحجج الخ بيان لما قوله وهو راجع إلى ما وتفسير له لا يعلمونه خبر ان كما ينبغي هذا القيد مفهوم من السوق أي يصدقون به على خلاف ما ينبغي كاليهود والنصارى فإنهم يصدقون بأن الجنة لا يدخلها إلا اليهود والنصارى وأن النار لن تمسنا إلا أياماً معدودة وغير ذلك فهو تصديق على خلاف ما ينبغي ومن الكافرين من لا يعلم ولا يصدق أصلاً فقوله لا يعلمونه كما ينبغي شامل للفريقين جميعاً بتوجه النفي إلى القيد سواء كان العقيد ثابتاً كما في الأولين أو لا كما في الآخرين.

قوله: (كمن تحير في أمر لا يجد عليه دليلاً) أتى بالكاف والتشبيه ولم يقل بل تحيروا في أمر الآخرة الخ لثلاث بناهي قوله قبله تكامل فيه أسباب علمهم وهذا أبلغ من بل هم شاكون منها فلو قيل في تفسيره بل هم تحيروا في أمر الآخرة بحيث لا يجدون عليه دليلاً ينضمهم لكان أوفق لهذه المبالغة حيث جعل الشك ظرفاً لهم بل لا يبعد أن يقال معنى تكامل فيه أسباب علمهم تمكنوا من معرفته بسبب تحقق أسبابها لكنهم لم يلتفتوا إلى تلك الأسباب ولم يعرفوها فكيف يعرفون الآخرة فلا ينافي ما سبق لو تركوا التشبيه.

قوله: (لا يدركون دلائلها) صريح فيما ذكرناه.

قوله: (لاختلال بصيرتهم وهذا وإن اختص بالمشركين ممن في السموات والأرض نسب إلى جميعهم كما يستند فعل البعض إلى الكل) لاختلال بصيرتهم ولكون حواسهم

طريق حصوله إلى نفي علم موجود طرقه وأسبابه فإن انتفاء معرفة الشيء بعد الشواهد الدالة عليه أبلغ من انتفائها لأجل فقدان دليله ولما كان المقام مقام الترفي من الأدون إلى الأعلى اضرب عنه إليه بكلمة بل في ثلاثة مواضع تنزيلاً لأحوالهم من الغليظ إلى الأغلف فالأغلف وفي الكشف ما هي إلا تنزيل لأحوالهم وصفهم أولاً بأنهم لا يشعرون وقت المبعث ثم بأنهم لا يعلمون أن القيامة كائنة ثم يخطئون في شك ومرية ثم بما هو أسوأ وهو العمى وأن يكون مثل البهيمة قد عكف همه على بطنه وفرجه ولا يخطر بباله حقاً ورباطلاً ولا تفكر في عاقبته ثم كلامه فالعنعني كيف يشعرون وقت الآخرة والبعث وهم لا يعلمون كونها فإن العلم بوقت الشيء تابع للعلم بذلك الشيء بل كيف يشعرون كونها وهم خابطون في ظلماء الشك فإن الجاهل أهون حالاً من الشاك الذي يتخبط في شكه لا يحتاج الشاك إلى إزالة الشك بخلاف الجاهل بل كيف يزبلون الشك وهم كالبهائم في العمى فإن من لم يصرفه خوف الآخرة فعل ما يقتضيه الهوى فالأسلوب من باب الترفي من الأهون إلى الأغلف.

قوله: هذا وإن اختص بالمشركين الخ لفظ هذا إشارة إلى ما تضمنته الآيات الثلاث الأخيرة من إنكار البعث لما أوعم رجوع الضمائر في الآيات الثلاث الأخيرة المصدرة بكلمة بل إلى «من في السموات والأرض» إسناد إنكار البعث وقيام الساعة إليهم جميعاً وفيهم من لا ينكره أصلاً من المؤمنين به جعله من إسناد فعل البعض إلى الكل نحو بنو فلان فعلوا كذا الفاعل بعض منهم وجه التلازم بين الاثنين الأوليين النافيتين عن الملائكة والثقلين جميعاً علم الغيب وعلم وقت البعث

مزودة وقلوبهم مطبوعة بانهماكهم في الغي وهذا أي ما ذكر في الآية الكريمة من الشك والعمى وغير ذلك وإن اختص بالمشركين أي بالكافرين بأسرهم قوله نسب إلى جميعهم الخ كذا في الكشاف وقد تقدم مثله في سورة مريم في قوله تعالى: ﴿ويقول الإنسان إذا ما مت﴾ [مريم: ٦٦] الآية وقوله تعالى: ﴿فأوربك لتحشرنهم﴾ [مريم: ٦٨] لكنه لا يناسب حسن الأدب لأنه تشريك الموحدين^(١) الكافرين في نسبة أشنع الشنائع مما يتحير العقول ويسكب فيه عيون الفحول فما الباعث على ذلك مع أن الضمير يصح رجوعه إلى الكفرة فقط كما اعترف به على أن أكثر العلماء اشترطوا في تلك النسبة رضا الباقيين فالصواب أن يرجع الضمير إلى الكفرة هنا وحمل اللام على العهد هناك.

قوله: (والإضرابات الثلاثة تنزيل^(٢) لأحوالهم) أي من حال إلى أنزل منها وأبعد إذ الثاني أبعد من الأول والثالث أبعد من الثاني ولا ريب في انتفاء علمهم بالآخرة كما ينبغي بعد تكامل أسباب العلم أنزل وأبعد من انتفاء علمهم بوقت البعث لأنه لم يلاحظ فيه الدليل وإن كانت موجودة.

قوله: (وقيل الأول إضراب عن نفي الشعور بوقت القيامة عنهم ووصفهم لاستحكام علمهم في أمر الآخرة تهكماً بهم) وقيل الأول إضراب الخ والفرق أن علمهم في أصل معناه بلا تقدير المضاف مرضه لعدم القرينة وأما عدم كون الإضرابات على نسق واحد فلا ضير فيه.

قوله: (وقيل أدرك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم أدركت الثمرة لانتهاه غايتها التي عندها تعدم) وقيل أدرك بمعنى انتهى الخ عطف على قوله بين أن ما انتهى الخ أي انتهى واضمحل كما أن المعنى في الأول انتهى وتكامل والإضرابات الثلاثة مثل ما مر والمعنى اضمحل علمهم في الآخرة أي في شأن الآخرة أي لم يتحقق مع وضوح دلائله وتكامل أسبابه مرضه لأن الاضمحلال العدم بعد الوجود وهنا لم يتحقق العدم قطعاً فيكون الاضمحلال عبارة عن الانتفاء رأساً مجازاً بطريق ذكر المقيد وإرادة المطلق.

وبين الآيات الثلاث الأخيرة المثبتة للمشركين إنكار البعث هو أنه تعالى لما ذكر أن العباد لا يعلمون الغيب ولا يشعرون وقت البعث الذي يكون فيه وكان هذا بياناً لعجزهم ووصفاً لقصور علمهم وصل به أن عندهم عجزاً أبلى منه وهو أنهم يقولون للأمر الذي لا بد أن يقع وهو وقت جزاء أعمالهم أنه لا يقع مع أن عندهم أسباب العلم بوقوعه واستحكام المعرفة به.

قوله: وقيل أدرك بمعنى انتهى واضمحل فسر رحمه الله ﴿بل ادرك علمهم في الآخرة﴾ بثلاثة أوجه مآل الكل إلى نفي علمهم بالآخرة لكن النفي في الوجهين الأولين ضمنّي وفي الوجه الثالث صريح.

(١) مع أن الموحدين شامل للأنبياء والملائكة والأولياء.

(٢) تنزيل لأحوالهم لم يقل ترقياً مع أنه الظاهر إشارة إلى أن الترقى في الفصح تنزل في الحقيقة.

قوله: (وقرأ نافع وابن عامر وحزمة والكسائي وحفص بل ادرك بمعنى تتابع حتى استحکم أو تتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان إذا تتابعوا في الهلاك) وحفص قيل الأول وعاصم إذ لم يختلف الرواية عنه .

قوله: (وأبو بكر أدرك وأصلهما تفاعل وافتعل) وأبو بكر أي قرأ أبو بكر أدرك وهي قراءة شاذة وأصله تفاعل أي تدارك نقل عن الجعبري أنه قال قرأ نافع وابن عامر والكوفيون بل ادرك بوصل همزة وفتح الدال مشددة وألف بعدها وأبو عمرو بقطع همزة وتخفيف الدال الساكنة بلا ألف ماض من أفعل وما ذكره المص مخالف لنقل القراء .

قوله: (وقرىء ءادرك بهمزتين وأدرك بألف بينهما ويل أدرك ويل أتدارك ويلي أدرك ويلي الأدرک وأم تدارك وأم أدرك) بل أدرك على ماض^(١) الأفعال بنقل فتح همزة إلى اللام وحذفها مع دال ساكنة على ما ذكرناه .

قوله: (وما فيه استفهام صريح أو مضمن من ذلك فإنكار وما فيه بلى فإثبات لشعورهم وتفسير له بالإدراك على التهكم) أو مضمن كأم فإن أم منقطع لا متصل ومعناها بل أكذا قوله ما ذكر أي من القراءات وتفسير له أي للشعور بالإدراك الواقع بعد بلى على التهكم أي على الاستعارة التهكمية .

قوله: (وما بعده إضراب عن التفسير مبالغة في نفيه ودلالة على أن شعورهم بها أنهم شاكون فيها بل أنهم منها عمون) وما بعده إضراب عن التفسير أي عن التهكم لا عن المفسر وهو الشعور فإنه باق قوله مبالغة في نفيه إشارة إلى جواب سؤال كيف يكون الشعور مع الشك فأجاب بأنه من قبيل التعليق بالمحال كأنه قيل إن الشعور مجتمعاً مع الشك فأثبت لهم شعور وأنه محال بالبديهة فلا يكون لهم شعور البتة .

قوله: (أو رد وإنكار لشعورهم) فيكون إضراباً عن المفسر أي الشعور وإنكار له فيكون بل للإبطال .

قوله: وتفسير له بالشعور فمعناه بل يشعرون ثم فسر الشعور بقوله بل ادرك علمهم بالآخرة على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم فكأنه قال شعورهم بوقت الآخرة أنهم لا يعلمون كونها فيرجع على نفي الشعور على الوجه الأبلغ قوله وما بعده إضراب عن التفسير مبالغة في نفيه لإفادته أنهم في جهيم بالآخرة بحيث لا يصح نسبة الإدراك إليهم ولو تهكماً فالمبالغة في نفي العلم عنهم استنفدت نارة من اثبات العلم لهم تهكماً وتارة من نفي نسبة العلم إليهم مطلقاً ولو تهكماً ولكل اعتبار جهة في الفادة المعنى .

قوله: ودلالة على أن شعورهم بها أنهم شاكون فيها أقول قصداً لدلالة على هذا المعنى يتأني معنى الاضراب لأن معنى الاضراب إعراض عن كلام وتركه ورجوع إلى آخر أهلى منه مضموناً أو أنزل

(١) ويحتمل فتح اللام مع تشديد الدال على نقل حركة همزة الاستفهام فإنه قرىء بها في الشواهد .
قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وضع الاسم الظاهر موضع المضمحل للتسجيل على كفرهم وللتنبيه على علة الحكم وللإيماء إلى وجه بناء الخبر .

قوله تعالى: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوَلَمْ كُنَّا رَبًّا وَمَا نُبَيِّنُ إِلَّا لِمَنْ يَلْمِزُكَ

قوله: (كاليان لمعهم والعامل في إذا ما دل عليه «أنا لمخرجون» وهو تخرج لا مخرجون لأن كلا من الهمزة وإن واللام مانعة من عمله فيما قبلها) كاليان بيان لارتباطه بما قبله ولم يجعله بياناً لأنه وإن كان بياناً له في نفس الأمر لكنه أورد مع حرف العطف ولم يقصد كونه بياناً لأنه يقتضي ترك العطف ولك أن تقول إن الكاف مقحم وإيراد اليان بالواو لتأكيد اللصوق لا للعطف كالواو في قوله تعالى: «وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم» [الحجر: ٤] وفي قوله لمعهم تنبيه على أن عمون من العمه في البصيرة دون العمى في البصر وهو عدم إدراك القلب وإنكارهم البعث هنا إذ الاستفهام لإنكار الوقوع ولو قيل إن الاستفهام للتردد في وقوعه يكون هذا كاليان للشك أو أريد العموم يكون كاليان لهما وهذا أولى لقوله في سورة النبا في تفسير قوله تعالى: «هم فيه مختلفون» [النبأ: ٣] بجزم النفي والشك فيه إذ القول المذكور كما يكون منشؤه الإنكار يكون منشؤه أيضاً^(١) الشك بل هذا أوفق بالاستفهام الحقيقي لأنه إن يراد على تقدير قلنا هذا احتمال بعيد لا سيما الأول والضمير في عمهم لهم ولآبائهم على التغليب^(٢) أو لهم فقط وهو الظاهر من السوق إذ إنكار الأبناء وعمهم لا يستلزم إنكار الآباء كالعكس.

قوله: (وتكرير الهمزة للمبالغة في الإنكار والمراد من الإخراج الإخراج من الأجداث أو من حال الفناء إلى الحياة) للمبالغة في الإنكار لتكرار الإنكار بتكرار أدوات والمراد من الإخراج الخ وهو الموافق لقوله: «ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون» [يس: ٥١] أي يسرعون والأجداث القبور جمع جدت أو من حال الفناء إلى الحياة أخرى إذ الإخراج مجازي وإن الفناء بعد الوجود شبه بمحل الحبس والحياة بعد العدم شبه بالإخراج من ذلك المحل وهو تكلف.

قوله: (وقرأ نافع إذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرأ ابن عامر والكسائي إننا لمخرجون بنونين على الخبر) وقرأ ابن عامر الخ لكن يقدر الهمزة مع الفعل المقدر إذ

والدلالة المذكورة تفسير للكلام الأول الذي ضرب عنه وهو ينال تركه والاضراب عنه.

قوله: كاليان لمعهم يعني وضع الظاهر موضع الضمير ومقتضى الظاهر أن يقال وقالوا بياناً أن قائل هذا القول من هو ممن في السموات والأرض وهو عام يعم منكري البعث والمقرين به.

قوله: وهو تخرج على صيغة الحكاية المبينة للمفعول قوله لأن كلا من الهمزة أي الهمزة التي في أنا والعامل المقدر هو بعد الهمزة في إذا والتقدير انخرج إذا كنا تراباً.

قوله: وتكرير الهمزة للمبالغة في الإنكار لافادته إنكاراً على إنكار وجوداً على جحد ودلالة على كفر مؤكد مبالغ فيه.

(١) لكن قوله تعالى: «بل هو في شك منها» يزيد احتمال كون اليان للشك.

(٢) والضمير في «أنا لمخرجون» لهم ولآبائهم على التغليب.

المعنى على الاستفهام قوله على الخبر أي على صورة الخبر ومراده بدون أداة الاستفهام لكنه مراد كما عرفت والحاصل أن نافعاً قرأ وأبو جعفر بالأخبار في الأول والاستفهام في الثاني وقرأ ابن كثير والكسائي بالاستفهام في الأول والإخبار في الثاني مع زيادة نون فيه قولان وقرأ الباقون بالاستفهام فيهما كذا في النشر كما قيل .

قوله تعالى: لَقَدْ وَعدْنَا هَذَا عَمَّا وَاعَدْنَاكَ مِنْ قَبْلُ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾

قوله: (من قبل وعد محمد عليه السلام وتقديم هذا على نحن لأن المقصود بالذكر هو البعث وحيث اخر فالمقصود به المبعوث نظراً إلى الاهتمام التي هي كالأسمار) وتقديم هذا^(١) على نحن إشارة إلى نكتة تقديم هذا على نحن مع تأخره في سورة المؤمنين وإلا فهو مفعول لا يتحقق التقديم فلا يرام له نكتة في التأخير قوله التي هي كالأسمار جمع سمر وهو الحديث الذي يثلهى به ليلاً أشار به إلى أن مرادهم بها الأكاذيب التي كتبوها لا حقيقة لها جمع أسطورة لأنه يستعمل فيما يثلهى به كالأعاجيب والأصاحيك أو جمع أسطار جمع سطر بمعنى الخط والكتابة وحيث آخر الخ لأن ما ذكر هناك اتباعهم أسلافهم في الكفر وإنكار الحشر من غير نفي ذلك عليهم وهنا ذكر ما صدر منهم أنفسهم مؤكداً مقررّاً تكراراً فكان المقصود بالذكر وما هو أعني البعث المشار إليه بهذا كذا قيل ولا يخفى ما فيه لأن الظاهر أن قائل ويقولون ﴿أئذا متنا﴾ [المؤمنون: ٨٢] الآية في سورة المؤمنين أسلافهم لا متبعون الأسلاف حتى يتم ما ذكره فالأولى أن يقال إن اعتبر النظر إلى البعث نفسه فيكون مقصوداً فيقدم هذا وإن اعتبر النظر إلى المبعوث فيكون مقصوداً فيؤخر هذا والقول بأنه لم لم يعكس ضعيف لأنه سؤال دوري والاختيار مرجح .

قوله: وتقديم هذا على نحن الخ يعني أن التقديم إنما يتعمد به لاقتضاء المقام وكون المقدم مهمماً بشأنه ولما كان إنكار البعث في هذه السورة أبلغ منه في سورة المؤمنين حيث قالوا هناك ﴿لقد وعدنا نحن وآبائنا هذا من قبل﴾ [المؤمنون: ٨٣] بعد قولهم: ﴿أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون﴾ [المؤمنون: ٨٢] قدم المتكرر هنا وافر في تلك السورة في مكانه وبيانه أنه تعالى لما وبخ المشركين إنكارهم الحشر وبعث الخلائق بعد الموت بقوله ﴿أم من يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ ثم جهلهم بوقت البعث بقوله: ﴿وما يشعرون أيان يبعثون﴾ [النمل: ٦٥] وترقى فيه ذلك الترقى المذكور وحكى عنهم ما كانوا يتفوهون به في أثناء إنكارهم ذلك فقال: ﴿وقال الذين كفروا أئذا كنا تراباً وآبائنا﴾ [النمل: ٦٧] ووضع الذين كفروا موضع ضميرهم للإشعار بأن هذا القول إنما صدر عنهم لثماديبهم في الكفر حيث ضموا مع إنكارهم جعل أنفسهم تراباً صرفاً لا جزء هناك على صورة نفسه فقدعوا المنسوب على المرفوع لكونه عندهم مقصوداً أصلياً بالإنكار ومهتماً بشأنه وأما في سورة المؤمنين فلم يسبق منهم شيء من ذلك فحكى عنهم قولهم لينبه به على أن ذلك جرى محض التقليد ومتابعة أسلافهم في تكذيب

قوله تعالى: **قَدْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عِاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ** ﴿٦٩﴾

قوله: (قل سيروا) وإنما أمر به عليه السلام هنا وفي بعض السور وفي سورة آل عمران ﴿فسيروا في الأرض﴾ [آل عمران: ١٣٧] إذ فيما قبله خطب الكفار ففرع الأمر بالسير في آل عمران بخلاف ما وقع هنا وفي مثله ذكر في الأرض للتعميم فإلقاء هنا لأن السير لأجل النظر هنا ولا كذلك في سورة الأنعام ونحوها لأن السير هناك لأجل غيره كالتجارة ونحوها ولذلك قيل معناه هناك إباحة السفر للتجارة ونحوها وليجاب النظر في آثار الهالكين وأما هنا فالأمر بالسير للمجرمين الحاضرين فلا جرم أن السير لأجل النظر وأما هناك فيحتمل الخطاب للمصدين فعلم أن المراد بالسير في هذه المواضع السير الحقيقي والقول بأن المراد تعرف أحوالهم مجازاً سواء كان بالسير أو بغيره ضعيف ولك أن تقول لإيراد الفاء بالنظر إلى أول السير وكلمة ثم بالنظر إلى تمام السير فإن لوحظ حصول النظر عقب السير اختير الفاء وإلا اختير ثم أو كلمة ثم للتواخي الرتي إذ السير واجب بالنظر إلى السير فهو وسيلة والنظر واجب بالأصالة كيف إعرابه وتوضيحه قد تقدم في سورة آل عمران والعاقبة مصدر كالعافية وهي منتهى الأمر.

قوله: (تهديد لهم على التكذيب) تهديد لهم أي المشركين على التكذيب أي على تكذيب البعث بمعنى عدم تصديقهم سواء كانوا شاكين فيه أو جازمين بعدم وقوعه أو على تكذيب النبي عليه السلام فالتكذيب في بابه حيثنؤ.

قوله: (وتخويف بأن ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم) وتخويف أي لهم بأن ينزل الخ لأنه المقصود بالأمر بالنظر كي يعتبروا فيؤمنوا.

قوله: (والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفاً للمؤمنين في ترك الجرائم) والتعبير عنهم بالمجرمين مع أن الظاهر التعبير بالمكذبين أو بالكافرين لطفاً من الله تعالى وإرشاد

الأنبياء صلوات الله عليهم في البعث فلما اقروا كلا من المرفوع والمنصوب في مكانه ولم يذكروا آباءهم هناك في حيز الإنكار حيث قالوا: ﴿أفأنتنا وترباً وعظاماً أننا لمبعوثون﴾ [الصفافات: ١٦] وذكرهم هنا وهو يدل على أنهم ينكرون البعث من عند أنفسهم وأن في أنفسهم باعثاً على إنكاره غير التقليد لأبائهم فكانهم أوغل في إنكار البعث حملهم على تقديم هذا على نحن اهتماماً منهم بشأن البعث وإنكاره وما ذكره رحمه الله في تقديم هذا على نحن هو الذي أراده صاحب المفتاح بقوله والجهة المنظور فيها هناك هي كون أنفسهم ترباً وعظاماً والجهة المنظور فيها ههنا هي كون أنفسهم وكون آباءهم ترباً لا جزء هناك من بناتهم على صورة نفسه ولا شبهة في أنها ادخل عندهم في تبعيد البعث فاستلزم زيادة الاعتناء بالقصد إلى ذكره.

قوله: والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفاً للمؤمنين يعني مقتضى الظاهر أن يعبر عن هؤلاء المكذبين بالبعث بلفظ الكافرين فترك مقتضى الظاهر إلى التعبير عنهم بالمجرمين دلالة على أن الكافر إنما استحق ذلك الاستئصال الكل لكون كفره جريمة فأمر المؤمنون بالنظر إلى ما يوديه الجريمة من الهلاك ليروا آثار من اهلكوا بسبب جرائمهم فيتعظوا بها وينزجروا عن

إلى ترك الجرائم إذ الجرم ولو بغير الكفر باعث لتزول العذاب إذ الحكم على المشتق يفيد عليه مأخذ الاشتقاق فحينئذ يكون الخطاب بالسبب عاماً للمصدقين أيضاً ولو أريد بالمجرمين المشركين حملاً على الفرد الأكمل وبمعونة المقام لم يبعد واللفظ من الله تعالى هو التوفيق إلى الطاعة والتباعد عن المعاصي.

قوله تعالى: وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾

قوله: (ولا تحزن) نهي عن الأمر الذي يؤدي إلى الحزن أو النهي عن مقتضاه.

قوله: (على تكذيبهم وإعراضهم) بتقدير المضاف إذ لا معنى للحزن على الذات بل الحزن على الفعل المخصوص بالقرينة وهو التكذيب هنا ولا يلزم تعلق حرفي جر بمعنى واحد بفعل واحد كذا قيل ولا حاجة إليه إذ تقدير المضاف شائع في مثله وأما جواز كونه تعليلاً لوجه حزنه فبعد جداً.

قوله: (في حرج صدر وقرأ ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان وقرئ ضيق أي أمر ضيق) في حرج صدر من الكنايات^(١) ويحتمل الحمل على الحقيقة قوله وقرئ بكسر الضاد وهو مصدر كفتحها والقول بأنه على الفتح يحتمل الوصفية يحوج إلى تقدير موصوف أي في أمر ضيق كما في قراءة ضيق بتشديد الباء.

قوله: (من مكروهم ﴿فإن الله يعصمك من الناس﴾ [المائدة: ٦٧]) من مكروهم كمكروهم في دار الندوة بإشارة بعضهم إلى النفي وبعضهم إلى القتل وغير ذلك قوله فإن الله يعصمك من الناس من مكروهم أشار إلى أن ما مصدرية.

قوله تعالى: وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾

قوله: (ويقولون) حكاية الحال الماضية أو للاستمرار.

قوله: (العذاب الموعود) أي المراد بالوعد الموعود لا المعنى المصدرية.

اقتراح الجرائم والآثام فلا يقولوا على ما وقع عليه هؤلاء المجرمون من الهلاك بشؤم جريمتهم ولا ظهر ما قال صاحب الكشف وإنما عبر بلفظ الاجرام ليكون لفظاً للمسلمين في ترك الجرائم وتخوف عاقبتها ألا ترى إلى قوله: ﴿قدمم عليهم ربههم بذنبيهم﴾ [الشمس: ١٤] وقوله: ﴿مما خطيئاتهم أغرقوا﴾ [نوح: ٢٥].

قوله: على تكذيبهم وإعراضهم أي لا تحزن يا محمد على تكذيبك هؤلاء الكفرة في أمر البعث ووقوعه وإعراضهم عن اتباعك وعن الإيمان برسالتك وبما جئت به وحياً من الله تعالى فهو تسلياً له ﷺ لأن القوم قومه قریش كما قال عز من قائل: ﴿فلعلك باخع نفسك على آثامهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً﴾ [الكهف: ٦] قوله واللام مزيدة أي فعل الردف معدى بنفسه فاللام

(١) وهو التحسر التام والحيرة على عدم إيمانهم الدال عليه مكروهم.

قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٧١] الخطاب له عليه السلام ومن معه من المؤمنين أو الرسول تعظيماً له استعجلوا^(١) العذاب الموعود.

قوله: ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدْفٌ لَكُمْ﴾ أعيد قل للاهتمام بشأنه وأيضاً هذا تهديد للمتكبرين يهدد بهذا الوعد تارة ويأمر بأن يهدد النبي عليه السلام به أخرى اسم الشأن وكذا اسم أن يكون ردف لكم خبره. ولك أن تقول إن جملة أن يكون الخ لاشتماله ضمير الشأن يغني عن تقدير ضمير الشأن في عسى.

قوله تعالى: قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدْفٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾

قوله: (تبعكم ولحقكم واللام فيه مزيدة للتأكيد أو الفعل مضمن معنى فعل معدى باللام مثل دنا وقرىء بالفتح وهو لفة فيه) تبعكم هو معنى ردف في الأصل ولما لزم له الوصول قال ولحقكم تفسيراً للتبعية وتنبهاً على أنه المراد ولم يكتف به تنبيهاً على المناسبة بين المعنى الأصلي وبين المراد هنا قوله واللام زائدة الأولى فاللام الخ بالفاء فيه به على أن ردف متعدد بنفسه ونقل عن الصحاح والأساس أنه يتعدى بنفسه وباللام فلا يحتاج إلى ما ذكر لكن ما ذكره صاحب الكشف يعارضه ما ذكره في الأساس قيل وعامة الكتب على وفاق ما في الكشف ولذا اختاره المص أو مراده في الأساس أنه متعدد بنفسه ومتعد باللام إن اعتبر تضمين معنى فعل يتعدى باللام فلا يكون بين كلاميه منافاة ولا بد من الحمل على ذلك لأن الفعل الواحد بمعنى واحد كونه متعدياً بنفسه ومتعدياً بحرف الجر مشكل وفي كلام المص إشارة إلى ما ذكرناه وألا يلزم أن لا يوجد فرق بين المتعدي واللازم قوله مثل دنا فإنه يتعدى باللام وبمن وقرىء بالفتح أي بفتح الدال من الباب الأول كما أن الكسر من الباب الرابع.

قوله: (حلولة وهو عذاب يوم بدر) حلولة مفعول تستعجلون فيه تهديد عظيم بأن العذاب الموعود بأنواع بعضها في الدنيا وقد قرب حلولة فليترقبوا وبعضها أخروي فليصبروا.

قوله: (وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك كالجزم بها وإنما يطلقونه إظهاراً

مزيدة للتأكيد كالباء في ﴿وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٥] قوله أو الفعل مضمن معنى فعل أي أو الفعل وهو ردف مضمن معنى فعل يتعدى باللام أي فعل الردف جعل في ضمنه معنى فعل تعديته باللام لا بنفسه فكان المعنى دنا لكم واظف لكم.

قوله: وقرىء بالفتح أي قرىء ردف بفتح الدال على وزن ذهب وهما لغتان والكسر أفصح.

قوله: وعسى ولعل الخ وعبرة صاحب الكشف أعذب منه حيث قال وعسى ولعل وسوف في وعد الملوك ووعدهم يدل على صدق الأمر وجده وما لا مجال للشك بعده وإنما يعنون بذلك إظهار وقارهم وأنهم لا يعجلون بالانتقام لإذلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم بأن عدوهم لا يفوتهم

(١) استهزاء وإنكاراً لوقوعه بل إمكانية.

لوقارهم وإشعاراً بأن الرمز منهم كالتصريح من غيرهم) كالجزم بها أشار إلى أنه من قبيل الاستعارة والظاهر استعارة تمثيلية شبه الهيئة الحاصلة^(١) من وعيد الملوك بكلمة عسى الخ بالهيئة الحاصلة من الوعيد جزءاً في عدم التخلف وكذا وعدهم قوله وإنما يطلقونه إظهاراً لوقارهم أي إنما لا يعجلون بالانتقام لإذلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم بأن عدوهم لا يغوتهم وأن الرزمة إلى الأغراض كافية من جهتهم كذا في الكشف وقد لخصه المصنف.

قوله : (وعليه جرى وعد الله تعالى ووعيده) وعليه أي على هذا الأسلوب وهو ما عرف من عادة الملوك جرى وعد الله الخ تقديم الجار للاهتمام به لا للحصر فإنه لا يصح إذ الوعد والوعيد بالجزم أكثر من أن يحصى .



قوله تعالى : وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ

قوله : (بتأخير عقوبتهم على المعاصي) هذا التخصيص من مقتضيات المقام ولارتباط الكلام ولو عمم لدخل هذا دخولاً أولياً لكن ما ذكره أمس بالمرام ونكر الفضل هنا للتفخيم وأنه نوع فضل لا يعرف كنهه اختيار على الناس على العالمين إظهاراً لشرف الإنسان وتنبهياً على أن فضل الناس أوفر وأشرف من فضل سائر العالمين .

قوله : (والفضل والفاضلة الإنضال وجمعهما فضول وفواضل) والفاضلة مصدر كالعافية وهي الإنعام وجمعهما لف فضول وفواضل نشر مرتب قوله جمعهما بالثنائية وفي بعض النسخ جمعها وهو خلاف الظاهر .

قوله : (لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونها بل يستعجلون لجهلهم وقوعه) لا يعرفون حق النعمة هذا ثابت باقتضاء النص قوله فيه أي في تأخير العقوبة على المعاصي قوله فلا يشكرونها إشارة إلى أن المفعول محذوف حذف لرعاية الفاصلة والضمير إما راجع إليه تعالى أو إلى تأخير العقوبة والأول هو الظاهر إذ الثاني يحتاج إلى الحذف والإيصال قوله وقوعه أي وقوع العذاب الموعود بفهم من كلامه أن المراد بالناس المستعجلون بالعذاب وليس كذلك .

وأن الرزمة إلى الأغراض كافية من جهتهم فعلى ذلك وعد الله ووعيده قال الراغب عسى طمع وترج وكثير من المفسرين فسروا عسى ولعل باللازم وقالوا إن الرجاء والطمع لا يصح من الله تعالى وفي هذا قصور نظر وذلك أن الله تعالى إذا ذكر ذلك يذكره ليكون الإنسان منه على رجاء لا أن يكون هو تعالى راجياً قال تعالى : ﴿عسى ريكم أن يهلك عدوكم﴾ [الأعراف : ١٢٩] أي كونوا راجين بذلك فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده .

قوله : لا يعرفون حق النعمة فيه أي في تأخير عقوبتهم بل يستعجلون لجهلهم وقوعها فتذكير الضمير في وقوعه لتكون العقوبة بمعنى العقاب أو لعدم الاعتداد بالتأنيث اللفظي .

(١) وفي هذا البيان خفاء إذ ظاهره الاستعارة المكنية وقد ادعى أنه استعارة تمثيلية على أن كونه استعارة مكنية محل نظر فلا تغفل .

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ رَيْكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (٧٤)

قوله: ﴿وَإِنْ رَيْكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ [النمل: ٧٤] ما تخفيه وقرىء بفتح التاء من كنتت أي سترت) وإن ربك ليعلم تكرار إن ربك لمزيد اللطف له عليه السلام في هذا البيان تنبيه على أن التأخير ليس لخفاء حالهم وعدم اطلاعها ولذا قدم الإكتنان على الإعلان وأيضاً هو المقدم في الوجود حيث إنه هو الداعي لما يظهر على الخارج وذكر الإعلان بعد الإكتنان مع أن علمه مستلزم لعلم الإعلان للإشارة إلى استواء الخفي والظاهر بالنظر إلى علمه وأن الخفاء بالنسبة إلى المخلوق.

قوله: (من عداوتك فيجازيهم عليه) فيجازيهم^(١) إشارة إلى أن فعل القلب يجازى عليه^(٢) إذا كان عزماً مصمماً لا حديث النفس وهذا هو المذهب المنصور وقد مر^(٣) بيانه من عداوتك متعلق بتكن وما يعلنون هي من المضمرات في الصدور في نفسها ومن الأمور الظاهرة باعتبار أمارتها فلا إشكال بأن العداوة أمر قلبي وإسناد الإكتنان إلى الصدور مجاز لكونها محلها ولم يستند الإعلان لأنها ليس محلها فأسند إليهم وعن هذا غير الأسلوب.

قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ عَلِيٍّ فِي أَسْمَاءَ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كَنْتٍ مَبِينٍ﴾ (٧٥)

قوله: (خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة كما في الرواية وهما أي غائبة وخافية من الصفات الغالبة أي أنهما في الأصل صفة لأنهما اسم الفاعل غلبتا في معنى الشيء الخفي ولما غلب الاسم كثر عدم إجرائها على الموصوف وكثر أيضاً دلالتها على الثبوت ولذا قال والتاء الخ أي التاء فيهما ليست للتأنيث لما عرفت أن الموصوف لا يلاحظ حتى يكون مذكراً تارة ومؤنثاً أخرى مطابقاً لموصوفه فهي للمبالغة تفيد الشدة في الخفاء هنا مثلاً كالتاء في الرواية قبل وهو الرجل الكثير الرواية وفي الكشف كالرواية في قولهم وبل للشاعر من رواية السوء.

قوله: وقرىء بفتح التاء من كنتت إذا سترت يقال كنتت الشيء أكننته إذا سترته وأخفيه قال ابن جني فهذا القاري أجرى الضمير مجرى الجسم السائر بمبالغة ونحوه قول القائل:

وحاجة دون أخرى قد عرضت بها جعلتها لتي أخفيت عنوانا

فالمعنى أنه تعالى يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله ﷺ ومكائدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستحقونه.

قوله: كما في الرواية والتاء فيها للمبالغة فمعنى الآية على هذا وما من شيء شديد الغيبة والخفاء إلا وقد علمه الله وأحاط به وأثبتته في اللوح والرواية البعير أو البغل أو الحمار الذي يستسقي عليه والعامية تسمي المزادة راوية وذلك جائز على الاستعارة كذا في الصحاح.

(١) فيه إشارة إلى أن المراد بالعلم بالعلم المتعلق بالحادث.

(٢) إن خيراً فخير وإن شراً فشر وإن كان السوق في الشر.

(٣) أي في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنْ تَدْعُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تَخَفُوهُ يَحْسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] الآية.

قوله: (أو اسمان لما يغيب ويخفى فحينئذٍ التاء كالتاء في عافية وعاقبة) أو اسمان أي منقولان من الوصفية إلى الاسمية فحينئذٍ التاء للنقل كالتاء الخ والفرق بينهما أن الأول يجوز إجراؤه على موصوف مذكر بخلاف الثاني كذا قيل وإن المعنى في الأول وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء إلا وقد علمه الله تعالى وأحاط به وأثبتته في اللوح المبين بخلاف الثاني فإنه لا يفهم ذلك المعنى وإن كان المراد منه بقرينة عقلية وإذا كان حال شيء شديد الغيبوبة فالشيء الخفيف الغيبوبة والشيء الظاهر كونه معلوم الله تعالى ومثبتاً في كتاب مبين يعلم بطريق الأولى ولذا لم يتعرض له هنا وهذه الآية من باب الترفي أثبت أولاً كونه عالمًا بما تكن صدورهم ثم بين بطريق الترفي أنه عالم بكل الخفيات وأنها مثبتة في كتاب مبين فهي مقررّة لما فهم مما قبله وأن السماء والأرض عام إذ المراد من السماء العلويات والأرض السفليات والاستثناء مفرغ من عموم الظرف وأن القصر من قصر الموصوف على الصفة أي كل غائب منحصر على كينونتها في كتاب مبين.

قوله: (بين أو مبين ما فيه لمن يطالعهم والمراد اللوح المحفوظ أو القضاء على الاستعارة) بين أي ظاهر من أبان اللازم أو مبين ما فيه من أبان المتعدي ومفعوله محذوف حذف لرعاية الفاصلة أو للتعميم مع الاختصار والمراد اللوح المحفوظ قدمه لأنه الأرجح الظاهر من الكتاب المبين فيكون ظرفاً لكتابه والظاهر أن الظرفية حقيقة بالنظر إلى الخط قوله أو القضاء وهو حكمه الأزلي كذا قال علي القاري في شرح مشكاة المصابيح القضاء عبارة عن الحكم بنظام جميع الموجودات على ترتيب خاص في أم الكتاب أولاً وفي اللوح المحفوظ ثانياً على سبيل الإجمال والقدر تعلق الإرادة بالأشياء في أوقاتها وهو تفصيل قضائه السابق بإيجاده في المواد الجزئية المسمى بلوح المحو والإثبات كما يسمى الكتاب بلوح القضاء واللوح المحفوظ بلوح القدر وهذا المعنى هو المناسب هنا وقيل القضاء العلم الأزلي على الاستعارة قيد للأخير أي شبه القضاء بالكتاب الجامع للحوادث والنوازل فذكر اسم المشبه به وأريد المشبه.

قوله تعالى: **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَنْفُسُ عَلَىٰ رَبِّهِ بِإِذْنِ رَبِّكَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ** (٧٦)

قوله: (﴿إن هذا القرآن﴾) أشير إليه بالقرب لأنه لاحتوائه البلاغة والبراعة كان ممتازاً عن الغير وصار كالمشاهد المحسوس ﴿يقص على بني إسرائيل﴾ [النمل: ٧٦] أي يبين لهم والقصص كلام يتلو بعضه بعضاً فيما يحكي عن المعنى ﴿أكثر الذي﴾ مفعول يقص وصيغة المضارع للاستمرار أو لحكاية الحال الماضية.

قوله: (كالتشبيه والتنزيه وأحوال الجنة والنار) كالتشبيه أي تشبيهه تعالى بغيره المستلزم للجسمية لقولهم لموسى عليه السلام ﴿أرنا الله جهرة﴾ [النساء: ١٥٣] الآية فهذه

قوله: كالتاء في عاقبة وعافية وإنما جاءت الهاء لغلبة الاسم عليها فتكون للنقل من الوصفية إلى الاسمية كالنطيحة والذبيحة.

الآية أوضح دلالة على اعتقادهم التشبيه كما صرح به المص هناك والتزييه وهم مؤمنو بني إسرائيل وأحوال الجنة والتار فإنهم اعتقدوا أن الجنة لا يدخلها إلا اليهود والنصارى وإن أهل الجنة يتمتعون بالاستشمام نسيم الروائح بدون أكل وشرب وأن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة.

قوله: (وعزير والمسيح) وعزير حيث قالوا عزير ابن الله والمسيح فيه إشارة إلى أن المراد ببني إسرائيل ما يشمل النصارى كما في الكشف فإن النصارى قد اختلفوا اختلافاً كثيراً ووقع بينهم التناكر في أشياء كثيرة حتى لمن بعضهم بعضاً.

قوله تعالى: **وَلَئِنْ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ** ﴿٧٧﴾

قوله: (وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين) [النمل: ٧٧] لأنهم هم المتنفعون به) وإنه لهدى للناس أجمعين ورحمة للمؤمنين أي نعمة جسيمة لهم لأنهم هم المتنفعون به ولذا قيدت بالمؤمنين وأما الهداية فعمامة ولذلك لم يقيد بهم والمراد بالمؤمنين مؤمنو بني إسرائيل إذ الكلام فيهم أو الأعم لأن الكلام مطلق واللام للاستغراق فيعم فيدخل مؤمنو بني إسرائيل دخولاً أولياً قبل وهو حث للمشركين على اتباعه لأنهم يرجعون أهل الكتاب وفيه خفاء.

قوله تعالى: **إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ. وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ** ﴿٧٨﴾

قوله: (وإن ربك يقضي بينهم) [يونس: ٩٣] بين بني إسرائيل) إن ربك يقضي ترك العطف لأنه بمنزلة بيان قوله (وإن هذا القرآن يقصص) [النمل: ٧٦] الخ (وإن ربك يقضي) [النمل: ٧٨] والقصة شأن لكن القضاء مفوض إلينا وإن معنى قصته قضاؤه تعالى بتلك القصة بينهم بين إسرائيل لتقدم ذكرهم جعلهم مرجعاً وفسر بعضهم بقوله بين من آمن بالقرآن وبين من كفر به والظاهر أن مراده بمن آمن الخ بنو إسرائيل.

قوله: وعزير والمسيح قد اختلفوا في المسيح فتحزبوا فيه أحزاباً ووقع بينهم التخالف والتناكر في أشياء كثيرة حتى لمن بعضهم بعضاً وقد نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه لو انصفوا وأخذوا به وأسلموا والمراد ببني إسرائيل اليهود والنصارى كما هو الظاهر لا اليهود وحده والمراد بالاختلاف ما شجر بينهم في المسيح عليه السلام لقوله تعالى: (فاختلف الأحزاب من بينهم) [مريم: ٣٧] وهم اليهود والنصارى في وجه وفي وجه آخر فرق النصارى من اليعقوبية والنسطورية والملكانية والمقام يقتضي العموم بقرينة سياق الآي وسياقها.

قوله: فإنهم المتنفعون به لما كان القرآن هداية ورحمة لكافة الناس مؤمنين وكافرين بين رحمه الله سبب تخصيص المؤمنين بالذكر والمراد بالمؤمنين من آمن من بني إسرائيل أو منهم ومن غيرهم.

قوله: بين بني إسرائيل وفي الكشف بين من آمن بالقرآن ومن كفر.

قوله: (بما يحكم به وهو الحق) أول الحكم بالمحكوم به لأن القضاء هو الحكم فيصير كضرب زيد بضربه فيلغو أولاً يفيد فائدة معتد بها والقول بأنه لا يمتنع أن يقال ضرب زيد بضربه المعروف بالشدة فالمعنى حيثنلّ يحكم يحكمه المعروف الخ بملابسة الحق أو يحكم يحكم نفسه لا يحكم غيره كالبشر ضعيف أما أولاً فلأنه والآية على هذا التقدير يكون قريبة من شعري شعري فهو التزام ما لا يلزم فإن الحكم مجيئه بالمحكوم به شائع عند أهل الميزان وأرباب الأصول فالحمل على معناه المصدري ثم التأويل بهلها خروج عن الجادة المستقيمة ومراد الشيخين أنه يلزم اللغو بحسب الظاهر المتبادر وإلا فباب التأويل مفتوح وأما ثانياً فلأن حكم الله تعالى لا يكون إلا ملاساً بالحق فالسؤال باقي غير مندفع إذ المعنى أنه يحكم حكماً ملاساً بالحق بالحكم المعروف بملابسة الحق وكذا حكمه تعالى منحصر في حكم ذاته لا يحتمل غيره.

قوله: (أو بحكمته) أي الحكم باقي على المصدرية لكن لا بمعناه المعروف بل بمعنى الحكمة أي المصلحة أي ذلك الحكم متضمن الحكمة البالغة والمصلحة البارعة فالباء حيثنلّ للملابسة وعلى الأول للصلة.

قوله: (ويدل عليه أنه قرىء بحكمه) ويدل عليه أي دلالة ظنية ولذا أخر هذا المعنى مع أن له مؤيداً والمتعارف ويؤيد في مثل هذا المقام والجمع يدل على أن حكمه تعالى يتضمن حكماً كثيرة وهو المراد أيضاً في قراءة الأفراد بإرادة الجنس.

قوله: (فلا يرد قضاؤه بحقيقة ما يقضي فيه وحكمه) فلا يرد قضاؤه كما يرد قضاء البشر وهذه الجملة من قبيل الاحتراس والتكميل وكذا الكلام في قوله العليم بحقيقة ما يقضي وحكمه وفي الكشف بمن يقضي له وبمن يقضي عليه وهو أوضح مما ذكره ولم يتعرض لمعنى العزيز في انتقامه من المبطلين العليم بالفضل بينهم وبين المحققين لبعده عن المقام إذ المقام بيان تنفيذ حكمه وأنه واقع موقعه وليس حكمه حكم سائر الحاكمين لأنه أحكم الحاكمين مع أن ما ذكر منهم مما اكتفى به.



قوله تعالى: ﴿تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ (٧٩)

قوله: ﴿تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ الفاء للسببية لأن ظهور رسالته بالحجة وهي أن قصة هذا القرآن على بني إسرائيل لما كانت موافقة لما في التوراة والإنجيل^(١) مع أنه عليه السلام

قوله: بما يحكم به وهو الحق أو بحكمته لما أشكل ظاهر قوله عز من قائل: ﴿يقضي بحكمه﴾ [النمل: ٧٨] لإفادته معنى يحكم بحكمه ولا يقال يضرب بضربه ونمنع بمنعه وجهه بتوجيهين الأول أن المراد بالحكم المحكوم به فسمي المحكوم به حكماً والثاني أن الحكم بمعنى الحكمة ويدل عليه قراءة من قرأ بحكمه بكسر الحاء وفتح الكاف جمع حكمة.

(١) داعية إلي الاتباع مع أنهم مصرون على المخالفة والمعادة.

كان أمياً كانت معجزة كان سبباً للتوكل والأمر به والمعنى ودم على التوكل أو زد التوكل .
قوله : (ولا تبال بمعاداتهم) هذا من لوازم التوكل أي ولا تبال بها فإن الله تعالى عاصمك من ضرورهم وغيرها .

قوله : ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل : ٧٩] وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظه الله ونصره) إنك على الحق لتعليل للأمر بالتوكل المسبب بظهور الرسالة وحاصله^(١) تعليل للمعلل وفي على استعارة .



قوله تعالى : إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الَّذِينَ أُكْفِتُوا عَنْ دِينِهِمْ (٨٠) قوله : (تعليل آخر للأمر بالتوكل) إذ التقدير لأنك فحينئذ يلزم تعلق الجارين بمعنى واحد بفعل واحد بدون عطف فتأمل .

قوله : (من حيث إنه يقطع طمعه عن مشايعتهم ومعاضدتهم رأساً) والحال أن الأمر بالتوكل مسبب عما كان يغيظ رسول الله عليه السلام من ترك اتباع المشركين وأهل الكتاب وقطع الطمع عن مشايعتهم أي متابعيتهم كان سبباً قوياً للأمر بالتوكل إذ لم يبق حينئذ إلا الاستنصار عليهم لدفع ضرورهم .

قوله : (وإنما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلى عليهم) أي وهم أحياء حقيقة سالم القوى والآلات لما ذكره من أنهم أموات مجازاً لانتفاء الحياة المجازية وهي العلم والإيمان وعدم انتفاعهم بذلك لعدم الإيمان به .

قوله : وصاحب الحق حقيق بالوثوق أمر عليه السلام بالتوكل على الله وقلة العيالة بأعداء الدين وعلل التوكل بأنه على الحق الأبلغ الذي لا يتعلق به الظن والشك وفيه بيان أن صاحب الحق حقيق بالوثوق يصنع الله ونصرته كأنه قيل له صلوات الله عليه أعرض عنهم وتاركهم لأنك بالغت في الإنذار وأعذرت أي بالغت من اعذر الأمر إذا بالغ فيه وأنهم لا يؤمنون البتة ولم يبق لك إلا الاستنصار والتوكل على الغالب القاهر لاعدائه الناصر والمتولي لأولياته لأن الأصل أن يقال فتوكل عليه لجري ذكر الله تعالى بقوله : ﴿إِنْ رَيْكَ يَفْضِي بَيْنَهُمْ﴾ [النمل : ٧٨] فوضع اسم الذات موضع الضمير فأفاد في هذا المقام هذا المعنى قال الراغب التوكل يقال على وجهين يقال توكلت لفلان بمعنى توليت له ويقال وكلته فتوكل لي وتوكلت عليه اعتمدته قوله لتعليل آخر للأمر بالتوكل يعني أن الأمر بالتوكل جعل مسبباً عما كان يغيظ رسول الله من جهة المشركين وأهل الكتاب من ترك اتباعه وتشجيع ذلك بالعداوة والأذى فتناسب ذلك أن يعلل أمره بالتوكل لخبيته من اتباع القوم وأنه قد آس منه فلم يبق إلا الانتصار عليهم والانتقام منهم بعداوتهم واستكفاه ضرورهم وآذاهم .

قوله : (وإنما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم بما يتلى عليهم وفي الكشف وشبهوا بالموتى وهم أحياء صحاح الحواس لأنهم إذا سمعوا ما يتلى عليهم من آيات الله وكانوا اقماع القول لا نعيه آذانهم وكان سماعهم كلا سماع كانت حالهم لانتفاء جدوى السماع كحال الموتى الذين فقدوا

(١) لأن عدم اتباعهم وعداوتهم وآذاهم كان سبباً للاستنصار عليهم ودفع ضرورهم وهو معنى التوكل مالا .

قوله: (كما شبهوا بالصم في قوله: ﴿وَلَا تَسْمَعُ الصَّامُ الدَّعَاءَ﴾ [الروم: ٥٢]) الآية كما شبهوا بالصم جمع أصم وهو فاقد قوة السمع وهم صحاح القوة السامعة لكنهم لما لم ينتفعوا به صاروا مشابهيين بالصم فالقوة السامعة منتفية ذاتها وحقيقتها في الأصم ومنتف كمالها في هؤلاء الكفرة.

قوله: (فإن أسمعهم في هذه الحال أبعد وقرأ ابن كثير ولا يسمع الصم الدعاء) فإن أسمعهم الخ بيان فائدة هذا القيد مع أنهم لا يسمعون ما يتلى سمعاً معتداً به مطلقاً فلا مفهوم لأن هذا القيد لما كان له فائدة غير مفهوم المخالفة وهي التنبيه على كون أسمعهم في هذه الحالة أبعد لا مفهوم.

قوله تعالى: وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِنَّ إِنَّ تُسَمِّعُ إِلَّا مَنْ يُوْمِنُ وَيَايُنُسَ فَهُمْ مُسْلِمُونَ

قوله: (وما أنت بهادي العمى عن ضلالتهم) غير الأسلوب للمبالغة فيه بوجه آخر بإيراد الجملة الاسمية وأنها لاستمرار النفي لا لنفي الاستمرار قوله عن ضلالتهم متعلق بهادي بتضمن معنى الصرف والمنع^(١).

قوله: (حيث الهداية لا تحصل إلا بالبصر وقرأ حمزة وحده وما أنت تهدي العمى) حيث الهداية الخ تقييد للهداية لا تعليل لها حتى يقال أي الهداية الكاملة أو باعتبار الأغلب أي أن الهداية المنفية الهداية التي لا تحصل إلا بالبصر دون غيرها والهداية التي لا تحصل إلا بالسمع نفيت أولاً بقوله لا تسمع الموتى الخ فحصل نفي الهداية عنهم رأساً لكنه تفش في النفي المذكور.

مصحح السماع وكذلك تشبيههم بالصم الذين ينق بهم فلا يسمعون وشبهوا بالعمى حيث يضلون الطريق ولا يقدر أحد أن ينزع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء إلا الله عز وجل إلى هنا كلام الكشف والاقصاع جمع قمع بكسر القاف وهو الإناء المثقوب من تحته يترك على رؤوس الظروف لتعلاً بالمناعات من الأشربة والادعائ شبه اسماع الذين يسمعون القول ولا يعونه ولا يحفظونه ولا يعملون به بالاقتناع التي لا نفي شيئاً مما يفرغ فيها فكأنه يمر عليها كما يمر الشراب في الاقصاص ومنه ويل لاقتناع القول وهم الذين يسمعون ولا يعون فالقمع مستعار للاذن التي تسمع ولا تعي ثم أطلق على من له اذن شأنها ذلك تجوزاً عن المجاز فإن اسماعهم في هذه الحالة أبعد يعني أن قوله عز من قائل: ﴿إِذَا وَلَوْ سَدَّقُوا بِرَأْسِهِمْ﴾ [النمل: ٨٠] تأكيد لحال الأصم لأنه إذا تباعد عن الداعي بأن يولي عنه كان أبعد عن إدراك صوته فهو من باب التميم كقول امرئ القيس:

حملت رديسياً كأن سنانه سنا لهب لم يتصل بدخان

فإن قوله لم يتصل بدخان تميم.

(١) وفي الكشف أشار إلى تضمن معنى الأبعاد.

قوله: (ما يجدي اسماعك) وهذا القيد معتبر فيما سبق ذكره هنا للاستثناء المذكور فعلم من هذا الاستثناء أن ما سبق عام خص منه البعض وإن أريد به من لا يعلم الله أنه لا يؤمن فلا حاجة إلى التخصيص ولم يقل أن ترى إلا من يؤمن لأن المذكور يستلزمه ولم يعكس لأن الإسماع أهم ولذا قدم نفيه لأن الإسماع يستلزم السماع والقبول ويحصل به المقصود.

قوله: (من هو في علم الله كذلك) أي المراد بمن يؤمن من يتعلق علمه تعالى بأنه يؤمن فيما لا يزال تعلقاً أزلياً فلا وجه للإشكال بأن المناسب حينئذٍ من آمن بصيغة الماضي لأن تعلق العلم قديم قايماً بالنظر إليه ماضٍ وجه الدفع إن تعلق العلم به بأنه كائن في المستقبل فالمقتضى صيغة المضارع ولو أورد بالماضي لكان له وجه وصيغة المضارع مستعمل في المستقبل دون الحال ودون المشترك بينهما لأن المراد الاستقبال بالنظر إلى تعلق العلم فلا يرد الإشكال بمن يؤمن في الحال قوله كذلك إشارة إلى ما ذكرنا.

قوله: (مخلصون من أسلم لله وجهه) مخلصون فسر به ليفيد ذكره لأن الإيمان قد ذكر وصفهم به والتأسيس خير من التأكيد والمعنى أيضاً فهم مخلصون في علم الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَلَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾

قوله: (دنا وقوع معناه وهو ما وعدوا به من البعث والعذاب) دنا وقوعه أي الوقوع مجاز أولي بالمشاركة بقرينة أن الإخراج المذكور قبل الوقوع قوله وقوع معناه للتنبيه على أن الوقوع ليس لنفس القول فإنه واقع قبل هذا الإخراج بل المراد معناه ومدلوله مجازاً تسمية للمدلول باسم الدال قوله وهو ما وعدوا به إشارة إلى أن نفس القول واقع قبله.

قوله: (وهي الجساسة) بجيم مفتوحة وسين مهملة مشددة وألف بعدها سين أخرى من الجنس وهو المس سميت بها لتجسيها الاخيار للدجال كذا في شرح الحديث.

قوله: (روي أن طولها ستون ذراعاً ولها أربع قوائم وزغب وریش وجناحان لا يفوتها هارب ولا يدركها طالب وروي أنه عليه السلام سئل عن مخرجها فقال من أعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام) ستون ذراعاً الخ وروي أيضاً لا تخرج إلا رأسها

قوله: أي ما يجدي اسماعك يعني أن النفي بكلمة أن في أن تسمع ليس راجعاً إلى أصل الاسماع لحصوله لأن القوم ليسوا صماً حقيقة بل هو راجع إلى جدوى الاسماع ونفعه لهم حيث تصاموا عن الحق وإن سمعوه.

قوله: ولها قوائم وزغب الزغب السعرات الصفر على ريش الفرخ وازلغب الفرخ طلع ريشه بزيادة اللام وقيل من الكلم وهو الجرح وقوله إذ قرء استشهد على كون تكلمهم من الكلم بمعنى الجرح فإن بعض القراءات قد استفاد منه معنى البعض الآخر وبدل على المعنى المراد منه وقوله روي الخ بيان أن جرحها بأي وجه يكون.

ورأسها يبلغ عنان السماء أو يبلغ السحاب ولها قوائم أي أربع قوائم والزغب بضم زاي صغار الريش والشعر أول ما يطلع عن مخرجها أي محل خروجها قوله حرمة على الله تعالى أي تعظيماً .

قوله : (من الكلام وقيل من الكلم على معنى التكثير إذ قرئء تكلمهم وروي أنها تخرج ومعها عصى موسى وخاتم سليمان عليهما الصلاة والسلام فتنتكت بالعصا في مسجد المؤمن نكتة بيضاء فيبيض وجهه وبالخاتم في أنف الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه) من الكلم وهو الجرح والمراد بالجرح ما أشير إليه بقوله فتنتكت أي تمسه حتى يظهر فيه نكتة مخالفة للونه قوله في مسجد المؤمن المسجد يفتح الجيم محل سجوده وهو جبهته .

قوله : (خروجها وسائر أحوالها فإنها من آيات الله تعالى وقيل القرآن) خروجها تفسير الآيات وأحوالها .

قوله : (لا يشقون وهو حكاية معنى قولها أو حكايتها لقول الله تعالى) وهو حكاية معنى قولها^(١) لا لفظه لأن آياتنا لا يناسبه بدون تأويل بتقدير آيات ربنا أو بحمل الإضافة على أدنى الملابسة لاختصاصها بمحليتها فالجملة على هذا مفسرة لما تكلمهم قوله أو حكايتها لقول الله تعالى بتقدير ويقول قال الله تعالى ﴿إن الناس﴾ [آل عمران : ١٧٣] الخ ولظهور المراد حذف القول .

قوله : (أو علة خروجها أو تكلمها وقرأ الكوفيون إن الناس بالفتح على حذف الجار) وهو اللام في الأول والياء في الثاني كذا قيل لكن الأولى اللام فيهما والخروج وإن لم يكن مذكوراً لكن الإخراج يدل عليه ولم يقل علة إخراجها إذ الآيات خروجها وأحوالها كما نبه المص علىه .



قوله تعالى : وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يَكْذِبُ بِتِلْكَ آيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٢﴾

قوله : ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً﴾ يعني يوم القيامة ويوم نحشر بيان إجمالي لحال المكذبين عند قيام الخ بعد بيان بعض علاماتها أي واذكر الحالة التي تقع في ذلك اليوم أو اذكر لهم زمان حشرنا أي جمعنا والمراد ذكر ما وقع فيه قد مر بيانه مراراً فوجاً أي جماعة كثيرة .

قوله : وقيل القرآن يعني أن المراد بالآيات خروج دابة الأرض وسائر أحوالها أو القرآن .

قوله : وهو حكاية أي قوله تعالى : ﴿أن الناس كانوا بأياتنا لا يوقنون﴾ [النمل : ٨٢] حكاية حكى الله تعالى معنى قول دابة الأرض أو هو قول الله تعالى يحكيه دابة الأرض هذا التوجيه على قراءة كسر إن أو هو علة لخروجها أو علة لتكلمها على حذف اللام الجارة من أن الكائنة للتعليل والتقدير لأن ﴿الناس﴾ [النمل : ٨٢] الآية وهذا التوجيه على قراءة فتح أن .

(١) أي حكاية منه تعالى معنى قولها .

قوله : (بيان للفوج أي فوجاً مكذبين ومن الأولى للتبويض لأن أمة كل نبي وأهل كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين) ومن الأولى للتبويض ومن الثانية للتبيين اختيار الإطناب للمبالغة بذكرهم مرتين إجمالاً وتفصيلاً قوله شامل للمصدقين النخ والحشر أيضاً عام لهم فوجه التخصيص بالمكذبين لأن المراد الحشر للعذاب لأنهم يستعملونه فيبين حشرهم لبيان عذاب استعملوه .

قوله : (فهم يوزعون) الفاء لأن الحشر سبب له .

قوله : (يحبس أولهم على آخرهم لينتلاحقوا وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد أطرافهم) يحبس أولهم إشارة إلى أن إستاذ الحبس إلى المجموع مجاز عقلي والمراد حبس أولهم قوله على آخرهم أي شققة على آخرهم ولذا عدي بعلى قوله لينتلاحقوا أي ليلحق بعضهم بعضاً لأن في الجمع في موقف التوبيخ والمناقشة مزيداً في العذاب والحجاب والوزع يفتح الواو وسكون الزاء المنع وسمي الحبس به لأن فيه منعاً عن الحركة واختير الجملة الاسمية للتأكيد وإلا فيكنفي في أصل المعنى فيوزعون .

قوله تعالى : حَتَّىٰ إِذَا جَاءُو قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَآنًا كُنْتُمْ فَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

قوله : ﴿حتى إذا جاءوا﴾ [النمل : ٨٤] إلى المحشر) حتى ابتدائية التي يقع بعدها الجملة ويجوز أن تكون جارة فيكون إذا في موضع الجر لكونه ظرفاً حيثيذ .

قوله : ﴿قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً﴾ [النمل : ٨٤] قال جواب إذا على الأول وعامل الظرف على الثاني أكذبتم أي أنكرتم آياتي المتزلة على الرسول الناطقة بحقية البعث والاستفهام للإنكار الواقعي للتوبيخ والتهديد .

قوله : (الواو للحال أي أكذبتم بها) الواو للحال وإنكار التكذيب في الحال المذكورة أشنع وأقبح ولذا قيد التكذيب المنكر به وإلا فالتكذيب منكر مطلقاً فلا مفهوم .

قوله : (باديء الرأي^(١) غير ناظرين فيها نظراً يحيط علمكم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق أو التكذيب) بادي الرأي مستفاد من قوله ولم تحيطوا بها إذ انتفاء الإحاطة مسبب

قوله : ومن الأولى للتبويض لأن الفوج المكذب بعض الأمة من أمم الأنبياء ومن الثانية للبيان وعن ابن عباس الفوج المكذب هو أبو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي أهل مكة وكذلك يحشر قادة سائر الأمم بين أيديهم إلى النار .

قوله : وإنها حقيقة عطف على قوله كنهها أي يحيط علمكم بكنه تلك الآيات وبأنها لا تنفك بالتصديق أو التكذيب أي يحيط علمكم بأن تلك الآيات هل هي حقيقة أي حريقة بأن يصدق بها أو يكذب بها .

(١) بالهمزة من بدأ إذا ابتدأ أو بغير الهمزة من بدأ بدأ إذا ظهر نصب على الظرف والعامل أكذبتم أي أكذبتم أول الرأي أو ظاهر الرأي والرأي النظر .

عن ترك النظر المذكور قوله بكنهها إشارة إلى أن الإحاطة بها علماً إنما هو العلم بكنهها وانتفاؤها يؤدي إلى التكذيب وفيه إشارة إلى أن العلم بالشيء إنما هو علم بالكنه وأما العلم بالوجه فهو علم بالوجه المذكور لا بالشيء وهو مذهب المحققين فلا إشكال بأنه يفيد أن لهم علماً بها في الجملة بدون الإحاطة بناء على أن النفي متوجه إلى القيد فالنفي هنا متوجه إلى المقيد مع القيد.

قوله: (أو للعطف أي أجمعتم بين التكذيب بها وعدم اللقاء الأذهان لتحقيقها) أو للعطف فهو إنكار لجمعهما بإنكار كل واحد من المتعاطفين فمعال الوجهين واحد قدم احتمال الحال لأن العطف يوهم في أول الأمر أن المتكرر الجمع دون كل واحد منهما نحو لا تأكل السمك وتشرب اللبن.

قوله: (أم أي شيء كنتم تعملونه بعد ذلك وهو للتبكيث إذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدر أن يقولوا فعلنا غير ذلك) أم أي شيء الخ أم متصلة أي أي أحد الأمرين وقع لكن المراد بالثاني التبكيت كما أوضحه المص وكونها منقطعة ضعيف يعلم من حسن كونها متصلة وفي ماذا وجهان أن يكون مجموعهما اسماً واحداً للاستفهام أو أن يكون ما استفهاماً وذا بمعنى الذي اسم موصول ويعمل كلام المص إلى الأول وإن احتمل لغيره أم أي شيء الخ فيحتمل ماذا اسم واحد مرفوع على أنه مبتدأ خبره كنتم تعملون بحذف العائد أشار إليه بقوله تعملونه أو أي شيء منصوب على أنه خبر كان قدم للصدارة وعلى الثاني ما استفهامية وذا اسم موصول بحذف العائد كما عرفت والمعنى أي شيء تعملونه في حق الآيات كما هو مقتضى السوق واحتمال الأعم مخالف لمذاق المص.

قوله تعالى: وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَنَّمُوا فَعِمَهُمْ لَا يَخْتَفُونَ ﴿٨٥﴾

قوله: (حل بهم العذاب الموعود) حل بهم الخ من الحلول فالتعبير بوقع لإفادة شدة الحلول وعلى المفيدة للاستعلاء تؤكد الشدة وما ذكره المص حاصل معناه العذاب أي المراد بالقول مدلوله مجازاً كما مر آنفاً الموعود مستفاد من التعبير بالقول أي الموعود في مواضع عديدة من القرآن.

قوله: (وهو كبهم في النار بعد ذلك) وهو كبهم في النار أي إسقاطهم في النار بعد ذلك أي بعد توبيخ أكذبتم بآياتي إشارة إلى ارتباطه بما قبله وعطفه على قال أكذبتم أو استئناف معاني أو تحوي فيحتمل التعبير بالماضي لتحقيق وقوعه.

قوله: أجمعتم من الجمع والهمزة للاستفهام لكونه تفسيراً لقوله: ﴿أكذبتم﴾. [النمل: ٨٤] على حمل الواو على العطف المعتبر فيه معناه الذي هو الجمع فيؤول المعنى إلى إنكار الجمع بين هذين الأمرين القبيحين وهما التكذيب بالآيات وترك التأمل فيها ولا يراد معنى الجمع إذا جعلت للحال قوله: لشغلهم بالعذاب يعني أن العذاب الموعود يشغاهم بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله: ﴿هذا يوم لا ينطقون﴾. [المرسلات: ٣٥].

قوله: (بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله تعالى) بسبب ظلمهم أو بدل ظلمهم على أنفسهم ولذا قال وهو التكذيب.

قوله: ﴿فَهِمَ لَا يَنْطِقُونَ﴾ [النمل: ٨٥] أي إذا كان الأمر كذلك فهم لا ينطقون على الدوام ولذا اختير الجملة الاسمية.

قوله: (باعتذار لشغلهم بالعذاب) باعتذار قبيد لأنهم ينطقون ربنا أبصرنا وسمعنا ويقولون أيضاً ربنا أمتنا اثنتين وينطقون أيضاً يا مالك ليقتض علينا ربك وربنا أخرنا وربنا أخرجنا نعمل صالحاً ورب ارجعون كل واحد منها ألف سنة فلا يقال أو لا يقدرُونَ على نطق أصلاً لدهشتهم قوله لشغلهم بالعذاب أو لعدم الإذن بالاعتذار من الله الملك الوهاب قال تعالى ﴿هَذَا يَوْمَ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤْذِنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥، ٣٦].

قوله تعالى: أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلَ لُوطٍ لَشَكْلٍ مُّبِينٍ وَالنَّهَارَ مُبِيناً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾

قوله: (ليتحقق لهم التوحيد ويرشدهم إلى تجويز الحشر وبعثة الرسل لأن تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص) ويرشدهم أي الرؤية بمعنى العلم فالإستناد مجازي ولا بعد في حملها على رؤية البصر مبالغة قوله إلى تجويز الحشر لأنه هو المتنازع وبعد ثبوت جوازه وقوعه لا نزاع فيه لأنه أخبر في القرآن والاخبار.

قوله: (غير متعين بذاته) لأنه حادث ممكن يحتاج إلى الغير.

قوله: (لا يكون إلا بقدرة قاهرة) وهو الله تعالى متعالياً عن معارضة غيره إذ لو كان معه إله لزم إمكان التمانع والتطارد إلى آخر البيان وثبوت التوحيد بملاحظة ما ذكرناه والمص أجمل في البيان لما ذكره في كتابه مراراً بالبرهان ولا يكفي في ذلك أن يقال وظاهر أنه لا شيء مما أشركوه بقادر على مثل ذلك ما لم يلاحظ برهان التمانع.

قوله: (وأن من قدر على إيدال الظلمة^(١) بالنور في مادة واحدة قدر على إيدال الموت بالحياة في مواد الأبدان وأن من جعل النهار ليبصروا فيه سبباً من أسباب معاشهم) وأن من قدر الخ بيان دليل جواز الحشر لكن مع ملاحظة مقدمات أخر كما بينها في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩].

قوله: (لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم في معاشهم ومعادهم) لعله لا يخل إشارة إلى دليل بعثة الرسل صيغة الترجي على عادة المعظماء أو لعدم التيقن بذلك (بالنوم والقرار).

(١) تعرض هذا ولم يتعرض عكسه لأن هذا دليل جواز الحشر دون عكسه قوله وأن من جعل النهار الخ ولم يقل وأن من جعل الليل الخ لأن هذا سبب لجواز البعثة حيث كان سبباً من أسباب معاشهم دون الليل فلا يترتب عليه لعله لا يخل الخ.

قوله: ﴿فَإِنْ أَصْلَهُ لِيَبْصُرُوا فِيهِ فَيُبْلَغَ فِيهِ بِجَعْلِ الْإِبْصَارِ حَالاً مِنْ أَحْوَالِهِ الْمَجْمُوعِ عَلَيْهَا﴾ فإن أصله تحليل للمقدمة من مساقه مع الإشارة المطلوبة المعلومة إلى جواب عن ترك المقابلة لفظاً أي المقابلة متحققة معنى فإن أصله أي أصل مبصراً أي ظاهره مع قطع النظر عن مقتضى الحال ليصبروا فيه لكنه عدل عن هذا الأصل للمبالغة كما ذكره وحاصله أن كون النهار سبباً للإبصار بلغ مبلغاً في المبالغة بحيث سرى الإبصار إليه فصار نفسه مبصراً ولذا عدل عن الظاهر فما اختير في النظم هو المطابق لمقتضى الحال.

قوله: ﴿بِحَيْثُ لَا يَنْفَكُ عَنْهَا﴾ احتراز عن الحال المجموع عليها لكن ينفك عنها كأنفكاك الشباب عن الحيوان وغير ذلك.

قوله: ﴿وَإِنْ فِي ذَلِكَ﴾ لدلائلها على الأمور الثلاثة ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ أي في ذلك الجعل لآيات لدلائل ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النمل: ٨٦] أي في علم الله والتعبير بالمضارع قد ذكر وجهه آنفاً أو يشارفون الإيمان والتخصيص لأنهم هم المنتفعون به والختام بقوم يؤمنون للتعريض بالكفار.

قوله تعالى: وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي السُّورِ فَتَنُجَّ مَنْ فِي السُّورِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَخِيرِينَ



قوله: (في الصور أو القرن) في الصور بضم الصاد وفتح الواو جمع صورة^(١) بناء على أن الصور يسكون الواو بمعناه وقد سبق بيانه ويؤيده قراءة في الصور بضم الصاد وفتح الواو لكن الأولى ذكر القرن أولاً.

قوله: (وقيل إنه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش إذا نفخ في البوق) وقيل إنه تمثيل لانبعاث الخ فعلى هذا يكون استعارة تمثيلية شبه هيئة انبعاثهم من القبور وقد نفخ في الصور بهيئة منتزعة من أمور عديدة وهي الجيش وقد نفخ لهم في المزمز المعروف لبعثهم من منزلهم فساروا إلى ما يقصدون إلى وصوله وظاهر هذا الكلام أن لا نفخ في الصور حقيقة وهو خلاف ما أجمع أكثر العلماء عليه ولعل لهذا مرضه والشيخ الزمخشري لم يتعرض له وقد أصاب لكن أشار إليه الإمام وقال إنه الوجه الثاني (من الهول وعبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه).

قوله: لدلائلها على الأمور الثلاثة وهي التوحيد وصحة الحشر وبعثة الرسل وجه الدلالة قد ذكر بقوله: ﴿رَحِمَهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٨] لأن تعاقب النور والظلمة الخ.

قوله: في الصور بضم الصاد فتح الواو جمع صورة قوله أو القرن هو على القراءة بضم الصاد وسكون الواو بمعنى القرن.

(١) وجعلوا النفخ فيها نفخ الروح كما قاله الإمام.

قوله: ﴿أَنْ لَا يَفْزَعَ﴾^(١) بأن يثبت قلبه قيل هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وقيل الحور والخزنة وحملة العرش وقيل الشهداء وقيل موسى عليه السلام) لأنه صعد مرة أي في الطور.

قوله: (ولعل المراد ما يعم ذلك) لعدم القرينة الدالة على الخصوص مع أن الظاهر العموم إما لفظاً فظاهر وإما معنى فلأن التخصيص يوهم أن ما عداه يفرغ فالأولى التعميم وما قيل إن بعض المقربين تتصل حياتهم بالآخرة فلا يدركهم الصعق وكلام المص محتمل له فضعف لأنه لو تم ذلك فالأنبياء عليهم السلام أحق بذلك ولم يقل بذلك أحد في شأنهم.

قوله: (حاضرون الموقف) أي حاضرون لحساب الله في الموقف وفي نسخة حاضرين على أنه حال.

قوله: (بعد النسخة الثانية) أشار به إلى أن المراد النسخة الثانية التي لا يبقى معها ميت إلا بعث وقام والنسخة الأولى نسخة لا يبقى عندها أحد في الحياة إلا من شاء الله تعالى وقد قيل إنه روي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه ينفخ ثلاث نفخات الأولى نسخة القزع ثم بعده بأربعين يوماً نسخة الصعق ثم نسخة البعث لكن اختار المص كونها نفختين ولذا قال بعد النسخة الثانية.

قوله: (أو راجعون إلى أمره) وقرأ حمزة وحفص أثوه على الفعل) أو راجعون إلى أمره أي انقيادهم له قوله وقرأ حمزة وحفص أثوه على أنه ماض ومعناه حضروا الموقف وصيغة الماضي لما مر وأما قراءة أثوه بعد الهمزة فاسم الفاعل^(٢) أشار إليه بقوله حاضرون الموقف.

قوله: (وقرئ أثناء على توحيد لفظ الكل) نقل عن أبي حيان أنه قال يجوز في كل مراعاة اللفظ نحو ﴿قُلْ كُلْ يَعْمَلْ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ [الإسراء: ٨٤] ومراعاة المعنى نحو قوله تعالى: ﴿وَكُلْ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأنفال: ٥٤] هذا إذا انقطع عن الإضافة وأما إذا أضيف إلى النكرة فاختار جمهور النحاة أنه يجب مراعاة معناها وإفراد الضمير مع المفرد نحو كل

قوله: قيل هم جبرائيل الخ أي من شاء الله أن لا يفرغ من هول ذلك اليوم هؤلاء الملائكة المقربون.

قوله: ولعل المراد ما يعم ذلك معنى العموم مستفاد من لفظة من في ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ قوله لتوحيد لفظ الكل وهو لفظ من وهو مفرد اللفظ مجموع المعنى كالرهنط.

(١) أن لا يفرغ مفعول شاء وتعلق الميث بالعدم لكونه ماولاً بالأمر كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ لَهُ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ١٦٧]

(٢) وأما ما اختاره فاسم الفاعل بعد الهمزة وضم التاء.

رجل قائم ولا يجوز قائمون وجوز أبو حيان الوجهين وإذا أضيف إلى المعرفة فيجوز الوجهان نحو قوله تعالى: ﴿وكلهم آتية يوم القيامة فرداً﴾ [مريم: ٩٥] هذا مثال للأفراد وأما الجمع فظاهر.

قوله: (صاغرين) لخوفهم من الهول فلا ينافيه كونهم مكرمين بنحو الركوب واللباس وغيرهما.

قوله: (وقرىء داخرين) فهو أبلغ.

قوله تعالى: وَرَى الْجِبَالِ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ ثَمَرٌ مِّمَّا السَّحَابُ صَنَعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَكُمْ خَيْرٌ مِمَّا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

قوله: ﴿وترى الجبال﴾ الخطاب لكل من يصلح للخطاب وكونه خطاباً للنبي عليه السلام وحده لا يلائم مقام التهديد إذ يدخل تحت العموم دخولاً أولاً تحسبها حال من فاعل ترى وقد جوز كونه بدلاً من ترى وهو ضعيف إذ الرؤية مقصودة وسبب للحسان المذكور.

قوله: (ثابتة في مكانها) الأولى في أماكنها وتفسيرها بثابتة ليفيد بل ليصح لأن كونها جامدة بمعنى غير ذي روح معلوم بداهة فلا يصح تعلق الحسان بمعنى الظن بها فيراد بها الثبوت مجازاً لكونه لازماً للجماد.

قوله: (وهي ثمر من السحاب) أي والحال أنها تتحرك حركة بحيث لا تكاد تتبين والحاصل أن ذلك الظن ليس بمطابق للواقع.

قوله: (في السرعة) بيان وجه الشبه ومع تلك السرعة بظن أنها ساكنة.

قوله: (وذلك لأن الأجرام الكبار إذا تحركت في سمت واحد لا تكاد تتبين حركتها) وذلك أي ذلك الظن مع سرعة الحركة لأن الأجرام الكبار أي المتلاصقة أشار إليها بصيغة الجمع إذا تحركت في سمت واحد الخ بخلاف ما إذا تحركت في جهات مختلفة فإن حركتها ح تتبين ولعل التعبير بالمرور^(١) للتنبيه على أن حركتها جملة في سمت واحد وأخذ المص هذا القيد من التعبير بالمرور ولو قيل تتحرك لا يفهم كونها في جهة واحدة ولعل هذا قيل كونها كثيراً رماً مجتمعاً مهياً مثوراً وقيل أن ينسفها ربه نسفاً وقبل كونها كالعن المتفوش ويحتمل كونها بعد ذلك كله أو بعضه إذ الأمور المذكورة إما عند النفخة الأولى أو الثانية والمراد^(٢) باليوم الوقت المتسع والله أعلم بمراده وفي الإرشاد وقد أدمج في هذا

(١) وكون المرور بمعنى التحرك أشار المص إليه بقوله لأن الأجرام الكبار إذا تحركت الخ والعدول عنها إلى المرور لما ذكرنا.

(٢) والمص رد في قوله تعالى: ﴿يوم ترجف الراجفة﴾ [النازعات: ٦] أي أو الواقعة التي ترجف الأجرام عندها وهي النفخة الأولى ثم قال أو النفخة الثانية فالوجه في ذلك اعتبار اليوم الوقت المتسع للنفختين ولأمر كثيرة كما صرح به المص في سورة التكوين وبهذا يتفخ توهم المناقاة بين قوله في سورة التكوين حيث أفاد فيها أن تسير الجبال في الحو عند النفخة الأولى وقيل فناء الدنيا وقوله هنا حيث اشعر أن ذلك التسير عند النفخة الثانية.

التشبيه حال الجبال بحال السحاب في تخلخل الأجزاء وانتفاثها كما في قوله تعالى: ﴿وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ [القارعة: ٥] وهذا أيضاً مما يقع بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق انتهى والأولى عدم الجزم بذلك.

قوله: (مصدر مؤكد لنفسه وهو مضمون الجملة المتقدمة كقوله ﴿وعد الله﴾ [النساء: ٩٥]) أي أكد مضمون جملة لا يحتمل غيره نحو له علي ألف درهم اعترافاً والعامل فيه محذوف وجوباً لقيام الجملة المؤكدة مقامه كما بين في موضعه والمعنى صنع الله ذلك التسيير والنفخ في الصور وما يترتب عليه بأسره صنعاً أي فعله فعلاً تاماً مشتملاً على حكم كثيرة ومنافع عظيمة والتعبير بالصنع للتشبيه على ذلك والإضافة إلى الاسم الجليل لثرية المهابة وتزييد المهابة وصفه بالذي اتفن كل شيء أي أحكمه وسواء على ما يقتضيه حاله كقوله أعطى كل شيء خلقه صورته وشكله الذي يطابق كماله الممكن له والمص عدل عما في الكشف من قوله صنع الله مؤكداً محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ والمعنى ويوم ينفخ في الصور فكان كبت وكبت أثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين ثم قال صنع الله يريد به الإثابة والمعاقبة وجعل هذا الصنع من جملة الأشياء التي أتقنها ولم يرض به المص لما مر من أن الجملة المتقدمة قائمة مقام العامل المحذوف فلا يكون حذفها جائزاً وأيضاً المشهور كونه مؤكداً للجملة المتقدمة وهنا يصح أن يكون مؤكداً للجملة المتقدمة فلا وجه لاعتبار جملة محذوفة وإن سلم أنها كالمذكور لقيام الدليل عليه ولا شك أن تسيير الجبال لا سيما إذا كان المراد التسيير في جو الهواء وبعد تفتت الأجزاء من الصنع المثقن وذكر الحسنة بعده لأنه شروع في بيان أحوال المكلفين بعد ذكر علامات القيامة.

قوله: (أحكم خلقه وسواء على ما ينبغي) أي سوى خلقه بأن جعل له ما به يتأني

قوله: مصدر مؤكد لنفسه أي قوله صنع الله مصدر منصوب من المصادر المؤكدة كقوله: ﴿وعد الله﴾ [النساء: ٩٥] و﴿صهفة الله﴾ [البقرة: ١٣٨] إلا أن ما أكد هذا المصدر وهو الفعل الناصب ليوم ينفخ محذوف والمعنى يوم ينفخ في الصور جازى الله عبادَه مجازاته فعبّر عن المجازاة بالصنع فقيل صنع الله بدل مجازاة الله تعبيراً بالعام عن الخاص وجعل هذا الصنع من جملة الأشياء التي أتقنها وأتى بها على الحكمة والصواب حيث قال ﴿صنع الله الذي اتفن كل شيء﴾ قوله وهو لمضمون الجملة المقدمة أي هو مصدر لما تضمنته الجملة المتقدمة من الفعل الناصب ليوم مثل جازى أو أثاب وعاقب فيكون مفعولاً مطلقاً من غير لفظ فعله كقعدت جلوساً غير أن المصدر في الآية أهم من مصدر ناصبه لكن لصحة حمله عليه جعلاً كالمرادفين فصح بهذا الاعتبار أن يؤكد هو به والمصدر في المثال المضروب مرادف لمصدر ناصبه بلا تأويل ويجوز أن يقدر عامله الذي نصب يوم لفظ صنع أي يوم ينفخ في الصور صنع الله بهم صنعه الذي اتقنه على مقتضى حكمته وكأنه رحمه الله أراد بقوله لنفسه هذا الوجه فيكون رداً على صاحب الكشف حيث قدر الناصب أثاب وعاقب.

كماله الممكن له على ما أشرنا إليه آنفاً وهذه التسوية بالنسبة إلى الإنسان جعل أعضائه سليمة مسواة معدة لمنافعها.



قوله تعالى: **مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ يَنْفَعُونَ بِمَعْرِفَةِ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**

قوله: (عالم بظواهر الأفعال وبواطنها فيجازيهم عليها كما قال من جاء) الآية عالم أي تعلق علمه تعلقاً حادثاً بأنها وقعت بترتب عليه الجزاء فلذا قال فيجازيهم.

قوله تعالى: **وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُخْرَجُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**



قوله: (من جاء) أي في يوم القيامة من يحتمل الشرطية والموصولية بالحسنة كون الباء للملازمة أولى من كونها للتعدية إذ مجيء الحسنة مجاز وكذا الكلام في «ومن جاء بالسئية» الظاهر أن المراد مطلق الحسنة والإخلاص داخل فيها دخولاً أولياً كما أن السئية عام للشرك وغيره والتخصيص بالشرك زينة المص وكذا تخصيص الحسنة بالإخلاص ضعيف أيضاً.

قوله: (إذ ثبت له الشريف بالخسيس والباقي بالفاني وسبعمائة بواحدة) إذ ثبت له الشريف وهو نعيم الآخرة بالخسيس وهو الحسنة وصفها بالخسيس بالنظر إلى صدوره من العبد الخسيس وإن كانت شريفة بالنظر إلى كونها طاعة وامتناعاً لمولاء والخسة والشرف يختلفان بالإضافة والاعتبار وكم من شريف يكون خسيساً بالنسبة إلى الأشرف منه وبالعكس ولما كان المراد هنا بيان خيرية الثواب بالنسبة إلى الحسنة اعتبر جهة حقارتها بالنسبة إلى نعيم الآخرة وكذا الكلام في الفاني فإن ذات الحسنة لكونها عرضاً يكون معدوماً بعد الوجود والثواب الأخروي باقٍ بعبءه بالنوع وبعضه بالشخص وأما قوله: «والباقيات الصالحات» [الكهف: ٤٦] فباعتبار آثارها قوله وسبعمائة هذا باعتبار الكثير اختاره لأنه يناسب الخيرية وما هو أكثر منها الأجر بغير حساب قال المص في قوله تعالى: «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها» [الأنعام: ١٦٠] وهذا أقل ما وعد من الأضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشرة الكثرة دون العدد انتهى ولك أن تقول المراد بسبعمائة الكثرة دون العدد فيعم كل أضعاف بالنسبة إلى كل حسنة ولو قيل عشرة لا يعم كل حسنة إلا إذا أريد بها الكثرة وهذا إشارة إلى الخيرية كما^(١) بعد التنبيه على الخيرية ولقوتها قدمها.

قوله: (وقيل خير منها أي خير حاصل من جهتها وهو الجنة وقرأ ابن كثير وأبو

قوله: (وقيل خير منها أي خير حاصل من جهتها أي من جهة تلك الحسنة فح لا يكون خير كلمة التفضيل ولا كلمة من هي الداخلة على المفضل عليه.

(١) وكونه بياناً للخيرية بملاحظة الشرافة مع الكثرة وإلا فمجرد الكثرة لا يفيد الخيرية.

عمرو وهشام خبري بما يفعلون بالياء والباقون بالهاء) وقيل خير منها أي خير حاصل الخ فيكون من ابتدائية فلا يرام له المفضل عليه لأنه حينئذ يكون صفة مشبهة لا افعال تفضيل فلا إشكال بأنه يلزم استعمال الفعل التفضيل بدون الأمور الثلاثة على أنه لو سلم أنه افعال يكون المفضل عليه محذوفاً مثل قولنا الله أكبر مرضه لأنه خلاف المتبادر لأن السوق يلائم كون ما أعطي يبدل الحسنات خيراً منها.

قوله: (يعني به خوف عذاب يوم القيامة وبالأول ما يلحق الإنسان من التهيب لما يرى من الأهوال والعقائم) يعني به خوف العقاب الخ فلا مخالفة بينهما أي بينه وبين قوله تعالى: ﴿فَفَرَعَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النمل: ٨٧] ويمكن التوفيق بالقول باختلاف المواطن ففي موضع يفرع وفي الآخر لا يفرع.

قوله: (ولذلك يعم الكافر والمؤمن) لمقتضى الجبلة البشرية وأما الأمن هنا فبمعصية الله تعالى.

قوله: (وقرأ الكوفيون بالتونين لأن المراد فرع واحد من أفراع ذلك اليوم) بالتونين في يومئذ أو صفة له بتقدير كائن في ذلك الوقت أو العامل آمنون قدم لرعاية ألفا) صلة.

قوله: (وَأَمِنْ يَعْدَى بِالْجَارِ وَبِنَفْسِهِ كَقَوْلِهِ: ﴿أَقَامَنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٩٩] وقرأ الكوفيون ونافع يومئذ يفتح الميم والباقون بكسرهما) وأمن ماضٍ من الثلاثي أو اسم فاعل تعديته بالجار لتضمنه معنى النجاة وتعديته بنفسه لتضمنه معنى لم يلتفتوا مثلاً ولا يبعد أن يقال إنه من باب الحذف والايصال.

قوله تعالى: **إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أَتَى بِرَبِّكَ هَٰذَا وَلَٰكِن مَّا رَآهُ خَرَغَهَا وَلَوْ أَنَّ قُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ وَوُفِّرَتْ أَنْ أَكُونُ مِنَ الْمُنْظَرِينَ** ﴿٩١﴾

قوله: (قيل بالشرك) مرضه إذ التخصيص خلاف الظاهر كتخصيص الأول بالإخلاص والظاهر العموم والظاهر أن عصاة الموحدين داخلون في الشق الثاني بالنظر إلى أول حالهم

قوله: يعني به خوف عذاب يوم القيامة وبالأول ما يلحق الإنسان من التهيب لما ناقض سلب الفرع من البعض المفهوم من هذه الآية اثباته للجميع المفاد من الآية السابقة بحسب الظاهر فرق رحمه الله بين الفرعين بأن المراد بالأول ما لا يخلو منه أحد عند الإحساس بشدة تقع بغتة وهول يعتبر به فجأة من رعب وهيبة فيفرع بمقتضى الجبلة وإن اتفق بالأمن من لحوق الضرر كما يدخل الرجل على الملك وجلان من مهابته وإن علم أن ذلك الملك يكرمه ويعزه وبالتالي خوف العذاب.

قوله: لأن المراد فرع واحد معنى الوحدة على القراءة بالتونين مستفاد من تنكير فرع المفيد للانفراد النوعي وهو الفرع من خوف العذاب ويجوز أن يكون تنكيره للتحويل فيكون المراد الفرع مما يلحق الإنسان من التهيب والرعب وإليه أشار صاحب الكشف بقوله ومن فرع شديد مفرط الشدة لا يكتننه الوصف.

وفي الأول باعتبار الانتهاء لأنه جاء بالحسنة وهي الإيمان والسيئة أيضاً وهي المعاصي أو حالهم مسكوت عنها كما هو في أكثر المواضع.

قوله: ﴿فَكَبِوا فِيها على وجوههم ويجوز أن يراد بالوجوه أنفسهم﴾ فكبوا على وجوههم أي إسناد الكعب إلى الوجوه مجاز عقلي أو الوجوه مجاز لغوي في الأنف والأول أبلغ ولذا قدمه.

قوله: ﴿كما أريدت بالأيدي في قوله تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾﴾ [البقرة: ١٩٥] كما أريدت بالأيدي الخ أي على تقدير كون الباء مزيدة.

قوله: ﴿على الالتفات أو بإضمار القول أي قيل لهم ذلك﴾ على الالتفات لمزيد العتاب بالخطاب أو بإضمار القول فحيتّز لا التفات فيه وإن كان خطاباً أيضاً لمن في ومن جاء بالسيئة لأنه كلام آخر ومثله لا يعد التفاتاً كما حقق في فن المعاني.

قوله تعالى: ﴿وَأَن تَقْرَأُوا الْقُرْآنَ مَن أَعْتَدَ لَكُمَا يَتَّبِعُ لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [النمل: ٩٢]

قوله: ﴿إنما أمرت أن أعبد﴾ أي بأن أعبد ولم يكن هذا خصيصاً له عليه السلام فكان أمته أيضاً مأمورين بقصر العبادة في الله تعالى.

قوله: ﴿أمر الرسول عليه السلام بأن يقول لهم ذلك﴾ أي القول مقدر هنا أي قل يا أيها الرسول لهم الخ والداعي إلى تقديره ترغيب لهم كما ذكرناه من عموم الأمر والقرينة هي أنه صاحب الوحي ولا بد من التبليغ من الأمر ونحوه ما لم يكن خصيصاً له.

قوله: ﴿بعد ما بين المبدأ والمعاد﴾ أي ابتداء خلق المخلوقات بقوله تعالى: ﴿أمن خلق السموات﴾ [النمل: ٦٠] إلى قوله: ﴿قل لا يعلم من في السموات﴾ [النمل: ٦٥] وبيان المعاد أي المعاد الجسماني من هذا القول الجليل إلى قوله: ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً﴾ [النمل: ٨٣] الآية.

قوله: ﴿وشرح أحوال القيامة﴾ من هذا القول الكريم فعلم منه ارتباطه بما قبله.

قوله: ﴿إشعاراً بأنه قد أتم الدعوة وقد كملت وما عليه بعد إلا الاشتغال بشأنه والاستغراق في عبادة ربه﴾ إشعاراً بأنه قد أتم الدعوة قبل أي لهؤلاء الكفرة وإلا فهو مأمور بها إلى آخر العمر ولا يلائمه قوله وما عليه بعده إلا الاشتغال بشأنه لأنه بطريق الحصر فالظاهر اتتمامها بالنظر إلى العموم فيكون نزول هذه الآية بعد قوله: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ [المائدة: ٣] الآية والله أعلم قوله والاستغراق في عبادة ربه لأن الأمر بالعبادة

قوله: ﴿فكَبِوا فِيها على وجوههم يعني عبر عن الجملة والكل بالبعض فكانه قيل فكبوا في النار كقولهم: ﴿فكَبِوا فِيها﴾﴾ [الشعراء: ٩٤] فتخصيص الوجه من بين سائر الأعضاء لإشعار أنهم يكونون على وجوههم فيها منكوسين.

حاصل^(١) قبل اتمام الدعوة فالمراد الأمر باستغراق العبادة قال في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ [الشرح: ٧] من التبليغ ﴿فَانصَبْ﴾ [الشرح: ٧] فانتصب في العبادة شكراً لما أعدنا عليك من النعم السابقة ووعدناهم بالنعم الآتية انتهى فيعم إلى كل وقت بهذا المعنى فلا يحتاج إلى التمثل المذكور هنا.

قوله: (وتخصيص مكة بهذه الإضافة تشريف لها وتعظيم لشأنها وقرىء التي حرّمها) وتخصيص مكة الخ مع أنها داخلة تحت عموم قوله تعالى: ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٩١] تشريف لها الخ أي اظهار شرافتها أو جعلها شريفاً فحيث إنّ يكون تعظيماً لشأنها الذي حرّمها أي حرم الله تعالى التعرض لما فيها من الحشيش سوى الاذخر والصيد والقتل فيها فيكون ايقاع التحريم عليها مجازاً وتحريم الله تعالى بالحكم والقضاء وتحريم إبراهيم عليه السلام كما ورد في الحديث أن إبراهيم حرم مكة وأنا حرمت المدينة بطريق الاظهار فلا يتوهم المنافاة قوله وقرىء التي حرّمها قراءة شاذة صفة البلدة كما أن القراءة المتواترة صفة الرب والمعنى واحد في المالك.

قوله: (خلقاً وملكاً) أي تصرفاً بعد الخلق تمييزاً من النسبة جمع بينهما للتعميم والتأكيد وإن سلم استلزام الخلق الملك لكنه أعم مفهوماً وقيل المراد بالبلدة منى والعرب تسميها بلدة الآن.

قوله: (المتقادين أو الثابتين على ملة الإسلام) المتقادين أي بدوام الانقياد أو بكمال الانقياد أو الثابتين على الإسلام فالإسلام حيث هو شرعي وفي الأول لغوي.

قوله: وتخصيص مكة بهذه الإضافة تشريف لها قد يكون الإنافة لتعظيم شأن المضاف وقد يكون لتعظيم شأن المضاف إليه والإضافة في رب هذه البلدة لتعظيم شأن المضاف إليه الذي هو مكة شرقها الله فإن تخصيصها بالإضافة من بين سائر البلاد وهو رب لجميعها تنويه لشأنها وتشريف لها جعل رحمه الله معنى التعظيم مستفاداً من تخصيص مكة بالإضافة وصاحب الكشف رحمه الله من الإشارة بلفظ هذه حيث قال وأشار إليها إشارة تعظيم لها وتقريب دالاً على أنها موطن نبيه ومهبط وحيه أي الإشارة بلفظة هذه إلى البلدة على طريق قول ابن الرومي هذا أبو الصقر فرداً في محاسنه ايدان بتعظيمها وتشريفها وما ذاك إلا لكونها موطن نبيه ومهبط وحيه ولذلك نزل ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ تسلياً لقلبه أي الذي أوجب عليك العمل بأحكام القرآن لرادك إلى مكة.

قوله: المتقادين أو الثابتين على ملة الإسلام فسر المسلمين على وجهين الوجه الأول على حقيقة معناه والوجه الثاني على المجاز.

(١) وحمل كلام المعص مناسب لأن اتمام الدعوة في كل مجلس بهذا المعنى معقول المعنى بخلاف غيره من التوجيهات.

قوله: (وَأَنْ أَوْاطِبَ عَلَى تِلَاوَتِهِ^(١)) لتكشف لي حقائقه في تلاوته شيئاً فشيئاً) وأن أواطب على تلاوته أوله لأن أصل التلاوة ثابت فالمراد الدوام والمواظبة فيكون اتلو من التلاوة بمعنى القراءة قوله شيئاً فشيئاً حال من حقائقه إذ حاصله تدريجياً ولو جعل حالاً من التلاوة لكان حاصل المعنى مرئلاً الترتيل القراءة على تودة وتبيين حروفه بحيث يتمكن السامع من عدّها.

قوله: (أو اتباعه) عطف على تلاوته أي وأن أواطب على اتباعه أي اتباع ما فيه من الأمر والنهي وغير ذلك فيكون أن اتلو من التلو بمعنى التبع آخره لأن التلاوة هي المتبادرة وأنها مستلزمة للتبعية.

قوله: (وقرىء واتل عليهم) على صيغة الأمر معطوف على قل المقدر وقيل عطف على معنى أن أكون أي كن من المسلمين واتل وهو تكلف.

قوله: (وَأَنْ اتل) بغير واو بأن المصدرية الداخلة على الأمر ومعناه أي أمرت بالتلاوة بناء على أن معنى الأمر ليس بمراد أو المعنى على اضممار القول أي وقلنا له اتل عليهم فيكون معنى الأمر باقياً على حاله.

قوله: (فَمَنْ اهْتَدَى) [النمل: ٩٢] باتباعه إياي في ذلك) فمن اهتدى تفصيل ما أجمل إذ التقدير منهم من اهتدى ومنهم من ضل فمن اهتدى مطاوع هدى أي فمن قبل

قوله: ليتكشف لي حقائقه في تلاوته شيئاً فشيئاً معنى التدرج مستفاد من التعبير بلفظ اتلو من التلاوة الموضوعية لمعنى الاتباع فإن في التلاوة اتباع اللفظ الثاني للأول ولا يكون هذا إلا شيئاً فشيئاً بخلاف التعبير بلفظ اقرأ فإن معنى القراءة الجمع أي جمع الحروف والكلمات غير ملحوظ في وضعها معنى الاتباع فيكون تفسيره هذا بياناً لسبب ترجيح لفظ اتلو على اقرأ فسر التلاوة بالمواظبة لانباتها عن معنى التتابع الذي يلزمه معنى المواظبة أي أمرت أن أكرر قراءته فإن في تكرير القراءة اتباع لقراءة الثانية للأولى فيكون تفسيراً باللازم أقول فعلى هذا كان المناسب أن يقول في تلاوته مرة بعد أخرى مكان قوله في تلاوته شيئاً فشيئاً إذ معنى شيئاً فشيئاً لا يناسب معنى المواظبة التي هي تكرير قراءته بل هو مناسب لاتباع اللفظ الثاني للأول وهو لم يفسرها به.

قوله: (وَأَنْ اتل على صيغة الأمر وأن تفسيره لتضمن الأمر معنى القول.

قوله: باتباعه إياي في ذلك أي فمن اهتدى باتباعه إياي فيما أنا بصده من توحيد الله ونفي الأنداد عنه والدخول في العلة الحينية فمنفعة اعتدائه راجعة إليه لا إلى الحمد لله على ما وفقني لإتمام ما أمليت في حل تفسير سورة النمل حامداً لله ومعتمداً بحبل الله المتين فالأن أشرح بحوله وقوته وتيسيره متوكلاً عليه مستفيضاً منه في حل ما في تفسير سورة القصص: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ (طه: ٢٥، ٢٦) فأقول مستعيناً بالله ومبتدئاً.

(١) ولو حمل الأمور هنا على أمر الأمة بمواظبة العبادة ودوام التلاوة الباعث لاكتشاف حقائقه له على وجه أبلغ لكان أولى إذ توجه الأمر إليه عليه السلام مع كون المراد أمر أمته يكون مبالغة في الأمر ولاندفع إشكال كثير فلا تغفل.

الهداية باتباعه أي اتباع من إياي مضاف إلى فاعله في ذلك أي في المذكور من العبادة والكون من المسلمين وتلاوة القرآن المبين أو اتباعه والباء في باتباعه ظرفية .

قوله: (فإن منافعه عائدة إليه) أي فقط ولو صرح به لكان أولى فلا يمن علي أحد أو فلا يمن علي .

قوله: (﴿ومن ضل﴾ [النمل: ٩٢] بمخالفتي) عن سواء السبيل اختير صنعة التضاد للتصريح لضلاله فإنه أبلغ في الذم من قوله: (﴿ومن لم يهتد﴾ قوله بمخالفتي مصدر مضاف هنا إلى المفعول أي بمخالفتي إياي في ذلك ترك للاكتفاء .

قوله: (﴿فقل إنما أنا من المتلذذين﴾ [النمل: ٩٢]) علة الجزاء القائمة مقامه والمعنى ومن ضل فإنما يضل عليها كما صرح به في آخر سورة يونس .

قوله: (فلا علي من وبال ضلاله شيء إذ ﴿ما على الرسول إلا البلاغ﴾ [المائدة: ٩٩] وقد بلغت) فلا علي الخ إشارة إليه قوله: إذ ﴿ما على الرسول إلا البلاغ﴾ [المائدة: ٩٩] عزم الكلام للمبالغة ولم يقل إذ ما علي إلا البلاغ ولم يقل أيضاً^(١) إلا الإنذار كما هو الظاهر للإشارة إلى التعميم أيضاً وقد بلغت راعي المقام هنا ولم يقل وقد بلغ أي الرسول فيه تنبيه على أنه عليه السلام قد أدى ما وجب عليه ولذا قال أولاً فلا علي من وبال الخ أي عذاب ناش من ضلاله سمي به لثقله من قولهم طعام وييل لا يستمري لثقله ومنه الوابل للمطر العظيم وكون فقل إنما جواباً له بتقدير له لا يلائم تقرير المص وإن سلم صحته قيل كلامه هنا وفيما قبله حيث قال باتباعه إياي يقتضي أنه من كلام النبي عليه السلام فيقتضي تقدير قل قبله والتصريح بما بعده يقتضي أنه من كلام الله تعالى عقيب أمره بأن يقول لهم ما قبله والأول ملتزم ولا حاجة إلى تقدير القول لأن القول مقدر في إنما أمرت أن أعبد كما نه عليه والتصريح بما بعده للتأكيد .



قوله تعالى: وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ مَا يَكُونُ لَكُمْ قَعْرٌ وَهُنَّاءٌ وَمَا يَكُونُ لَكُمْ قَعْرٌ وَمَا يَكُونُ لَكُمْ قَعْرٌ

قوله: (﴿وقل الحمد لله على نعمة النبوة﴾) أمر رسوله بالحمد بعد تعدد النعم الجسيمة قوله على نعمة النبوة الاضافة أي النعمة التي هي النبوة وهي أعظم النعم ولذا اختاره .

قوله: (أو على ما علمني ووفقني للعمل به) فأو لمنح الخلو وكون ما مصدرية أولى من كونها موصولة إما لفظاً فلكون الموصول محتاجاً إلى العائد المحذوف وإما معنى فلأن الحمد على التعليم والتوفيق أولى من الحمد على علمه لأن الأول إنعام والثاني نعمة والحمد على الإنعام حقيقة وعلى النعمة بالواسطة مجاز ولذا كون المراد بالنعمة في قوله نعمة النبوة بمعنى الانعام أولى من حملها على الظاهر .

قوله: (القاهرة في الدنيا كوقعة بدر وخروج دابة الأرض أو في الآخرة) كوقعة بدر

(١) والتقصير في ﴿إنما أنا من المتلذذين﴾ إضافي فلا ينافي كونه مبشراً .

فحينئذ الخطاب للموجودين من كفار قريش قوله وخروج دابة الأرض الخ فحينئذ يكون الخطاب للمعدومين وفيه اختلاف ولذا أخره .

قوله : (فتعرفون أنها آيات الله ولكن حين لا تنفعكم المعرفة) هذا إذا كان خروج الدابة بعد طلوع الشمس من المغرب وفيه تأمل .

قوله : (﴿ وما ريك بغافل عما تعملون ﴾ [النمل : ٩٣] فلا تحسبوا أن تأخير عذابكم لغفلته عن أعمالكم وقرىء في السبعة بالياء) ﴿ وما ريك بغافل عما تعملون ﴾ [النمل : ٩٣] فيه تغليب المخاطب وهو النبي عليه السلام على الغائبين ^(١) .

قوله : (عن النبي عليه السلام من قرأ سورة طس كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وصالح وإبراهيم وشعيب ويخرج من قبره وهو ينادي لا إله إلا الله) وعن النبي عليه السلام حديث موضوع لا أصل له تم ما يتعلق بهذه السورة الكريمة بحمد الله ولطفه وصلى الله تعالى على رسولنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

(١) والمعنى تعمل أنت وجميع من سواك من المكلفين وغيرهم ولا يجوز أن يعتبر خطاب من سواه من غير اعتبار التغليب لامتناع أن يخاطب في كلام واحد اثنان أو أكثر من غير عطف أو تنية أو جمع فانهم كذا في المطبوع .

سورة القصص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (سورة القصص مكية) أي كلها وهو مختار المص لأنه قول الحسن وعطاء وعكرمة وقيل قول طاوس وعكرمة وبين القولين نوع تنافر.

قوله: (وقيل إلا قوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ [القصص: ٥٢] إلى قوله: ﴿الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥]) وقيل قائله مقاتل فإنه قال الآية المذكورة مدنية وقيل نزلت بين مكة والجحفة وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نزلت بالجحفة في خروجه عليه السلام للهجرة كذا نقل عن البحر ونقل عن السيوطي أنه قال في الالتقان أخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنها نزلت هي وآخر الحديد في أصحاب النجاشي الذين قدموا إلى المدينة وشهدوا وقعة أحد وفي التفسير سورة القصص مكية إلا قول ﴿إِنْ﴾ الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ﴿فإنها جحفية لا مكية ولا مدنية كذا قيل وهذا مخالف لقول الجمهور.

قوله: (وهي ثمان وثمانون آية) بالاتفاق.

قوله تعالى: طس ﴿تِلْكَ مَآثِرُ النَّبِ﴾ [القصص: ٢٥]

قوله: (طسم) قد مر بيان معناه وإعرابه في أوائل سورة البقرة: ﴿تلك﴾ [القصص: ٢] الإشارة إلى آيات السورة ﴿والكتاب﴾ [القصص: ٢] هو السورة ﴿المبين﴾ [القصص: ٢] الظاهر إعجازه وحجته أو يبين الرشد من الغي والشرائع والأحكام.

قوله تعالى: ﴿تَتْلُوا عَلَيْهِمْ مِّنْ نَّبِِّ مَوْسَىٰ وَفَرَعُونَ بِأَلْحَقِ لِقَوْمٍ يُفْسِقُونَ﴾ [القصص: ٢٨]

قوله: (نقرأ بقراءة جبريل عليه السلام ويجوز أن يكون بمعنى ننزله مجازاً) نقرأ الخ

سورة القصص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طسم تلك آيات الكتاب المبين تتلو عليك﴾ [القصص: ٢، ١].

قوله: ويجوز أن يكون بمعنى ننزله مجازاً أي يجوز أن يكون تتلو بمعنى ننزله مجازاً لأن التلاوة لازم للتنزيل فغير من الملزوم باللازم فيكون مجازاً مرسلًا.

أي الإسناد مجازي لكونه أمراً قوله ننزله أي التلاوة استعارة للتنزيل بأن يشبه التنزيل بالتلاوة في كون كل منهما طريق التبليغ أو مجاز مرسل بعلاقة السببية.

قوله : (بعض نبئهما مفعول نتلو) بعض نبئهما فيكون من اسما بمعنى البعض ولهذا قال مفعول نتلو .

قوله : (محققين) أشار إلى أنه حال من فاعل نتلو إذ التقدير ملتبس بالحق وما ذكر المص حاصل المعنى رجح ذلك على كونه حالاً من مفعوله لأنه أهم .

قوله : ﴿لَقَوْمٌ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص : ٣] لأنهم المنتفعون به ﴿لَقَوْمٌ يُؤْمِنُونَ﴾ صيغة المضارع للاستمرار فيكون شاملاً للمؤمن حالاً أي في وقت النزول وفي الكشف لمن سبق في علمنا أنه يؤمن لأن التلاوة إنما ينتفع بها هؤلاء دون غيرهم أي اللام للتعليل وقد عرفت أن المضارع للاستمرار فيكون شاملاً لجميع الأزمنة .

قوله تعالى : **إِنَّ فِيْ رِءْوَيْكَ عَلَآيَ الْاَرْضِ وَجَعَلْنَا فَوْقَهَا سَمَآءً يَنْتَضِعُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَدْرِيْنَ اٰتَاَهُمْ وَنَسَخْنٰهُ بِسَمَاءٍ اُخْرٰى كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْسِدِيْنَ** ﴿١٠﴾

قوله : (استئناف مبين لذلك البعض) استئناف الخ أي استئناف معاني أو نحوي والتأكيد للمبالغة في وقوعه المشعر بكمال ذمه مبين ولذا ترك العطف وقدم بناء فروعون في

قوله : بعض نبئهما أي بعض خيرهما يريدان من في من نبأ موسى وفروعون للتبويض وهو مفعول نتلو وقال أبو البقاء نتلو مفعوله محذوف دلت عليه صفة تقديره نتلو عليك شيئاً من نبأ موسى من للبيان وعلى قول الأخفش من زائدة .

قوله : لأنهم المنتفعون به أي بالكتاب أو بالنبأ فسر صاحب الكشف لقوم يؤمنون بمن سبق علمنا أنه يؤمن فيكون المراد يقوم يؤمنون الكفرة الذين مصير أمرهم إلى الإيمان فيؤمنون بمعنى سيؤمنون فوصفوا بالإيمان لأن مآل حالهم إلى الإيمان بالله وبما جاء به رسوله فلما كانوا هم المنتفعون بالكتاب الذي هو القرآن خصوصاً بالذكر دون المصممين على الكفر وإن كان انزال القرآن لإرشاد كافة الناس وعليه قوله تعالى : ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِيْنَ﴾ [البقرة : ٢] على أحد التأويلين أي هدى للضالين الصائرين إلى التقوى وهو مجاز باعتبار ما يؤول إليه فإن الضالين فريقان فريق علم يقاومهم على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم وفريق علم أن مصيرهم إلى الهدى فلا يكون القرآن هدى للفريق الباقي على الضلالة فيبقى أن يكون هدى لهؤلاء فالمعنى ﴿نتلو عليك من نبأ موسى وفروعون﴾ وما جرى بينهما لقوم علم أن التلاوة تنفع فيهم دون من عداهم من المصيرين ونحوه فذكر بالقرآن من يخاف وعيد خص من يخاف بالذكر لأن التذكير لا ينفع إلا فيمن يخاف الوعيد دون المصير على الكفر قال الطيبي رحمه الله هذا الانباء العجيب الشأن متضمن لاثبات القضاء والقدر وقد علم الله سبحانه وتعالى أن بعضاً من الذين يدعون إلى الإيمان لا يؤمنون بالقدر فقال لقوم يؤمنون تعريضاً بهم فعلى هذا يمكن أن يجعل بالحق حالاً من المجرور أي نتلو عليك نبأهما ملتبساً بالحق لاشتماله على القضاء والقدر وعلى التفسير بمحققين يكون حالاً من فاعل نتلو .

قوله : استئناف مبين لذلك البعض وهو بعض نبأ موسى وهارون .

التفصيل لأن بيان طغيانه يؤدي إلى إرسال رسول فصل نبأه وأما في الإجمال فللتنبيه على شرافة موسى عليه السلام قدم مع انتفاء المقتضى لتأخيره كما في التفصيل .

قوله : (والأرض أرض مصر) فاللام للمهد بقرينة سكنهم فيها .

قوله : (وجعل أهلها) هذا الجعل غير العلو ولذا عطف عليه إذ المراد بالعلو دعوى الربوبية وما يترتب عليها من نسيان العبودية .

قوله : (فرقاً يشيعونه فيما يريد) فرقاً أي شيعاً جمع شيعه بمعنى فرقة لا مطلقاً بل بمعنى فرق يشيعونه أي يتبعونه .

قوله : (أو يشيع بعضهم بعضاً في طاعته أو أصنافاً في استخدامه استعمل كل صنف في عمل) أو يشيع بعضهم الخ وهو لازم لما ذكر أولاً كعكسه قوله أو أصنافاً عطف على فرقاً وهذا وإن كان فرقاً أيضاً لكن لوحظ فيها كونهم متفرقين في الخدمة والطاعة بخلاف ما سبق وهذا أيضاً متقارب لما مر .

قوله : (أو إضراباً بأن اغرى بينهم عداوة لئلا يتفقوا عليه) أو إضراباً أي أنواعاً لكن لا في الخدمة بل في العداوة وهذا مغاير لما مر وفيه أيضاً معنى التبعية حيث اطاعوه في إغرائه العداوة لأن المشايعة لمتابعة والتبعية معبرة في كل احتمال وفي الكشف يستخدم صنفاً في بناء وصنفاً في حرث وصنفاً في حفر ومن لم يستعمله وضع عليه الجزية ولم يذكر المص الجزية لأنه خدمة أيضاً له ولجنوده .

قوله : (يستضعف) هذا أبلغ لأن ما هو بالطلب كان أكمل .

قوله : (وهم بنو إسرائيل والجملة حال من فاعل جعل أو صفة شيعاً أو استئناف) أي بياني في جواب ماذا فعل ذلك .

قوله : (وقوله يلذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم بدل منها وكان ذلك) بدل منها أي بدل الاشتمال أو تفسيراً ولذا اختير الفصل أو حال من فاعل يستضعف أو صفة لطائفة بذبح أبنائهم الإسناد مجازي وصيغ المضارع هنا لحكاية الحال الماضية وقد صرح بها في قوله ونريد ولا يعرف وجه تأخيره ويستحيي نساءهم أي ويبقى بناتهم للاستخدام والسين للطلب

قوله : والجملة حال من فاعل جعل فالمعنى جعل فرعون أهل تلك الأرض شيعاً مستضعفاً طائفة منهم .

قوله : أو صفة لشيعاً أي جعلهم شيعاً مستضعفة طائفة منهم .

قوله : أو استئناف أي كلام مستأنف مبتدأ والطائفة المستضعفة بنو إسرائيل وسبب ذبح الأبناء أن كاهناً قال له يولد مولود في بني إسرائيل يذبح ملكك على يده ولم يعلم فرعون أنه إن صدق الكاهن لم يدفع القتل الكائن وإن كذب فما وجه القتل ونريد حكاية حال ماضية يعني أن إرادة الله منهم قد جرى ومضى فمقتضى الظاهر أن يقال وأردنا أن نمن إلا أنه جيء بصيغة الماضي استحضاراً للصورة الماضية وحكاية للحال الكائنة تصويراً لها وجعلاً لها كالكائن الآن .

وما هو بالطلب يكون لغرض والغرض الاستخدام ولذلك عد من الاستضعاف .

قوله : (لأن كاهناً قال له يولد مولود في بني إسرائيل يذهب ملكك على يده وذلك كان من غاية حمقه فإنه لو صدق لم يتدفع بالقتل وإن كذب فما وجهه) لأن كاهناً وهو من يخبر عن الغيب يذهب من الثلاثي قوله ملكك أي مع حياتك على يده اليد مجاز عن الذات وعلى بمعنى في قوله وذلك من غاية حمقه وغاية الحمق متحققة في أكثر الناس في زماننا أيضاً حيث يعتمدون على قول المنجمين مع ظهور كذبهم قاتلهم الله أنى يؤفكون .

قوله : (فلذلك اجترأ على قتل خلق كثير من أولاد الأنبياء لتخيل فاسد) أشار إلى أن قوله (إنه كان من المفسدين) كالتعليل لفعله المذكور علة حصوله .

قوله تعالى : **وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ**

الْوَارِثِينَ ٥

قوله : (على الذين استضعفوا) التعبير باسم الموصول والصلة المذكورة للإشارة إلى استحقاقهم المن والكرم في الأرض هذا القيد لعموم الاستضعاف في الأرض المذكور .

قوله : (أن تنفضل عليهم) بيان معنى المن بأنه انعام لا توبيخ .

قوله : (بانقاذهم من بأسه) بانقاذهم من تخليصهم من عذاب فرعون وبأن تمليكهم مشارق الأرض ومغاريها بعد إهلاك وقومه^(١) .

قوله : (ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على أن فرعون علا في الأرض من حيث إنهما واقعان تفسيراً للنبي أو حال من يستضعف) حكاية حال الخ وهي أن القصة الماضية كأنها عبر عنها في وقوعها بصيغة المضارع كما هو حقها ثم حكى تلك الصيغة بعد مضيتها وهذا أولى وأبلغ من قوله : (ونمن على الذين) [القصص : ٥] الخ إذ المراد لا يتخلف عن الإرادة قوله معطوفة على أن فرعون علا ولما كان علو فرعون مستمراً ثابتاً دون الإرادة لم تراع تناسب الجمليتين قوله من حيث إنهما الخ بيان الجامع هذا عند من لم يشترط اتحاد المسند والمسند إليه كصاحب الكشف وأما من اشترط ذلك كصاحب المفتاح فلا يحسن العطف ولذا ردد بين الأمرين فقال أو حال إشارة إلى المسلكين أي حال من مفعوله لكن المضارع المثبت كونه حالاً بالواو مما يتنازع فيه فيقدر المبتدأ أي ونحن نريد فيكون الحال محققة ولو لم يذكر الإرادة يكون الحال مقدرة فيظهر حينئذ فائدة نريد غير المبالغة في وقوع المن وأما عند من جوز ذلك فلا يقدر المبتدأ والرباط حينئذ هو الواو وحده وإنما جعل حالاً من المفعول دون الفاعل لثلا يخلو الجملة عن العائد لكن الظاهر الحالية من الفاعل ويقدر العائد أو اكتفى بالواو على قول وفي الكشف وعطفه على نتلو ويستضعف

(١) وفيه مقال حيث قال بعضهم عاد بني إسرائيل بعد هلاك فرعون إلى مصر وسكنوا فيه وقال بعضهم لم يعودوا إليه بل ملك أولادهم .

غير سديد وقيل في وجهه لأن قوله: ﴿إِنْ فِرْعَوْنَ﴾ [القصص: ٤] الخ بيان نبأ موسى وفرعون وما سبق نبأ فرعون فقط فتعين عطف نريد عليه بعد ادعاء البيان ليكون بياناً لنبئتهما مطابقاً للمبين.

قوله: (ولا يلزم من مقارنة الإرادة للاستضعاف مقارنة المراء له لجواز أن يكون تعلق الإرادة به حينئذٍ تعلقاً استقبالياً مع أن منه الله تعالى بخلاصهم لما كانت قريبة الوقوع منه جاز أن يجري مجرى المقارن) ولا يلزم الخ لجواز تعلق الإرادة تعلقاً قديماً بمعنى أنه تعلق الإرادة بوجوده في الأزل فيما لا يزال قوله مع أن منه الله تعالى أي إنعامه الخ فعلى هذا يكون الحال محققة تأويلاً والظاهر أن الحال حينئذٍ مقدرة لكن أرباب الحواشي ادعوا أنها حال محققة ولذا قالوا بعد ذلك ويجوز أن يكن الحال مقدرة ولا يظهر وجهه.

قوله: (مقدمين في أمر الدين) وفي نسخة في الدارين فيكونون أئمة لمن بعدهم^(١).

قوله: (كلما كان في ملكة فرعون وقومه) أي التملك مطلقاً وقال الراغب إنها تختص بملك العبيد لكن لا يناسب هذا المقام والعموم هو المراء فدخل فيه الأرض كما دخل ما كان في أرضهم فالتكرار بحسب الظاهر لتمهيد بيان قوله: ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ﴾ [القصص: ٥] الآية ولو سلم التكرار حقيقة فيكون كمعطف الخاص على العام على أن التكرار للتأكيد من شعب البلاغة.

قوله تعالى: وَتُكَيِّنُ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَتَمْلِكُنَا لَهُمْ مَتَّعْنَاهُمْ وَنَحْنُ وَهُمْ كَانُوا

يَعْبُدُونَ ﴿٦﴾

قوله: (أرض مصر والشام وأصل التمكين أن يجعل للشيء مكاناً يتمكن فيه) المراء

قوله: (ولا يلزم من مقارنة الإرادة للاستضعاف مقارنة المراء له لما اقتضى جعله حالاً من مفعول يستضعف أن يقارن إرادة الله تعالى التفضل والقوة لهم استضعاف فرعون لهم وجعلهم عجرة ضعفاء وكان ظاهره جمعاً بين المتنافيين لاقتضائه كونهم أقوياء ضعفاء في حالة واحدة بناء على أن مراده تعالى لا يتخلف عن إرادته أوله بتأويلين الأول أن مراده تعالى وإن كان لا يتخلف عن إرادته لكن يجوز أن يتأخر وجوده عن إرادته فإنه يجوز أن يتعلق إرادته الآن بليجاد شيء غداً أو بعد غد فبحسب يكون الاستضعاف آنياً والتمن استقبالياً فلا يلزم الجمع المحذور منه والثاني أن الله تعالى لما أراد أن يمن على بني إسرائيل بعد هلاك فرعون ونجاتهم منه وكانت تلك المنة قريبة الوقوع جعلت كأنها واقعة مقارنة لاستضعافهم وهذا وإن كان جمعاً بين المتنافيين لكنه جمع بالتأويل وهو غير ممتنع والممتنع هو الجمع بالتحقيق.

قوله: مقدمين في أمر الدين يريد أن الأئمة ليست حقيقة في معناها بل هي مجاز مستعار للمقدم تشبيهاً لهم بالأئمة في التقدم.

(١) مع أنهم كانوا تابعين مهانين في أيدي الأعداء.

بالمكان المحل الذي هو يحفظك عن السقوط ويسمى المكان الوهمي لا البعد الموهوم .
 قوله: (ثم استعير للتسليط وإطلاق الأمر) أي استعمل في التسليط مجازاً مرسلأ
 بعلاقة الزوم فالمراد استعارة لغوية ثم صار لشيعه حقيقة عرفية قوله وإطلاق الأمر أي
 المسلط أطلق الأمر ولم يقيده بشيء (من بني إسرائيل).

قوله: (من ذهب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم وقرىء ويرى بالياء وفرعون
 وهامان وجنودهما بالرفع) من ذهب ملكهم وهلاكهم والمراد اراءة مقدمات هلاكهم أو
 اراءة بعضهم هلاك فرعون كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَخَذْتِكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [البقرة :
 ٥٥] قوله بالرفع على أنه فاعله لأن القراءة بفتح الياء .

قوله تعالى: **وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ كَاتِلِيهِ فِي الْبَيْتِ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾**

قوله: (بالهام أو رؤيا) لما كان الوحي مختصاً بالأنبياء عليهم السلام ولم يكن أنشئ
 نبياً قط فسرهُ بالهام وهو الفاء معنى في القلب بطريق الفيض وهو قد يكون سبباً للعلم وإن
 لم يكن سبباً يحصل به العلم لعامة الخلق ويصلح للالزام على الغير فلا إشكال بأن الالهام
 ليس من أسباب العلم عند أهل الحق قوله أو رؤيا أي رؤيا صادقة إما بإيقاع الله تعالى في
 قلبه عين ما قصه أو ما يكون تعبيره ما حكى الله تعالى وهي في الكاملين والكاملات تفيد
 التيقن وما نقل عن المتكلمين أي جمهورهم أن الرؤيا خيالات باطلة كما في المواقف
 فجوابه أن مرادهم أن كون ما ينخيله النائم إدراكاً بالبصر رؤية وكون ما يتخيله إدراكاً
 بالسمع سمعاً باطل فلا ينافي حقيقة الرؤيا أمانة لبعض الأشياء وكيف لا مع أن الكتاب
 والسنة يشهدان بصحة الرؤيا لكن المناسب الاكتفاء بالالهام ولم يتعرض لكونه بإخبار نبي
 أو برؤية ملك كما وقع لمريم لأنه لا يلائم قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ [القصص : ٧]
 والتقدير خلاف الظاهر وكذا المجاز على أن كونه بإخبار نبي غير معلوم .

قوله: (أن أرضعيه) أن ترضيه أو مصدرة أو مخففة من أن .
 قوله: (ما أمكنتك إخفاؤه) بقرينة قوله: ﴿فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ﴾ [القصص : ٧] الآية
 والمعنى في مدة إمكانه على أن ما مصدرة حينية .

قوله: ﴿فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ﴾ كلمة إذا لتحقق وقوعه الفاء للجزاء ﴿فَأَلْقِيهِ﴾ [القصص : ٧]
 فيه اختصار من فإذا خفت عليه فألقيه في التابوت وألقي التابوت في اليم كما دل عليه ما
 في سورة طه .

قوله: (بأن يحس به) أي بأن تعرف ولادته عبر بالحس لأنه طريق العلم والمعرفة
 ولأن الولادة مما تحس .

قوله: (في البحر يريد النيل) في البحر وهو النيل وهو النهر وقد يطلق عليه البحر والظاهر أنه مجاز.

قوله: (عليه ضيعة ولا شدة) عليه قدره لأنه يتعدى بعلى والحذف لما ذكر أولاً قوله ضيعة إشارة إلى أن النهي نهي عن مبادئ الخوف لا هو لأنه ضروري والمعنى لا تحضري ضيعة في فؤادك فإنه يؤدي إلى الخوف عليه والمراد بضيعة الذبح كسائر الغلام في تلك السنة أو غرقه لأن البحر مظلة أو بعدم رضاعه في مدة الرضاع.

قوله: (بفراقه) أي النهي أيضاً ناظر إلى مبدأ الحزن وهو الفراق أي لا تذكر الفراق المؤدي إلى الحزن والخوف لما كان للمتوقع قدر الضيعة فيه والحزن لما كان للواقع قدر فيه الفراق.

قوله: (من قريب بحيث تأمنين عليه) عن قريب لأن المراد اسم الفاعل وهو حقيقة في الحال وأما جاعلوه ففيه قرينة على أن المراد منه الاستقبال.

قوله: (روي أنها لما ضربها الطلق دعت قابلة من موكلاتها بحبالى بني إسرائيل فعالجتها) لما ضربها الطلق يفتح الطاء وسكون اللام وجع يعرض عند قرب وضع الحمل وضربه وقوعه بعد وقوعه تشبيهاً وقيل قرب حصوله وحبالى بفتح اللام جمع حبل.

قوله: (فلما وقع موسى على الأرض هالها نور بين عينيه وارتعشت مفاصلها ودخل حبه قلبها بحيث منعها عن السعاية فأرضعته ثلاثة أشهر ثم ألح فرعون في طلب المواليد واجتهد العيون في تفحصها فأخذت له نابوتاً فقذفته في النيل) هالها أي أخافها نور على أن الإسناد مجازي والضمير للقابلة لعل ذلك النور نور النبوة أو نور الارهاص وظهوره بين عينيه لكونها أشرف الأعضاء وارتعشت مفاصلها لكمال دهشتها ودخل حبه أي أحبه حباً شديداً كأنه أخذ مجامع قلبه ولذا عبر بالدخول مجازاً وذكر قلبها مع أن محل المحبة القلب السعاية النسيمة إيلاخ خبر بقصد ضرر المخبر عنه لسلطان ونحوه فأرضعته لقوله تعالى: ﴿أَن أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧] فلا جرم في تحقيقه المواليد جمع مولود والعيون الجواسيس مجازاً بذكر العين وهو الجزء الذي يحصل به ما هو المقصود من الجاسوس فأخذت له

قوله: لا تخالي عليه ضيعة ولا شدة ولا تحزني لفراقه وفي الكشف الخوف غم يلحق الإنسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والاحظار به فسرهما القاضي رحمه الله على ذلك الأصل فإن ضيعة موسى لما كانت مترتبة غير حاصلة ناسبت بأن تكون متعلق الخوف والفراق لما كان عن موجود حاصل ناسب أن يكون متعلق الحزن.

قوله: لما ضربها الطلق وهو وجع الولادة يقال طلقت المرأة تطلق طلقاً على ما لم يسم فاعله والسعاية الغمز.

قوله: فأرضعته أي أرضعته أمه والعيون جمع عين بمعنى الرقيب وهم الرقباء الموكلة على الحبالى.

تابوتاً إشارة إلى ما ذكرناه من أن فيه اختصاراً فقدفت موسى عليه السلام في التابوت ثم فقدت التابوت في اليم .

قوله تعالى : **فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَزًا وَخُتُوهُمَا كَانُوا فِئَةً طٰغِيَةً** ﴿٨﴾

قوله : (فالتقطه) أشار إلى أن الفاء فصيحة والمحذوف المشعر به ما ذكره المص .

قوله : (تعلييل لالتقاطهم اياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيهاً له بالغرض الحامل عليه وقرأ حمزة والكسائي حزناً وهما لغتان كالعدم والعدم) تعلييل لالتقاطهم الخ في قوله تعلييل تنبيه على أن اللام على حقيقتها لا مجاز فيها بكونها للعاقبة والسيرورة وإنما المجاز والاستعارة في مدخوله حيث شبه العداوة والحزن بالغرض الحامل في الترتب على الفعل ففيه استعارة بالكتابة واللام قرينتها فلا يوجد فيه استعارة تبعية وهذا مسلك مأخوذ من كلام صاحب الكشاف واختاره المص وفيه مسلك آخر وهو كون الاستعارة في اللام وهي استعارة تبعية وكلام المص احتمالاً لهذا بعيد والتفصيل في فن البيان نعم في كلام الزمخشري احتمال له كما اوضح في الحاشية السعدية .

قوله : (في كل شيء وليس يبدع منهم أن قتلوا ألوفاً لأجله) في كل شيء العموم مستفاد من حذف المتعلق مع الاختصار أي من عاداتهم الخطأ وليس يبدع أي ليس بمستغرب منهم هذا الخطأ وهو أن قتلوا ألوفاً الخ .

قوله : تعلييل لالتقاطهم اياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيهاً له بالغرض الحامل بيانه أن اللام في ﴿ليكون لهم عدواً وحزناً﴾ حكمها حكم لفظ الأسد المستعار للمقدّم حيث استعيرت لما يشبه التعلييل يستعار لفظ الأسد لمن يشبه الأسد وتلخيص معنى الاستعارة أنه شبه هذا الترتب وهو ترتب العداوة على الالتقاط بترتب الاكرام على المجيء في قولك جئتكم لتكرموني وادخل المشبه في جنس المشبه به فاستعير لترتب المشبه ما كان مستعملاً في الترتب المشبه به وهو لام كي قليل ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً﴾ فيكون استعارة مصرحة تبعية تهكمية إما كونها استعارة مصرحة لأن المذكور لفظ المستعار منه وهو اللام كاستعارة لفظ الأسد للمقدّم وإما كونها تبعية لأن الحروف أنفسها من الاستعارة بمعزل لأنها لم تقع موصوفات وكل من المستعار له والمستعار منه يجب أن يكون موصوفاً بوجه الشبه لبناء الاستعارة على تشبيه المستعار له بالمستعار منه فإن كلا من الأسد والرجل الشجاع موصوف بوجه التشبيه الذي هو الشجاعة والحروف لما لم تصلح للموصوفية وقعت الاستعارة في معانيها ثم اسرت الاستعارة من المعاني إليها فلذا صارت استعارة الحروف تبعية لا أصلية وإما كونها تهكمية فلأن العاقل لا يفعل هذا الفعل وهو أن يلتقط لقيطاً ليعاديه ويضربه بل إنما يلتقطه ليواخيه وينقعه لكن المفهوم من ظاهر كلام القاضي رحمه الله أن يكون ﴿ليكون لهم عدواً وحزناً﴾ من باب الاستعارة بالكتابة حيث شبه العداوة والحزن بالغرض الحامل للشخص على الالتقاط في كونهما مترتبين عليه ترتب الغرض على الفعل فأثبت للمعشبه ما هو لازم المشبه به وهو لام التعلييل كإثبات الاظفار للمنية في قولك أظفار المنية نشيت بفلان .

قوله: (ثم أخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون) ليكبر ويفعل بهم الكلام فيه كالكلام في قوله: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ﴾ [القصص: ٨] الآية.

قوله: (أو مذنبين فعاقبهم الله تعالى بأن ربي عدوهم على أيديهم) أو مذنبين إشارة إلى جواز أنه من خطيء بمعنى أذنب مع رجحان الأول لشدة مناسبتة المقام وفي الأساس يقال خطأ خطأ إذا تعدد الذنب فالخطأ بجيء لمعنيين والظاهر الاشتراك اللفظي.

قوله: (فالجملة اعتراض لتأكيد خطئهم أو لبيان الموجب لما ابتلوا به) فالجملة أي جملة ﴿إِنْ فَرَعُونَ﴾ [القصص: ٨] الآية اعتراض بين المتعاطفين ولا بد من نكتة فيه ولذا قال لتأكيد خطئهم المفهوم من قوله: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ [القصص: ٨] الآية هذا على الأول في تفسير خاطئين قوله أو لبيان الموجب بكسر الجيم على التفسير الثاني في خاطئين فالمراد بالذنب قتل الصبيان أو شركهم قوله لبيان الموجب يشعر أن هذه الجملة استئناف معاني جواب لسؤال بأنه لم ابتلوا به ما ابتلوا ومع هذا اطلق عليه الاعتراض إما لعدم التفرقة بينهما أو لكونه مؤكداً لذنبهم المفهوم من فحوى^(١) الكلام أيضاً مع كونه بياناً.

قوله: (وقرىء خاطين بتخفيف خاطئين أو خاطين الصواب إلى الخطأ) خاطين بياء ساكنة قوله بتخفيف خاطئين يعني بحذف الهمزة وهو الظاهر لاتحادها مع القراءة المشهورة في المعنى ولذا قدمه ورجحه وإن كان الحذف على خلاف القياس أو خاطين الصواب فهو حينئذٍ من خطأ يخطو بمعنى يخطيء لتخفئة الصواب إلى ضده فهو مجاز فمآله القراءة الأولى فرجحان الأول لموافقتها لفظاً ومعنى.

قوله تعالى: وَقَالَتْ أُمُّرَأْتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي وَلَئِنْ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَّا أَوْ نَسْتَعِذَّ مِنْهُ وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ ﴿٩﴾

قوله: (أي لفرعون حين أخرجه من الثابوت) أي لفرعون حين أخرجه من الثابوت إشارة إلى ما حكى في الكشف أنهم عالمجو علم يتيسر فتحه لغيرها على تفصيل فيه ففتحته وأخرجته ولعل الحكمة أنها اقتبست من نورها فقط قوله من الثابوت وهو وإن لم يذكر هنا لكنه مذكور في سورة طه ولذا ذكره المصنف.

قوله: (فالجملة اعتراضية لتأكيد خطئهم فإن التقاطعهم لقيطاً على يديه هلاكهم وتربيتهم على ظن أنه سيكون صديقاً حميماً لهم خطأ فأكّد ذلك الخطأ بهذه الجملة الاعتراضية أي كان يدنبهم الخطأ في كل شيء ومن جملة خطئهم أنهم التقطوا من على يديه هلاكهم وربوه ظناً أنه يصادقهم ويواليهم).

قوله: (وقرىء خاطين بتخفيف همزة خاطئين لقراءة على خاطين يحتمل معنيين أن يكون من الخطأ على أن يحذف همزته تخفيفاً وأن يكون من الخطو بمعنى التجاوز فاستوفى كلا محتمليه).

(١) وهذا هو الأولى لمحافظة رأي القوم وهو التفرقة بين الاعتراض والاستئناف.

قوله: (أي هو قرّة عين لنا) أي المبتدأ محذوف قوله لي صفته لا خبره لأنها نكرة محضة والسر في عدم قولها قرّة عين لنا للإشارة إلى التفرقة حيث كان عليه السلام عدواً له في عاقبة وقرّة عين لها.

قوله: (لأنهما لما رأياه أخرج من الثابوت أحباه) لأنهما علمه وقالت امرأة فرعون الخ قوله أحباه إما محبة آسية فلما رأت نوراً بين عينيه وإما محبة فرعون فيالقاء الله تعالى المحبة إياه كما قال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ [طه: ٣٩].

قوله: (أو لأنه كانت له ابنة برصاء وعالجها الأطباء بريق حيوان بحري يشبه الإنسان) أو لأنه كانت له أي لفرعون قوله وعالجها الأطباء هذا على ظاهره إن كان بعد الالتقاط أو معناه ووصف الأطباء علاجها لها إن كان قبل الالتقاط وهذا هو المشهور وهذا الوصف منهم إما بممارسة علم النجوم أو الهام من الله تعالى للطفه بموسى عليه السلام أو برؤيا صادقة قوله يشبه الإنسان وهذا كرم من الله تعالى لأغفالهم عن قتله كسائر اللطائف العلية مثل لقاء المحبة من عنده.

قوله: (فلطخت برصها بريقه فبرئت) فلطخت من الثلاثي برصها بريقه وفيه قلب أي فلطخت ريقه ببرصها والاعتبار اللطيف المبالغة في خلط الريق ببرصها بحيث يقال إن البرص تلتطخ بريقه وفاعل لطلخت آسية.

قوله: (وفي الحديث أنه قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله تعالى كما هداها) وفي الحديث الخ رواء النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله عليه السلام: «ولو قال لي كما هو لك» الخ قضية شرعية لا يتوقف صدقها على صدق الطرفين فلا إشكال بأنه علم الله أنه يموت على الكفر فكيف هذه القضية واستوضح بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾ [الزخرف: ٨١] الآية.

قوله: (خطاب بلفظ الجمع للتعظيم) إذ الخطاب لفرعون كما هو مقتضى السوق وما روي أن أعوان فرعون قالوا وقت إخراجه هذا هو الصبي الذي كنا نحذر منه فأذن لنا في قتله فحينئذ قالت آسية لا تقتلوه فالخطاب للجماعة غير معلوم وقد صح الرواية عن أبي علي الفارسي أنه قال يصح مخاطبة الواحد بلفظ الجمع فلا اعتبار لإنكار من أنكر.

قوله: أو لأنه كانت له ابنة إلى آخره روي أنهم حين التقطوا الثابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فأعياهم فذنت آسية قرأت في جوف الثابوت نوراً فعالجته ففتحته فإذا بصبي نوره بين عينيه وهو يمض إيهامه لبناً فأحيوه وكانت لفرعون بنت برصاء وقالت له الأطباء لا تبرا إلا من قبل البحر يرجد فيه شيء إنسان دواؤها ريقه فلطخت البرصاء برصها بريقه فبرأت وقيل لما نظرت إلى وجهه برأت فقالت إن هذه لتسمه مباركة فقال الغواة من قومه هو الصبي الذي تحذر منه فأذن لنا في قتله فهم بذلك فقالت آسية قرّة عين لي ولك فقال فرعون لك ولي وروي في حديث لو قال قرّة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها وهذا على سبيل الفرض والتقدير أي لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها ولأسلم كما أسلمت.

قوله: (فإن فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وذلك لما رأت من نور بين عينيه وارتضاعه إياهما لبنا ويرأ البرصاء بريقه) مخايل اليمن أمارات البركة.

قوله: (أو تنبئه فإنه أهل له) تنبئه أي تتخذة فإنه أهل لائق لتبني الملوك.

قوله: (حال من الملتقطين أو من القائلة والمقول له أي وهم لا يشعرون أنهم على الخطأ في التقاطه أو في طمع النفع منه والتبني له أو من أحد ضميري تتخذة على أن الضمير للناس أي وهم لا يشعرون أنه لغيرنا وقد تبينناه) حال من الملتقطين وهم آل فرعون وهذا هو الظاهر ولذا قدمه والمقول له فرعون المقدر وفيه نوع بعد أو من أحد ضمير تتخذة فيكون الرابط هو الواو وحده إذ الضمير راجع إلى الناس لا الذي الحال.

قوله تعالى: وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَتَرَىٰ أَن كَدَاتَ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾

قوله: (صغرا من العقل لما دعمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله تعالى ﴿وَأَفْتَدَتْهُنَّ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٣]) صغرا من ^(١) العقل أي خالياً عنه ^(٢) لما دعمها بكسر الهاء وقد ففتح أي غشيها من الخوف بيان لما وإن جعل من أجلية فالمراد بما ما غطاها من ألم الخوف وأثره قوله حين سمعت الخ وقولها لأخته قصته لتفحص أنه هل قتله أم لا وهل له مرضع أم لا فلا منافاة قوله فبصرت به عن جنب يؤيد ما ذكر لأنه يفيد أنها ذهبت إلى جانب فرعون فتفحصت عن أحواله مع أن الواو لا يقتضي الترتيب فيجوز سماعها بعد قولها لأخته قصبة والفائدة في تقديم الذكر بيان كمال شفتها ومرحمتها وهي من الخصال الحميدة.

قوله: (أي خالية لا عقول فيه ويؤيده أنه قرء فرغاً من قولهم دماؤهم بينهم فرغ أي هدر) ويؤيده أنه قرء فرغاً بكسر الفاء وسكون الراء المهملة والعين المعجمة أو بضم الفاء وكلاهما قرء والمعنى واحد قوله من قولهم دماؤهم الخ إشارة إلى أن فرغاً استعارة شبه

قوله: وذلك لما رأت من نور تعليل أن فيه مخايل اليمن ودلائل النفع.

قوله: (أو تنبئه أي تتخذة إبتاً فهو تفعل من تبنيت فلاناً إذا اتخذته إبتاً فهو ناقص من التبني الذي هو من الآين الذي أصله يتو قوله: من المصدقين بوعد الله ناظر إلى أن يكون معنى فارغاً صغراً من العقل وخالياً عنه فالمعنى لولا أن ربطنا على قلبها ربطاً يوجب تصديقها بوعدنا إياها بأن رادوه إليها كادت لتبدي من قصته من فرط نضجيره وقوله أو الواثنين بحفظه لا يتبني فرعون ناظر إلى أن يكون معنى فارغاً خالياً عن الهم فالمعنى لولا أن ربطنا على قلبها ربطاً موجباً لوثوقها بحفظنا إياه لا يتبني فرعون كادت لتبدي بقصته فرحاً من تبني فرعون وتعطفه عليه فإن هذا فرح يجلب سخط الله تعالى.

(١) والظاهر أن المراد بالعقل الإدراك لا القوة العاقلة.

(٢) فسر هناك بخالية ظن النهم كقواد ذوي الحيرة والدهشة وهو المراد من العقول هنا.

بمقتول لا دية ولا قود ومن اضطرب قلبه كأنه هللك فذهب عقله فكون الدم هدراً هو المناسب للخلو عن العقل الذي هو هلاك حكماً.

قوله: (أو من الهم لفرط وثوقها بوعده الله تعالى أو بسماعها) أو من الهم عطف على قوله من العقل إذ الفراغ ينتظم كليهما لكن قدم الأول لرجحانه كما عرفته وهذا من قولهم فارغ البال ولا يأبه قوله: ﴿فَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: ١٠] لما سيأتي من تفسيره بالمصدقين بوعده وإن لم يكن ملائماً لتفسيره بالواقفين بوعده الله تعالى وهو: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧] قوله أو بسماعها الخ أو لمنع الخلو.

قوله: (أن فرعون عطف عليه وتيناه أنها كادت لتظهر بموسى) لم يقل إن فرعون وامرأته الخ لأن خوفها من فرعون أنها كادت أي كلمة أن مخففة من الثقيلة اسمها ضمير راجع إلى أم موسى كأنه لم يرض بكون أن نافية واللام بمعنى إلا لأنه خلاف الظاهر قوله لتظهر من الإظهار معنى لتبدي لأنه من البدو بمعنى الظهور وهمزة الأفعال للتعدي.

قوله: (أي بأمره وقصته من فرط الضجيرة أو الفرح لتبنيه ﴿لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ بالبصر واللبات) بأمره قدر المضاف في بموسى إذ لا معنى لإظهار موسى نفسه مع أن موسى عليه السلام ليس في يدها ح وأمر موسى أنه ولدته ثم القته في التابوت ثم القته في اليم بالوحي وقصته عطف تفسير لأمره قوله من فرط الضجيرة على التفسير الأول وهو كون معنى فارغاً صفراً من العقل أو الفرح على تفسيره بفارغ عن الهم وهذا سبب الإظهار فقربت إظهاره لكن لم يقع الإظهار لمانع وهو ربط^(١) قلبها المشار إليه بقوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ [القصص: ١٠] بالصبر وهو المربوط على قلبها فالباء إما صلة أو الباء الظرفية.

قوله: (من المصدقين بوعده الله تعالى أو من الواقفين بحفظه لا يتبنى فرعون وعطفه وقرئ مؤسّى إجراء للضمّة في جاز الواو مجرى ضميتها في استدعاء همزها همز واو وجوه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله) من المصدقين بوعده الله أي من المصدقين به عياناً بعد تصديقه برهاناً وكذا الكلام في الواقفين الخ لا يتبنى فرعون الحصر مستفاد من العلة أو من الفحوى مؤسّى أي بالهمزة ولما لم يكن الواو مضموماً حاول وجه تبديل الواو همزة فقال إجراء لضمّة جاز الواو وهو الميم الجاز مجاز في القرب مجرى ضميتها أي ضمة الواو نفسها قلبت همزة كما في وجوه قوله همز واو وجوه بالنصب ناصبه همزها والأولى أنه منصوب بترج الخافض قوله دل عليه ما قبله وهو أن كادت الخ.

قوله: وهو علة الربط وجواب لولا محذوف فالمعنى لولا الربط الموجب كونها من المؤمنين المصدقين بوعده الله أو الواقفين بحفظ الله كادت لتبدي بقصته تضجراً من خوف قتله لما وقع في يد عدوه أو فرحاً من تبنيه وتعطفه عليه.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ قَبَصْتِ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

قوله: (وقالت لأخته) عطف على أصبح قد مر أنه يحتمل أن يكون مقدماً عليه.

قوله: (مريم) عطف بيان والايضاح من مجموعهما لأنها غير مشتهرة بهذا الاسم كشهرة والدة عيسى عليه السلام بهذا الاسم مريم أصل معناه الخادم وزنه مفعول فإنه مشتق من رام يروم إذا فارق وبرح لا فاعيل إذ لم يثبت فاعيل لا صيغة ولا مادة وهي م ر م كذا قيل.

قوله: (اتبعني أثره وتتبعني خيره) اتبعني أثره من قص أثره إذا اتبعه وهذا ليس بمراد هنا بل التخصيص بخيره كما قال وتتبعني خيره.

قوله: (قبصرت به) الغاء فصيحة أي ذهبت تطلب خيره وأحواله فوصلت إلى دار فرعون به أي بموسى عليه السلام.

قوله: (عن بعد وقرئ) عن جانب وجنب وهو بمعناه) عن بعد بضم الصاد أي أبصرته ورأته وقرئ يفتنحها وكسرهما في الشواذ وعن بمعنى من أي ابتداء رؤيته من مكان بعيد.

قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: ١١] أنها نقص أو أنها أخته) وهم لا يشعرون حال من فاعل بصرت والرباط هو الواو وحده ولا ضمير لذي الحال كما تقدم قريباً.

قوله تعالى: ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ يَتِيمٍ يَكْفُلُونَهُمْ

لَكُمْ وَهُمْ لَمْ يَحْصُرُوا﴾

قوله: (ومنعناه أن ترتضع من المرضعات جمع مرضع) ومنعناه حمله على المجاز مرسلأ أو استعارة لقرينة صارفة عن الحقيقة وهو أن الصبي لا يكلف بالحال والحرمة فلا يراد الحرمة من الأحكام الخمسة وهي ما يعاقب على فعله ويثاب على تركه فيراد به لازمه وهو المنع عنه فيكون مجازاً مرسلأ أو شبه المنع المذكور بالحرمة في مطلق المنع أو الامتناع فيكون استعارة والمعنى ومنعناه عن المرضع فامتنع عنها أن ترتضع من المرضعات اما حاصل المعنى إذ لا وجه في منع نفس المرضعات أو الإشارة إلى تقدير المضاعف أي حرماً عليه الارتضاع منها هذا على تقدير كونها جمع مرضعة بضم الميم وكسر الضاد.

قوله: (أو مرضع وهو الرضاع أو موضعه وهو الثدي) أو مرضع بفتح الميم وكسر الضاد

قوله: اتبعني أثره من قص أثره أي تتبعه قال تعالى: ﴿فَارْتَدَا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصاً﴾ [الكهف: ١] وكذلك اقتص وتقصص أثره لا من اقتصص الحديث أي رويته على وجهه فإنه لا يناسب المقام.

قوله: أنها نقص أو أنها أخته يعني يحتمل أن يكون متعلق لا يشعرون أي مفعوله أحد هذين.

قوله: ومنعناه أن يرتضع المرضعات يعني أن التحريم هنا مستعار للمنع لأن من حرم عليه الشيء فقد منعه على تشبيه أن يكون الممنوع في التأديب إلى الامتناع بالمحرم والمنع بالتحريم

وهو الرضاع فيكون مصدراً ميمياً أو موضعه فيكون اسم مكان آخره لأن المنع عن الفعل أظهر وإن كان المنع عن العين أبلغ كالحرمة المصطلحة .

قوله : (من قبل قصصا أثره) قبل والأقرب من قبل إيصارها إباء وفي البحر من أول مرة فتأمل .

قوله : ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ [القصص : ١٢] لأجلكم ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ [القصص : ١٢] لأجلكم فقصت ودخل دار فرعون ورأت لا يقبل ثدي امرأة من المراضع الكثيرة فحينئذ قالت هل أدلكم أرشدكم وأعرفكم على أهل بيت أي على مريض من أهل الشرف والعز لأن أهل البيت يراد به الاحتراز عن الدنيا والسفلي وأرادت التشويق إلى طلبه لأن الرضاع مما يهتم به لا سيما الملوك : ﴿يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ [القصص : ١٢] لأجلكم وفيه ترغيب أيضاً ويحتمل الخطاب لفرعون وحده بلفظ الجمع للتعظيم كما في لا تقتلوه .

قوله : ﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ [القصص : ١٢] لا يقصرون في إرضاعه وتربيته روي أن هامان لما سمعه قال إنها لتعرفه وأمله فخذوها حتى نخبر بحاله ﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ التصح إرادة الخير للغير فقوله : ﴿لَا يَقْصِرُونَ﴾ [الأعراف : ٢٠٢] لازم معناه ولما كان هل نصاً في طلب التصديق اختارت على همزة الاستفهام .

قوله : ﴿فَقَالَتْ إِنَّمَا أَرَدْتُ وَهُمْ لِلْمَلِكِ نَاصِحُونَ فَأَمْرًا فَرَعُونَ بِأَنْ تَأْتِي بِمَنْ يَكْفُلُهُ فَوَيْلٌ لِّمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ عَلَىٰ يَدِ فَرَعُونَ يَبْكِي وَهُوَ يَعْلَمُهُ فَلَمَّا وَجَدَ رِيحَهَا اسْتَأْنَسَ وَالتَّقَمَّ ثِيْبَهَا﴾ فقالت إنما أردت وهم للملك ناصحون بواسطة أنهم ناصحون لموسى عليه السلام فلا كذب بل من قبيل المعارض الضمير لموسى عليه السلام وليس فيه تفكيك

وذلك أن الله تعالى منعه أن يرضع ثدياً وكان لا يقبل ثدي مريض قط والمرضع أو المرضعة في المرأة التي ترضع والجمع المراضع أو المراضع جمع مريض بفتح الميم والفساد وهو مصدر بمعنى الرضاع أو موضع الرضاع وهو الثدي .

قوله : لا يقصرون في إرضاعه وتربيته فسر النصح بالتربية وعدم التقصير في إرضاعه لأن النصح إخلاص العمل من شوائب الفساد .

قوله : ﴿فَقَالَتْ إِنَّمَا أَرَدْتُ وَهُمْ لِلْمَلِكِ نَاصِحُونَ﴾ قال صاحب الانتصاف فخلصت بهذه الكلمة من التهمة وأحسنست وليس بيدع لأنها من بيت النبوة وأخت النبي فحقيق بها ذلك وقيل ما ذكر صاحب الانتصاف وما روي عنها من حمل كلامها على خلاف ما أرادته بكلامها بعيد لأن اللغة التي كانت تتكلم بها أخت موسى غير هذه اللغة فالألفاظ المثولة في القرآن العظيم عبارة عن معنى الألفاظ التي قالتها بغير هذه اللغة وهذا الاحتمال إنما نشأ من تركيب الألفاظ العربية واحتمال الضمير في له للأميرين منها فلا يلزم أن يكون لفظها في لغتها محتملاً للأميرين وقد أجيب عنه بأن هذا الأسلوب من قبيل الكلام الموجه أو الإيهام وأي بعد في وقوع نحوه في لغة أخرى لا سيما في الضمير وقد روي محيى الستة عن جريح والسفي نحوه .

الضمير فلا حاجة إلى أن يقال واختلاف مرجع الضمائر لا يختص بلغة العرب وأيضاً لا يحتاج إلى الاعتذار بأن الكذب جائز لدفع الضرر مع أنها غير معصومة لأن في المعارض لمندوحة عن الكذب قوله يبيكي ظاهره يبيكي لطلب اللبن وحقيقته أنه يبكي على وقوعه في يد كافر ولا بعد في أن فرعون هلك في يده على الكفر وهذا دأب المقربين حيث ترحموا على الأعداء.

قوله: ﴿فقال لها من أنت منه فقد أبى كل ثدي إلا ثديك﴾ فقالت إني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أوتي بصبي إلا قبلني فدفعه إليها ﴿فقال لها من أنت منه لفظة من اتصالية بمعنى من أنت في القرب منه نسباً﴾ فقالت رضي الله تعالى عنها بأسلوب الحكيم إني امرأة الخ ولم تتعرض ببيان قربه نفيّاً وإثباتاً ولم يفهم ذلك الأحقق ما صنعت من البراعة والبلاغة كأنها قالت السؤال المذكور ليس بوظيفة لك وإنما السؤال ما شأنك قد التزم ثديك وقد أبى كل ثدي فتزلت سؤاله بمنزلة هذا السؤال فأجابت بما ذكرت وأفحمت وألزمت.

قوله: ﴿وأجري عليها فرجعت به إلى بيتها من يومها وهو قوله تعالى: ﴿فرددناه إلى أمه﴾﴾ [القصص: ١٣] وأجري أي أمره أن يجري عليها الثقة واعطاء الأجرة على الارضاع فاعتبروا يا أولي الأبصار وهذا وإن خالف ما في سورة طه حيث قيل فيها ﴿إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكلفه﴾ [طه: ٤٠] وهذا يخالفه ما ذكر هنا لفظاً لكنه طبقه معنى فالجمع هنا وصيغة التذكير للمبالغة في تفخيم أمه عليه السلام وبيان فرط كماله حيث عدت من زمرة الرجال الكاملين.

قوله تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَلَنَعْلَمَ أَنَّكَ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَنُنَكِّرُ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

قوله: ﴿﴿فرددناه﴾﴾ [القصص: ١٣] بولدها) أي فرجعتنا كما قال في سورة طه: ﴿فرجعناك إلى أمك﴾ [طه: ٤٠] الآية الفاء للنصيحة كما أشار إليه بقوله: فأمرها فرعون بأن تأتي بمن يكفله إلى أن قال وهو قوله تعالى: ﴿﴿فرددناه﴾﴾ [القصص: ١٣] كي تقر تفسير تقر قد مر في سورة مريم (بفراقه).

قوله: (علم مشاهدة) بعد ما علمت علماً يقينياً بالبرهان فإذا ضمت إليه العلم بالعيان

قوله: وهو يعلمه قال الجوهري علله بالشئ أي لاه به كما يعمل الصبي بشئ من الطعام يجزه به عن اللبن.

قوله: فرجعت به إلى بيتها من يومها وهو قوله: ﴿﴿فرددناه﴾﴾ إلى أمه كي تقر عينها﴾ [القصص: ١٣] بولدها وفي الكشف أنجز الله وعده في الرد فعندها ثبت واستقر في علمها أن سيكون نبياً وذلك أنه سبحانه وتعالى وعدها بأمرين في قوله: ﴿﴿إننا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾﴾ [القصص: ٧] فعندما اتجز الوعد بأحد الأمرين تحقق عندها أن الأمر الآخر سيكون فكان الرد علة لتحقق حصول الرسالة عندها وثبوت علمها بصدق وعد الله تعالى.

ازداد العلمانية فإن الصحيح أن التصديق يقبل الزيادة والنقصان كيفاً وما يعلم بالمشاهدة الموعود الواقع الموجود وأما الوعد وحقيقته فأمر معقول يطلق على علمه علم المشاهدة توسعاً وتسامحاً إلا أن يراد بالوعد الموعود فلا إشكال بأنه متيقن عندها قبله فعلم منه أن المراد بوعد الله الوعد برد الولد وفي الكشف الوعد على كونه سيكون نبياً.

قوله : (أن موعده الله حق فيرتابون فيه أو أن الغرض الأصلي من الرد علمها بذلك وما سواه تبع) أو أن الغرض الأصلي الخ عطف على علم المشاهدة توجيه آخر لذكر ولتعلم وحاصله أن العلم وإن كان متحققاً قبله لكن المقصود إفادة أنه غرض أصلي للرد لا إفادة نفس العلم بقرينة الجار واختيار اللام للنص في التعليل فإنه يفيد الاعتناء به لكونه أمراً دينياً بخلاف ما سواه من قرة عينها دفع حزنها فإنه أمر دنيوي وأما التأخير فلاختيار الترفي وليكون متصلاً بقوله : ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ [القصص : ١٣].

قوله : (وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون) وفيه تعريض هو من التعبير بالمضارع فإنه يفهم منه أنها لم تتيقن ذلك قبل الرد ألا يرى أنها خافت وفرغت عن العقل حسبما نطق به النظم الجليل على التفسير الأول في قوله تعالى : ﴿وأصبح فراد أم موسى فارغاً﴾ [القصص : ١٠] الآية وكأنه اختار المص هذا الاحتمال كما أشار بتفديسه وإلا فلا تعريض على أن لتعلم المراد به علم المشاهدة فلا يظهر التعريض إلا بحسب الظاهر من اللفظ وفرط بتخفيف الراء أي سبق والتعريض على الوجهين في ولتعلم والاستدراك من مفهوم ما سبق كأنه قيل إن الله تعالى صادق في وعده ومنجزه البتة ﴿ولكن أكثرهم﴾ [القصص : ١٣] وهم المشركون ﴿لا يعلمون﴾ [القصص : ١٣].



قوله تعالى : وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ

قوله : (مبلغه الذي لا يزيد عليه نشوء وذلك من ثلاثين إلى أربعين سنة فإن العقل يكمل حيثئذ وروي أنه لم يبعث نبي إلا على رأس الأربعين) مبلغه الخ أشد جمع شدة على

قوله : ﴿إن وعده حق﴾ [القصص : ١٣] وقوله أو أن الغرض الأصلي من الرد علمها بذلك بيان لمحتماي متعلق العلم المنفي أي لا يعلمون أن أصل الغرض من الرد هو الأمر الديني وهو علمها بصدق وعد الله وما سواه من قرة العين وذهاب الحزن تبع له.

قوله : وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون أي ما فرط منها من ضجرتها وذلك قوله تعالى : ﴿وأصبح فراد أم موسى فارغاً﴾ [القصص : ١٠] أي خالياً من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين استماعها بوقوعه في يد فرعون يعني في قوله : ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [الأعراف : ١٨٧] تنبيه لها على أن ما دهمها من فرط الجزع والندبش في أول الأمر كان من قلة العلم والجهل بتقدير الله كما أن قوله تعالى : ﴿لا يخاف لدي المرسلون إلا من ظلم ثم يدل حسناً بعد سوء﴾ [التعل : ١٠ ، ١١] كان تعريضاً بموسى من وكزة القبطي وقوله فيه : ﴿إني ظلمت نفسي﴾ [القصص : ١٦].

ما اختاره المص في أوائل سورة الحج فتفسيره هنا بالمبلغ لا يلائمه وقد مر التفصيل هناك وقيل إنه مفرد كالأنك ولا نظير لهما وكلامه هنا يعميل إليه تنبيهاً لا على المسلكين في الموضوعين قوله وذلك من ثلاثين الخ بيان للمناسب لهذا المقام وإلا فقيل الأشد ما بين ثماني عشرة إلى الثلاثين وغير ذلك من الأقاويل ولذا قيل إن أصل معناه القوة بدون تعيين وهي تختلف باختلاف الأقالييم والأعصار والأحوال ولذا وقع له تفاسير في كتب اللغة والتفسير بحسب القراءات والمقامات وفي لسان العرب قال الزجاج هو من نحو سبعة عشر إلى الأربعين وقال مرة هو ما بين الثلاثين إلى الأربعين انتهى والمص اختار الأخير هنا لموافقة قوله^(١) ﴿حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة﴾ [الأحقاف: ١٥] انتهى والحاصل أن الأشد مشترك بين هذه المعاني اشتراكاً لفظياً يكون المراد به متعيناً بحسب القرائن.

قوله: (قدره أو عقله) أو لمنع الخلو أشار به إلى أنه تأسيس لا تأكيد.

قوله: (أي نبوة) فسر به لئلا يلزم التكرار مع قوله وعلماً.

قوله: (بالدين) بيان للواقع فإن العلم المعطى للأنبياء لا يكون إلا علماً بالدين وفيه تنبيه على أن الأحكام مأخوذة من الشرع إما العملية فظاهر وإما الاعتقادية فبعضها من جهة الاثبات وبعضها من جهة الاعتداد وذكر العلم بعد النبوة تنبيه على شرافته وإنافة أهله ومن هذا أنه لو أريد بالعلم أي علم كان مما لا يخالف الشرع لكان له وجه.

قوله: (أو علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل الاستنباء فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه) أو علم الحكماء الخ أي أو المراد بالحكم العلم أيضاً لا النبوة فالتقابل باعتبار أن المراد بالحكم علم الحكماء وبالعلم علم العلماء غير الحكماء والمراد علم الحكماء الذي لا يخالف الشرع مثل علم النجوم الذي يعرف به مواقيت الصلوات والقبلة وعلم الحساب الموقوف عليه لعلم الفرائض وغير ذلك مما يساعد الشرع القويم قوله وسمتهم عطف على علم الحكماء عطف تفسير له أي طريقته في العلم لا في العمل إلا أن يقال إن العمل داخل في الحكمة أي العلم المجامع للعمل فحينئذ يكون التقابل في أعلى المراتب فذكر العلم بعد الحكم مع دخوله فيه لما مر من التنبيه على شرافته قوله فلا يقول ولا يفعل إشارة إلى ما قلنا من دخول العمل في الحكم.

قوله: (وهذا أوفق لنظم القصة لأن استنباء بعد الهجرة في المراجعة) وهذا أوفق

قوله: وهو أوفق لنظم القصة لأن استنباء بعد الهجرة في المراجعة أي لأن استنباء موسى كان في أثناء السفر بعد المراجعة مع أهله إلى مصر بعد المكث الطويل عند شعيب عليه السلام على ما هو مضمون نظم القصة وهو عليه الصلاة والسلام حين خرج من قومه مهاجراً من بين القبط خوفاً كان بالغاً أشده ومستوياً قد عطفه لكنه لم يكن نبياً بعد فلو فسر حكماً

(١) ويمكن أن يقال إعادة فعل بلغ ربما يشعر أن الأشد غير أربعين سنة فلا تغفل.

لنظم القصة لأن القصة المذكورة هنا قبل الاستنباء وإنما قال أوفق لأن الأول موافق له لأن فيه بيان اتجاز الوعد فإن الموعود لام موسى عليه السلام كان هو الرد وجعله من المرسلين فأشار إلى الأول بقوله: ﴿ولتعلم أن وعد الله حق﴾ [القصص: ١٣] وإلى الثاني بقوله: ﴿ولما بلغ أشده﴾ [القصص: ١٤] الخ والواو لا يقتضي الترتيب فهذا القول يكون بياناً إجمالياً لاتجاز الوعد بجعله من المرسلين بعد رده لأمه فإنجاز الوعد بالمشاهدة في الأول وفي الثاني بالخبر المشابه بالمشاهدة كأنه قيل كما أنجزت وعد الرد أنجز وعد جعله من المرسلين ومثل ذلك الذي فعلنا بموسى وأمه.

قوله: (على إحسانهم) فيه إشارة إلى أنه إنما آتاه الحكم والعلم لاستحقاقه بإحسانه العمل والنبوة وإن لم تكن جزءاً على العمل لكن يترتب عليه في الجملة قال تعالى ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ [الأنعام: ١٢٤] فلا دلالة فيه على أن المراد بالحكم الحكمة وعلم الحكماء فهذا ينتظم على الوجهين غاية الأمر أنه ظاهر في الوجه الثاني لا أنه دليل عليه.

قوله تعالى: وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ فَفَلَسَ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِهُ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَفْتَاهُ الْاٰوٰى مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَىٰ عَلَيْهِ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّكَ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١٥﴾

قوله: (ودخل مصر أتياً من قصر فرعون وقيل من منف أو حابين أو عين الشمس من نواحيها) ودخل مصر غير متصرف لأنه علم لمصر القاهرة قدمه لأنه هو الظاهر من مصر لما عرفته أنه علم له قوله أتياً من قصر فرعون إذ الدخول يستلزم عدم كونه فيه لأنه عبارة عن حركة من خارج إلى داخل وقصر فرعون في منف على ما صرح به البعض وقيل في منف عطف على مصر وهي اسم بلدة خارج مصر القاهرة والمعنى دخل منف أتياً من مصر القاهرة مثلاً وهي بضم الميم والنون ساكنة وهي غير منصرفة للعلمية والعجمة قبل والمعروف فيها منف بواو وتفصيله في أسماء البلدان وحابين بحاء مهملة وباء موحدة أو عين الشمس اسماً بلدين من نواحي مصر.

قوله: (في وقت لا يعتاد دخولها أو لا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشاءين) في وقت الخ أشار به إلى أن على بمعنى في قوله لا يعتاد دخولها بيان كون ذلك

وعلماً في الآية بالنبوة وعلم الدين يلزم أن يكون نبياً عند الخروج من بينهم لتعليق الإتياء في الآية بلوغ الأشد وهو لم يكن تيباً حيثنل فوجب أن يفسر الحكم والعلم بالوجه الثاني وهو أن يكون المراد بالحكم والعلم علم الحكماء والعلماء وسمتهم السمات الطريق والسمت حياة أهل الخير والثاني هو المراد هنا.

قوله: في وقت لا يعتاد دخولها قيل لما بلغ حد الشباب وعقل أخذ يتكلم بالحق ويتكرر عليهم لا على تغفل.

الوقت وقت غفلة وكذا قوله أو لا يتوقعونه فيه والوجهان متقاربان وكون الوقت بين العشاءين مروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لكنه في حكم المرفوع .

قوله : (يقتتلان) أي يتضاربان استعارة مشهورة .

قوله : (أحدهما ممن شايعه على دينه وهم بنو إسرائيل) ممن شايعه أي تابعه على دينه إذ لتبعية المعتبرة التبعية في الدين لأنهم على دين إبراهيم عليه السلام .

قوله : (والآخر من مخالفه وهم القبط والإشارة على الحكاية) وهم القبط لأنهم خالفوهم في الدين لأن القبط لا كتاب لهم والإشارة يعني لفظ هذا وهذا على الحكاية وإلا فهما ليسا حاضرين حال الحكاية لرسول الله عليه السلام ولكنهما حاضران يشار إليهما وقت وجدان موسى أباهما حكى حالهما حينئذ لكن الحضور لا يقتضي الإشارة ولو جعل من قبيل قوله تعالى : ﴿ مرج البحرين هذا عذب فوات وهذا ملح أجاج ﴾ [الفرقان : ٥٣] الآية لم يبعد لأنه لا حضور لرسول الله عليه السلام في البحرين أيضاً غايته أنهما موجودان غير حاضرين والشبهة والعدو معدومان ليسا بحاضرين ولا يضر ذلك فيما ذكرناه قال الزجاج هذا وهذا وهما غائبان على وجه الحكاية أي وجد فيها رجلين يقتتلان إذا نظر الناظر إليهما قال هذا من شيعته وهذا من عدوه قوله الأول والمنفهم منه أن الإشارة المحكية على سبيل الغرض أو التقدير ويؤيده التعبير بضمير الغالب في شيعته وعدوه والإشارة التقديرية على الحكاية .

قوله : (فسأله أن يغيثه بالإعانة ولذلك عدي بعلى وقرىء استعانه) بالإعانة ظاهره أن الاستغاثة مختصة بالإعانة وكلامه صريح في العموم وعن هذا قال ولذلك عدي بعلى قوله تعالى : ﴿ يغيثوا بقاء كالمهل ﴾ [الكهف : ٦٩] يفهم منه أن تعديته بالباء قوله وقرىء استعانه هذا يؤيد تضمين معنى الإعانة في استغاثه .

قوله : (فضرب القبطي بجمع كفه وقرىء فلكزه أي فضرب به صدره) بجمع كفه يضم الجيم وسكون الميم بمعنى كفه المضموم أصابعها وهو معنى الوكز أي الضرب المخصوص والمراد الضرب بجمع كفه صدره كما يؤيده قراءة فلكزه كما قال أي فضرب به .

قوله : (فقتله وأصله أنهى حياته) فقتله أي موسى عليه السلام بلا قصد وخطور خاطر

قوله : أحدهما ممن شايعه شيعة الرجل اتباعه وانصاره يقال شايعه كما يقال والاء من الولي وتشايح القوم من الشيعة وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيع وشاعه شياعاً أي تبعه .

قوله : والإشارة على الحكاية أي على حكاية حضور المشار إليه في ذلك الزمان وإلا فهو ليس بحاضر حين اقتصاص تلك القصة لنبينا ﷺ .

قوله : وأصله أنهى حياته من قوله : ﴿ وقضينا إليه ﴾ [الحجر : ٦٦] ذلك الأمر وبلغناه ذلك

فضمير قضى راجع إلى موسى عليه السلام قوله وأصله أي أصل القضاء هنا انتهى حيوته أي جعلت منتية منقضية وهو بهذا المعنى يتعدى يعلى كما نقل عن الأساس وحاصله وقع القضاء عليه وهذا سر تعديته يعلى لتضمنه معنى الوقوع.

قوله: (من قوله «وقضينا إليه ذلك الأمر» [الحجر: ٦٦]) أي الاستعمال في معنى انتهى وأتم من قوله تعالى: «وأوحينا إليه» [يوسف: ١٥] فإن القضاء في هذه الآية بمعنى انتهى وأتم ولا يخفى أن هذا ليس بأولى من عكسه ولا يظهر وجه قوله هذا من قوله: «وأوحينا إليه» [يوسف: ١٥] الخ مع إمكان عكسه وأما تعديته بإلى هنا فلتضمنه معنى الإعلام وأصل معنى القضاء اتمام الشيء فعلاً أو قولاً كما صرح به في سورة البقرة ولذا قيدنا قوله وأصله بقول هنا.

قوله: («قال هذا من عمل الشيطان») لأنه مسبب من تسويله وتزيينه.

قوله: (لأنه لم يؤمر بقتل الكفار أو لأنه كان مأموناً فيهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك في عصمته) لأنه لم يؤمر بقتل الكفار فيكون ترك الأولى أو لأنه كان مأموناً فيهم أي مستأمناً والمستأمن لا مساغ له لقتل الحرى وإن كان مأموراً بالقتال وهذا بناء على التنزل وإلا فعدم الأمر بالقتل مقطوع به إذ لم يكن نبياً حيثئذ والاغتيال القتل غيلة وهو أن يخدعه فيذهب به إلى موضع يقتله من حيث لا يشعر وهذا معنى قولهم غاله أهلكته كإغتياله وأخذه من حيث لا يدري.

قوله: (لكونه خطأ وإنما عده من عمل الشيطان وسماء ظلماً واستغفر عنه على عادتهم في استعظام محقرات ما فرطت منهم) لكونه خطأ والخطأ ليس من الكبائر اتفاقاً أو لأنه كان قبل النبوة قوله على عادتهم أي على عادة العظماء المقربين في استعظام محقرات ما فرطت بفتح الراء المخففة أي سبقت زيد ما في محقرات ما كآمر ما والمراد بكونها محقرات بالنسبة إلى الكبائر وإن كانت معصية في نفسها لائق تركها.

قوله: (ظاهر العداوة) ولم يقل ظاهر الاضلال لأن العداوة تستلزم الاضلال وبالعكس

والأنسب منه أن يكون من قضى بمعنى فرغ قال الجوهرى وقد يكون بمعنى الفراغ تقول قضيت حاجتي وخربره فقضى عليه أي قتله كأنه فرغ منه وسم قاض أي قاتل وقضى نحبه قضاء مات وقد يكون بمعنى الاداء والإنهاء تقول قضيت ديني ومنه قوله تعالى: «وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب» [الاسراء: ٤] وقوله تعالى: «وقضينا إليه» [الحجر: ٦٦] ذلك الأمر اتيناً إليه ويلغناه ذلك إلى هنا كلامه وإنما قلنا الأنسب أن يكون بمعنى فرغ لأنه هو المتعدي بكلمة على والذي هو بمعنى الإنهاء يتعدى بكلمة إلى وما في الآية الكريمة متعد بكلمة على.

قوله: (وإنما عده من عمل الشيطان وسماء ظلماً واستغفر عنه على عادتهم في استعظام محقرات فرطت منهم يعني إذا كان ذلك خطأ وسهواً لا يعد جريمة شرعاً حتى يقال فيه إنه من عمل الشيطان أو يسمى ظلماً ويستغفر عنه فقد الخطأ جريمة إنما هو على عادتهم المعهودة في استعظام أمور محقرة فرطت منهم أي سبقت وصدرت عنهم.

والقول فكم من صديق مضل وكم من عدو لا يفضل ضعيف لأن الصديق بإضلاله عدو من حيث إضلاله والعدو مضل ين ظفر بالإضلال إذ المراد العداوة الدينية.

قوله تعالى: **قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴿١٦﴾

قوله: (قال رب) استئناف توجه إلى ربه بطلب المغفرة بعد بيان سبب هذه الذلة والجملة وإن كانت خيراً لكن المراد إنشاء التحسر والندامة ولذا فرع عليه طلب المغفرة وهذا أبخل من استغفرت فاغفر لي لأنه استغفار بإظهار الندامة والتحسر ولذا قال لاستغفاره في قوله فغفر له.

قوله: (بقتله) يتوهم أن هذا ليس بمختص بنفسه بل سار إلى المقتول والجواب أن لا ظلم هنا لكونه خطأ وإسناد الظلم إلى نفسه وجهه قد تقدم من أن عادة العظماء الخ (ذنبى لاستغفاره).

قوله: (للتوب عباده) إشارة إلى عموم المفعول المحذوف لكونه علة لما قبله.

قوله: (بهم) لكون الرحيم بمعنى اللطيف ولذا عدي بالياء مع أنه متعدد بنفسه وفي الجمع بين الوصفين تنبيه على أنه تعالى وعد للتائبين باللطف والإحسان مع الغفران.

قوله تعالى: **قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا لِّلْمُتَجَرِّبِينَ** ﴿١٧﴾

قوله: (قسم محذوف الجواب أي أقسم بإنعامك علي بالمغفرة وغيرها لأتوبين) قسم الخ أي الباء في بما أنعمت للقسم وما مصدرية كالباء في قوله ﴿قال رب بما أغويتني﴾ [الحجر: ٣٩] الآية فيكون يميناً على صفة من صفات الأفعال وفيه تفصيل مذكور في الفقه^(١) قوله لأتوبين جواب قسم قوله: ﴿فلن أكون﴾ [القصص: ١٧] معطوف عليه.

قوله: (أو استعطف أي بحق إنعامك علي اعصمني فلن أكون معيناً لمن أدت معاونته) أو استعطف هو قسم من مطلق القسم وجعل قسيماً لما قال ابن الحاجب من أن

قوله: فلن أكون معيناً لمن أدت معاونته إلى جرم كمعاونة الإسرائيلي المؤدية إلى القتل الذي لم يحل له لأنه وإن كان قاتلاً للكافر لكنه لم يؤذن له فيه فيعد جرمًا لذلك فإن قيل كيف يكون من عاونه موسى مجرمًا والإجرام فعل موسى لأنه هو القاتل للقبطي لا الإسرائيلي قلنا هو من باب الإسناد إلى السبب الحامل فإن قتل موسى للقبطي لما كان بسبب طلب الإسرائيلي المعاونة منه صار الإسرائيلي كالقاتل له فيجوز أن يوصف بالإجرام بهذه الملابس وإن كان المراد بمظاهرة المجرمين صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثير سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد أو مظاهرة الإسرائيلي على أن ذلك الإسرائيلي كافر في رواية يكون المراد بالجريمة جريمة الكفر لا جريمة النسب.

(١) وحاصله أن القسم إن كان متعارفاً يتعدى اليمين وإلا فلا.

القسم جملة إنشائية تؤكد بها جملة أخرى فإن كانت خبرية فهو القسم لغير الاستعطاف نحو والله لأقومن غداً وإن كانت طلبية فهو للاستعطاف نحو قولك بالله زرني فقلوه اعصمني جملة إنشائية ولذا كان القسم للاستعطاف فحيث لا يكون اليمين منعقداً كالكلام الخبري .

قوله : (إلى جرم وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه لم يستثن فابتلي به مرة أخرى) إلى جرم كالإسرائيلي الذي خاصمه القبطي فادت معاونته إلى قتل لم يحل له فالمجرمون في النظم مجاز في النسبة للإسناد إلى السبب فعلى هذا فالمراد بالجرم هو القتل والمراد بالمجرمين من تسبب بالجرم كالإسرائيلي أو المعنى من أوقع غيره في الجرم فيكون الإسناد حقيقة وفي الكشف أن المراد بمظاهرة المجرمين صحبة فرعون وتكثير سواده السالف له أو المراد بالمجرمين الكفار لأن الإسرائيلي لم يكن أسلم والمص لم يلتفت إليه لأن المتبادر من شيئته التابع له في الدين ولذا قيده حيث قال ممن شابعه في دينه .

قوله : (وقيل معناه بما أنعمت علي من القوة أعين أوليائك فلن استعملها في مظاهرة أعدائك) وقيل معناه الخ فيكون الجار والمجرور متعلقاً بفعل مقدر يعطف عليه ما ذكر قبل وليس قسماً كما توهم لأن أعين لو كان جواب قسم وجب توكيده أو اقتترانه بلام القسم وإنما هو الزام لنفسه بما ذكر كالنذر وهذا مراد القائل بالقسم لأن الفقهاء عدوا النذر من القسم إن كان النذر بهذا الطريق وفي الدرر علي نذراً ويعين أو عهد يكون قسماً ومالك هذا المعنى كما اعترف به علي نذر وهذا القسم لا يجب توكيد جوابه قوله أعين فعل مضارع متكلم من الاعانة والأعداء مطلق الكفار بقرينة إضافة الرب فيدخل القبطي وفرعون دخولاً أولاً كما أن الأولياء عامة لجميع المؤمنين .

قوله تعالى : فَاصْبِرْ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اَسْتَصِرَّهُ بِالْأَمِينِ بِصَبْرِهِمْ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَنَوَى ثَمِيناً ﴿١٧﴾

قوله : (يترصد الاستفادة) يترصد مضارع تفسير يترقب أي ينتظر الاستفادة أي طلب

قوله : وعن ابن عباس لم يستثن فابتلي به مرة أخرى أي لم يستثن موسى حيث لم يقل إن شاء الله عقيب قوله ﴿فلن أكون ظهيراً للمجرمين﴾ فلذلك ابتلي بمعاونة المجرم مرة أخرى وذلك المعاونة هي إرادته عليه السلام أن يبطش بالذي هو عدو لهما بعد ما استصرخه الإسرائيلي وطلب منه الاعانة عليه وهو قبطي آخر غير الذي أعانه عليه أمس فلو كان استثنى بعد قوله : ﴿فلن أكون ظهيراً للمجرمين﴾ [القصص : ١٧] لما قصد الاعانة لذلك الإسرائيلي مريداً يبطش قبطي آخر عوناً له عليه بعد ما أقسم على أن لا يكون معيناً للمجرمين وهذه الآية نحو قوله عز من قائل : ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا﴾ [هود : ١١٣] وعن عطاء أن رجلاً قال له إن أخي يضرب بقلعه ولا يعدو رزقه قال فقم الرأس أي من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسري قال فأين قول موسى وتلا هذه الآية وفي الحديث يتأدي منا يوم القيامة ابن الظلمة وأعوان الظلمة حتى من لاق لهم دواة ويرى لهم قلماً فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى به في جهنم .

قوله : يترصد الاستفادة الاستفادة أن يطلب الولي القود من القاتل من استفدت المحاكم

القوم منه وطلبه إما ظناً منه عليه السلام بناء على أن القوم لا يعرف الأحكام فيطلبون القود من القاتل ولو خطأ ﴿فأصبح في المدينة﴾ [القصص : ١٨] هذا على ظاهره إن كان دخوله عليه السلام المدينة بين العشاءين وإلا فأصبح مجاز عن قرب الزمان والفاء في فإذا للسببية وإذا للمفاجأة والتعبير عن المسند إليه بالموصول لعدم علم المخاطب بالأحوال المختصة به سوى الصلة وكذا الكلام في التعبير بالموصول في قوله بالذي هو عدو لهما .

قوله : (يستغيثه مشتق من الصراخ) بضم الصاد الصباح لكن المراد به هنا الاستغاثة مجازاً .

قوله : (مبين الغواية لأنك تسببت بقتل رجل وتقاتل آخر) لأنك تسببت بقتل رجل ومع تذكره ذلك حملة فرط الشفقة على قومه وكمال الحمية حيث شاهد أذى القبطي بني إسرائيل على الاعانة مرة أخرى .

قوله تعالى : فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَتُوسَعُ أَتَرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تَرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَارًا لِي الْأَرْضُ وَمَا تَرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمَصْلُومِينَ ﴿١٩﴾

قوله : ﴿فلما أن أراد﴾ الفاء للتعقيب مع السببية والإرادة مقارنة للفعل عندنا فيتحقق البطش أي الأخذ بشدة لكن المراد هنا العزم المصمم لا المقارنة بالفعل ولم يجرء عدو له كما فيما سبق وهذا من عدوه للإشارة إلى تحقق سبب الأخذ على وجه القوة وهو يؤيد كون الإسرائيلي مؤمناً ولهذا اختاره المص .

قوله : (لموسى والإسرائيلي لأنه لم يكن على دينهما ولأن القبط كانوا أعداء بني إسرائيل) ولأن القبط كانوا أعداء بني إسرائيل من غير نظر إلى كونهم مخالفين في الدين لكن منشأ عداوتهم غير الدين فالتقابل تام وإلا فالتقابل اعتباري .

قوله : (تريد أن تقتلني) الاستفهام إما للتقرير لأن ظاهر قوله كما قتلت استدلال على ذلك أو باقي على حقيقته يطلب التصديق نكر النفس مع أن الظاهر التعريف للتعظيم أي نفساً غير مستحق القتل أو للتحقير أو لكونه مجهولاً عنده ويؤيده ما سيأتي وكأنه توهم الخ .

قوله : (قاله الإسرائيلي لأنه لما سماه غوياً ظن أنه يبطش به أو القبطي) ظن أنه يريد البطش به لما رأى منه قتل نفس لكن في ظنه مخطئ . إذ لا إرادة في قتله بل وقع خطأ بلا إرادة قوله أو القبطي وهو الظاهر والأول احتمال .

قوله : (وكأنه توهم من قوله إنه الذي قتل القبطي بالأمس لهذا الإسرائيلي) وكأنه

أي سألته أن يقيد القاتل بالقتل قوله ولأن القبط كانوا أعداء بني إسرائيل فالعداوة على الوجه الأول عداوة دينية وعلى الثاني عداوة مطلقة حيث كان بين القبط والإسرائيليين عداوة وإن توافقوا في الدين .

قوله : فكانه توهم أي كأن هذا القبطي توهم من قول موسى للإسرائيلي إنك لغوي مبين أنه

توهم وفي نسخة فكانه توهم من قوله أي من قول موسى عليه السلام للإسرائيلي وهو ﴿إنك لغوي مبين﴾ وإنما قال وكأنه لاحتمال أنه ظنه من طريق آخر كالسماع والمشاهدة ولا بعد في ذلك لأنه كم من أحقق يفهم معنى دقيقاً في بعض الأحيان رمية من غير رام وقيل ولا بعد لأن ما ذكر إما إجمال لكلام يفهم منه ذلك ولا يخفى ضعفه.

قوله: ﴿إن تريد﴾ أي ما تريد إلا أن تكون) القصر إضافي أي وما تريد أن تكون من المصلحين كما ذكره فهو تصريح بما علم التزاماً وقصر الموصوف على الصفة بنأويل مفهوم الكون مراداً لك مقصور على كونك جباراً في الأرض أي أرض مصر وذكر الأرض للتعميم.

قوله: (تطاول على الناس ولا تنظر العواقب) تطاول أصله تتطاول أي تتبع بما خطر ببالك من غير نظر في عاقبته وهو إشارة إلى مأخذه لأن الجبار في الأصل النخلة الطويلة فاستعمل لما ذكر لتعاليه المعنوي وتعظمه تشبهاً للمعقول بالمحسوس استعارة ثم صار حقيقة عرفية في ذلك.

قوله: (بين الناس فتدفع التخاصم بالتي هي أحسن) فتدفع التخاصم بالنصب بالتي بالطريق التي هي أحسن الطرق وهي الطريق التي هي خالية عن الاضرار والأذى فضلاً عن القتل الذي هو منتهى الاضرار فالمفضل عليه ليس ما فعله موسى عليه السلام بل هو الطريق الحسن والمطلوب أحسنه وهذا التشديد يناسب كون قاتله القبطي دون الإسرائيلي لكنه طاب الله ثراه قدمه والظاهر أنه رجحه كأنه نظر إلى أن هذا القول عن علم بالقتل والإسرائيلي يعلم ذلك بالمشاهدة دون القبطي فإن علمه إما بالسمع أو بالقرينة القوية لكن الأول هو المعتمد فعلم أن البطش غير متحقق إذ إرادة البطش بالقبطي ولما وجد منه عليه السلام أمارة البطش ظن الإسرائيلي أنه أراد له لقوله: ﴿إنك لغوي مبين﴾ [القصص: ١٨] والظاهر أنه لم يكن البطش متحققاً بأحد وما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه لم يستثن فابتلي به مرة أخرى فلعله باعتبار إرادة البطش فإنه قصد الإعاقة وهو يعد من الإعاقة في الجملة.

الرجل الذي قتل القبطي أمس لمعاونة هذا الإسرائيلي وقد كان يعلمه باسمه فلذا قال يا موسى.

قوله: تطاول أي إلا أن تطاول تتفاعل من التطاول حذقت إحدى تاعبه والأصل تتطاول على الناس وهو مع ما عطف عليه تفسير للجارية على ما قال الزمخشري في الكشف والجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم لا ينظر في العواقب ولا يدفع بالتي هي أحسن وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لأمر الله.

قوله: فتدفع التخاصم بالتي هي أحسن والمعنى وما تريد أن تدفع تخاصم المتخاصمين بالخصلة التي هي أحسن بل تريد أن تعاون أحد المتخاصمين بحيث يؤدي معاونتك إلى القتل وقوله فتدفع التخاصم بالتي هي أحسن من باب التلميح المذكور في علم البديع إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة﴾ [المؤمنون: ٩٦] قوله: وهو ابن عمه أي ابن عم فرعون.

قوله : (ولما قال هذا انتشر الحديث وارتقى إلى فرعون وملته فهموا بقتله فخرج مؤمن من آل فرعون وهو ابن عمه ليخبره بذلك كما قال ﴿وجاء رجل من أقصى﴾) الحديث أي خبير القتل والمراد بالمؤمن الموحد من آل فرعون من أقاربه وقيل هو ابن عمه واختاره المصنف هنا وفي سورة حم المؤمن اختار كونه من أقاربه بلا تعيين وهو الأولى إذ التعيين مشكل قيل وقد اشتهر بمؤمن آل فرعون حتى صار كالعلم له .

قوله تعالى : **وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمْؤُمُونَ بِكِ الْمَلَائِكَةُ يَتْلُوْنَ عَلَيْكَ لَقَدْ أَخْرَجْنَاكَ مِنَ الْبَلَدِ لَعْنَةً لِّلْمُصْطَفِينَ** ﴿٢٠﴾

قوله : ﴿وجاء رجل﴾ وهنا إيجاز كما أشار إليه بقوله فخرج مؤمن^(١) الخ وقدم الفاعل هنا لعدم الداعي إلى تأخيره بخلاف ما في سورة يونس فإنه آخر الفاعل لئلا تدعى إليه ذكرت في المطول .

قوله : (يسرع صفة لرجل أو حال منه إذا جعل من أقصى المدينة صفة له لا صلة لجاء لأن تخصصه بها يلحقه بالمعارف) صفة رجل ومن أقصى المدينة صلة لجاء وهو الراجح إذ سرعته لبعد المحل ولذا قدمه ثم بين احتمالاً آخر (يتشاورون بسبيك وإنما سمي التشاور اتتماراً لأن كلا من المتشاورين بأمر الآخر ويأتمر) .

قوله : (اللام للبيان وليس صلة للناصحين) فالمعنى فخرج إني أقول لك فهي متعلقة بمقدر وذلك المقدر كونه أقول أولى قوله : ﴿من الناصحين﴾ [القصص : ٢٠] أبلغ من ناصح كما مر وجهه مراراً قوله ويأتمر أي يقبل الأمر .

قوله : (لأن معمول الصلة لا يتقدم على الموصول) أشار إلى أن اللام في الناصحين موصول لا حرف وهو مذهب الجمهور إذا كان اسم الفاعل بمعنى الحدث ومعمول الصلة وهو اللام هنا لا يتقدم ويمكن المناقشة بأنه لم لا يجوز أن يكون حرف تعريف كما ذهب

قوله : أو حال منه إذا جعل من أقصى المدينة صفة له لا صلة لجاء وإنما اشترط في جعله حالاً منه أن يكون رجل موصوفاً مخصصاً بقوله من أقصى المدينة لأنه لا يجوز نصب الحال متأخرة من التكررة العسرة إلا بعد كونها متخصصة بشيء وإذا لم يتخصص بشيء وأريد أن يقع شيء حالاً منه وجب تقديمها عليه لئلا يلتبس بالثبوت في صورة النصب فقدم فيما سوى صورة النصب في المرفوع والمجرور طرداً للباب قوله تخصصه ويلحقه لا صلة فإذا الحقته هذه الصفة بالمعارف صح وقوع الحال منه متأخرة عنه .

قوله : لأن معمول الصلة لا يتقدم الموصول فإن اللام في الناصحين بمعنى الذين لأنها في الصفات المشتقة بمعنى الموصول أي من الذين ينصحون كأن موسى عليه السلام قال لمن تصحك فقال لك فهو كاللام في هيت لك .

(١) وعبر في مثله البعض الواو القصبة لكنه لم نطلع عليه في المعتبرات .

إليه المبرد أو يكون الناصح بمعنى الثبوت فحيث لا يكون حرفاً بالاتفاق أو الظرف لتوسيعه يجوز تقديمه لكنها لا طائل تحتها.

قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٢١)

قوله: ﴿فخرج منها﴾ من المدينة الفاء فصيغة أي امتثل أمر الناصح لما لاح له من صدقه بأمارات وإيمان المخبر فخرج منها فراراً من فرعون وملته بدليل قوله: ﴿ففررت منكم لما خفتكم﴾ [الشعراء: ٢١].

قوله: (خائفاً) حال كونه خائفاً قرينة كون الخروج للفرار فيترقب صفة خائفاً كاشفة له إذ الخوف يكون على المتوقع والمتروك وصيغة المضارع لإفادة الاستمرار التجديدي.

قوله: (الحق طالب) لعلمه بأنهم يرسلون طالباً يطلبني إذ هم القتل يدل عليه وأراد جنس طالب فيلأنه قوله الاتي فأخذ الطلاب الخ.

قوله: ﴿وقال رب﴾ استئناف مبين أنه عليه السلام توجه إلى رب كريم لأنه ينتقم لكل شخص لثيم ﴿نجني من القوم الظالمين﴾ وهم فرعون وملته على أن اللام للمعهد أو جنس الظالمين ويدخل فيه فرعون وملته دخولاً أولاً فلا يضره.

قوله: (خلصني منهم واحفظني من لحوقهم) لأنه باعتبار دخولهم فيه نعم الراجح المهدية والتعبير بالظالمين لمزيد استعطاف ولأنهم متمردون في الظلم العظيم ولا يكون الخلاص منهم إلا برب عظيم وإنجائه الكريم وفي سؤال إنجائه من نفس القوم الظالمين مبالغة عظيمة.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (٢٢)

قوله: (قبالة مدين قرية شعيب عليه السلام سميت باسم مدين بن إبراهيم عليه السلام ولم تكن في سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمان) قبالة بضم القاف بمعنى ما يقابل جانبها مثل حذاء ونصب على الظرفية بتقدير في لأنه من المكان الميهم يحذف في قياساً وأصل تلقاء مصدر بمعنى اللقاء من لقي يلقي من باب علم فقوله قبالة مدين تنبيه على ظرفيته وتوجه قرية شعيب إما بالإلهام أو لمعرفة أنه لم يكن في ملك فرعون ولعل قوله ولم يكن في سلطان فرعون إشارة إليه أو لم يقصد توجه مدين لكن اتفق سيره كذلك أو بإرشاد ملك وقيل أو لقرب شعيب لأنه من بني إسرائيل أيضاً والمناسب

قوله: قبالة القبالة بضم القاف التجاه والحداء يقال فلان جلس قبالة أي تجاهه.

قوله: ولم تكن في سلطان فرعون أي تلك القرية التي هي مدين لم تكن في حكم فرعون وسلطته وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمان أي مسيرة ثمان ليال والعرب تعد الأيام بلياليها ولذا لم يلحق الثاء بعددها.

عدم تعيين واحد من هذه الاحتمالات ولا يزيل قوله تلقاء مدين عدم معرفة مدين لأنه يقال توجهت داري كما يقال توجهت داراً قوله سميت باسم مدين أي سميت باسم بانيه لأنه بني مدين بن إبراهيم عليه السلام .

قوله : (توكلا على الله وحسن ظن به وكان لا يعرف الطرق فعن له ثلاث طرق فأخذ في أوسطها وجاء الطلاب عقيه فأخلوا في الآخرين) توكلا على الله وحسن ظن به لكن قاله بطريق الرجاء بناء على عادة العظماء أو لما كان حصول الهداية مترقباً بنى الأمر فيها على الرجاء والمراد بالسبيل المستوى الطريق الحسي المستقيم يصل من سلك فيه إلى البغية وهذا بحسب الظاهر وأما بحسب الحقيقة فالمراد به الصراط القويم الموصل إلى باب من أبواب الدين المستقيم فإن أفكار الأبرار مائلة إلى أبواب الدين في كل ما يعن لهم من الأمر العتيد وقد نيه عليه المص في قوله ﴿لعلي أجد على النار هدى﴾ [طه : ١٠] وهذا الكلام من قبيل التورية والإيهام قوله وكان لا يعرف الطرق وإن عرف مدين وقصد التوجه إليه قوله فعن له عن بتشديد النون بمعنى ظهر والفاء جزائية فأخذ في أوسطها لأن خير الأمور أوسطها هذا بحسب الظاهر وأما بحسب الحقيقة فالمعنى فعن له ثلاث طرق لأبواب الدين فأخذ وسطها اعتقاداً وعملاً وأخلاقاً وترك الإفراط والتفريط وجاء الطلاب الظالمون النهاب فأخذوا الإفراط أو التفريط في أبواب الدين فاستمروا على الضلال المبين .

قوله تعالى : وَلَمَّا وَرَاةَ مَاءٍ مَّذْيَبٍ وَجَدَ عَلَيْهِ أَمَةً يُنَادِي النَّاسَ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ أَمْرَاتَيْنِ تَذَوْدَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمْ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبَوْكَ شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾

قوله : (وصل إليه وهو بشر كانوا يسقون منها) وصل إليه أشار به إلى أن الورد هنا الوصول إليه لا بمعنى الدخول فيه قوله وهو بشر أي الماء مجاز عن المحل وهو البشر هنا لا غير بقرينة ما بعده كانوا يسقون منها أي من مائها فهو مجاز عكس ما في النظم ومراده أن البشر ليست معطلة أو إشارة إلى معنى قوله : ﴿وجد عليه أمة﴾ [القصص : ٢٣] الآية وهو الظاهر .

قوله : (وجد فوق شفيرها) إشارة إلى أن معنى الاستعلاء ليس ظاهره مقصوداً بل المراد الاستعلاء على مكان قريب منه وهو الشفير هنا إما بحذف المضاف أو مجاز مرسل ذكر البشر وأريد شفيرها .

قوله : توكلا على الله مفعول له لقال .

قوله : وحسن الظن بالنصب عطف على توكلا عطف العلة على العلة .

قوله : عن له أي ظهر لموسى ثلاث طرق في أثناء فراره عنهم .

قوله : وجد فوق شفيرها شفير كل شيء طرفه يقال شفير الوادي أي طرفه .

قوله: (جماعة^(١) كثيرة مختلفين) أي المراد الجماعة لكن لا مطلقاً بل جماعة يجمعهم أمر ما من دين واحد أو زمان واحد أو مكان واحد وقيد مختلفين لا يستفاد من اللفظ بل من خارج قيل مستفاد من قوله من الناس لشمولهم الأصناف فالمراد مختلفة الأصناف منهم رومي وبعضهم عربي وغير ذلك ولا يخفى ضعفه قال المص في تفسير قوله تعالى: ﴿ومن الناس﴾ [البقرة: ٨] المراد إما ناس معهودون الخ ونظائره كثيرة والظاهر أنه لتعيين المراد بالأمة إذ تطلق على جماعة من الطيور والدواب قال تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾ [الأنعام: ٣٨] الآية وما فهم من كلام المحشي أن ذكر الناس للتحقير وليس نصاً فيه لأن المراد بالناس الكاملون في قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس﴾ [البقرة: ١٣] الآية كما صرح به المص (مواشيهم).

قوله: (في مكان أسفل من مكانهم) أي دون هنا في أصل معناه وهو أدنى مكان منك يقال دونك هذا أي خذه من أدنى مكان منك أي أقرب مكان منه لكن مع انحطاط قليل ودنو كثير ولذا عبر بأقرب وأشار إلى الانحطاط بقوله أسفل ولم يتعرض للقرب الكثير لأن الأسفلية إنما تظهر في القرب التام والحاصل أن دون في الأصل للتفاوت في المكان وقد مر التفصيل في قوله تعالى: ﴿وادعوا شهداءكم من دون الله﴾ [البقرة: ٢٣] الآية من أوائل سورة البقرة وأشار إلى أن من زائدة قوله في مكان لكونه ظرف مكان وكون من بمعنى في بعيد.

قوله: (تمنعان أغنامهما من الماء كيلا تختلط بأغنامهم) أغنامهما الجمع للإشارة إلى كثرتهما ولم يقل غنماهما لأنهم استكروها إضافة التثنية إلى التثنية.

قوله: (ما شأنكما تذودان) ما شأنكما أصل الخطب الطلب ثم شاع في الأمر العظيم قوله تذودان حال فالسؤال عن سبب الذود لأن ما قد يسأل به عن السبب والمعنى أي سبب يضطركما إلى المنع المذكور وقيل الخطب مصدر أريد به المفعول فهو بمعنى الشأن والشأن أيضاً مصدر توضيحه ما ذكرناه.

قوله: جماعة كثيرة مختلفين معنى الأمة الجماعة ووصفها بالكثرة لأن تنكيرها للتنظيم فإن عظمة الجماعة تكون لكثرة عددهم ووصفها بالاختلاف لأن الشرب العام لا يختص بقوم دون قوم ولوقوع الجنس المختلف الأصناف أعني من الناس بياناً لها ولذا قال صاحب الكشف في تفسير من الناس من أناس مختلفين.

قوله: ما شأنكما فسر الخطب بالشأن لأن الخطب بمعنى الطلب ومعنى الشأن يناسبه لأن معناه القصد يقال شأنت شأنه أي قصدت قصده والمراد بالخطب المخطوب أي ما مطلوبكما من الذباد فسمي المخطوب خطباً كما سمي المشؤون شأناً.

(١) والكثرة مستفادة من التنوين لأن التنكير هنا للتكثير.

قوله : (قالتا لا نسقي) الخ بيان سبب الذود برمز خفي على أن السبب حذرهما عن مزاحمة الرجال فإنها تؤدي إلى فساد الحال وإنا أهل بيت مصنونون عن سوء الأفعال كما قالتا وأبونا شيخ كبير إشارة إلى ذلك بالرمز الأتيق وإن كان ظاهره اعتذاراً كما سيحيي فلما فهم عليه السلام أنهما من شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء سقى لهما مع أن وقت الوحي قد قرب وقد وفقه الله تعالى أسباب ذلك حيث جاءت إحداهما فكان الأمر كيت وكيت كما استعرفه وأن أول القصة كذلك من مقدمات وأسباب تؤدي إلى مطالب .

قوله : (يصرف الرعاة مواشيهم عن الماء حذراً عن مزاحمة الرجال فحذف المفعول لأن الغرض هو بيان ما يدل على عفتهم ويدعوهم إلى السقي لهما) يصرف تفسير يصدر الرعاة معنى الرعاة كلاهما جمع راع قوله فحذف المفعول أي من الأفعال الأربعة والظاهر من الأفعال الثلاثة ومختار صاحب المفتاح أن المفعول محذوف للاختصار والمراد يسقون مواشيهم وتذودان غنمهما وكذا سائر الأفعال في الآية لأن الترحم لم يكن من جهة صدور الذود عنهما والسقي من الناس بل من جهة ذودهما غنمهما وسقي الناس مواشيهم حتى لو ذادتا غنمهما وسقى الناس مواشيهم لم تصح المرحمة انتهى . ومراده الرد على الشيخين عبد القاهر والزمخشري حيث قالوا القصد إلى نفس الفعل فنزل منزلة اللازم أي يصدر منهم السقي والذود منهما وأما المسقى والمذود إبل أو غنم فخارج عن المقصود بل ربما يوهم خلافه إذ لو قيل أو قدر يسقون إبلهم ويذودان غنمهما لثوهم أن الترحم لهما ليس من جهة أنهما على الذود والناس على السقي بل من جهة أن مذودهما غنم ومسقيهم إبل كما إذا قلت ما لك تمنع أخاك فالمعكر منع الأخ لا المنع من حيث هي ومراد الشيخين أن ذلك

قوله : فحذف المفعول لأن الغرض هو بيان ما يدل على عفتهم ويدعوهم إلى السقي لهما ثمة أي حذف مفعول لا نسقي حيث لم نقولاً لا نسقي غنماً لأن غرضهما وهو بيان ما يدل على عفتهم وهو تركهما السقي وقت سقيهم حذراً من مخالطة الرجال ومزاحمتهم وبيان ما يدعو موسى إلى سقي غنمهما ترحماً لهما قد تم عند حذف المفعول أو عند قولهما لا نسقي من غير أن نقولاً لا نسقي غنماً فقالتا لا نفعل السقي حتى يصدر هؤلاء الرجال الراعون لثلاث بهتكت عفتنا بمخالطتهم وأبونا شيخ كبير فأوردت قولهما هذا المرحمة في قلب موسى عليهما فحملته تلك الرحمة إلى سقي غنمهما فلما كفي في حصول هذا الغرض ذكر فعل السقي نفسه بلا مفعول ترك ذكر المفعول إذ الغرض يتم بذكر نفس الفعل بدون ذكر المفعول لأن سبب الترحم تركهما فعل السقي عند سقيهم حذراً عما هو محظور شرعاً لا ترك سقي غنم دون إبل وغيره وهو ليس بمراد وفي الكشف فإن قلت لم إلى ترحمه وسقيه لهما كون مسقيهما غنماً لا إبلأ وغيره وهو ليس بمراد وفي الكشف فإن قلت لم ترك المفعول غير مذكور في قوله : ﴿ يسقون ﴾ [القصص : ٢٣] وتذودان ولا نسقي قلت لأن الغرض هو الفعل لا المفعول ألا ترى أنه إنما رحمهما لأنهما كانتا على الذباد وهم على السقي ولم يرحمهما لأن مذودهما غنم ومسقيهم إبل مثلاً وكذلك قولهما لا نسقي حتى يصدر الرعاة المراد به السقي دون المسقى إلى هنا كلامه فإن قيل هل من فرق بين هذا وبين ما ذهب إليه صاحب المفتاح في نكتة حذف المفعول حيث قال إن القصد في ترك المفعول إلى مجرد الاختصار

الموضع مجتمع الناس للسقي واشتغال الناس بالسقي الذي هو المقصود من الاجتماع ومنعهما عن السقي مع كون السقي مراداً لهما بل السقي أولاً مقصوداً لهما حيث خلصنا أنفسهما عن مخالطة الرجال وكونهما منظرين لهم ولما كان الأمر خلافه كان سبب مرحمة موسى عليه السلام مجرد سقي الناس وذودهما بدون مدخلية المفعول المعين قوله على عفنتهما يدل على ما ذكرناه لأن العفة تقتضي تعجيل الذهاب عن مجتمع الرجال مع أنهما أخرا ولم تفارقا عن مجلسهم وفهم عليه السلام اضطرابهم بالقرينة الحالية التي هي أقوى من القرينة القولية فبحث كمال الترحم إلى التكلم مع الأجنبية والسقي لهما على أن التكلم مع الأجنبية الشابة ربما يساعد حين الأمن لا سيما عند الحاجة مع أن التكلم معها يجوز أن يكون مشروعاً في هذا الوقت فلا يرد ما أورده شارحاً المفتاح السعد والشريف حيث قالوا وما اختاره صاحب المفتاح أدق وأحسن وادعى الشريف فساد المعنى بدونه ولا يظهر وجهه بل المعنى أحسن براءة على ما قررنا مراد الشيخين ألا يرى أن قولنا فلان يعطي أي يفعل الإعطاء وفلان لا يعطي أي لا يفعل الإعطاء كاف في المدح والذم بلا ملاحظة المعطى درهماً أو ديناراً أو غير ذلك وكذا يكفي بيان فعل السقي والذود في كونه باعث الترحم على أن السقي والمذود هنا والمعطى هناك مفهوم في الجملة إذ لا يتصور السقي والذود ذهنياً وخارجاً بدون المسقي والمذود كما في الإعطاء فلا التباس ولا فساد وأما ما قاله قدس سره ألا يرى أنهما لو كانتا تدودان مواشيهم وكانوا يسقون غنمهما لم يصح الترحم فلا يصح أن يقال إن ترحمه كان لأجل أنهما كانتا على الذود والناس على السقي فمع بعده

لاتصيب الكلام إلى إرادة يسقون مواشيهم الخ قلنا نعم لأن صاحب المفتاح نظر إلى جانب اللفظ وإن ترك المفعول لصون الكلام عن العيث وتعاضد قرآن الأحوال الدالة على المتروك وصاحب الكشف نظر إلى جانب المعنى وأن المفعول مرفوض غير ملتفت إليه ولكل وجهة فإن قيل فعلى هذا يكون من تنزيل الفعل المتمدي منزلة اللازم إيهاماً للمبالغة فأين المبالغة قلنا هو وهم بعيد لأن معنى قوله لأن الغرض هو الفعل لا المفعول أنهم قد يقصدون في الكلام المحتمل على معانٍ إلى معنى منها قصداً أولياً ويوهمون أن ما سواه مطرح ألا يرى إلى قوله في تفسير قوله تعالى : ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ (يس : ١٤) ترك المفعول به لأن الغرض المعزز به وإذا كان الكلام منصباً إلى غرض من الأغراض جعل سياقه له وتوجهه إليه كأن ما سواه مرفوض مطرح فإن قيل جوابهما لا يطابق ظاهراً لسؤال موسى لأنه عليه السلام سألهما عن شأنهما ومطلوبهما وكان ظاهر الجواب أن تقولاً شأننا أننا نريد السقي ولا قدرة لنا عليه من المزامعة وهما لم يجيبا بهذا الجواب الظاهر وعدلتا عنه إلى بيان سبب الذود وترك السقي لأن معنى جوابهما أن سبب ذودنا ضعفنا وعجزنا وعجز متولي أمرنا وهو أبونا فما وجهه أجيب بأن المراد بقوله فما خطبكما ما سبب ذودكما وإنما عدل عليه السلام عن السؤال الظاهر إلى قوله : ﴿ما خطبكما﴾ [القصص : ٢٣] أي ما مخطوبكما ومطلوبكما من الذباد لأن مقصود نبي الله من قوله ما خطبكما ما سبب ذودكما الذباد أن يجاب بطلب المعونة منه لكرمه ورحمته على الضعفاء ولما كانتا من بيت النبوة حملتا قوله على ما يجاب عنه بالسبب وفي ضمنه طلب المعونة لأن اظهارهما العجز ليس إلا لذلك .

عن الاعتبار ضعيف من وجوه أما أولاً فلأن المعنى إن كان كذلك لارتحلنا عن هذا الموضع لسقي الناس غنمهما أولاً وأما ثانياً فلأن منعهما مواشيهم مع كمال ضعفهما وقتلتهما وكثرة الناس وقوتهم مما لا يخطر ببال الذوق السقيم فضلاً عن الطبع السليم وأما ثالثاً فلأن قولهما: لا نسقي حتى يصدر الرعاء يرد هذا الاحتمال المرجوح وأما رابعاً فلأن قوله تعالى: ﴿فسقى لهما﴾ [القصص: ٢٤] يدفع هذا الاحتمال لو سلم هذا في بادئ النظر ولا يحكم في أول الكلام إذا كان آخره مغيراً له ولبت شعري كيف ذهل عن هذه المحذورات مع أنه منار التدقيق وعلم التحقيقات.

قوله: (ثم دونه) ينقطعين من الثمام أي تم الكلام في الفعل دونه أي بدون المفعول وهذا تصريح باختيار مسلك الشيخين لما فيه من البراعة والبلاغة وفي بعض النسخ ثمة بالثاء المثانة المفتوحة.

قوله: (وقرأ أبو عمرو وابن عامر يصدر أي ينصرف وقرئ الرعاء بالضم وهو اسم جمع كالرخال) بضم الراء المهمله والخاء المعجمة وفي آخره لام جمع رحلة بكسر الراء وهي الأنثى من أولاد الضأن وقيل إنه جمع وقد مر الكلام في قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يقول﴾ [البقرة: ٨] الآية من سورة البقرة.

قوله: (وأبونا شيخ) عطف على مقدر أي لا خدام لنا ولا راعي وأبونا شيخ وهذا أولى من كونه حالاً.

قوله: (كبير السن لا يستطيع أن يخرج للسقي فيرسلنا اضطراراً) كبير السن لم يذكر كبير الرتبة لأن المقام يقتضي ما ذكره ولذلك قال لا يستطيع أن يخرج الخ فيرسلنا^(١) اضطراراً حكاية الحال الماضية أو للاستمرار أشار إلى أن أبونا شيخ كناية عما ذكر.

قوله تعالى: فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾

قوله: (مواشيهم) أي غنمهما لكن عبر بالمواشي ليناسب يسقون مواشيهم وهذا يؤيد رأي الشيخين.

قوله: (رحمة عليهما) لما رأى من ضعفهما وكمال عنتهما لا لغرض آخر.

قوله: (قيل كانت الرعاء يضعون على رأس البئر حجراً لا يقله إلا سبعة رجال أو أكثر فأقله وحده مع ما كان به من الوصب والجوع وجراحة القدم) قيل كانت الرعاء الخ

قوله: فأقله وحده مع ما كان من الوصب والجوع أي اطاق حملة وحده من أقل الجرة أي اطاق حملها والوصب المرض والموصب بالتشديد الكثير الأوجاع قال الزمخشري فما أخطأت همته في دين الله تلك الفرصة مع ما كان به من النصب وسقوط خف القدم والجوع ولكنه رحمهما

(١) وبهذا يندفع ما يقال كيف ينسي الله شعيب أن يرضى لابنته لسقي المواشي فإن الضرورات تبيح المحظورات.

وجه التمرىض لأنه يفيد بظاھرہ أن موسى عليه السلام صبر إلى أن يفرغ الرعاء عن سقي مواشيهم ووضع الحجر على رأس البئر وهو بعيد ولأنها إذا كانت عادتھم ذلك فكيف كانا يسقيان إلا أن يقال إن الأمر وقع كذلك في ذلك اليوم لأمر دعى إليه ولم يكن ذلك عادة لھم ولأنه يخالف ظاھر ما روي أنھما لما رجعتا إلى أبيھما قبل الناس قال لھما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلاً صالحاً رحمنا فسقى لنا وهذا ليس بظاھر فيه لجواز أن يكون تأخر الناس لعائق يعوقھم وقوله عليه السلام ما أعجلكما بجوز أن يكون رجوعھما إليه على خلاف العادة أو تأخر الناس لعائق كما مر وأن الظاھر في مثله بيان القولين في هذا السقي لا الإشارة إلى ضعفھما حيث لم يذكر أحدهما بدون قبل وهو المتعارف في التزييف والمراد بالوصب الضعف وجراحة القدم هذا بناء على العادة وإلا فمن أية جهة علمت وترك مثل هذا في شأن الأبرار أس بحسن الأدب.

قوله: (وقيل كانت بئراً أخرى عليها صخرة فرفعها واستقى منها) رجحه المحشي الفاضل ومع هذا عبره بقيل فالظاھر ما ذكرنا غاية الأمر أن القول الثاني أوفق بما بعده وبأنه زاحمھما على الماء حتى سقى لھما وأما وصفھما بالقوة فيتنظم كلا القولين.

قوله: (ثم تولي) كلمة التراخي لأن التولي عنھما متراج بالنسبة إلى مبدأ السقي وإن اتصل بآخره إلى الظل الذي كان هناك.

قوله: (لأي شيء أنزلت إلي) إشارة إلى أن ما نكرة موصوفة لا موصولة لعدم القصد إلى معين وأنزلت بمعنى أعطيت مجازاً إذ الإنزال وهو التحريك من الأعلى إلى الأسفل يستلزم الإعطاء ولا بعد أن يراد الإنزال من جهة العلو بطريق خرق العادة فالإنزال على حقيقته.

قوله: (قليل أو كثير) مستفاد من التعبير بما نكرة موصوفة.

قوله: (وحمله الأكلون على الطعام) بمعونة المقام إذ وقت النداء وقت الجوع.

قوله: (محتاج سائل ولذلك عدي باللام) محتاج الخ لما عدي الفقير بإلى مع أن تعديته باللام أشار إلى أنه ضمن معنى الاحتياج فيتعدي بإلى كاحتياج قوله سائل إذ الاحتياج يستلزم السؤال.

قوله: (وقيل معناه إني لما أنزلت إلي من خير الدين صرت فقيراً في الدنيا لأنه كان

وأغائھما وكفاھما أمر السقي في مثل تلك الرحمة بقوة قلبه وقوة ساعده وما آتاه الله من الفضل في مائة الفطرة وورصانة الجيلة.

قوله: ولذلك عدي باللام أي ولكون فقير بمعنى سائر عدي تعديته يقال هو سائل لذلك الشيء ولا يقال هو سائل إلى ذلك الشيء ولولا تضمنه معنى السؤال لكان حقه أن يعدى بكلمة إلي ويقال إلي ما أنزلت إلي إذ يقال افتقر إليه ولا يقال افتقر له.

قوله: وقيل معناه إني لما أنزلت إلي من خير الدين صرت فقيراً في الدنيا وهذا على أن اللام

في سعة عند فرعون) من خير الدين فالمراد بالخير خير الدين لا الخير الدنيوي كما في الأول فحينئذ صيغة الماضي في موقعها وأما في الأول فيمعنى المضارع وعبر بالماضي لفرط الرغبة في حصوله والتفاؤل في وصوله كأنه يخيل إليه أنه حاصل قوله صرت أي انتقلت من الغناء إلى الفقر كما أشار إليه بقوله لأنه كان في سعة الخ.

قوله : (والغرض منه إظهار التبحر والشكر على ذلك) والغرض منه دفع إشكال خطر بالوهم أنه اشتكاه أي الغرض منه إظهار التبحر بتقديم الجيم على الحاء الفرح وكمال السرور وإظهار الشكر على ذلك الإحسان الذي لا يحيطه القلم واللسان وقد ذكرنا فيما مضى أن أفكار الأبرار مائلة إلى أبواب الدين في كل ما يعين لهم من الأمور أجمعين فلا يخطر ببالك أن هذه الحالة حالة المشقة لبعد المشقة وشدة المجاعة لكن مرضه إذ الأول أمس بالسياق والسباق مع أن طلب الرزق لدفع الضرورة من أفضل القرىات ومن جملة أبواب الدين والخيرات.

قوله تعالى : لَجَاءَهُنَّ إِحْدَهُمَا تَمَثَّى عَلَى آسْتَحْيَاوَ قَالَتْ إِنَّكِ إِلَى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُمْ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَبَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾

قوله : (أي مستحبة متخففة قيل كانت الصغرى منهما وقيل الكبرى واسمها صفواء

في لما للتعليل لا صلة فقير كما في الوجه الأول فالمعنى أي فقير في باب الدنيا لأجل ما أنزلت إلي من خير الدين وهو النجاة من الظالمين لأنه كان عند فرعون في ملك وثروة قال ذلك رضى منه بالبدل السني وفرحا به وشكرا له فكأنه قال رب إنني أشكرك على أن جعلتني فقيراً مما في يدي من الدنيا والملك لأجل أمر ديني ورزقته بدله فعلى هذا يكون ما في لما أنزلت موصولة ومن في من خير للبيان والتذكير في خير للتنوع والتعظيم ولذا أضافه إلى الدين وعلى الوجه الأول موصوفة والتذكير للتنوع ومن ثمه فسر لما بقوله لأي شيء. ووصف الشيء بقليل أو كثير أي رب إنني لأي شيء أنزلته إلي قليل أو كثير غث أو سمين من نوع خير لغير أي سائل وطالب له فقوله قليل وكثير بعد لفظة خير صفة لشيء في قوله لأي شيء لا صفة لخير وأما فائدة لفظة الماضي في ما أنزلت علي التأويل الثاني فظاهر لأن المراد بما في لما أنزلت علي ذلك التأويل خير الدين الذي هو النجاة من أيدي الظلمة وهو أمر كائن ماضٍ وأما علي التأويل الأول فالاستعطف أي رب إنني سائل الآن ما كنت أعهد في الأيام الماضية مما أنسد به جوعتي من قليل أو كثير غث أو سمين فيكون دعاؤه هذا من باب التوسل بما سلف كقول زكريا عليه السلام : ﴿وَلَمْ أَكُ بِدُعَاؤِكَ رَبِّ شَقِيحًا﴾ [مريم : ٤] أي رب إنني سائل منك أن تنزل إلي الآن نوع طعام أي طعام كان من جنس ما أنزلته إلي في الزمان الماضي وأطعمتني فيه وعودتني به فمن حق الكريم أن لا يخيب من اطعمه قيل ذكر عليه السلام ذلك وأن خضرة البقل الذي كان أكله تترامى في بطنه من الهزال ما سأل الله إلا أكلة.

قوله : مستحبة متخففة يعني أن القرف وهو على استحياء في موضع الحال من فاعل تمثي والتخفر من الخفر بالتحريك وهو شدة الحياء يقال منه خفر بالكسر وجارية خفرة ومتخففة.

أو صفراء وهي التي تزوجها موسى) أي مستحبة فالتعبير بقوله على استحياه للمبالغة كأنها استعلت على الاستحياء والظاهر أنه من القلب إذ المراد استعلاء الحياء عليها لكن قصد المبالغة فجعل ذاتها مستحبة على الاستحياء قوله متخففة من الخفر بفتح الخاء المعجمة والفاء شدة الحياء كما يدل عليها قوله على استحياه وفي الكشف كبيرهما كانت تسمى صفراء والصغرى صغيراً والكبرى هي التي ذهبت به وتزوجها انتهى وفيه نوع مخالفة لما ذكره المص والأولى عدم تعيين من تزوجها لأنها مع أنها لم تذكر في النظم الجليل لا يتعلق به الغرض . (ليكافئك).

قوله : (جزاء سقيك لنا ولعل موسى عليه السلام إنما أجابها ليتبرك برؤية الشيخ ويستظهر بمعرفته لا طمعاً في الأجر بل روي أنه لما جاء قدم إليه طعاماً فامتنع عنه وقال إنا أهل بيت لا نبيع ديننا بالدينار) جزاء سقيك أي الأجر بمعنى الجزاء وما مصدرية لا موصولة ولا موصوفة لأن ما حيثنذ يكون عبارة عن الماء وهو مباح وأيضاً إن ما أعطي في بدله لا يسمى أجراً بل ثمناً ولعل موسى جواب إشكال بأن مثله لا يليق به الأجرة لأنه تبرع لا سيما في منصب موسى عليه السلام فأجاب أو لا يمنع كون ذلك أجراً وأيده بما روي الخ .

قوله : (حتى قال شعيب هذا عادتنا مع كل من ينزل بنا هذا وإن من فعل معروف وأهدى بشيء لم يحرم أخذه) هذه عادتنا الخ يعني ليس قصصنا المكافأة قوله وإن من فعل معروف الخ جواب آخر ظاهره تسليم كونه أجراً قوله وأهدى الخ يدفع كونه أجراً لكن لما كان في مقابلة عمله كان في صورة الأجر ولهذا كان هذا الجواب تسليمياً لكون إجابته عليه السلام طمعاً في الأجر لكن قوله فامتنع عنه وقالوا إنا أهل بيت لا يلائمه فالجواب الأول هو المعمول وفي الكشف أن طلب الأجر للضرورة غير منكر وهذا أيضاً لا يلائم الرواية

قوله : ولعل موسى إنما أجابها ليتبرك برؤية الشيخ هذا دفع لما عسى يتوهم أن أخذ الأجر على البر والمعروف غير صحيح لأنه أمر حسبي فكيف أجابها موسى بقوله له إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا وإجابتها مشعرة بأنه عليه السلام التزم أن يأخذ الأجر بما فعله حسبة فأجاب رحمه الله عن هذا التوهم بقوله ولعل موسى الخ قوله وأن من فعل معروف وأهدى بشيء لم يحرم أخذه تصحيح لقوله إطعام شعيب حين نزوله عنده بأنه غير محظور شرعاً وأنه لا يتنافى ما فعله لوجه الله وفي الكشف يجوز أن يكون قد فعل ذلك لوجه الله وعلى سبيل البر والمعروف وقيل إطعام شعيب وإحسانه لا على سبيل أخذ الأجر ولكن على سبيل التقبل لمعروف مبتدأ كيف وقد قص عليه قصصه وعرفه أنه من بيت النبوة من أولاد يعقوب ومثله حقيق بأن يضيف ويكرم خصوصاً في دار نبي من أنبياء الله وليس بمنكر أن يفعل ذلك لا اضطراب للفقر والفاقة طلباً للأجر وقد روي ما يعضد كلا القولين روي أنها لما قالت ليجزيك كره ذلك ولما قدم إليه الطعام امتنع وقال إنا أهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الأرض ذهباً ولا نأخذ على المعروف ثمناً قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا وعن عطاء بن السائب رفع صوته بدعائه لسمعهما فلذلك قيل له يجزيك أجر ما سقيت لنا أي جزاء سقيك إلى هنا كلامه وكلمة هذا في عبارة القاضي بعد نقل كلام شعيب عليه السلام هي المسماة بفصل الخطاب تدل على تمام الرواية عندها والشروع إلى كلام آخر .

المذكورة على أنه لا طلب هنا وإنما الكلام في قبوله بلا طلب فمراد صاحب الكشف أن طلب الأجر غير منكر فما ظنك في جواز القبول بلا طلب (يريد فرعون وقومه).

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْبَذْهُمَا يَتَّخِذُنَا خَيْرَ مِمَّا نَحْبُذُ ۚ قَالَتْ قَدْ تَبَرَّرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾

قوله: (يعني التي استدعته للرهي) يعني التي استدعته بالإضافة للعهد والقرينة قوله ﴿إِنْ خَيْرٌ مِنْ اسْتَأْجَرْتَ﴾ الخ لأن الإخبار بقوته وأمانته إنما هو للمستدعية أي قالت هذه الداعية لموسى إلى أبيها لأبيها يا أبت نادى بصيغة البعد مع قريبها منه لعد نفسها بعيد الكمال الحياء إذ فيه نوع تعريض بتزويجها إياه.

قوله: (تعلييل شائع يجري مجرى الدليل على أنه حقيق بالاستئجار) تعلييل شائع إذ الظاهر أن قولها: ﴿إِنْ خَيْرٌ مِنْ اسْتَأْجَرْتَ﴾ [القصص: ٢٦] الآية جواب عن سبب طلب الاستئجار فيكون بيان سببه وعلته الباعثة على طلب الاستئجار قوله شائع أي عام لمثل المقام لا يترك هذا التعلييل في مثله إذ لا يفيد الطلب ولا يقع موقع القبول بدون بيان سببه الموجب أو المصحح كما دل الاستقراء عليه لكنه هنا يجري الدليل لكون تعريف القوي الأمين للجنس كأنها قالت يا أبت استأجره فإنه حقيق بالاستئجار لأنه قوي أمين وكل من هذا شأنه فهو لائق بالاستئجار فهو حقيق به فهو أبلغ من القول استأجره فإنه هو القوي الأمين فإنه حيث لا يكون تعليلاً محضاً غير جار مجرى الدليل.

قوله: (وللمبالغة فيه جعل خير اسماً) وللمبالغة فيه أي في التعلييل الذي في قوة الدليل جعل خير اسماً أي لأن مع أن الظاهر أن يكون خيراً إذ المقصود بالإفادة كونه خيراً

قوله: تعلييل شائع أي قولها هذا كلام شائع جار مجرى المثل من حيث إن سياقه سياق الأمثال على ما في الكشف من أن قولها ﴿إِنْ خَيْرٌ مِنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ كلام حكيم جامع لا يزداد عليه لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان أعني الكفاية والأمانة في القائم بأمرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقد استعنت بإرسال هذا الكلام الذي سياقه سياق المثل والحكمة أن تقول استأجره لقوته وأمانته ومعنى التعلييل مستفاد من وقوعه في عرض الاستئثار كأنه قيل ما علة الأمر باستأجاره فقالت ﴿إِنْ خَيْرٌ مِنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾.

قوله: وللمبالغة فيه جعل خير اسماً أي وللمبالغة في التعلييل جعل خير اسم إن يعني أن الأصل أن يجعل القوي اسم إن وخير خبرها ليظهر أن كونه خير من استأجره لكونه قوياً أميناً من حيث إن ترتب الحكم على الوصف يشعر بعلية الوصف لكن خولف الأصل وعكس فجعل ما هو خير اسماً وما هو اسم خيراً ليفيد الكلام المبالغة بجعل خير علة لعلته لإشعاره بأن كونه قوياً أميناً معلل بكونه خير المستأجرين مع أن الأمر في نفس الأمر على العكس أو يكون وجه المبالغة ذكره من أول الأمر بكونه خير المستأجرين فيكون التقديم للعبارة بوصفه أولاً بالخير لكون تقديمه ادخل في تعلييل الأمر بالاستئجار قوله وذكر الفعل بلفظ الماضي للدلالة على أنه أمين مجرب معروف لايهامه أنه عليه السلام من جملة من استأجره أبوها فيما مضى وجربه وعرف قوته وأمانته بالتجربة.

من غيره من الغير القوي الأمين فالظاهر أن يقال إن القوي الأمين خير من استأجرت من الأجيرين لكنه عدل عنه للمبالغة فيه بتقديم خيريته للاهتمام بكونه خيراً تنبيهاً على أن خيريته منشأ لسائر الأوصاف الحميدة بناء على أن الحكم على المشتق يفيد عليه مأخذ الاشتقاق مع أن الواقع هنا العكس والظاهر أن فيه قلباً لأن فيه تضمناً اعتباراً لطيفاً.

قوله: (وذكر الفعل بلفظ الماضي للدلالة على أنه أمين مجرب معروف وروي أن شعبياً عليه السلام قال لها وما أعلمك بقوته وأمانته فذكر فذكرت إقلال الحجر وأنه صوب رأسه حين بلغته رسالته وأمرها بالمشي خلفه) وذكر الفعل بلفظ الماضي وإن كان المعنى على المستقبل مع أن الظاهر لفظ المستقبل لأنه لتحقيق وقوعه أي الاستئجار بسبب تحقق علته وهو القوة والأمانة ولذا قال للدلالة على أمين مجرب معروف وإلا فتحقق الأمانة لا يستلزم تحقق الاستئجار في الماضي ادعاء إقلال الحجر رفعه من رأس البشر وصوب رأسه أي خفها لئلا ينظر إليها وأمرها بالمشي خلفه لئلا ينظر إليها أيضاً والأول بيان قوته والثاني بيان أمانته والخير الواحد العدل يكفي في مثله وإن في الأول نصاب الشهادة تام في مثله.

قوله تعالى: قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ لِنَسْجُودَ لَكَ فَكَذَّبْتَ عَنْ آيَاتِنَا فَاحْنَأْ إِلَى الشَّيْءِ الَّذِي تَتَّبِعُ ۚ قَالَ إِنِّي لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٧﴾

قوله: (هاتين على أن تأجرني) على أن تأجر نفسك مني أو تكون لي أجيراً أو تنييني من أجرك الله تعالى) هاتين إشارة إلى ابنتيه أرسلهما إلى البشر قبل فيه إيماء إلى أنه كانت له بنات أخر غيرهما وقد نقل عن البقاعي أن له سبع بنات وهذا احتمال لا قطع فيه إذ الإشارة لا تقتضي أن له بنات أخر أن تأجر نفسك مفعوله الأول حذف لظهوره ومفعوله الثاني مني به على أنه يتعدى إلى المفعول بمن وينفسه وبهذا المعنى يتعدى إلى مفعول واحد أو تنييني فالمراد التعويض ولما كان هذا المعنى غير متعارف بينه بقوله من أجرك الله تعالى أي على ما فعلته أي أثابك الله تعالى فأنت مثاب مأجور ولا يحتتمل أجر هنا غير الإثابة وأجر من الثلاثي أخره إذ الأول هو المتعارف في مثل ما نحن فيه وإن كان المأل واحد.

قوله: (ظرف على الأولين ومفعول به على الثالث بإضمار مضاف أي رعية ثمانى حجج) بكسر الراء وحي المواشي والمراد هنا وحي الغنم.

قوله: أو تكون لي أجيراً فيكون من أجرته إذا كنت له أجيراً كقولك أبوته إذا كنت له أباً.
قوله: أو تنييني أي تعوضني فيكون من أجرته كذا إذا عوضته وأثبت إياه ومنه تعزية رسول الله ﷺ أجركم الله ورحمكم.

قوله: ظرف على الأولين ومفعول به على الثالث فالمعنى على الأولين على أن تأجر نفسك مني لو تكون أجيراً لي في ثمانى حجج وعلى الثالث على أن تعوضني وتنييني في بدل الإنكاح رعية ثمانى حجج أو خدعة ثمانى حجج الحجة مجاز عن السنة لوقوعها فيها فهو من باب ذكر الحال وإرادة المحل.

قوله : (عملت عشر حجج).

قوله : (فإتمامه من عندك تفضلاً لا من عندي الزاماً عليك وهذا استدعاء العقد لا نفسه فلعله جرى على أجره معينة وبمهر آخر أو برعية في الأجل الأول ووعد له أن يوفي الأخير أن تيسر له قبل العقد وكانت الأغنام للمزوجة) وهذا أي قول شعيب عليه السلام استدعاء العقد أي طلب العقد فالدعاء الطلب والسين للمبالغة فيه والمراد بالمقد الحاصل بالمصدر وهو ارتباط الأجزاء التصرف الشرعي بل الأجزاء المرتبطة نحو زوجت وتزوجت فهو خير لفظاً إنشاء معنى باعتبار الشارح فعلم أن العقد أي الإيجاب والقبول لا يتحقق بقول شعيب فقط بل يتحقق بانضمام قول موسى عليه السلام فالمعنى وهذا أي قول شعيب وقول موسى عليه السلام وإن قيل استدعاء العقد يكفي فيه قول شعيب عليه السلام فلا بد من هذا التأويل في قوله مع أنه يمكن اختلاف الشرائع في ذلك فلا إشكال بأن الإبهام في المرأة المزوجة غير صحيح وأيضاً غير صحيح النكاح على الخدمة ومنافع الحر خصوصاً مدتها غير معينة هنا وأيضاً الخدمة ليست لها بل لأبيها فكيف يصح مهرأ ومنشأ هذا الاستفسار فهم كون هذا القول عقداً فأجاب بأنه طلب العقد ووعد لا نفسه فاندفع الإشكال بالمرّة وعن هذا قال فلعله الخ قوله وبمهر آخر غير الخدمة ثم جوز كون المهر برعية الغنم في الأجل الأول وهو ثماني سنة ووعد حال أي والحال أن موسى عليه السلام قد وعد له وهذا جواب آخر لأن الزوج على الرعي جائز عند الشافعي وكذا عندنا كما يفهم من الهداية قيل وهذا مراد من قال إنه جائز بالإجماع لأنه من باب القيام بأمر الزوجية بخلاف سائر الخدمة فإن الزوج عليها غير صحيح بالاتفاق^(١) قوله وكانت الأغنام الخ من تنمة الثاني.

قوله : وهذا استدعاء العقد لا نفيه برفع نفسه عطفاً على استدعاء أي هذا الكلام وهو قول شعيب عليه السلام ﴿إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج﴾ استدعاء عقد النكاح من موسى عليه السلام لا عقد النكاح نفسه هذا جواب عن سؤال عسى يرد على ظاهر قوله : ﴿إني أريد أن أنكحك﴾ [القصص : ٢٧] الآية وتقرير السؤال أنه كيف يصح أن يتكحه إحدى ابنتيه من غير تمييز وإنكاح امرأة غير معينة لا يجوز فأجاب رحمه الله عنه بأن قوله هذا ما كان عقداً للنكاح ولكنه استدعاء عقد من موسى عليه السلام ومواعدة أمر قد عزم عليه ولو كان غرضه من هذا الكلام العقد لقال قد أنكحتك بنتي هذه ولم يقل أريد أن أنكحك.

قوله : فلعله جرى على معينة وبمهر آخر أو برعية الأجل الأول الخ أي ولعل العقد جرى بعد ذلك المواعدة على بنت معينة من بنتيه وبمهر آخر غير الرعية وإن كانت البنت غير معينة والمعوود الرعية عند المواعدة فصح العقد لوقوعه على بنت معينة من بنتيه وبمهر مقدور التسليم وهذا التأويل تصحيح للعقد موافقاً لما ذهب إليه أبو حنيفة والشافعي ورحمهما الله وأما قوله أو برعية الأجل الأول الخ تصحيح للعقد على مذهب الشافعي فقط لأن أبا حنيفة رحمه الله يمنع أن يتزوج رجل امرأة على أن يخدمها سنة وجوز أن يخدمها عقد سنة أو يسكنها داره سنة لأنه في

(١) هذا إن أريد العقد نفسه والصحيح وعد ومواعدة والعقد بعد تمام مدة الأجل.

قوله: (مع أنه يمكن اختلاف الشرائع في ذلك) هذا مشكل لأن قوله أريد بأبي عنه ويؤيد الوجه الأول إلا أن يقال هذا بناء على أن الإرادة مع الفعل وأيضاً المقود الشرعية بالألفاظ الماضية إلا أن يقال إن صاحب معراج الدراية نقل عن الشيخ حميد الدين أنه قال يصح الاعتقاد بالماضي والمستقبل بأن يقول الرجل إلى المرأة إني أتزوجك فنقول المرأة زوجت نفسي منك يصح النكاح فلا تغفل ولك أن تقول إن صحة العقد بقوله أريد أن أنكحك من قبيل اختلاف الشرائع.

قوله: (وما أريد أن أشق عليك) وهذا أبلى من قوله وما أشق عليك.

قوله: (بالزمام إتمام العشرة أو المناقشة في مراعاة الأوقات واستيفاء الأعمال) بالزمام إتمام العشرة فعلى هذا يكون كالتأكيد لقوله فإن أتممت عشراً فمن عندك قوله أو المناقشة الخ وهذا هو الأولى بالاعتبار إلا أنه أخره لبعده عن نبي الله تعالى فلا حاجة إلى النفي.

قوله: (واشتقاق المشقة من الشق فإن ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك في إطاقته ورأيك في مزاولته) واشتقاق المشقة التي هي مصدر أشق من الشق بفتح الشين وهو فصل الشيء إلى الشقين والأمرين قوله فإن ما يصعب الخ بيان المناسبة بينهما قوله اعتقادك

الأول مسلم نفسه ونفسه ليست بمال وفي الثاني مسلم مالا وهو العبد والدار وأما الشافعي رحمه الله فقد جوز التزوج على الإجارة لبعض الأعمال والخدمة إذا كان المستأجر له أو المخدوم فيه أمراً معلوماً.

قوله: وكانت الأغنام للزوجة وهذا من شرائط صحة عقد النكاح لأن رعية الأغنام لا يجوز أن تقع مهرباً إلا إذا كانت الأغنام للبيت التي زوجها شعيب من موسى عليهما السلام لا لشعيب لأن خدمة غير المزوجة لا يجوز أن تقع مهرباً لها.

قوله: مع أنه يمكن اختلاف الشرائع في ذلك أي في حكم النكاح لما كان قوله أريد أن أنكحك ابتني هاتين على أن تأجرني ثمانى حجيج مظنة سؤلين أحدهما أنه يومه جواز نكاح امرأة غير معينة وهو غير جائز في شريعتنا والثاني أنه لا يجوز عقد النكاح بالإجارة على الخدمة فضلاً عن خدمة غير المزوجة فأجاب رحمه الله عن هذين السؤالين بجوابين الجواب الأول جواب منعي وهو قوله وهذا استدعاء العقد لا نفسه وقوله ويمهر آخر وقوله أو برعية الأجل الأول وكانت الأغنام للمزوجة والجواب الثاني جواب تسليمي وهو قوله مع أنه يمكن إلى آخر قوله أو المناقشة في مراعاة الأوقات واستيفاء الأعمال والمعنى فما أريد أن أشق عليك فيما استأجرتك له من رعية الغنم ولا أفعل معك ما يفعله المعاشرون من المناقشة في مراعاة الأوقات والدافعة في استيفاء الأعمال وتكليف الرعاة اشغلاً خارجة الشرط وهذا كان الأنبياء عليهم السلام أخذين بالأسمع في معاملات الناس.

قوله: بالزمام إتمام العشر أي بالزمام أتم الأجلين وإيجابه عليك قوله فإن ما يصعب عليك يشق اعتقادك أي يجعل اعتقادك شقين تقول تارة أطيقه وتارة لا أطيقه ويشق رأيك في مزاولته بأن يجعلك متردداً بين أن تفعل وأن لا تفعل.

مفعول يشق أي الأمر الصعب يشق الاعتقاد إلى شقين إطاقته وعدم إطاقته وكذا يشق الرأي إلى شقين أي العزالة وعدم مزاولته والمزاولة المباشرة.

قوله: ﴿مستجديني إن شاء الله من الصالحين﴾ [القصص: ٢٧] في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالمعاهدة) إن شاء الله للترك فإن صلاحه مجزوم فلا يكون للتعليل والمراد اتكاله على الله تعالى وتوفيقه فيه.

قوله تعالى: قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتَ فَلَا عُدْوَةَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا

نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

قوله: (أي ذلك الذي عاهدتني فيه قائم بيننا لا نخرج عنه) الذي عاهدتني فيه هذا بناء على أن موسى عليه السلام قبل ما قاله شعيب عليه السلام إذ العهد من الطرفين ولذا لم يقل وعدتني قوله قائم بيننا إشارة إلى أن بين متعلق به وتقدير الفعل الخاص عند قيام القرينة لا يضر كون الظرف مستقراً قوله بيننا حاصل المعنى وإنما لم يجرى في النظم هكذا للالتباس قوله لا نخرج عنه بيان القيام وأنه مجاز فيه أي لا تزيد عليه ولا تنقص فيه الخير عن عدم زيادته بناء على حسن الظن به ولما أسند القيام إلى الأمر ينبغي أن يقال لا يخرج عنا لكن ما ذكره المص لازم له وإنما اختار القيام ليفيد الكلام إذ حصوله مثلاً معلوم مما سبق.

قوله: (أطولهما أو أقصرهما) أي من حيث الاكتفاء به فلا يقال قضاء الأطول مستلزم لقضاء الأقصر وصيغة التفضيل فيهما بمعنى أصل الفعل أي طوليلهما أو قصيرهما.

قوله: (وفيتك إياه) وفيتك من التوفية وحاصله أتممت لأن القضاء في الأصل إتمام الشيء قولاً أو فعلاً.

قوله: لا نخرج عنه بالتون على الحكاية على صيغة المبني للفاعل أو بالياء على صيغة المبني للمفعول فلفظ ذلك إشارة إلى ما عاهده عليه شعيب يريد ذلك الذي قلته وعاهدتني عليه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعاً لا يخرج كلانا عنه لا أنا عما شرطت علي ولا أنت عما شرطتني على نفسك.

قوله: فكما لا أطالب بالزيادة على العشر لا أطالب بالزيادة على الثمان هذا إشارة إلى جواب سؤال عسى يرد على ظاهر قوله: ﴿أَيُّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ بأن العدوان لا يتصور إلا في أحد الأجلين الذي هو الأقصر وهو المطالبة بالتشميم إلى العشر فما معنى تعليل العدوان بالأجلين جميعاً وحاصل الجواب أن معنى كلامه هذا أنني إن طوليت بالزيادة على العشر كان عدواناً علي لا شك فيه فكذلك إن طوليت بالزيادة على الثماني يريد به تأكيد أمر الخيار وتقريره وأنه ثابت مستقر وأن الأجلين على السواء إما هذا وإما ذلك من غير تفاوت بينهما في القضاء وإما تشميم الأقصر منهما فمؤكد إلى رأيي إن شئت أنيت بها وإلا لم أجبر عليها وهذا أي تأكيد أمر الخيار في القضاء هو المراد بالأبلغية في قوله رحمه الله وهو أبلغ في الثبات الخيرة في تساوي الأجلين في القضاء من أن يقال إن قضيت الأقصر فلا عدوان علي.

قوله: (لا يعتدي علي بطلب الزيادة فكما لا أطالب بالزيادة على العشر لا أطالب بالزيادة على الثمان) لا يعتدي على خير في معنى الإنشاء وهذا حاصل المعنى إذ نفي جنس العدوان مآله ما ذكره قوله بطلب الزيادة أي على الثمان إذ لا احتمال لطلب الزيادة على العشر وفي كلام المص إشارة إليه كلمة علي متعلقة بمحذوف أي لا اعتداء ثابت علي فقوله لا يعتدي علي بيان حاصل المعنى.

قوله: (أو فلا أكون معتدياً بترك الزيادة عليه كقولك لا إثم عليك) أو فلا أكون معتدياً الخ أي لا يصح الحكم علي بالاعتداء حيثل العدوان الظلم كالاعتداء والتعدي وحاصله لا إثم علي ولذا قال كقولك لا إثم عليك والفرق أن في الأول الاعتداء بالنظر إلى الغير وفي الثاني بالنسبة إلى المتكلم.

قوله: (وهو أبلغ في إثبات الخيرة وتساوي الأجلين في القضاء من أن يقال إن قضيت الأقصر فلا عدوان علي وقرىء أيما) وهو أبلغ لكونه إثباتاً له بالبينه كما قال فكما لا أطالب الخ والتنصيص على الأجلين وإن فهم ذلك من القول المذكور.

قوله: (كقوله:

تنظرت نصراً والسماكين أيما علي من الغيث استهلّت مواطره
وأي الأجلين ما قضيت فتكون ما مزيدة لتأكيد الفعل) كقوله أي الفرزدق يمدح نصراً بالجد تنظرت أي انتظرت والسماكين كوكبان أحدهما أعزل والآخر رامح وهما من الأنواء التي ينسب المشرق المطر إليها واستهلّت أي انصبت والمواطر جمع ماطرة وهي السحابة أي أنه انتظر الممدوح وجوده واحد الأنواء الماطرة ولم يفرق بينهما وهذا تشبيه بليغ على نهج تجاهل العارف كذا قبل وأيما مخفف لضرورة الشعر والقراءة في النظم من الشواذ لأنه منقول عن الحسن رحمه الله.

قوله: (أي أي الأجلين جردت عزمي لقضائه وقرىء عدوان بالكسر) جردت عزمي

قوله: كقوله أي كقول الفرزدق تنظرت أي انتظرت ونصر اسم الممدوح والسماكان نجمان الأعزل وهو الذي لا كوكب بين يديه والرامح هو الذي بين يديه كوكب يقدمه يقولون هو رحمه ولذا سمي بالرامح وهو ليس من منازل القمر والاستهلال الانصباب يقال هال السحاب واستهل إذا انصب انصباباً شديداً وأيهما يسكون الياء الواحدة تخفيف أيهما بالتشديد فسكن الياء لضرورة وزن الشعر ومن في من الغيث للبيان والمواطر جمع ماطرة أي سحابة ماطرة المعنى انتصرت نصراً ونوء السماكين أيهما انصبت مواطره علي من الغيث لأنني لم أفرق بين النصر وبين السماكين في الجود.

قوله: فيكون ما مزيدة لتأكيد الفعل يريد بيان الفرق بين ما المزيدة في أيما في القراءة المشهورة وبين ما المزيدة قبل قضيت في القراءة الشاذة وهو أن ما في القراءة الشاذة لتأكيد القضاء وفي القراءة المشهورة لتأكيد إيهام أي فرجع إلى تأكيد المفعول كما أن في ما في الشاذة لتأكيد الفعل ولما كان قائدة زيادتها في المشهورة ظاهرة لم يتعرض لبيانها.

استعارة مكنية وتخيلية حيث شبه العزم في النفس بالسيف في القطع المطلق وأثبت له التجريد الذي من ملائمتات المشبه به.

قوله: (والله على ما نقول) صيغة الماضي إما لحكاية الحال الماضية أو للاستمرار (من المشاركة).

قوله: (شاهد حفيظ) هذا لتعديته بعلى لتضمنه معنى شاهد قوله حفيظ بيان معنى شاهد وفي سورة يوسف في قوله تعالى: ﴿وَاللهَ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [يوسف: ٦٦] فسر به بقوله رقيب مطلع فالشاهد من الشهود وحاصله راجع إلى العلم والوكيل إما بمعنى المتكفل بأمور العباد أو الموكل إليه لاعتماده على إحسانه وهنا هو مراد أيضاً كما هو مقتضى التضمنين.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَصُورَةٍ فَرِيقٌ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ (١٦)

قوله: (فلما قضى) أي أتم الفاء فصيحة أي جرى العقد بينهما أي عقد النكاح وعقد الإجارة وياشر موسى عليه السلام ما التزمه وأتم الأجل فلما قضى الأجل وأتمه وسار بأهله أتى بالواو لأن السير لم يتحقق عقيب الإتمام بل بعد مكثه عشر سنين كما سيجيء بأهله الباء للتعدي ويلزم منه سيره عليه السلام أيضاً لما أن في الباء من معنى الاستصحاب إذا قلت ذهبت بزبد يكون معناه أذهبت زبداً وذهبت أيضاً بخلاف أذهبت زبداً فإنه لا يقتضي ذهاب المتكلم وكذا سارا وللملاسة أي سار عليه السلام مصاحباً بأهله.

قوله: (بأمراته روي أنه قضى أقصى الأجلين ومكث بعد ذلك عنده عشراً آخر ثم عزم على الرجوع) بأمراته فسر به لأنها يكتنى عنها بالأهل عند قيام قرينة وأما الأهل في قوله تعالى في قصة لوط ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ أقاربه وأتباعه معن آمن به فهو يطلق على الواحد^(١)

قوله: شاهد حفيظ الوكيل الذي وكل إليه الأمر ولما ضمن معنى الشاهد والمهيمن عدي بعلى وإلا فالأصل أن يعدي بكلمة إلى فلما استعمل بعلى فسر به رحمه الله بالشاهد والحفيظ.

قوله: باتت حواطب ليلى البيت الحواطب الجوازي اللاتي يطالبن الحطب والجزل الحطب اليابس العظيم والجدي جمع جذوة والخوار الضعيف من الخور يقال رمح خوار ورجل خوار والدعر بالذال والعين المهملتين مصدر دعر دعراً وهو عود دعر أي ردي كثير الدخان هذا البيت للاستشهاد على استعمال الجذوة في العود الذي ليس في رأسه نار والبيت الثاني وهو قوله والقي على قيس الخ استشهاد على استعمالها في العود الذي في رأسه نار ومعنى هذا البيت ظاهر والضمير في عليها للجذوة وفي حرها وانهائها للنار الجذوة القيسة من النار والمراد بها نار النعمة ووصفها بقوله شديداً حرها وانهائها لأنها هيجت نار العداوة والفتنة بين القوم.

كناية وعلى الجماعة والمعنى وسار في الليل الخ ويؤيده قوله تعالى: ﴿آتس من جانب الطور﴾ [القصص: ٢٩] الآية.

قوله: (أبصر من الجهة التي تلي الطور) أبصر إبصاراً لا شبهة فيه ولذا اختاره على أبصر وقيل الإبتاس إبصار ما يؤنس به لم يتعرض له هنا لأن التخصيص خلاف الظاهر.

قوله: (بخبر الطريق) أشار إلى أنه أضل الطريق^(١) وكانت ليلة الجمعة وتفرقت ماشيته.

قوله: (عود غليظ سواء كانت في رأسه ناراً ولم تكن قال كثير:

بانت حواطب ليلي يلتصقن لها جزل الجذى غير خوار ولا دصر)

الحواطب جمع حاطبة وهي الجارية التي تجمع الحطب قوله يلتصقن لها أي يطلبن لها قوله جزل بجيم وزاي معجمة هو الحطب اليابس والجذى بكسر الجيم جمع جذوة الخوار الضعيف الهش والدعر بفتح الدال المهملة وكسر العين المهملة الردي الكثير الدخان والحواطب إما أن يراد بها الخدمة فظاهر وإما أن يراد بها التمامات فالمراد لا يجدن لها مساوي كما في الكشف.

قوله:

(وألقي على قيس من النار جذوة شديداً عليها حرها والتهابها)

وقيس اسم قبيلة من النار جذوة وهو استعارة لما لحقها من الفتنة التي كأنها نار متوقدة.

قوله: (ولذلك بينه بقوله ﴿من النار﴾ [القصص: ٢٩]) فيه مبالغة لأن الجذوة ليست عين النار (وقرأ عاصم بالفتح وحزمة بالضم وكلها لغات).

قوله: (تستدثنون بها) فيه إشارة إلى أنه أصابهم برد شديد قال في سورة طه ولد له ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة والترجي لأن إثبات الجذوة بناء على الرجاء أو يعرض عارض يمنع الاصطلاء.

قوله: (ولذلك بينه بقوله من النار أي ولأجل احتمال الجذوة في مطلق معنى العود من غير تخصيص لها بما هو في رأسه نار بينه بقوله من النار ولو كانت موضوعة لعود فيه نار لما احتاج إلى هذا البيان.

قوله: (وكلها لغات أي فتح الجيم وضمها وكسرها لغات في الجذوة وقرئ بهن جميعاً).

قوله: (تستدثنون بها من الدفء وهو السخونة يقال دفى الرجل دفاءً من باب علم يعلم والاسم الدفء بالكسر وهو الشيء الذي يدفئك وتدفاً هو بالثوب واستدفاً به وادفاً به أي ليس ما يدفته.

(١) أو المراد بالطريق المستقيم كما أشار إليه في سورة طه.

قوله تعالى: **فَلَمَّا أَتَتْهَا مُرْدِعٌ مِنْ شُعْبٍ الْوَاحِدِ فِي الْبَقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَسْمُوعَ إِلَيْتِ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾**

قوله: ﴿فلما أتتها﴾ الفاء فصيحة أي فصل موسى عن أهله وأناها ﴿فلما أتتها﴾ أي أتى المكان قريب من النار التي أبصرها فهو مجاز في الإيقاع.

قوله: ﴿أثناء النداء من الشاطيء الأيمن لموسى﴾ أثناء النداء الخ أي وصله إليه عليه السلام أوله تنبيهاً على أن النداء ليس ابتداءً من الشاطيء بل إتيانه منه وجهه يعلم بالتأمل قوله من الشاطيء الأيمن أي الأيمن صفة للشاطيء لا الوادي كما يوهمه قرينه لأن المراد بالأيمن يمين موسى والواقع فيه الشاطيء قبل مسموعه كلام لفظي مخلوق في الشجرة وفي كلام المص في سورة طه حيث قال وهو ملقى من ربه كلامه تلقفاً روحانياً الخ إشارة إليه وقد أوضحناه هناك.

قوله: (متصل بالشاطيء أو صلة نودي) أي حال منه لا صفة وصفت بالمباركة لكونها مبعث الأنبياء عليهم السلام قد مر بيانه في سورة النمل قوله أو صلة لنودي ولا يلزم من كون النداء في البقعة المباركة كون العنادى فيها إذ يكفي في صحة الظرفية كون النداء فيها كقولك رميت الصيد في الحرم إذا كنت خارجه والصيد فيه قاله في أوائل سورة الأنعام ولكونه نوع تكلف آخره.

قوله: (بدل من الشاطيء بدل الاشتمال لأنها كانت نابتة على الشاطيء) أي بتقدير الضمير أي من الشجرة فيه لكن أعيد الجار لكون البدل على إعادة العامل ولتعيين المبدل منه قيل بدل بدون تنوين مضاف إلى من شاطيء على أن مجموع الجار والمجرور بدل من مجموع الجار والمجرور وهو تكلف إذ الظاهر أن البدل هو المجرور وحده لكونه اسماً والجار حرف لا حظ له من الإعراب ويؤيده قوله لأنها نابتة فإنه مسوق لبيان كونه بدل اشتمال وهو المجرور وحده فيكون المبدل منه مشتقاً على البدل ومن في شاطيء ابتدائية متعلق بنودي وهو الظاهر وجعله حالاً من ضمير نودي الراجع إلى موسى عليه السلام

قوله: أثناء النداء من الشاطيء الأيمن لموسى شاطيء الوادي شطه وجانبه.

قوله: متصل بالشاطيء على أنه صفة له أي من شاطيء الوادي الكائن في البقعة المباركة أو على أنه حال منه أي كائناً في البقعة قوله بدل من شاطيء بدل الاشتمال أي هي بدل منه بإعادة الجار بدل الاشتمال لأن الشاطيء يشتمل عليه من حيث إنه محل لها ونظيره في كونه بدل الاشتمال بإعادة الجار قوله تعالى: ﴿لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم﴾ [الزخرف: ٣٣] فإن لبيوتهم بدل من قوله: ﴿للمن يكفر بالرحمن﴾ [الزخرف: ٣٣] بدل الاشتمال بإعادة الجار.

قوله: هذا وإن خالف ما في طه والنمل لفظاً فهو طبقة في المقصود قال في طه: ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني﴾ [طه: ١٤] وفي سورة النمل: ﴿إنه أنا الله العزيز الحكيم﴾ [النمل: ٩] وقال هنا: ﴿إنني أنا الله رب العالمين﴾ [القصص: ٣٠] وكونه طبقة في المقصود أنه مثبت للتوحيد كما أن ما في السورتين كذلك.

وكون من بمعنى في تعسف ولم يلتفت إلى كونه متعلقاً بالبقعة المباركة على أن ابتداء بركتها من الشجرة لأنه خلاف ما ثبت من أن بركتها لكونها مبعث الأنبياء عليهم السلام كما صرح به في سورة النمل قوله نابتة بالنون من النبات وقيل إنه بالمثلثة أيضاً.

قوله: (أي يا موسى) أشار إلى أن إن تفسيرية ماله أي التفسيرية ولم يتعرض باقي الاحتمال من كونه مخففة من الثقلة لظهور الأول.

قوله: (هذا وإن خالف ما في طه والنمل لفظاً فهو طبقه في المقصود) وإن خالف أي في بعض^(١) ألفاظه وزيادته ونقصاته للاقتصار والحكاية بالمعنى وذهب الإمام إلى أنه حكى في كل من هذه السورة بعض ما اشتمل عليه النداء انتهى والمص خالفه حيث أومى أنه طبقه في المقصود لكن المطابقة غير ظاهرة إلا بتكلف عظيم لأن ما في سورة طه ﴿نودي أني أنا ربك فأخلع نعليك﴾ [طه: ١١، ١٢] الآية وما في النمل نودي أن بورك من في النار ومن حولها وما قاله الإمام أقرب إلى الفهم.

قوله تعالى: **وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَّى يُعْطِبُ يُنْمُو**
أَقْبَلُ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣١﴾

قوله: ﴿وأن ألق عصاك﴾ [القصص: ٣١] عطف على أن يا موسى لأنه إنشاء أيضاً وأن تفسيرية أو مخففة من الثقلة ويجوز كونها هنا مصدرية.

قوله: (أي فألقها فصارت ثعباناً واهتزت فلما رآها تهتز) أي فألقها أشار إلى أن الغاء في فلما رآها فصيحة والمحذوف فألقها ولظهور إجابة الأمر لم يذكر قوله فصارت ثعبان بدلاً فإذا هي حية تسعى المذكور في سورة طه وإنما اختار ثعبان لقوله كأنها جان إذ تشبه الحية المطلقة بالجان لا يحسن بل لا يصح لكن هذا على قوله في السرعة وأما على قوله في الهيئة سيأتي بيانه واهتزت أي اضطربت اضطراباً شديداً إذ الهز التحريك الشديد والاهتمزاز التحريك الشديد والضمائر للعصا باعتبار أصلها ويؤيد أن قلب العصا حية بإبدال صورة العصا بصورة الحية مع بقاء الجواهر الفردة قد مر توضيحه في سورة النمل.

قوله: (في الهيئة والجنة أو في السرعة) فحينئذ يكون التشبيه في النوعية مثل هذا القميص مثل ذلك القميص في كونه كرياساً أو ثوباً أو من القطن كما في المطول فيكون

قوله: أي فألقها فصارت ثعباناً واهتز فلما رآها تهتز كأنها يريد أن الغاء في فلما رآها فاء فصيحة لاقصاحه بالمحذوفات المذكورة لأن رؤيتها مهتزة لم يكن عقيب الأمر بالغاء العصا بلا مهلة بل إنما رآها كذلك بعد الغاء العصا وصيرورتها ثعباناً تهتز اهتزازاً.

قوله: في الهيئة والجنة أو في السرعة يريد أن وجه الشبه في تشبيه العصا المنقلبة حية بالجان يجوز أن يكون الهيئة والجنة أو سرعة المشي والحركة.

(١) وقد جمعنا بين قول الإمام وبين قول المص بقولنا في بعض ألفاظه وزيادته ونقصاته.

المراد الجان حقيقة والجان المنقلب من العصا مشبهاً بالجان في كونه جاناً إذ قد يكون وجه الشبه غير خارج عن حقيقة المشبه والمشبّه به بل داخل فيهما كما مر فحينئذ لا يكون ملائماً فصارت ثعباناً بل الملائم له أو في السرعة كأنه أشار إلى الوجهين بطريق الاحتباك لأن المص بين في طه قيل إنها لما ألقاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت فلذلك سماها جاناً تارة نظراً إلى المبدأ وثعباناً مرة باعتبار المنتهى فلا يناسب القول بأن الجان يطلق على ما غلظ وعظم في توجيه كلام المص وقيل فيه قوله في الهيئة والجنة أي في أول وقت الإلقاء الخ وطريق الاحتباك أحسن^(١) التوجيهات.

قوله: (منهزماً من الخوف) هذا التعبير ليس بمناسب أي بعد منها لعروض الخوف بحسب البشرية.

قوله: (ولم يعقب ولم يرجع) ولم يعقب أي ولم يرجع من عقب المقاتل إذا كر بعد الفرار نودي يا موسى.

قوله: (أقبل) أي قبل له أقبل إليها فخذها سعيدها سيرتها الأولى ولا تخف أي ولا تكن على حال تؤدي إلى الخوف إنك من الآمنين تعليل لما يتضمنه النهي أي الخوف من المخاوف غير لائق بك لأنك من جملة الآمنين المعهودين بالأمن والأمان.

قوله: (من المخوف فإنه لا يخاف لدي المرسلون) قد مر توضيحه في سورة النمل وحاصله أن إثبات الخوف له عليه السلام من قبيل الاستعارة التمثيلية لأن قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَخَافُ لَدِي الْمُرْسَلِينَ﴾ [النمل: ١٠] خبر فاللفظ الدال على خوف المرسلين لا بد له من تأويل وقد أشار إليه المص في النمل وأوضحناه بما يناسب المقام بعون الله الملك العلام قوله فإنه لا يخاف الخ اقتباس لطيف بتغيير بئر.

قوله تعالى: أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ فَخَرَّجَ يَدًا مِّنْ غَيْرِ سُوِّ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِمَّنْ أَرْسَلْتَ فَذَلِكَ مِمَّنْ لَّدِيكَ فَرْغَوْتَ وَمَا لِي بِهِمْ كَانُوا قَوْمًا فَتُفْسِقُونَ ﴿٣٢﴾

قوله: (أدخلها) أشار إلى أن أسلك من السلك المتعدي قوله في جيبك لأنه كان له مدرعة صوف لا كم له المدرعة لباس لا أكمام له والجيب مدخل الرأس من القميص وهو الكريان.

قوله: نودي يا موسى يعني قوله: ﴿يا موسى﴾ [القصص: ٣٠] مقدر بمعنى القول فالتقدير نودي يا موسى أو قيل يا موسى والأنسب أن يقدر بالفاء على معنى ولى فتودي لأن المقام يقتضي الترتيب.

(١) لأن القول الأول يخالف ما صرح به المص وغيره والثاني ضعيف إذ أول وقت الالتقاء ليست ثعباناً بل جان كما قاله المص.

قوله: (تخرج بيضاء) أي أدخلها فدخلت ثم أخرجها فخرجت فقيه صنعة الاحتباك قد فصلت في النمل.

قوله: (عيب) سواء كان برضا أو بهقا قال في طه كنى به عن البرص وهنا في النمل أشار إلى التعميم من الآفة التي يستفذر منه وهذا من قبيل الاحتراس والتكميل ولبعض الناظرين مناقشة في إرادة البرص ونحوه ذكرت في النمل مع جوابها.

قوله: (يديك المبسوطتين) فيه تنبيه على أنهما شبهتا بالجناحين في البسط إلى الجانبين والاستظهار بهما فذكر لفظ المشبه به وأريد المشبه والجناح اسم جنس كاليد يتناول الاثنين لأنهما مجموع الجنس هنا فلا إشكال بأن الجنس لا يراد به الاثنان لأنه فيما كان له أفراد فوق الاثنين قوله المبسوطتين إشارة إلى وجه الشبه كما أشرنا إليه لأن حال القسم لا يناسب المقام ولا يوافق الكلام.

قوله: (تنقي بهما الحية كالخائف الفزع) حال من ضمير يديك مبين لبسط اليد المأمور بترك البسط بضم قوله كالخائف الفزع.

قوله: (بإدخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس أو بإدخالهما في الجيب) بإدخال اليمنى الخ متعلق بقوله واضمم وبين لطريق القسم ولعله رواية وإلا فلا استفاد بخصوصه

قوله: يديك المبسوطتين تنقي بهما الحية فسر رحمه الله قوله تعالى: ﴿واضمم إليك جناحك من الرهب﴾ [القصص: ٣٢] على وجهين الوجه الأول أن موسى عليه السلام لما قلب الله العصا حية فزع واضطرب فاتفقا يده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له إن اتفأك يديك فيه ذلك ومهانة عند الأعداء فإذا القيتها فكما تنقلب حية أدخل يدك تحت عضدك مكان اتفأك بها ثم أخرجها ليحصل لك الأمران المطلوبان اجتناب ما هو ذل عليك عند الأعداء وإظهار معجزة أخرى أو المراد بالجناح اليد تشبيهاً لليد بالجناح لأن يدي الإنسان بمنزلة جناحي الطائر وإذا أدخل يده اليمنى تحت عضده اليسرى فقد ضم جناحه إليه فلذا فسر الجناح باليد فعلى هذا الوجه يكون قوله: ﴿واضمم إليك جناحك﴾ [القصص: ٣٢] تكريراً للمعنى قوله: ﴿اسلك يدك في جيبك﴾ [القصص: ٣٢] ليحصل من ذكره ثانياً فرض آخر غير الغرض الحاصل من الأول فإن الغرض من الأول خروج اليد البيضاء ومن الثاني إخفاء الرعب واختلاف العبارتين مع أن المعنى واحد لاختلاف الغرضين والوجه الثاني أن يراد بالضم التجلد أي التصير والثبات وضبط النفس والتشدد عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لأنه إذا خاف نشر جناحيه وارتخاهما وإلا شمههما إليه وشمرهما فيكون قوله: ﴿واضمم إليك جناحك﴾ على هذا الوجه من المجاز المستعار على التمثيل والحاصل أنه في الأصل مستعار من فعل الطائر عند الأمن بعد الخوف ثم كثر استعماله في التجلد وضبط النفس حتى صار مثلاً فيه وكناية عنه فهو على هذا الوجه الثاني يكون تنبيهاً لمعنى أنك من الأمنين فقله: ﴿اسلك يدك في جيبك﴾ [القصص: ٣٢] مجرى على حقيقته في الوجهين جميعاً وأما قوله: ﴿واضمم إليك جناحك﴾ [القصص: ٣٢] على الوجه الثاني فمجاز مستعار على التمثيل في الأصل ثم استعمل على وجه الكناية في معنى التصير ولفظ الجناح وحده مجاز مستعار لليد في الوجه الأول وبقي الألفاظ على حقيقتها.

من النظم الكريم وعن هذا قال أو بإدخالهما في الجيب ولا يبعد أن يكون المراد الضم إلى جانبه الأيمن والأيسر إذ لا فرق في إظهار الجلادة والجرأة وإضافة الضم إليه مع أنه في بعض أعضائه للإشارة إلى أن الضم إلى أي محل يمكن الضم إليه كاف فيكون الإضافة إلى الكل مجازاً عقلياً.

قوله: (فيكون تكريراً لغرض آخر) أي بحسب الظاهر وإلا فلا تكرار بالنظر إلى الغرض لأن غرض التكرير يخالف الغرض الأول كما بينه ثم التكرير بناء على أن المراد في الموضعين اليدان وقد صرح الفاضل المحشي بأن المراد في الأول الواحدة فحينئذ لا تكرار ولو بحسب الظاهر والمتيار من بيان المص ثنتان في الموضعين إذ اليد كما عرفت اسم جنس يتناول الاثنين لكونهما مجموع الجنس فحينئذ العدول إلى الظاهر في مقام المضمر إما لكمال الثقرر في الذهن أو للتعبير بالجناح وقد غفل من قال إنه لا وجه للعدول عن المضمر إلى الظاهر.

قوله: (وهو أن يكون ذلك في وجه العدو وإظهار جرأة ومبدأ لظهور معجزة) في وجه العدو حال مقدرة^(١) من اسم يكون قوله وإظهار جرأة خبره لأن هذا ليس في وجه العدو بل في طور سيناء وهذا أولى من أن يكون خبره وإظهاراً مفعول له وإن صح لأن أن يكون للاستقبال قوله ومبدأ لظهور معجزة وهي خروج اليد بيضاء والاحتمال الأول هو القوي المعول.

قوله: (ويجوز أن يكون المراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة من حال الطائر فإنه إذا خاف نشر جناحيه وإذا أمن واطمأن ضمهما إليه) ويجوز أن يكون المراد الخ يعني لا ضم اليدين إلى نفسه الشريف بل المراد بذلك التجلد أي إظهار الجلادة والثبات الخ فيكون استعارة تمثيلية شبه الهيئة المأخوذة من جلادته عليه السلام عند ظهور مثل هذه الأمور العجيبة وضبط نفسه عن الاضطراب بالهيئة المنتزعة من الطير وضم جناحيه عند أمنه عن المخاوف فذكر اللفظ الدال على المشبه به وأريد المشبه وهذا جيد لكن يغوت المبالغة في إظهار الجلادة حيث لا يعلم ما يدل عليه وهو ضم اليدين لعدم المبالاة فإذا لم يعلم ما يدل عليه لم يعلم الجلادة يقيناً إذ مجرد الثبات لا يدل عليها على الثبات وعن هذا ضعفه فقال ويجوز الخ.

قوله: (من أجل الرهب أي إذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلداً وضبطاً لنفسك وقرأ ابن عامر وحمره والكسائي وأبو بكر بضم الراء وسكون الهاء وقرىء بضمهما وقرأ حفص بالفتح والسكون والكل لغات) من أجل الرهب إشارة إلى أن من تعليلية من فروع معنى

(١) هذا الإدخال الأول حين قلب العصا حية والثاني لتخرج يده بيضاء لإيداء معجزة والتقديم لأن الأول وإن كان مقدماً لكنه مؤخر من جهة كون الإدخال الثاني معجزاً فيناسب ذكره عقب ذكر قلب العصا حية مع أن الواو لا يقتضي الترتيب.

الابتداء إذ علة الشيء مبدأه قوله^(١) إذا عراك أي عرض الخوف أي الخوف المعهود الحاصل من انقلاب العصا حية أو الخوف مطلقاً لكن الأول أنسب بالمقام قوله تجلداً الخ على أي معنى أريد يضم اليد لا يختص بمعنى دون معنى .

قوله : (إشارة إلى العصا واليد) والتذكير لمراعاة الخبر والكاف تنبيه على حال المخاطب وهو موسى عليه السلام فلذا أفرد وصيغة البعد للتخيم والمراد بالعصا العصا المنقلبة حية واليد اليد البيضاء .

قوله : (وشدده ابن كثير وأبو عمرو ورويس) وهي لغة فيه لكن في الكشف المخفف مثني ذاك والمشدد مثني ذلك فالأصل ذان لك قلبت اللام نوناً وأدغمت النون في النون وكان القياس قلب الأولى لكنه حوفظ على علامة التثنية كذا قيل لكنه مخالف لما قرر في موضعه ولعل الأولى كونه لغة فيه .

قوله : (حجتان وبرهان فعلان لقولهم أبره الرجل إذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل إذا ابيض ويقال برهه وبرهه للمرأة البيضاء وقيل فعلا لقولهم برهن) حجتان دالتان على صحة نبوتك عبر بها إشارة إلى أن غلبة العدو إنما هي بهما والتعبير بالبرهان لقطع الشبهة فعلان فالزائد الألف والنون قوله لقولهم أبره الخ فيكون أصل مادته برها فزيدت الألف والنون فصار برهاناً من قولهم بره الخ قال بعضهم برهان فعلان من البره وهو القطع وهذا أولى مما ذكره المص لما عرفت من أن البرهان شأنه قطع الشبهة ووجه ما ذكره أن الحجة لظهورها ووضوحها كالبياض ولذا قيل حجة بيضاء على طريق الاستعارة قوله برهه الخ تأييد لكونه بمعنى البياض وقيل فعلا فيكون النون من أصل الكلمة والزائد الألف لقولهم برهن من الرباعي المجرد كما هو الظاهر قيل لا يقال في فعله برهن لأنها مولدة بنوها من لفظه كما هو الأكثر .

قوله : (مرسلاً بهما) إشارة إلى أن قوله إلى فرعون متعلق بمحذوف حال مقدرة قدر

قوله : وشدده ابن كثير فالْمخفف مثني ذلك والمشدد مثني ذلك لأن أصله ذان لك قلبت اللام نوناً وأدغمت النون في النون كما قال الزجاج وكان ذانك مشدداً تنبيه ذلك وذانك مخففاً تنبيه ذاك جعل بدل اللام النون في ذانك .

قوله : وبرهان فعلان الخ أي البرهان إما مصدر أبره الرجل أي أتى بالبرهان من بره الرجل إذا ابيض ولما كان بيان الحجة شبيهاً بالبياض في الظهور عبر عنه بالبرهان المنبئ في الأصل عن البيان فيكون نونه مزيدة لا من نفس الكلمة ووزنه فعلان وإما مصدر برهن الرجل ومعناه أيضاً أتى ببرهان فيكون النون من نفس الكلمة لام الفعل ووزنه فعلا .

قوله : مرسلاً تقدير لمتعلق من ربك .

(١) قوله إذا عراك الخ إشارة إلى أن الرب ليس سبباً للضم بل السبب اظهار الجلادة في وقت الرب فجعل الرب سبباً مبالغة في الأمر بالضم .

الفعل الخاص للقرينة وهو أفيد من تقدير الفعل العام ولم يتعرض لقوله من ربك فهو متعلق بمحذوف صفة لبرهانا أن أي كائن من ربك إذ المعجزة فعل الله تعالى ويجوز أن يكون إلى فرعون متعلقاً بمحذوف صفة لبرهانا أن أي واصلان إليهم لكن اعتبار المص أولى إذ وصولهما إليهم إنما هو بالإرسال إليهم.

قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا﴾ تعليل للإرسال وإنهم محتاجون إلى الإرسال وتبيين السبيل بالهادي ﴿فَاسْقِينَ﴾ [القصص: ٣٢] والمراد به المرتبة الثالثة من مراتب الفسق وهو كفر والتعبير بالفسق عنه لتجاوزهم عن الحد في الظلم والكفر.

قوله: ﴿فَكَانُوا أَحْقَاءَ بِأَنْ يَرْسَلَ إِلَيْهِمْ﴾ تفريع على التعليل لكن ما يفرع عليه مطلق الإرسال ولما كان مطلق الإرسال متفرعاً عليه ووجود المطلق في ضمن الخاص جعل الخاص مفرعاً عليه لذلك لا لخصوصه.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ (١٣٣)

قوله: ﴿قَالَ رَب﴾ استئناف معاني: ﴿إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ [القصص: ٣٣] هذا تهديد لقوله ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ [القصص: ٣٣] والتأكيد للمبالغة في تحقيق مضمونها.

قوله: ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ [القصص: ٣٣] بها الخوف بعد قوله تعالى: ﴿لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدِيَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [التمل: ١٠] إما محمول على الاستعارة التمثيلية أو محمول على وقت غير الوحي قد مر نبذة من البيان في النمل.

قوله تعالى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْتُهُ مِنِّي وَدَّاعِيَ يَصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ

أَنْ يَكْذِبُونِ﴾ (١٣٤)

قوله: ﴿وَأَخِي هَارُونُ﴾ (إما عطف البيان أو بدل من أخي بدل الكل وفي طه من أعلمي ﴿هَارُونُ أَخِي﴾ [طه: ٢٩، ٣٠] عكس ما هنا وهناك بحث لطيف فارجع إليه ﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ هذا يشعر بأن العقدة التي في لسانه لم تزل بالكلية بل زال العقدة التي تمنع الافهام.

قوله: ﴿مَعِينًا﴾ على ما كلفتنى به وفيه تنبيه على أن موسى أصل في النبوة والتشريع وهارون تابع له فيها.

قوله: ﴿وَهُوَ فِي الْأَصْلِ اسْمٌ مَا يَعَارُ بِهِ كَالدِّفَاءِ﴾ لكن أريد به هنا المعين مجازاً أو نقلاً كالدفع وهو ما يتدفأ به من اللباس والغطاء.

قوله: ﴿وَقَرَأْ نَافِعَ رَدًّا بِالتَّخْفِيفِ﴾ أي بفتح الدال بلا همز.

قوله: كالدفع أي كما أن الدفع بالكسر اسم لما يدفأ به أي لما يلبس من الثوب للتسخن.

قوله: ﴿وَقَرَأْ حَمْزَةً وَعَاصِمٌ يَصَدِّقُنِي بِالرَّفْعِ عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ وَالْجَوَابُ مُحذَوْفٌ أَي جَوَابُ الْأَمْرِ

قوله : (بتلخيص الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة) بتلخيص الحق أشار إلى أن معنى يصدقني تلخيص الحق الذي بلغتهم وإنما حمّله عليه إذ قوله ﴿هو أفصح مني﴾ يقتضي إما لتصديق بأنك صدقت أو أخي صادق فلا يحتاج إلى الفصاحة فلا يكون في ذكر أنه أفصح فائدة وتصديق الغير كما يكون بقولك هو صادق يكون بتلخيص ما قاله وتأييده بالحجة وإزالة شبهة الخصم بل هذا التصديق أبلغ وأقوى من القول المذكور لأن القول بأنك صادق يحتمل الكذب كتصديق المنافقين بخلاف الثاني فإنه لا احتمال لخلافه هذا مثل تصديق الله تعالى رسوله بالمعجزات فليس في يصدقني مجاز لا في الكلمة ولا في الإسناد وصاحب الكشف ادعى أن المعنى أن القوم يصدقني ببيانه الواضح وتقريره الكاشف لكنه أسند إلى هارون إسناد الفعل إلى السبب وهذا أنسب بقوله : ﴿إني أخاف أن يكذبون﴾ [القصص : ٣٤] كما سيحيي لكن ما اختاره المصنف أقرب لأن تصديق القوم بتأييد هارون عليه السلام ليس بمعلوم بل خلافه واقع ولذا مرّضه بقوله وقيل المراد تصديق الخ .

قوله : (ولساني لا يطاوعني عند المحاجة وقبل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه أسند إليه إسناد الفعل إلى السبب وقرأ عاصم وحمزة يصدقني بالرفع على أنه صفة والجواب محذوف) وهو فيكون نعم العون لي أو يكن نعم العون وعلى تقدير كونه صفة تكون صفة ماذحة لا مخصصة ولا مقيدة .

محذوف تقديره يؤمنوا بما جئت به من الحق وأما إذا قرئ يصدقني بالجزم فهو الجواب فيكون على كلتا القراءتين مثل يرثني في قوله ولما يرثني إعراباً وتوجيهاً .

قوله : وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه أسند إليه إسناد الفعل إلى السبب نحو بنى الأمير المدينة والأمير إنما أمر بالبناء فأُسند البناء إلى الحامل كما أسند إلى المياثر فسر رحمه الله معنى يصدقني على وجهين الوجه الأول أنه ليس الغرض بتصديق هارون أن يقول له صدقت أو يقول للناس صدق موسى بل الغرض أن يلخص بلسانه الحق ويبسط القول فيه ويجادل به الكفار كما يفعل الرجل المنطيق ذو القدرة على الكلام فذلك جار مجرى التصديق المفيد كما يصدق القول بالبرهان ألا يرى إلى قوله ﴿هو أفصح مني لساناً فأرسله معي﴾ وفضل الفصاحة إنما يحتاج إليه لذلك لا لقوله صدقت فإن الفصح وغير الفصح في ذلك ميان والوجه الثاني أن المراد بتصديق هارون أن يصل جناح كلام موسى بالتقرير أو لبيان والكشف والتوضيح حتى يصدقه الذي يخاف تكذيبه فأُسند التصديق إلى هارون لأنه السبب فيه ويؤيد هذا الوجه قوله : ﴿إني أخاف أن يكذبون﴾ [القصص : ٣٤] لأن التقدير أرسله معي ليكون سبباً لأن يصدقني قومي فقليل له لم ذلك فأجاب ﴿إني أخاف أن يكذبون﴾ [القصص : ٣٤] وكل من هذين الوجهين مبني على المجاز فالفرق بينهما أن التجوز في الوجه الأول إنما هو في الكلمة دون الإسناد لأن يصدقني فيه بمعنى يلخص كلامي والملخص حقيقة هو هارون وفي الوجه الثاني في الإسناد دون الكلمة لأن التصديق حقيقة في معناه لكن المصدق حقيقة ليس هارون بل قومه فالإسناد في الأول إسناد حقيقي والكلمة مجاز وهو في الثاني مجازي والكلمة حقيقة .

قوله تعالى: **قَالَ سَنَدُّ عُضْدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِمَا كُنَّا فَعَلْنَا** **أَنسًا وَمِنَ الْكَبْكَبَةِ الْغَالِيُونَ** ﴿٣٥﴾

قوله: (قال سنشد) استئناف أيضاً ولذا ترك العطف الظاهر أن السين للتأكيد مثل سين سكتب .

قوله: (سنقويك به فإن قوة الشخص بشدة اليد على مزاوله الأمور) سنقويك حاصل المعنى لأن شدة العضد وتقويته مستلزم لتقويته فيراد به كناية إذ اليد تشد بشدة العضد ومجموع^(١) البدن يشتد بشدة اليد لأن عامة صنائعه بها ومنها أكثر منافعه ولا كلام في إمكان الحقيقة هنا فيصح جعله كناية تلويحية كما اختاره صاحب الكشف ويجوز أن يكون مجازاً بطريق إطلاق السبب وإرادة المسبب بمرتبين كما اختاره المحشي وأما الاستعارة التمثيلية^(٢) فلا حسن هنا قوله فإن قوة الشخص الخ مائل إلى المجاز المرسل بمرتبين إذ يراد بالعضد اليد واليد يراد به الكل ولا يراد بالعضد الكل أولاً وإن كان جزءاً لأن الكل لا يشتد به بل باليد كما عرفت فذكر العضد وأريد به اليد مجازاً ثم أريد باليد الكل مجازاً فيكون مجازاً بمرتبين أما الثاني فظاهر وأما الأول فللمجاورة لكن الكناية أقل مؤنة إذ لا مجاز حينئذ في العضد ولا في اليد كما عرفت .

قوله: (ولذلك يعبر عنه باليد) أي عن الشخص باليد كما في قوله تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ [البقرة: ١٩٥] الآية على وجه وما نحن فيه اليد عبر عنها بالعضد .

قوله: (وشدتها بشدة العضد) وشدتها أي اليد شدة العضد أي يعبر عن شدة الشخص

قوله: فإن قوة الشخص بشدة اليد يريد بيان وجه استعمال ﴿سنشد عضدك بأخيك﴾ بمعنى سنقويك فله طريقان الأول أن يكون مجازاً أمر سلام من باب إطلاق السبب على المسبب بمرتبين فإن أصل سنقويك به ثم سنقوي يدك به ثم سنشد عضدك به فإن تقوية العضد سبب لتقوية اليد وتقوية اليد سبب لتقوية الشخص فذكر السبب وهو تقوية العضد وأريد به مسبب مسببه وهو تقوية الشخص وثانيهما أن يكون استعارة حيث شبه حال موسى في التقوى بأخيه بحال اليد المتقوية بالعضد فجعل موسى كأنه يد مشددة بعضد شديدة فهذا الوجه مبني على تشبيه موسى باليد في اشتدادها باشتداد العضد فجعل كأنه يد مشددة بعضد فيكون من باب الاستعارة بالكناية لأن المشبه مذكور وهو كاف الخطاب في عضدك والمشبه به وهو اليد مطوي الذكر وأثبت لازم المشبه به وهو العضد للمشبه حيث أضيف إليه فقبل عضدك فهو مثل اظفار المنيعة نشبت بفلان واختار رحمه الله من هذين الطريقين الطريق الأول لأن قوله فإن قوة الشخص بشدة اليد إشارة إلى علاقة المجاز المرسل التي هي اللزوم هنا وترك الطريق الثاني وهو مذكور في الكشف .

(١) والظاهر أن شدة اليد بشدة البدن دون العكس إلا أن يقال المراد أن شدة البدن تظهر بشدة اليد .

(٢) بأن يقال شبه حال موسى عليه السلام بتقويته بأخيه بحال اليد في تقويتها بيد شديدة .

بشدة اليد المعبر عنها بشدة العضد كناية فالمجاز إما يعتبر في العضد واليد أو يعتبر في شدتها فلا تغفل. (غلبة أو حجة أو محاجة).

قوله: (باستيلاء أو حجاج) باستيلاء ناظر إلى قوله غلبة في تفسير سلطاناً قوله أو حجاج ناظر إلى قوله أو بحجة في تفسيره كما أن قوله شئد إجابة لمطلوبه بقوله «فأرسله معي ردهاً وتجعل لكما سلطاناً» راجع إلى «إني أخاف أن يكذبون» [القصص: ٣٤] مع الإشارة إلى قوله: «إني أخاف أن يقتلون».

قوله: (متعلق بمحذوف أي اذهباً بآياتنا أو بنجعل أي نسلطكما بها) أو بنجعل قوله فلا يصلون بالتفريع على تحقق من مراده فاصلة فلا يحسن التعلق به ولذا قدم الأول قوله أي نسلطكما عليه إشارة إلى أن معنى تعلقه بنجعل تعلقه بسلطاناً لتضمنه معنى التسليط وهو الغلبة.

قوله: (أو بمعنى لا يصلون) قبل ويجوز تعلقه بمعنى^(١) النفي أي فينفي وصولهم بمعنى انتفاء وصولهم إذ أصل انتفاء الوصول ثابت قبل هذا ولا يصح تعلقه بلا يصلون بدون ملاحظة معنى النفي لفساد المعنى.

قوله: (أي تمتعون منهم أو قسم جوابه لا يصلون) والجمع بملاحظة التابعين قوله أو قسم أي الباء في آياتنا للقسم كما مر في قوله: «بما أنعمت» [القصص: ١٧] الخ فيحتل المراد بالآيات الآيات التسع أو العصا واليد البيضاء فإن العصا متضمنة لآيات كثيرة قوله

قوله: غلبة أو حجة والسلطان بجيء بمعنى الغلبة وبمعنى الحجة والبرهان ففسره على احتمال كل من معنيه.

قوله: باستيلاء أو حجاج أي محاجة والأول ناظر إلى أن يراد بالسلطان الغلبة والثاني إلى أن يراد به المحجة.

قوله: أو بمعنى لا يصلون أي تمتعون منهم والامتناع هنا بمعنى التمتع والتحصن والظاهر أن يقول تمتعان منهم لأن المضاطب اثنان لكن قصدتهما ومن معهما فأتى بخطاب الجمع وإنما لم يجوز أن يتعلق بلا يصلون من غير تأويله بفعل مثبت بناء على أن عدم لا يستند إلى علة وسبب بل يكفي فيه عدم العلة والياء التسيب في آياتنا تقتضي أمراً وجودياً فلذا أوله بفعل مثبت لازم لمعناه.

قوله: أو قسم عطف على قوله متعلق بمحذوف قال صاحب الكشف ويجوز أن يكون قسماً جوابه لا يصلون مقدماً عليه وحمله شراح الكشف على المعاملة رداً عليه بأن جواب القسم لا يتقدم عليه ولا يكون فيه فاء ثم قالوا لعل مراده أن ما قبله يدل على أن جوابه محذوف ولذلك قال القاضي جوابه لا يصلون أخذاً بالزبدة ولم يقل مقدماً عليه لئلا يرد عليه ما يرد على عبارة صاحب الكشف فلعلة قصد أن جوابه محذوف مقدر بعده وهو لا يصلون لدلالة ما قبله عليه وفي الكواشي

(١) مثل قوله تعالى: «ما أنت بنعمة ربك بمجنون» [القم: ٢].

جوابه لا يصلون أي مقدر لا المذكور قبله ولذا لم يقل جوابه فلا يصلون لأن جواب القسم لا يتقدمه ولا يقترب الفاء أخره لاحتياجه إلى التقدير وأيضاً في مثل هذا المقام القسم غير متعارف لا سيما بكلمة الباء إذ عامة القسم المذكور أداته بالواو.

قوله: (أو بيان للغالبون في قوله ﴿أنتما ومن أتبعكما الغالبون﴾ [القصص: ٣٥] أو بيان للغالبون أي لبيان سببه ففيه مسامحة وللاهتمام به قدم أو لرعاية الفاصلة وأما المحصر فلا يناسب المقام.

قوله: (بمعنى أنه صلة لما بينه أو صلة له على أن اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذي) صلة لما بينه أي للذي بين الغالبون المذكور إياه أي تغلبون بآياتنا الخ ولا يخفى في تكلفه وهذا بناء على أن ما في حيز الموصول لا يتقدم عليه ولو ظرفاً وقيل إنه يتسع في الظرف ما لا يتسع في غيره واعتبار اللام اسم موصول تارة وحرف التعريف أخرى بناء على الاختلاف فعند الجمهور موصول وعند المازني حرف تعريف.

قوله تعالى: فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا يَتَذَكَّرُ أَلَّا يَكُونُ مِنَ الْمُتَكِبِينَ ﴿٣٦﴾

قوله: (﴿فلما جاءهم موسى﴾ [القصص: ٣٦] وتخصيص موسى عليه السلام بالذكر لأنه أصل في التشريع وهارون عليه السلام تابع له ولأن ظهور الآيات إنما هو في يد موسى عليه السلام ﴿بآياتنا﴾ [القصص: ٣٦] والمراد بها العصا واليد البيضاء ووجه الجمع قد مر آنفاً وتسع آيات كما يؤيده قوله تعالى في النمل: ﴿تخرج ببضء من غير سوء في تسع آيات إلى فرعون وقومه﴾ [النمل: ١٢] الآية ما هذا أي هذا المذكور من الآيات البينات فالأفراد والتذكير بالتأويل المذكور.

أن علفت بآياتنا بمحذوف تقديره ادعيا إلى فرعون بآياتنا فلا وقف من الربح إلى هنا وإن علفتها بنجعل أي تجعل لكما سلطاناً بآياتنا فلا يصلون المعنى تمتنعون منهم بآياتنا فالوقف كما رسمت وكذلك إن جعلتهما قسماً لزعم بعضهم جوابه فلا يصلون إليكما مقدماً عليه هذا وفي الكشف أو لغو من القسم أي لا جواب له لفظاً ولا تقديراً بل جيء به لمجرد التأكيد كقولك زيد والله منطلق قال صاحب الفرائد جوابه محذوف لأن التقدير زيد منطلق والله إن زيدا منطلق وإنما سمي لغواً لأن القائل غير قاصد للقسم وإنما أجري على لسانه بطريق العادة وقال الطيبي رحمه الله هذا لا يجوز في كلام الله المجيد لا سيما من الله تعالى.

قوله: بمعنى أنه صلة لما بينه يعني معنى كونه بياناً له كونه صلة للذي بينه وهو الغالبون المقدر كان سائلاً قال يم الغاليون فقيل بآياتنا أي الغالبون بآياتنا فهو في كونه بياناً كالألام في هيت لك لما قال قائل هيت فقيل لمن وقع التصويت بهيت فقيل لك أي وقع لك.

قوله: أو صلة له على أن اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذي لا بمعنى الذي لا امتناع تقدم الصلة على الموصول ومعمول الصلة في حكم العلة في امتناع التقدم.

قوله : (أي سحر يخلقه) لاختلاق تفسير مفترى عبر بالفعل المضارع للإشارة إلى أن مفترى بمعنى المستقبل لا بمعنى الماضي لكن الظاهر الفعل الماضي إذ الإشارة إلى الحاضر الموجود إلا أن يقال إن الإشارة إلى النوع والفعل المضارع للاستمرار .

قوله : (لم يفعل قبله مثله) إشارة إلى فائدة هذا القيد واتفهامه منه بمعونة قولهم ﴿وما سمعنا﴾ [القصص : ٣٦] الآية وإلا فالافتراء لا يدل عليه .

قوله : (أو سحر تعلمه ثم تفتريه على الله) أو سحر تعلمه أي تتعلمه من غيرك^(١) ثم تفتريه على الله فالافتراء بمعنى الكذب لا الاختلاق كما في الأول وهذا لا يلائم قوله : ﴿وإنه لكبيركم الذي علمكم السحر﴾ [الشعراء : ٤٩] الخ وعن هذا آخره .

قوله : (أو سحر موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر) فالصفة حينئذ مؤكدة لا مخصصة ولا مفيدة كما نبه عليه بقوله كسائر أنواع السحر وعلى الوجهين الأولين صفة مخصصة قبل ثم الوصف بالافتراء على هذا الوجه ليس على حقيقته لأنه من صفات الأقوال والسحر لا يلزم أن يكون من قبيلها قال المص في سورة النساء في قوله تعالى : ﴿ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً﴾ [النساء : ٤٨] والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق والظاهر من الإطلاق كونه على الحقيقة^(٢) فلا تغفل .

قوله : (يعنون السحر أو ادعاء النبوة) أي الإشارة إلى نوع السحر لا إلى ما صدر من موسى عليه السلام وتقدير المثل تكلف وراجع إلى الإشارة إلى النوع وكذا ادعاء النبوة المراد به مطلق ادعاء النبوة وهذا إنكار منهم عناداً وتعصباً إذ الظاهر أن السمع متحقق وأيضاً عدم السمع لا يقتضي عدم الإيمان .

قوله : (كائنات في أيامهم) أشار إلى أن الجار متعلق بمحذوف حال من هذا والمراد بآبائنا الأولين آبائهم الأبعدون أي أجدادهم إذ آبائهم الأقربون في حكمهم لكونهم معاصرين أو قريبين لهم .

قوله : سحر تخلقه أي تخترعه وتفتريه فسر رحمه الله قوله : ﴿سحر مفترى﴾ [القصص : ٣٦] بثلاثة أوجه الوجه الأول على أن يكون مرادهم بالسحر السحر المخصوص الذي اختلقه أي اخترعه ولم ينسبه إلى الله تعالى والوجه الثاني على أن يكون المراد به السحر المخصوص أيضاً مع زيادة أمر وهو ما اختلقه ونسبه إلى الله تعالى والوجه الثالث على أن المراد به مطلق السحر فمفترى على الأولين صفة مفيدة وعلى الثالث صفة مؤكدة والوجه الثالث على أصل أهل الاعتزال لأن السحر عندهم حيلة وتمويه لا أثر له في نفسه فكان الواجب عليه رحمه الله عند أخذ هذه الوجوه من عبارة الكشف ترك الثالث الوارد على خلاف مذهبه .

(١) وفي نسخة فتعلمه من العمل أي فتعلمه أنت ثم تفتريه على الله تعالى قوله : ثم تفتريه ناظر إليهما أو الأخير فقط وفي الأول يلاحظ الافتراء .

(٢) إذ الظاهر من كلامه أنه مشترك اشتراكاً لفظياً بين القول والفعل .

قوله تعالى: وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّیْ أَعْلَمُ بِمَن جَاءَهُ بِالْهُدَىٰ مِن عِندِیهِ وَفَمَن تَكُونُ لَهُمْ عَاقِبَةُ الدَّارِ لِئَمْ لَا یَفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾

قوله: ﴿وقال موسى ربّي﴾ [القصص: ٣٧] فيعلم أي محق وأنكم مبطلون) وقال الخ جواب على سبيل الإنصاف المسكت للخصم المشاغب وهذا كقوله تعالى: ﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم﴾ [الرعد: ٤٣] ﴿أعلم﴾ أي عليم بمعنى أصل الفعل إذ لا علم به لغيره إلا أن يقال إن المؤمنين علم به والمراد بمن في بمن جاء بالهدى إما عام لجميع الرسل فيدخل موسى عليه السلام دخولاً أولاً أو موسى عليه السلام قوله فيعلم أنه محق وأنكم مبطلون يؤيد الأول قوله فيعلم الخ يؤيد ما ذكرنا من أن أعلم بمعنى أصل الفعل.

قوله: (وقرأ ابن كثير قال بغير واو لأنه قال جواباً لمقالهم) أي قال إنه جواب عن قولهم إنه سحر فيكون استئنافاً معانياً فلا يحسن العطف.

قوله: (ووجه العطف أن المراد حكاية القولين ليوازن النظر بينهما فيميز صحيحهما عن الفاسد) أن المراد حكاية القولين بلا نظر إلى كون الثاني جواباً للأول فلا مانع من العطف فالعطف في الحكاية الجامعة للقولين لينظر المحكي حالهما حتى يميز السمين عن السقيم وفي كلام المص نوع خدشة إذ قوله لأنه قال جواباً الخ يومه بحسب الظاهر أنه قرأ بغير واو لقوله إنه جواب وهذا ضعيف إذ القراءة منقولة عن النبي عليه السلام ولا يجوز التصرف من القراء فمراده أن وجه القراءة بدون واو كما اختاره ابن كثير أن هذا جواب الخ والعطف وتركه في كلام واحد بالنظر إلى الحالتين شائع في كلام الفصحاء.

قوله: (العاقبة فإن المراد بالدار الدنيا^(١) وعاقبتها الأصلية هي الجنة لأنها خلقت

قوله: لأنه قال جواباً لمقالهم فكان المقام لكونه مقام الاستئناف يقتضي ترك العطف فكانه قيل ما قال موسى في جوابهم فقيل: ﴿قال موسى ربّي أعلم﴾ [القصص: ٣٧] الآية.

قوله: ووجه العطف أن المراد حكاية القولين الخ فهو كما قلت للحكم العدل المميز بين الحق والباطل قال أهل الحق العالم حادث وقال أهل الزبغ العالم قديم بعطف قال الثاني على الأول بالواو والغرض منه أن ينظر ذلك العدل المميز في معنى القولين ويوازن بينهما فيميز صحيحهما عن فاسدهما ويضدهما تتميز الأشياء.

قوله: العاقبة المحمودة فإن المراد بالدار الدار الدنيا وعاقبتها الأصلية هي الجنة هذا بيان وجه إرادة الخاص من العام يريد أن المراد بلفظ الدار في عاقبة الدار الدنيا وعاقبتها أي خاتمتها يكون بخير وشر فتخصيصها بالخير وهو العاقبة المحمودة لعدم الاعتداد بالمذمومة فكان المذمومة لسوئها ونقصها في حكم العدم فكان كان العاقبة منحصرة في المحمودة.

قوله: لأنها خلقت مجازاً إلى الآخرة أي لأن الدنيا خلقت طريقاً ومحلاً يمر عليه ويتجاوز

(١) الدنيا ضد الآخرة ونقيضها.

مجازاً إلى الآخرة والمقصود منها بالذات هو الثواب) العاقبة أي المحمودة وأطلقت لأن العاقبة الغير المحمودة كلا عاقبة فلذا لم يقيد بالمحمودة مع أنها المراد وإلى ذلك أشار بقوله وعاقبتها الأصلية هي الجنة الخ.

قوله : (والعقاب إنما قصد بالعرض وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء) والعقاب إنما قصد^(١) بالعرض^(٢) لأنه لم يجعل علة لخلق الدنيا والآخرة كالإثابة كان عقاب الكفرة داء ساقه إليهم سوء اعتقادهم وشؤم أفعالهم فالعاقبة تنصرف إلى الفرد الكامل وهو^(٣) العاقبة المحمودة والجنة الموعودة وإلى ذلك أشير في قوله : ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ [القصص : ٣٧] كما نبه عليه المصنف بقوله : لا يفوزون .

عنه إلى الجنة ليست مقصودة بالذات بل هي مقصودة بالعرض أوجدها الله تعالى تنطرية إلى دار المجازاة بالأعمال وفي الكشف قد وضع الله سبحانه الدنيا مجازاً إلى الآخرة وأراد بعباده أن لا يعملوا فيها إلا الخير وما خلقهم إلا لأجله ليتلقوا خاتمة الخير وعاقبة الصدق ومن عمل فيها خلاف ما وضعها الله له فقد خرف فإذا عاقبتها الأصلية هي عاقبة الخير وأما عاقبة سوء فلا اعتداد بها لأنها من نتائج تحريف الفجار قوله إذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم بعدمه هذا دفع لرجوع ثاني كلامه على الأول بالنقض من حيث إن الأول لا يجوز وجود إله غيره والثاني يجوز قال الطيبي رحمه الله ويمكن أن يقال إن الظاهر أن كلامه الأول كان تمهيداً وتليسياً على القوم والثاني مواضع مع صاحب سره همام وثابت الظن في الثاني لا يدفع أن يكون نفي العلم عنه من إشراف إلى انحدار قوله وهذا من خواص العلوم الفعلية فإن العلوم الفعلية مقدمة على وجود المعلومات فعدم تعلق العلم بها لعدم تحققها في أنفسها بخلاف العلوم الانفعالية فإنها إنما تتعلق بالمعلومات بعد وجودها ولا يتعلق أيضاً بجميع المعلومات يجوز أن تتعلق بمعلوم دون معلوم فلا يلزم من انتفاء العلم الانفعالي انتفاء المعلوم إذ يجوز أن يكون المعلوم موجوداً ولا يتعلق به العلم الانفعالي فلا يصح أن يراد بنفي العلم الانفعالي نفي المعلوم ويصح ذلك في العلم الفعلي فحين ادعى فرعون لنفسه الآلوهية يجوز أن يزعم أن له علماً متعلقاً بالجميع ويتمسك بنفي علمه إلى نفي المعلوم ومن ثمة طغى وتكبر وقال : ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ [النازعات : ٢٤] وقال : ﴿أوقد لي يا همام على الطين﴾ [القصص : ٣٨] ولم يقل اطيخ لي الأجبر تعاطياً كما قال من له العظمة حقيقة ومن تعاطفه نداءه لوزيره باسمه وبحرف النداء وتوسيط ندائه خلال الأمر وبما ذكرناه خرج الجواب عن طعن صاحب الانتصاف في جعل نفي العلم في كلام فرعون عبارة عن نفي المعلوم بأن هذا لا يعم كل تعلق بمعلوم وقياسه على قوله تعالى : ﴿أننبئونه بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض﴾ [يونس : ٦٨] قياس مع فارق لأن هذا التعبير أي التعبير عن نفي المعلوم بنفي العلم لا يكون إلا في علم الله تعالى لمعوم تعلقه بجميع المعلومات حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة وعلم

(١) أي بواسطة تحريف الكفار هذه العاقبة الأصلية بالكفر والمعاصي .

(٢) وهذا أولى مما قيل فإنه للتخريف إلى ما يوصل إلى الثواب بالإخافة منه فإن هذا بالنظر إلى الوعد والوعيد والكلام في نفس الثواب والعقاب لأنهما العاقبة .

(٣) والمراد بعاقبة الدار عاقبة أهل الدار وهو أن يختم بالرحمة والرضوان وتلقى الملائكة بالبشرى .

قوله : (لا يفوزون بالهدى في الدنيا وحسن العاقبة في المعنى) بالهدى ناظر إلى قوله أعلم بمن جاء بالهدى قوله وحسن العاقبة ناظر إلى قوله ومن تكون له عاقبة الدار فيكون في النظم صنعة الطباق وقيل فيه شبه اللف والنشر .

قوله تعالى : وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتْلُوا كِتَابَهَا عَلَمًا مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَكُنْ عَلَى الْكُلُوبِ فَأَجْعَلَ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطْلُعُ إِلَهِ إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾

قوله : ﴿وقال فرعون﴾ وجه العطف ما مر فيما قبله إذ ظاهره الاستئناف لما بين تعالى جواب موسى عليه السلام على وجه يقطع الشبهات بالمرّة شرع في بيان مقال فرعون مع الإشارة إلى أنه عجز عن محاجة موسى عليه السلام وانتقل إلى كلام آخر كما هو ديدن المحجوجين .

قوله : (نفى علمه بإله غيره دون وجوده إذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم بعدمه ولذلك أمر ببناء الصرح ليصعد إليه ويطلع على الحال بقوله : ﴿فأوقد لي يا هامان﴾ [القصص : ٣٨] الآية) نفى علمه بإله غيره وجه نفى تمهيداً لما سيأتي من بناء الصرح كما قرره المص وقد قيل إنه دهري والسموات والأرض موجودتان بالذات وقيل إنه عارف بربه وتقرير المص لا يطابق شيئاً منها فالظاهر أن نفى علمه كناية عن نفى وجوده فيوافق القول بأنه دهري فحينئذٍ قوله : ﴿لعلني أطلع﴾ [القصص : ٣٨] الخ من قبيل المماشاة قوله في سورة الشعراء : ﴿لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين﴾ [الشعراء : ٢٩] يؤيده بنوع التأييد والمراد بالطين اللبن أي اتخذ لبناً وأصنع أجراً إذ الإيقاد المستعلي على الطين مستلزم كونه أجراً .

قوله : (كأنه توهم أنه لو كان لكان^(١) جسماً في السماء يمكن الترقى إليه) كأنه توهم

المخلوقين ليست له هذه الدرجة فلا يلزم من انتفائه انتفاء المعلوم حتى يعبر عنه ويتمسك به عليه قوله ولذلك أمر باتخاذها على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظيم لا من عظم كما وقع في بعض النسخ من لفظ تعظيم وفي الكشف لم يقل اطلع لي الأجر واتخذ لأنه أول من عمله الأجر فهو يعلمه الصنعة ولأن هذه العبارة أحسن طياً لقصاحة القرآن وعلو طبقة وأشبه بكلام الجبابة وأمر هامان وهو وزيره وردفه بالإيقاد على الطين منادى باسمه بيا في وسط الكلام دليل التعظيم والتعجب قال صاحب المثل السائر فانظر إلى قوله تعالى : ﴿فأوقد لي يا هامان على الطين﴾ [القصص : ٣٨] فإنه لما جيء بما يقتضي أن يذكر لفظ الأجر عدل منه إلى هذه العبارة ولم يذكر لفظ القرمذ كما فعل النافعة :

أو دمية في مرمر مرفوعة ثبتت بساجر أشد بسقرمد

فإن أولى العبارتين مبتذلة سخيفة متداولة بين العامة والثانية متنافرة وحشية غريبة يضعان الكلام من قدره .

أنه لو كان لكان الخ هذا الكلام مفيد لنفي الوجود فلا يلائم أول كلامه وجه التوهم قياسه على الشاهد قوله في السماء خصه به لأنه لعلوه لكان له مكاناً عالياً قوله يمكن الترقى إليه لقوله : ﴿لعلي أطلع إلى إله موسى﴾ [القصص : ٣٨].

قوله : (ثم قال ﴿واني لأظنه من الكاذبين﴾) الظن بالمعنى اللغوي وهو ما لا يكون جاز ما سواه كان راجحاً أو مرجوحاً أو مساوياً لا بالمعنى المتعارف وهو الاعتقاد الراجح كذا قيل ولم يبين وجهه ولا يعرف مانع من الحمل على المعنى المصطلح ثم المراد بهذا كأنه اعتذار من الأمر ببناء الصرح ولذا أكدته بتأكيدات.

قوله : (أو أراد أن يبين له رصد يترصد منها أوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولته) أو أراد الخ عطف على قوله كأنه توهم أو عطف على معنى قوله ولذلك أمر ببناء الصرح فإن المعنى أراد أن يبين له صرحاً ليصعد إليه والرصد معروف عند أربابه يترصد منها أي من الرصد فالتأنيث للتأويل بالمواضع المرتفعة وفيه ضعف لأن قوله ﴿أطلع إلى إله موسى﴾ يأبى عنه وتقدير المضاف تكلف بأن يقال إن المراد أطلع إلى حكم إله موسى مع أن السباق قوله : ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾ [القصص : ٣٨] لا يلائمه لأنه إذا لم يعلم إله غيره فالتجسس بالحكم له لا يرى له وجه وأيضاً التردد بأوضاع الكواكب يحتاج إلى معرفة دقائق علم الهيئة وفرعون رجل أبله وأحمق فأنى له التردد بأوضاع الكواكب إلا أن يقال إن الإسناد إليه مجاز والمراد غيره من الماهر بذلك وهو بعيد جداً.

قوله : (وقيل المراد بنفي العلم نفي المعلوم كقوله تعالى : ﴿أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض﴾ [يونس : ١٨] فإن معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص المعلوم الفعلية فإنه لازمة لتحقيق معلوماتها فلزم من انتفائها انتفاؤها ولا كذلك العلوم الانفعالية) وقيل المراد بنفي العلم الخ أي المراد به كناية لأن عدم الوجود من أسباب عدم العلم في الجملة واللزوم العرفي متحقق هنا وهو المعتبر عند أرباب البلاغة دون اللزوم العقلي ومثل قولهم لا أعلم كذا بمعنى أنه لم يوجد وهو شائع في لسان العامة والخاصة ولذا قال الفقهاء إذا قال المزكي إذا سئل عن عدالة الشهود لا أعلم هذا كان تركية مع أنه علم انفعالي كيف لا وهو يدعي الألوهية فعامل بعلمه معاملة علم الله تعالى في أنه لا يعزب عن علمه شيء وبه تتم الدلالة كذا قيل والاكتفاء يمنع أن العلم الانفعالي لا يكون مثل العلم الفعلي أحسن والقول بأنه يدعي الألوهية الخ تركه حسن بل صواب يعرف وجهه بالتأمل الصائب العلم الفعلي ما كان سبباً لوجود معلومه في الخارج والانفعالي خلافه أي العلم الذي يكون مستفاداً من الخارج فإذا كان العلم الانفعالي مستفاداً من الخارج يكون نفي ذلك العلم مستلزماً لنفي المعلوم حتى كثر في كلامهم لا أعلم شيئاً أي لا يكون موجوداً إذ لو كان موجوداً لعلمناه وكلنا نفي الرؤية مستلزم لنفي المرئي وهو شائع في المحاورات فقوله ولا كذلك العلوم الانفعالية ممنوع وقد عرفت أنه دهري كافر منكرو

بالصانع فلا جرم أن مراده نفي المعلوم وقد عرفت أيضاً أن قوله: ﴿لعلني أطلع إلى إله موسى﴾ [القصص: ٣٨] من باب ^(١) مجازاة الخصم.

قوله: (قيل أول من اتخذ الأجر فرعون ولذلك أمر باتخاذهُ على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظيم ولذلك نادى هامان باسمه بيا في وسط الكلام) قيل أول الخ استدلال عليه بقوله ولذلك أمر الخ يعني أمره بقوله: ﴿فأوقد لي على الطين﴾ [القصص: ٣٨] ولم يقل أطبخ لي الأجر ونحوه فقوله أوقد لي الخ تعليم صنعة الأجر قوله مع ما فيه من تعظيم أي في الأمر من تعظيم فإنه كان وزيره فأمره بالإيقاد على الطين الذي هو عمل أسافل الناس فهو تعظيم منه والكل ضعيف أما أولاً فلأن قوله: ﴿فأوقد لي﴾ [القصص: ٣٨] لا يدل على صنعة تعليم صنعة الأجر قال تعالى: ﴿ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية﴾ [الرعد: ١٧] الآية فكما لا يدل هذا على تعليم صنعة ذلك لا يدل أيضاً ذلك على التعليم وأما ثانياً فلأن الأمر بهامان وإسناد البناء إليه مجاز عقلي كما صرح به أئمة المعاني والخطاب أولاً للملأ ثم الخطاب ثانياً لهامان يشعر نوع التعظيم به والنداء باسمه لكمال التمييز من الملأ المذكورين أولاً وتوسيط الكلام للمبادرة إلى دفع اشتباه كون الأمر لغيره من الملأ ولعل لهذا مرضه ولم يرض به مع أنه قليل الجدوى وخلاف الفحوى وقيل قاله اللعين بعدما جمع السحرة وتصدى للمعارضة فكان من أمرهم ما كان من المغلوبية انتهى فحينئذ لا يبعد أن يكون ذلك المقال لكمال الحيرة والتنزل عن ادعاء السلطنة كما قال ماذا تأمرون فأني له التعظيم في تلك الحالة الهائلة الداعية إلى التنزل عما كان فيه.

قوله: ولذلك نادى هامان باسمه يناقي وسط الكلام أي واقصد التعظيم والتجبر نادى هامان باسمه فإن ذكر شخص باسمه وتصريحه به تعظيم وتجبر عليه خصوصاً إذا ذكره بيا الدالة على البعيد قال صاحب المفتاح يا في مثل هذا المقام تحيد للمنادى وإيدان بالتهاون به خصوصاً إذا ذكره في وسط الكلام بعد الأمر بالإيقاد والمعهود المتعارف في النداء أن ينادي الرجل أولاً وبنيه ويوقظ عن سنة الغفلة ثم يؤمر وقد خالف المعهود بتأخير نداء المأمور عن الأمر تهوئاً للأمر بتأخير ذكره وتعظماً عليه روي أنه لما أمر ببناء الصرح جمع هامان حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الاتباع والاجراء وأمر بطبخ الأجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير فشيده حتى بلغ ما لم يبلغه بنيان أحد من المخلوق وكان الباني لا يقدر أن يقوم على رأسه فبعث الله جبرائيل عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقمت قطعة على عسكر فرعون فثلثت ألف ألف رجل ووقمت قطعة في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق أحد من عماله إلا قد هلك ويروى في هذه القصة أن فرعون ارتقى فوقه فرمى بنشابية نحو السماء فأراده الله أن يفتنهم فردت إليه وهي ملطوخة بالدم فقال قد قتلت إله موسى فعندها بعث الله جبريل لهدمه والله أعلم بصحته وإن صح ما حكى من رجوع النشابية إليه ملطوخة بالدم فهو تهكم به بالفعل كما جاء التهكم بالقول في غير موضع من كتاب الله بنظره من الكفرة.

(١) فلا منافاة بينهما لأن قوله: ﴿لعلني أطلع إلى إله موسى﴾ بناء على أن موسى عليه السلام يدعي إلهاً ولذا أضاف إلى موسى عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَكَرَّ هُوَ وَخُودُهُ فِي الْأَرْضِ يَكْتَرِ الْحَقَّ وَظَنُوا أَنَّهُمْ إِلَهًا لَا يُرْجَعُونَ﴾ (٣٩)

قوله: (بغير استحقاق) هو حاصل المعنى إذ ما فعل على بطلان لا يكون إلا بدون استحقاق وهذا أولى من جعل الحق بمعنى الاستحقاق مجازاً وهذا القيد بمنزلة التأكيد إذ الاستكبار ما يكون بدون سبب وقيد في الأرض لإفادة شمول استكباره في جميع الأرض التي ملكها.

قوله: ﴿وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ إِلَهًا لَا يَرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٣٩] بالنشور وقرأ نافع وحزمة والكسائي بفتح الياء وكسر الجيم) وظنوا أنهم عبر عن اعتقادهم بالظن تسفيهاً لهم وتجهيلاً قوله بالنشور احتراز عن الرجوع بالموت فإنه لا ينكره أحد.

قوله تعالى: ﴿فَأَعَدَّتْهُ وَخُودُهُ فَنَبَذَتْهُمْ فِي الْيَمِّ فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَتْ عَذِيبَةُ الْقُلُوبِ﴾ (٤٠)

قوله: (فأخذناه) الغاء للسببية ﴿فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ [القصص: ٤٠] الغاء لتفصيل الأخذ تنبيهاً على أن المراد بالأخذ الإهلاك والتعبير بالأخذ للمبالغة.

قوله: (كما مر بيانه وفيه فخامة وتعظيم لشأن الأخذ واستحقاق للمأخوذين كأنهم أخذهم مع كثرتهم في كف وطرحهم في اليم) كما مر بيانه أي في سورة الشعراء قوله وفيه أي في هذا النظم الجليل فخامة أي إظهار العظمة حيث عبر بضمير العظمة والتعبير بالأخذ عن الإغراق والإهلاك والتعبير بالنبد لأنه طرح الأمر الحقير بأطراف اليد مثلاً فنبدنا كناية عن الإغراق أو من باب التمثيل إذ المراد كما عرفته الإغراق قوله كأنهم الخ يرجع الاستعارة التمثيلية ويحتمل أن يكون استعارة مكنية وتخييلية شبهوا بالأمر الحقير المطروح وأثبت لهم النبد.

قوله: (ونظيره) ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] الآية ونظيره أي في كونه استعارة تمثيلية وهذا يؤيد كون ما نحن فيه استعارة تمثيلية لأنه قال هناك ودلالة على أن تخريب العالم أهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل الخ وكذا هنا حتى يكون ذلك نظيره.

قوله: (يا محمد) أو يا من يصلح للخطاب والمراد بالظالمين فرعون وجنوده أظهر

قوله: وفيه فخامة أي في قوله: ﴿فَأَعَدَّتْهُ وَخُودُهُ فَنَبَذَتْهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ [القصص: ٤٠] فخامة وتعظيم لشأنه تعالى حيث شبههم استحقاقاً لهم واستقلالاً لعددهم وإن كانوا الكثير والجم الغفير بحصيات أخذهن أخذ في كفه فطرحهن في البحر ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوَاسِي شَامِخَاتٍ﴾ [المرسلات: ٢٧] ﴿وَحَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤] ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] وما هي إلا تصورات وتمثيلات لاقتداره وأن كل مقدور وإن عظم وجل فهو مستصغر إلى جنب قدرته.

في موضع المضمر تسجيلاً على كفرهم وظلمهم على أنفسهم وعلى غيرهم ولم يعبروا بالكافرين للإشعار بأن ما أصابهم لظلمهم دون لكفرهم فقط كما أشير إليه في قوله تعالى : ﴿وما كان ربك ليهلك القرى﴾ [هود : ١١٧] الآية .

قوله : (وحذر قومك عن مثلها) ولهذا خص النداء به عليه السلام لكن العموم له ولعلماء أمته أولى إذ المقصود من الأمر التحذير وهو عام .

قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً كَذَّبُواكَ إِلَى التَّكْوِينِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُبْصِرُونَ﴾

قوله : (قدوة للضلال بالحمل على الإضلال وقيل بالتسمية كقوله تعالى : ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إنثاء﴾ [الزخرف : ١٩]) قدوة للضلال جمع ضال بوزن نصار جمع ناصر قوله بالحمل على الإضلال متعلق بقوله جعلنا وهذا على مذهب أهل السنة من أن أفعال العباد خيراً كانت أو شراً إيماناً كانت أو كفراً مخلوقة لله تعالى ومن جملة أدلتهم هذه الآية والمعتزلة مضطربون في مثل هذه الآية وقد بين المص في قوله تعالى : ﴿ختم الله على قلوبهم﴾ [البقرة : ٧] الآية وأشار إلى بعض تأويلاتهم بقوله وقيل بالتسمية أي معنى جعلنا هنا بمعنى سميتا كقوله تعالى : ﴿وجعلوا الملائكة﴾ [الزخرف : ١٩] أي سموهم إنثاء وكذا هنا وهذا من قبيل الجمل والتصيير قولاً فهو حقيقة قال في قوله تعالى : ﴿الذي جعل لكم الأرض فراشاً﴾ [البقرة : ٢٢] والتصيير يكون تارة بالفعل وتارة بالقول وبالعقد مرضه لأنه صرف النظم عن الظاهر بلا داع وحمله تعالى على الإضلال بصرف العبد إرادته الجزئية إلى الإضلال فلا جبر .

قوله : (أو يمنع الانطاف الصارفة عنه) هذا تأويل آخر لهم أي معنى جعلهم

قوله : قدوة للضلال بالحمل على الاضلال أي جعلناهم قدوة لأهل الضلال بحملنا إياهم على الاضلال .

قوله : وقيل بالتسمية قائله الزمخشري حيث قال في تفسير ﴿وجعلناهم آية يدعوون إلى النار﴾ معناه ودعوتناهم آية دعاء إلى النار وقلنا إنهم آية دعاء إلى النار كما يدعي خلفاء الحق آية دعاء إلى الجنة وهو من قولك جعله بخيلاً وفاسقاً إذ ادعاء وقال إنه بخيل وفاسق ويقول أهل اللغة في تفسير يخله وفسقه جعله بخيلاً وفاسقاً ومنه قوله عز وعلا : ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إنثاء﴾ [الزخرف : ١٩] ومعنى دعوتهم إلى النار دعوتهم موجبتها من الكفر والمعاصي وقال محيي السنة وجعلناهم آية قادرة رؤساء يدعوون إلى النار وقال الإمام قد تمسك الأصحاب بها في كونه تعالى خالقاً للخير والشر قال صاحب الانتصاف لا فرق عندنا بين قوله : ﴿وجعل الظلمات والنور﴾ [الأنعام : ١] ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾ [الأنعام : ١٢] وبين هذه الآية فمن حمل الجمل على التسمية ههنا فهو بمثابة من حمله على التسمية هنا هذا ولما كان تفسيره بجعلناهم قادة رؤساء الضلال على ما هو ظاهر معناه مخالفاً لأصل أهل الاعتزال لدلالته على خلق الشر عدل الزمخشري عن ظاهره ففسره بالتسمية تارة وبخذلانهم أخرى .

قوله : أو يمنع الانطاف عطف على قوله بالتسمية أو بالحمل أي جعلناهم قدوة للضلال بمنع

ضالين مضلين منعهم عن اللطف والتوفيق للطاعة^(١) مع أنهم يدعون أن اللطف يجب على الله تعالى .

قوله : (إلى موجباتها من الكفر والمعاصي بدفع العذاب عنهم) إلى موجباتها بكسر الجيم بمقتضى الوعيد فالنار مجاز عن سببها أو يقدر المضاف إذ الدعوة ليست إلا سببها إلا أنه لكمالها في السببية كأنه عين المسبب قوله بدفع العذاب عنهم إذ النصرة في الأصل مختص بدفع المضرة ودفع العذاب عنهم إما مجاناً وهو الشفاعة أو قهراً أو مكافأة لما أحسنه والكل منتف وإن كان النصرة ظاهرة في الدفع قهراً وهو لاستمرار النفي في عموم الأوقات .

قوله تعالى : **وَاتَّبَعْتُهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُورِينَ** ﴿٤٢﴾

قوله : (طرداً عن الرحمة أو لعن اللاعنين يلعنهم الملائكة والمؤمنون) طرداً عن الرحمة أي التوفيق والهداية لأنه رحمة عظيمة قوله ولعن اللاعنين الخ فأو لمنع الخلو فسوغ الجمع .

قوله : (من المطرودين) يقال قبحه الله تعالى أي نحاه عن الخير وأبعده كذا ذكره الراغب والظاهر أنه حقيقة فيه ولا يتوهم التكرار لأن الأول في الدنيا وهذا في الآخرة .

قوله : (أو ممن قبح وجوههم) يوم تسود وجوه الأشقياء وتبيض وجوه السعداء فالمعنى الأول ناظر إلى المعنى الأول للجنة في الدنيا والثاني إلى الثاني أخره لأن المعنى الأول مأخوذ من قبحه الله تعالى أي نحاه عن الخير فهو مقبوح وأما الأخذ من قبح

الطافنا عنهم الصارفة لهم عن الاضلال وجعل صاحب الكشف في وجه لفظ جعلنا مجازاً في معنى الخذلان حيث قال ويجوز خذلانهم حتى كانوا أئمة الكفر ومنع الخذلان منع الانطاف وإنما يمنعها من علم أنها لا تنفع فيه وهو المصمم على الكفر الذي لا تنفي عنه الآيات والنذر ومجرأ مجزى الكتابة لأن منع الانطاف يردف التصميم والغرض بذكره التصميم نفسه فكانه قيل صمموا على الكفر حتى كانوا أئمة فيه دعاة إليه وإلى سوء عاقبته إلى هنا كلامه فسرنا على وجهين الوجه الأول أن يكون بمعنى وجعلناهم مسمين بالأئمة مدعويين بها والثاني أن يكون بمعنى خذلانهم حتى كانوا أئمة الكفر وأول الخذلان بمنع الانطاف قال الطيبي رحمه الله الوجه الأول قول المجاني وهذا قول الكعبي يريد أن مؤدى قوله : ﴿وجعلناهم أئمة﴾ من حيث التأويل إلى هذا المعنى وهو خذلانهم حتى كانوا أئمة وإنما قال وإنما يمنعها من علم أنها لا تنفع بناء على أن رعاية الأصلح واجبة وهو منح الانطاف وهم إنما خذلوا ومنع عنهم الانطاف من جهة أنفسهم وهو تصميمهم على الكفر ولعمري إن هذا التعسف لا يرتكبه إلا من عمي عن الجادة ثم كلامه فعلى هذا يكون في قول القاضي رحمه الله أو بمنع الانطاف الصارفة عنه فوحة من أصل أهل الاعتزال فكان الأولى له أن لا يتعرض به تجنباً عن المشي اثر من مال عن الطريق .

(١) إشارة إلى المناقاة بين القولين لهم .

وجوههم فمشكل لأنه لازم قبناه اسم المفعول منه غير ظاهر إلا أن يقال إنه من قبيل الحذف والإيصال قوله أو ممن قبح وجوههم إما معلوم من الثلاثي أو مجهول من التفعيل أو من الثلاثي بحذف الجار وعلى الوجهين فيه إشارة إلى أن الإستاذ في المقبوحين مجاز.

قوله تعالى: **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بِصِكْرٍ لِّلنَّاسِ وَهَدَىٰ رَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** ﴿٤٣﴾

قوله: (التوراة) فاللام للعهد للقربة وهو أول كتاب فصل فيه الأحكام^(١) بعد اندراس معالم الشرائع وانطماس آثارها وأحكامها كما أشير إليه في قوله تعالى: ﴿مَنْ بَعْدَ مَا أَهْلَكْنَا﴾ [القصص: ٤٣] الآية فإنه بعد إهلاكهم اندرس معالم الأحكام فاحتيج إلى شرع جديد بين فيه الأحكام المؤدية إلى نظام العالم وصلاح المعاد وانطماسها يؤدي إلى الاختلال في المبدأ والمعاد. (أقوام نوح وهود وصالح ولوط).

قوله: (أنواراً لقلوبهم يتبصر بها الحقائق ويميز بين الحق والباطل) أنواراً لقلوبهم لأن البصيرة هي إدراك القلب والإدراك نور يتخلص به عن ظلمات الجهل والأوهام فقوله أنواراً^(٢) استعارة لتلك الإدراكات قوله يتبصر بها الخ تنبيه على ما قلنا قوله ويميز بين الخ بيان فائدة تبصر الحقائق فإن بعض الحقائق حق واجب الاتباع وبعضها باطل واجب الاجتناب ولا يعرف العقل وحده ذلك فبين الله تعالى بإنزال الكتاب حين مساس الحاجة إليها تذكرة لأولي الألباب وهدي أفرد مع جمع البصائر لأنه مصدر.

قوله: (إلى الشرائع التي هي سبل الله تعالى) أي هدى بمعنى الهداية وهي الدلالة على ما يوصل إلى البغية وهي هنا الشرائع التي هي سبل الله تعالى فمن سلك فيها يصل إلى رضا الله تعالى أشار به إلى أنه هاد إلى الله تعالى في الحقيقة لأنه المقصود والشرائع وسائل.

قوله: (لأنهم لو عملوا بها نالوا رحمة الله) فيه إشارة إلى أن كونه رحمة مجاز لكونه سبباً لمن عمل به للرحمة ووصولها وعطف رحمة ظاهر وأما عطف هدى فلتنزيل تغاير الصفات منزلة تغاير الذوات وهذا في الرحمة ظاهر وانتصاب الكل على الحالية من الكتاب على الاتساع أو على تقدير المضاف أي ذا بصائر والتقديم إذ الإدراك مقدم رتبة لكونه مقصوداً ثم الهداية مقدمة على الرحمة.

قوله: (ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر) فيه إشارة إلى أن الكلام استعارة

قوله: أنواراً لقلوبهم لأنها كانت عمياء لا تستبصر ولا تعرف حقاً من باطل.

(١) وهذا تأويل ما قاله أبو حيان وهو أول كتاب أنزلت فيه القرائن والأحكام.

(٢) الأولى أضواء بدل أنواراً كما ذكر في سورة الأنبياء.

تمثيلية وحاصله ليكونوا على حالة قابلة للتذكر كحال من يرجى منه ذلك فإن الرجاء باعث للتذكر .

قوله : (وقد فسر بالإرادة وفيه ما عرفت) والمفسر صاحب الكشف حيث جعله استعارة تبعية بتشبيه الإرادة بالترجي لكون كل منهما سبباً للوقوع في الجملة ولم يرض به المص لما عرفت من لزوم تخلف المراد عن الإرادة وهو محال في شأنه تعالى إلا أن يقال إنه يكفي تذكر البعض لكنه ضعيف والأقرب أن نسبة التذكر إلى الجميع مجاز عقلي والمراد بعضه فيكون من قبيل إستناد ما للبعض إلى الكل فالإرادة بالنسبة إلى ذلك البعض وهذا أولى من أن يقال إن للإرادة معنيين تفويضية وهي قد يتخلف عن المراد وقسرية وهي لا يتخلف المراد عنها وقد أراد الزمخشري هنا المعنى الأول وفي قوله إذا كان أراد الله شيئاً كان أراد المعنى الثاني فلا إشكال بتنافر قوليه وهكذا وجهوا مرادهم بقولهم إن الله تعالى أراد من الكافر الإيمان ومن العاصي الطاعة فلا ضير عند المعتزلة في تخلف المراد عن إرادته تعالى وهذا توجيه للكلام الزمخشري لكنه مخالف لمذهب أهل السنة ولذا لم يرض به المص ولو حمل الترجي على كونه من المخاطب كما اختاره بعض المحققين لكان أسلم من المناقشة سواء كان لعل حيثئذ حقيقة أو مجازاً .

قوله تعالى : وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْقَرْيَةِ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾

قوله : (يريد الوادي أو الطور فإنه كان في شق الغرب من مقام موسى عليه السلام أو الجانب الغربي منه) يريد الوادي أي يريد بجانب الوادي^(١) أو يريد بالغربي الوادي بناء على أن المراد المكان فحيثئذ يكون الإضافة من إضافة الموصوف إلى صفته على ما اختاره الكوفيون فالأول هو الراجح قوله أو الطور أي جبل طور سيناء قوله فإنه أي كل منهما على

قوله : فقد فسر بالإرادة وفيه ما عرفت هذا رد على من أخرج كلمة لعل عن معناها الحقيقي الذي هو الترجي وجعله مجازاً مستعاراً عن الإرادة تشبيهاً لها بالترجي كما فعله صاحب الكشف في وجه ومحصل الرد أنه لا يلزم من وقوع الرجاء غاية لايتاء الله الكتاب أن يكون تعالى موصوفاً بالرجاء حتى يتكلف فيه بهجعله مجازاً عن الإرادة لجواز أن يكون الترجي على حقيقته وبراد بالرجاء رجاء موسى أو رجاء المؤمنين ممن يدعي بالكتاب أن يتذكر على ما فسره رحمه الله بقوله ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر .

قوله : وهدى إلى الشرائع أي دلالة وإرشاداً إلى الشرائع لأنهم كانوا يخطون في ضلال .

قوله : يريد الوادي أو الطور وفي الكشف الغربي المكان المرتفع في شق الغرب وهو المكان الذي وقع فيه ميقات موسى من الطور وكتب الله له في الألواح .

(١) كما قاله المحشون والظاهر الثاني لأن الغربي وصف وموصوفه محذوف وهو الوادي أو الطور وفي الكشف المكان الغربي قوله أو الجانب الغربي إشارة إلى أن المراد بجانب الغربي الجانب الغربي على أن الجانب موصوف أضيف إلى صفته .

سبيل البديل قوله منه أي من مقام موسى عليه السلام فمن للبيان أو من الوادي أو الطور ومن ابتدائية فظهر الفرق بين الأول وبين هذا إذ في هذا بعض الوادي أو بعض الطور وفي الأول مجموعهما وينبغي أن يعد هذا على الأول .

قوله : (والخطاب للرسول عليه السلام أي ما كنت حاضراً ﴿إذ قضيت﴾ [القصص : ٤٤]) الآية لأن هذا شروع في بيان أن إنزال القرآن في مساس الحاجة إثر بيان أن إنزال التوراة كان في زمان يحتاج الناس إلى الإنزال وقد بدأ به فإنه لتحقيق أن القرآن وحي نازل من عند الله إذ الإخبار بهذا ممن لم يتعلم ولم ينشأ قريضاً لا يكون إلا بالوحي أي ما كنت حاضراً ومع هذا أخبرتهم على وجه نطق به كتابهم وتواتر فيما بينهم وهذا لا يكون إلا بالوحي فيتضح فائدة الخير .

قوله : (﴿إذ أوحينا إليه﴾ الأمر الذي أردنا تعريفه) إذ أوحينا أي قضى بمعنى أوحى لأنه من قبيل إتمام الشيء قولاً قوله أردنا تعريفه أخرج الأمر عن العموم إذ ليس الأمر كله موحى بل الأمر الذي أريد تعريفه .

قوله : (﴿وما كنت من الشاهدين﴾ [القصص : ٤٤] للوحي إليه أو على الوحي إليه وهم السبعون المختارون للميقات) ﴿وما كنت من الشاهدين﴾ [القصص : ٤٤] وهذا كالتأكيد لما سبق فإنه عليه السلام لما لم يكن حاضراً حين الوحي إلى موسى عليه السلام علم أنه عليه السلام لم يكن من الشاهدين للوحي إليه أي الشاهد من الشهود بمعنى الحضور وهم السبعون الخ قد مر قصتهم في سورة الأعراف .

قوله : (والمراد الدلالة على أن إخباره عن ذلك من قبيل الإخبار عن المغيبات التي لا تعرف إلا بالوحي ولذلك استدرك عنه بقوله) :

قوله : إذ أوحينا إليه الأمر الذي أردنا تعريفه فالأمر المقضي لموسى هو الوحي الذي أوحى إليه .

قوله : للوحي أو الموحى إليه تقدير لمتعلق الشهادة على كل من احتمليه أي ما كنت حاضراً في المكان الذي أوحينا إلى موسى ولا كنت من جملة الشاهدين للوحي وهم ثقباء السبعون الذين اختارهم للميقات حتى تقف على ما جرى من أمر موسى في ميقاته وكتبه التوراة له في الألواح وغير ذلك .

قوله : والمراد الدلالة الخ هذا بيان ربط قوله تعالى : ﴿ولكننا أنشأنا قروناً﴾ [القصص : ٤٥] فتطاول عليهم العمر بما قبله فوجه اتصاله به على ما قرره هو ذكر سبب إرسال رسول الله ﷺ بعد موسى وهو تطاول زمان انقطاع الوحي واندراس العلوم والشرايع وتغيرها كأنه قال وما كنت شاهداً لموسى وما جرى عليه ولكننا أوحينا إليك وأرسلناك وأفضنا عليك العلم بقصص الأنبياء وقصة موسى فذكر سبب الوحي وهو إطالة الفترة ودل به على المسبب على عادة الله تعالى في اختصاراته فإن هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده وفيه أن إخباره ﷺ عن ذلك من قبيل الإخبار عن

قوله تعالى: وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾

(«ولكننا أنشأنا قروناً» [القصص: ٤٥]) الآية والمراد الدلالة الخ وقد أوضحناه آنفاً وهذا نظير قوله تعالى: «تلك من أنباء الغيب» [هود: ٤٩] الآية وفيه تنبيه على أن ما ذكر ليس المراد به الإخبار به لأنه ظاهر فالمراد الدلالة المذكورة والقرينة على ذلك ما ذكرناه من أن ما أخبر به لا يعلم إلا يعلم أو مشاهدة أو نقل متواتراً والأخيران مفتيان والتعلم أيضاً منتف لم يذكره لظهوره فتعين أنه بالوحي فيدل على نبوته وهذا هو المقصود هنا.

قوله: (أي ولكننا أوحيناه إليك لأننا أنشأنا قروناً مختلفة بعد موسى عليه السلام) أشار به إلى أن كونه استدراكاً بملاحظة هذا التقدير فإن التوهم الناشئ مما قبله إنما يدفع بهذا المقدر فأقيم علته مقامه كما ذكره وحاصله ما كنت حاضراً لكنت علمته بالوحي وعلّة ذلك أن الزمان تطاول فانطمس آثار الوحي واندرس أحكام الشرع فأرسلناك بالقرآن تبياناً لكل شيء بالبرهان وهذا خلاصة ما ذكره المص فاعلم أن بيان إن بعثه موسى عليه السلام بعد إهلاك القرون لمساس الحاجة الداعية إليه تمهيد لبيان أن إرسال الرسول عليه السلام بالقرآن لمساس الحاجة إلى الإرسال فهذا كقوله تعالى: «يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة» [المائدة: ١٩] الآية ففي هذه الآية امتنان على الأمة بأن بعث إليهم حين انطمست آثار الوحي وكانوا أحوج ما يكون إليه.

قوله: (فتطاولت عليهم المدة) وهي جمع مدة تفسير لقوله فتطاول عليهم العمر فإنه مستلزم لتطاول مدة أي تطاول مدة الوحي ولم يبعث فيه نبي يجدد الشرع فكان ذلك سبباً للتحريف وتغيير الشرع فمست الحاجة إلى إرسال الرسول عليه السلام.

قوله: (فحرفت الأخبار وتغيرت الشرائع واندرست العلوم فحذف المستدرك وأقيم سببه مقامه) فحذف المستدرك لظهوره وللإيجاز وهو كثير في كلامهم وقد يقع في القرآن أيضاً.

قوله: (مقيماً) تفسير ثاوياً (شعيب والمؤمنين به).

قوله: (نقرأ عليهم للتعلم منهم) نقرأ أي تتلو من التلاوة لا من التلو قوله للتعلم لأنه عليه السلام لو فرض وجوده في ذلك الزمان لا يكون قراءته إلا للتعلم ولذا حملها عليه وفيه رد لتوهم سماعه عليه السلام منهم بطريق التعلم.

قوله: (التي فيها قصتهم)^(١) أي قصة القرون الأولى ولقرب عهد أهل مدين يزمّن موسى عليه السلام خصوصاً بالذكر.

المغيبات التي لا توقف عليها إلا بالوحي فإن الإخبار عن الماضين مع تطاول الوحي العهد ونسيان الذكر مع عدم شهود أحوالهم لا يكون إلا بوحى من الله تعالى وإعلام منه.

(١) وقيل قصة أهل مدين ولا يخفى ضعفه.

قوله : (إياك) مفعوله المحذوف إذ الخطاب معه عليه السلام .

قوله : (ومخبرين لك بها) لتخبر بها قومك معجزة لك لكونها من المعجبات قوله ولكننا كالاستدراك السابق لكنه لا حذف فيه أي ما كنت حاضراً فيه ولكنك علمته بالوحي إليك تلك الآيات وتظاهرها .

قوله تعالى : وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحِمَهُ مِنْ رَبِّكَ يُسْنِدُ قَوْمًا مَا أَنْتَهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾

قوله : (لعل المراد به وقت ما أعطاه التوراة وبالأول حيث ما استنبأه لأنهما المذكوران في القصة) لعل المراد الخ لثلا يلزم التكرار ولم يعكس في دفع التكرار لرعاية الترتيب الوقوعي قوله لأنهما الخ أما الثاني فيقوله تعالى : ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ [القصص : ٤٣] الآية وأما الأول فيقوله تعالى : ﴿فلما أتاه نودي يا موسى﴾ [طه : ١١] إلى آخره وهذا أولى لكونه على طريق اللف والنشر المرتب وعكسه على طريقة اللف والنشر الغير المرتب ولا داعي إليه وكون كل منهما برهاناً مستقلاً على أن حكايته عليه السلام القصة بطريق الوحي الإلهي ظاهر كثار على علم فلا يصار إلى عكسه لتلك النكتة والزمخشري^(١) اختار العكس وتبعه صاحب الإرشاد مؤيداً له ولو كان على الترتيب الوقوعي لربما توهم أن الكل دليل واحد على ما ذكر كما مر في قصة البقرة وهذا غريب إذ ما بين القصتين بون بعيد (نصب على المصدر أو مفعول له) .

قوله : (ولكن علمناك رحمة وقرئت بالرفع على هذه رحمة) ولكن علمناك رحمة أي علمناك محذوف لأن الرحمة معمول لا بد له من عامل وهو علمنا بقرينة الإرسال إن كان مفعولاً به فالمراد القرآن لأن من عمل به ينال الرحمة العظيمة الأبدية وإن كان مفعولاً له فقوله لتنذر حيثيل علة للفعل المعلن وتعليم الله تعالى هنا بالوحي وإسناد التعليم إليه تعالى صحيح لكن لا يقال إنه معلم .

قوله : لعل المراد به وقت ما أعطاه التوراة أي لعل المراد بقوله إذ في إذ ناديتاه وقت إعطاء التوراة وهو ليلة المناجاة وتكليمه وبالأول وهو إذ قضينا إلى موسى الأمر وقت استنبائه أي وقت جمعه نبياً وعبر عن الزمان بحيث تجوز أن يجوز أن يردد بالأول الجانب الغربي في قوله وما كنت بجانب الغربي فيكون حيث على حقيقته مستعملاً في المكان والتجوز انسب لقوله ولعل المراد به وقت ما استنبأه لأن مراده تفسير معنى إذ في الموضوعين وقوله لأنهما المذكوران في القصة تعليل لتغاير الوقتين فإن ذكرهما معاً في القصة دليل على أن المراد بالثاني غير ما أريد بالأول لأن هذه الآيات وإن كانت لبيان سبب إرسال رسولنا ﷺ لكن في ضمنه تذكير القصة على الإجمال فالوجه أن يكون في المجمع ما يشار به إلى ما في التفصيل .

(١) لكن قوله فيما سبق والمراد من الشاهدين السعون المختارون نص فيما اختاره الزمخشري .

قوله : (متعلق بالفعل المحذوف) وهو علمنا لم يذكر التشيير مع أنه علة أيضاً إذ الأهم الإنذار لم يذكر المستدرك هنا أيضاً لوضع سببه موضعه لكن السبب من جهته تعالى وفي الأول من جهة الناس وهو تطاول المدة وفي هذا نوع من الاحتباك حيث ذكر هنا الرحمة صريحاً واعتبر فيه تطاول المدة أيضاً وفي الأول ذكر تطاول المدة صريحاً واعتبر فيه الرحمة بقرينة الذكر هنا وصرح المستدرك فيما بينهما تنصيهاً على المقصود وقرينة على الاعتبار فيهما وفيه أيضاً معتبر ما يوجب الإرسال من جهة الرب وهو الرحمة ومن جهة الناس وهو تطاول العمر ففيه أيضاً شمة من الاحتباك واختيار هذا الأسلوب دون عكسه يعرف وجهه بالنظر الصائب والفكر الثاقب.

قوله : (ما أتاهم) صفة قوماً وما نافية صفة موضحة لا مخصصة.

قوله : (لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة) قال في سورة المائدة وكان بينهما ستمائة أو خمسمائة وتسع وستون سنة وما ذكر هنا لا يوافق ولعل هذا رواية أخرى ولذا لم يذكر هنا أن بينهما أربعة أنبياء ثلاثة من بني إسرائيل وواحد من العرب لأن هذا وقع في رواية أخرى.

قوله : (أو بينك وبين إسماعيل عليه السلام على أن دعوة موسى وعيسى عليهما السلام كانت مختصة ببني إسرائيل وما حوالهم) أو بينك وبين إسماعيل أكثر من ألفي سنة كذا قيل لكن هذا بناء على أن دعوة موسى الخ وعلى الأول أن موسى وعيسى عليهما السلام أرسلا للعرب وأنه ليس بينهما نبي كما ورد لا نبي بيني وبين عيسى عليه السلام والرواية المشهورة أن موسى وعيسى عليهما السلام بعثا إلى بني إسرائيل وما حوالهم والعماد المبعوث بأحكام التوراة وأما دعوة فرعون قبل إعطاء التوراة فدعا فرعون وقومه إلى التوحيد.

قوله : ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص : ٤٣] ﴿يَتَعَفَّوْنَ﴾ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص : ٤٣] الرجاء من المخاطب أو المعنى ليكون حالهم حال من يرجى التذكر منهم قد مر البيان آنفاً.

قوله : أو بينك وبين إسماعيل على أن دعوة موسى وعيسى مختصة ببني إسرائيل يعني أن النذير الذي نفى إثباته في قوله عز قائله : ﴿ما أتاهم من نذير من قبلك﴾ [القصص : ٤٦] إما مطلق النذير سواء كان نذيراً لكافة الناس أو لبعضهم أو نذير مفيد وهو نذير كافة الناس فإن أريد به الأول يجب أن يصرف معنى قوله : ﴿من قبلك﴾ [القصص : ٤٦] إلى ما بينه وبين عيسى عليهما السلام وإن أريد به الثاني يجب أن يصرف معنى من قبلك إلى ما بينه وبين إسماعيل عليه السلام بناء على أن دعوة موسى وعيسى مختصة ببني إسرائيل وما حوالهم وعلى كل من الوجهين يكون مثل قوله : ﴿لَتَنْتَذِرُنَّ قَوْمًا مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمُنْذِرٍ﴾ [يس : ٦] وقوله : ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص : ٤٣] علة غائية للإرسال المدلول عليه بقوله : ﴿كُنَّا مَرْسَلِينَ﴾ [القصص : ٤٥] أي ولكننا كنا مرسلين إياك لكي يتذكروا ويتعظوا بما جئت به وقوله : ﴿ما أتاهم من نذير من قبلك﴾ [القصص : ٤٦] اعتراض بين التعليل والتعليل.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٤٧﴾

قوله: ﴿ولولا أن تصيبهم مصيبة﴾ أي عقوبة ﴿بما قدمت أيديهم﴾ [القصص: ٤٧] بما اكتسبوا من الكفر والمعاصي.

قوله: (لولا الأولى امتناعية) أي تدل على امتناع جوابها لوجود شرطها وفي مثله يقدر كراهة أن تصيبهم وقيل فيقولوا عطف على تصيبهم داخل في حيز لولا الامتناعية على أن مدار انتفاء ما يجاب به هو امتناعه لا امتناع المعطوف عليه وإنما ذكره في حيزها للإيدان بأنه السبب الملجئ لهم إلى قولهم وسيجيء الإشارة إليه من المص و نقل عن صاحب الانتصاف أن التحقيق أنها تدل على أن ما بعدها مانع من جوابها عكس لو فإنها تدل على لزوم جوابها لما بعدها والمانع قد يكون موجوداً وقد يكون مفروضاً وما هنا من الثاني فلا إشكال فيه انتهى والأقرب تقدير الكراهة في مثله إذ قوله قد يكون مفروضاً مع كونه خلاف الظاهر المؤدي إلى الاشتباه المطلوب البيان من العلماء الأعيان.

قوله: (والثانية تحضيضية واقعة في سياقها لأنها مما أجبت بها بالفاء تشبيهاً لها بالأمر مفعول فيقولوا المعطوف على تصيبهم بالفاء) تحضيضية أي بمعنى هلا كما نبه عليه

قوله: (والثانية تحضيضية واقعة في سياقها أي في سياق لولا الامتناعية حيث وقعت التحضيضية مقولاً ليقول المعطوف على الشرط الواقع بعد كلمة الشرط التي هي لولا الأولى وحكم المعطوف على الشرط في حكم الشرط في اقتضاء الجزاء الواقع بعدهما وسر العطف بالفاء السببية دون الواو الإشعار بكون مفهوم المعطوف هو مقتضي للجزاء والسبب له إصالة وأن المعطوف عليه مقتضى مقتضي سبب السبب لأن الجزاء هو لما أرسلناك المحذوف وسببه قولهم هذا وسبب قولهم هذا إصابة مصيبة وهي عقوبة كفرهم أي ولقولهم ذلك عند إصابة المصيبة أرسلناك إليهم لثلاث يقي لهم عذر بأن يقولوا ما نزل إلينا رسول من الله ولو أرسل لأتينا به ولولا قولهم هذا لما أرسلناك أي السبب الباعث لأرسلناك قولهم هذا عند المصيبة وقوله مفعول فيقولوا خبر بعد خبر للمبتدأ الذي هو قوله والثانية أي ولولا الثانية تحضيضية واقعة في سياقها مفعول فيقولوا ثم وصف قوله فيقولوا بقوله المعطوف على تصيبهم بالفاء المعطية معنى السببية المنبهة على أن القول هو المقصود بما يكون سبباً لانتفاء ما يجاب به وأنه لا يصدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة إشارة إلى وجه ترجيح العطف بالفاء على العطف بالواو إلى نكتة جعل المعطوف عليه شرطاً ومقتضياً للجواب مع أن الجواب مستند أصالة إلى المعطوف دون المعطوف عليه ومقتضى الظاهر أن يقع في حيز الشرط ما هو ادخل في السببية واقتضاء الجواب في المقصود الأصلي فيه فعدل عن الظاهر إلى هذا ليعيد أن قولهم هذا لإصابة عقوبة على كفرهم لا للتأسف على ما فاتهم من الإيمان بخالفهم فإنهم لو لم يعاقبوا على كفرهم حين شاهدوا ما الجنوا به إلى العلم بالحق واليقين به لم يقولوا لولا أرسلناك إلينا رسولاً وفي هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم ما لا يخفى قوله تعالى: ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه﴾ [الأنعام: ٢٨].

بقوله هلا أرسلت الخ وهنا للتحريض والحث على الإرسال وإن دخلت على الماضي إذ لا يصح التقديم هنا بل الأولى الحمل على التمني في مثله قوله واقعة في سياقها خبر بعد خبر لأنه مقول القول قوله فيقولوا في حيز لولا الامتناعية فمقوله أيضاً كذلك قوله لأنها أي لولا الثانية أجيبت بالقاء حيث قيل في جوابه فتتبع بالنصب ومشابقتها بالأمر لأنه للطلب في المضارع وما يحذو حذوه كالأمر فيجاء بالقاء دون الامتناعية فالثانية تحضيضية فقولها لأنها دليل على ذلك قوله مفعول فيقولوا أي مقوله كما مر وهو خبر لمحذوف أي هي مفعول فيقولوا المعطوف على تصيبيهم فلذا قال فيما قبله واقعة في سياقها لكونها مقول فيقولوا الذي واقع في سياق لولا الامتناعية.

قوله: (المعطية معنى السببية المنبهة على أن القول هو المقصود بأن يكون سبباً لانتفاء ما يجاب به) المعطية أي الدالة على سببية ما قبلها لما بعدها والمنبهة صفة للسببية وجه التنبيه هو أن وجود ما بعد لولا الامتناعية سبب لامتناع جوابها كما قال النحاة إنها لامتناع شيء لوجود غيره وما هو موجود هنا هو القول المذكور ولو فرضاً فيكون سبباً لانتفاء جوابه وهو ما أرسلناك فيكون الإرسال محققاً لأن نفي النفي إثبات ولذا قال في بيانه أي إنما أرسلناك الخ.

قوله: (وأنه لا يصدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة والجواب محذوف والمعنى لولا قولهم إذا أصابتهم العقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا أرسلت إلينا رسلاً يبلغنا آياتك فتتبعها ونكون من المصدقين ما أرسلناك أي إنما أرسلناك قطعاً لعذرهم والزاماً للحجة عليهم) وأنه لا يصدر عنهم هذا القول حتى يلجئهم العقوبة إلى القول المذكور فإصابة العقوبة سبب لهذا القول وهذا القول سبب لانتفاء ما يجاب به فالإصابة سبب السبب ولذا ذكر المعطوف عليه ولم يكتف بالمعطوف مع أنه المقصود قوله في بيان المعنى لولا قولهم إذا أصابتهم الخ تنبيه على ذلك وإن مدخول لولا في الحقيقة هو القول المذكور وإن تصيبيهم سبب له ولكماله في السببية دخلت لولا عليه كأنه سبب قريب لامتناع الجواب فظهر ضعف الإشكال بأن لولا يقتضي وجود شرطه وهو إصابتهم بها وقدروا كراهة أن الخ لأن الشرط في الحقيقة هو القول المذكور وهو محقق لا محيد عنه كما صرح به صاحب الإرشاد وفيه نظر.

قوله: (يعني الرسول المصدق) أي المراد باتباع الآيات اتباع من أتى بها لاستلزامه ذلك وإنما اختير الآيات لكونها سبباً للاتباع المقصود وهو اتباع الرسول عليه السلام.

قوله: اقترأوا وتعتأ أي قالوا ذلك فجاءوا بالاقترحات المبنية على التعت والتعت كما قالوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك وما أشبه ذلك.

قوله: يعني أبناء جنسهم لما أوهم رجوع ضمير أولم يكفروا إلى القائلين لولا أوتي مثل ما أوتي موسى اتحاد الكافرين بما أوتي موسى مع هؤلاء القائلين وحدة شخصية والحال أنهم غير هؤلاء لأن القائلين بذلك هم الكافرون الكائنون في عهد رسول الله ﷺ والكافرون بما أوتي موسى عليه السلام هم الموجودون في زمن موسى حملة على الوحدة النوعية فقال يعني أبناء جنسهم.

قوله : (بنوع من المعجزات) أي بنوع عظيم منها وهو القرآن العظيم الباقي في مر الدهور فالمراد بالآيات الآيات النقلية والأولى التعميم إلى الآيات العقلية والنقلية والمراد نوع من المعجزات مخصوص به عليه السلام ويؤيده التعبير بالنوع دون فرد .

قوله : ﴿ وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص : ٤٧] تذييل لما قبله ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ ﴾ [القصص : ٤٨] أي الأمر الحق من المعجزات بقرينة قولهم : ﴿ لَوْلَا أَوْتِي مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى ﴾ [القصص : ٤٨] وكون المراد الرسول لا يلائمه .

قوله تعالى : فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أَوْتِي مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُمْ لَكَافِرُونَ ﴿٤٨﴾

قوله : (من الكتاب جملة واليد والعصا وغيرهما اقتراحاً وتعتناً) وهو الطلب تحكماً وتمتناً وهو طلب الزلة مفعول له لقالوا ولم يريدوا بذلك الاسترشاد إذ لا فرق بين معجز ومعجز فمن لم يؤمن بالمعجز الذي آتاه لم يؤمن بمعجز آخر .

قوله : (يعني أبناء جنسهم في الرأي والمذهب وهم كفرة زمان موسى عليه السلام) يعني أبناء جنسهم أي إستاند الكفر بما أوتي موسى من قبل إلى الكفار المعاندين في عصر رسولنا عليه السلام مجاز عقلي لملاستهم في الرأي والمذهب نظيره إستاند ما صدر من الآباء إلى الأبناء للملابسة المذكورة فحينئذ يكون يعني أبناء جنسهم لبيان من فعل الكفر بما أوتي موسى حقيقة لا لبيان مرجع الضمير لكن لفظة يعني لا يلائمه أو مراده بيان مرجع الضمير في أو لم يكفروا فحينئذ يلزم تفكيك الضمائر وأما كونه إشارة إلى تقدير مضافين وإستاند الفعل إلى المضاف إليه بعد حذفهما فبعيد إذ تقدير المضافين غير شائع بل غير متعارف في كلامهم قول المص وهم كفرة زمان موسى عليه السلام ظاهر في كون مرجع الضمير كفرة زمان موسى عليه السلام لكن لما كان بيان كونه لمن فعل الكفر حقيقة مع إستاند الفعل إلى قریش مجازاً جوز احتمال آخر ويحتمل أن يكون التقدير أو لم يكفروا بمثل ما أوتي موسى ولا يخفى ضعفه .

قوله : (وكان فرعون عربياً من أولاد عاد) وهذا رواية ضعيفة والرواية المشهورة أنه قبطي وكون أولاد عاد عربياً مختلف فيه أيضاً ومراد المص به تصحيح قوله أبناء جنسهم لكن لا حاجة إليه لأن الإنسان جنس واحد مع أنهم راضون بفعل أسلافهم .

قوله : (يعنون موسى وهارون أو موسى ومحمداً عليهما السلام) يعنون موسى وهارون

قوله : (وكان فرعون عربياً من أولاد عاد يعني أن فرعون من الذين كفروا بما أوتي موسى وهو غير أنه جنس القائلين المذكورين في الرأي والمذهب جنسهم أيضاً في كونه عربياً كما أن هؤلاء القائلين عربيون .

قوله : يعنون موسى وهارون هذا على تقدير ان يتعلق من قبل بأو لم يكفروا فالمعنى أو

وإسناد قالوا مثل إسناد أو لم يكفروا قوله أو موسى ومحمداً عليهما السلام فحيثئذ يكون المراد بمن كفر أهل مكة على ما روي في الكشف أنهم أرسلوا لليهود يسألونهم عن محمد فقالوا إن نعتهم وصفته في كتابهم فلما أخبروا بذلك قالوا ساحران تظاهروا قبل وعلى هذا لا تكلف في كون ضمير قبله لكفار مكة قال الفاضل المحشي فتعين أن يكون فاعل يكفر ضمير قريش فإنهم كفروا نبوة موسى عليه السلام الخ والتظاهر أن إنكارهم نبوة موسى عليه السلام مبالغة في إنكار نبوة الرسول عليه السلام كما قيل في قولهم ما أنزل الله على بشر من شيء قال المعص هناك والقائلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة في إنكار إنزال القرآن الخ فحيثئذ لا يتم ما ذكره المحشون.

قوله : (تعاونوا بإظهار تلك الخوارق أو بتوافق الكتائب وقرأ الكوفيون سحران بتقدير مضاف) تعاونوا بإظهار تلك الخوارق هذا ناظر إلى الأول لكن ظهور الخوارق في يد موسى عليه السلام لكن لما كان هارون عليه السلام ردهاً معيناً له في التبليغ وجد التعاون في ظهور تلك الخوارق بحسب الظاهر قوله أو بتوافق الكتائب هذا ناظر إلى كون المراد موسى ومحمد عليهما السلام والمراد بتوافق الكتائب التوافق في أصل الأحكام وهو الاعتقادات والشرائع المتفق عليها فلا يضر تخالفهما في بعض الفروع.

قوله : (أو جعلهما سحرين مبالغة أو إسناد^(١) تظاهرها إلى فعلهما دلالة على سبب الإعجاز) وجعلهما سحرين مبالغة وهو الراجح قوله أو إسناد تظاهرها عطف على تقدير إلى فعلهما وهو السحر على زعمهم دلالة على سبب الإعجاز لأن السحر أمر خارق في الجملة والإعجاز كذلك وفيه ما فيه إذ السحر ليس من الخوارق لأنه يحصل بمباشرة الأسباب كما صرح به الخيالي ولا إعجاز في التوراة كما صرحوا بأن الإعجاز مختص بالقرآن وإخبارها عن الغائب وهو نبوة رسولنا عليه السلام لا يعد من الإعجاز إذ ظهوره بعد مدة طويلة وليس في وقت دعوى الرسالة إلا أن يقال إن السحر في صورة خارق العادة وهذا القدر كاف هنا مع أن الجمهور عدوه من الخوارق والكلام على رأيهم وكون التوراة

لم يكفر آبائهم وقالوا في حق موسى وهارون ساحران تظاهرا أي تعاونوا وقوله أو موسى ومحمداً على تقدير أن يتعلق بأوتي فالمرعى أن كفر مكة الذين قالوا هذه المقالة كما كفروا بمحمد عليه الصلاة والسلام وبالقرآن فقد كفروا بموسى وبالتوراة وقالوا في حق موسى ومحمد ساحران تظاهرا.

قوله : أو بتقدير مضاف أي صاحباً سحرين أو ذوا سحرين.

قوله : أو إسناد تظاهرها إلى فعلهما دلالة على سبب الإعجاز وجه دلالة الإسناد عليه إشعاره بأن عجزنا عن معارشتها بسبب تظاهر فعليهما لا لأن نفس الفعل بدون التظاهر معجز.

(١) في نسخة بالواو فحيثئذ يكون بياناً لما قبله وفي نسخة أو إسناد بأو وهو الظاهر إذ حيثئذ يكون المراد سحران نفس الفعل لا هما مبالغة فالظاهر أنه يعنون بما أوتي موسى وما أوتي محمد عليهما السلام.

معجزاً بإخبارها عن نبوة رسولنا بالنسبة إلى معاصري رسولنا عليه السلام لكنه تكلف ولعل لهذا اخره وأيضاً تظاهرها غير ظاهر لأن المراد تأييد كل منهما للآخر وهذا إذا كان زمانهما متحداً واضح على أنه عليه السلام شريعته ناسخة لجميع الشريعة المتقدمة والتوجيه بأن المراد تأييد كونه رسولاً بعيد فالوجه الأول هو المعول المناسب للسوق.

قوله: (وقرىء أظاهراً على الإدغام) إذ أصله تظاهراً فأدغمت التاء في الظاء بالقاعدة المشهورة فاجتليت همزة الوصل لأجل سكون الظاء المدغمة.

قوله: (أي بكل منهما) أي من موسى وهارون كما هو مقتضى السوق أو بكل من موسى ومحمد عليهما السلام سواء كان القراءة ساحران أو سحران.

قوله: (أو بكل الأنبياء) أي المضاف إليه الذي يكون التنوين عوضاً عنه الأنبياء عليهم السلام لكن لا فائدة في هذا التردد إذ إنكار نبي واحد فضلاً عن الاثنين إنكار جميع الأنبياء كما صرح به في سورة الفرقان في قوله تعالى: ﴿وقوم نوح لما كذبوا الرسل﴾ [الفرقان: ٣٧] الآية.



قوله تعالى: قُلْ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَنْتَ تُتَّبَعُ بِإِذْنِ اللَّهِ

قوله: (﴿قل فاتوا﴾) الفاء جزائية أي إذا كان الأمر كذلك فاتوا الأمر للتعجيز.

قوله: (مما نزل على موسى وعلي وإضمارهما لدلالة المعنى) مما نزل على موسى ومحمد عليهما السلام وهو المراد بقوله على قوله وإضمارهما أي الكتابين مع عدم ذكرهما صريحاً لدلالة المعنى عليهما فيكونان مذكورين معنى.

قوله: (وهو يؤيد أن المراد بالساحرين موسى ومحمد عليهما السلام) وهو يؤيد الخ لأنهما صاحب الكتابين الدال عليهما فحوى الكلام دون موسى وهارون وهذا تأييد واحد بحسب الظاهر ولكون المراد موسى وهارون عليهما السلام تأييدات كما أشرنا إليها آنفاً على أن كون المراد منهما من كتابهما محتمل بل راجح فتأمل واختر ما يناسب جزالة النظم الجليل.

قوله: (اتبعه) مجزوم جواب الأمر ﴿إن كنتم صادقين﴾ [القصص: ٤٩] جوابه فاتوا بكتاب اتبعه عند الكوفيين أو محذوف دل عليه المذكور عند البصريين.

قوله: (إنا ساحران مختلفان وهذا من الشروط التي يراد بها الإلزام والتبكيك) وهذا

قوله: وهو يؤيد أن المراد بالساحرين موسى ومحمد لا موسى وهارون وجه التأييد كون الخطاب له ﷺ.

قوله: فهذه من الشروط التي يراد بها الإلزام أي قوله: ﴿إن كنتم صادقين فاتوا بكتاب من عند الله﴾ [القصص: ٤٩] من الشروط التي يراد بها إلزام الخصم وتبكيته ولا يراد بأمثال هذه الشروط أمر الخصم بإثبات دعواه بالحجة إذ من المعلوم أن دعواه باطلة وكذب محض غير قابل

الخ أي ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [القصص : ٤٩] مع جوابه يراد بها^(١) الإلزام لا للتردد والشك لأن الإتيان بما هو أهدى من الكتابين أو من كتابهما استحالة بديهية لكن لتوسيع الدائرة يذكر مع أن الأمر للتعجيز لا لطلب إتيانه لكونه مستحيلاً.

قوله : (ولعل مجيء حرف الشك للتهكم بهم) ومجيء حرف الشك مع أنه مقطوع^(٢) الانتفاء للتهكم به حيث صور المحال بصورة المحتمل للوقوع والملاوقوع قبل وهذا جواب آخر عما يقال إن إتيانهم به محال والظاهر أن هذا جواب عن إتيان كلمة إن محل لو الدالة على الفرض وقول البعض خلاف السوق.

قوله تعالى : فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يُغْنِي عَنْكَ الْغَنَاءُ وَهُمْ وَأَهْوَاءُهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ يَعْبِرَ هُذًى مِنْ أَمْرِ لَكَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥٠﴾

قوله : ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ وإتيان حرف الشك للتهكم أيضاً.

قوله : (دعائك إلى الإتيان بالكتاب الأهدى فحذف المفعول للعلم به) دعائك أي طلبك إذ الأمر للطلب في الأصل وإن كان المراد هنا التعجيز والدعاء في اللغة هو الطلب والداعي إلى هذا التعبير التعبير بالاستجابة فإنها إعطاء عين المطلوب بالدعاء بخلاف الإجابة فإنها أعم منها ولذا اختير الاستجابة قوله للعلم به من التعبير بالاستجابة لأنها تقتضي المطلوب.

قوله : (أو لأن فعل الاستجابة يتعدى بنفسه إلى الدعاء وباللام إلى الداعي فإذا عدي إليه حذف الدعاء غالباً) أو لأن فعل الاستجابة الخ هذا على الاستعمال الأغلب قال في الكشف ولا يكاد يقال استجاب له دعاءه إلا نادراً ملحقاً بالعدم فلا تدافع بين كلامي الشبهين والفرق بين الوجهين ظاهر إذ في الثاني الداعي إلى حذف المفعول هو غلبة حذفه مع ذكر الداعي وفي الأول ملاحظة كون الحذف للعلم به ولا يلاحظ في كل منهما ما يلاحظ في الآخر إذ النكتة مبنية على الإرادة ولقوة الأول^(٣) قدمه وفي الثاني شمة من المصادرة تدفع بالعناية.

للصحة حتى يطلب إثباته فإذا لا يؤتى بأمثال تلك الشروط إلا لالزام الخصم مثل : ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله﴾ [البقرة : ٢٣].

قوله : فحذف المفعول للعلم به أي حذف مفعول لم يستجيبوا المعدي إليه بلا واسطة وهو دعائك لكونه معلوماً بدلالة الحال أو معلوماً بدلالة المقال إذ لا يتعلق الاستجابة بلا واسطة إلا بالدعاء.

قوله : فإذا عدي إليه أي إذا عدي إلى الداعي لواسطة أو بلا واسطة حذف الدعاء غالباً فيقال

(١) أي مستعمل في لازم معناه إذ الإلزام لازم للتعليل فيكون مجازاً مرسلأ.

(٢) فيكون الاستعارة نية بجعل مقطوع الانتفاء كالشك بواسطة التهكم مثل جعل الإنذار كالتنبيه في قوله تعالى : ﴿فَيُشْرِمُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

(٣) إذ المتداول في الألسنة كون الحذف بالقربة.

قوله : (كقوله :

وداع دعايا من يجيب إلى الندى فلم يستجبه عند ذلك مجيب)

كقوله وداعي الخ أشار المص إلى أن استجاب في البيت عدي إلى الداعي على الحذف والإيصال بقريئة الاستعمال الأغلب فحذف الدعاء والزمخشري جعله على تقدير مضاف أي فلم يستجب دعاءه قوله فإذا عدي إليه إلى الداعي بنفسه كما في البيت حذف الدعاء بجعله مضافاً مقدراً كما مر كذا قيل ولا يوافق تقرير المص إذ تعديته إلى الداعي لا بنفسه بل بالحذف والإيصال وعن هذا قال حذف الدعاء كما في الآية الكريمة قال المحشي والمفهوم من القاموس ونص عليه أبو حيان أنه يتعدى إلى الداعي بنفسه أيضاً فلا حذف في البيت ولم يرض به المص لأن تعدية الفعل الواحد إلى المفعول بنفسه وبواسطة الجار بمعنى واحد غير معقول فرجح الحذف والإيصال والزمخشري اختار تقدير المضاف نعم لو أريد بالاستجابة معنى الإجابة يتعدى إلى الداعي بنفسه وهذا محتمل ما قاله المص في سورة آل عمران من أنها يتعدى بنفسه وبالإلام وقد أوضحنا هذا المرام في حاشية سورة الفاتحة وداع الخ قيل هو من أبيات الكتاب ويعدّه فقلت ادع أخرى وارفع الصوت مرة :

لعمل أبي المنصور منك قريب

أي رب داع دعى الناس وقال هل أحد يجيب سائل الندى فلم يجبه أحد لقلة الكرام وغلبة الليام وقوله تعالى : ﴿ويستجيب الذين آمنوا﴾ [الشورى : ٢٦] بمعنى يعينهم غير مستعمل في معناه فلا يكون مما نحن فيه .

قوله : (﴿فاعلم أنما يتبعون أهواءهم﴾ [القصص : ٥٠] إذ لو اتبعوا حجة لأتوا بها) فاعلم أنما يتبعون صدر باعلم اهتماماً لشأن معلومه وإنما يتبعون يفيد القصر فالمراد بالأهواء الأهواء الردية المخالفة للشرعية إذ لو اتبعوا حجة الخ إسقاطه أولى .

قوله : (استفهام بمعنى النفي) أي للإنكار الوقوعي فيفيد النفي أي لا أحد أضل منه ظاهره يفيد المساواة لكن المراد بل هو أضل من كل ضال .

قوله : (في موضع الحال للتوكيد أو التقييد فإن هوى النفس قد يوافق الحق) أو

استجاب الله له ولا يقال استجاب الله له دعاءه والبيت مثال لما حذف الدعاء فيه والفعل معدى إلى الداعي بلا واسطة ومعنى البيت :

رب داع دعا هل من مجيب إلى الندى

أي هل أحد يمنح المستمعين فلم يستجبه عند ذلك مجيب أي فلم يجبه عند دعائه ذلك أحد والاستشهاد في فلم يستجبه فإنه عدي إلى الداعي والدعاء محذوف تقديره فلم يستجب دعاءه مجيب .

قوله : استفهام بمعنى النفي ومعناه لا أضل ممن اتبع هواه .

قوله : في موضع الحال للتوكيد لأن اتباع الهوى يكون في غالب الأمر بغير هدى حتى كان

التفديد الخ هذا إذا نظر إليه ولو نادراً ونعم ما قيل نعم الهوى إذا وافق الشرع .

قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي﴾ [القصص : ٥٠] الآية تذييل مؤكد لمفهوم ما قبله .

قوله : ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْإِثْمِ﴾ في اتباع الهوى الذين ظلموا باتباع الهوى فيكون من باب الإظهار في موضع الإضمار والمراد إما قوم مخصوصون علم الله أنهم يموتون على الكفر^(١) أو عام خص من البعض وهو ممن آمن منهم .

قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٥١)

قوله : (اتبعنا بعضه بعضاً في الإنزال ليتصل التذكير)^(٢) اتبعنا بعضه بعضاً في الإنزال والمراد القرآن لأنه أنزل منجماً متفرقاً على حسب المصالح والوقائع .

قوله : (أو في النظم لتقرر الدعوة بالحجة والمواعظ بالمواعيد والنصائح بالعبر فيؤمنون ويطيعون) أو في النظم أي أنزلناه ونظمناه متصلاً بعضه ببعض رعاية للتناسب كذكر الترغيب والترهيب والوعد والوعيد والشقي والسعيد والحق والباطل وأصحاب النعيم وأهل الجحيم ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص : ٥١] ليكونون على حال من يرجى تذكره .

قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ كُتِبَ لَهُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٢)

قوله : (نزلت في مؤمني أهل الكتاب وقيل في أربعين من أهل الإنجيل اثنان وثلاثون جاؤوا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام والضمير في من قبله للقرآن كالمستكن في ﴿وَإِذَا يَتْلَى﴾ [القصص : ٥٣]) الآية أشار إلى أن المراد بالقول القرآن فهذا أحسن من القول بأنه للقول للتنبيه المذكور فالمراد القول الكريم المعهود في اللسان وفي الأذهان

ما هو الموافق للحق منه في القلة في حكم العدم فهذا الاعتبار صح كونه مؤكداً له وأما كونه مقبداً له فباعتبار إمكان وجوده ولو على قلة .

قوله : اتبعنا بعضه بعضاً في الإنزال أي أنزلناه نزولاً متصلاً بعضه في أثر بعض .

قوله : أو في النظم والمعنى أنهم القرآن متتابعاً متواصلاً وعدا ووعيداً وقصصاً وعبراً ومواعظ ونصائح إرادة أن يتذكروا فيفعلوا والحاصل أن الوصل يقتضي التتابع وإنما يقال وصل إذا كان بين الكلامين اتصال معنوي ومناسبة أو اتصال لفظي بأن يكون الكلام متتابعاً لم يقع بينهما فاصلة قال الزجاج وصلنا لهم القول أي فصلناه بأن وصلنا ذكر الأنبياء وأقاصيص من مضى بعضها ببعض .

قوله : والضمير في من قبله للقرآن وهو المراد بالقول في ولقد وصلنا لهم القول قال صاحب الكشف في معنى من قبله من قبل وجوده ونزوله وهو إشارة إلى مذهبه قوله باعتقادهم صحته في الجملة أي بتصديقهم بالوحي الذي في ضمنه ذكر القرآن .

(١) فيكون إلقاء التوصل على مجموع القول مجازاً .

(٢) التوصل تكثير الوصل وتكرره .

والمراد بالموصول من آمن منهم إما لكون الموصول للعهد أو عام خص منه المؤمنون بقرينة خبره والقصر المستفاد من ضمير الفصل إضافي بالنسبة إلى المشركين المصريين على الكفر أو هو للاهتمام وكذا الكلام في تقديم به على يؤمنون.



قوله تعالى: **وَلَا يَنْفَعُ عَلَيْهِمْ قَوْلًا مَّا نَا بِهِ إِلَهُ الْقَوْمِ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُمْلِكِينَ** ﴿٥٣﴾

قوله: ﴿وإذا ينفع﴾ [القصص: ٥٣] أي القول الكريم هذا بيان لسبب إيمانهم.

قوله: (أي بأنه كلام الله تعالى) لما عرفوا كذلك من كتابهم آمنة إما إنشاء أو إخبار لكن المعص اختار كونه إخباراً بقرينة قولهم إنا كنا مسلمين ولذا قيل قالوا آمنة والمراد أصحاب التوراة كعبد الله بن سلام وأصحاب الإنجيل وتخصيصه بالآخر ليس بمناسب إلا على القول بأنهم أربعون من أهل الإنجيل (استئناف لبيان ما أوجب إيمانهم به).

قوله: (استئناف آخر^(١)) للدلالة على أن إيمانهم به ليس مما أحدثوه حيثئذ وإنما هو أمر تقادم عهده لما رأوا ذكره في الكتب المتقدمة وكونهم على دين الإسلام قبل نزول القرآن أو تلاوته عليهم باعتقادهم صحته في الجملة) أي إجمالاً^(٢) لأنه لا يمكنهم الإيمان به تفصيلاً فعلم منه أنه لو أريد بالإيمان الإيمان به تفصيلاً يكون آمنة إنشاء وإن المراد بالإيمان ما أحدثوه^(٣) حيثئذ.

قوله تعالى: **أُولَئِكَ يُؤْثِرُونَ آبَهُمْ مَرْفِقِي يَمًا صَبْرًا وَيَدْرُءُونَ الْحَسَنَةَ الْكَلْبَةَ وَمَا رَفَقْتَهُمْ**



يُفْقُونَ

قوله: (مرة على إيمانهم بكتابهم ومرة على إيمانهم بالقرآن) أي قبل نزول القرآن فإن إيمانهم^(٤) معتبر بعد إيمان القرآن.

قوله: (بصبرهم وثباتهم على الإيمانين أو على الإيمان بالقرآن قبل النزول وبعده) وثباتهم عطف على صبرهم تفسير له إذ الصبر حبس النفس ومعناه هنا الثبات عليه إذ الثبات عليه صعب وأما الدخول فسهل ولذا وعد الأجر مرتين عليه دون الدخول.

قوله: (أو على أذى من هاجرهم من أهل دينهم ومن المشركين) هاجرهم أي عاداهم آخره لأن الصبر على الإيمان والثبات عليه مشكل بخلاف الصبر على الأذى وأيضاً الأجر مرتين يلائم الأول على ما فسر به فحيثئذ يكون التثنية لمجرد تكرار الصبر منهم على الأذى

(١) الاستئناف الأول علة لمية والاستئناف الثاني علة آنية ولذا قال في الأول لبيان ما أوجب والثاني للدلالة الخ.

(٢) ويؤيده قوله تعالى: ﴿وإذا ينفع عليهم﴾ الآية إذ الإيمان وقت التلاوة إيمان تفصيلي والإيمان الإجمالي ما كان قبل النزول.

(٣) فيكون المراد بأننا كنا من قبله مسلمين الإخبار بالإيمان القديم.

(٤) لأن إيمانهم قبله غير معتبر لكونه منسوخاً.

وشدته كقوله تعالى: ﴿ارْجِعْ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ [الملوك: ٤]^(١) وفي النسخة التي عندنا من أهل دينهم ومن المشركين وفي بعض النسخ من أهل دينهم فقط لعل وجهه أن الأذى منهم أشد وأوفر من غيرهم لكن التعميم أولى.

قوله: ﴿وَيَذَرُونِ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ ويدفعون بالطاعة المعصية لقوله عليه السلام اتبع الحسنة السيئة تمحها) ويذرون عطف على يؤتون مسوق لمدهم بالطاعات التي يذهبن السيئات إثر مدحهم بالإيمان قوله ويدفعون معنى يذرون إذ الدرء الدفع بالطاعة تفسير الحسنة المعصية تفسير السيئة لأنه قد يراد بالحسنة نحو الخصب والسعة والسيئة نحو الجذب والبلاء.

قوله: (في سبيل الخير) خص بالذكر مع أنه داخل في الحسنة تنبيهاً على فضله ومن للتبعض قدم لرعاية الفاصلة قيده بسبيل الخير احترازاً عن البذل على خلاف الشرع وعن كونه لقصد المدح أو المذم.

قوله تعالى: وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَّمْ عَلَيْكُمْ لَا تَبْتَغِي الْجَنَّةَ

قوله: (تكرماً) أي لا عجزاً لأنه مذموم فحيثل يكون هذا مدحاً لهم بحسن المعاملة مع الخلق والشفقة عليهم بعد المدح بتعظيم أمر الله تعالى وعامة أحكام الشرع ترجع إلى هذين الأمرين والمراد باللغو ما يجب أن يلقى ويطرح والمراد بالتكريم الإكرام على أنفسهم معرضين عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الإعراض عن الذنوب وعن إفشائها إذا لم يستطع دفعها وكلمة إذا مع الماضي لتحقق وقوعه وكثرته واللغو الغير المسموع يعلم حكمه بدلالة النص وفي سورة الفرقان ﴿وَإِذَا مَرُوا بِاللَّغْوِ﴾ [الفرقان: ٧٢] وهذا أعم من السمع وفي قولهم: ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا﴾ [القصص: ٥٥] الآية إشارة إلى العموم.

قوله: (للاغين) هذا مفهوم من ذكر اللغو.

قوله: ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا﴾ [القصص: ٥٥] أي أعمالنا مقصورة على الانصاف بكونها لنا لا نسألون عنها وأعمالكم مقصورة على الانصاف بكونها لكم لا نسأل عنها ولا نعتب عليها وهذا هو المراد بالخير وإلا فلا فائدة فيه لظهوره والقصر قصر الموصوف على الصفة دون العكس وقس عليه نظائره.

(١) وأيضاً المستفاد من أولئك كون الوصف المذكور علة للأجر مرتين أي ضعفين والأذى ليس بمذكور صريحاً فيما مر إلا أن يقال إنه مفهم من إيمانهم.

قوله تعالى: ﴿لَا تَبْتَغِي الْجَنَّةَ﴾ التبعير بالجاهلين للأعراض عن مقابلتهم بالسوء وإن لزم منه بطريق التورية واللام إما للبعد أو للاستغراق وهو الظاهر وهذا من باب وضع السبب موضع المسبب إذ الجهل سبب للكفر والشرك.

قوله: ﴿مُتَارِكَةٌ لَهُمْ وَتُودِعُكُمْ﴾ لف ونشر مرتب بحسب المال كما في قوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ﴾ [الكافرون: ٦] فليس فيه إذن في الكفر لما عرفت من أن المراد بيان الجزاء وإن كل المرء مجزي بعمله لا غير فهو متاركة ولا امتناع عن الجهاد أيضاً ليكون منسوخاً بآية القتال قوله وتوديعاً ناظر إلى السلام أي هذا السلام سلام التوديع لا سلام التحية كقول إبراهيم عليه السلام لأبيه ﴿سَلامٌ عَلَيْكَ﴾ فلا منع من السلام للتوديع للكافرين والمنوع سلامة التحية بلا داع شرعي ولهذا المقام مزيد تفصيل في سورة الفرقان.

قوله: ﴿وَدَعَاءُ لَهُمْ بِالسَّلَامَةِ عَمَّا هُمْ فِيهِ﴾ ودعاء الكافر بالهداية مشروع بل الدعاء بالمغفرة جائز كما روي عن النبي عليه السلام أنه دعا في غزوة أحد اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون وفي رواية اللهم اهد قومي الخ لكن المراد الدعاء بالتوفيق للإيمان.

قوله: ﴿لَا نَطْلُبُ صَحْبَتَهُمْ وَلَا تُرِيدُهُمَا﴾ قدر المضاف لأنه لا معنى لطلب ذواتهم وأشار إلى أن الابتغاء هو الطلب وفيه من المبالغة ما لا يخفى.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٥٦)

قوله: ﴿لَا تَقْدِرُ أَنْ تَدْخُلَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ﴾ أي المراد نفي القدرة على الهداية لا نفي الهداية مع القدرة عليها بالقرينة على أن الهداية بمعنى الإيصال ليس بمقدور له عليه السلام وإنما المقدور له الهداية بمعنى الدلالة على ما يوصل إلى البغية وعن هذا قال لا تقدر أن تدخلهم الخ ولم يقل لا تقدر على الدلالة على ما يوصلهم إلى الإسلام وبهذا المعنى ورد قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] فلا منافاة بين الإثبات والنفي أو النفي حقيقة والإثبات مجاز فلا منافاة أيضاً.

قوله: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦] فيدخله في الإسلام) ولكن استدراك بحسب المعنى أي إنك لا تقدر على هداية من أحببت ولكن الله يقدر على ذلك من يشاء فيدخله في الإسلام وحاصل الاستدراك الإدخال في الإسلام وعدم الإدخال يعرف وجهه بالتأمل وأشار المص إلى ذلك في الموضعين.

قوله: ﴿بِالْمُسْتَعِدِينَ لِذَلِكَ﴾ أوله به إذ الهداية لا تكون للمهتدين بالفعل بل

قوله: متاركة وتوديعاً نقل في المطلع عن الزجاج لم يريدوا بقولهم سلام عليكم التحية وإنما أرادوا بيننا وبينكم المتاركة والتسليم كأنهم قالوا سلمتم منا لا تعارضكم بالشتم والأذى.

قوله: لا تقدر أن تدخله في الإسلام وإنما فسر لا تهدي بلا تقدر على الهداية لأن كلمة الاستدراك وضعت ليدخل بين كلامين متغايرين نقيضاً وثباتاً فإذا دل قوله: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦] على أنه تعالى قادر على الهداية يجب أن يفسر قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] بلا تقدر على هداية من أحببت.

قوله: بالمستعدين لذلك يعني لفظ المهتدين مجاز مرسل لأن المراد بهم الذين مصير أمرهم إلى الاعتداء وإن كانوا الآن كفرة لا يهتدون لأن المراد بهم من دعوا إلى الإيمان بالله وبما جاء به

بالمستعدين لذلك فالمهتدين مجاز أولي مثل ﴿هدى للمتقين﴾ وهذه الجملة اعتراض تذييلي وفيه تنبيه على أنه عليه السلام لا يعلم بالمستعدين للاعتداء إذ الكلام يفيد الحصر وصيغة التفضيل بمعنى أصل الفعل وفي كلام الكشف إشارة إليه حيث قال في التعليل لأنك عبد لا تعلم أي لا تعلم من هو مستعد ومن ليس كذلك ولذا بالغت في هداية من أحببت مع أنه ليس بمستعد لذلك ولو كان لك علم به لما جهدت كل المجهود ولما جاوزت في السعي كل حد معهود والمستعدين بصيغة اسم الفاعل وذلك الاستعداد بتوفيق الله تعالى وتحييه الإيمان والتجديد عن الفسوق والعصيان.

قوله : (والجمهور على أنها نزلت في أبي طالب فإنه لما احتضر جاءه رسول الله عليه السلام وقال يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج بها لك عند الله تعالى قال يا ابن أخي قد علمت أنك لصادق ولكني أكره أن يقال جزع عند الموت) نزلت في أبي طالب قيل هذا إشارة إلى رد بعض الرافضة حيث ذهب إلى إسلامه والحديث المذكور من أحاديث الشيخين قوله أحاج بها جواب الأمر أصل معناه المجادلة بالحجة والمراد هنا أخلص بهذه الكلمة الطيبة من العذاب المؤبد بالشفاعة قوله جزع بجيم وزاي معجمة من الجزع وهو عدم الصبر أي لم يصبر على ما كان عليه خوفاً من الموت ونحوه وفي نسخة خرع بخاء معجمة وراء مهملة أي ضعف وخاف وفي الإرشاد قال يا ابن أخي قد علمت أنك صادق ولكني أكره أن يقال خرع عند الموت ولولا أن يكون عليك وعلى بني أهلك غضاضة بعدي لغلتها ولأفترت بها عينك عند الفراق من شدة وجدك وتصحك ولكني سوف أموت على ملة الأشياء عبد المطلب وهاشم وعبد مناف.

رسوله واستعدوا لما هذوا إليه فغير بالمهتدين باختيار ما يؤول إليه حالهم فهو كالمعتن في ﴿هدى للمتقين﴾ في أحد وجهيه.

قوله : والجمهور على أنها نزلت في أبي طالب قال الزجاج في تفسيره أجمع المفسرون على أنها نزلت في أبي طالب ثم قال وجائز أن يكون ابتداء نزولها بسبب أبي طالب وهي عامة لأنه لا يهدي إلا الله عز وجل ولا يرشد ولا يوفق إلا الله عز وجل وكذلك هو يفضل من يشاء روي في صحيح البخاري عن ابن المسيب عن أبيه أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل فقال أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله بن أمية يا أبا طالب ترغب عن ملة عبد المطلب فنزلت ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ [القصص : ٥٦] وعن مسلم والترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ لعنه عند الموت قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة فأبى فأنزل الله سبحانه وتعالى ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ [القصص : ٥٦].

قوله : خرع عند الموت بالخاء المعجمة والراء المهملة قال الجوهرى الخرع بالتحريك الرخاوة في كل شيء يقال خرع الرجل أي ضعف وقال صاحب النهاية ويروى بالجيم والزاي المعجمة وهو الخوف وقال ثعلب إنما هو بالخاء والراء قوله : تخرج منها تفسير باللازم وأصل معنى التخطف الانتزاع والسلب بسرعة.

قوله تعالى: وَقَالُوا إِنَّا نَنْتَهِجُ الْهَدْيَ مَعَكَ نَنْخَطِفُ مِنْ أَثَرِنَا أَوْلَمْ تُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا مَأْمُونًا
يُجِئُوهُ إِلَيْهِ يَمُوتُوا كُلٌّ شِقْوَىٰ ذُنُوبًا مِّنْ لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾

قوله: (تخرج منها نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف أمي النبي ﷺ) فقال نحن نعلم أنك على الحق ولكننا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب) نخرج منها بصيغة المجهول جواب أن نتبع أي يخرجنا الأعداء بسبب اتباعك وهو أشد من القتل وأصل التخطف الأخذ بسرعة والاختلاس بها لكنه استعير^(١) هنا للإخراج المذكور.

قوله: (وإنما نحن آكلة رأس أن يتخطفونا من أرضنا) ونحن آكلة رأس وأكلة جمع أكل يؤزن نصرة وهو ضرب مثل يضرب للغة وأصله ناس قليلون إذا أكلوا رأس واحدة من رؤوس الحيوان المطبوخة وهذه الجملة معترضة بين الفعل ومفعوله للمسارعة إلى بيان وجه التخطف.

قوله: (فرد الله عليهم بقوله: ﴿أو لم نمكن لهم﴾ [القصص: ٥٧]) فرد الله تعالى بقوله أي على أبلغ وجه وعلى إيراد برهان فقال: ﴿أو لم نمكن لهم﴾ [القصص: ٥٧] أي ألم تحفظهم ولم نمكن لهم والمعنى قد عصمتهم وجعلنا لهم مكاناً ذا أمن ببركة البيت الحرام قبل الإسلام فما ظنهم في الحفظ بعد اجتماع الأمرين السببين للأمن البيت الحرام وشرف الإسلام وهذا تنبيه على أنه تعالى كما حفظهم فيما مضى يحفظهم فيما يستقبل بطريق الأولى وفيه من المبالغة ما لا يخفى.

قوله: (أو لم نجعل مكانهم حرماً ذا أمن بحرمة البيت) ذا أمن أي آمناً من صيغ النسبة إذ إسناده الأمن إلى أهل الحرم حقيقة وإلى الحرم مجازاً ولذا حملها على النسبة كلاين وتامر هرياً عن المجاز قوله أو لم نجعل لهم إشارة إلى أنه ضمن معنى الجعل أو صيغة التفعيل للتعبية فيجهم الجعل بلا تضمين ولذا نصب حرماً على أنه مفعول به.

قوله: (الذي فيه يتناحر العرب حوله وهم آمنون فيه) الذي يتناحر العرب أي يقاتل بعضهم بعضاً قال تعالى ﴿ويتخطف الناس من حولهم﴾ يختلسون قتلاً وسبياً إذ كانت

قوله: (وإنما نحن آكلة رأس أي قليلون).

قوله: يتناحر العرب من انتحر القوم على الشيء إذا تشاحوا حرصاً وتناحروا في القتال والمراد التناصر.

(١) الظاهر أن نحن نعلم أنك حق للتهكم ويمكن الحمل على ظاهره وما نقله المصنوع نوع مغاير لما في النظم الكريم فيكون نقلاً بالمعنى في النظم الكريم أو في كلام المصنوع.

قوله تعالى: ﴿وقالوا إن ننتهج الهدى﴾ هذه شبهة أخرى متعلقة بأحوال الدنيا فاتضح ارتباط ﴿إنك لا تهدي﴾ الآية لأجل بيان أن الدلائل المذكورة لا تكني في الابتداء ما لم يقم هداية الله تعالى حتى نفى عن الهادي الدال على ما يوصل إلى المطلوب تدبر.

(٢) أي مجاز مرسل.

العرب حوله في تغاور وتناهب كذا فسر المص وهنا أشار إليه إجمالاً بقوله الذي يتناحر الخ أي ومع ذلك جعلنا بلدهم مصوناً عن النهب والتعدي آمناً أهله عن القتل والنهب فما بالهم أن يقولوا: ﴿إن تتبع الهدى معك﴾ [القصص: ٥٧] الآية وهذا اعتذار فاسد مبني على اعتقاد كاسد قوله يتناحر العرب أي ينحر بعضهم بعضاً فهو استعارة عن القتل إذ النحر حقيقة ذبح الحيوان واختار هذا للمبالغة.

قوله: (يحمل إليه ويجمع فيه وقرأ نافع ويعقوب في رواية بالتاء) يحمل إليه الخ الجبي الجمع ولما كان الجمع مستلزماً للحمل قال يحمل إليه.

قوله: (ثمرات كل شيء) أي أرفعه وأنفعه كما يقال ثمرات الكلام كذا قيل فليس المراد بالثمرات الفواكه فقط.

قوله: (من كل أوب) من كل جانب وجهة أي من كل جانب يمكن أن يجبي إليه الثمرات فالكل في معناه لا بمعنى الكثرة قال المص في تفسير قوله تعالى: ﴿وجاءهم الموج من كل مكان﴾ [يونس: ٢٢] بجي الموج منه فأشار إلى أن كل للإحاطة بملاحظة هذا القيد وكذا هنا وفي مثله وقال أيضاً في بيان قوله تعالى: ﴿ثم كلي كل من الثمرات﴾ [النحل: ٦٩] أي من كل ثمرة تشتهيها وحمله صاحب الكشاف على الكثرة وتبعه غيره والظاهر ما اختاره المص على ما فهم من بيانه إذ أئمة الأصول عدوه من ألفاظ العموم فإذا ورد في موضع لا يصح العموم ينبغي تقييده بقيد يحسن به العموم كما نقلناه من المص ألا يرى أن أرباب الأصول جعلوا قوله تعالى: ﴿وأوتيت من كل شيء﴾ [النمل: ٢٣] عاماً خص منه البعض بمعونة الحس والمص قيده بقوله يحتاج إليه الملوك وقد جعل الزمخشري الكل بمعنى الكثرة ولا يخفى مخالفته لتصريح أئمة الأصول وقه در المص حيث راعى في كل موضع عمومه بملاحظة قيد يصح العموم به.

قوله: (إذا كان هذا حالهم وهم عبدة الأصنام فكيف يعرضهم للتخوف والتخطف إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة التوحيد) فإذا كان هذا الخ إشارة إلى أن هذا استدلال على أمنهم فيما سيأتي بطريق الأولوية بأمنهم فيما مضى قبل الإسلام كما وضحتاه قوله فكيف يعرضهم أي يعرض لهم التخوف بالحذف والإيصال وهذا إنكار العروض في الحقيقة كناية وإن كان ظاهره إنكار كيفية العروض.

قوله: (جهلة لا يتفنون له ولا يتفكرون ليعلموا) جهلة الخ إشارة إلى أن لا يعلمون نزل منزلة اللازم فسلب عنهم نفس العلم لا علم متعلق بمفعول إذ الأول أبلغ أو سلب عنهم علم كل شيء لعدم علمهم بما يعنيه وعلمهم بما لا يعنيه كلا علم لكن الأول راجح لكونه موجزاً قوله لا يتفنون إشارة إلى أن انتفاء علمهم لانتهاء السبب المؤدى إليه.

قوله : (وقيل إنه متعلق بقوله : ﴿من لدنا﴾ [القصص : ٥٧]) أي تعلقاً معنوياً قائله الزمخشري مرضه لأن الأول أنسب لدمهم بالجهل للمبالغة فيه وأيضاً المعنى الأول مستلزم لهذا فإيقاظه على العموم أولى وأحسن ومعنى من لدنا من فضلنا .

قوله : (أي قليل منهم يتدبرون فيعلمون أن ذلك رزق من عند الله إذ لو علموا لما خافوا غيره) أي قليل منهم وهم الذين آمنوا منهم هذا مفهوم من أكثرهم فإنه مقابل للقليل قوله إذ لو علموا الخ علة لنفي العلم عن الأكثر .

قوله : (وانتصاب رزقاً على المصدر من معنى يجيى أو الحال من الثمرات لتخصصها بالإضافة) وانتصاب رزقاً الخ لأن معنى يجيى يرزقون أو الحال فيجئيل يكون بمعنى مرزوقة قوله لتخصصها الخ لأن الحال لا يجيى مؤخره عن نكرة محضة غير مخصصة .

قوله تعالى : وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِكَ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَبَلَكَ مَسَكِنُهُمْ لَمْ تُشْكِرْ مِنْ بَدْرِهِ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا عَنِ الْوَاسِئِينَ ﴿٥٨﴾

قوله : (ثم بين^(١) أن الأمر بالعكس^(٢)) فإنهم أحقاء بأن يخافوا من بأس الله تعالى على ما هم عليه بقوله : ﴿وكم أهلكنا من قرية﴾ [القصص : ٥٨] ثم بين أن الأمر بالعكس الخ مراده بيان ارتباط قوله تعالى : ﴿وكم أهلكنا﴾ [القصص : ٥٨] الآية بما قبله ثم بين عطف على قوله فرد الله الخ والظاهر أن ثم للتراخي في الرتبة إذ في هذا القول رد فوق الرد المذكور إذ حاصله أنهم خافوا الناس وآمنوا من بأس الله وهذا خطأ عظيم إذ الواجب أن يخافوا الله تعالى ويؤمنوا الناس ليؤمنوا ثقة من حفظ الله تعالى وكم في ﴿وكم أهلكنا من قرية﴾ خبرية .

قوله : إذ لو علموا لما خافوا غيره أي غير الله أي لو علموا أن ذلك الرزق من عند الله لعلموا أن الأمن والخوف من عنده ولما خافوا التخطف إذا آمنوا به وخلعوا انداده .

قوله : وانتصاب رزقاً على المصدر من معنى يجيى لأن معنى يجيى إليه ثمرات كل شيء ويرزق ثمرات كل شيء واحد فيكون مفعولاً مطلقاً من غير لفظ الفعل نظراً إلى اتحاد المعنى مثل قعدت جلوساً أو الحال من الثمرات لتخصصها بالإضافة كما ينتصب الحال عن النكرة المتخصصة بالإضافة فإذا كان انتصابه على الحالية يكون بمعنى مرزوقاً وجوز صاحب الكشف أن يكون مفعولاً له ليجيى .

قوله : ثم بين أن الأمر بالعكس يعني أن الواجب عليهم أن يخافوا الله ويؤمنوا غيره لا أن يخافوا الغير ويؤمنوا من سخط الله إذ كثيراً ممن حالهم في الرزق وإلا من مثل حالهم من أهل القرى أهلكهم الله ودمرهم وخرب ديارهم لأجل أنهم قابلو تلك النعم السنية بالأشر والبطر وهذا تخويف لأهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من إنعام الله عليهم بالرقود في ظلال إلا من وسعة العيش .

(١) وهذا البيان بيان ضرورة .

(٢) والعكس يظهر بهذا الحاصل فتأمل .

قوله: (أي وكم من أهل قرية كانت حالهم كحالكم في الأمن وخفض العيش حتى أشروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم) أي وكم من أهل قرية أي المضاف محذوف أو القرية مجاز عن أهلها وقد مر التنبيه عليه غير مرة وإسناد بطرت إلى القرية مجاز وإن أريد بها أهلها أو يقدر الأهل فالإسناد حقيقة والبطر أن لا يحفظ حدود الله تعالى في الغنى والفخر به أشار إليه بقوله حتى أشروا والأشر الفرح والغرور ومعيشتها نصب بالحذف والإيصال أي بمعيشتها أو في معيشتها أو بتقدير الزمان أي أيام معيشتها أو مفعول به على تضمين بطرت معنى كفرت^(١) كما في الكشف قوله فدمر الله الخ أي يدمركم ويخرب دياركم يا أهل مكة لأن سبب تدميركم متحقق أيضاً فيدمركم كما دمرهم وفيه تخويف شديد وتهديد أكيد لأهل مكة ومن يحذو حذوهم.

قوله: (خاوية) أي خالية عن الساكنين فيها.

قوله: (من السكنى إذ لا يسكنها إلا المارة يوماً أو بعض يوم أو لا يبقى من يسكنها من شؤم معاصيهم) من السكنى والمراد بالسكنى التوطن قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لم يسكنها إلا المسافر ولذا قال المص لا يسكنها إلا المارة الخ فحبتلذ يكون معنى إلا قليلاً إلا زماناً قليلاً وفيه احتمال آخر أشار إليه بقوله أو لا يبقى من يسكنها إلا قليلاً من شؤم معاصي المهلكين بقي أثره في ديارهم فكل من سكن من أعقابهم ومن بعدهم لم يبق فيها إلا قليلاً ممن سكن فيها فإنهم باقون إلى حين وإلى أن يأتيهم اليقين رحمة من الله تعالى وتفضلاً وإنما قيل فتلذ مسكنهم لأن أهل مكة يشاهدون في أسفارهم المساكن المذكورة وصيغة البعد للتحقير أو للتعظيم إن أريد مسكنهم العامرة الطيبة الكريمة كقوله تعالى: ﴿ومقام كريم﴾ (الشعراء: ٥٨).

قوله: (منهم إذ لم يخلفهم أحد بتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر متصرفاتهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض أو بجعلها ظرفاً بنفسها كقولك زيد ظني مقيم أو بإضمار

قوله: وخفض العيش الخفض الدعة والسعة في العيش يقال عيش خافض وهو في خفض من العيش قوله من السكنى يقال سكنت داري واسكنتها غيري والاسم منه السكنى فقوله إلا قليلاً معناه إلا سكنى قليلاً فيكون قليلاً صفة للمفعول المطلق لقوله لم تسكن.

قوله: إذ لا يسكنها إلا المارة قال ابن عباس لم يسكنها إلا المسافرون ومارو الطريق يوماً أو بعض يوم.

قوله: أو لا يبقى من يسكنها أي أو لا يبقى فيها من يسكنها بعد المهلكين لبقاء شؤم أثر معاصيهم فيها وكل من سكنها من أعقابهم هلك ولم يبق إلا قليلاً.

قوله: بنزع الخافض أي انتصابها بحذف الجار وإيصال الفعل كقوله: ﴿واختار موسى قومه﴾ (الأعراف: ١٥٥) أي بطرت في معيشتها أو بجعل المعيشة ظرفاً بنفسها لا بواسطة كلمة في سماعها

(١) المراد كفران النعمة وهو يتعدى بنفسه وقد يتعدى بالياء.

زمان مضاف إليه أو مفعولاً على تضمين بطرت معنى كفرت) إذ لم يخلفهم الخ بيان معنى إرثه لها فهو استعارة قوله وانتصاب معيشة قد مر توضيحه سوى قوله أو بجعلها ظرفاً بنفسها كقولك زيد ظني أي في ظني الخ وهذا تكلف.

قوله تعالى: وَمَا كَانَ رِيبُكَ مَهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمْنَاهَا رَسُولًا يُخَالِطُهُمْ حَاكِمًا وَمَا كُنَّا مَهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾

قوله: (وما كان عادته) فيه نوع تسامح لأن المراد وما كان ريبك مهلك القرى بطريق جري العادة والمص كثير التساهل في أمثاله وإلا فيرد عليه أنه غير ممتزج بما بعده إذ حمل مهلك القرى على عادته تعالى مشكل.

قوله: (في أصلها التي هي أعمالها لأن أهلها يكون أظن وأنبل) في أصلها تفسير الأم إما لأنه في اللغة بمعنى الأصل أو لأنه مستعار للأصل هنا قوله التي هي أعمالنا أي توابع لتلك الأم لأن كرسي المملكة محل حكمها وما عداها يسمى في العرف أعمالاً ونواحي وقوله لأن أهلها الخ بيان للحكمة في كون مبعث الأنبياء عليهم السلام من أم القرى فإن أهلها ذوو فطانة وكيس إذ النبوة منصب عظيم روحاني يقتضي كمالات نفسانية لأن هذا أدخل في الإجابة وعن هذا لم يبعث الأنبياء عليهم السلام إلا من أشرف البقاع وأشرف القبائل فمعنى قوله هي أعمالها أي تلك القرى أعمال أمها زوايعها ففي كلامه نوع تعقيد وأنبل من النبيل وهو الذكاء والفاضل السعدي بحث لا طائل تحته لأن كلام المص ليس فيه ما يوهم مذهب الفلاسفة وأيضاً لم يقل إن القصبات مولد الأنبياء عليهم السلام حتى يقال إن عيسى عليه السلام ولد بالناصره وبعث بالمقدس ولوط ليس من أهل سدوم.

ظرفاً مجازاً ويجوز أن تكون مفعلة للزمان أو المكان فيكون ظرفاً بنفسها حقيقة قوله زيد ظني مقيم أي في ظني والعامل في ظن المتترع من الجملة كالإخبار والحكم وكذا قالوا.

قوله: أو بإضمار زمان مضاف إليه تقديره بطرت أهام معيشتها كقولك أتيتك حقوق النجم ومقدم الحاج.

قوله: أو مفعولاً على تضمين بطرت معنى كفرت أي أو بجعلها مفعولاً لبطرت على تضمينه معنى فعل عدي بنفسه وهو كفرت أي كفرت معيشتها من الكفران ضد الشكر.

قوله: في أصلها التي هي أعمالها وفي الكشف ما كانت عادة ريبك أن يهلك القرى في كل وقت حتى يبعث في القرية التي هي أمها أي أصلها وقصبتها التي هي أعمالها وتوابعها رسولاً لإلزام الحجة وقطع المَعْدَرَة مع علمه أنهم لا يؤمنون ثم كلامه قالوا هذا يهدم قاعدة مذهبه لأن لهم أن يعتذروا بسابق علمه فيقولوا ليس في علمك وحكمك إلا أنا لا نؤمن فكيف لنا أن نأتي على خلاف علمك وليس الجواب عنه إلا بأن يقال لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

قوله: يكون أظن وأنبل من النبالة وهي الحذافة يقال فلان نابل وابن نابل أي حاذق وابن حاذق.

قوله : ﴿لِلْإِزْمِ الْحُجَّةُ وَقُطِعَ الْمَعْذَرَةُ﴾ بأن يقولوا ﴿لَوْلَا أُرْسِلَتْ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتَكَ﴾ [القصص : ٤٧] كما مر تفصيله قبل رد على المعتزلة في إثبات الحسن والقبح العقليين وفيه نظر لا يخفى لأن هذا عين عبارة الكشف وزاد عليه قوله مع علمه أنهم لا يؤمنون وتركه المص لأنه لا مساس له في هذا المقام ولم يتعرض احتمال كون المعنى وما كان في سابق قضائه أن يهلك قرى الأرض حتى يبعث في أم القرى وهي مكة لأنه لا يلائم قوله : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ﴾ [القصص : ٥٩] وأيضاً تدخل تحت العموم دخولاً أولاً وما يستفاد من الغاية تحقق الإهلاك بعد البعثة بملاحظة ظلمهم وإصرارهم على الكفر بعد البعثة بقرينة قوله تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مَهْلِكِي الْقُرَى﴾ [القصص : ٥٩] الآية فهذا القول تكميل واحتراس يدفع توهم خلاف المقصود وقيل حتى يبعث غاية لصحة عدم وقوع الإهلاك لا لنفس وقوعه والتعبير بالظلم دون الكفر قد مر وجهه في أواخر سورة هود .

قوله : ﴿وَمَا كُنَّا مَهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصص : ٥٩] بتكذيب الرسل والعتو في الكفر) وما كنا استغراق في النفي دون نفي الاستغراق وهذه الآية الكريمة بيان أن إهلاك القرى المذكورة ليس إلا من بعد إرسال الرسل وتوضيح السبل ومن بعد ظلمهم وهكذا جرت عادته تعالى في كل قرى هالكة فيه بيان لكمال رأفته لعباده فمجموع الجملة تكميل واحتراس .

قوله تعالى : وَمَا أَوْفَتْهُم مِّن شَيْءٍ وَفَعَّلْنَاهُ لَلْأَنْبِيَاءِ وَرِثَتْنَاهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾
(من^(١) أسباب الدنيا) .

قوله : (تستمتعون وتزيتون به مدة حياتكم المنقضية) تستمتعون الخ أشار به إلى أن المتاع اسم ما يتمتع به وكذا الزينة قوله مدة حياتكم أخذه من الحياة الدنيا وإضافة المتاع إليها قوله المنقضية صفة الحياة المؤكدة أخذه من قوله وأبقى مع بدايته .

قوله : (وهو ثوابه) فما عند الله استعارة تمثيلية لبيان نفاسة الثواب .
قوله : (في نفسه من ذلك لأنه لذة خالصة وبهجة كاملة) أي نعيم تام كذا نقل عن ابن الأثير .

قوله : (لأنه أبدى) نوعه غير متناه بمعنى أنه لا يقف عند حد فالبقاء مقابل للاتقضاء والثواب في الجنة مقابل للدنيا ففيه صنعة الطباقي .

قوله : (فتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير) وقرأ أبو عمرو بالياء وهو أبلغ في

قوله : وقرئء بالياء وهو أبلغ في الموعظة لأن الخطاب مع أهل مكة كأنه لما عدل من

(١) قوله تعالى : ﴿وَمَا أَوْفَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي من شيء حقير أشار إليه بقوله من أسباب الدنيا فلا إشكال بالتحديد والمبين .

قوله تعالى : ﴿وَمَا أَوْفَيْتُمْ﴾ وترك الفاء لانتهاء السببية وأما الإيتاء فلكونه سبباً أدخل الفاء في الخبر .

الموعظة) فتستبدلون الخ الباء داخل على المتروك وفيه إشارة إلى ارتباطه بما قبله حيث رد الله قولهم ﴿إن ننع الهدى﴾ [القصص : ٥٧] الآية أيضاً فالخطاب لهم ولأمثالهم قوله وهو أبلغ في الموعظة لإشعاره بأنهم لعدم عقلهم المعادي لا يصلحون للخطاب وهذه نكتة مختصة بهذا المقام وفي الخطاب أيضاً زجر عظيم بملاحظة كونه للعتاب وكثيراً ما يذكر في نكتة الالتفات^(١) من الغيبة إلى الخطاب أنه أبلغ لكونه مفيداً للعتاب ولكل وجهة .

قوله تعالى : **أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَنَقِيْبِهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَّعَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِيْنَ** ﴿٦١﴾

قوله : (أفمن وعدناه وعداً حسناً وعداً بالجنة فإن حسن الوعد بحسن الموعود) أفمن وعدناه أي أمن نجيانه من تمتع الحياة الدنيا تمتع البهائم فوعدناه الآية .

قوله : (مدركه لا محالة لا متنازع الخلف في وعده ولذلك علقه بالفاء المعطية معنى السببية) لا متنازع الخلف بيان أنه مدركه وواصله ولا دخل فيه للتعبير بالجملة الاسمية ولو عبر بالجملة الفعلية فالمعنى على حاله يؤيده قوله ولذلك عطفه بالفاء الخ فالسبب الوعد الجميل لأن المسبب لا يتخلف عن السبب التام وهنا كذلك .

قوله : ﴿كمن تمتعنا متاع الحياة الدنيا﴾ [القصص : ٦١] الذي هو مشوب بالآلام مكدر بالمتاعب مستعقب للتحسر على الانقطاع) كمن تمتعنا ثم عذبناه عذاباً شديداً فنفى التشابه وإنكاره ناظر إليهما فمن تمتع الله تعالى بمتاع الحياة الدنيا مع القيام بشكره والعمل بموجبه داخل في زمرة من وعد الله تعالى الإنكار المستفاد من الاستفهام ناظر إلى التشابه دون التشبيه وكمال التوضيح في سورة النحل في قوله تعالى : ﴿أفمن^(٢) يخلق كمن لا يخلق﴾ [النحل : ١٧] .

قوله : (للمحاب أو العذاب) أو لمنع الخلو .

قوله : (وتم للتراخي في الزمان أو في الرتبة وقرأ نافع وقالون وابن عامر في رواية والكسائي ثم هو يسكون^(٣)) الهاء تشبيهاً للمفصل بالمتصل) وتم للتراخي الخ وهذه الجملة

الخطاب إلى الغيبة آذن بأن هؤلاء البعداء من الخير لا عقل لهم حيث يؤثرون الثاني على الباقي والدني الحقيق على الشريف العظيم روى الإمام عن الشافعي رحمهما الله من أوصى بثلاث ماله لأعقل الناس صرف إلى المشتغلين بطاعة الله عز وجل لأن أعقل الناس من أعطى القليل وأخذ الكثير فكانه رحمه الله اقتبس المعنى من هذه الآية .

(١) وفيه لفتات من الخطاب إلى الغائب والنكتة المختصة به العالفة .

(٢) قال المص هناك وكان حق الكلام أمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس تشبيهاً على أنهم بالاشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيهاً ط به انتهى وهنا يعتبر مثل ط ذلك فلا تغفل ط وهو أنهم بالغوا في التمتع بزخارف الدنيا وعكسوا الأمر حيث جعلوه أصلاً فأشار إلى ذلك بهذا التعبير لأنه لا لزوم عدة الأصنام .

(٣) مثل عسك فإن الضاد قد يسكن .

معطوفة على متعناه داخل في حيز الصلة اختير الجملة الاسمية هنا لدوام أثره أو لدوامه بخلاف التمتع فإنه منقضى لم يبق ثم نحضره أو ثم أحضرناه لما مر ولكمال عنايته حيث لم يسند صريحاً الإحضار إلى ذاته العلي مع أنه المقصود نظيره الاكتفاء بيدك الخير قدم^(١) التراخي الزماني لأنه الحقيقة مع إمكانها هنا ثم جوز التراخي الرتبى لأنه يفيد التهويل والقول بأن التراخي الزماني معلوم فلا فائدة فيه مدفوع بأن التراخي الرتبى أيضاً معلوم مع أن المراد بمثله إنشاء التهديد والقرينة المانعة من الحقيقة قد تكون ضعيفة يصار إلى المجاز بالنظر إلى تحقق القرينة ولو ضعيفة ويصار إلى الحقيقة بالنظر إلى ضعفها كما صرح به التحرير التفاتاني في حاشية الكشف.

قوله : (وهذه الآية كالتسوية للتي قبلها ولذلك رتب عليها بالفاء) كالنتيجة الخ إذ المعنى أبعد هذا التفاوت الظاهر يسوي بين أبناء الآخرة وأبناء الدنيا وهذه التسوية منتفية بداهة واتفاقاً هذا معنى الفاء الأولى فحينئذ يكون معطوفاً على ما قبله إذ الفاء في حكم المقدم قدم الهمزة لصدارته وله احتمال آخر أن المعطوف عليه محذوف كما أشرنا إليه في أول الدرس وإنما قال كالتسوية لعدم ذكر الدليل^(٢) صريحاً أو الكاف للمعينة ويؤيده قول الكشف وهذه الآية تقرير وتوضيح للتي قبلها بلا كاف وفيه بيان أيضاً أن نعيم الدنيا مذموم في نفسه فكيف إذا اتصل نعيمها بالعقاب فأى عاقل يرجع نعيمها على نعيم الآخرة فترك اتباع الهدى خوفاً لزوال تلك النعم الغانية خذلان وبهذا يتضح الارتباط بما قبله.



قوله تعالى : وَيَوْمَ يَأْتِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ

قوله : (عطف^(٣) على يوم القيامة أو منصوب بذكر المتأدي هو الله تعالى بقرينة أين شركائي أو الملك فيكون أين شركائي حكاية من الله تعالى وعلى التقديرين النداء للإهانة والتحقير والاستغهام للنبكيت والإضافة على زعمهم وارد على اعتقاد المخاطب.

قوله : (أي الذين كنتم تزعمونهم شركائي فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما) الذين كنتم بيان لكون الإضافة على زعمهم.

قوله : وهذه الآية كالتسوية للتي قبلها أي قوله عز وجل : ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كُنْ مَتَعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [القصص : ٦١] كالتسوية للآية التي قبلها وهي ﴿وَمَا أَوْتَيْنَا مِنْ شَيْءٍ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّاها﴾ [القصص : ٦٠] لأن الاستغهام في ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ﴾ الآية للإنكار فالمعنى إذا كان ما أوتيت من شيء متاع الحياة المنقضية الغانية وثواب الله الموعود وهو جنة الخلد خير من ذلك الغاني لا يكون حال من وعد له ذلك الباقي مثل حال المتمتع بذلك الغاني.

قوله : فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما وفي الكشف ويجوز حذف المفعولين في

(١) لم يرفض الزمخشري بأنه لا فائدة فيه ورده المص.

(٢) أو النتيجة قوله امتناع الحياة الدنيا كما عند الله فما ذكر في النظم الكريم لازمه فهي كالتسوية لا عين التسوية.

(٣) والتعابير الاعتبارية كاف في العطف. لأن تعابير العنوان يكفي في العطف لإفادة التعابير الاعتبارية.

قوله تعالى: **قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا كَفَا غَيْبَاتُنَا لَكَ**
إِتْبَاطُ مَا كَانُوا بِآيَاتِكَ يَتَّبِعُونَ ﴿٦٣﴾

قوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ [القصص: ٦٣] بثبوت مقتضاه وحصول مؤذاه وهو قوله: ﴿لَا مَلَأَن جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩] وغيره من آيات الوعيد^(١) قال الذين صيغة المضى لتحقق وقوعه حق معناه ثبت مقتضاه كما نيه عليه المعص والمراد شركائهم الشياطين كما هو الظاهر أو رؤسائهم الذين اتخذوهم أرباباً من دون الله والصفة المذكورة للاحتراز عن عزيز وعيسى والملائكة من أول الأمر وإن حصل الاحتراز لقولهم أغوينا الخ فتخصيص من حق المتبوعين لهذه الصفة ويعرف حال اتباعهم بدلالة النص (أي هؤلاء هم الذين أغويتهم فحذف الراجع إلى الموصول).

باب ظننت ولا يصح الاختصار على أحدهما ذكر صاحب الكشف في المفصل وليس لك أن تقول حسبت زيداً وتسكت لفقد ما عقدت عليه حديثك فأما المفعولان معاً فلا عليك أن تسكت عنهما وذكر في العنكبوت أن الحسيان لا يصح تعلقه بمعاني المفردات ولكن بمضامين الجمل ألا ترى أنك لو قلت حسبت زيداً وظننت الفرس لم يكن شيئاً حتى تقول حسبت زيداً عالماً وظننت الفرس جواداً لأن قولك زيد عالم أو الفرس جواد كلام دال على مضمون فأردت الإخبار عن ذلك المضمون ثابتاً عندك على وجه الظن لا اليقين فلم تجد بداً في العبارة عن ثباته عندك على ذلك الوجه من ذكر شطري الجملة مدخلاً عليهما فعل الحسيان حتى يتم لك غرضك قال بعض علماء العربية ومن فقد الكاشفة وضع الفرق بين امتناع طرح أحد المفعولين وبين جواز أحد الشطرين في باب المبتدأ والخبر مع أن البابين من حيث المعنى سياتي وذلك أن تعلق تلك الأفعال بمضامين الجمل وهي أمور خفية في نفسها إذ هي من المعقولات الذهنية لأنها إنما تعلقت بنسب الجمل الخبرية فإن معنى ظننت زيداً عالماً نسبة العلم إلى زيد مظنونة عندي لا من الملفوظات والتعلق بها أمر خفي ولو طرح أحد الشطرين لتراكم الخفاء بخلاف الجمل الخبرية فإن مراتب الخفاء فيها أقل فأعرفه وأما جواز طرح المفعولين معاً فلأن عند طرحهما ينتفي المضمون وتعلق الفعل بنفسه ويصير الغرض نفس أحداث الفعل وقال الطيبي رحمه الله هذا كلام حسن فإن قوله ﴿وظننت ظن السوء﴾ حيثل بمنزلة قولهم فلان يعطي ويمنع في الشيع في جميع ما قد من الظن وقول القائل من يسمع يخل أي من يسمع يخل المسموع صحيحاً إذ معنى من يسمع من يركن إلى الاستماع والآية واردة على هذا أقول فيه نظر لأن القصد إلى نفس الفعل إنما يكون بجعل الفعل المتعدي منزلة اللازم فحينئذ لا يكون تعلقه بالمفعول مراداً وما في الآية مراد تعلقه بمفعوليّه إذ تقديره تزعمونهم شركاء بي وقال صاحب التحفة معنى الاختصار أن لا يكون أحد المفعولين مراداً فأما إذا حذف لفريقته دلت عليه وهو مراد معنى فليس اختصاراً كما لا يسمى حذف الخبر اختصاراً على

(١) والمراد بهذا القول مبادرة الجواب خوفاً من توبيخهم بالأضلال وخلول عذاب الله حيث طلبوا وإن كان السؤال للعبادة لأن العبادة قد قالوا ﴿ربنا هؤلاء أضلونا فأنهم غداً ضعفاء من النار﴾ اعتذاراً ورد شركائهم بهذا وطوى ذكره لما ذكر في مواضع أخرى إيجازاً واختصاراً لكن هذا لا ينفعهم قال تعالى ﴿لكل ضعف ولكن لا تعلمون﴾.

قوله: (أي أغويناهم فغفوا غياً مثل ما غوينا وهو استئناف) أي أغويناهم غياً الخ أشار إلى أن كما غوينا صفة مصدر محذوف فذكر أغويناهم ليس للتأكيد بل تمهيد لقولهم كما غوينا ولا يبعد أن يكون تأكيداً للأول بذكر مفعوله المقدر لكن المص اختار^(١) الاستئناف.

قوله: (للدلالة على أنهم غفوا باختيارهم وأنهم لم يفعلوا بهم إلا وسوسة وتوسيلة)

المبتدأ لأن الحذف لا يجوز إلا بدليل وأما في باب اعطيت فيجوز الاختصار بدليل وبغير دليل لأن الثاني فيه غير الأول وأما قوله الأخفش إذا دخلت هذه الأفعال على أن نحو ظننت أنك قائم فالمفعول الثاني منها محذوف والتقدير ظننت قيامك كائناً لأن المفتوحة بتأويل المفرد وأما سيبويه فرأى أنها سدت مسد المفعولين وأجاز الكوفيون الاختصار على الأول إذا سد شيء مسد الثاني وقال المالكي إذا دل دليل على أحدهما جاز حذفه كقوله:

كان لم تكن بين إذا كان بعده تلاق ولكن لا أخال تلاقياً

أي لا أخال الكائن تلاقياً أو لا أخال بعد البين تلاقياً وعليه قول صاحب الكشاف في قوله تعالى: ﴿ولا يحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً﴾ [آل عمران: ١٦٩] ويجوز أن يكون الذين قتلوا فاعلاً للمعنى ولا يحسبهم الذين قتلوا أمواتاً أي أنفسهم إنما جاز حذفه لأنه في الأصل مبتدأ فحذف كما حذف المبتدأ في قوله: ﴿أحياء﴾ [القصص: ١٦٩] أي هم أحياء وقوله: ﴿ولا يحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض﴾ [النور: ٥٧] الأصل لا يحسبهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الأول فكان الذي سورغ ذلك أن المفعول والمفعولين لما كانا كشيء واحد اقتنع بذكر الاثنين عن ذكر الثالث ولعل السر في امتناع الاختصار على أحد المفعولين في أعمال القلوب أن هذه الأفعال قيود للمضامين تدخل على الجملة الاسمية لبيان ما هي عليه لأن النسبة قد تكون عن علم وقد تكون عن ظن فلو اقتصر على أحد طرفي الجملة لقيام قرينة توهم أن الذي سبق له الكلام وهو الذي هو مهتم بشأنه الطرف المذكور وليس المضمون مما يعتني به نعم إذا كان الفاعل والمفعول كشيء واحد يهون الخطب ويؤيده ما ذكر صاحب الإقلايد أنك إذا قلت حسبت زيدا منطلقاً فقد عقدت الحديث على أن زيدا مظنون انطلاقه عندك فلو قلت حسبت زيدا وسكت فقدت ما هو الفائدة العظمى وهو الثاني لأنه هو الذي وقع فيه الشك وقصدك بهذا التركيب أن تخبر بذلك لا الإخبار بذا زيد وإنما تذكر زيدا لثرتب الثاني عليه ولو قلت حسبت منطلقاً وسكت خرج من يدك ما يفيد الأول وهو أنه هو الذي انطلاقه مظنون عندك فإذا لا بد من ذكر كليهما هذا وأما قول القائل إن تعلق تلك الأفعال بمضامين الجميل وهي أمور خفية الخ فمدفوع بجواز حذف أحد شطري اسم أن وخبره وأنها لتوكيد مضمون الجملة.

قوله: وهو استئناف للدلالة على أنهم غفوا باختيارهم فسر رحمه الله الآية على وجهين الوجه الأول أن يكون هؤلاء مبتدأ والذين أغوينا خبره وأغويناهم كما غوينا جملة استئنافية موردة لبيان أن غيهم باختيار منهم لا بقسر والجهل منا معنى الاختيار في الغي مستفاد من تشبيه غيهم لغيهم من حيث إن وجه الشبه بين الغييين كونهما باختيار فإن الكاف في كما غوينا صفة مصدر

(١) كأنه قيل كيف صارت غوايتهم فأجيب بذلك.

وجه الدلالة أن غي المشبه به باختياره فكذا غي المشبه وهو كقوله ﴿وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي﴾ [إبراهيم: ٢٢] وهذا يؤيد كون المراد الشيطان.

قوله: (ويجوز أن يكون الدين صفة وأغويناهم الخير لأجل ما اتصل به فإفاده زيادة على الصفة وهو وإن كانت فضلة لكنه صار من اللوازم) ويجوز أن يكون الذين صفة أي صفة لهؤلاء^(١) لا الخير كما في الاحتمال الأول والخير حيث أغويناهم كما غوينا لأجل ما اتصل به وهو كما غوينا فأفاد أي أغويناهم حين كونه خبراً زيادة على الصفة وهي أغوينا بسبب تقييده بقوله كما غوينا لأن القيد الزائد صيره مفيداً ما لم يقد المبتدأ وصفته ولا يضر كونه فضلة لأن بعض الفضلة قد يكون لازماً في بعض المواضع فلا يرد أن التقييد بالظرف لا يصيره مفيداً بالأصالة ومرادهم بالإشارة بيان أنهم يقولون ما يقولون بمحض منهم وأنهم غير قادرين على إنكاره ورده زيادة تحسرهم بأنهم تمنوا شفاعتهم ولما كان الحال على هذا الحوال يزداد عذابهم بانضمام العذاب الروحاني.

محذوف تقديره أغويناهم فغفوا غياً مثل ما غوينا يعنون أنا لم نغفوا إلا باختيارنا لا بأن فوقنا مغوين اغوينا بقسر والجاه أو دعونا إلى الغي وسولوه لنا فهؤلاء كذلك غفوا باختيارهم لأن إغوائنا لهم لم يكن إلا بطريق الوسوسة والتسويل لا بالقسر والإلجاء فلا فرق إذن بين غينا وغيرهم في أنهما بالاختيار والوجه الثاني أن يكون هؤلاء مبتدأ والذين أغوينا صفة وأغويناهم الثاني باعتبار اشتماله على أمر زائد هو المقصود بالأخبار والإفادة خبر المبتدأ إذ لولا اشتماله على هذا الزائد لم يقد الكلام زيادة معنى إذ يكون كأن يقال الذين أغويناهم هم الذين أغويناهم وهذا كما ترى كلام لا فائدة فيه وإذا اعتبر هذا الزائد معه وفيد هو به يكون حاصل المعنى غي الذي أغويناهم مثل غينا وهو كلام مفيد إذ يمكن أن يتردد متردد في أن أحد الغيين مثل الإحرام لا مجوراً أن غي أحد الفريقين بقسر وغي الفريق الآخر باختيار فيدفع هذا التردد بأن يقال غيهم كفينا أي هو مثله في كونه بالاختيار وهذا هو المراد بقوله رحمه الله ويجوز أن يكون الذين صفة وأغويناهم الخير لأجل ما اتصل به أي لأجل اتصال الجار والمجرور وهو كما أغويناهم به يعني لولا اعتبار اتصاله به لما أفاد الكلام فائدة زائدة على مفهوم الصفة التي هي معلومة الانتساب إلى المبتدأ عند المخاطب لأن كل صفة وصلة يجب أن تكون معلومتي الانتساب إلى الموصوف والموصول عند المخاطب.

قوله: وهو وإن كان فضلة لكنه صار من اللوازم لفظ هو راجع إلى ما في قوله ما اتصل به أي هذا المتصل الذي هو كما غوينا وإن كان فضلة من الكلام خارجاً عن ركنيه المسند إليه والمسند لكنه صار من لوازم أحد الركنين الذي هو المسند وهو أغويناهم من حيث إن مفهوم هذه الفضلة وهو مماثلة غي القائلين صفة غي تضمنت ذلك المسند إذ معناه على ما ذكر أغويناهم فغفوا غياً مماثلاً لغينا فبهذا التأويل صارت تلك الفضلة من لوازم المسند لزوم الصفة بالموصوف فصح وقوع أغويناهم خبراً مفيداً باعتبار صفة اللازمة لا باعتبار نفسه.

قوله: (منهم ومما اختاروه من الكفر هوى منهم وهو تقرير للجملة المتقدمة ولذلك خلت عن العاطف وكذا ﴿ما كانوا إيانا يعبدون﴾ [القصص: ٦٣] أي ما كانوا يعبدوننا وإنما كانوا يعبدون أهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بترأنا أي تيرأنا من عبادتهم إيانا) منهم ومما اختاروه الخ وهو بيان حالهم في الدنيا وجه التبرء عدم الجبر والإلجاء وإن سولوا منهم ولذلك وهو تقرير الخ والتأكيد لا يعطف أو التبرء في الآخرة كقوله تعالى: ﴿إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا﴾ [البقرة: ١٦٦] الآية والاحتمال الأول ملائم لكلام^(١) المص لأن إثبات الغواية لهم باختيارهم تبرء في الحقيقة قوله وإنما كانوا يعبدون أهواءهم أي في نفس الأمر وعبادتهم لهم باعتبار ظاهر الحال قوله تعالى: ﴿بل كانوا يعبدون الجن﴾ [سبأ: ٤١] لا يلائمه بحسب الظاهر إلا يتمحل وهو أن إثبات العبادة لهم بحسب الظاهر والنفي بحسب نفس الأمر فلا تدافع وأيضاً القائلون مختلفون فلا تناقض.

قوله تعالى: وَبَلِّغْهُمْ رُسُلَنَا وَتَدْعُوهُمْ فَرِّدْ بَيْنَهُمُ الْغُرُوبَ وَأَلْفَاظُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّهُمْ كَانُوا

يَعْبُدُونَ ﴿٦٤﴾

قوله: (من فرط الحيرة) لأنهم يعلمون أنهم لا يجيبهم ولو أجابوا لا يقدرين لكن لاستيلاء الحيرة ذهلوا عنه فدعوههم وهنا أضيف الشركاء إليهم وفيما مر إليه تعالى لنكتة تعرف بالتأمل الثاقب.

قوله: (لمعجزهم عن الإجابة والنصرة) فيه إشارة إلى أن معنى فلم يستجيبوا^(٢) لهم فلم يقدرنا على الإجابة والإجابة وإن كانت أعم من الاستجابة كما صرح به المص في آل عمران لكن المراد الاستجابة بقرينة عطف النصرة عليه والإجابة بالنصرة هي الاستجابة فإنها إعطاء عين المسؤول فعلم منه أن الأمر بالدعاء للتقريع والتوبيخ لما مر من أنهم يعلمون أنهم لا يجيبهم فلا يراد بالأمر الامتثال ودعاهم لفرط الخيرة كما بيناه آنفاً وكلمة الفاء لكون دعائهم عقيب الأمر التوبيخي.

قوله: (لازياً لهم) بالياء الموحدة أي لاصقاً متصلاً والتعبير به للمبالغة في المصروق قال ﴿إنا خلقناهم من طين لازب﴾ [الصافات: ١١] حال من المفعول والرؤية علمية لا

قوله: وهي تقرير للجملة المتقدمة أي هذه الجملة التي هي تيرأنا جملة مقررة لجملة أعطيناهم كما غوبنا وجه تقريرها لها أن المفهوم من الجملة المتقدمة أن غيبهم جريمة ارتكبوها باختيارهم لا بإلجاء منا إليها لا دخل لنا بالقسر والإلجاء في جرميتهم هذه ونحن متبرؤون عن ذلك فلتضمن ذلك الكلام معنى التبري صار تيرأنا مفعلاً لما علم منه ضمناً فلكونه متصلاً بذلك الكلام بهذا المعنى ترك العاطف.

(١) ولذلك قيل وتقريرها لما قبلها لأن الإقرار بالغواية تبرء في الحقيقة فالمراد التبرء في الدنيا.
(٢) وفيه إيجاز أي فلم يسمعوا دعاهم لأنهم جمداء ولو فرض سماعهم فلم يستجيبوا قال تعالى: ﴿إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم﴾ الآية فالفاء حينئذٍ فصيحة.

من أفعال القلوب لأن الاختصار على أحد المفعولين فيها غير جائز عند جمهور النحاة وضمير رأوا للذابين وقيل للذاعي والمدعو والسوق ظاهر في الأول.

قوله: (بوجه من الحيل يدفعون به العذاب) فالاعتداء بالمعنى اللغوي وهذا أيضاً من كمال فرط الحيرة قدم هذا الوجه لشدة ملالته بما قبله.

قوله: (أو إلى الحق لما وأوا العذاب) فالاعتداء بالمعنى الشرعي ويلائمه قوله: ﴿كانوا يهتدون﴾ [القصص: ٦٤] بصيغة الماضي والمضارع لأنه للاستمرار أي لو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا إلى الحق لما رأوا العذاب فلو شرطية جوابه محذوف وهو لما رأوا العذاب وفي الاحتمال الأول لدفعوا به وقيل جوابه لما رأوا العذاب على التقديرين وفي الأول المراد دفع العذاب بعد اللصوق على ما هو الظاهر بنوع من الحيل وفي الثاني عدم رؤية العذاب رأساً لإيمانهم وابتدائهم إلى الحق وشتان ما بين المسلمين.

قوله: (وقيل لو للتمني أي تمنوا أنهم كانوا مهتدين) قبل مرضه لأنه يحتاج إلى تقدير وتأويل بعيد لأنه كان الظاهر أن يقال لو أنا كنا الخ والمعنى أيضاً كذلك في الشرطية إذ الظاهر أن يقال لو أنا كنا مهتدين لكن في مثله يجوز الوجهان التعبير بالغيبة والتكلم يقال زيد حلف ليقضين دينه أو اقضين ديني فوجه التمرض أن كون لو للتمني قليل لا يصار إليه ما أمكن الشرطية.

قوله تعالى: وَيَوْمَ يَتَذَكَّرُونَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾

قوله: (عطف على الأول فإنه تعالى يسأل أولاً عن إشراكهم له ثم عن تكذيبهم الأنبياء عليهم السلام) يسأل أولاً عن إشراكهم أشار به إلى أن السؤال عن مكان الشركاء لا لتعيين مكانهم لأنه من العلام الغيوب بل لتوبيخ المشركين على إشراكهم قوله ثم عن تكذيبهم أشار به أيضاً إلى أن السؤال بماذا أجبتهم السؤال عن تكذيبهم للتوبيخ والتفريع والمعنى أي إجابة أجبتهم على أن ماذا في موضع المصدر أو بأي إجابة أجبتهم بالقبول أو الرد فحذف الجار وأوصل الفعل إليه.

قوله: يدفعون به العذاب تقدير وتصوير للجواب المحذوف لكلمة لو يريد أن الجواب يدفعون به العذاب وإن كان متعلقاً بالاعتداء وجه الحيل ولما رأوا العذاب إن كان المتعلق إلى الحق وفي الكشف حكى أولاً ما يوبخهم به من اتخاذهم له شركاء ثم ما يقوله الشياطين أو أئمتهم عند توبيخهم لأنهم إذا وبخوا بعبادة الآلهة اعتدروا بأن الشياطين هم الذين استغفروهم وزينوا لهم عبادتها ثم ما يشبه السمات بهم من استغاثتهم آلهتهم ولهذا أنهم وعجزهم عن نصرتهم ثم ما يكتنون به من الاحتجاج عليهم بإرسال الرسل وإزاحة الملل قوله عطف على الأول أي قوله ﴿ويوم يتادبهم فيقول ماذا أجبتهم﴾ [القصص: ٦٢] الآية.

قوله: فإنه تعالى يسأل أولاً عن إشراكهم به هذا محل نظر لأن السؤال هناك ليس عن الاشراك بل عن مكان الشركاء على سبيل التوبيخ حيث قال تعالى: ﴿أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ [القصص: ٦٢].



قوله تعالى: فَعَيَّنَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءَ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ

قوله: (فصارت الأنبياء كالعلمى عليهم لا يهتدى إليهم) أشار به إلى الاستعارة العمى بضم العين وسكون الميم جمع أعمى قوله لا يهتدي إليهم بيان معنى العمى وإشارة إلى العلاقة ووجه الشبه.

قوله: (وأصله فعموا عن الأنبياء لكنه عكس للمبالغة) وأصله أي الظاهر إذا لم يرد المبالغة فعموا إذ العمى حقيقياً أو مجازياً شأن العقلاء قوله للمبالغة أي إن عماهم بلغ مبلغاً تخفى إلى أنبيائهم ففيه قلب مع الاستعارة إذ العمى استعير لعدم الاهتداء فالكفار لا يهتدون إلى الأنبياء فهم من هذه الحيثية عمون ثم قلب وأثبت العمى للأنبياء للمبالغة في عماهم لما مر وتعديته يعلى لما سيأتي من تضمينه معنى الخفاء.

قوله: (ودلالة على أن ما يحضر الذهن إنما يفيض ويرد عليه من خارج فإذا أخطأه لم يكن له حيلة إلى استحضاره والمراد بالأنبياء ما أجابوا به الرسل) ودلالة على أن ما يحضر الذهن الخ هذا أكثرى لا كلي لكنه ينفع فيما نحن فيه لأن جوابهم للرسل من قبيل ما استحضر في الذهن بعد غيبته وذهولهم عنه فهو إنما يرد على الذهن من الخارج قوله فإذا أخطأ الذهن ولم ينصب عليه من خارج لم يكن له سبيل على استحضاره كمن لم ير شخصاً لا سبيل له إلى استحضاره في الذهن أو رآه وزال عنه صورته رأساً فلا يقدر على استحضاره وهنا لما جعل الأنبياء الوارد عليهم من الخارج عمى لا يهتدي إلى أذهانهم علم أن سبب عماهم عدم فيض الأنبياء من خارج لكمال الدهشة ولو لم يعكس بل ورد على مقتضى الظاهر لم يفهم هذه النكتة الأنيقة وعن هذا اختيار القلب فما وقع في النظم الجليل مطابق لمقتضى الحال.

قوله: (أو ما يعمها وإذا كانت الرسل يتعمنون في الجواب عن مثل ذلك من الهول ويفوضون إلى علم الله تعالى فما ظنك بالضلال من أمهم) أو ما يعمها أي يعم الأنبياء المجاب بها الرسل وكل ما يمكن الجواب به لكن مقتضى السوق الأول وعدم التعميم والتعنته بتأني فوقيين وعينين مهملتين التردد في الكلام لحصر أوعى وهذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ﴾ [المائدة: ١٠٩] الآية.

قوله: (وتعدية الفعل^(١) يعلى لتضمته معنى الخفاء) وتعدية الفعل أي عميت يعلى^(٢)

قوله: (وإذا كانت الرسل يتعمنون على صيغة المجهول من نعمت الرجل إذا عثله إذا جذبته جذباً عثيفاً واقلفته أي إذا كان الرسل يلقون ويحبرون من هول ذلك اليوم وذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ﴾ قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب) [المائدة: ١٠٩] فما ظنك بضلال أمهم.

(١) إذ الفاء في فعميت ظاهراً في الأول فاللام للعهد والجمع للإفراد وفي الثاني للأنواع.

(٢) بل تعديته يعن ولذلك قال وأصله فعموا عن الأنبياء.

مع أنه لم يتعد على لتضمنه معنى الإخفاء أي لكون الإخفاء مفهوماً من العمى أو المراد التضمين المصطلح .

قوله : (لا يسأل بعضهم بعضاً عن الجواب لفرط الدهشة) الأولى لا يسأل بعضهم عن بعض الجواب السؤال للاستعلام قوله لفرط الدهشة والغاء التفرعية وإن اقتضت كون عدم السؤال العمى لكنه أيضاً معلل بفرط الحيرة فما ذكره علة العلة .

قوله : (أو العلم بأنه مثله) في العجز عن الجواب آخره مع أنه المناسب للغاء التفرعية لأن كمال الحيرة يمنع عن ذلك العلم على ما هو الظاهر من كلامه حيث قال وإذا كانت الرسل يترددون في الجواب الخ .

قوله تعالى : فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَمَقَرَّ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿١٧﴾

قوله : (عن الشرك) التخصيص إذ الكلام في المشركين ويعرف حال من لم يشرك قط بطريق الأولوية كلمة إما لتفصيل المجمال في الذهن من بيان ما يدل عليه من حال المصرين على الشرك وهو حال من تاب منهم كيف يكون والغاء للدلالة على ترتب الأخبار على ما قبله وفيه إحماد لأمر الثائبين حيث صدر الجملة الناطقة لأحوالهم بأما المتضمن معنى الشرط ولذلك يجاب بالغاء وفيه تأكيد لوقوع مضمونها .

قوله : (وجمع بين الإيمان والعمل الصالح) وهذا سبب كمال الفلاح وأما الإيمان وحده وإن كفى في دخول الجنة لكنه قد يعاتب بالذنوب من لم يعمل صالحاً .

قوله : (عند الله وعسى) تحقيق على عادة الكرام أو ترج من الثائب بمعنى فليتوقع أن يفلح) على عادة الكرام إظهاراً للعظمة وكمال الإنعام وفيه إشعار أيضاً بأنه تفضل والثوبة غير موجب قوله أو ترج أي توقع من الثائب بمعنى فليتوقع (١) أن يفلح ولا يختار بتوبته وإيمانه المقرون بالعمل الصالح فالتوقع من المخاطب لا منه تعالى والأول هو الراجح في بيان الوعد ولذا قدمه .

قوله : لا يسأل بعضهم بعضاً كما يتساءل الناس في المشكلات لفرط حيرتهم وغاية دهشتهم أو لأنهم يتساوون جميعاً في عمى الأنباء عليهم والعجز عن الجواب لا يعلم واحد منهم من تلك الأنباء ما جهله الآخر .

(١) كون عسى تحقيقاً على عادة الكرام مجاز والظاهر استعارة لا مجاز مرسل والعلاقة عدم الاغترار به كما في صورة الطمع والرجاء .

(٢) قوله بمعنى فليتوقع الخ أي عسى إذا حمل على التوقع من الثائب بمعنى الأمر بقرينة أن الترجي منه غير متحقق فيراد به الأمر مجازاً مثل الخبر الذي يراد به الأمر كرضي الله ورحمه فمضى وإن كان ماضياً بمعنى الأمر فلا تغفل .

قوله تعالى: وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾

قوله: (لا موجب عليه ولا مانع له) المشيئة والإرادة كلاهما عبارة عن ترجيح أحد المقدورين على الآخر بالوقوع فهو يقابل الإيجاب عنه كما زعم الفلاسفة والاختيار عند المتكلمين كونه بحيث يصح منه الفعل والترك فهو مقابل للمانع وهو وإن كان مقابلاً للإيجاب لكنه حمل على المقابل للمانع إذ التأسيس أولى من التأكيد والإفادة خير من الإعادة وإن أمكن حمله على التكرار إذ التكرير للتأكيد من أنواع البلاغة صرح به المص في سورة والمرسلات وأما الاختيار بمعنى إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل فهو بجامع الإيجاب إن قيل إن مقدم الشرطية الأولى دائم الوقوع وهذا مذهب الحكماء وإلا أي وإن لم يحكم بدوام مقدم الشرطية الأولى فراجع إلى معنى صحة الفعل والترك فلا بجامع الإيجاب.

قوله: (أي التخيير كالتطيرة بمعنى التطهير وظاهره نفي الاختيار عنهم رأساً والأمر كذلك عند التحقيق فإن اختيار العباد مخلوق باختيار الله تعالى منوط بدواع لا اختيار لهم فيها) أي التخيير أي الخيرة مصدر بمعنى التخيير كما أن الطيرة مصدر بمعنى التطهير وحكي عن ابن الأثير تسكين يائه قالوا ولم يجيء على هذا الوزن من المصادر غير خيرة وطيرة والاختيار والتخيير بمعنى واحد ولذلك قال وظاهره نفي الاختيار عنهم رأساً وهذا مذهب أبي الحسن الأشعري حيث ادعى أن الإرادة الجزئية موجودة في الخارج مخلوقة لله تعالى ويقولون نحن مختارون في أفعالنا مضطرون في اختيارنا ومع ذلك منوط بدواعي^(١) لا اختيار للعبد فيها وتلك الدواعي الشوق إلى الفعل المنبثقة عنه الإرادة وتصور أنه ملائم وهو سبب للشوق المذكور ولا يخفى عليك أن مآل ما ذكره المص الجبر لأن سلب الاختيار عن العبد رأساً عين الجبر مآلاً فالحق أن للعبد اختياراً جزئياً وإرادة جزئية وهي ترجيح أحد مقدور به على الآخر وهي غير مخلوق لله تعالى لأنها لكونها عبارة عن المعنى

قوله: باختيار منوط بدواع لا اختيار لهم فيها أي فإن اختيار العباد مخلوق بخلق الله وإيجاده المسبوق باختيار منه منوط بدواع لا اختيار للعبد في تلك الدواعي فاستند اختيار العباد بواسطة اختيار الله إلى أمر لا اختيار لهم فيه فقلوه منوط بالجبر على أنه صفة اختيار وقد وقع في بعض النسخ هكذا فإن اختيار العباد مخلوق باختيار الله منوط بدواع إلى آخره فعلى هذا يكون منوط خيراً بعد خبر لأن فالمعنى على هذا أنه إذا اختار عبد فعلاً فلا بد لاختيار ذلك الفعل من أمر داع إلى فعله مرجح له على تركه وذلك الأمر الداعي الذي خطر على قلبه ليس باختيار منه وإلا لزم لاختيار ذلك الأمر الداعي داع آخر فإما أن يتسلسل الدواعي والاختيارات إلى غير النهاية وهو باطل أو ينتهي إلى داع ليس باختياره.

(١) والدواعي وإن لم تكن اختيارية لكن العبد بعد وجود الدواعي له أن يريد وأن لا يريد.

النسبي غير موجودة في الخارج فلا تحتاج إلى الخالق إذ الخلق إخراج المعدم من العدم إلى الوجود فهي صادرة عن العباد وهي مدار الثواب والعقاب فإنها ليست أمراً اعتبارياً محضاً كاتيانب الأحوال وبحر من زئبق بل متحققة في نفس الأمر كالأمر النسبية بين الأمور كنسبة القيام إلى زيد وغيرها فإنها موجودة في نفس الأمر موصوفة بالمطابقة وعدم المطابقة لما في الخارج فالخارج ظرف لنفسها لا لوجودها لعدم وجودها فمعنى الآية ما كان لهم الخيرة المؤثرة فالمنفي هو التأثير لا الاختيار نفسه بقرينة قوله: ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ [القصص: ٦٨] الآية حيث حصر الخلق على ذاته^(١) المقدسة ونفى عن عباده تأثير إرادته الجزئية خلقاً ومن أراد الاطلاع على حقيقة الحال فليراجع إلى المقدمات الأربعة للمحقق صدر الشريعة وشرحنا عليها.

قوله: (وقيل المراد به أنه ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه) وقيل المراد بالمعنى حيثيذ ما كان أي ما صح وما استقام لهم الخيرة على الله أي التحكم عليه تعالى بأن يقولوا لم لم يفعل الله كذا كما ذكر في سبب النزول لأن مآله لم لم ينزل القرآن ﴿على رجل﴾ [سبأ: ٧] الآية مرضه مع كونه مؤيداً لعدم ملائمته للسياق وأيضاً يحتاج إلى حذف المتعلق وهو لفظة على الله كما عرفته وإلى حمل ما كان على معنى ما صح وما استقام فإنه نفى الكون هو الشائع لأنه معنى حقيقي له ومعنى نفى الصحة وإن كان معنى له مشهوراً لكنه مجاز لا يصار إليه ما أمكن الحقيقة.

قوله: (ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روي أنه نزل في قولهم ﴿لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾) ولذلك خلا عن العاطف بالتخفيف والبناء للفاعل وجه الخلو هو أنه حيثيذ يكون مفسراً وموضحاً لمعنى يخلق ما يشاء فإن حاصله أنه تعالى يخلق ما يشاء ويختار لا ما اختاره العباد عليه وهو ينافي العطف وفي الأول ترك العطف

قوله: وقيل المراد به أنه ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه يعني قبل المراد بقوله تعالى: ﴿ما كان لهم الخيرة﴾ [القصص: ٦٨] أنه ليس لأحد من خلقه أن يختار على ما اختاره الله تعالى أي ما صح لهم وما استقام أن يختار خلاف ما اختاره الله تعالى وهذا المعنى مستفاد من ما كان فإن ما كان له وما كان ينبغي له يستعملان في معنى ما صح له وما استقام له على ما مر فعلى هذا الوجه لا تدل الآية على سلب اختيار العبد بخلاف الوجه الأول فعلى هذا الوجه يكون ﴿ما كان لهم الخيرة﴾ بياناً لاختار فلذا ترك العاطف ولم يتعرض رحمه الله لوجه ترك الواو في الوجه الأول فلعل تركه لكونه استثنافاً مورداً في معرض الجواب عن السؤال المقدر فإنه لما ثبت الله تعالى الاختيار لذاته بقوله: ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ [القصص: ٦٨] كان ذلك مظنة سؤال هل لغيره من عباده اختيار أم لا فقال ﴿ما كان لهم الخيرة﴾ جواباً لذلك السؤال لنفي الاختيار من غيره.

قوله: ويؤيده ما روي الخ أي ويؤيد هذا الوجه الأخير ما روي الخ وجه تأييده له أن قولهم هذا اختيار منهم على ما اختاره الله تعالى فتزلت ناطقة بعدم صحته.

(١) لأنه من قيل أنا سمعت في حاجتك.

لأنه أيضاً تأكيد له إذ لو كان للعبد اختيار مؤثر لا يتم الحصر المذكور وقيل إنه استئناف بأن حال العباد ماذا فقليل ليس لهم اختيار.

قوله: (وقيل ما موصولة مفعول لبيختار والراجع إليه محذوف والمعنى ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة أي الخير والصالح) وقيل ما موصولة لا نافية فيكون مفعول يختار فيكون المعنى ﴿ما كان لهم الخيرة﴾ أي الخير والصالح فيكون اكتفاء باختيار الخير لهم مثل قوله تعالى: ﴿بيدك الخير﴾ [آل عمران: ٢٦] فلا ينجر إلى ملهيب الاعتزال فلا حاجة إلى القول بأنه ليس المراد اختياره على الوجوب بل بمقتضى الكرم على أن المحذور ولزوم عدم إرادة الشر لهم فلا يندفع بما ذكر بل بما ذكرناه وجه التمريض كون الخيرة بمعنى الخير مما لم يعرف ثبوته لغة وعرفاً وأيضاً لا يلائم قوله سبحانه الله.

قوله: (تنزيهاً له عن أن يتنازع أحد أو أن يزاحم اختياره) أحد أي في الخلق والتأثير وهذا يؤيد ما ذكرناه أن المعنى نفي الاختيار المؤثر قوله أو أن يزاحم الخ إشارة إلى ما قيل الأول وأما احتمال الموصولية فلم يشر إليه لعدم استقامته إلا أن يقال تنزيهه عن اختيار ما كان لهم الشر المحض إذ لا يوجد شر جزئي ما لم يتضمن خيراً كلياً.

قوله: (عن إشراكهم أو مشاركة ما يشركونه به) فما مصدرية قدمه لعدم احتياجه إلى التقدير وفي الموصول يحتاج إلى تقدير مضاف وعائد.

قوله تعالى: **وَوَيْلٌ لَّكَ يَوْمَ تَأْتِي سُيُوفُ الْمُؤْمِنِينَ وَحُمَاهُمْ وَصَدُورُهُمْ وَمَا يَمْشُونَ** ﴿٦٩﴾

قوله: (كعداوة^(١)) رسول الله عليه السلام وحقه) فيكون إسناداً لكن إلى الصدور مجازاً ولذا قيل وما يعلنون قدم الأول لكون العلم به والإخبار به أهم وذكر علم الإعلان للتنبيه على أن علمه تعالى بما خفي وما أعلن سيان لأن الإخفاء والإعلان بالنسبة إلى المخلوق فإنه تعالى: ﴿لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء﴾ [آل عمران: ٥] كالظن في المستحق للعبادة.

قوله تعالى: **وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْكَرَّمَةُ الْأُولَى وَالْآخِرَةُ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴿٧٠﴾

قوله: (لا أحد يستحقها إلا هو) أشار إلى أن المراد نفي الاستحقاق وإثباته وأما المعبود بالباطل فثابت وهذه الجملة كالتأكيد لما قبلها ولذا اختير الفصل له.

قوله: وقيل ما موصولة أي ما في ما كان موصولة بمعنى الذي لا نافية كما في الوجهين الأولين والراجع إليه محذوف وهو فيه قال المعنى وربك يفعل ما يشاء ويختار الذي فيه الخير والصالح لهم وفي هذا الوجه من أصول أهل الاعتزال شيء.

قوله: عن إشراكهم أو مشاركة ما يشركونه فسر على وجهين الوجه الأول مبني على كون ما

(١) فيه إشارة إلى وجه ارتباطه بما قبله ففيه وعيد ووعد إذ المراد بيان الجزاء وأعيد ربك لإظهار كمال لطفه له عليه السلام وللتنبيه على استقلاله فإن الأول صفة فعلية والثاني صفة ذاتية.

قوله: (له الحمد في الأولى والآخرة) قصر الموصوف على الصفة أي الحمد مقصور على الاتصاف بكونه له تعالى ولم يعطف لأنه كالتأكيد لما قبله لأنه لما كان الحمد مختصاً به تعالى لكونه مولى النعم كلها يظهر أنه المستحق للعبادة فقط وتقديم الأولى لتقدمها وجوداً.

قوله: (لأنه المولى للنعم كلها عاجلها وأجلها يحمده المؤمنون في الآخرة كما حمدوه في الدنيا بقولهم ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾) ﴿الحمد لله الذي صدقنا وعده﴾ ابتهاجاً بفضلته والتلذذاً^(١) بحمده) لأنه المولى اسم الفاعل بمعنى المعطى كلها بلا عوض ولا غرض وأما إعطاء غيره فلعوض وغرض يريد به جزيل ثواب أو جميل ثناء وغير ذلك ومع ذلك كالواسطة في ذلك لأن ذات النعم والمنعم بخلق الله تعالى ومراد المص الإشارة إلى وجه حصر الحمد سواء كان في الدنيا أو في الآخرة له تعالى إذ الحمد على نعمة غيره تعالى راجع إلى الحمد له تعالى وهذا البحث شائع في الأولين والآخريين.

قوله: (القضاء النافذ في كل شيء) القضاء أي الحكم بمعنى القضاء قولاً قوله التاخذ في كل شيء منفهم من إطلاق الحكم ويجاز أخذه من خارج أعيد له ولم يجرى له الحمد والحكم تنبيهاً على استقلاله^(٢) على حياله واختير الوصل للإشارة إلى التغاير بينهما والجامع لأن الحكم سبب من أسباب الحمد (بالشور).

قوله تعالى: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْإِلَهَ سَرْمَدًا إِنَّ يَوْمَ الْفَيْصَمِ مِنَ اللَّهِ لَكُنْ أَتَىٰكُمْ بِضُرٍّ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾

قوله: (﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾) أي أخبروني لما كان الحمد المذكور حمداً على النعم كما قال المص لأنه المولى بين بعض النعم ترغيباً للحمد على الوجه الأنم.

مصدرية والثاني على أنها موصولة لكن في الثاني يجب تقدير مضاف إلى ما قلداً قال في الثاني أو مشاركة ما يشركونه.

قوله: المستحق للعبادة إشارة إلى اشتقاق لفظة الله فإنه من إله بمعنى عبد ومعنى استحقاق العبادة مستفاد من طريق القصر في هو الله أي من جعل المسند إليه والمسند معرفتين مع كون المسند إليه ضميراً وكذا في لا إله إلا هو معناه لا أحد يستحقها إلا هو فإن معناه نفى إله مستحق للعبادة غيره تعالى لا نفى إله غيره مطلقاً لوجود المعبودات الباطلة ولما كان معنى القصر في الاستحقاق دون وجود المعبود جعل رحمه الله معنى القصر في الإثبات والنفي في القصرين راجعاً إلى معنى الاستحقاق لا إلى أصل العبادة.

قوله: بقولهم الحمد لله متعلق بحمده المؤمنين في الآخر لا يحمده في الدنيا فإن ذلك قولهم في الآخرة.

قوله: ابتهاجاً بفضلته والتلذذاً بحمده أي يحمدهون الله تعالى في الجنة ابتهاجاً أي سروراً

(١) والحمد في الآخرة على وجه اللذة لا الكلفة.

(٢) بين عبادة في الآخرة لا يشركه غيره.

قوله: (دائماً من السرد وهو المتابعة والميم مزينة كميم في دلامص) والميم زائدة لدلالة السرد عليه فوزنه فعل وفعل والدلامص بضم الدال المهملة وكسر الميم اليرق هذا مختار المص واختار صاحب القاموس أن الميم أصلية ووزنه فععل لأن الميم لا ينقاس زيادتها في الوسط والآخر والسرد الدائم في جانب الماضي والمستقبل.

قوله: (بإسكان الشمس تحت الأرض أو تحريكها فوق الأفق الغائر) بإسكان الشمس وفيه إشارة إلى أن الشمس متحركة وهذا يلائم مذهب الحكماء والأفق الغائر بالغين المعجمة أي الأفق الغير المرئي وظاهره تكرار لأن ضياءه لما لم يظهر يلزم أن يكون تحت الأرض بالكسبة إلا أن يقال إن الفرق أن في الأول جعل الشمس ساكنة غير متحركة وفي الثاني متحركة والجواب بأنه ليس تحت الأرض بالكسبة حتى يكون تكراراً ضعيفاً لأن كونها تحت الأرض عدم ظهور ضيائها وفي هذا كذلك.

قوله: (كان حقه هل إله فذكر بمن على زعمهم أن غيره آلهة وقرأ ابن كثير بضياء بهمزتين) كان حقه الخ لأن هل^(١) في الأصل لطلب التصديق وإن لم يكن هنا كذلك لكن لما نزل القرآن على محاوراة العرب يراعى في مثله أصل معنى الحروف والمناسبات لهذا المقام هل لا من لأن من يطلب به التعيين المقتضي لأصل الوجود فاختر من على زعم المشركين أن آلهتهم موجودة نيكياً وتخجلاً ومراده بقوله وكان حقه وكان مقتضى الظاهر لكنه عدل عنه إلى مقتضى الحال كما ذكره وليس فيه ترك الأدب إذ فيه بيان مقتضى الظاهر وهو حق الكلام بلا نظر إلى مقتضى الحال فهو حق الكلام في نظر البلغاء فسقط ما قاله الفاضل المحشي وقرأ ابن كثير بضياء بإبدال الياء همزة.

ونشاطاً من تفضله وإنعامه عليهم والتذاذاً بحمده يعني أن حمدهم ذلك ليس لأداء ما وجب عليهم من شكر نعم الله عليهم في الجنة إذ لا يجب عليهم شيء هناك لأن إيجاب الشكر على النعمة تكليف والجنة ليست دار تكليف فالحمد فيها لمجرد التلذذ والابتهاج.

قوله: من السرد وهو المتابعة من سردت الحديث اتبعت بعضها بعضاً ومنه قولهم في الأشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد فالسرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم والفرد رجب والميم مزينة فوزنه فعل وميمه كميم دلامص بفتح الدال وكسر الميم من الدلاص بمعنى البراق قال الجوهري الدليص والدلاص اللين البراق يقال درع دلاص وأدرع دلاص الواحد والجمع على لفظ واحد وقد دلصت الدرع أي برقت ولمعت ودلصتها تدليصاً.

قوله: كان حقه هل إله أي كان مقتضى الظاهر أن يقال هل إله غير الله يأتيكم بضياء لأن السائل بهل طالب أن الشيء موجود أو معدوم والسائل ممن طالب لتعيين الشيء بعدما كان موجوداً وإلا غير الله معدوم غير موجود فكان حق السؤال أن يكون بكلمة هل لكن عدل عن مقتضى الظاهر إلى السؤال بمن بناء على زعمهم بأن في الوجود إلهاً غير الله والاستفهام هنا في

(١) وكان الظاهر أيضاً من يأتيكم بضياء لكن قصد بيان انتفاء الموصوف بانتفاء الصفة كما أشار إليه المص لأن مقتضى الألوهية إتيان مثل هذا والقدرة عليه فإذا لم يقدر عليه لا يكون إلهاً.

قوله: (سماع تدبر واستبصار) أي المتفني ليس مطلق السماع كما هو الظاهر بل سماع مقرون بالتدبر والاستبصار أي الإدراك بالبصيرة فهو فرد كامل فيراد به أي لو كنتم على بصيرة حين سماعكم هذه التنبيهات عرفتم أن لا قادر على ذلك إلا الله تعالى فظهر حسن ختام الآية بلا تسمعون دون أفلا تبصرون.

قوله تعالى: **قُلْ أَزِيدُكُمْ يَلِيلَ تَسْكُونُ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ** ﴿٧٢﴾

قوله: (بإسكانها في وسط السماء أو تحريكها على مدار فوق الأفق) في وسط السماء أي مثلاً إذ إسكانها في غير وسط السماء كذلك.

قوله: (استراحة عن متاعب الأشغال ولعله لم يصف الضياء بما يقابله لأن الضوء نعمة في ذاته مقصود بنفسه ولا كذلك الليل حيث قال تسكونون فيه) لم يصف الخ حيث لم يجيء هكذا ضياء تغفلون فيه لمعاشكم مثلاً لأنه يدل على أن النعمة ما فيه من التصرف لا نفسه وأما الليل فكونه نعمة بكونه لباساً يحصل به التستر والنوم والراحة وإنما قال ولعله لاحتمال كون ذلك للاكتفاء بذكر ما يقابله ولم يعكس لأن الثاني أبقى بالتصريح به ويؤيده قوله تعالى: ﴿وجعلنا النهار معاشاً﴾ [النبا: ١١] حيث جعل النعمة كونه وقت معاش لا نفسه مثل قوله ﴿وجعلنا الليل لباساً﴾ [النبا: ١٠] بلا فرق بينهما وتفاوتهما كثيرة.

كلا الموضعين للإنكار والتوبيخ والتبكيك بمعنى ليس في الوجود إله غير الله والاستفهام هنا في كلا يأتيكم بضياء ولبيل.

قوله: لم يصف الضياء بما يقابله أي بما يقابل السكون والاستراحة كالصبر والتعب لأمر المعاش حيث لم يقل من إله يأتيكم بضياء تصرفون فيه ليؤذن أن منافع الضياء ليست مقصورة على التصرف فإن منافعه متكاثرة ولهذا لا يطلع عليها كل أحد كأنه قيل من يأتيكم بضياء ليسهل عليكم جميع ما تحتاجون إليه من التصرف في معاشكم وغيرها ولهذا أتى بقوله أفلا تسمعون تنميماً لهذا المعنى لأن مدرك السمع أكثر من مدرك البصر ولما كان من الظلام أقل من منافع الضياء لأن غيرك تبصر من منافع الظلام ما تبصره أنت من السكون ونحوه وصفة يتسكونون فيه وقرر به أفلا تبصرون تنميماً لذلك فإن قلت لم يقل في الثاني يأتيكم بظلام بدل لبيل ليقابل بضياء قلما لأن الظلام مما يكرهه الطبع ويغفر عنه بخلاف الضوء فإنه نعمة في ذاته مقصود بنفسه ولعل في قوله رحمه الله لأن الضوء نعمة في ذاته مقصود بنفسه إشارة إلى جوب هذا السؤال قال بعض الفحول من شراح الكشف والذي هو أبعد من التكلف أن يجعل أفلا تسمعون تليلاً للتوبيخ الذي يعطيه.

قوله: أرايتم أن جعل الله عليكم إلى آخره وكذا في أثنا على ما في المعالم أفلا تسمعون سماع فهم وقبول أفلا تبصرون ما أنتم عليه من الخطأ ليطابق كل من التذليلين الكلام السابق من التشديد والتوبيخ كأنه قيل أخبروني أن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون مثل هذه الدلائل الظاهرة والتصوص المتظاهرة لتعرفوا أن غير الله لا يقدر على شيء من ذلك وأخبرني أن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله

قوله : (ولأن منافع الضوء أكثر مما يقابله ولذلك قرن به أفلا تسمعون وبالليل) ولأن منافع الضوء أكثر مما يقابله وهو الظلمة والليل فالمضاف مقدر أي أكثر من منافع ما يقابله أو المعنى أنه متباعد في الكثرة مما يقابله كما قيل في أكثر من أن تحصى^(١) ولما كان منافعه أكثر لكان عدم ذكرها أولى إذ لو ذكر جميعاً لطال الكلام ولو ذكر بعضه توهم الاختصاص به أو الترجيح بلا مرجح والجواب أنه لو ذكر تغلبوا فيه كما نطق به آية ﴿وجعلنا النهار معاشاً﴾ [النبا: ١٦] لكان عاماً لجميع المنافع أو أكثرها أو أعظمها والقول بالاكتماء أو الترك لظهوره أنسب للمقام وأوفق للآية الكريمة الفخام وقابل الليل بالضياء لأن منافع النهار إنما هي بالضياء هذا إذا قيل النهار الزمان مع الضوء وأما إذا قيل النهار هو الضوء كما اختاره البعض فلا حاجة إلى النكتة وكذا الكلام في الليل إما وقت مع الظلمة أو الظلمة وحدها فالتعبير بالميل على الأول لأن السكون في المجموع وعلى الثاني للتفنن.

قوله : (لأن استفادة^(٢) العقل من السمع أكثر من استفادته من البصر) لأن جميع ما يدركه الحواس يعبر عنه بما يدركه السمع ويزيد عليها بإدراك الأصوات كذا قيل وفيه ما فيه لأن استفادة العقل ليس التعبير عنه بما يدركه السمع مثلاً إدراك العقل المبصرات بواسطة الأبصار وكذا المصنوعات والملموسات والمشعومات بالطعم واللمس والشم لا التعبير عنها بما يدركه السمع فالوجه أن استفادة العقل في أبواب الدين إنما هو بالقوة السامعة والباصرة والانتفاع بالقوة الباصرة إذا كانت القوة السامعة سليمة عن الآفات وإلا فلا انتفاع بالباصرة في أكثر المبصرات بخلاف العكس^(٣) وأيضاً الأدلة السمعية من قبيل المسموعات والانتفاع

بأنيمك بليل تسنون فيه أفلا تبصرون الشواهد المنصوبة الدالة على القدرة الكاملة لتفقدوا على أن غير الله لا قدرة له على ذلك وفيه أن دلالة النص أولى وأقدم من دلالة العقل وقال الراغب في غرة التنزيل أن نسخ الليل بالنور الأعظم أبطل في المنافع وأضمن للمصالح من نسخ النهار بالليل إلا يرى أن الجنة نهارها دائم لا ليل معه لأن الليل في دار التكليف للاستراحة عن المتاعب والمشاق المنصبة ودار النعيم يستغني فيها عن ذلك لأنها مقصورة على نيل المشتهي وعلى ما تلذ الأعين وتهوي الأنفس فتقديم ذكر الليل لانكشافه عن النهار الذي يتمكن فيه من التصرف في المعاشي بالسعي في المصالح إلى ما لا يصح من المنافع المتعلقة بالشمس أحق وأولى ومعنى قوله أفلا تسمعون سماع من يتدبر المسموع ليستدرك منه قصد القائل ويحيط بأكثر ما جعل الله في النهار من

(١) وهذا تكلف فالأولى تقدير المضاف كما ذكرنا.

(٢) أشار به إلى أن اكتساب العقل المعارف النظرية إنما هو من الضروريات المستفادة من إحساس الجريات مثلاً كل نار حارة حكم كلي يحكم به العقل بواسطة إحساس هذه النار حارة وتلك النار حارة مع ملاحظة العلة وهكذا كل عمل حلو وكل تلج أبيض إلى غير ذلك.

(٣) وفي الكشف لأن السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وكذا السمع يدرك ما لا يدرك الذوق والشم واللمس من منافع المدونات والمشعومات والملموسات فلا ريب أن متعلق السمع وإن كان صوتاً وحرفاً لكنه كثيراً جداً كما عرفته.

بها لا يكون بمجرد الأبصار وكذا أكثر الأدلة العقلية ولذا ترى الأصم محروماً عن الكمال بالمرة بخلاف الأعمى فإن بعضهم يرتقي في الكمال مبلغاً لا يصل إليه بعض المبصرين وناهيك دليلاً على كون استفادة العقل من السمع أكثر وللتنبية على شرافته قدم على البصر في أكثر مواضع من القرآن ومن الأخبار وقدم أحوال الليل لتقدم الليل في الوجود وعن هذا قدم أيضاً في الآية التي تليها.

قوله تعالى: **وَمِن تَحَمُّلِهِمْ جَعَلْ لَّكَ الْيَلَّ وَالنَّهَارَ لَتَشْكُرُوا فِيهِ وَلَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴿٧٣﴾

قوله: (ومن رحمته) أي ويسبب رحمته^(١) فمن سببية جعل أي خلق لأجلكم الليل إذ الليل وإن كان عبارة عن الظلمة وهي عدم ملكة يتعلق به الخلق.

قوله: (أي في الليل) أشار إلى أن الكلام لف ونشر مرتب.

قوله: (ولتبتغوا في النهار) أعيد اللام للتنبية على استقلاله قوله في النهار فيه به على أن فيه محذوفاً اكتفاء بالأول من فضله قيد للأخير أولهما الضمير في من فضله راجع إلى الله تعالى ونفي للإيجاب عنه والوجود عليه الظاهر أنه علة للمعلل إذا لجعل معلل بالرحمة والمجموع معلل بالفضل والإحسان بل الأظهر أنه كالتأكيد لمن رحمته وفيه ترغيب للسمي الجميل في طلب الرزق كما ورد الكاعب حبيب الله وورد أيضاً فاتقوا الله فاجملوا في الطلب أمر من الإجمال أو من الجميل.

قوله: (ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك لتشكروا عليها) أي لعل هنا للتعليل دون الترجي ومحمول على الاستعارة التمثيلية لا بمعنى كي فإن المص رده في أوائل سورة البقرة بأنه ضعيف والمعرفة لازم متقدم على الشكر فيكون ثابتاً فاقضاء النص.

قوله تعالى: **وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاؤُا الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ** ﴿٧٤﴾

قوله: (تقرع بعد تقرع للإشعار بأنه لا شيء أجلب بغضب من الله تعالى من الإشراك به أو الأول لتقرير فساد أرائهم والثاني لبيان أنه لم يكن عن سند وإنما كان محض تشبه وهوى) تقرع الخ أي السؤال للتقرع بعد تقرع لكونه أعظم الجرائم ذكر مرة بعد مرة أخرى للتحذير عنه على الوجه الأخرى أو لا إعادة إلا في اللفظ لتغاير المراد في الموضعين إذ الأول لتقرير

المنافع أم أنتم صم عن سماع ما ينفعكم وقوله يأتيكم ليل تسكنون فيه أفلا تبصرون معناه أفلا تستدركون من ذلك ما يجب استدراكه إلى هنا كلامه.

قوله: تقرع بعد تقرع قال صاحب الكشاف في تكرير التوبيخ باتخاذ الشركاء إلهان بأن لا شيء أجلب لغضب الله من الإشراك به كما لا شيء أدخل في مرضاته من توحيده اللهم كما أدخلنا في أهل توحيدك فأدخلنا في الناجين من عبيدك.

(١) فمن لجلية أو بمعنى الياء.

فساد رأيهم بدلالة قوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ [القصص: ٦٣] الآية والثاني ليبان أنه لم يكن الخ بدلالة ما بعده أيضاً من قوله: ﴿فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ [القصص: ٧٥] ولذا لم يقل بالعكس والوجه الأول بناء على الأعمض عن الفرق المذكور.

قوله تعالى: وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعِلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾

قوله: (ونزعنا وأخرجنا من كل أمة شهيداً وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه) ونزعنا عطف على يتناديهم والماضي لتحقق وقوعه والنداء أيضاً محقق الوقوع لكن لم يعبر عنه بالماضي لعدم قصد التنبيه عليه وقد مر غير مرة أن النكتة بناء على الإرادة على أنه يجوز أن يكون النزاع بالنسبة إلى النداء ماضياً والنداء مستقبلاً بالنظر إليه وهذا أبليغ من قوله: ﴿ويوم نبعث من كل أمة شهيداً﴾ [النحل: ٨٤] إذ لنزع هو الإخراج بشدة فيفيد اتصال نبيهم بطريق التبليغ ومن ابتدائية لا تبعضية وعن هذا قال وهو نبيهم يشهد لهم وعليهم^(١) بالإيمان والكفر فالأمة نعم أمة الإجابة والدعوة وهذا في موقف وشهادة أمة محمد^(٢) عليه السلام حسبما انطلق به قوله تعالى: ﴿لنكونوا شهداء على الناس﴾ [البقرة: ١٤٣] الآية في موقف آخر توفيقاً بين النصوص.

قوله: (للأمة) أي الأمم الكفرة.

قوله: (هاتوا برهانكم على صحة ما كنتم تدعون به) هاتوا قد مر توضيحه في سورة البقرة والمعنى أحضروا سواء كان أمراً أو اسم فعل والأمر للتمجيز وإضافة البرهان إليهم لتصريح كمال جهلهم^(٣) وأصله هاتوا البرهان بلا إضافة (حيث لا يشاركه فيها أحد).

قوله: (أي غاب عنهم غيبة الضائع) أي الضلال هنا بمعنى الغيبة أما مجازاً أو حقيقة مثل قوله تعالى: ﴿أَنذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ١٠] قوله غيبة الضائع يرجح كونه استعارة والغيبة من جهة المكان أو من جهة النفع والإحسان شبه غيبته بأي معنى كان بالضلال فذكر بلفظ المشبه به وأريد المشبه. (من الباطل).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْآنَكَ كَانَ مِنْ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ وَآيَاتُنَا مِنَ الْكُتُبِ مَا يَنْزِلُ مَعَهَا لَنُنَوِّىَ بِالْمُصْبَكَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ ﴿٧٦﴾

قوله: (كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوي) يصهر بفتح الياء المشناة من تحت

(١) من قبيل تقسيم الأحاد إلى الأحاد.

(٢) أفضل الكسب الجهاد ثم التجارة ثم الحرارة ثم الصناعة ومنه فرض ومستحب ومباح.

(٣) هكذا صرح به النص في سورة النحل وخص البعض بالكفرة إذا الكلام فيهم وهو المناسب.

(٤) وشهادتهم لا يتالي قولهم لا علم لنا لأن المراد عدم العلم بواطنهم أو عدمه بعد انتقالهم.

(٥) والنهكم بهم.

(٦) أشار به إلى أن معنى من قومه ممن آمن به.

وصاد مهلهة ساكنة وهاء مضمومة وراء قاهت بالفاء والهاء المفتوحة بعد الألف والناء المثلثة لاوى مقصوراً هو ابن يعقوب عليه السلام وما ذكره المص هنا رواية وما ذكره في سورة آل عمران أن موسى بن عمران بن بصهر بن قاهت بن لاوى رواية أخرى فيصير بصهر جده لا عمه وهذه الرواية الأخيرة هي الأكثر الأشهر.

قوله: (وكان ممن آمن به) وفي الكشف نافق موسى كما نافق السامري.

قوله: (فطلب الفضل عليهم وإن يكونوا تحت أسر أو تكبر عليهم أو ظلمهم) والطلب معنى بني والفضل^(١) متفهم من قوله: ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ﴾ [القصص: ٧٦] وقيل لتضمنه معنى الفضل بقرينة تعديته يعلى ولا يلائمه قوله أو تكبر عليهم أو ظلمهم فالأولى أن الطلب لا بد له من مطلوب وهو أحد ما ذكره المص بمعونة المقام وحذف ليذهب السامع كل ممكن له قوله أو تكبر عليهم وتعديته يعلى لذلك أي فطلب التكبر عليهم وما ذكره حاصل معناه فهو أبليغ من تكبر عليهم وكذا الكلام في أو ظلمهم أي فطلب الظلم والشئ مع الطلب يكون أشد فعلي هذا الفاء فصيحة أي ضل وكفر بعدما آمن فيني الخ.

قوله: (قيل وذلك حين ملكه فرعون على بني إسرائيل) وذلك أي ظلمة حين ملكه فرعون أي جعله ملكاً لفرعون مرضه لأن سوق القصة ظاهر في أنها بعد هلاك فرعون وإنزال الثورية حتى روى أنه كان أقرأ بني إسرائيل للثورية ولكنه نافق كما في الكشف.

قوله: (أو حسدهم بحلته لما روى أنه قال لموسى لك الرسالة ولهارون الحبورة وأنا في غير شيء إلى متى اصبر) أو حسدهم أي حسدهما لقوله لما روى الخ فعلى هذا لا يكون الفاء فصيحة لأن القرابة تدعوا إلى الحسد وتعديته يعلى في الآخرين لتضمنه معنى الإضرار ولذا أخرهما قيل أو الحسد لما فيه من طلب ما ليس حقه وطلب زوال نعمة المحسود وهذا بناء على أن هذه المعاني معنى بنى والظاهر كما عرفت أن البغي بمعنى الطلب ولا بد له من مطلوب والمطلوب المقدر أحد هذه الأمور بمعونة المقام وبدلالة ما بعده وعلى متعلق بأحد هذه المقدرات ولو أريد مجموع هذه الأمور لم يبعد الحبورة بضم الحاء المهملة والياء الموحدة مصدر حبر الرجل إذا صار حبراً بكسر الحاء وسكون الباء أي إماماً متبوعاً ولم يقل ولهارون النبوة والحبورة لكمال حسده أيضاً فعلى هذه الرواية ضمير عليهم في فبنى عليهم للقوم مع موسى وهارون عليهما السلام وعلى الأول للقوم فقط كما هو الظاهر وإن احتمل العموم لشدة شكيمته ولكمال حماقة.

قوله: (من الأموال المدخرة) يريد إن الكنوز في الأصل الأموال المدفونة لكنها هنا مستعارة للأموال المدخرة^(٢) والجمع كمال التحفظ.

(١) وكذا التكبر والظلم أيضاً متضمن منه.

(٢) ولكونها مدخرة عبر عنها بالكنوز دون المعادن.

قوله : (مفاتيح صناديقه جمع مفتاح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها المفتاح)^(١) مفاتيح صناديقه قدر المضاف إذ المفتاح ليس للأموال بل ظروفها وهو الصناديق هنا ولم يرض بكون المزداد الخزائن لعدم ملائمتها لقوله : «لتنوء بالعصبة» وقيل لأنه غير معروف قوله المفتاح بفتح الميم لأنه اسم مكان وقد جزم به في سورة الأنعام.

قوله : (خبران والجملة صلة ما وهو ثاني مفعول آتيناها) صلة ما لأنه موصول ومن الكنوز بيان له قدم لطول ذيل المبين وأشار به إلى رد ما نقل عن الكوفيين من أن الجملة المصدرية بأن لا تكون صلة للموصول فإنه يكذبها وقوعها في هذه الآية كما قال الأخفش ولعلمهم حملوا هذه على كونها موصوفة فإن قالوا إن تلك الجملة لا تكون صفة أيضاً فالرد غير مندفع إذ الظاهر أن المانع من كونها صلة إن الجملة المصدرية بأن يجب أن يقع في ابتداء الكلام ولا يرتبط بما قبلها فهذا يقتضي أنها لا تكون صفة أيضاً فحينئذ يكون سر كونها صلة في هذه الآية أنها غير مرتبطة بما قبلها إذ الموصول وحده مفعول لا مع الصلة فقول المعربين أن الموصول مع صلته كذا من مسامحاتهم.

قوله : (وناء به الحمل إذا أثقله حتى أماله) وناء به الحمل بكسر الحاء وسكون الميم ما يحمل ويفتح الحاء مصدر إذا أثقله حتى أماله فالياء للتعدية ولم يلتفت إلى كونها للملاسة لعدم سلاسة المعنى فإنه يحتاج إلى أن يقال أن المحمول يميل بميل الحامل وأيضاً ينتفي المبالغة.

قوله : (والعصبة والعصاية الجماعة الكثيرة واعصوا صوبوا اجتماعوا) الجماعة الكثيرة بلا تعيين عدد خاص وقال في سورة يوسف والعصبة والعصاية العشرة فصاعداً وفي الموضوعين أشار إلى القولين لأرباب اللغة واختلفوا في التعيين فقيل من عشرة إلى خمسة عشر وقيل ما بين الثلاثة إلى العشرة وقيل من عشرة إلى أربعين وقيل أربعون وقيل سبعون ولا يوافق القولان الأخيران قوله تعالى : «ونحن عصبة» [يوسف : ٨] الآية فإنهم عشرة إلا أن يحمل على المجاز وهو تكلف وعدم تعيين العدد في نفسه بل تعيينه بحسب الموارد والاستعمال من أطيب المقال.

قوله : (وقرىء ليهنوء بالياء على إعطاء المضاف حكم المضاف إليه) وهو التذكير هنا والتأنيت في قوله تعالى : «وإن تك حسنة» [النساء : ٤٠] الآية لأنه راجع إلى مقال لإضافته إلى الذرة فالمضاف قد يكتسب التذكير والتأنيت من المضاف إليه لأنه بمنزلة الجزء منه.

قوله : (متصوب بتنوء) أي أنه^(٢) متعلق به ورد أبي حيان بأنه لا معنى لتفقيده أثقال

قوله : وقياس واحدها المفتاح أي إذا كان المراد بالمفاتيح الخزائن يكون جمع مفتاح بفتح الميم لأن الخزينة محل الفتح وموضعه قيل كانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون بعلّاً لكل خزانة مفتاح.

(١) مفاتيح جمع مفتاح وللتنبيه على أن مفاتيح جمع مفتاح بالكسر في أول الأمر فسر بمفاتيح وهو مشهور في معنى ما يفتح به.

(٢) وقال ابن عطية إنه متعلق بيهنوء عليهم وهو الظاهر فإن القول المذكور سبب قوي لظهور بغيه وإن عم الأوقات في نفسه.

المفتاح العصبية بوقت مدفوع بأن المراد الوقت المتسع وأن المراد بقوله لتتوه بالقدرة على أن جهة القضية الإمكان^(١) فهو ثابت في عموم الأوقات والوقت للقول المذكور خص به من بينها لكونه أهم على أن المراد كما عرفته الوقت المتسع إذ القول المذكور من شأنه أن يقال له في كل وقت فإن عمم القول إلى الفعل وإلى الإمكان اندفع الشبهة بالكلية ولو قيل إنه منصوب بالذكر المقدر كما قيل في نظائره لكان أقل مؤنة لكنه يفوت المبالغة المذكورة حيثيل.

قوله: (لا تبظر والفرح بالدنيا مذموم مطلقاً لأنه نتيجة حبها والرضا بها والذهول عن ذهابها فإن العلم بأن ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح) لا تبظر البطر الفخر والغرور وإنما حمل على أن الفرح أمر اضطراري لا يتوجه النهي إلا باعتبار مباديه أو غايته وهنا باعتبار غاية الفرح قوله مطلقاً قيد للفرح لأنه رأس كل خطيئة إلا أن يكون السرور لكونه ذريعة للأخرة فلا يكون مذموماً لكن لا يكون الفرح على هذا بالدنيا من حيث إنها دنيا قوله يوجب الترح أي الحزن الترح ضد الفرح^(٢).

قوله: (كما قال أشد الغم عندي في سرور تيقن عند صاحبه انتقلاً) كما قال الخ هذا البيت للمتنبى وهذا استشهاد على أن العلم بأن ما فيها الخ يوجب الغم والهم قوله فإن العلم الخ بيان للذهول عن ذهابها وفنائها مفارقة وجه التأنيث لكون ما عبارة عن اللذة وفي نسخة مفارق وعن في قوله تيقن عنه متعلق بانتقالاً مقدراً أو المذكور إن جوز تقدم معمول المصدر عليه.

قوله: (ولذلك قال تعالى: ﴿ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ [الحديد: ٢٣]) وروي عن الحسن أن آية ﴿لكن لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ [الحديد: ٢٣] جمعنا الزهد كله ومثل هذا برهان إني لا برهان لمي فلا إشكال^(٣) بأن الحسن والقيح شرعيان عند الأشاعرة فلا يصح تعليل النهي بدم الفرح بل الأمر بالعكس.

قوله: (وعلى النهي هنا بكونه مانعاً من محبة الله تعالى فقال إن الله) الآية وعلل النهي الخ أشار إلى أن قوله تعالى: ﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾ [القصص: ٧٦] دليل على

قوله: يوجب الترح وهو الغم كما قيل أشد الغم البيت معناه السرور الذي تيقن صاحبه الانتقال عنه هو أشد الغم عندي لأنه يراعي وقت زواله اليوم أم غداً أم بعد غد فينبض كلما ذكر زواله وقال آخر:
ولست بمفرح إذ الدهر سرني ولا جازع من صرفه المتقلب
وروي والذي نفس محمد بيده أن ما أوتيت من الدنيا كاتخة ناقة فعلام يتفرحون وإلى م ينتظرون والله ذو العائل:

إنما الدنيا كغول زائل أو كضيف نازل ثم ارتحل
قوله: وعلل النهي الخ أي علل النهي عن الفرح بالدنيا بكونه مانعاً من محبة الله معنى

(١) إذ كونه بالفعل بعيد.

(٢) بين الترح والفرح جناس ناقص.

(٣) أو المراد أنه صفة نقصان لما ذكره وقبحها عقلي اتفاقاً والتزاع في القبح بمعنى يعاقب فاعله ويثاب تاركه فلا إشكال أصلاً.

الحكم المنفهم من النهي أي الفرح بالدنيا مذموم لأنه يؤدي إلى منع محبة الله تعالى وكل ما هذا شأنه فهو مذموم أما الكبرى فظاهرة وأما الصغرى فلقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص : ٧٦] على أن اللام للاستغراق والكلام للاستغراق في النهي لا نفى الاستغراق. قوله : (أي بزخارف الدنيا).

قوله تعالى : ﴿وَلَتَبْتَغِي مِمَّا مَلَكَتْ أَلَمُّ الدَّارِ الْآخِرَةُ وَلَا تَنسَ نَفْسُكَ نَفْسَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٧٧)

﴿وابتغ فيما آتاك الله﴾ من الغنى) وابتغ الآية أي في شأن ما آتاك الله أو لسبب ما آتاك الله كقوله عليه السلام إن امرأة عذبت في هرة.

قوله : (بصرفه فيما يوجبها لك فإن المقصود منه أن يكون وصلة إليها) بصرفه متعلق بقوله ابتغ وهذا لا يشعر بأن الفاء في قوله فيما آتاك بمعنى الباء بل ينبيه بخلافه لئلا يلزم تعلق الجارين الخ.

قوله : (ولا تنس ولا تترك ترك المنسي) ولا تنس كناية عن الترك ولا يراد به ظاهره لما مر من أن الأمر الغير الاختياري لا يدخل تحت التكليف والنسيان غير اختياري والمراد لازمه ولذا قال ولا تترك ترك المنسي.

قوله : (وهو أن تحصل بها آخرتك أو تأخذ منها ما يكفيك) وهو أن تحصل الضمير للنصيب وأخبر عنه بالفعل مع أن لأنه لاشتماله الذات يصح أن يقع خبراً وليس كالمصدر الصريح أو بتقدير ذو إن تحصل قوله أو تأخذ الخ محصله الأمر بالقناعة وبمقدار الكفاية لكن هذا المعنى لا يتناسب هنا إذ المخاطب ذو مال كثير ولذا قدم الأول.

قوله : (إلى عباد الله فيما أنعم عليك وقيل أحسن بالشكر والطاعة كما أحسن الله إليك بالإنعام) إلى عباد الله قدمه لأنه هو المناسب بقوله كما أحسن الله إليك وهذا من أفراد ما أشير إليه بقوله ﴿وابتغ فيما آتاك الله﴾ [القصص : ٧٧] الآية خص بالذكر تنبيهاً على فخامته من بين العبادات التي تحصل بها الآخرة الكاف في كما أحسن للنشبية^(١) لكن يفيد العلمية مرض القول المذكور لعدم ملائمته للمقام وإن المعنى الأول مستلزم للشكر وليس بالعكس.

التعليل مستفاد من وقوع جملة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص : ٧٦] موضع الاستئناف جواباً لما عسى يسأل ويقال ما علة النهي عن الفرح بزخارف الدنيا فأجيب بأن الله لا يحب الفرحين أي علة النهي كونه مانعاً من تعلق محبة الله بمن اتصف به.

قوله : ولا تترك ترك المنسي جعل النسيان مجازاً مستعملاً في معنى مطلق الترك إذ المراد ليس النهي عن حقيقة النسيان بل المراد النهي عن معناه المجازي الذي هو الترك أي خذ ولا تترك من الدنيا مقدار ما يحصل به آخرتك أو مقدار ما يكفيك.

(١) افادة كون الإحسان على وجه الإغناء وبوجه شرعي.

قوله : (بأمر يكون علة من الظلم والبيغى إن الله لا يحب المفسدين لسوء أفعالهم) نهى عما كان وقع في بعض النسخ زيادة إلى قوله بأمر يكون علة للظلم والبيغى متعلق بكان على هذه النسخة وفي نسخة بأمر الخ فقط فعلى هذه قوله بأمر متعلق بتبع والباء في الأول سببية وفي الثانية للملاسة والأمر مفرد الأمور بمعنى الشيء عبارة عن الغنى أو حب المال والجاه والظاهر الأول فيكون نهياً عن الدوام والإصرار عليه وعلل النهي هنا أيضاً بكونه مانعاً عن محبة الله تعالى ورضائه وقد مر توضيحه قوله ولا تبغ الفساد أبلغ من ولا تفسدوا وهنا ذكر مفعول لا تبغ وهو يؤيد ما ذكرناه آنفاً من أن مفعول بغي محذوف كما نيه عليه المص ولا يخفى أن عدم محبة الله تعالى عبارة عن عدم الرضاء وهو مقت الله تعالى أو مستلزم له .

قوله تعالى : قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قد أَنفَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾

قوله : (قال) استئناف أي ماذا قال لناصحه أجيب بأنه قال لناصحه ولذا اختير الفصل .

قوله : (فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالمال والجاه) فضلت به فيه نوع اعتراف بأنه فضل من الله تعالى لكنه بسبب ما عندي من العلم أراد أنه تفضل لكنه ليس تفضلاً محضاً بل لما عندي من العلم مدخل في ذلك فظن أن المال الذي يحصل بالكسب لا يجب الشكر عليه ولا الإنفاق منه قال الفاضل السعدي كأنه يقول ليست هذه النعم إحسان الله تعالى بل استوجبت بعلمي واستجلبت بفهمي قوله إنما أُوتِيتُهُ صريح في أنه اعترف بأنه أعطي من الله تعالى وأشار إليه المص بقوله فضلت به فالوجه ما ذكرناه وهو كاف في رد ناصحه .

قوله : (وعلى علم في موضع الحال وهو علم التوراة وكان أعلمهم بها) وعلى علم حال وهو في قوة التعليل فإن الحال قد يفيد علية الحكم فلا حاجة إلى حمل على على التعليل وفي هذا التعبير مبالغة لإفادته أنه استعلى على علم استعلاء الراكب على المركوب على طريقة الاستعارة التمثيلية أو التبعية ولو جعل للتعليل لفات تلك المبالغة .

قوله : (وقيل علم الكيمياء وقيل علم التجارة) علم الكيمياء الكيمياء لفظ يوناني

قوله : فضلت به الناس أي قال قارون في جواب قومه إنما أُوتِيتُهُ على علم والضمير المنصوب في أُوتِيتُهُ راجع إلى ما في ما أن مفاعله لئنوء أي ما أُوتِيت المال والجاه كأنما على حال من الأحوال إلا على حال علم عندي فضلت به على الناس واستحققت به التفوق عليهم .

قوله : وقيل علم الكيمياء قال الزجاج لا يصح لأن الكيمياء علم لا حقيقة له وقال الطيبي رحمه الله لعل ذلك كان من قبيل المعجزة عن سعيد بن المسيب كان موسى عليه السلام يعلم علم الكيمياء فأفاد يورح بن نون ثلاثة وكالب بن يوقنا ثلاثة وقارون ثلاثة فخذعهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه فكان يأخذ الرصاص والنحاس فجعلهما ذهباً وقيل علم الله موسى علم الكيمياء فعلمه موسى أخته فعلمته أخته قارون .

بمعنى الحيلة ثم غلب على تحصيل التقدين بطريق مخصوص وقد قيل إنه تعلمها من موسى عليه السلام وقيل إنه لا أصل له وقال الطيبي إنه من قبيل المعجزة لما فيه من قلب الأعيان فلذا أنكره بعض الحكماء ورد بأنه لو كان معجزة لما قبل التعلم وهو ضعيف لأن القائل بأنه معجزة لا يسلم التعلم وإثباته مشكل بل يقال في الرد إنه بمباشرة الأسباب فقلب الأعيان إن كان بمباشرة الأسباب فليس بمعجزة وإن كان بدون الأسباب كقلب عصا موسى حية فمعجزة فالظاهر أنها ليست بمعجزة بل علم من العلوم الغريبة .

قوله : (والدهقنة وسائر المكاسب وقيل علم بكنوز يوسف عليه السلام) والدهقنة أمور الزراعة واستغلال العقار واشتقوه من الدهقان وهو لفظ فارسي يطلق على من ينعاظاه وأصل معناه رئيس القرية ثم قيل إن له عقاراً كثير الدهقان كذا قيل .

قوله : (وعندي صفة له أو متعلق بأوتيته كقولك جاز هذا عندي أي في ظني واعتقادي) وعندي صفة له أي لعلم أي صفة تفيد الاختصاص على طريقة الاستعارة التمثيلية شبه الهيئة المأخوذة من أمور عديدة وهي قارون وعلمه واختصاص ذلك العلم به بالهيئة المنتزعة من الملك وما في حفظه من الأشياء النفيسة واختصاصها به فذكر اللفظ المستعمل في المشبه به وأريد المشبه ولو لم يعتبر الاستعارة لا يستفاد الاختصاص إذ الصفة لا تفيد الاختصاص .

قوله : (تعجيب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لأنه قرأه في التوراة وسمعه من حفاظ التواريخ) تعجيب الخ أي الاستفهام لإنكار النفي وهو يستلزم التعجيب والتوبيخ والواو معطوف على محذوف أي ألم يقرأ التوراة ولم يعلم ذلك وقد قرأها وعلم ذلك وبعد ذلك اغتر بقوته وكثرة ماله فتعجبوا يا أولي الألباب من ذلك قوله مع علمه بذلك إشارة إلى أن الاستفهام لإنكار النفي وإثبات المنفي قوله لأنه قرأ التوراة الخ إشارة إلى المعطوف عليه المحذوف .

قوله : (أو رد لادعائه العلم^(١) وتعظمه به^(٢) بنفي هذا العلم عنه أي أعنده^(٣)) مثل هذا

قوله : كقولك جاز هذا عندي أي في ظني واعتقادي وعن بعضهم على ذلك قول الفاضل ومن أنتم حتى يكون لكم عدد وكلمة عند بيان الحكم كما تقول هذا عند أبي حنيفة والشافعي أي في حكمهما .

قوله : أورد لادعائه العلم فسر رحمه الله معنى الاستفهام في ﴿أو لم يعلم﴾ على وجهين الوجه الأول مبني على صرفه إلى التعجيب والتوبيخ فالمعنى أن الغرور بالقوة وكثرة المال مع

(١) هذا بناء على أن المعطوف عليه المقدر عنده مثل هذا العلم كما قال أي أعنده مثل هذا العلم ولم يعلم هذا تختلف العبارات باختلاف الاعتبارات .

(٢) أشار إلى أن تنكير علم للتعظيم والظاهر أنه مستفاد من النحوى .

(٣) إشارة إلى ما عطف عليه لم يعلم .

العلم الذي ادعى ولم يعلم هذا حتى بقي^(١) به نفسه مصارع الهالكين) بنفي هذا متعلق برد والمراد بهذا العلم علم أن الله قد أهلك وبين القولين نوع تنافر وحاول البعض دفعه فقال نفي العلم لعدم جريه على موجب العلم ويرد عليه أن العلم الذي ادعاه كذلك^(٢) فالأولى في التوفيق أن المراد بالأول ما بين إهلاكهم في التوراة وبالثاني ما لم يبين إهلاكهم في التوراة ولم يسمع من أرباب التواريخ والمتبادر من أشد قوة القوة الجسمية لكن الظاهر أن المراد القوة المعنوية قوله وأكثر جمعاً كالعلة لما قبله سواء أريد به جمع المال أو جمع الرجال أو مجموعهما.

قوله: (سؤال استعلام فإنه تعالى مطلع عليها أو معاتبه فإنهم يعذبون بها بغتة)^(٣) سؤال استعلام أي ذكر مطلق السؤال وأريد العقيد بقرينة قوله ﴿فوردك لنسألهم أجمعين﴾ [الحجر: ٩٢] فالنفي والإثبات لم يردها على نسبة واحدة فلا تدافع أو باعتبار زمانين أو مكانين وما ذكره المص^(٤) أولى إذ المتبادر من النفي عموم الأزمان والمكان والتخصيص ببعض الأزمنة والأمكنة ربما يؤدي إلى الخلل بتمسك المخالفين في بعض الأمور بذلك التخصيص إلا أن يوجد قرينة على ذلك.

قوله: (كأنه لما هدد قارون بذكر إهلاك من قبله ممن كانوا منه وأغنى أكد ذلك بأن بين أنه لم يكن مما يخصهم بل الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم معاقبهم عليها لا

العلم بأن عاقبة الأمر الهلاك أمر متعجب منه والوجه الثاني مبني على صرفه إلى الإنكار أي ليس له علم ادعى به التفوق والفضل على الناس وبه استحق ما أوتيته إذ لو علم ذلك لعلم أنه هالك مستعداً بهلاك من هو فائق عليه في القوة والمال ممن تقدمه وقوله أعنده مثل ذلك العلم هذا تصوير وتقدير للمعطوف عليه للواو في أو لم يعلم فالمنكر بالهمزة جمع العلمين أي ليس عنده كلا العلمين إذ لو كانا عنده لعلم هلاك من هو أشد منه قوة ومالاً وصان نفسه بهذا العلم أن يقع في مهالك الهالكين قبله.

قوله: أو معاتبه عطف على استعلام أي لا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام ولا سؤال معاتبه أما الأول فلأن الله تعالى عالم بذنوبهم مطلع عليها لا يحتاج إلى الاستعلام منهم وأما الثاني فلأنهم يعذبون بذنوبهم بغتة لا يؤخر تعذيبهم باعتراض زمان السؤال وفي الكواشي لا يسألهم الملائكة سؤال استعلام بل سؤال توبيخ قال قتادة يدخلون النار بغير حساب ولا سؤال وقال مجاهد يعني لا يسأل الملائكة عنهم لأنهم يعرفونهم بسيماهم وقال الحسن لا يسألون سؤال استعلام وإنما يسألون سؤال توبيخ.

قوله: أكد ذلك بأن بين أنه لم يكن ما يخصهم أي لما هدد قارون بإهلاك من قبله أكد

(١) غاية للنفي والنفي متوجه إلى الغاية والمغيا.

(٢) إلا أن يقال إن في الأول لا ينزل علمه منزلة عدم وإن لم يعمل بموجبه.

(٣) أي فلا سؤال فلا يتأني تأخير العذاب.

(٤) وهذا لا يلائم المعنى الثاني فالوجه الحمل على اختلاف المواطن.

محالة) كأنه الخ بيان ارتباطه بما قبله وإنما قال كأنه لأنه عادته إذ الجزم في بيان مراده تعالى مشكل ما لم يقم عليه دليل قوي أوضح الدلالة قوله وأعنى من العتو أكد جواب لما ذلك أي^(١) التهديد.

قوله تعالى: فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا لِلْآثِمِينَ كَاذِبُونَ
مَا أُوتِيتُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّكُمْ لَدُوْ حَقٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾

قوله: (فخرج) عطف على قال وما بينهما اعتراض لأجل التوبيخ والفاء للتعقيب مع السببية إذ القول المذكور اغتراراً واقتضاراً مسبب للخروج على هذا الوجه على قومه أي مستعملاً عليهم ومنكبراً ولذا عدي فعلى في زينته حال من الفاعل أي كانتا في زينته وهذا أبلغ من متزيناً حيث جعل الزينة ظرفاً له مجازاً كأنها أحاطت به من قرنه إلى قدمه.

قوله: (كما قيل إنه خرج على بغلة شبيهة عليه الأرجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه) كما قيل الخ بيان لفرط زينته الأرجوان بضم الهمزة والجيم الحمرة والأحمر معرب أرغوان أي جله من حرير أحمر في نسخة عليه أي على قارون وعليها أي على بغلة وقيل وعليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر وعن يمينه ثلاثمائة غلام وعن يساره ثلاثمائة جارية بيض عليهن الحلبي والديباج وقيل في تسعين ألفاً عليهم المعصفرات وهو أول يوم رؤي فيهم المعصفر كما في الكشف.

قوله: (على ما هو عادة الناس من الرغبة) المراد المؤمنون قالوا على ما هو مقتضى

ذلك التهديد بأن إهلاكنا لم يكن شيئاً يخصهم أي يخص الماضين المهلكين قبله بل يصيب إهلاكنا كل من أذنّب وأجرم ونحن نطلع على ذنوب المجرمين لا نسألهم عنها بل نعذبهم ونعاقبهم عليها يعني أن هذه الجملة تذييل للكلام السابق فإن قوله: ﴿أو لم يعلم أن الله قد أعلمك من قبله من القرون﴾ [القصص: ٧٨] تهديد لقارون ووعيد له بالهلاك وقوله ﴿ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾ كقوله: ﴿والله بما تعملون عليم﴾ [البقرة: ٢٨٣] في كونه عالمها بها لا يحتاج إلى سؤالهم عنها وفيه تهديد بالهلاك بسبب الإجماع لكل مجرم وهو منهم فكان تأكيداً له وجيء بالواو فعد تذيلاً واعتراضاً ولولا اعتبار كونها اعتراضاً على وجه التذييل لكان الواجب ترك الواو لكونها تأكيداً وبياناً لما سبق.

قوله: كما قيل إنه على بغلة شبيهة عليه الأرجوان الأرجوان معرب من ارغوان وهو شجر له نور أحمر وكل لون يشبهه فهو أرجوان وقيل هو الصبغ الأحمر وقيل عربية والألف والنون زائدتان كذا في النهاية وذكره الجوهري في معتل اللام وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر وعن يمينه ثلاثمائة غلام وعن يساره ثلاثمائة جارية بيض عليهن الحلبي والديباج وقيل في تسعين ألفاً عليهم المعصفرات وهو أول يوم رؤي فيهم المعصفر.

قوله: على زيه الزي اللباس والهيئة

(١) كونه تهديداً باعتبار أنه القى هذا على قارون بلسان موسى عليه السلام وكونه مذكوراً في التوراة بعيد.

البشرية من الرغبة في سعة المال على عادة الناس متعلق بحسب المعنى^(١) يقال بطريق المزج وهذا ليس بممدوح فالأولى أنه متعلق بمقدّر أي قالوه على عادة الناس اختير الموصول لعدم علم المخاطب سوى الصلة وفيه بيان أن من وفقه الله تعالى لا يريدون الحياة الدنيا لسرعة فنائها وزوال تعيمها فلم يقولوا ذلك كما نطق به قوله تعالى: ﴿وقال الذين أوتوا العلم﴾ [القصص : ٨٠] الآية.

قوله : (تمنوا مثله لا عينه حظواً عن الحسد) لأجل^(٢) الغبطة حظواً عن الحسد إذ الغبطة تمنى مثل نعمة صاحبه من غير أن تزول عنه والحسد تمنى زوال نعمة المحسود وذكروا المثل تنصيصاً على كونه غبطة ولذا روي عن قتادة أنهم تمنوا ليقربوا به إلى الله تعالى ويتفقوه في سبيل الخير لكن قوله يريدون الحياة الدنيا يأبى عنه نوع الإباء ولهذا روي أن المتعنتين كانوا كفاراً فعلى هذه الرواية يجوز أن يكون تمنيه مثل لا عينه لأن الاعراض تتبدل بتبدل المعروض ويلتزمه قوله ﴿إِنَّهُ لَدُوْهُ حَقٌّ عَظِيْمٌ﴾ فإنه تعليل لتمنيهم وتأكيده لا وينصره قول الفقهاء بين الأعيان تتبدل المالك فالأولى أن يكون تمنيه مثل لا عينه ليس بصحيح كما عرفته (من الدنيا).

قوله تعالى: وَكَأَلَّا زَكَاةً أَوْ تَوْأَلُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ سَبِيْرٌ لِّمَن مَّأَسَكَ وَصَلَّى صَلَاحًا وَلَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الْكَاسِيُونُ ﴿٨١﴾

قوله : (بأحوال الآخرة للمتعبين) هذا يؤيد كون المتعبين كافرين .

قوله : (دعاء بالهلاك استعمل للزجر عما لا يرتضي) دعاء بالهلاك أي في الأصل لكنه ليس بمراد في مثله لقيام القرينة عليه مثل قوله عليه السلام تكلتك أمك يا معاذ^(٣) الحديث والمراد الزجر عن مثل هذا التمني مجازاً ملحقاً بالحقيقة .

قوله : (ثواب الله في الآخرة خير لمن آمن وعمل صالحاً) فلم لا تكتفون بتمني الباقي بالمداومة على العمل العالي أو فلم لم تؤمنوا حتى تتألوا ثواب الآخرة .

قوله : (مما أوتي قارون بل من الدنيا وما فيها) فأفعل التفضيل بمعنى أصل الفعل أو من قبيل الصيف أحر من الشتاء .

قوله : (الضمير فيه للكلمة التي تكلم بها العلماء أو للثواب فإنه بمعنى المثوبة أو الجنة أو للإيمان والعمل الصالح فإنهما في معنى السيرة والطريقة) الضمير للكلمة وهي ثواب الله خير فالمعنى ولا يلقى مدلولها قوله أو ثواب الله دليل على ما ذكرناه أو الجنة


(١) أو متعلق يريدون وهو الملائم لعادة الناس لما فيه في المضارع على الاستمرار التجدي كذا قيل وأنت تعلم ضعفه في أصل الحاشية .

(٢) قيده به لأنه لا يلزم من إرادتها لذاتها ويؤيده ما روي عن قتادة وهو الترف .

(٣) تمامه وهل يكب الناس على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد السهم .

الدال عليها الثواب أو للإيمان الخ وهذا سبب الثواب فأحدهما مستلزم للآخر لكن التلقي بالثواب في الآخرة والإيمان والعمل في الدنيا.

قوله: (على الطاعات وعن المعاصي)^(١) هذا على تقدير كون المراد الثواب قوله وعن المعاصي إن أريد الإيمان والعمل الصالح تعدية الصبر وهو حبس النفس بعلى في الأول لكونه بالعكوف عليها وعن في الثاني لكونه بالاجتناب عنها وفي الكشف الصبر حبس النفس وهو كف وثبات فلذا عدي تعديتهما بعن وعلى إذ له متعلقان ما انقطع عنه وهو المعصية وما اتصل به وهو الطاعات.

قوله تعالى: **لَخَشَفْنَا بِهِ وَيدَارِيهِ الْأَرْضَ فَمَا كُنَّا لَهُ مِن فَتْرٍ يَصُدُّهُ مِن دُونِ أُنْفُو وَمَا كَانُوا مِن الْمُنْتَضِينَ** 

قوله: (فخشفنا به) الباء للملابسة فخسف الأرض ملابسة به ويداره مستلزم لخشفه وخسف داره.

قوله: (روي أنه كان يؤذي موسى عليه السلام كل وقت وهو عليه السلام يداريه لقريته) روي الخ. رواه الطبراني عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان يؤذي موسى لحسده كما مر كل وقت أي في كل وقت يمكن الإذاء فيه وهو أي موسى عليه السلام يداريه إذ المداراة من محاسن الأخلاق لقريته لا لعجز المقاومة.

قوله: (حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف على واحد فحسبه واستكثره فعمد إلى أن يفضح موسى عليه السلام بين بني إسرائيل) حتى نزلت الزكاة الخ الظاهر أنه لم ينزل التوراة قبل ذلك فنزلت ونزلت الزكاة لأن نزول التوراة جملة لا منجماً والقول بأنه بالوحي الغير المتلو غير بعيد وكذا الصلح المذكور يجوز أن يكون بالوحي الغير المتلو في شأن^(٢) قارون والقول بأنه كان جائزاً في شرعه ضعيف لأنها لا تكون من الأغلال التي كانت عليهم وقد عد علمائنا أن الزكاة في شرع موسى عليه السلام ربع أموالهم وأنها من جملة الأغلال صرح به المص في أواخر سورة البقرة.

قوله: (ليرفضوه فبرطل بغية لثرميه بنفسها فلما كان يوم العيد قام موسى خطيباً فقال

قوله: فبرطل بغية أي رشا امرأة بغية جعل لها ألف دينار وقيل طشتاً من ذهب مملوءة ذهباً فلما كان يوم عيد قام موسى فقال يا بني إسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وإن احصن رجمناه فقال قارون وإن كنت أنت قال وإن كنت أنا قال فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بقلانة فأحضرت فنادى موسى بالذي فلق البحر وأنزل التوراة

(١) فالمراد بالصائرين المشاركون للصبر حيث.

(٢) إذ الاحتمال الأول لا يلائمه قولهم إن قارون أراد التوراة وأعلمهم ويرد على الثاني أنها لم تذكر في التوراة على هذا وفيه ما فيه.

من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصناً رجمناه فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت قال إن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فأحضرت فناشدها موسى عليه السلام بالله أن تصدق فقالت جعل لي قارون جعلاً على أن أرميك بنفسي) ليرفضوه أي ليشرك بنو إسرائيل أنبأه فبرطل أي أعطى البرطيل بكسر الباء وهو الرشوة واستعملوا البرطيل في الرشوة وإن لم يوجد في كلام العرب القديم والبغية الزانية وربما أن تقول إنه عليه السلام زنى بها كما سيحيى قوله ولو كنت أي ولو كنت أنت زانياً ترجم إذ لا احتمال للأول لكونه محصناً وكذا الكلام في قوله عليه السلام ولو كنت فناشدها أي أقسم عليها بالله أن تصدق أي لأن تتكلم بالصدق ما سبب ذلك فقالت جعلاً بضم الجيم وسكون العين أي رشوة وهي المعادة وأصل الجعل الأجرة وذلك الجعل ألف دينار وقيل طشتاً من ذهب مملوء ذهباً.

قوله : (فخر موسى شاكياً عنه إلى ربه فأوحى إليه أن مر الأرض بما شئت فقالت يا أرض خذيه فأخذته إلى ركبته ثم قال خذيه فأخذته إلى وسطه ثم قال خذيه فأخذته إلى عنقه ثم قال خذيه فحسفت به وكان قارون يتضرع إليه في هذه الأحوال فلم يرحمه فأوحى الله إليه ما أفطك استرحمك مراراً فلم ترحمه) فخر موسى أي سقط^(١) على الأرض ساجداً متضرعاً إلى ربه وفيه دليل على أن المتضرع ينبغي أن تكون مناجاته في السجدة فاستجيب له فقال يا أرض خذيه فأخذته إلى ركبته ثم قال خذيه فأخذته إلى وسطه ثم قال خذيه فأخذته إلى عنقه قال خذيه فأطبقت عليه فأشار إليه المص إجمالاً وكان قارون يتضرع إليه في هذه الأحوال فلم يرحمه بالعفو لشدة غضبه في الله تعالى حيث أسنده الأشنع من قبائح الإنسان قيل فمذب بما يناسب ما افتراه من الجريمة ولا يخفى أن من قذف محصناً يرحم بخسف الأرض ما أفطك أفعل التعجب من فظ إذا غضب شديداً.

أن تصدقني فتداركها الله فقالت كذبوا بل جعل لي قارون جعلاً على أن أفطك بنفسي فخر موسى ساجداً يبكي وقال يا رب إن كنت رسولك فاغضب لي فأوحى الله إليه أن مر الأرض بما شئت فإنها مطيعة لك فقال يا بني إسرائيل إن الله بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون فمن كان معه قليلهم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعاً غير رجلين ثم قال يا أرض خذيه فأخذتهم إلى الركب قال خذيه فأخذتهم إلى الأوساط ثم قال خذيه فأخذتهم إلى الأعناق وقارون وأصحابه يتضرعون إلى موسى ويتنادون به بالرحم وموسى لا يلتفت إليهم لشدة غضبه ثم قال خذيه فأنطقت عليهم وأوحى الله إلى موسى ما أفطك استغاثوا بك فلم ترحمهم أما وعزتي لو إياي دعوا مرة واحدة لوجدوني قريباً مجيباً فأصبح بنو إسرائيل ينتاجون بينهم دعا موسى ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله حتى خسف الله بداره وأمواله.

(١) قيل وفيه أن من سب الأنبياء يقتل أي حداً لا كفراً ولذا يقتل وإن تاب بعد الأخذ وأما لو تاب قبل الأخذ ففيه خلاف والتفصيل في شفاء قاضي عياض مع شروحه.

قوله : (وعزتي وجلالي لو دعاني مرة لأجيبته ثم قال بنو إسرائيل إنما فعله ليرثه فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وأمواله) وعزتي لو دعاني الخ لكن الله تعالى صرفه عن هذا الدعاء لأنه مقضي حتماً قوله حتى خسف بداره^(١) وأمواله ولم يذكر خسف الأموال في النظم الجليل لاستلزام خسف الدار خسفها.

قوله : (أعوان مشتقة من فاوت رأسه إذ أميلته) سميت الجماعة به مطلقاً لميل بعضهم إلى بعض وتخصيصه هنا بالأعوان لقوله : ﴿ينصرونه﴾ [القصص : ٨١] الخ (فيدفعون عنه عذابه).

قوله : (وما كان من المنتصرين^(٢)) الممتنعين عنه من قولهم نصره من عدوه فانتصر إذا منعه منه فامتنع) وما كان من المنتصرين من قبيل التكميل والكلام للدوام في النفي وما فهم من بيانه أنه من قبيل التذييل قيل إنه محذوف اللام فوزنه فعة وقال الراغب إنه محذوف العين فوزنه فلة وأنه من النفي وهو الرجوع لأن بعضهم يرجع إلى بعض وهذا غير ما اختاره المص وهو أصله فتوة حذفت الواو فصار فنة وأصله على هذا فيئة فحذف الياء فصار فنة.

قوله تعالى : وَأَصْحَ الَّذِينَ تَمْشَوْنَ مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَذِّبُ اللَّهُ بِبَسْطِ الزَّرْقِ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَذِّبُ لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾

قوله : (منزلته) أي مثل منزلته من الدنيا بقرينة قوله مثل ما أوتي قارون ولم يحمل المثل هنا على الإحكام بقرينة قوله مكانه لحسن الظن بهم حيث لم يحسدوا بل كانوا يغيظون لأنهم المؤمنون وقد عرفت أنه قيل إنهم كافرون فالأولى ما بيناه سابقاً أن الأعيان تتبدل بتبدل الملك فالتمني لا يكون إلا بالمثل ألا يرى أن الغني لا يتناول الزكاة وبعد إعطاء الفقراء يتناوله لتبدله.

قوله : (متد زمان قريب) جعله مجازاً عن القرب لعدم الجزم بتحقيق معناه الحقيقي فيراد به القرب بطريق عموم المجاز الشامل للحقيقي والمجازي فيتناول المعنى الحقيقي أيضاً ولا مجال لإنكار تناول زمان قريب الأمس الحقيقي لكنه لم يحمله عليه بخصوصه لما مر من أنه لا جزم به ولا دلالة للفناء في فسخنا عليه جزماً بل ظناً.

قوله : (يسبط ويقدر بمعنئتي مشيئته لا لكرامة تقتضي البسط ولا لهو أن يوجب القبض) معنى يقدر هنا ضد يسبط أي يضيق.

(١) والمأخوذ بالخسف قارون ورجلان آخران كما في الكشف.

(٢) وهذا معلوم مما سبق لكنه ذكر تنبيهاً على أن أحداً لا يقدر على دفع عذاب الله سوى الله تعالى إذ المعنى لا يقدرُونَ نصرته ولا امتناعه عن أحله والظاهر أن القاء تعليلية وكونها للقضية غير ظاهر أو للترتيب في الذكر أو للجزاء أي إذا خسفنا فما كان له من فنة فإن الخسف وإن لم يكن سبباً له لكنه سبب لإجباره.

قوله: (ويكأن عند البصريين مركب من وي للتعجب وكان للتشبيه) للتعجب الناشئ عن التحسر والتندمة وهو المراد هنا ولعل هذا مراد الإمام الراغب بقوله ويكون للتحسر والتندم أيضاً وهي اسم فعل عند الخليل وسيبويه مثل صه ومعناه أعجب ونحوه كما عرفته ولذلك قال صاحب الكشاف وهي كلمة تنبيه على الخطأ ومعناه أن القوم قد تنبهوا على خطئهم في تمنيعهم بقوله يا ليت لنا الخ وكان للتشبيه ولم يلتفت إلى ما نقل عن ابن جني من أن الكاف على هذا المذهب خالية عن التشبيه كما في قوله تعالى: ﴿ليس كمثل شي﴾ [الشورى: ١١] لأن التشبيه هنا معتبر يفيد المبالغة كما ستعرفه.

قوله: (والمعنى ما أشبه الأمر أن الله ييسط) قيل وفي تشبيه الأمر المطلق بما شبه به دلالة على أن الحال كذلك لا محالة فكانه في التحقيق والشهرة بحيث يصح أن يجعل مشبهاً به لكل أمر ففيه من المبالغة في تحققه ما لا يخفى انتهى كون الأمر مشبهاً به من أين يستفاد ومقتضى القاعدة كون اسم كان مشبهاً وهو الله تعالى وخبره مشبهاً به وهو ييسط إلا أن يقال إن ضمير الشأن محذوف بقرينة قوله ويكأنه لا يفلح الكافرون والشأن الأمر والحال ولما كان في إطلاقه مبالغة لم يفيد بأمر قارون وأنه يدخل فيه دخولاً أولياً فإن نوقش بأنه لم يسمع في مثل هذا الكلام حذف ضمير الشأن قلنا يكفينا بإشارة الشيخين إلى ذلك.

قوله: (وقيل من ويك بمعنى ويلك وإن وتقديره ويك أعلم أن الله) وقيل من ويك

قوله: ويكأن عند البصريين مركب من وي للتعجب وكان للتشبيه وفي الكشاف وي مفصولة عن كان وهي كلمة تنبيه على الخطأ وتندم ومعناه أن القوم قد تنبهوا على خطئهم في تمنيعهم وقولهم يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون وتندموا ثم قالوا كأنه لا يفلح الكافرون أي ما أشبه الحال بأن الكافرين لا ينالون الفلاح وهو مذهب الخليل وسيبويه قال ويكأن من يكن له تشب يحيب ومن يفتقر يعيش عيش ضر وحكى الفراء أن أعرابية قالت لزوجها أين ابنك فقال ويكأنه وراء البيت وعند الكوفيين أن ويك بمعنى ويلك وأن المعنى ألم تعلم أنه لا يفلح الكافرون ويجوز أن يكون الكاف كاف الخطاب مضمومة إلى وي كقولك ويك غتر أقدم وأنه بمعنى لأنه واللام لبيان المقول لأجله هذا القول أو لأنه لا يفلح الكافرون كان ذلك وهو الخسف إلى هنا كلامه قال ابن جني وي على مذهب الخليل وسيبويه اسم قد سمي به الفعل فكانه اسم أعجب ثم ابتداء فقال كأنه وكان فيه رعاية من معنى التشبيه اتشد أبو علي:

كأنني حين أمسى لا يكلمني مقيم يشتهي ما ليس موجودا

وفي المطلع قال علي بن عيسى شبهت حال الكافرين بحال من لا يفلح لأنك إذا قلت كان هذا الكافر لا يفلح فهم من ذلك أن حاله كحال من لا يفلح هذا تقرير كلام الكشاف لكنه مفتقر إلى مزيد بيان فنقول إنه أبرزه مبرز فعل التعجب لما في وي من معنى التعجب وأشار بقوله الحال إلى أن الضمير في كأنه للحال أي للشأن والباء في بأن صلة أشبه فالمعنى ظهر لنا أن حال قارون وهي استمتاعه بالدنيا واغتراره بزهرتها ثم خسفه بالأرض وشأنه أن الكافرين لا يفلحون.

قوله: وقيل من ويك بمعنى ويلك وأن تقديره ويك أعلم أن الله أي ﴿ويك أعلم أن الله ييسط﴾ [الزمر: ٥٢] الآية حكى صاحب المطلع عن خلف الأحمر أن ويك بمعنى ويلك

بمعنى ويلك فحذف اللام للتخفيف وإن أي ويكون مركب من ويك وإن والعامل في أن اعلم المقدر ولذا فتحت همزة إن وهذا مذهب الكوفيين ويليك هنا أيضاً للتحرر والتداعية لا يراد الدعاء بالهلاك وهذا الوجه أوضح معنى لكن الأول أبلغ معنى ولذا قدمه ورجحه والكاف في ويك مجرور بالإضافة على هذا الوجه .

قوله : (فلم يعطنا ما تمنينا) فلم يعطنا عطف على من الله أي لولا إن لم يعطنا موجود فانتفاء الخسف لوجود عدم الإعطاء ولو أعطاه لخسف بنا .

قوله : (لتوليد فينا ما ولدته فيه فحذف بنا لأجله وقرأ حفص بفتح الخاء والسين) لتوليد الضمير لما يتمناه أي لإيجابه فينا ما أوجبه الخ والتوليد مستعار لهذا الاقتضاء .

قوله : (لنعمة الله أو المكذبون برسله وبما وعدوا لهم من ثواب الآخرة) لنعمة الله تعالى فهو كفران النعمة هذا ناظر إلى كون المتمنين المؤمنين قوله أو المكذبون فهو ناظر إلى كونهم كافرين والمنفي الفلاح رأساً على هذا وعلى الأول المنفي الفلاح الكامل قوله وقرأ حفص وهي قراءة يعقوب وعاصم وشعبة^(١) أيضاً .

قوله تعالى : **تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴿٨٣﴾

قوله : (إشارة تعظيم كأنه قال تلك الدار التي سمعت^(٢) خبرها وبلغك وصفها) إشارة تعظيم هذا مستفاد من صيغة البعد المستعار لعلو الرتبة بمعونة القرينة إذ قد تستعمل للتحقير كما في قوله تعالى : ﴿ فتلك مساكنهم ﴾ [القصص : ٥٨] الآية قوله كأنه قال الخ إشارة إلى وجه كونها معرفة وإلى أن شهرتها نزلت منزلة المحسوس هذا إن كان بعد سمع خبرها والخطاب للمرسل عليه السلام ويحتمل العموم وإن كان قبل سمعه نزل تمكنه السمع منزله .

فحذف اللام استخفافاً ونصب أن الله بفعل مضمر تقديره ويك اعلم أن الله قال الزجاج هذا خطأ من غير وجه إذ لو كان كما قال لكانت إن مكسورة كما كانت مكسورة حين لم يحذف اللام لأنه يقال ويليك إنه لا يفلح والصحيح ما ذكره سيبويه عن الخليل ويونس أن وي مفصولة من كان والقوم تنبهوا فقالوا وي متندمين على ما سلف منهم وكل من تندم أو ندم فإظهار ندامت أو تندمه أن يقول وي كما يعاتب الرجل على ما سلف فيقول وي كأنك قصدت مكر وهي قوله إشارة تعظيم وجه التعظيم أنه نزل بعد المرتبة والمكانة بمنزلة بعد المكان فاستعمل لفظ تلك الموضوع للإشارة إلى البعد .

(١) وعليها فالمفعول محذوف أي خسف الأرض بنا أي ملاية بنا .

(٢) قوله التي سمعت الخ إشارة إلى وجه كون لام الدار للعهد وإضافة خبر إلى ضمير الجنة لأدنى ملاية وصف الجنة بقلاها وشرافتها ووسعيتها وكثير نعمها وإن عزم إلى الوصف في اصطلاح الفقهاء وهو الجوهر الذي يزيد حسناً يتناول الحور العين والولدان والعلمان والأشجار والأنهار وغيرها .

قوله: ﴿والدار صفتها والخير نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض غلبة وقهراً ظلماً على الناس كما أراد فرعون وقارون﴾ والدار صفتها فيكون مشاراً إليها هنا تصريح بما علم التزاماً والصفة قد تكون جامداً إذا كان وضعه لغرض المعنى وهنا المراد أنها كاملة في الدراية والمسكنية نجعلها حكاية حال ماضية بقرينة أعدت للمتقين وله نظائر كثيرة وقصة آدم عليه السلام قرينة على وجود الجنة أيضاً فلا يقال صيغة الماضي لتحقق وقوعها كما أراد فرعون وقارون إشارة إلى ارتباطها بما قبلها وهذا أبلغ من الذين لا يعملون ولا يفسدون إعادة لا للتنبيه على أن كلا منهما مقصود بالنفي لا المجموع من حيث المجموع .

قوله: ﴿المحمودة﴾ وقد مر توضيحه في تفسير قوله تعالى: ﴿ومن تكون له عاقبة الدار﴾ [الأنعام: ١٣٥].

قوله: ﴿ما لا يرضاه الله﴾ نبه به على أن المراد بالتقوى المرتبة الوسطى لا الأولى .

قوله: ﴿ظلماً على الناس كما أراد فرعون وقارون﴾ قال صاحب الكشاف ولم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك إرادتهما وميل القلوب إليهما كما قال ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا﴾ فعلق الوعيد بالركون وعن علي رضي الله تعالى عنه أن الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل أنه قرأها ثم قال ذهبت الأمانتي ههنا وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يرددها حتى قبض ثم قال ومن الطماع من يجعل العلو لفرعون والفساد لقارون متعلقاً بقوله: ﴿إن فرعون علا في الأرض﴾ [القصص: ٤] ﴿ولا تبغ الفساد في الأرض﴾ [القصص: ٧٧] ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون قله تلك الدار الآخرة ولا يتدبر قوله: ﴿والعاقبة للمتقين﴾ [القصص: ٨٣] كما تدبره علي والفضيل وعمر رضي الله عنهم إلى هنا كلامه قال صاحب الانتصاف وهو تعريض بأهل السنة في أن كل موحد من أهل الجنة وإنما طمعوا فيما أطمعهم الله تعالى على لسان رسول الله ﷺ حيث قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنا وإن سرق قالها ثلاثاً وفي الثالثة وأن رغم أتف أبي ذر وقال الطيبي في جوابه لا شك أن العلو في الأرض الاستكبار على الله تعالى والاستطالة على الناس والإفساد إخراج الشيء عن كونه منتزعا به روي محيي السنة علواً استكباراً عن الإيمان واستطالة على الناس وتهاوناً بهم وفساداً بأخذ أموال الناس بغير حق والعمل بالمعاصي وأما ما رواه عن علي رضي الله عنه أن الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها فإنه مناقض لما رواه مسلم وأبو داود والترمذي عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل يا رسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً قال إن الله جميل يحب الجمال الكبير بطر الحق وغمط الناس يعني أن يرى الحق سفهاً وجهلاً ويحتقر الناس فقوله: ﴿والعاقبة للمتقين﴾ [القصص: ٨٣] لا ينافي تفسير المتقول من أهل السنة لأن المراد من لم يكن مثل فرعون وقارون من المؤمنين والمتقي ههنا هو العتقي من علو فرعون وقارون لأن قوله: ﴿والعاقبة للمتقين﴾ [القصص: ٨٣] تدبيل لما سبق هذا وقالوا إن التأويل الذي يعتمد عليه هو ما يساعده النظم فإن هذه الآية كالتخلص من قصة موسى وقومه مع قارون وبغيه واستطالته عليهم ثم هلاكه ونصرة أهل الحق عليه إلى قصة سيدنا صلوات الله عليه وسلامه وأصحابه مع قومه واستطالتهم وإخراجهم إياه من مسقط رأسه ثم اعزازه بالإعادة إلى مكة شرفها الله تعالى وفتحته ﷺ إياها

قوله تعالى: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَمْعَلُونَ ﴿٨٤﴾

قوله: (من جاء بالحسنة) كاليان للمعتين^(١) ولذا ترك العطف والمراد بالحسنة جمع المبرات ويدخل فيها الاجتناب عن المنكرات ولم يقل من عمل بالحسنة لأن النافع المجيء بأن لا يبطل.

قوله: (ذاتاً ووصفاً وقدرًا) ذاتاً إذ المراد بها الجنة ولا مناسبة بين زخارف الدنيا ونفائس الجنة في الذات والحقيقة وأن الأعمال الصالحة اعراض غير باقية ونعيم الجنة باقية فلا تقارب بين الخسيس والشريف وأما لقدر فلأن الحسنة تضاعف بالعشرة إلى سبعمائة وأما وصفاً فلأن ثواب الآخرة أبهى وأمور الدنيا فانية وقد مر تفصيله في أواخر سورة النمل.

قوله: (وضع فيه الظاهر موضع الضمير تهجيئاً لحالهم بتكرير إسناد السيئة إليهم) وضع فيه الظاهر الخ أي مع كونها جمعاً زيادة تهجين حالهم الظاهر أن المراد بالسيئة الكفر والجمع لتعدد فنون الكفر والضلال أو المراد الأسباب المؤدية إلى الكفر كالجهل واتباع الهوى وقبول الوسواس والشبه فإن المتبادر ممن جاء بالحسنة العموم إلى عصاة الموحدين والتهجين بتكرير إسناد السيئة إليهم للتنصيص على سوء أحوالهم مرتين وعن هذا عبر بالسيئة دون المكر ونحوه مع مراعاة المقابلة وتوحيد الحسنة وجمع السيئة لأن الحق واحد وطرق الضلال متعددة كما عرفته.

منصوراً مؤيداً مكرماً وإليه الإشارة بقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥] أي إلى مكة وإذا تقرر هذا ينبغي أن يفسر العلو والفساد بما اشتمل عليه قصة قارون فالعلو فرخه بالدنيا من قولهم لا تفرح وبطر الحق قوله: ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨] وغمطه الناس في قوله: ﴿وَجَرَحَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ [القصص: ٧٩] والفساد البغي والظلم حتى قال قائلهم يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم فإنه إفساد عظيم في الدين فالأنسب لهذا السوق أن يراد بالمعتين من لم يكن مثل فرعون وقارون من المؤمنين ويفسر المعتني بمن يتقي من مثل علو فرعون وفساد قارون لا بما أراد به صاحب الكشف.

قوله: ذاتاً وقدرًا ووصفاً أي ذاته خير من ذاتها لأن أكثر الحسنات بل كلها من قبيل الإعراض فإن المراد بها الأعمال الصالحة والعمل عرض غير قار الذات والبدل الذي يعطى في الآخرة أكثره بل كله من قبيل القائم بالذات من الأعيان والجواهر كالحور والجنات وثمراتها وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت والقائم بالذات خير من الغير القائم والجواهر من العرض ذاتاً وكذا قدر البدل المعطى في الآخرة خير من قدرها أي أكثر عدداً منها إذ يعطى بدل حسنة واحدة عشر أمثالها إلى سبعمائة والله يضاعف لمن يشاء وكذا وصف البدل خير من وصفها من حيث إن البدل الدوابي.

(١) «والعاقبة للمعتين» هنا تدليل مقرر لما فهم من قبله.

قوله : (أي الأمثل ما كانوا يعملون فحذف المثل وأقام مقامه ما كانوا يعملون بمبالغة في المماثلة) فهذا أبلغ من قوله تعالى ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسِّينَةِ فَلَا يَجْزِي إِلَّا مِثْلُهَا﴾ من وجهين وجه المبالغة في المماثلة اتحاد العينين وفيه مبالغة أخرى وهي ذكر عملوا ثانياً دون جاؤوا لأن فيه إشارة إلى أن عملهم عن قصد إذ العمل بخصه كما قاله الراغب كذا قيل ويرده قولهم الأعمال الاضطرارية مضطرون في اختيارنا فالأولى أن الجزاء للعمل دون المجيئة لكن بشرط عدم الإحباط فلذا ذكر جاء أولاً وعملوا ثانياً.

قوله تعالى : إِنَّ أَلْوَىٰ فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأَاكَ إِنْ مَعَادُ قُلُوبٍ أَهْلَمَ مِنْ جَاءَ بِالْمُنَادِي وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾

قوله : (أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه) وللتعميم إلى هذه الأمور الثلاثة قيل فرض عليك القرآن إذ لا معنى لفرض نفس القرآن لكن أوقع الفرض عليه للتعميم أي إن الذي حملك صعوبة هذا التكليف ليشبك عليها ثواباً لا يحيط به الوصف كما في الكشف .

قوله : (أي معاد وهو المقام المحمود الذي وعدك أن يبعثك فيه) أي معاد أشار إلى أن تنكير^(١) معاد للتعظيم وهو المقام المحمود الخ فالرد حينئذٍ لكونه موعوداً كما قال الذي وعدك الخ والمراد الشفاعة العظمى أي ليست لغيره عليه السلام من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين أو المراد به مقامه الذي وعده في الجنة والأول هو المناسب لقوله إلى معاد لأن المعاد كالحقيقة في المحشر لأنه ابتداء العود إلى الحياة فإن العود الرد إلى ما كان عليه والمحشر كذلك والقول بأن الصحيح ما أشار إليه علي رضي الله تعالى عنه وابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن ذلك الجنة التي كان فيها بالقوة في ظهر آدم ضعيف لأنه لا يختص به عليه السلام مع أن الكلام ما يختص به عليه السلام وإن كان هذا أنسب للمعاد لأن الرد إلى ما كان عليه من الحالة أظهر فيه إذ الحياة في الآخرة ليست عين الحياة في الدنيا حتى يقال إنه الرد على ما كان عليه .

قوله : (أو مكة التي اعتدت بها على أنه من العادة ورده إليها يوم الفتح كأنه لما حكم

قوله : أي الأمثل ما كانوا يعملون وإنما قدر المثل لأن المجازاة تكون بمثل العمل لا بنفسه فحذف المثل بمبالغة في التشبيه كان جزاء العمل لشدة مناسبه له صار كأنه هو فهو في حذف المثل كحذف الكاف في زيد أسد مبالغة في وصف زيد بالشجاعة قوله أي معاد أي كامل في المعادية معنى الكمال مستفاد من معاد فإنه للتعظيم هذا إذا أريد بالمعاد الإنابة والرجوع إلى مقاماته العالية في الآخرة والاتصال بالقدسين .

قوله : أو مكة التي اعتدت بها من الاعتداد على أن معنى معاد موضع عود، قال الراغب :

(١) وفي الكشف أي معاد ليس لغيرك .

بأن العاقبة للمتقين وأكد ذلك بوعد المحسنين ووعد المسيئين وعده بالعاقبة الحسنى في الدارين) أو مكة الخ قوله اعتدت بها جعل المعاد حينئذ من العادة لا من العود بمعنى الرجوع كما في الأول فيكون المعنى لرادك إلى مكان اعتدته والفته فلو حمل على العود وهو بمعنى الرد لكان المعنى لرادك إلى رد وهو ركبك هذا إذا حمل المعاد على معناه الحقيقي وأما إذا حمل على المجازي كما يقتضيه كون الآية مكية أي لرادك إلى مكان وهو مكة المعظمة فيما سيأتي فهو مجاز أولى مع أن الراد مجاز لأنه أيضاً مجاز أولى أيضاً فيلزم ارتكاب المجاز بلا داع وأما إذا قيل إن الآية نزلت في جحفة فلا مجاز في المعاد لكن المعنى ركبك كما عرفته ولرادك مجاز أيضاً فلذا حمل المعاد مأخوذاً من العادة قيل يعني مكة أريد رده إليها يوم الفتح ولم يتعرض كون المعاد من العود أو من العادة والظاهر أنه جعل من العود ولو جعل المعاد اسم مكان من العود على أن يكون المعنى لرادك إلى محل رد تشاق إلى مكان المعنى سديداً ثم قيل والسورة مكية لكن هذه الآية نزلت بالجحفة لا بالمكة ولا بالمدينة حين اشتاق إلى مولده ومولد آبائه ولا يخفى أن هذا الكلام يدل على أنه بعد الهجرة فكيف يكون السورة مكية والأحسن أن السورة مكية فكان الله وعده وهو بمكة في أذى وغلبة من أهلها أنه يهاجر منها ويعيده إليها ظاهراً ظافراً كما في الكشف .

قوله : (روي أنه لما بلغ جحفة في مهاجرة اشتاق إلى مولده ومولد آبائه فنزلت) روي الخ مرضه لما ذكرناه قوله كأنه لما حكم الخ بيان ارتباط هذه الآية بما قبلها ووعدته بالعاقبة الحسنى في الدارين هذا على التفسير الثاني وهو المراد بالعاقبة الحسنى في الدنيا والعاقبة الحسنى في الآخرة مستفاد من قوله ﴿والعاقبة للمتقين﴾ .

قوله : (وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يفسره اعلم) وما يستحقه

قيل : المراد بالمعاد مكة والصحيح ما أشار إليه علي رضي الله عنه ، وذكره ابن عباس أن ذلك الجنة التي خلقه فيها في ظهر آدم وأظهر منه حيث قال : ﴿وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم﴾ فإذا كان المراد بالمعاد مكة فالمعنى أن الذي حباك بنعمة الدين لا سيما بهذا النبي الكريم الذي دونه كل نعمة يمنحك فتح مكة ويردك إلى مسقط رأسك كما قال الله تعالى : ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ إلى قوله : ﴿وبهديك صراطاً مستقيماً﴾ قل لأعدائك موتوا كيداً ربي أعلم بمن جاء بالهدى منا ومنكم ومن هو في ضلال مبين ، وينصر المهتدي ويخذل الضال وهو مالك الملك يعز من يشاء ويذل من يشاء وكما كنت غير راج أن يلقي إليك هذا الكتاب لكن الله لرحمته الواسعة ألقاء إليك بذلك ينصرك على أعدائك هو وحده ويردك إلى معاد فتوكل عليه لا على غيره ولا تعتمد إلا عليه ولا تكونن ظهيراً للكافرين ، وهذا هو الموافق لقوله رحمه الله فيما بعد في تفسير : ﴿وما كنت ترجو أن يلقي إليك الكتاب﴾ أي سيردك إلى معادك كما ألقي إليك الكتاب وما كنت ترجوه ولكن ألقاء رحمة فيه .

قوله : ومن منتصب بفعل يفسره اعلم إنما لم يجعل نصبه باعلم لفقد شريط عمل أفعّل التفضيل فيه فنصبه بيعلم المقدر الدال عليه اعلم أي ربي يعلم من جاء بالهدى الآية .

من الثواب في الآخرة والنصر في الدنيا وهو المراد بالعاقبة الحسنى في الدارين فيه إشارة إلى أن المراد من ﴿رَبِّي أَعْلَمُ﴾ [القصص: ٨٥] الآية ما ذكر وتنبه على ارتباطه بما قبله والمراد بمن جاء نفسه^(١) عليه السلام ومن تبعه من وارثه قوله^(٢) يفسره أعلم وهو يعلم لأن الفعل التفضيل لا ينصب المفعول به .

قوله تعالى: وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾

قوله: ﴿وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [القصص: ٨٥] وما استحقه من العذاب والإذلال يعني به نفسه والمشركون وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله: ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو﴾ [القصص: ٨٦] الآية ﴿وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ المشركون كما ذكره في قوله في ضلال مبين مبالغة حيث جعل الضلال ظرفاً له بحيث لا يرجو خلاصه وأما في الأول فتترك المبالغة حيث لم يجرى بمن هو في هدى مبين وإن كان الأمر كذلك حيث خص نفسه التفتية للتنبيه على أن استحقاق الثواب يتحقق بمجرد الانصاف بالهدى فضلاً عن الاستغراق في تلك الخصلة .

قوله: ﴿أَي سِيرْدَكَ﴾^(٣) إلى معادك كما ألقى إليك الكتاب وما كنت ترجوه^(٤) أي سيردك إلى معادك أي بأي معنى كان قوله كما ألقى إليك الخ التشبيه في تحقيق ذلك الرد مع عدم رجاء كل منهما كما أن الإلقاء كان محققاً الآن يكون الرد المذكور إلى المقام المحمود أو البلد المحمود محققاً فيما سيأتي وهذا إشارة إلى كونه مقررأ لما قبله .

قوله: (ولكن الإلقاء رحمة منه ويجوز أن يكون استثناء محمولاً على المعنى كأنه قال

قوله: يعني به نفسه والمشركون أي يعني بمن جاء بالهدى نفسه ومن هو في ضلال مبين المشركون .

قوله: ويجوز أن يكون استثناء محمولاً على المعنى يعني من رأى نفسه أهلاً لشيء وأشعر بإمارة أو توهم بتخيله وبما تعلق رجاءه بحصوله فإذا نفى رجاءه انتفى حصوله بالكلية فقام نفى الرجاء مقام نفى الإلقاء، فكان معنى ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ ما ألقى إليك الكتاب لأمر من الأمور إلا للرحمة، فانتصب رحمة الله أنها المفعول له .

- (١) بيان ارتباطه بما قبله كما صرح به في قوله وهو تقدير للوعد السابق وتقرير أيضاً للوعد السابق .
- (٢) وهو أبلغ من التصريح لأنه في صورة الانصاف المسكت للخصم المشاغبات وتغيير الحرفين لأن الجاني بالهدى ملابس بالهدى ينظر به إلى الأشياء فيميز بين الحق والباطل كمن صاحب النور يميز به بين النافع والضار والضال كأنه منغمس في ظلام لا يرى شيئاً ومحجوس في مطبوعة لا يستطيع أن يخلص منها وهذا أبلغ من قوله: ﴿إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى﴾ لأنه فيه بيان أنه مكمل وكامل وفي القول المذكور بيان أنه كامل .
- (٣) فحيث يكون مفعول أعلم محفوفاً أي أعلم كل شيء والظاهر أنه بمعنى المبالغة في نفسه .
- (٤) أشار إلى أن لرادك للاستغياال فيكون مجازاً كما أشرنا إليه .

وما ألقى إليه الكتاب إلا رحمة أي لأجل الترحم) ولكن ألقاء الخ أي الاستثناء منقطع وتقدير ألقاء لاقتضائه ما قبله وله أن يكون استثناء محمولاً على المعنى فيكون الاستثناء متصلاً بقوله كأنه قال وما ألقى إليك الكتاب لأن عدم رجاء الإلقاء يتضمن عدم الإلقاء ولذا قال كأنه قال وما ألقى إليك الكتاب لأجل شيء من الأشياء أو في حال من الأحوال إلا لأجل الرحمة وهذا يرجح الأول لكن عدم رجاء الإلقاء كونه متضمناً عدم الإلقاء منظور فيه ولذا ضعفه وقال ويجوز الخ.

قوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا﴾ أي دم على ذلك فإنه نهيب على الثبات عليه كما في نظائره.

قوله: (بمذارتهم والتحمل عنهم والإجابة إلى طلبهم) بمذارتهم المؤدية إلى ارتكاب أمر غير حسن وإلا فالمذارة من أحسن الخصال والتحمل عنهم ضمنه معنى التجاوز فعدها بمن قوله والإجابة إلى طلبهم بكسر الطاء وسكون اللام أي مطلوبهم مما يخالف الوحي كما فصل في سورة الإسراء في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبَشِّرَ لَقَدْ كُذِّبَتْ تَرْكُنَ﴾ [الإسراء: ٧٤] الآية وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ [الإسراء: ٧٣] الآية ومنه قولهم إن تمتعنا بالثلاث سنة وإن تحرم وادينا كما حرمت مكة.

قوله تعالى: وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ مَآثِرِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَأَدِّمْ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

قوله: (عن قراءتها والعمل بها) قد مر تفصيله في قوله ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ [القصص: ٨٥] الآية ولو زاد هنا والتبليغ أيضاً لكان أفيد هذا من قبيل الكنوي إذ المراد نهى الرسول عليه السلام عن صده عن آيات الله.

قوله: (بعد إذ أنزلت إليك) بعد وقت إنزالها وإذ يضاف إليه أسماء الزمان نحو حيثنزل كما في الكشف وفيه مبالغة من وجوه التعبير بالكناية والتعبير بالآيات مع التعبير بالقرآن أولاً والإضافة إلى لفظة الله للإشعار لعظم جرم الصد والتقييد بقوله بعد إذ أنزلت لأن الصد إنما يكون بعده فلا مفهوم ولو لم يحىء هذا القيد لثم المعنى لكن جيء به لبيان كمال قبح الصد.

قوله: (وقرىء ولا يصدنك من أصد) أي من الأفعال بمعنى صده أي منعه وفي الكشف وهي في لغة كلب.

قوله: (إلى عبادته وتوحيده) إلى عبادته هذا العموم مستفاد من التعبير ببريك لكن الأولى^(١) تقديم التوحيد على العبادة (بمساعدتهم).

(١) قوله وما كنت ترجوه حال وإشارة إلى أن قوله تعالى: ﴿وما كنت ترجوه﴾ الآية حال مثل قوله جاءني زيد والشمس طلعة.

قوله تعالى: وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

قوله: (هذا وما قبله للتنهيج^(١) وقطع أطماع المشركين عن مساعدته لهم) وما قبله للتنهيج أي لتحريض على الثبات على ذلك المنهي وحاصله الأمر بالدوام على عدم الإشراك كما نبهنا عليه آنفاً أو المراد أمر الأمة باكتساب المعارف المؤدية إلى الثبات على التوحيد وإلى الإعراض عن الإشراك على الوجه الأبلغ.

قوله: (لا إله إلا هو) جملة مؤكدة لما قبله ولذا اختير الفصل وليس صفة لأنها آخر لأن فيه من الفساد ما لا يخفى وعن هذا قيل الوقف على لفظ آخر لازم لأنه لو وصل لصار لإله إلا هو صفة لا لها آخر انتهى والملازمة ممنوعة والمستند ظاهر.

قوله: (إلا ذاته فإنه ما عداه ممكن هالك في حد ذاته معدوم القضاء النافذ في الخلق للجزاء بالحق عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة طسم القصص كان له من الأجر بعدد من صدق بموسى عليه السلام وكذب ولم يبق ملك في السموات والأرض إلا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقاً) كل شيء هالك كالتأكيد لما قبله^(٢) ولذا لم يعطف وإنما قال هالك لأنه هالك في حد ذاته فإن وجوده ليس ذاتياً قال المص في سورة الرحمن ولو استقرأت جهات الموجودات وتفحصت وجوها وجدتها بأسرها فانية في حد ذاتها إلا وجه الله أي الوجه الذي يلي جهته وهذا وجه آخر غير ما ذكره هنا فإن الوجه هناك بمعنى القصد^(٣) وما ذكر هنا هو أن كل شيء هالك في حد ذاته وليس بمتجدد إذ كل ممكن في حد نفسه معدوم فذكر صيغة اسم الفاعل الدال على أن المراد الهلاك في المستقبل. (عن النبي عليه السلام الخ) موضوع كما مر في النظائر.

تمت سورة القصص وما يتعلق بها بعون الله تعالى ولطفه يوم الأحد في الضحوة

قوله: للتنهيج أي لتحريك حمية رسول الله ﷺ في باب الدين وتصلبه فيه. هذا آخر ما أمليته من شرح تفسير سورة القصص فأحمد الله على أن وفقني إليه فالآن أشرع معتصماً بحبل الله المتين ومستفيضاً من نورة المبين في شرح ما في تفسير سورة العنكبوت، وهو يقول الحق ويهدي السبيل.

(١) والفرقة استحالة ولا يتصور منه حتى تهى عنه.

قوله تعالى ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ تأكيد لقوله ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ومع ذلك عطف عليه لأن فيه معنى زائداً لكونه مؤكداً بقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.

(٢) وكذا قوله: ﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾ مؤكداً له أيضاً ولذا اختير الفصل.

(٣) وهنا المراد بالوجه ذاته تعالى هذا عند الخلف، وأما عند السلف فهو صفة له تعالى أصله معلوم وكيفية غير معلوم واختاره إمامنا الإمام الأعظم.

الكبرى رابع ذي الحجة الشريفة وقد عقد الصلح في هذا الآن بيننا وبين أعدائنا عدو الدين، خذلهم الله تعالى إلى يوم الدين سنة ١١٨٨. اللهم ببركة القرآن المبين، كما أنجيتك من القوم الظالمين نجنا برحمتك من القوم الكافرين، واستيلاء النفس والهوى والشياطين، فإنك أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين آمين آمين آمين.

تم الجزء الرابع عشر
ويليه الجزء الخامس عشر وأوله: سورة العنكبوت

فهرس محتويات

الجزء الرابع عشر
من
حاشية القونوي

الفهرس

٨٠	الآية : ٢٨	سورة الفرقان	
٨١	الآية : ٢٩	٣	الآية : ١
٨٢	الآية : ٣٠	٩	الآية : ٢
٨٤	الآية : ٣١	١٢	الآية : ٣
٨٥	الآية : ٣٢	١٤	الآية : ٤
٨٩	الآية : ٣٣	١٦	الآية : ٥
٩٠	الآية : ٣٤	١٨	الآية : ٦
٩٣	الآيتان : ٣٥ ، ٣٦	٢٠	الآية : ٧
٩٥	الآية : ٣٧	٢٢	الآية : ٨
٩٦	الآية : ٣٨	٢٤	الآيتان : ٩ ، ١٠
٩٩	الآية : ٣٩	٢٦	الآية : ١١
١٠٠	الآية : ٤٠	٢٩	الآية : ١٢
١٠٢	الآية : ٤١	٣٢	الآية : ١٣
١٠٣	الآية : ٤٢	٣٤	الآيتان : ١٤ ، ١٥
١٠٥	الآية : ٤٣	٣٧	الآية : ١٦
١٠٧	الآية : ٤٤	٤٠	الآية : ١٧
١٠٨	الآية : ٤٥	٤٥	الآية : ١٨
١١١	الآية : ٤٦	٥٢	الآية : ١٩
١١٤	الآية : ٤٧	٥٥	الآية : ٢٠
١١٦	الآية : ٤٨	٦٠	الآية : ٢١
١١٩	الآية : ٤٩	٦٥	الآية : ٢٢
١٢٢	الآية : ٥٠	٧٠	الآية : ٢٣
١٢٤	الآية : ٥١	٧٢	الآية : ٢٤
١٢٥	الآية : ٥٢	٧٥	الآية : ٢٥
١٢٧	الآية : ٥٣	٧٦	الآية : ٢٦
١٣١	الآية : ٥٤	٧٧	الآية : ٢٧

١٨٨ الآية: ٥٥	١٣٢ الآية: ٩، ١٠
١٨٩ الآية: ٥٦، ٥٧	١٣٣ الآية: ١١
١٩٢ الآية: ٥٨	١٣٥ الآية: ١٢، ١٣
١٩٥ الآية: ٥٩	١٣٧ الآية: ١٤
١٩٦ الآية: ٦٠	١٤٠ الآية: ١٥
٢٠٠ الآية: ٦١	١٤١ الآية: ١٦
٢٠١ الآية: ٦٢	١٤٣ الآية: ١٧
٢٠٢ الآية: ٦٣	١٤٥ الآية: ١٨
٢٠٣ الآية: ٦٤	١٤٨ الآية: ١٩
٢٠٥ الآية: ٦٥	١٤٩ الآية: ٢٠
٢٠٧ الآية: ٦٦	١٥٠ الآية: ٢١، ٢٢
٢٠٩ الآية: ٦٧	١٥١ الآية: ٢٣
٢١٠ الآية: ٦٨	١٥٤ الآية: ٢٤
٢١٣ الآية: ٦٩	١٥٥ الآية: ٢٥
٢١٤ الآية: ٧٠	١٥٧ الآية: ٢٦
٢١٦ الآية: ٧١	١٥٩ الآية: ٢٧، ٢٨
٢١٧ الآية: ٧٢	١٦١ الآية: ٢٩
٢١٨ الآية: ٧٣	١٦٣ الآية: ٣٠
٢٢٠ الآية: ٧٤	١٦٤ الآيات: ٣١ - ٣٣
٢٢١ الآية: ٧٥	١٦٧ الآيات: ٣٤ - ٣٦
٢٢٢ الآية: ٧٦	١٦٨ الآية: ٣٧
٢٢٣ الآية: ٧٧	١٦٩ الآية: ٣٨، ٣٩
٢٢٤		 الآيات: ٤٠ - ٤٢
٢٢٥		 الآية: ٤٣
٢٢٦		 الآية: ٤٤
٢٢٧		 الآية: ٤٥، ٤٦
٢٢٩		 الآية: ٤٧
٢٣٠		 الآية: ٤٨، ٤٩
٢٣١		 الآية: ٥٠
٢٣٢		 الآية: ٥١
٢٣٥		 الآية: ٥٢

سورة الشعراء

١٧٤ الآية: ١
١٧٥ الآية: ٢
١٧٦ الآية: ٣
١٧٩ الآية: ٤
١٨٢ الآية: ٥
١٨٤ الآية: ٦
١٨٥ الآية: ٧
١٨٧ الآية: ٨

٢٧٦	الآيتان : ٥٤ ، ٥٣	٢٣٦	الآيتان : ٥٤ ، ٥٣
٢٧٧	الآية : ٥٦ ، ٥٥	٢٣٧	الآيتان : ٥٦ ، ٥٥
٢٧٨	الآيات : ٥٨ ، ٥٧	٢٣٩	الآيتان : ٥٨ ، ٥٧
٢٧٩	الآية : ٥٩	٢٤٠	الآية : ٥٩
٢٨٠	الآيات : ٦١ ، ٦٠	٢٤١	الآيتان : ٦١ ، ٦٠
٢٨١	الآية : ٦٢	٢٤٢	الآية : ٦٢
٢٨٢	الآية : ٦٣	٢٤٣	الآية : ٦٣
٢٨٣	الآيات : ٦٧ - ٦٤	٢٤٤	الآيات : ٦٧ - ٦٤
٢٨٤	الآيات : ٧٠ - ٦٨	٢٤٥	الآيات : ٧٠ - ٦٨
٢٨٥	الآية : ٧١	٢٤٦	الآية : ٧١
٢٨٦	الآية : ٧٢	٢٤٧	الآية : ٧٢
٢٨٧	الآيتان : ٧٤ ، ٧٣	٢٤٨	الآيتان : ٧٤ ، ٧٣
٢٨٨	الآيات : ٧٧ - ٧٥	٢٤٩	الآيات : ٧٧ - ٧٥
٢٨٩	الآية : ٧٨	٢٥٢	الآية : ٧٨
٢٩٠	الآية : ٧٩	٢٥٤	الآية : ٧٩
٢٩١	الآية : ٨٠	٢٥٥	الآية : ٨٠
٢٩٢	الآيتان : ٨٢ ، ٨١	٢٥٨	الآيتان : ٨٢ ، ٨١
٢٩٣	الآية : ٨٣	٢٥٩	الآية : ٨٣
٢٩٤	الآيتان : ٨٥ ، ٨٤	٢٦١	الآيتان : ٨٥ ، ٨٤
٢٩٥	الآية : ٨٦	٢٦٢	الآية : ٨٦
٢٩٧	الآية : ٨٧	٢٦٣	الآية : ٨٧
٢٩٨	الآيتان : ٨٩ ، ٨٨	٢٦٤	الآيتان : ٨٩ ، ٨٨
٢٩٩	الآيتان : ٩١ ، ٩٠	٢٦٦	الآيتان : ٩١ ، ٩٠
٣٠٠	الآيات : ٩٤ - ٩٢	٢٦٧	الآيات : ٩٤ - ٩٢
٣٠١	الآيات : ٩٧ - ٩٥	٢٦٨	الآيات : ٩٧ - ٩٥
٣٠٢	الآية : ٩٨	٢٦٩	الآية : ٩٨
٣٠٣	الآيات : ٩٩ - ١٠١	٢٧٠	الآيات : ٩٩ - ١٠١
٣٠٤	الآية : ١٠٢	٢٧٢	الآية : ١٠٢
٣٠٥	الآية : ١٠٣	٢٧٣	الآية : ١٠٣
٣٠٦	الآيتان : ١٠٥ ، ١٠٤	٢٧٤	الآيتان : ١٠٥ ، ١٠٤
٣٠٧	الآيات : ١٠٩ - ١٠٦	٢٧٥	الآيات : ١٠٩ - ١٠٦

٣٥٢	الآية: ١٢	٣٠٨	الآيات: ١٩٠ ، ١٩١
٣٥٥	الآية: ١٣	٣٠٩	الآيات: ١٩٢ - ١٩٤
٣٥٦	الآية: ١٤	٣١١	الآيات: ١٩٥ ، ١٩٦
٣٥٧	الآية: ١٥	٣١٣	الآيات: ١٩٧ - ١٩٩
٣٥٨	الآية: ١٦	٣١٤	الآية: ٢٠٠
٣٦٢	الآية: ١٧	٣١٥	الآيات: ٢٠١ ، ٢٠٢
٣٦٣	الآية: ١٨	٣١٦	الآيات: ٢٠٣ ، ٢٠٤
٣٦٦	الآية: ١٩	٣١٧	الآيات: ٢٠٥ - ٢٠٩
٣٦٩	الآيات: ٢٠ ، ٢١	٣١٨	الآية: ٢١٠
٣٧١	الآية: ٢٢	٣١٩	الآيات: ٢١١ ، ٢١٢
٣٧٤	الآية: ٢٣	٣٢٠	الآيات: ٢١٣ ، ٢١٤
٣٧٥	الآية: ٢٤	٣٢١	الآية: ٢١٥
٣٧٦	الآية: ٢٥	٣٢٢	الآية: ٢١٦
٣٧٩	الآيات: ٢٦ ، ٢٧	٣٢٣	الآيات: ٢١٧ ، ٢١٨
٣٨٠	الآيات: ٢٨ ، ٢٩	٣٢٤	الآيات: ٢١٩ ، ٢٢٠
٣٨١	الآية: ٣٠	٣٢٥	الآيات: ٢٢١ ، ٢٢٢
٣٨٢	الآية: ٣١	٣٢٦	الآية: ٢٢٣
٣٨٣	الآية: ٣٢	٣٢٩	الآية: ٢٢٤
٣٨٤	الآية: ٣٣	٣٣٠	الآية: ٢٢٥
٣٨٥	الآية: ٣٤	٣٣١	الآية: ٢٢٦
٣٨٦	الآية: ٣٥	٣٣٢	الآية: ٢٢٧

سورة النمل

٣٩٠	الآية: ٣٧	٣٣٤	الآية: ١
٣٩١	الآية: ٣٨	٣٣٧	الآيات: ٢ ، ٣
٣٩٢	الآية: ٣٩	٣٣٩	الآية: ٤
٣٩٣	الآية: ٤٠	٣٤١	الآيات: ٥ ، ٦
٣٩٧	الآية: ٤١	٣٤٢	الآية: ٧
٣٩٨	الآية: ٤٢	٣٤٤	الآية: ٨
٤٠١	الآية: ٤٣	٣٤٧	الآية: ٩
٤٠٢	الآية: ٤٤	٣٤٨	الآية: ١٠
٤٠٤	الآية: ٤٥	٣٥١	الآية: ١١

٤٥٠	الآية : ٨٣	٤٠٥	الآية : ٤٦
٤٥١	الآية : ٨٤	٤٠٦	الآية : ٤٧
٤٥٢	الآية : ٨٥	٤٠٨	الآية : ٤٨
٤٥٣	الآية : ٨٦	٤٠٩	الآية : ٤٩
٤٥٤	الآية : ٨٧	٤١٢	الآية : ٥٠
٤٥٦	الآية : ٨٨	٤١٣	الآية : ٥١
٤٥٨	الآيتان : ٨٩ ، ٩٠	٤١٤	الآية : ٥٢
٤٥٩	الآية : ٩١	٤١٥	الآية : ٥٣
٤٦٠	الآية : ٩٢	٤١٦	الآيتان : ٥٤ ، ٥٥
٤٦٣	الآية : ٩٣	٤١٨	الآيتان : ٥٦ ، ٥٧

سورة القصص

٤٦٥	الآيات : ١ - ٣	٤١٩	الآيتان : ٥٨ ، ٥٩
٤٦٦	الآية : ٤	٤٢١	الآية : ٦٠
٤٦٨	الآية : ٥	٤٢٣	الآية : ٦١
٤٦٩	الآية : ٦	٤٢٥	الآية : ٦٢
٤٧٠	الآية : ٧	٤٢٧	الآية : ٦٣
٤٧٢	الآية : ٨	٤٢٩	الآية : ٦٤
٤٧٣	الآية : ٩	٤٣٠	الآية : ٦٥
٤٧٥	الآية : ١٠	٤٣٣	الآية : ٦٦
٤٧٧	الآيتان : ١١ ، ١٢	٤٣٧	الآية : ٦٧
٤٧٩	الآية : ١٣	٤٣٨	الآية : ٦٨
٤٨٠	الآية : ١٤	٤٣٩	الآية : ٦٩
٤٨٢	الآية : ١٥	٤٤٠	الآيتان : ٧٠ ، ٧١
٤٨٥	الآيتان : ١٦ ، ١٧	٤٤١	الآية : ٧٢
٤٨٦	الآية : ١٨	٤٤٢	الآية : ٧٣
٤٨٧	الآية : ١٩	٤٤٣	الآيتان : ٧٤ ، ٧٥
٤٨٩	الآية : ٢٠	٤٤٤	الآية : ٧٦
٤٩٠	الآيتان : ٢١ ، ٢٢	٤٤٥	الآيتان : ٧٧ ، ٧٨
٤٩١	الآية : ٢٣	٤٤٦	الآية : ٧٩
٤٩٥	الآية : ٢٤	٤٤٧	الآية : ٨٠
٤٩٧	الآية : ٢٥	٤٤٨	الآية : ٨١
		٤٤٩	الآية : ٨٢

٥٤٧ الآية : ٥٨	٤٩٩ الآية : ٢٦
٥٤٩ الآية : ٥٩	٥٠٠ الآية : ٢٧
٥٥٠ الآية : ٦٠	٥٠٣ الآية : ٢٨
٥٥١ الآية : ٦١	٥٠٥ الآية : ٢٩
٥٥٢ الآية : ٦٢	٥٠٧ الآية : ٣٠
٥٥٣ الآية : ٦٣	٥٠٨ الآية : ٣١
٥٥٦ الآية : ٦٤	٥٠٩ الآية : ٣٢
٥٥٧ الآية : ٦٥	٥١٣ الآية : ٣٣ ، ٣٤
٥٥٨ الآية : ٦٦	٥١٥ الآية : ٣٥
٥٥٩ الآية : ٦٧	٥١٧ الآية : ٣٦
٥٦٠ الآية : ٦٨	٥١٩ الآية : ٣٧
٥٦٢ الآية : ٦٩ ، ٧٠	٥٢١ الآية : ٣٨
٥٦٣ الآية : ٧١	٥٢٤ الآية : ٣٩ ، ٤٠
٥٦٥ الآية : ٧٢	٥٢٥ الآية : ٤١
٥٦٧ الآية : ٧٣ ، ٧٤	٥٢٦ الآية : ٤٢
٥٦٨ الآية : ٧٥ ، ٧٦	٥٢٧ الآية : ٤٣
٥٧٢ الآية : ٧٧	٥٢٨ الآية : ٤٤
٥٧٣ الآية : ٧٨	٥٣٠ الآية : ٤٥
٥٧٦ الآية : ٧٩	٥٣١ الآية : ٤٦
٥٧٧ الآية : ٨٠	٥٣٣ الآية : ٤٧
٥٧٨ الآية : ٨١	٥٣٥ الآية : ٤٨
٥٨٠ الآية : ٨٢	٥٣٧ الآية : ٤٩
٥٨٢ الآية : ٨٣	٥٣٨ الآية : ٥٠
٥٨٤ الآية : ٨٤	٥٤٠ الآية : ٥١ ، ٥٢
٥٨٥ الآية : ٨٥	٥٤١ الآية : ٥٣ ، ٥٤
٥٨٧ الآية : ٨٦	٥٤٢ الآية : ٥٥
٥٨٨ الآية : ٨٧	٥٤٣ الآية : ٥٦
٥٨٩ الآية : ٨٨	٥٤٥ الآية : ٥٧